

المجلد

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون أحسنه
أولئك الذين هدهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و د منارا ، كمنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٢ هـ ق ٨ الشتاء الاول ١٢٩٢ هـ ش ٢٨ ديسمبر ١٩١٣

فاتحت السنة النبوية عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٥٩:٢٧) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ، اللَّهُ
خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٣:٢٧) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ،
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٣٥:٤٥) فَلَلهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ
الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٦ وله الكبرياء في السموات والارض وهو
العزيز الحكيم) فنحمده بما حمد به نفسه ، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه
ورسله ، ووصفوته من بني آدم الذين فضلهم على كثير من خلقه ، محمد ، محمد

النبي الامي ، العربي الحجازي ، الذي أرسله رحمة للعالمين ، وأتم به نعمته في الدنيا والدين ، وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الهادين المهديين ، والتابعين لهم في هدايتهم وهديتهم الى يوم الدين .

وبعد فاننا نذكر قراء المنار على رأس سنته السابعة عشرة بنحو ما ذكرناهم به في السنين الخالية ، من سوء عاقبة الإفراط والتفريط اللذين رزئت بهما أمتهم الجاهلة الغافلة ، - الإفراط في عبادة الهوى واتباع الشهوات ، والانهماك في الفواحش والمنكرات ، والمحافظة على البدع وسيئ العادات ، - والتفريط في حقوق الله وحقوق الامة ، وما يجب من التزام هدي الكتاب والسنة ، ومجارات الامم بما يستطيع من حول وقوة ، ولا سيما قوة الاعتصام والوحدة ، وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة . ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر ، وهاتيك المواعظ والنذر ، وبما يفشون به في كل عام ، وما تسلب من ملكهم الامم والاقوام ، وبيان سنن الله تعالى في الظالمين والمُسرفين ، (٤:٦) وما تأنيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين (١٠:١٠) قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ^(١) ١٠٢ - فهل ينظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ؟ قل فانظروا اني معكم من المنتظرين) سبحان الله ! ان من العقلاء من يتعظ بالعبارة ، ومنهم من يكفي بما توحى اليه الاشارة ، وانهم ليستنبطون من وقائع الاحوال ، ما يستعدون به لما ينتظر في الاستقبال ، ولو على سبيل الفرض والاحتمال

(١) أي لا يصدقون بما تدل عليه الآيات وما تخوفهم به النذر والمواعظ لجهلهم وعدم تدبرهم

وان الامم أشد من الافراد احتياطا ، وأخفى حيلة وأدق استنباطا ،
وأوسع في المستقبل آمالا ، وأكثر استعدادا له وأعمالا ، لأنها أطول
أعمارا ، وأشد قوة واقتدارا ، وأكثر أعوانا وأنصارا ، فما بال أمتنا
لا تتعظ بكلام الله ولا بكلام البشر ، ولا تعتبر بما تشاهده من الأحداث
والعبر ، وكلما أنذرها الله بطشته تتماهى بالنذر ؟ ! (٥٤ : ٤) ولقد جاءهم من
الانبياء ما فيه مژد جر - ٥ - حكمة بالغة فما تغني النذر * - ٢١ : ٥٥ : قل إنما
أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون)

تركت هذه الامة هداية القرآن ، فقاتها ما كانت نالت به من
الملك والسلطان ، والعلم والعرفان ، والبسطة في العمران ، وأمست غافلة
عن سبب ذلك التوفيق وهذا الخذلان ، بل أتى عليها أحقاب من الزمان ،
لا تشعر بكنه هذا الخسران ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر
دنياها ، قبل الشعور بما كان سببا له من فساد أمر دينها ، وبما خسرت
من سلطانها وأملكها ، قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكاتها ،
ولما شعرت بالخطر على حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن علمها الروحية
وأسبابها المعنوية ، شرعت في شيء من الاصلاح الصوري ، بدون أن
تؤيده بروح الاصلاح المعنوي ، فعُد السلطان محمود مصلحا بتغيير الزي
الرسمي ونظام الجندية ، والسلطان عبد الحميد مصلحا باعلان التنظيمات
الخيرية ، والسلطان عبد الحميد مصلحا بإنشاء نظارة العدلية ، ومصطفى
رشيد باشا مصلحا بادخال الدولة العثمانية في سلك الدول الاوربية ، ومدحت
باشا وأعوانه مصلحين باقتباس القوانين الغربية الغربية ، ومحمد علي
باشا وأحفاده مصلحين بفرجة البلاد المصرية ، والامير عبد الرحمن

خان مصاحبا بالتأليف بين القبائل الافغانية. ولم توجه همّة أحد الى إصلاح الاخلاق والعادات ، وازالة البدع والمنكرات ، وجمع الكلمة التي فرقها المذاهب واللغات ، فما زاد الأمة ذلك الاصلاح الصوري الا ضروبا من الفساد ، ولا أفاد الدولة الا إضعاف الاستقلال وإضاعة البلاد ، (٤٤:٢١) بل متعنّا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ، أفلا يرون أننا نأتي الارض ننقصها من أطرافها ؟ أفهم الغالبون ؟

لا أقول ان جميع ما قام به أولئك الرجال لم يكن مطلوبا ، ولا أقول ان ضرره وما ترتب عليه من الفساد كان ذاتيا ، بل أقول ان أكثره كان ضروريا ، ولكنه لم يكن علاجاً لهذه الامة من طيب اجتماعي ، عرف من أمراضها الظاهري والباطني ، فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة ، ويحفظ البنية ويقوي المنّة ، لذلك رأيناها بعد هذه المعالجات لم تزد الا مرضاً ، حتى كادت تكون حرضا ، ازدادت ذلا وفقرا ، وتفرقا وضعفا ، وفسادا في الاخلاق ، واسرافا في النفاق ، وكان ما أدخل فيها من علوم الامم القوية وقوانينها وآدابها ، كالجسم الغريب الذي يدخل في البنية فيفسد مزاجها ، لانه لم يكن على حسب استعدادها وحاجتها ، بل كان تقليداً صوريا ، أو عارضا وقتيا ، فنه ما كان ضارا ومنه ما كان نافعا ، فأما الضار فأكبر ضرره التقاليد والقوانين الافرنجية ، التي قطعت كثيرا من روابط الامة المليّة ، وأزالت ما أزال من مقوماتها ومشخصاتها الاجتماعية والادبية ، ولم تستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الامم الأوربية ، بل صارت عيالا عليهم في جميع الشؤون ، حتى انتهى ذلك الى هذا الفتور ، بأن فقدت الاستقلال ، باسم النفوذ أو الحماية أو

الاحتلال ، (١٢:٩٦) وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون
١٣١ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ١٣٢ ولكل
درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون)

وأما ما كان نافعا من تلك الاعمال ، التي وسمت بسمة الاصلاح ،
فإنما كان نفعه موضعيا ، وعارضا لا دائما ، فكان كداواة بعض أعراض
الزهري (الداء الافرنجي) الظاهرة بما يزيها ، مع بقاء العلة في الباطن
(كتسم الدم) تصدر عنها آثارها ، فما زال منه بالمعالجة الموضعية اليوم ،
يظهر ماهو شر منه وأعصى على العلاج في الغد * كلما داويت جرحا سال
جرح * ذلك مثل ما كان في الدولة العثمانية ، وهي اكبر مظاهر السلطة
في الامة الاسلامية ، وخير منه ما قام به الامير عبد الرحمن ، من جمع
كلمة قبائل الافغان ، وتدريبها على القتال ، الذي يحفظ به الاستقلال ،
وكذا ما قام به الامير محمد علي في مصر ، فانه بنى ركني الثروة والقوة على
أساس العلم ، ولو أتم أحفاده ما بدأ به ببناء ركني الاخلاق والآداب ،
على أساس الدين وسنن الاجتماع ، ثم لهم تكوين الأمة ، ولاستقام لهم
بالامة أمر الدولة ، فهذا العصر عصر الامم والشعوب ، لا عصر الامراء
والملوك ، ولكن جميع أقيال المسلمين ، كانوا ولا يزالون عن هذا غافلين ،
(٣٥ : ٤٤) أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ؟ ٢١:٤٠ * - أولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في
الارض فأخذهم الله بذنوبهم * - ٣٠ : ٩ أولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وآثاروا الارض

وتعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسالهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

نعم انهم لم يسيروا في الارض ، لاجل الاعتبار بسنن الله في الكون ، فينظروا في سوء عاقبة الامم الجاهلة النائمة ، ومصير الدول المستبدة الظالمة ، وحسن عاقبة الامم العاملة العادلة ، وسيادة الدول المنظمة العادلة ، وكيف ان اصلاح الارض وعمران الدور ، لا يغني عن اصلاح الاخلاق وارتقاء الجمهور ، ولو ساروا لما نظروا ، ولو نظروا لما أبصروا ، ولو أبصروا لما اعتبروا ، (٤٦: ٢٢) أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لا تفتي الابصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور) وأي عمى أشد من عمى الاستبداد ؟ وهو مصدر كل فساد وفساد ، حتى انه يفسد الطباع ، ويغير الاوضاع ، ويقطع رابطة الزوجية ، ويزيل عاطفة الابوة والبنوة ، فيغري الولد بقتل والده ، والوالد بقتل ولده ، وكيف يؤمن على حياة أمته ، من لا يكبر عليه قتل والده أو ولده ، اذا هو نازعه في سلطته ، أو عارضه في ارادته ؟ فانتظار الأمم ان يكون صلاحها ورشادها ، ممن لاحظ لهم من حياتهم الا استدلالها واستعبادها ، اتباعا لترفهم ونعيمهم ، وافتتاناً باطرائهم وتعظيمهم ، يشبه طلب العلم من الجاهلين ، والتماس الهدى من الضالين ، (١١ : ١١٧) فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقیة ینھون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ١١٨ وما كان ربك ايهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون .

ألا انه لا بقاء مع ظلم وفساد ، ولا عدل مع استبداد ، ولا هلاك

مع اصلاح ، ولا إصلاح للدولة ، الا بصلاح الأمة ، ولا صلاح لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولي الرأي والعزم ، يأمرون بالصلاح وينهون عن الفساد في الأرض ، ولا تأثير للأمر والنهي ، الا بإجماع الأمر وإحكام الرأي ، ولا يفيد الإحكام والإجماع ، الا مع مراعاة سنن الاجتماع ، لا اختلاف استعداد الأقوام ، باختلاف احوال الزمان والمكان ، وزماننا هذا هو زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية ، والشركات الزراعية والصناعية والتجارية ، فخط الافراد الكثرين من معنى الامة ، على قدر حظهم من إقامة هذه الاركان الستة ، ولا ينبغي أن يطلق هذا اللفظ ، على من لا نصيب لهم منها ولا حظ ، الا على سبيل التجوز في القول ، كما يطلق اسم الشيء على صورة الشيء ، ومتى ملكت الامة بالجمعيات أمورها المعنوية ، وبالشركات أمورها المادية ، كانت جديرة بأن تقوم أمر حكومتها ، وتقيمها على صراط شريعتها ، لهذا كان همنا منذ سنة المنار الاولى ، أن نذكر أهل العلم والرأي من المسلمين بهذه الطريقة المثلى ، اهتداء بقوله تعالى (٨٧ : ٩) فَذَكَرْنَاكَ أَنْ نَقْمَتِ الذِّكْرَى ١٠ سيد ذكر من يخشى) وليس بعد اقامة حجة الله في الوري ، الا فلاح من اتبع الهدى ، وهلاك من آثر الهوى (٤٥ : ٢٢) أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون ا)

ألا وان أمر التربية والتعالم هو أهم ما يجب أن يوكل الى الجماعات ، ولا يجوز أن يترك الى الافراد ولا الى الحكومات ، لان المدارس للافراد دكا كين لكسب المال ، وللحكومات معامل بسبك العمال ، فكل

من الفريقين يتوخى في التعليم منفعة الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وانما تطلب الحكومة عمالا لها كآلات ، لا ارادة لهم ولا رأي ولا استقلال ، والافراد يتبعون سنتها ويسيروا على طريقها ، وانما ربح تجارتهم برواج بضاعتهم في سوقها ، وشر من ذلك ما ابتلي به جماهير المسلمين ، من ترك تربيتهم النفسية والعقائبة الى خصومهم في السياسة والدين !!! فكانوا بهذا الخزي من الاخسرين ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فأنتى تصالح أمة تركت تجديد ما وتكوينها ، الى من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها ؟؟؟ كلا! انها كرة خاسرة ، يخسرون بها الدنيا والآخرة ، (١٧٨:٧) ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون)

الام تصالح بالتربية ونحن قد افسدنا المربون - الافرنج والمتمفرنجون - وترتقي بالعلم ونحن قد دلأنا العلماء المقلدون المفتونون ، وتقوى وتعزى بجمع المدارس لكلمتها ، ونحن قد أوهنتنا وشقت عصانا المدارس ، لانها إما معاهد سياسية وإلحاد ، وإما أديار وكناش ، قد قطعت روابط الامة الدينية والمدنية ، وفتنتها بالاهواء والشهوات الحيوانية ، وسرى سم تقليدها الى المدارس الاميرية والاهلية ، فالمتخرجون فيها أقلهم الذين يسلمون ، ومنهم الملعدون وأكثرهم الفاسقون ، يجرفون تروة الامة الى الاجانب ، ويقذفونها بالفجور والنفوذ الاجنبي من كل جانب ، ويتغلبون فيها على المناصب ، فينالون منها جميع المآرب ، يحقرون لها سلفها ، ويمظمون

في نفسها كل ما هو أجنبي عنها ، فيقطعون جميع روابطها المالية ، ويزينون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التي يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التي يستعين بها الأجانب على إدارة أمر البلاد ، لأنهم تربية مدارسهم ، بل صنع معاملهم ، أو الجيش السامي لشكناهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه الفتح السلمي بدونهم ، ولا أجل هذا ربوهم هذه التربية البذبة ، وحشوا مخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة ، فلام صاروا بها أوريين ، ولا ظلوا مسلمين أو شرقيين ، ولكنهم لغروهم باسم المدنية الافرنجية يفسدون على الأمة أمرها ، ويزعمون أنهم هم المصالحون لشأنها ، (٢ : ١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ١١ إلا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) هكذا ذفف على جرح هذه الأمة من جعلوا انفسهم أساة لها وأطباء ، فكان اقل أدوائها ما عالجوها به من الدواء ، ومن كان له عقل وبصيرة ، فليتدبر ما تقوله فيهم كتب الافرنج وصحفهم الشهيرة ^(١) ومن اهمه ما نقلته مجلة العالم الاسلامي الفرنسية ، عن مجلة العالم الاسلامي الانكليزية ، في سياق الكلام على فتح العالم الاسلامي (الذي نشرناه في ص ٥١٦ م ١٥) وهذا

نصه : « اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية

على أن معاهد التعليم الثانوية التي اسسها الاوريون كان لها تأثير في حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوربة كلها » !!! فاذا لم يكن للمسلمين مدارس ملية ، تديرها حكومة أو جماعات اسلامية ، فتربيهم على ما يجمعون ، مصالحهم الدينية والدنيوية ، وإذا

(١) ومنها ما كتبه لورد كرومر في كتابه مصر الحديثة في سوء حال المتفرنجين

كانوا لا يعرفون للتعليم غاية الا المنفعة الشخصية ، وما يتخيلون من المنافع
الحسية المادية ، فان اوروبا تعرف كيف تنشئهم في مدارسها ومدارسهم
خلقا جديدا ، يكونون بها على توفهم الحرية خدما لها وعبيدا ، فهم مقادون
من امامهم ، ومسوقون من ورائهم ، ولكن لا يدرون كيف بدءوا ولا
اين ينتهون ، (١٦ : ٢١ أموات غير أحياء وما يشعرون أيا ن يُبعثون *
٣ : ١١٧ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبيلا
ودثوا ما غنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ،
قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون)

ألا اننا في اشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما توقف عليه
من العلوم والفنون العملية ، والى الاعتبار بتاريخهم ، وأطوار حكوماتهم
وجماعاتهم ، ولكن يجب ان يقوم باقتباس ذلك جماعات منا ، يجمعون بينه
وبين حفظ مقوماتنا ومشخصاتنا ، وأركانها اللغة والدين والشريعة
والآداب^(١) فمن فقد شيئا من هذه الاشياء فقد فقد جزءا من نفسه ،
لا يمكن ان يستغني عنه بمثله من غيره ، كما انه لا يستغني بعقل غيره عن
عقله ، ولا بجسم سواه عن جسمه ، وانما نستفيد من العبرة بحالهم ، كيف
ترقي لغتنا كما رقوا لغاتهم ، وكيف ننشر ديننا كما ينشرون دينهم ، وكيف
نسهل طرق العمل بشريعتنا وآدابنا كما سهلوا طرق شرائعهم وآدابهم ،
ولنا ان نستعين على ما نستمد منه ، بأهل الفضيلة والاستقلال من

{١} هذا التقسيم بحسب عرف العصر . والشريعة عند المسلمين بمعنى الدين والمراد
بها هنا احكام المعاملات من السياسة والقضاء والادارة والحرب . وهي موضع اجتهاد
أولي الامر في الدين الاسلامي . والآداب الاسلامية متبعا للدين وهي اعلى من
آداب الافرنج وأكمل

رجالهم ، الذين ليس لهم فينا اهواء دينية ، ولا مطامع سياسية استعمارية ، وبهذا نكون مهتدين بما امرنا الله به من السير في الأرض ، والاعتبار بأحوال الامم ، وبسنة سلفنا ، في جعل الحكمة ضالتنا ، واعتقاد انها حيث وجدت فنحن أحق بها ، (٢٤:٨) يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم الى يحسبكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تُحشرون ٢٥ واتقوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، واعلموا أن الله شديد العقاب ٢٦ واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناسُ فأوكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ٢٧ يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم وانتم تعلمون *

الدعوة الى انتقاد المنار

أمر الله تعالى بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونهى عن الغيبة وتوعد المقتاب ومن يحب شيوع الفاحشة ، وأوعد الهمة اللمة ، بالويل الشديد والحطمة ، فنحن نذكر كل من يطالع على منارنا هذا بأمر الله ونهيه ، ووعدده ووعيدده ، وندعو من رأى فيه خطأ أن يذكرنا به قولاً أو كتابةً ، مبيناً ذلك بالدليل والبرهان ، لا بقول فلان ورأي فلان ، مع أدب العبارة ، والاكتفاء منها بقدر الحاجة ، ونحن ننشر ان شاء الله تعالى كل ما يكتب اليانا ، سواء كان لنا أو علينا ، اذا التزم الكاتب ما شرطنا ، ثم نبين ما عندنا فيه من قبول وإذعان ، أو رد أدبي مؤيد بالبرهان ، وليعلم كل عاقل منصف أن من يخطئنا ولا يكتب اليانا فهو لا ثقة بعلمه ولا بدينه ولا بما يقوله فينا ، وانه حاسد مقتاب ، أو مدّاع كذاب ، والى الله المرجع والمآب ، وهو سريع الحساب

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني

﴿ كتاب مدارج السالكين . بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ﴾

هذا الكتاب للامام الحافظ المحقق ابن قيم الجوزية ، شرح فيه كتاب (منازل السائرين) في التصوف لشيخ الاسلام ابي اسماعيل الهروي شرحا بين فيه غوامضه ، وفصل بين ماوافق الكتاب والسنة وما يخالفهما منه ، فهو افضل كتب التصوف وأنفعها ، وهو يطبع الآن في مطبعة المنار ، وقد أوشك ان يتم طبع الجزء الاول منه ، وقد رأينا أن نذكر هذا الفصل منه تعجيلا بالفائدة لقراء المنار ، ولشدة الحاجة اليه . قال المصنف رحمه الله تعالى في سياق بيان انواع الكفر :

﴿ فصل ﴾

وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر . فالأكبر لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، وهو ان يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله . وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين . ولهذا قالوا لا آلهتهم في النار (تالله ان كنا في ضلال مبين . اذ نسويكم برب العالمين) مع اقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه ، وان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت . وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم ، بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويأولونها من دون الله . وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم اذا ذكر الله وحده ، ويغضبون لانتقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين ، واذا انتهكت حرمة من حرمت آلهتهم ومعبوديهم غضبوا غضب اللبث اذا حرد ، واذا انتهكت حرمت الله لم يغضبوا لها ، بل اذا قام المنتهك لها باطعامهم شيئا رضوا عنه ولم تتذكر له قلوبهم . وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه ان أقام وان قعد وان عثر وان مرض وان استوحى (١) فذكر إلهه ومعبوده من دون الله

(١) كتب في هامش نسختنا « لله وان استوحش » وفي النسخة الثالثة . « وان

استوى » أي جالسا أو راكبا أو قائما

هو الغالب على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويؤمن انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه - وهكذا كان عباد الاصنام سواء - وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم ، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوها (١) من البشر. قال الله تعالى حاكيا عن اسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه أولياء : ما نعبدهم الا ليقرّبونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) ثم شهد عليهم بالكفر والكذب وأخبر انه لا يهديهم فقال (٢) (ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) فهذه حال من اتخذ من دون الله وليا يزعم انه يقربه الى الله، وما أعز من يخلص من هذا ؟ بل ما أعز من لا يعادي من انكره ! والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله . وهذا عين الشرك. وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله ، وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد الا لمن أذن الله أن يشفع فيه ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعا ، فانه يأذن سبحانه لمن شاء في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوهم شفعا من دونه ، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن الله به صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن أذنه لمن وحده ، والتي نفاها الله (٣) الشفاعة الشريكية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعا ، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون . فتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لا بى هريرة - وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال - « أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله الا الله خالصا من قلبه » كيف جعل أعظم الاسباب التي تنال بها شفاعة تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين ان الشفاعة تنال بالتخاذل شفعاء وعبادتهم ومواليتهم من دون الله ، فقلب النبي

(١) وفي نسخة « اتخذها » (٢) هذه الجملة بين طرفي الآية ساقطة من نسختنا {٣} المنار : نفى الله الشفاعة نفيا مطلقا ومقيدا ، فالماطلق كقوله { اتفقوا بما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة } والمقيد كقوله { ما للظالمين من شفيع ولا حميم يطاع } ومنها ما أشار اليه المصنف

صلى الله عليه وسلم لم يفي زعمهم بالكاذب ، وأخبر أن سبب انشغاله بتجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع ان يشفع .

ومن جهل المشرك اعتقاده ان من اتخذ وليا أو شفيعا انه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم ، ولم يعلموا ان الله لا يشفع عنده احد الا باذنه ، ولا يأذن في اشغالة الا لمن رضي قوله وعمله كما قال تعالى في الفصل الأول (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ؟) وفي الفصل الثاني (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وبقي فصل ثالث ، وهو انه لا يرضى من يقول والعمل الا التوحيد واتباع الرسول ، وعن هاتين الكلمتين يسأل الاولين والآخرين كما قال أبو العاتية : كلمتان يسئل عنهما الأولون والآخرين : ماذا كنتم تعبدون ؟ (١) وماذا أجبتم المرسلين ؟ فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعها وعقلها : لا شفاعة الا باذنه ، ولا يأذن الا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من يقول والعمل الا توحيدة واتباع رسوله (٢) فالله تعالى : لا يغفر شرك العادلين به غيره كما قال تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وأصح القولين انهم يعدلون به غيره في العبادة والموالاته والمحبة كما في الآية الاخرى (تالله ان كنا لفي ضلال مبين * اذ نسويكم رب العالمين) وكما في آية البقرة (يحبونهم كحب الله)

وترى المشرك يكذب حاله وعمله لقوله فانه يقول : لا نجيبهم كحب الله ولا نسويهم بالله . ثم يفض لهم ولحرمانهم اذا انتهكت أعظم مما ينضبه الله ، ويستبشرونهم ويبتشش به (٣) سيما اذا ذكر عنهم ما ليس فيهم من اغاثة الالهات ، وكشف الكربات ، وقضاء الحاجات ، وانهم باب بين الله وبين عباده . ترى المشرك يفرح ويسر ويحسن قلبه ويهيج منه لوايح التملطم والتضوع لهم والموالاته ، واذا ذكرت له الله وحده وجردت توحيدة ، لحقته وحشة وضيق وخرج (٤)

(١) كتب في هامش نسختنا هنا « تعدلون » (٢) وفي نسخة « رسوله » (٣) يقال تبشش به اذا آنسه وواصله وفي نسخة « ويستأنس » بدل « ويتبشش » (٤) فات المصنف ان يستشهد هنا بقوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) ولا فرق بين المشرك الذي لا يؤمن بالآخرة البتة ، والمشرك الذي يؤمن بها على غير الوجه الذي ينه الرسول (ص)

ورماك بتقص الآلهية (١) التي له وربما عاداك . رأينا والله منهم هذا عياناً ، ورمونا بعداوتهم وبعوا لنا الغوائل (٢) والله مخزيهم (٣) في الدنيا والآخرة ، ولم تكن حجتهم الا ان قالوا كما قال اخوانهم : عاب آلهتنا . فقال هؤلاء تنقصتم مشايخنا وأبواب حوائجنا الى الله . وهكذا قال النصراني للنبي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم : ان المسيح عبد (٤) ، قالوا : تنقصت المسيح وعبته . وهكذا قال أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثاناً تعبد ومساجد ، وأمر بزيارتها على الوجه الذي اذن الله فيه ورسوله ، قالوا : تنقصت أصحابها . فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم حتى كأنهم قد تواصلوا به و (من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يضال فلن نجد له وليا مرشداً) وقد قطع تعالى الاسباب التي تعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله وعرفه ان من اتخذ من دون الله ولياً او شافعياً فهو (كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت) فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير » ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له) فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع . والنفع لا يكون الا لمن فيه خصلة من هذه الاربعة : إما مالك لما يريد عابده منه ، فان لم يكن مالكا كان شريكاً للمالك ، فان لم يكن شريكاً له كان معيلاً له وظهيراً ، فان لم يكن معيلاً ولا ظهيراً كان شافعياً عنده . فنفي سبحانه المراتب الاربعة نفياً مترتباً منتقلاً (٥) من الاعلى الى مادونه (٦) فنفي الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك ، واثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه ، فكفى بهذه الآية نورا وبرهاناً ونجاة وتجييداً للتوحيد وقطعاً لاصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها

(١) وفي نسخة « رماك باتقص الآلهة » الخ (٢) يقول مصحح الكتاب : نحمد الله ان كان لنا في المصنف وأمثاله من الدعاة الى توحيد الله أسوة ، فقد رأينا ما رأى وابتلينا بما ابتلي {٣} وفي نسخة « يحزيهم » (٤) وفي نسخة « عبد الله » (٥) وفي نسخة مرتباً منتقلاً (٦) وفي نسخة الادنى

٣٤ اسلام اللورد هدي - محاسن الاسلام التي هدته اليه (المنار - ج ١ م ١٧)

ونظائرهما ولكن اكثر الناس لا يشعرون (١) بدخول الواقع تحتها وتضمنه له ، ويظنه في نوع ، وقوم قد دخلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا ، وهذا هو الذي يحول بين الغالب وبين فهم القرآن . ولعمري الله ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم - اوشر منهم او دونهم . وتناول القرآن لهم كتابوله لاولئك ، ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، (٢) وهذا لانه اذا لم يعرف الجاهلية والشرك . وما عابه القرآن وذمه ، وقم فيه واقره ، ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه هو الذي كان عليه اهل الجاهلية او نظيره ، اوشر منه (٣) او دونه ، فينقض (٤) بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ، ويدفع بتجريد متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا والله المستعان اه

اسلام اللورد هدي

وما قاله وكتبه في سببه

خاضت جرائد العالم في اسلام « اللورد هدي » الانكليزي فكتب بعضها ما لب عليه كما هو على سبيل الخبر ، وزعم بعضهم ان اسلامه سياسي ليثمل المسلمين في مجلس اللوردات ! وابي بعض المنصبين من النصارى الا ان يشوب الخبر بشوائب التلبيس وايهام القارئ ان اللورد لا يزال نصرانيا يؤمن بالثالوث ويجمع بين الضدين او النقيضين : التوحيد والتثليث . وكان هذا التلبيس والايهام قد استنبط من كلمة عزيت الى اللورد . واتنا ننشر ما نقلته جريدة مسيحية انكليزية عن اللورد وما كتبه هو عن اسلامه فنقول :

جاء في جريدة الديلي ميل الصادرة في ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٣ تحت عنوان (اسلام اللورد هدي) ما يأتي :

اللورد هدي هو البارون الخامس في بيته (ثالثه) وقد ارتقى الى هذه الرتبة

(١) وفي نسخة لا يشعرون (٢) وفي نسخة من لم يعرف الجاهلية (٣) وفي نسخة او أسوأ (٤) وفي نسخة فينقض . ولعله الاصل الصحيح

في يناير الماضي بعد وفاة ابن عمه . وقد اسلم هذا اللورد الآن وأعلن اسلامه في حفلة للجمعية الاسلامية بلندن ، وكان هو نفسه حاضرا في ولية الجمعية السنوية قال في اجتماع البارحة « انني باعلان اسلامي الآن لم أحد مطلقا عما اعتقدته منذ عشرين سنة ، ولما دعيتي الجمعية الاسلامية لوليتها سررت جدا لأنني لم أتمكن من الذهاب اليهم واخبارهم بالتصاتي الشديد بدينهم . وأنا لم أهتم بعمل أي شيء لظهور نبذي الملاقى بالكنيسة الانكليزية التي نشأت في حجرها ، كما أنني لم أحفل بالرسيمات في إعلان اسلامي ، وان كان هو الدين الذي اتمسك به الآن

إن عدم تسامح المتمسكين بالنصرانية كان أكبر سبب في خروجي عن جامعتهم ، فانك لا تسمع أحداً من المسلمين يذم أحداً من أتباع الاديان الأخرى كما تسمع ذلك من النصارى بعضهم في بعض ، فإن المسلمين وإن كان يحزنهم عدم اعتداء الناس إلى دينهم إلا أنهم لا يحكمون على كل من خالفهم بالهلاك الابدي

إن طهارة الاسلام وسهولته وبمده عن الأهواء والمذاهب الكهنوتية ووضوح حججه كانت كل هذه الأشياء أكبر ما أثر في نفسي . وقد رأيت في المسلمين من الاهتمام بدينهم والاخلاص ما لم أر مثله بين النصارى ، فإن النصراني يحترم دينه عادة يوم الاحد حتى إذا ما مضى الاحد نسي دينه طول الأسبوع . وأما المسلم فبمكس ذلك يجب دينه دائماً ، وسواء عنده أكان اليوم يوم الجمعة أو غيره ، ولا يفتر لحظة عن التفكير في كل عمل يكون فيه عبادة الله

ولاني وإن كنت اعتنقت الاسلام إلا أنني لازلت نصرانيا ، بمعنى أنني لازلت مؤمنا بالمسيح ومتبها تعاليم المسيح ، فإن الاسلام يصدق بتعاليم جميع الانبياء على حد سواء فلا يفرق بين موسى والمسيح ومحمد «ولكن أكثر الناس لا يملكون» اه كلام هدي ثم قالت الجريدة المذكورة : إن اللورد (هدي) هو مهندس . وفي المسابقة الرياضية التي جرت في كبرديج حاز قصب السبق في الملائكة مثل المسير النسور وين (Allanson Winn)

﴿ لماذا أسلمت ﴾

وجاء في جريدة الأبرزيرفر الأسبوعية (The Observer) في عددها الصادر في ٢٣ نوفمبر الماضي تحت عنوان (لماذا أسلمت) بقلم اللورد هدي (Headley) ما ترجمته حرفيا : —

أخذت صحف عديدة تخوض في معتقدي الديني ، ويسرنى أن أرى أن جميع الانتقادات التي وجهت إلي الآن كانت بلهجة لطيفة ، وما كان ينتظر أن الخروج عما افه الناس واعتادوه لا يلفت الأنظار إليه ، وذلك مما يسرنى . إني أحب مهنتي ومولج بالألعاب الرياضية ، ولم يكن لي في ذلك غرض اطلب الشهرة وإمد الصيت ، ولكن لو كان عملي في هذه الحالة سبباً في حمل الناس كيوري المدارك سمحاًة فأنا في غاية الاستعداد لأن أحمّل بكل صبر أي نوع من الاساءة والاستهزاء

أتاني في يوم كتاب من نصرائي متمسك بدينه يقول لي فيه : إن الاسلام هو دين شهوات ، وإنه كان لنبيه عدة زوجات . فما أعجبها من فكرة عن الاسلام ! ولكنها هي الفكرة السائدة على عقول تامة وتسعين من كل مائة بريطاني ، فانهم لا يتعبون أنفسهم في البحث عن حقائق دين يدين به مائة مليون من اخوانهم الخاضعين لهم . نبي العرب المقديس كان على الأخص حصوراً عن الشهوات طاهراً ، فكان مخلصاً لزوجته الوحيدة خديجة التي كانت أكبر منه بخمسين عشرة سنة ، وكانت أول من آمنت ببعثته . وبعد موتها تزوج عائشة ثم تزوج أيضاً عدة أرامل لأصحابه الذين قتلوا في الحرب لا لأنه كان له أدنى رغبة فيهن بل ليعولهن ويقوم بكفالتهن ويرفع مقامهن إلى منزلة ما كن يصلن إليها بغير ذلك . وكان عماله هذا ملتئمًا مع بعده عن الأنانية ومع حياته الشريفة العالية . وكان من شدة زهده في هذه الحياة أنه ما كان يملك ما يكفيه من العيش

نحن البريطانيون تعودنا أن نفخر بحينا للانصاف والعدل ، ولكن أي ظلم أعظم من أن نحكم حكماً بفعل أكثرنا بفساد الاسلام قبل أن نلم بشيء من عقائده ، بل قبل أن نفهم معنى كلمة اسلام ؟

من المحتمل أن بعض أصدقائي يتوهم أن المسلمين هم الذين أثروا في ، ولكن هذا الوهم لاحقيقة له ، فان اعتقاداتي الحاضرة ليست إلا نتيجة تفكير قضيت فيه عدة سنين . أما مذاكراتي الفعلية مع المعلمين من المسلمين في موضوع الدين فلم تبدأ الا منذ أسابيع قليلة ، ولا حاجة بي إلى القول أنني ملئت سروراً حينما وجدت نظرياتي وتأنجي متفقة تمام الاتفاق مع الدين الاسلامي . وأما صديقي الخوجة كمال الدين فلم

بحاول قط أنت يكون له في أقل تأثير ، ولكنه كان حقيقة كقاموس حي يفسر ويترجم لي - مع الصبر - ما لم يتضح لي من آيات القرآن . وكان سلوكه هذا مسلك المبشر الاسلامي الحقيقي الذي لا يحاول إرغام سامعيه أو التأثير فيهم . فان الدخول في الاسلام يجب - كما يقول القرآن - أن يكون بإرادة الانسان الحرة وبرأيه الذاتي بدون أي وسيلة من وسائل الاكراه . وكذلك أراد عيسى أيضا حينما قال (مر ٦ : ١١ وكل من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوه من هناك . . .)

لاني أعرف حوادث عديدة جدا لبعض البروتستانت المتحمسين الذين يظنون أنه يجب عليهم أن يزوروا بيوت الكاثوليك ليحولوهم إلى مذهبهم ، ومثل هذا التعدي الجارح فيصبح طبعاً . وقد أدى في الاكثر الى إثارة الاحقاد التي نشأت عنها مشاحنات وجعلت الدين يزدرى . ولاني ليجزني أن أرى أن دعاة النصرانية قد سلكوا هذا الطريق عينه مع اخوانهم المسلمين ، ولا يمكنني أن أفهم كيف يريدون أن يدعوا الى النصرانية من هم في الحقيقة أفضل منهم نصرانية (أو قال نصارى أفضل منهم) لم أقل « نصارى أفضل منهم » جزافاً فان ما في الاسلام من الخير والتسامح وسعة المدارك أقرب إلى مادعا اليه المسيح من تلك العقائد الضيقة التي أخذت بها فرق النصارى المختلفة

عقيدة اثنا سيوس (١)

أذكر مثلاً واحداً وهو عقيدة اثنا سيوس التي تشرح الثالوث شرحاً في غاية التعقيد . في هذه العقيدة - وهي كبيرة الأهمية جداً وتنص على إحدى العقائد الأساسية للكنائس المسيحية - ترى جلياً أنها عقيدة الجمهور وأنها إذا لم تأخذ بها هلك هلاكاً أبدياً . ثم يقال لنا إنه « يجب علينا أن لا نفكر في الثالوث بغير ذلك » وبعبارة أخرى إن الآله الذي نصفه في لحظة بالرحمة والقُدرة ، نصفه في اللحظة الثانية بالظلم والقسوة ، وهو ما نحاسي أن نصف بها أقسى البشر السفاكين ، فكأن الله تعالى القديم الذي فوق كل شيء يكون خاضعاً لما يذهب اليه الهالك المسكين (يريد الإنسان) في أمر الثالوث . وهاك مثلاً آخر من أمثلة بعدهم عن الخير : أتاني كتاب بمناسبة ميلادي للاسلام يقول لي فيه كاتبه : لاني إن لم أومن بلاهوت المسيح فلا سبيل لي إلى الخلاص . أما مسألة ألوهية المسيح هذه فلم يظهر لي أنها تقرب في أهميتها من تلك المسألة الأخرى وهي : هل بلغ رسالة ربه للبشر ؟ فلو كان عندي الآن أي شك في هذه المسألة

٣٨ جزم هدي بأن في قومه مهتدون كثيرون يكتعون اسلامهم (المنار - ج ١ م ١٧)

الاخيرة لضايقتني كثيرا ، ولـكني - ولله الحمد - لا أشك فيها ، وأرجو أن يكون إيماني بالمسيح وبما أوحاه الله اليه ثابتا كإيمان أي مسلم أو أي نصراني به . وكما قلت من قبل مرارا إن الاسلام والنصرانية - التي أتى بها المسيح نفسه - هما توأمان لم يفرق بينهما الا الأهواء والاصطلاحات التي يحسن أن تنبذ ظهريا في هذه الأيام . يميل الناس الى الاتحاد حينما يطالبون بالأخذ بمقائيد جامدة لا تحمل التسامح ، وإن كانوا - ولا شك - لفي شوق الى دين يذعن لحكم العقل كما يذعن الوجدان . من سمع بمسلم انقلب ملحدا ؟ يجوز أن يوجد أحوال قلائل كهذه ولـكنني مع ذلك أشك في وجودها كل الشك

خوف الانتقاد

إنني أعتقد أنه يوجد ألوف من الرجال والنساء الذين يدينون بالاسلام في قلوبهم ، ولكن مخالفة الاجماع وخوف الانتقاد العدائي والرغبة في اجتناب كل ضيق أو تغيير يحملهم على عدم الجهر بما في قلوبهم . قد سالت الآن نفس هذا المسالك . على أني أعلم أن كثيرا من أصدقائي وأقربائي ينظرون اليّ كأنني روح ضالة تستحق الدعاء لها ، مع أن عقيدتي الآن هي عين عقيدتي منذ عشرين سنة ، ولـسكن جهري بها هو الذي أفقدني حسن ظنهم بي . إن الخوف هو السبب في وجود أحوال لا تحصى من الشقاء والشر في هذا العالم ، ولو اتبع الناس الصراحة في القول لقل سوء التفاهم بينهم ، ولزاد احترامهم ، ولتقتبس هنا كلمة المستر (بلفور) الحكيمه وهي قوله « لا ناصح أضر من الفرع إلا اليأس » ولـسكن أفضل أن أقول في هذه الحالة « هناك ناصح أضر وأشد خطراً من الشك أو الكفر ألا وهو الخوف »

وحيث اني قد أثبت هنا بملخص بعض الاسباب التي سمحتني على اعتناق الاسلام وقد بينت أني أعتبر نفسي بهذا العمل نصرانيا أكمل بكثير مما كنت من قبل ، فلذا أرجو أن يقتدي بي غيري في ذلك ، فانه خير لاشك فيه . وفيه السعادة لكل من يرى أن عملي هذا ارتقاء لا يراد به أي عداء للنصرانية الصحيحة . اهـ

(المنار) في كلام أخينا اللورد هدي كلمتان جذيرتان بالاعتبار (أحدهما) قوله : ان الاسلام هو النصرانية التي كان عليها ودعا اليها المسيح عليه السلام . وهذا حق فان دين جميع رسل الله (عليهم السلام) واحد في اصوله وجوهره ، وإنما كان بيان خاتمهم (محمد صلى الله عليه وسلم) أنهم وأكمل على سنة الارتقاء في الحياة ، وقد حفظه

(المنار - ج ١ م ١٧) رجاء ظهور نور الاسلام لجماهير الافرنج بمدظهوره لا فرادهم ٣٩

الله من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان . وقد سبق لحكيمنا الكبير السيد جمال الدين اذفعاني رحمه الله تعالى كلمة مثل كلمة اخينا اللورد هدي . ذلك ان سائلا سألته عن سبب الدعوة الى المذهب (النيسري) المادي في الهند فقال : ان الذين أرادوا حل رابطة المسلمين في الهند دعوهم أولا الى النصرانية فلم تتجح دعوتهم لان الاسلام مسيحية وزيادة ، فانه يقرر الايمان بالمسيح وبما جاء به من التوحيد والفضائل ويبطل ما زاده النصراني في دينه من الخرافات ، - أي مع زيادة في المعارف الالهية والآداب والفضائل والهدي الكامل - فلما خابت هذه الدعوة رأوا ان يشككهم في الدين المطلق الخ ما قاله وقد ذكرناه بالملء . ولولا المصبيات المذهبية ، والاحقاد السياسية ، وسوء حال مسامي هذه الازمنة وبمدهم عن حقيقة الديانة الاسلامية ، وجهل الافرنج بها وبلغتها العربية ، ثم هذا الحجاب الذي اسدته العلوم والاعمال المادية ، ومقت الدين الذي أثارته الخرافات السكندسية ، وما كان قبل من قسوة السلطة البابوية ، لسكان هؤلاء الافرنج أجدر الناس في هذا العصر بالاسلام ، دين العقل والعلم والحضارة والسلام ، الذي كشف ما غشي كتب الانبياء من الخرافات والأوهام ، ورفع امتيازات الاجناس والاصناف والاقوام . ودعا الناس كافة الى الإخاء والوحدة والاعتصام . ولا بد أن يحل حقه لهم بعد احقاب ان لم يكن بعد اعوام ، وقد ظهرت بوادر ذلك بما يكتشفون في هذه الايام ، من غرائب آياته تعالى في الانفس والعقول والقوى والاجسام ، وقد قال في كتابه المجيد (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد * ألا إنهم في لقاء ربهم ، ألا انه بكل شيء محيط)

وأما الكلمة الثانية من كاتي (اللورد هدي) فهي إخباره بأن كثيرا من قومه مسلمون ، أي قد ظهر لهم نور الاسلام ، فانقضت به ظلمات الاوهام ، وتلك الظلمة الوثنية ، التي غشيت تعليم المسيح النورانية ، فعلموا أن دين محمد هو دين المسيح عليهما السلام ، ولسكنه غير أديان الكنائس المنسوبة الى المسيح بين انهم مسلمون في باطنهم ولسكنهم يخافون ان يظهروا اسلامهم كما كان يخاف هو مدة عشرين سنة ، وانما يخافون ان يحتقرهم قومهم ، ويمتنع منهم أهلهم ، لأن تعصبهم للدين والمذهب شديد جدا ، وان خفي هذا عن سفهاء المتفرنجين منا الذين يزعمون ان جميع الافرنج مارقون من الدين . لانهم لميلهم الى الاتحاد لا يجذبون الا الى أهله ، وقد يحملون من الكلام عليه ما لا يراد به منه ، كما انهم لافتاتهم بالفسق يظنون ان جميع نساء الافرنج بغايا ، وانهم لا هم لهم من حياتهم

ولا اشتغالهم الا بالشهوات البهيمية ، وسبب ذلك انهم لا يبحثون الا عن ذلك . ولو كان هم الذين يذهبون الى أوربة منهم موجهها الى علم من العلوم أو فن من الفنون أو صناعة من الصناعات ، لبدا لهم من اهتمام الافرنج به ما يحملهم على الظن بأنه لا هم لهم في غيره . على ان في الافرنج من يهتم بافساد دين الشرقي لافساد جامعته التي يعتصم بها هذا واقفا كئنا منذ ميزنا وعقلنا نسمع من أهلنا وأصحابنا أن كثيرا من نصارى بلادنا يوقنون بحقية الاسلام ولا يخرجون على اظهار ذلك لقومهم ، ومنهم من يدخل في الاسلام ويؤدي فرائضه كلها أو بعضها في الخفاء ، حتى اتفق ذلك لبعض رؤساء الاديان ، وأخبرنا والذي رحمه الله تعالى أنه عاد فلانا القائم في أحد أقضية جبل لبنان في مرض موته - وكان صديقا له - فخلا به فأشهدوه على نفسه أنه مسلم يشهد أن لا إله الا الله وان محمد رسول الله . وأذكر أنني رأيت ذلك الرجل وكنت طالب علم فسألني عن بعض الأحاديث النبوية وكان يذكر النبي (ص) بتعظيم فوق المعتاد في مجاملة أديان النصارى للمسلمين ، فحملت ذلك على المبالغة في المجاملة .

واني أعرف أفراداً من فضلاء النصارى المستقلين يودون لو كان في البلاد حرية دينية يعذرهم بها أهلهم اذا هم أسلموا ، منهم من يود لو كان مسلماً اعتقاداً منه بأفضلية الاسلام ورجحانه على جميع الاديان ، ومنهم من يود ذلك لغرض سياسي اجتماعي وهو التمكن من التأثير في اصلاح بلاده التي يحزم بأنها لاتصلح الا اذا صلح المسلمون وجاروا الامم القوية في اسباب العزة والحضارة . وهذا الصنف كثير جدا . ولو كان الاسلام حكومة تقيم بنيانه ، وتنفذ أحكامه ، وتحمل الامة على فضائله ، وتظهر للناس حقيقة عدله وسماحته ، لرأيت الناس يدخلون فيه أفواجا ، ولكن رؤساء المسلمين هم أشد تنفيرا عن الاسلام من دعاة الاديان الاخرى ورؤسائها ، ومن كل أحد . وما هذه الاعوارض لاتدوم ، اذ وعد الله تعالى بان يظهره على الدين كله وكان الله قويا عزيزا

تاريخ الجهمية والمعتزلة

(١٢) ما نتج من تعصب الجهمية والاثارية وبيان آفة الغلو في التعصب
(قال الامام الغزالي) في احياء علوم الدين : واما الكلام — اي
علم الكلام — فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف
الصالح لا غير

(ثم قال) ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ، ومعارضة بدعته بما يفسدها
وينزعها عن قلب العامي ، وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم .
واما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئا يسيراً ، فقلما ينفع معه الكلام ،
فانك ان احمته لم يترك مذهبه ، واحال بالقصور على نفسه ، وقدر ان
عند غيره جواباً ما ، وهو عاجز عنه ، وانما انت ملبس عليه بقوة المجادلة .
واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان
يشدد التعصب للاهواء ، فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم ، اذ التعصب
سبب يرسخ العقائد في النفوس ، وهو من آفات علماء السوء ، فانهم
يبالغون في التعصب للحق ، وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار ،
فتنبعث منهم الدعوى بالمكافاة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر دواعيهم على
طاب نصرة الباطل ، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ، ولو جاؤا
من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لافي معرض التعصب
والتحقير ، لانجحوا فيه ، ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ، ولا
يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم ، انخدوا التعصب

(*) تابع لما نشر في ج ١٢ م ١٦ ص ٩١٣

عادتهم وآلتهم ، وسموه ذبا عن الدين ، ونضالا عن المسلمين ، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ، ورسوخ البدعة في النفوس اهـ

(وقال الغزالي) رحمه الله ايضا - في الجدل المذموم ومضراته : وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة ، وتثبيتها في صدورهم ، بحيث تنبت دواعيهم ، ويشتد حرصهم على الاصرار عليه (قال) ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ، ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزول اعتقاده باللفظ في اسرع زمان ، الا اذا كان نشوءه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب ، فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره ، بل الهوى والتعصب وبعض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ، ويعنمه من ادراك الحق ، حتى لو قيل له : هل تريد ان يكشف الله تعالى لك الغطاء ، ويعرفك بالبيان ان الحق مع خصمك ؟ لكره ذلك خيفة ان يفرح به خصمه (قال) وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد ، وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره اهـ

وقال العلامة المقبلي في العلم الشاخ : واعلم ان الخلاف والتعصب والتعزب هو الذي حمل سيوف بعض المسلمين على بعض ، وحلل دماءهم واموالهم واعراضهم ، وحرف الكتاب والسنة ، ثم صيرها كالعدم بسد باب الاجتهاد اهـ

(وقال ايضا) ثم ترتب على الافتراق تقويم كل لعمود الشقاق ، وصار كل منهم انما يستزج من مال اليه من الملوك على خصمه اهـ
وبالجملة فن اعظم آفات التعصب ما نشأ عنه من التفرق والتعادي ،

بحيث صار يرثه المتأخر عن المتقدم ، حتى أصبح يبغيض القريب قربه اذا وجده يخالف رأيه ، ويلصق به كل تهمة شنعاء ولو اقام على صحة رأيه مئين من البراهين ، بل بلغ احتقار بعضهم لبعض مبلغا دفع به ان يحق على مخالفه ، ويتحين الفرص للايقاع به ، حتى اذا بدرت منه هفوة ، أو ظهرت زلة - ولا معصوم الا المعصوم - رفع مخالفه عقيرته بتأنيبه ، وملاً الأرض والسماء صراخا بتشهيره ، غير مبال بما حظره الشرع مما يولد البغضاء والشحناء ، ويفكك عرى الاخاء ، ولا ملام على الدهماء من ترويج مثل هذه الخطة الشائنة لفرقهم في بحار الجهل ، وانما يلام قادة الافكار على احتذائهم هذا الخذو ، ونسجهم على هذا المنوال ، اذ لولا ضخب هؤلاء الرهط ، وبشهم هذه الالقاب في النفوس ، لكانت الامة متماسكة الاجزاء ، متينة عرى المحبة بين الافراد .

نعم لا بأس ان تنتقد الاقوال ، وتضعف بالبرهان ، ويوضح كل خطأ ينجم عنها ، ولكن الذي يجب التوقي منه هو ان يتشاحن قادة العقول ويتطاحنوا ويتبغضوا لما لا يصح ان يكون سببا معقولا ، وان يثب كل على مخالفه وثبة الغادر المتقم ، فيود ان ينكل به أو يمزقه شر ممزق ، فيقتفي اثرهم مقلدهم ، فتصبح الامة اعداء متشاكسة ، واحزابا متنافرة ، بشؤم التعصب الذميم ، الذي لم يتمكن من امة الا وذهب بها مذهب التفرق والانحطاط ، واضعف قواها ، واحاق بها الخطوب والارزاء ، فمن الواجب العمل على ملاشاة الشحناء والشقاق ، والقيام بالتحاب والاتفاق ، وبالله التوفيق .

(١٣) حذر الأئمة للمحققين ، رمي فرق المسلمين بالكفر والفسق من أعظم ما بليت به الفرق الإسلامية ، رمي بعضها بعضاً بالفسق والكفر ، مع أن قصد كل الوصول إلى الحق ، بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده ، والدعوة إليه ، فالمجتهد منهم وإن أخطأ مأجور (وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية) في كتابه موافقة صريح العقول ، لصحيح المنقول (١) عن الإمام الرازي (في نهاية العقول) في مسألة التكفير بما مثاله : « قال الشيخ أبو الحسن الأشعري في أول كتاب (مقالات الإسلاميين) : « يختلف المسلمون بعد نبينهم في أشياء ضال فيها بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض فصاروا فرقتين ، إلا أن الإسلام يجمعهم فيجمعهم . فهذا مذهبه ، وعليه أكثر الأصحاب ، ومن الأصحاب من كفر المخالفين » واما الفقهاء ، فقد نقل عن الشافعي رضي الله عنه قال : لا أريد شهادة أهل الأهواء إلا الخطائية ، (٢) فانهم يعتقدون حل الكذب . واما أبو حنيفة رضي الله عنه ، فقد حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن أبي حنيفة أنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة . وحكى أبو بكر الرازي عن الكرخي وغيره مثل ذلك « واما المعتزلة ، فالذين كانوا قبل أبي الحسين تحامقوا وكفروا

{ ١ } جزء ١ صفحة ٤٩ وما بعدها من الطبعة الأميرية على طاشية منهاج السنة (٢) فرقة من غلاة الشيعة المنسوبة إلى أبي الخطاب محمد بن مقلص كان قبحه الله من الغلاة في جعفر الصادق عليه السلام ادعى له علم الغيب وغير ذلك حتى لعنه الصادق مراراً لفساد عقيدته وخبثه وكذبه عليه وقد تبرأ الصادق عليه السلام منه ، ومن أراد الوقوف على أخبار أبي الخطاب فليرجع إلى كتاب رجال الشيعة للسكشي فقد أسهب في شأنه في عدة أوراق اهـ

اصحابنا في اثبات الصفات وخلق الاعمال . واما المشبهة فقد كفرهم مخالفوهم
من اصحابنا ومن المعتزلة، وكان الاستاذ ابو اسحق يقول : اكفر من
يكفرني ، وكل مخالف يكفرنا فنحن نكفروه والا فلا .

ثم قال الرازي : « والذي نختاره ان لا نكفر احدا من اهل القبلة
والدليل عليه ان نقول المسائل التي اختلف اهل القبلة فيها مثل ان الله
تعالى هل هو موجود لافعال العباد أم لا ؟ وانه هل هو متحيز ، وهل
هو في مكان وجهة ، وهل هو برئي أم لا ؟ لا يخلو اما ان تتوقف صحة
الدين على معرفة الحق فيها اولا تتوقف ، والاول باطل ، اذ لو كانت
معرفة هذه الاصول من الدين ، لكان الواجب على النبي صلى الله عليه
وسلم ان يطالبهم بهذه المسائل ، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها ، فلما لم
يطالبهم بهذه المسائل ، بل ماجرى حديث من هذه المسائل في زمانه
عليه السلام ، ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، علمنا انه
لا يتوقف صحة الاسلام على معرفة هذه الاصول ، واذا كان كذلك لم
يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في حقيقة الاسلام ، وذلك يقتضي
الامتناع من تكفير اهل القبلة » اهـ

ثم قال الامام ابن تيمية بعد ذلك : « والاصل في هذا الباب ان
الالفاظ نوعان مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام اهل الاجماع ،
فهذا يجب باعتبار معناه وتعليق الحكم به ، فان كان المذكور به مدحا
استحق صاحبه المدح ، وان كان ذما استحق الذم ، وان اثبت شيئا
وجب اثباته وان نفى شيئا وجب نفيه ، لأن كلام الله حق وكلام رسوله
حق ، وكلام اهل الاجماع حق . ومن دخل في اسم مذموم في الشرع

٤٦ انما الكفر بتكذيب الرسول دون مخالفة علم الكلام (المنار - ج ١ م ١٧)

كان مذموماً كاسم الكافر والمنافق والملاحد ونحو ذلك ، ومن دخل في اسم محمود في الشرع كان محموداً كاسم المؤمن والتقوي والصديق ونحو ذلك »

« واما الالفاظ التي ليس لها اصل في الشرع ، فذلك لا يجوز تعليق المدح والذم والاثبات والنفي على معناها ، الا ان يبين انه يوافق الشرع ، والالفاظ التي تعارض بها النصوص هي من هذا الضرب كلفظ الجسم والحيز والجهة والجوهر والعرض ، فمن كانت معارضته بمثل هذه الالفاظ لم يجز له ان يكفر مخالفه ان لم يكن قوله مما يبين الشرع انه كفر ، لأن الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه ، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفراً في الشرع ، كما انه ليس كل ما كان صواباً في العقل يجب في الشرع معرفته . ومن العجب قول من يقول من اهل الكلام : ان اصول الدين التي يكفر مخالفها هي علم الكلام الذي يعرف بمجرد العقل ، واما ما لا يعرف بمجرد العقل فهي الشريعات عندهم ، وهذه هي طريقة المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم كاتباع صاحب الارشاد وأمثالهم فيقال لهم : هذا الكلام يتضمن شيئين : احدهما ان اصول الدين هي التي تعرف بالعقل المحض دون الشرع . والثاني ان المخالف لها كافر ، وكل من القدمتين وان كانت باطلة ، فالجمع بينهما متناقض ، وذلك ان ما لا يعرف الا بالعقل لا يعلم ان مخالفه كافر الكفر الشرعي ، فانه ليس في الشرع ان من خالف ما لا يعلم الا بالعقل يكفر ، وانما الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما اخبر به ، او الامتناع عن متابعتة ، مع العلم بصدقته ، مثل كفر فرعون واليهود

(المنار - ج ١ م ١٧) القاعدة في الكفر والايان . نحامى اهل السنة التكفير ٤٧

ونحوهم ، وفي الجملة فالكفر متعلق بما جاء به الرسول لا بمجرد ما يعلم بالعقل ، فكيف يجوز ان يكون الكفر بامور لا تعلم الا بالعقل ؟ الا ان يدل الشرع على ان تلك الامور التي لا تعلم الا بالعقل كفر ، فيكون حكم الشرع مقبولا ، لكن معلوم ان هذا لا يوجد في الشرع بل الموجود في الشرع تعليق الكفر بما يتعلق به الايمان ، وكلاهما متعلق بالكتاب والرسالة ، فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته ، ومن تدبر هذا رأى اهل البدع من النفاة يعتمدون على مثل هذا فيبتدعون بدعا بآرائهم ، وليس فيها كتاب ولا سنة ، ثم يكفرون من خالفهم فيما ابدعوه ، وهذا حال من كفر الناس بما أثبتوه من الاسماء والصفات التي يسميها هو تركيبا وتجسيما واثباتا لحلول الصفات والاعراض به ونحو ذلك من الاقوال التي ابتدعها الجهمية والمعتزلة ثم كفروا من خالفهم فيها ، اه كلام الامام ابن تيمية رحمه الله

ولب هذا كله قوله « فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته » وما ذكره ونقله قبل هو الفيصل في هذا الباب

وقال رحمه الله في شرح الاصفهانية : « خاصة اهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم هي انهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاد ، حيث عذره الله ورسوله » اه وانما رحمه لانهم يجمعهم معه اخوة الايمان ، وقد قال تعالى « رحماء بينهم » فالمؤمنون مهما اختلف اجتهادهم ، وتباينت مداركهم ، فهم اخوة يتراحمون ، يتآلفون ولا يتباغضون ، ولا يلزم من اختلاف الرأي اختلاف القلوب ، وبالله التوفيق

(١٤) بيان انه لا تضليل ، لمن اصاره اجتهاده الى التأويل

قدمنا أولا اننا لم نرد في هذه الورقات ذكر عقائد الجهمية والمعتزلة ، ولا مناقشتهم ، لان ذلك مواضع معروفة ، لاسيما وهذا المقام طويل الدليل ، متشعب المناحي ، ويكفي انه لأجله صنف ودون علم الكلام ، وانما اردنا تعرف شأن هاتين الفرقتين من الوجهة التاريخية ، وقد اتينا على جمل منها

بقي التنبيه على النصفة مع مجتهدى فرق الاسلام ، ومجافاة التضليل عن كل من التزم قانون التأويل ، فنقول : قد وقر في قلوب كثير من الناس رمي أمثال المعتزلة بالمروق والضلال والزيف ، نقليدا لمن ينبرهم بذلك من حشوية المتقيمين ، وهذا من اغرب الغريب ، اذ كيف يصح هذا وكان القائمون بمذهب المعتزلة خلفاء الاسلام في العهد العباسي ، وقضاةهم وعدة من علمائهم ؟ وهم يحتجون لما يدعون ، ويبرهنون على ما يذهبون ، لاجرم انهم - وان اخطأوا - لمجتهدون

ومما يدل على ان هذا العقد بلغ تمكن صحته من نفوسهم متساه من اليقين حملهم الخلفاء على اكراه الناس عليه ابتغاء نجاتهم - بزعمهم - - بتصحيح عقيدتهم على مايرون ، وجلي ان كل من استدلل على ما يراه ، واحتج على دعواه ، فقد آذن في اجتهاده فيه ، وتحرى الحق فيما يقصده ويبنيه ، فقضارى امره اذا نقض برهانه ودحضت حجته ، ان يكون مجتهدا مخطئا ، وهو معذور بل مأجور ، اذ لم يرد الا الحق ، فمن اين يسوغ بعد ذلك قرض الاعراض بالتضليل والتفسيق ، وتثوير المنبوز على المقابلة بالمثل بل الامثال ، والخروج بالاقذاع عن آداب المناظرة والجدال

ان نبر الفرق المتجادلة بتلك الألقاب اوجب ان تصرف الالباب عن النظر في ادلة كل منها ، لئلا يقبل منها بغيره ، والمردود بمقداره ، لأنها حاولت الضغط على الافكار ، وحرمانها من حرية البحث والنظر والتأمل ، لتحملها على رأي واحد ، ومذهب مفرد ، وذلك ما كان ولن يكون ان اختلاف الآراء لا يدعو بطبيعته الى الحفاظ والاصقان ، وغرس الاحقاد والشبكات ، ولكن اكثر الفرق استولت على مناظرها الضعفاء ، فذهبت بهم مذهب التشفي والانتقام ، هذه بالنز باللقاب السوءى ، وتلك بها او بسلطتها الجائرة ، واضطهادها لمخالفها بضروب العذاب من عجيب امر التنازع ، ان الاغراق فيه قد يعري خلي الذهن بالبحث عن المنبوز والتشقيب عنه ، فيحمله على التأمل في مداركه ، والتبصر في ما أخذه ، فربما انضم اليه وشايعة تقليدا أو نظرا واستدلالا

فالمتحاملون على فئة قد يجيبون فيها من حيث يريدون التنفير منها ، ويجذبون اليها مما يأملون به الابعاد عنها ، ويصدق فيهم قول القائل :
دع عنك لومي فان اللوم اغراء

هؤلاء المتحاملون يرون اعظم منفر عن خصومهم هو التكفير ، وفاتهم ان هذا لا يعني من البرهان ، ولا يجزئ من الحق شيئا ، بل قد يكون من اعظم امانى الخصوم ، فان الفكر الذي يحارب بهذا الاسم ربما يكون قد بلغ اشده واستوى ، ووصل الى اعماق الرسوخ وراسه من حبه ولما حاول اعداء حجة الاسلام الغزالي عليه الرحمة والرضوان رميه بالكفر (وما أسهل رميهم به لامثاله) لمخالفته الاشعري ، انتدب لتأليف

كتاب يهدي الى حقيقة الكفر والزندقة ، سماه « فيصل التفرقة » بين الاسلام والزندقة ، قال في خطبته : فهوّن ايها الاخ المشفق على نفسك ، لا يضيق به صدرك ، وقلّ من غربك قليلا ، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جملا ، واستحقر من لا يُحسد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر والضلال لا يعرف ^(١) ،

ونقل الامام الغزالي ايضا في المستصفى ان عليا كرم الله وجهه استأذنه قضائه في البصرة في القضاء بشهادة أهل البصرة من الخوارج وغيرهم اوردها ، فامرهم بقبولها كما كان قبل الحرب ، لانهم حاربوا على تأويل ، وفي رد شهادتهم تعصب وتجديد خلاف اه فانظر كيف تسامح مع أهل التأويل من المبدعين وقبل شهادتهم وزكاهم وعدلهم ، فهل يصح بعد هذا النبر بالتفسيق أو التضييل ؟ حاشا وكلا ! وهذا لمن عرف الرجال بالحق ، لا الحق بالرجال ، والله المستعان

(١٥) ماوصى به الائمة من اطراح اقوال العلماء بعضهم في بعض ، ومن التماس الحكمة ايها وجدت

روى الامام حافظ المغرب يوسف بن عبد البر في كتابه (جامع العلم وفضله) في باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : استمعوا علم العلماء ، ولا تصدقوا بعضهم على بعض . وعنه رضي الله عنه قال : خذوا العلم حيث وجدتم ، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض

(١) يشير رحمه الله الى ان ذلك صار وفقا على اخبار العلماء واعلام الجهادية الحكماء ، ولقد صدق رحمه الله وشاهده الاستقراء من لدن عصره وقبله الى الآن

وعن مالك بن دينار قال : يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء
الا قول بعضهم في بعض

وعن عبد العزيز بن أبي حازم قال سمعت أبي يقول : العلماء كانوا
فيما مضى من الزمان اذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم
الغنيمة ، واذا لقي من هو مثله ذاكره ، واذا لقي من هو دونه لم يزه
عليه ، حتى كان هذا الزمان ، فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء ان
ينقطع منه ، حتى يرى الناس انه ليس به حاجة اليه ، ولا يذاكر من هو
مثله ، ويزهى على من هو دونه ، فهلك الناس

(قال الامام ابن عبد البر) : لقد تجاوز الناس الحد في الغيبة والذم
فلم يقنعوا بذي العامة دون الخاصة ولا بذم الجاهل دون العلماء ، وهذا كله
يحمل عليه الجهل والحسد . ثم قال رحمه الله : ومن صحت عدالته ،
وعلمت بالعلم عنايته ، وسلم من الكبائر ولزم المروءة ، وكان خيره غالباً ،
وشره اقل عمله ، فهذا لا يقبل فيه قول قائل لا برهان له به ، فهذا هو
الحق الذي لا يصح غيره ان شاء الله .

(وقال الذهبي) في ميزان الاعتدال — في ترجمة أبي نعيم أحمد
الاعلام : صدوق تكلم فيه ابن منده بلا حجة كما تكلم هو في ابن منده
(قال الذهبي) ولا اقبل قول كل منهما في الآخر ، بل هما عندي مقبولان .
ثم قال : وكلام الاقران بعضهم في بعض لا يعاب به ، ولا سيما اذا لاح لك
انه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينجم منه الا من عصم الله (قال) وما
علمت ان عصراً من الاعصار سلم اهله من ذلك سوى الانبياء
والصديقين ، فلو شئت لسردت من ذلك كرايس . اهـ

قال العلامة المقبلي : واشدها عداوة ما كان من قبل المذهب لأنه يزعمه ديناً ، ويمرن عليه فيغير نفسه أنه دين ، وحظ الهوى في ذلك أوفى وأوفر ، نسأل الله العافية وإن يجعلنا ممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . وروى الامام ابن عبد البر في كتاب (جامع العلم) في باب الحال التي ينال بها العلم ، عن علي كرم الله وجهه قال : العلم ضالة المؤمن نخذه ولو من ايدي المشركين ، ولا يأنف احدكم ان يأخذ الحكمة ممن سمعها منه . وعنه كرم الله وجهه قال : الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في ايدي الشرط

وروى ابن عبد البر قبل هذا الباب عن ايوب قال : انك لا تعرف خطأ مغلوك حتى تجالس غيره ، وعن علي رضي الله عنه قال : ان الناس ابناء ما يحسنون وقدر كل امرء ما يحسن ، فتكلموا في العلم تتبين اقداركم . (قال ابن عبد البر) : ان قول علي بن ابي طالب « قيمة كل امرئ ما يحسنه » لم يسبقه اليه احد (قال) وقالوا : ليس كلمة احض على طلب العلم منها (وقالوا) ولا كلمة اضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل (ما نرك الاول للآخر شيئاً) قال ابن عبد البر : قول علي رضي الله عنه « قيمة كل امرء ما يحسن » من الكلام المعجب الخطير ، وقد طار له الناس كل مطير ، ونظمه جماعة من الشعراء اعجاباً به ، وكلفنا بحسنه ، فمن ذلك ما يعزى الى الخليل بن احمد وهو قوله :

لا يكون السريّ مثل الدنيّ * لا ولا ذو الذكاء مثل النبيّ
لا يكون الا لدُّ ذو المقول المر (م) هف عند القياس مثل العبيّ
قيمة المرء كل ما يحسن المر (م) في قضاء من الامام عليّ

وقال غيره :

يلوم على أن رحت للعلم طالبا اجمع من عند الرواة فنونه
فيا لائي دعني اغالي بقيعتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه
وقال ابو العباس الناشئ :

تأمل بعينيك هذا الانا م فكن بعض من صانه عقله
خفية كل فتى فضله وقيمة كل امرئ نبه
فلا تتكل في طلاب العلا على نسب ثابت أصله
فما من فتى زانه قوله بشيء يخالفه فعله
ومما ينسب لابي رضي عنه :

الناس من جهة التمثال أكفاء ابوهم آدم والأم حواء
وانما امهات الناس اوعية مستودعات وللحساب آباء
فان يكن لهم من اصحابهم شرف يفاخرون به فالطين والماء
وان اتيت بفخر من ذوي نسب فان نسبتنا جود وعلواء
ماالفضل إلا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدي ادلاء
وقيمة المرء ماقد كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء
فقم بعلم ولا تبغ به بدلا فالناس موتى واهل العلم احياء

وقد ورد في هذا الباب ما رواه الامام مسلم في مقدمة صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزل الناس منازلهم : نسأله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رؤوف رحيم) في جمادى الاولى سنة ١٣٣٠

الباب الاول من كتاب الاعتصام^{*}

(في تعريف البدع وبيان معناها وما اشتق منه لفظا)

وأصل مادة « بدع » للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى « بديع السموات والارض » أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم، وقوله تعالى « قل ما كنت بدعاً من الرسل » أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله الى العباد بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال : ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه اليها سابق . و : هذا امر بديع، يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن فكانه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه

ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، فاستخرجها لسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هي البدعة، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة . فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة، وهو إطلاق أخص منه في اللغة حسبما يذكر بحول الله

ثبت في علم الاصول ان الاحكام المتعلقة بأفعال العباد وأقوالهم ثلاثة : حكم يقتضيه معنى الامر كان للايجاب أو الندب، وحكم يقتضيه معنى النهي كان للكره أو التحريم، وحكم يقتضيه معنى التخيير وهو الاباحة . فأفعال العباد وأقوالهم لا تعدو هذه الاقسام الثلاثة : مطلوب فعله، ومطلوب تركه، ومأذون في فعله وتركه . والمطلوب تركه لم يطلب

(*) الكتاب للإمام أبي اسحاق الشاطبي الاندلسي صاحب كتاب (الموافقات) في أصول الشريعة وحكمها وهو يطبع الآن بطبعة المنار على نفقة دار الكتب الخديوية التابعة لمنظار المعارف المصرية، فيشر علماء الاسلام بذلك، ونشر لهم هذا النموذج منه

الا لكونه مخالفاً للقسمين الآخرين ، لكنه على ضربين (أحدهما) أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفاً خاصة مع مجرد النظر عن غير ذلك ، وهو ان كان محرماً سُمي فعله معصية وإثمًا ، وسُمي فاعله عاصياً وإثمًا ، وإلا لم يسم بذلك ، ودخل في حكم العفو حسبما هو مبين في غير هذا الموضع . ولا يسمى بحسب الفعل جائزاً ولا مباحاً لان الجمع بين الجواز والنهي جمع بين متنافيين (والثاني) أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفاً لظاهر التشريع من جهة ضرب الحدود وتعيين الكيفيات والتزام الهيئات المعينة أو الازمنة المعينة مع الدوام ونحو ذلك .

وهذا هو الابتداع والبدعة ويسمى فاعله مبتدعاً — فالبدعة إذن عبارة عن « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه » وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات . وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول : « البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية » . ولا بد من بيان ألفاظ هذا الحد : فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هي بمعنى واحد ، وهو مارسم للسلوك عليه . وإنما قيدت بالدين لأنها فيه تخترع واليه يضيفها صاحبها ، وأيضاً فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص . لم تسم بدعة كاحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم .

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم — فمنها ماله أصل في الشريعة . ومنها ما ليس له أصل فيها — خص منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع ، أي طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع ، اذ

البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عما رسمه الشارع . وبهذا القيد انقصت
عن كل ما ظهر لبادي الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين ، كعلم النحو
والتحريف ومفردات اللغة وأصول الدين ، وسائر العلوم الخادمة للشريعة .
فإنها وإن لم توجد في الزمان الأول فأصولها موجودة في الشرع ، إذ
الأمر بأعراب القرآن منقول وعلوم اللسان هادية للصواب في الكتاب
والسنة فحقيقتها إذاً أنها فقه التعبد بالالفاظ الشرعية الدالة على معانيها
كيف تؤخذ وتؤدى

وأصول الفقه إنما معناها استقرار كليات الأدلة حتى تكون عند
المجتهد نصب عين وعند الطالب سهولة التمس .

وكذلك أصول الدين وهو علم الكلام إنما حاصله تقرير الأدلة
القرآن والسنة أو ما ينشأ عنها في التوحيد وما يتعاقب به ، كما كان الفقه تقريراً
لأدلتها في الفروع العبادية . (فان قيل) . فان تصنيفها على ذلك الوجه مخترع .
(فالجواب) : ان له أصلاً في الشرع ، ففي الحديث ما يدل عليه ،
ولو سلم أنه ليس في ذلك دليل على الخصوص فالشرع بجماعته يدل على
اعتباره ، وهو مستمد من قاعدة المصالح المرسلة ، وسيأتي بسطها بحول الله
فعلى القول بإثباتها أصلاً شرعياً لا إشكال في أن كل علم خادم للشريعة
داخل تحت أدلته التي ليست بأخوذة من جزئي واحد . فليست ببدعة البتة
وعلى القول بنفيها لا بد أن تكون تلك العلوم مبتدعات . وإذا
دخلت في علم البدع كانت قبيحة لان كل بدعة ضلالة من غير إشكال ،
كما يأتي بيانه ان شاء الله

ويلازم من ذلك ان يكون كتب المصحف وجمع القرآن قبيحا ، وهو

باطل باجماع ، فليس اذا بدعة . ويلزم أن يكون له دليل شرعي ، وليس
الا هذا النوع من الاستدلال ، وهو المأخوذ من جملة الشريعة
واذا ثبت جزئي في المصالح المرسلة ، ثبت مطلق المصالح المرسلة .
فلي هذا لا ينبغي أن يسمى علم النحو أو غيره من علوم اللسان أو
علم الاصول أو ما أشبه ذلك من العلوم الخادمة للشريعة بدعة أصلا .
ومن سماه بدعة فيما على المجاز كما سعى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قيام الناس في ليالي رمضان بدعة ، وإما جهلا بمواقع السنة والبدعة .
فلا يكون قول من قال ذلك معتدا به ولا معتمدا عليه .

وقوله في الحمد « تضاهي الشرعية » يعني انها تشابه الطريقة الشرعية من
غير أن تكون في الحقيقة كذلك ، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة .
منها وضع الحدود كالناذر للصيام قائما لا يقعد ، ضاحيا لا يستظل .
والاختصاص في الانقطاع للعبادة ، والاقتصار من المأكل والملبس على
صنف دون صنف من غير علة .

ومنها التزام الكيفيات والهيآت المعينة ، كالذكر بهيئة الاجتماع على
صوت واحد ، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيداً ، وما أشبه ذلك .
ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين
في الشريعة ، كالإزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته^(١)

(١) هذا هو الصواب ولا يغترن أحد بتزغيب الخطباء الجاهلين في ذلك ، ولا
بالحديث الذي يذكرونه على منابرهم وهو « اذا كانت ليلة النصف من شعبان
فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا
فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له ! ألا مسترزق فأرزقه ! ألا مبتلى فأعافيه ! ألا كذا =

وتم أوجه تضاهي بها البدعة الامور المشروعة فلو كانت لاتضاهي الامور المشروعة لم تكن بدعة لانها تصير من باب الافعال العادية وايضاً فان صاحب البدعة انما يخترعها ليضاهي بها السنة حتى يكون ملبساً بها على الغير ، أو تكون هي مما تلبس عليه بالسنة ، اذ الانسان لا يقصد الاستتباع بأمر لا يشابه المشروع ، لانه اذ ذاك لا يستجلب به في ذلك الابتداع نقماً ، ولا يدفع به ضرراً ، ولا يجيبه غيره اليه . ولذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمر تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل الخير

فأنت ترى العرب الجاهلية في تغيير ملة ابراهيم عليه السلام كيف تأولوا فيما أحدثوه احتجاجاً منهم ، كقولهم في أصل الإِشراك (ما نعبدُهم إلا ليُقَرَّبوا إلى الله زُلْفَى) وكترك الخمس الوقوف بعرفة لقولهم : لا نخرج من الحرم اعتداداً بحرمته . وطواف من طاف منهم بالبيت عرياناً قائلين . لا نطوف بذياب عصينا الله فيها . وما أشبه ذلك مما وجهوه ليصروه بالتوجيه كالشروع ، فما ظنك بمن عُدَّ أو عُدَّ نفسه من خواص أهل الملة ؟ فهم أخرى بذلك ، وهم المخطئون وظنهم الاصابة . واذا تبين هذا ظهر أن مضاهاة الامور المشروعة ضرورة الاخذ في أجزاء الحد وقوله « يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى » هو تمام

معنى البدعة اذ هو المقصود بتشريعها

= ألا كذا ، حتى يطلع الفجر » فان هذا حديث واه أو موضوع رواه ابن ماجه وعبد الرزاق عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة وقد قال فيه ابن معين والامام أحمد انه يضع الحديث . نقل ذلك محشي سنن ابن ماجه عن الزوائد . وواقفه الذهبي في الميزان في الامام أحمد ، وذكر عن ابن معين انه قال فيه : ليس حديثه بشيء . وقال النسائي « متروك »

وذلك ان أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع الى العبادة والترغيب في ذلك، لان الله تعالى يقول: (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) فكان المبتدع رأى ان المقصود هذا المعنى، ولم يتبين له ان ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كافٍ، فرأى من نفسه انه لا بد لما أطلق الامر فيه من قوانين منضبطة، وأحوال مرتبطة، مع ما يداخل النفوس من حب الظهور أو عدم مظنته، فدخلت في هذا الضبط شائبة البدعة.

وأيضاً فان النفوس قد تملأ وتسام من الدوام على العبادات المرتبة، فاذا جدد لها أمر لا تعهده حصل لها نشاط آخر لا يكون لها مع البقاء على الامر الاول. ولذلك قالوا « لكل جديد لذة » بحكم هذا المعنى، كمن قال: « كما تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور، فكذلك يحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما حدث لهم من الفتور »

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: فيوشك قائل أن يقول ما هم بمتبعي فيتبعوني وقد قرأتك القرآن فلا يتبعني حتى أبتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع فان ما ابتدع ضلالة^(١)

وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات. فكل ما اخترع من الطرق في الدين مما يضاهي المشروع ولم يقصد به التعبد فقد خرج عن هذه التسمية، كالمغارم المأذونة على الاموال وغيرها على نسبة مخصوصة وقد نخصوص مما يشبه فرض الزكوات ولم يكن اليها ضرورة.

وكذلك اتخاذ المناخل وغسل اليد بالأشنان وما أشبه ذلك من الامور التي لم تكن قبل، فانها لا تسمى بدعاً على احدي الطرفين

(١) كذا في الاصل فليراجع الحديث وليضبط

وأما الحد على الطريقة الاخرى فقد تبين معناه الا قوله : يقصد بها ما يقصد بالطريقة الشرعية . ومعناه ان الشريعة انما جاءت لمصالح العباد في عاجلتهم وآجلتهم لتأثيرهم في الدارين على اكل وجوهاها ، فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته . لان البدعة إما أن تتعلق بالعادات أو العبادات ، فان تعلقت بالعبادات فاما أراد بها أن يأتي تعبده على أبلغ ما يكون في زعمه ليفوز بأتم المراتب في الآخرة في ظنه . وان تعلقت بالعادات فكذلك لانه انما وضعها لتأتي أمور دنياه على تمام المصلحة فيها . فمن يجعل المناخل في قسم البدع فظاهر ان التمتع عنده بلذة الدقيق المنخول أتم منه بغير المنخول وكذلك البنات المشيدة المختلفة ، التمتع بها أبلغ منه بالحشوش والحرب : ومثله المصادرات في الاموال بالنسبة الى أولى الامر ، وقد أباح الشريعة التوسع في التصرفات ، فيعد المبتدع هذا من ذلك .

وقد ظهر معنى البدعة وما هي في الشرع والحمد لله

فصل

وفي الحد أيضا معنى آخر مما ينظر فيه . وهو أن البدعة من حيث قيل فيها : انها طريقة في الدين مخترعة — الى آخره — يدخل في عموم لفظها البدعة التركية ، كما يدخل فيه البدعة غير التركية ، فقد يقع الابتداع بنفس الترك تحريما للمتروك أو غير تحريم ، فان الفعل مثلا قد يكون حلالا بالشرع فيحرمه الانسان على نفسه أو يقصد تركه قصدا .

فهذا الترك اما أن يكون لأمر يعتبر مثله شرعا أولا ، فان كان لأمر يعتبر فلا حرج فيه ، اذ معناه انه ترك ما يجوز تركه أو ما

يطلب بتركه^(١) كالذي يحرم على نفسه الطعام الفلاني من جهة أنه يضره في جسمه أو عقله أو دينه وما أشبه ذلك ، فلا مانع هنا من الترك . بل ان قلنا بطلب التداوي للمريض فان الترك هنا مطلوب ، وان قلنا بإباحة التداوي فالترك مباح . فهذا راجع الى العزم على الحمية من المضرات . وأصله قوله عليه السلام « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج — إلى ان قال — ومن لم يستطع فعليه بالصوم »^(٢) الذي يكسر من شهوة الشباب حتى لا تطغى عليه الشهوة فيصير الى العنت .

وكذلك اذا ترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس فذلك من أوصاف المتقين ، وكتارك المتشابه حذرا من الوقوع في الحرام واستبراء للدين والعرض وان كان الترك لغير ذلك ، فاما أن يكون تدينا أو لا . فان لم يكن تدينا فالترك عابث بتحريمه الفعل أو بعزمته على الترك . ولا يسمى هذا الترك بدعة اذا دخل تحت لفظ الحد إلا على الطريقة الثانية القائلة :

- (١) لم يظهر لنا معنى الباء فالظاهر انها زائدة من الناسخ
(٢) تنمة الحديث بعد كلمة الصوم « فانه له وجاء » فقوله « الذي يكسر من شهوة الشباب » اخ من كلام المصنف يبين به علة كون الصوم وجاء . وهو إضعاف الشهوة على رأي الجمهور . وهو لا يظهر الا في الصوم الكثير مع التقشف والاكتفاء عند الفطر بقليل الطعام ، والا فان الصوم من اسباب الصحة وزيادة القوة ، حتى في المعيشة المعتدلة : وحينئذ يكون وجه الشبه بين الوجاء الذي هو دق عروق خصتي الفحل المضعف أو المزيل لشهوته وبين الصوم هو كون الصوم سبب التقوى كما قال الله تعالى في تعليل فرضيته « لعلمكم تتقون » فمن اكثر من الصوم وترك ما يشتهي من الطعام والشراب المباحين لوجه الله تعالى يستفيد فائدتين احدها ملكة مراقبة الله تعالى الذي يترك طعامه وشرابه لأجله ، والثانية ملكة ترك الشهوات التي يحتاج اليها كل يوم فتقوى ارادته وعزمته ، فيسهل عليه ترك سائر الشهوات ومنه غض بصره واحصان فرجه

ان البدعة تدخل في العادات . واما على الطريقة الأولى فلا يدخل . لكن هذا التارك يصير عاصيا بتركه أو باعتقاده التحريم فيما أحل الله وأما ان كان الترك تدينا فهو الابتداع في الدين على كلتا الطريقتين ، اذ قد فرضنا الفعل جائزا شرعا فصار الترك المقصود معارضة للشارع في شرع التحليل .^(١) وفي مثله نزل قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) فنهى أولا عن تحريم الحلال . ثم جاءت الآية تشعر بأن ذلك اعتداء ، وأن من اعتدى لا يحبه الله

وسياتي للآية تقرير ان شاء الله . لأن بعض الصحابة هم ان يحرم على نفسه النوم بالليل ، وآخر الاكل بالنهار ، وآخر إتيان النساء ، وبعضهم هم بالاختصاص ، مبالغة في ترك شأن النساء . وفي امثال ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رغب عن سنتي فليس مني » فاذا كل من منع نفسه من تناول ما أحل الله من غير عذر شرعي فهو خارج عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم . والعامل بغير السنة تدينا هو المبتدع بعينه

(فان قيل) فتارك المطلوبات الشرعية ندبا أو وجوبا هل يسمى مبتدعا أم لا ؟ (فالجواب) أن التارك للمطلوبات على ضربين : (أحدهما) ان يتركها لغير التدين إما كسلا أو تضييعا أو ما أشبه ذلك من الدواعي

(١) ان اهل الاستانة لا ياكلون لحم الحمام ، فهو يعيش ويفرخ في مساجدهم ويوتهم ولا يأكل احد منه شيئا ، بل يتخرجون من ذلك وينكرونه . والظاهر ان عامتهم يعتقدون ان أكله حرام ، أفلا يجب في هذه الحال على العلماء مقاومة هذه البدعة التركية بالقول والفعل

النفسية . فهذا الضرب راجع الى المخالفة للامر . فان كان في واجب فمعصية ، وان كان في ندب فليس بمعصية اذا كان الترك جزئيا ، وان كان كليا فمعصية حسبما تبين في الأصول (والثاني) ان يتركها تدينا . فهذا الضرب من قبيل البدع حيث تدب بضد ما شرع الله . ومثاله اهل الإباحة القائلين بإسقاط التكليف اذا بلغ السالك عندهم المبلغ الذي حدّوه : فاذا قوله في الحد « طريقة مختصرة تضاهي الشرعية » يشمل البدعة التركية كما يشمل غيرها ، لان الطريقة الشرعية ايضا تنقسم الى ترك وغيره وسواء علينا قلنا ان الترك فعل أم قلنا انه نفي الفعل - على الطريقتين المذكورتين في أصول الفقه .

وكما يشمل الحد الترك يشمل أيضا ضد ذلك ، وهو ثلاثة أقسام : قسم الاعتقاد ، وقسم القول ، وقسم الفعل . فالجميع اربعة اقسام . وبالجمله فكل ما يتعلق به الخطاب الشرعي يتعلق به الابتداع . اهـ

تقرير المطبوعات الجديدة*

كتاب الهدى الى دين المصطفى

الجزء الاول منه لمؤلفه ... النجفي في مدينة (سر من رأى) بالعراق طبع بمطبعة المرفان طبعاً نظيفاً على ورق متوسط من ٣٩٢ بقطر المنار ثمنه ٢٠ قرشاً ويباع في مكتبة المنار بمصر

كثر دعاة النصرانية في هذه البلاد كما كثروا في كل بلد دخله النفوذ الغربي ، دخلوا القرى بدون اذن اهلها ، وجاسوا خلال الديار واثدين الفتنة والتفريق ، وقد كان المسلمون عامتهم وعلماءهم لا يحفلون بما بينه هؤلاء الدعاة بين المسلمين لسخافته وبداهة بطلانه ، وليس في هذه البلاد من اتقله وزر آدم فيأتي هؤلاء الذئاب يحتمى منه في حظيرتهم ، ولا من ضاق صدره بتوحيد الله عز وجل فيعجز هؤلاء

(*) كتب تقارير هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخاض رضا

المعددين ليجد له عندهم متسعاً في ثلثوهم ، ولا من حصر صدره بعصمة الانبياء الهداة حتى يتحكك هؤلاء الكتبة ليشاجوا صدره ويجرؤه على المعاصي بقصة نوح مع ولديه أو ابراهيم مع امراته أو يهوذا مع كتنه أو داود مع امرأة قائده أو سليمان مع اصنام نسائه أو ابن يعقوب مع امرأة ابيه أو يعقوب مع ملاك ربه أو لوط مع بنتيه الخ بل ان المسلمين ليسوا بمحتاجين مسيحيهم الخيالي (وهو غير مسيحي الله عليه السلام) الذي يدعي هؤلاء الصدوقيون انهم يعبدونه وينكرون سيرته الانجيلية ويرون عصمته عن السكر وعن غسل ارجل التلاميذ وعن طرد امه واخوته وإنكاره لها وعن البخل بهداية الكهناتية الى غير ذلك مما نراه في اناجيلهم .

لا خوف من هذه التعاليم على عامة المسلمين فضلاً عن علمائهم ، ولكن السكوت على باطلهم خيل اليهم على حق فتفتتوا في طرق دعوتهم حتى انهم ليصدرون بعض كرايسهم بالآيات القرآنية أو بخطب تضارع الخطب التي اصطلح بعض الخطباء الرسميين على تلاوتها يوم العيد وأيام الجمع الخ ، كل ذلك ليدخلوا الى قلوب المسلمين فيفسدوا عليهم ما بقي لهم من دينهم ، ويحلوا الروابط التي تربطهم بأمتهم . ولذلك قام العلماء في جميع الاقطار يرسلون شهب ردودهم فتخمد انفاس شياطين التفريق . واول من كتب في الرد عليهم في هذا العصر بعقل وبحث وروية الشيخ رحمة الله الهندي ثم تبعه قوم آخرون هم عيال عليه في هذا الباب . ثم رأينا مثالا له في هذه الآونة من رسائل الدكتور صدقي وكتاب النجفي ، وهو هذا المؤلف الذي هو نتيجة بحث علمي وتمحيص المسائل وتحقيقتها

فخيا الله العلامة النجفي فقد دحض مزاعم دعاة النصرانية بكتابه هذا وقذف بحججه على باطلهم فاذا هو زاهق ولهم الويل مما يصفون . وضع كتابه هذا رداً على كتاب « مقالة في الاسلام » لسايل الانكليزي المترجم بالعربية وعلى الكتاب البذي المسمى بالهداية الموضوع للرد على كتاب « اظهار الحق » وكتاب « السيف الحميدي » نهدم أركانها وقوض بنيانها بالادلة العقلية والنقلية ، بعبارة طليعة جليلة ، فيجدر بمن مضى بالرد على هؤلاء المشاغبيين ان يطالع على هذا الكتاب

(كشف الاستار عما لحقوق الدول من الاسرار)

الجزء الاول بقلم صبحي اباطه طبع بمطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٣١ ص ١٢٥ بقطر
اذا ارثمته ٢٠ قرشا يطلب من مكتبة المنار بمصر

اسم الكتاب يدل على موضوعه وفيه فوائد جمة جاءت من طريق الاستطراد

﴿ في التربية والتعليم ﴾

تأليف محمد أمين . طبع بمطبعة التقدم بمصر على ورق جيد . ص ١١٤ بالقطع الصغير . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

مواضيع الكتاب : بعد مقدمة بقلم أحمد بك لطفى السيد مدير الجريدة ، (١) الشكوى ٢ تشخيص العلة ٣ وصف الدواء ثم الاطوار الثلاثة ، في البيت والمدرسة والمجتمع ، التربية الحسية والعملية والاخلاقية ثم الخاتمة . والكتاب مجموعة مقالات نشرت في الجريدة ثم طبعت على حدها غير مصدرة بالبسلة ولا الحمدلة ، على سنة من يتفصون من كل ما يربطهم بالامة الاسلامية من الشعائر والمقومات والمشخصات

مرشد المترجم الصغير (لطلبة الشهادة الابتدائية)

تأليف محمد السيد بك وكيل مدرسة المعلمين الناصرية وعوض ابراهيم بك وكيل المدرسة السعيدية . طبع بمطبعة المعارف طبعاً نظيفاً ص ١٤٠ بالقطع الوسط . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المعارف ومكتبة المنار بمصر

وضعه مؤلفاه لطلبة الشهادة الابتدائية وتوخيا فيه تذليل عقبات الترجمة من العربية الى الانكليزية وبالعكس وتسهيلها على التلميذ بشرح المفردات التي يهتدي اليها بسهولة ، وقد اطلع عليه المستر استيفنز معلم الانكليزية بمدرسة المعلمين الناصرية . والكتاب يفيد التلميذ علماً بالشئون الاجتماعية بمواضيعه المفيدة

الاجوبة المسكotte

تأليف أحمد أفندي صابر من مستخدمي (نظارة الاوقاف) وقد طبع الطبعة الثانية بمطبعة الجمالية بمصر مع زيادات وتحسينات . ص ٢٥٢ بقطع رسالة التوحيد . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر وهو غني عن التعريف

غاية الانسان

كتاب في الفلسفة الادبية مفيد . وضعه الفيلسوف جافينون وترجمته وسيلة محمد مترجمة « روح الاعتدال » وناهيك بها سلاسة وجودة . ص ١٦٠ بقطع سابقه . طبع بمطبعة المعارف طبعاً نظيفاً . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المعارف ومكتبة المنار بمصر

﴿ارجوزة ابن المتمر﴾

طبعت في المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٠ على نفقة ابن منصور في ٢٤ ص بقطع
رسالة التوحيد على ورق جيد ثمنها قرش صحيح واحد وتطلب من المسكاتب المصرية
وموضوع الارجوزة تاريخ المعتضد بالله العباسي ، وما هو بالتاريخ الذي يعتد به

نشوء الاجتماع (الجزء الاول منه)

تأليف بنيامين كد وتعريب محمد زكي صالح في طنطا . طبع بمطبعة الاخبار بمصر
سنة ١٩١٣ على ورق جيد . ص ١٣٥ بقطع «الاسلام والنصرانية» ثمنه خمسة قروش
ويطلب من مكتبة المنار بمصر

مواضيعه بعد مقدمة المترجم التي المت بموضوع الكتاب وآراء العلماء والجرائد
فيه هي: (١) الحاضر (٢) اسباب الارتقاء (٣) العقل لا يؤيد اسباب الارتقاء (٤) اجلي
طبيعة في التاريخ الانساني {٥} وظيفة العقائد الدينية في نشوء الاجتماع .

والكتاب مفيد في موضوعه منه للعقل موقظ للقوة المفكرة . وارى ان استعير
لتفريظه كلمة الاستاذ «ويسمن» الالماني التي كتبها في مقدمة الترجمة الالمانية وهي :
«لا ارمي الى تحليل هذا الكتاب الفذ بل اقول انه جدير بالنظر والاعتبار . . .
الح » والمرجو ان يظهر المعرب الجزء الثاني منه وان يعتني بترجمته وتصحيحه ليسلم
من مثل الاغلاط التي في الجزء الاول

(كتاب آداب العرب)

تأليف ابراهيم بك العرب . طبعته نظارة المعارف على نفقتها في المطبعة الاميرية
سنة ١٩١١ وقررت تدريسه في مدارسها الابتدائية وفي مدارس المعلمين والمعلمات
ويطلب من مخزن المعارف

الكتاب مجموعة مواعظ منظومة على ألسن الحيوان والطير على نمط كتاب
الصادق والباغم

(المطالعة الفصيحة لامهات اليوم والغد)

الجزء الاول منه تأليف الشيخ مهدي احمد خليل المدرس بمدرسة المعلمات في بولاق . المطبعة الاولى
منه سنة ١٣٣١ ص ٢٠٥ بقطع رسالة التوحيد . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر
الكتاب ادبي اجتماعي لغوي كبير الفائدة ولذلك قررت نظارة المعارف تدريسه
لجميع تلميذات مدارس البنات العالية والابتدائية والخصوصية

محاسن الطبيعة وعجائب الكون

تأليف اللورد (افرى) ترجمة وديع البستاني . ص ٢٦٤ بالوسط طبع مطبعة المعارف وثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار ومكتبة المعارف
ابحاث الكتاب : تمهيد ، عالم الحيوان ، والنبات ، والحقول والحراج ، والماء ، والبحر ، ثم القبة الزرقاء . وهو يجول في هذه الابحاث جولة المفكر المتعقل المستبر .
واذا كان هذا الكتاب أسمى معاني واكثر دقة من سائر ما قرأنا من مؤلفات لورد افرى التي عربها وديع البستاني فان ترجمته أصح وأسلم وأقل غلطاً من جميعها أيضاً

رواية جزيرة الذهب

مترجمة عن الالمانية بقلم ماري ابراهيم نجار ، طبع الجزآن الاول والثاني منها بمطبعة جريدة الهدى في نيويورك على نفقتها فكانت ص ٢٥٤ بالقطع الوسط وموضوعها تحويل الافكار عن عبادة الذهب وتوضيحه كل شيء في سبيل الحصول عليه الى فكرة الانسانية الراقية . وما أجدر هذه المترجمة العاقلة الفاضلة ، باختيار هذه القصص المفيدة النافعة .

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة تصدر في بيروت تبحث في الحقوق والاقتصاد والاجتماع . سفتها عشرة شهور شمسية تبدئ من ايلول (سبتمبر) من كل سنة . الجزء منها ٣٢ ص . منشؤها المحامي توفيق افندي الناطور المتخرج في مدرسة الحقوق في باريس ، ومدير تحريرها الشيخ محمد منيب افندي الناطور من تلاميذ الازهر ومدرسة القضاء الشرعي
قيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريالان مجيديان وفي البلاد الاجنبية عشرة فرنكات وان في سعة منشؤها ومديرها وتوخيهما النفع لها ما يوجب الاقبال عليها لما يختاران نشره فيها من العلوم والفوائد التي أصبحت في هذا العصر حاجة من حاجات الامة ، فنحن نرجو لها الرواج والنجاح ، ونعده عنواناً لاستعداد الامة للارتقاء . وقد فتحت باباً لادبيات اللغة العربية فضمت الى فوائدها العلمية هذه الفائدة اللغوية ويمكن الاشتراك فيها بواسطة مجلة المنار ومكتبته

الشيخ علي يوسف

٣

{ فصل في بقية الكلام على سياسته المصرية }

بيننا ان سياسة الشيخ في المؤيد كانت تدور في أول العهد على ثلاثة أقطاب (١) تأييد سلطة الأمير ونفوذه (٢) مقاومة نفوذ الاحتلال الانكليزي {٣} الاعتماد في هذه المقاومة على نفوذ الدولة العثمانية وحقوقها الرسمية في مصر . وكذا على نفوذ فرنسا ومصالحها السياسية فيها ، وانها بعد طول الاختبار وتغير الحوادث طرأ عليها بعض التغيير . ونزيد ذلك بياناً فنقول وان كررنا بعض المعاني :

انه بعد حادثة فشودة علم المترجم أن الاتكال أو الاعتماد على وعود أو عهدود دولة أوربية لا يكون الا دون الاتكال على المواعيد العرفوية ، وانه بعد اختبار السياسة العثمانية بالغوص في اعماق الحوادث التي بينها وبين أوربة ، وبلقاء كبار رجالها في الاستانة ومصر وأوربة ، علم انه لا يتشكل عليها في شيء ، وان الذي يبني عمله على الرجاء فيها قائم على شفا جرف ، اذ لا يؤمن خذلانها له في كل عمل ، فاكتمى من خدمة الدولة فيما يسمونه المسألة المصرية بالمحافظة على حقوقها الرسمية في مصر ، وجعل فرماناتها الرسمية لامراء مصر ركن استقلالها الركين ، الذي يصد به بعض ما يخشى من هجمات الاحتلال عليه . وأما فرنسا وسائر دول أوربة فقد علم كما يعلم كل خير بصير انهم دول تجارية تتجر بالامم والشعوب والدول ، وانهم لا تراعي في تجارتها حقاً ولا عدلاً ، ولا رحمة ولا فضلاً ، وانما رأس مالها القوة والحيلة والآثرة ، فلا يقدر أن يستفيد منها ، الا من جعل منفعتها وسيلة الى منفعتها ، وهبهات أن يتسنى للأدنى ، أن يستخدم لمنافعه من هو أعلى منه قوة وعلماً . وما كل من تنفعه تقدر أن تستخدمه ، وناهيك بدول أوربة ومعارضة بعضها لبعض في سياستها أو مطامعها في بلادنا ، فاذا أراد بعضها أن ينفعنا قليلاً لينتفع منا كثيراً ، عارضه في ذلك من يكره لنا هذه المنفعة ويراه عتبة في طريق مطامعه فينا

وكان الفقيد يعلم أيضاً ان شعوب أوربة خير من حكوماتها ، وان فيهم كثيراً من الاحرار ومحبي الحق والخير لكل البشر ، وان رأي الشعب العام له السلطان الاعلى على الحكومات ، فلهذا كان يرى أخيراً أنه ينبغي أن يكون للمصريين صلة

بعض أهل الفضيلة من أحرار الانكليز لعلمهم يستعينون بهم على مقاصدهم، وإيصال ما يشكون منه بحق من إنكليز مصر الى انكليز لندرة . حتى لا تكون الشؤون المصرية محجوبة عن محبي الانصاف، لا يعرفون منها الا ما يكتبه عميد انكلترة في مصر الى ناظر الخارجية في لندرة وبعض مراسلي الجرائد . والعمل بهذا الرأي إما أن ينفع وإما أن لا ينفع . ولكن عارضه فيه أحداث الوطنية في جريدة اللواء وما أحدثوه بعد مصطفى كامل من الجرائد كدأبهم وعادتهم ، وقد ينأ وجه ذلك عندهم في هذه الترجمة (الجرائد والاحزاب بمصر)

ونقول ههنا إن السياسة في مصر لا مظهر لها الا الجرائد ، وقد تألفت الاحزاب لأجل الجرائد ومديري سياسة الجرائد ، ولم يستطع حزب من الاحزاب أن يجعل جريدة أكثر رواجاً وقبولاً من جريدة أخرى عند الرأي العام بمصر . وقد سبق القول بأن الجرائد العربية المؤثرة في الجمهور المصري كانت ثلاثة : الاهرام والمقطم والمؤيد ، وأن التنازع انما كان أولاً بين الاهرام والمقطم . ثم كانت الاهرام تشايع المؤيد بعد ظهوره لاتفاقه معها في الميل الى السياسة الفرنسية التي تعد الاهرام هي الركن الأول لها ، ولأن مشايعته على المقطم كانت تعد من آيات صدق الخدمة الوطنية لمصر . ولما انقطع أمل المصريين من فراسة صارت جريدة الاهرام في المرتبة الثانية بين الجرائد اليومية ، بل كادت تموت من شدة ضعفها ، لولا أن تداركها همة بشارة باشا تقلا القوية ومن ساعده على تحريرها من أذكى الكفاء الكتاب ، وأعاناه على ذلك ثقة جمهور التجار والزراع بأخبارها التجارية . بذلك انتعشت بعد ان سقطت ، وارتفعت بعد ان انخفضت . وحفظت مكانتها بين الجرائد اليومية الكبرى ، فان لم تعد رأساً في سياسة خاصة ، فهي رأس في الثروة والمباحث العامة . ولا يضاهيها في هذين الأمرين الا المقطم . فهما الآن في مقدمة الجرائد المصرية في الثروة ، وسعة الاخبار العامة ، والقدرة على التصرف في الكلام عن الشؤون المصرية . على انهما لم تتألف لهما أحزاب ، وانما تلك كفاءة أصحابهما ومحرريهما ، والجمع بين حسن الادارة ، والبراعة في الكتابة

وقد تألف في مصر ثلاثة أحزاب سياسية حول ثلاث جرائد يومية ، هن أكبر جرائد مسلمي هذا القطر وأوسعها انتشاراً - المؤيد واللواء والجريدة - ولم يكن لواحدة منهن دخل يوازي دخل المقطم والاهرام الا للمؤيد ، فقد كان أوسع منهما انتشاراً وعلى مقربة منهما في المال ، ولو أتيح للمؤيد مديرو مالي يسير بإدارته سيرة أصحاب تنك الجريدتين لسكانت أوسع الجرائد ثروة ، على أن الشيخ رحمه الله عاش به في سعة ورخاء ، كما

يعيش الامراء والكبراء ، حتى تورط في شراء الدور وأراضي البناء ، في ابان اسراف الناس في التغالي بها ، فركبته الديون وجاءت سنو العسرة المالية فأتت على جميع ما في يده ، وكادت تذهب بالمؤيد نفسه ، لولا أن تداركه بتأسيس شركة مساهمة له ، فحالت دون موته ، لادون مرضه ، فقد مرض المؤيد امراضاً أشرفت به على الموت عدة مرار ، وصارت حركة ظهوره كحركة المذبوح أو حركة الاستمرار ، وهو لا يزال محتاجاً الى تجديد الحياة ، وإنما يكون ذلك بحسن الادارة والنظام ، وجعل التحرير على الوجه الذي ينهه من قبل ، وهو ما به يظل المؤيد صاحب التأثير الاول في كل ما يتعلق بمصالح المسلمين في مصر ، - ركذا في غيرها - ثم بالمصالح المصرية والعثمانية . فاذا قصر المؤيد في هذا الامر الذي لم يكن لولاه أمراً ذاباً ، يحكم عليه الرأي العام الاسلامي بالعدم والزوال ، ويطلب بلسان حاله جريدة تحل محله حتى ينهض بها من يؤهله الاستعداد ، من الشركات أو الافراد

وجملة ما يزيد الاعتبار به أن المؤيد قد جعله مشربة الاسلامي والمصري فوق جرائد الفطر كلها ، بل جعله حاجة طبيعية ، من حاج البلاد المصرية فالاسلامية ، ولقي من المساعدة والاقبال ما لم يلق غيره ، ومع هذا كله لم يستطع أن يكون في ثبات الاهرام والمقطم وفي مثل ثروتهما ، ولا في المحافظة على إشعار الجماهير بحاجاتهم اليه ، وبانه لا بد لهم في الحوادث الطارئة من رأيه ، وقد ألف صاحبه له حزباً سياسياً سماه (حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية) فلم يفده قوة تذكر ، ولا رد عنه غارة تشن ، وإنما كانت قوته المعنوية في هجومه ودفاعه سنان قلم الشيخ علي ، وحسن استعماله لأسنة الافلام التي كانت تساعد ، ومنها ما كان أنفذ من سنانه في بعض الشؤون وأقتل . فلما مرض الشيخ مرض المؤيد ، ولما مات خشي الناس أن يموت كما مات حزبه ، واسكن الشركة المالية تداركت حياته المادية ، وعسى أن توفق لتدارك حياته المعنوية ، فان لم يتم هذا يفقد مسلمو مصر الاتفاق بقوتهم المعنوية ، ولا يبقى لهم قائد منهم في حياتهم السياسية والادبية ، ولا مدافع يؤثر صوته في مصالحهم الدينية ، فالشعب جريدة احداث جهال ، والجريدة ليست اسلامية المشرب ، والاهالي كذاك ، على أنها ولدت سقطاً كما قال أحد الأدباء . فالجريدة الاسلامية المصرية هي المؤيد ، فاذا مات بعسر وجود خلف له . واني بهذه الحرية في النصيحة ، ربما أثير على نفسي حقداً قديماً وعداوة جديدة ، ولا أبالي ذلك في سبيل مصلحة المسلمين ، على أنني لست على ثقة من قبولها والله الموفق

وأما اللواء فقد بينا أن منشئه تربى في مدرسة المؤيد السياسية ، فكان تلميذا له ، إلا أنه عقه وكفره ، وكان يحسب أنه يبذه أو يكون ناسخاً له ، لأنه يبالغ ويغلو في كل المقاصد التي صار المؤيد يسلك سبل الاعتدال فيها ، كمدح السياسة الحميدة ، وذم الحكومة المصرية ، ومقاومة الاحتلال ، بالذم والاحتجاج ، وذلك أن الناس كانوا قد ألفوا بعض المبالغة من المؤيد ، فإذا أرجعته عنها الحكمة والخبرة ، يعد عوامهم وشبانهم ذلك من تغيير الخطأ ، ومن دأب الأحداث والعوام ، حب الاغراق والغلو في الكلام ، وناهيك بما يتعلق منه بالسياسة والحكماء . وقد بذَّ اللواء المؤيد في المبالغة بهذه المقاصد ، وانفرد دونه بدعوة مسلمي مصر الى تكوين رابطة جنسية وطنية ، لاسكتها رابطة تنافي إخاء الاسلام ولا ترضي القبط وسائر طوائف النصرانية صادف اللواء من مساعدة الاستانة ومساعدة بعض أراء مصر وأغنيائها ما لم تصادفه جريدة أخرى . حتى كان يبذل له الذهب بالآلوف ، وهو على هذا كله لم يتسع انتشاره الا بعد سنين من نشائه ، ثم إنه غلب المؤيد على استمالة أكثر تلاميذ المدارس وكثير من العوام ، وصار المؤيد باعتمداله على رضا أكثر العوام عنه . جريدة الخواص . لم يستطع اللواء ان يصل بكل ذلك الى أن يكون كجريدة الاهرام أو المقطم في ثباتهما وثروتتهما ، وقد ألفت صاحبه له الحزب الوطني الحديث (١) وألف شركة رأس مالها عشرون ألف جنيه لاجل إصدار لواء أو لوائين آخرين بالافتين الفرنسية والانكليزية . وانما كانت هذه الشركة صورية لا غرض منها الا بذل ذلك المال لمصطفى كامل يتصرف فيه كما يشاء . كما يفهم من قانونها . وقد فعل . أضع هذا المال كما أضع ما سبقه من الاطانات مع كل غلة اللواء ومطبعته في السرف والخيلة والمضاربات ، وطفق ينشد في اللواء شركاء يشترون سهاماً أخرى من الشركة فلم يستجيب لرقيقته أحد ، ولم يلبث مصطفى باشا كامل ان مرض وضاعف ثقل المرض عليه هم الدين والعوز ، وفي أثناء مرضه ألق الحزب الوطني الحديث (١) وكل ذلك لم يفت شيئاً . ومات (كما مات صاحب المؤيد بعده) مثقلاً بالديون ، فقد تبين ان عليه عشرات الآلوف من الجنيهات . وقد حجز الدائنون مطبعة اللواء ، وبيع أثاث زعيم الوطنية في محل رجل رومي يبيع الأثاث بالزاد ، ثم مات اللواء بعد ان اضطر أصحابه الى استخدام بعض الكتاب من نصارى السوربيين لتحريره وقد كان أعدى أعدائهم ، وبعد ان انشق الحزب

(١) أول من ألق حزباً سياسياً بمصر باسم الحزب الوطني حكيمنا السيد جمال الدين الافغانى . والحزب الذي كان يذكره مصطفى كامل في حال صحته لم يكن حزباً مكوناً بالفعل

وأنشأ بسعي محمد بك فريد رئيسه جريدة لتكون لسان حاله سماها العلم (بالنحر يك) ناط رياسة تحريرها بالشيخ عبد العزيز شاويش ، فسكانت دون اللواء واحط منه في كل شيء الا الغلو والاسراف ، في الكذب والارجاف ، والطعن في الشعوب والافراد. لذلك اضطرت الحكومة الى إلغائها بعد ان حوكم رئيس تحريرها (شاويش) غير مرة ، وحكم عليه بالسجن وسجن .

في أثناء هذه الحوادث كان المتحمسون من رجال الحزب الوطني وآخرون ممن يودون استمالة محبي الرجل من التلاميذ يجمعون المال لنصب تمثال له ، يخلدون به ذكره ، ولو راعوا الآداب الإسلامية لحافظوا بهذا المال على جريدة اللواء ، واتقوا لما محررين من العقلاء الأدباء ، فان هذا هو الذي يحفظ ذكره كما حفظ الاهرام اسمي سليم تقلا وبشاره تقلا . فما من يوم الا ويقرأ الاهرام ألوف من الناس يرون هذين الاسمين ويتذكرون مؤسسي هذه الجريدة المرتقية . وفي مصر عدة تماثيل لا يخطر اصحابها لاحد على بال حق عند رؤيتها مائة بالشوارع .

وأما (الجريدة) فالهبة بها أعظم فقد أنشأها جماعة من سرورات البلاد أصحاب الثروة والمكانة الاجتماعية ، وحصلوا لها رأس مال عظيم ، ووضعوا لها قبل انشائها قانونا من أدق القوانين ، وأسسوا لها مطبعة من أرقى المطابع ، وجعلوا ادارتها ومطبتها في قصر من أحسن القصور ، واختاروا لها مديرا من أذكى الكتاب واعلمهم بالسياسة والقوانين واختار هو من المحررين من سبق لهم التمرن على الكتابة حق في إدارة الاهرام وإدارة المقتطف والمقطم . وألف أولئك السرورات المؤسسون لها حزبا سياسيا يكفلها سموه (حزب الأمة) فهي قد ولدت بالغة راشدة فلم تكن كالنؤيد واللواء طفلا ينمو في إدارته رويدا رويدا . ولما سكنها على كل هذه المزايا لم تستطع ان تعبد لها مقعدا ولا موقفا من المسكان الفسيح الذي وجدته قبلها النؤيد أو اللواء من قلب الرأي العام المصري ، ولم تستطع ان تتال من حبيبه بعض ما ينال المقطم أو الاهرام ، بل كانت تحتاج كل سنة الى إمداد أولئك السرورات لها بمالهم ، على انها ليست في الحقيقة لسان حالهم ، وسبب ذلك كله ان الروح الذي تنفخ في هذه الجريدة لتحيا به ليس إسلاميا ، وإنما هو فلسفة خاصة لا تكاد تتجاوز دماغ مدير الجريدة وأدمغة بعض أصدقائه من المحامين وغيرهم (الذين هم حزب الجريدة المعنوي لا المالي) الا بتدرج بطيء جدا ، ثم انه لا يرجي أن يعم ، وليس من الحكمة ولا مما يبيح الاقتصاد ان يكون له جريدة توقف عليه في مثل هذه البلاد التي لم تستعد لآب تعيش فيها

جريدة أو مجلة خاصة بشيء واحد مما تهم الحاجة اليه كالاقتصاد والزراعة أو الادب،
دع الفلسفة بجملتها ، دون مذاهب الافراد فيها فقط

وجملة القول ان الجريدة لا ترمي عن قوس عقيدة مسلمي مصر ، ولا تصلح
للتأثير بالرأي العام المصري ولا فيه ، فهي لا تستطيع أن تخدمه كما يجب ، ولا أن
تستخدمه كما تحب ، لان روحها غير اسلامي ، فلا هي لسان حال المسلمين ، ولا
لسان الذين أسست بأموالهم منهم ، وهم لم يستمروا على الاتفاق عليها الا لما يشعرون
به من الفضاضة عليهم اذا ألغوها وأبطلوها ، ولا يرجى لها بهذا المشرب أن تبلغ شأواً
المقطم أو الاهرام من نفوس الناس ولا من الرواج والربح

فظهر بما شرحناه ان الاحزاب في مصر لا عمل لها ولا تأثير الا بالجرائد ، وان
الجرائد بالرجال الذين يتولون سياستها وادارتها ، وانه لم توجد بمصر جريدة للمسلمين
حسنة الادارة والنظام- اللهم الا الجريدة في الجملة أو في ضبط الاعمال المالية- وان جريدة
المؤيد هي الجريدة الاسلامية السياسية التي أوجدتها الحوادث وكفاءة الشيخ علي
يوسف في مكانة من الرأي العام الاسلامي يعرفها لها أهل الساسية في أوربة ، ويعدونها
لسان حال مسلمي مصر وغير مصر أيضاً . وحذت جريدة اللواء حذوها ، ولم تبلغ
شأوها ، لأن صاحب المؤيد كان في السياسة الاسلامية مستقلاً ، وصاحب جريدة
اللواء كان فيها مقلداً ، وانما كان حظها منها بقدر ما اقتبس من سياسة المؤيد . وكل
ما خالف فيه المؤيد كان خطأ في جملة ، ان لم يكن خطأ في كل فروعه وجزئياته ،
ولكن الغيرة لا تكون الا بالخالفه في بعض الشؤون ، فصاحب المؤيد واللواء هما
أوجدوا المؤيد واللواء ، وقد كان لسوء تصرفهما المالي دخل عظيم في اضعاف جريدتهما ،
حق ما انت احدهما بمد موت صاحبهما بعد ما اشرفت على الموت المالي في عهده ،
ويخشى أن تموت الاخرى مثلاً ، ان لم يمن بها أهل الغيرة والبصيرة عناية يراعى
فيها ما يبناه في هذه الترجمة مراراً .

فيجب على مسلمي مصر أن يتدبروا هذا النقص العظيم ، وأن يتذكروا ان شعبهم
المستعد للعلم والادب والتربية السياسية والاقتصادية ، هو الذي جعل الاهرام والمقطم
أغنى الجرائد في بلاده ، لان اصحابهما عرفوا كيف يخاطبونه بحسب استعداده ، وهو
قد ساعد المؤيد واللواء ما لم يساعدهما ، فيجب على من يخدمه أن يخاطبه بلسان
استعداده . وأن يتذكروا ان (مصر) و(الوطن) الجريدتين القبطيتين ، تليان في الثروة

والثبات الالهام والمقطم السوريتين . ولولا عصبيتهم القبطية لما كانتا دونهما تأثيرا في نفوس المسلمين . فمن النقص بل من العار على المسلمين أن لا يكون لهم جريدة أو جرائد مثل هذه أو أرقى منها في النظام والثروة ، بله التأثير والحظوة ان لي أن أفاخر بكفاءة أصحاب المقطم والاهرام ومحرريهما وبراعتهم ، لانهم من أبناء وطني الاول الذي هو وطن المولد والمنشأ . وأود - والله - أن أنشر بمثل عملهم من أبناء ديني ووطني الثاني الذي هو وطن العمل . ولا يسرني من مثل المقطم والاهرام في مصر الا ما يدفع المصريين ، لان أبناء وطني السوريين ليس لهم مصالح في مصر تنافي مصالح المصريين ، فهم غير محتاجين الى جرائد خالصة لهم من دون المصريين ، لاجل هذا بهمني أمر المؤيد ، ويسرني أن يكون أرقى الجرائد المصرية تحريرا ونظاما وافادة واستفادة ، لان المسلم أجدر بمعرفة حاجة الجمهور المسلم وبياناتها والدفاع عنها ، من مثله في علمه وبيانه من غير المسلمين ، وأقدر على التأثير فيه بحمله على الخير أو صرفه عن الشر ، وعلى التأثير به بحمله مجنا بدفع به عنه ما يراه ضاراً به . وقد رأيت غير واحد من المشتغلين بالعلم والسياسة من النصاري يمتنون لو ولدوا مسلمين ، لاجل أن يكونوا أقدر على خدمة وطنهم أو الشرق الاسلامي كله .

وما أطلت الكلام على الجرائد في ترجمة الشيخ علي يوسف الا لأذكر إخواني مسلمي مصر بما أراهم غافلين عنه ، وهو أنه لم توجد لهم جريدة تصح ان تكون لسان حالهم بحق الا المؤيد ، وان الروح الذي كان به المؤيد هو المؤيد يجب ان يبقى له ، ويجب ان يكفل ، وان يكون لهيئة التحرير فيه مع الرئيس الكفو ، مراقب موثوق به ، مثل سعد باشا زغلول الذي كان ركنا من أركان تأسيس المؤيد . والا خسر مسلمو مصر خسارة يصعب عليهم الاستعاضة عنها في سنة أو سنين قليلة ، وربما حرموها الاجيال طويلا ، وقد ذكرناهم بما يوجب العبرة من تاريخ أعظم جرائدهم هذا وان أبة جريدة من جرائد المسلمين في مصر يتولى رياسة تحريرها كاتب خبير بمصالح المسلمين غيور عليهم ، قادر على الدفاع عنهم ، يمكن ان تحمل محل المؤيد الاول وأن تكون أكمل منه فيه وأثبت ، ولكن لا يكون ذلك الا بعد ثقة الجمهور المسلم بها ، وهذه الثقة اذا استعادها المؤيد في سنة واحدة ، لا تنالها جريدة جديدة الا بعد سنين كثيرة أو قليلة ، ومن ذا الذي ينفق على جريدة جديدة عدة سنين ، منتظرا طرؤه الحوادث التي تقنع الرأي العام بانها هي حاجته التي يطلبها لسان حاله واستعداده ؟

(للترجمة بقية)

الجامعة الإسلامية والسياسة

(جمعية إسلامية . مدرسة جامعة بالمدينة المنورة . استغلال الحجرة النبوية)

• تجدد الخوض في ذكر الجامعة الإسلامية بما ظهر أخيراً من عناية جمعية الاتحاد والترقي بالاستفادة من نفوذ الدولة الديني لما ظهر لها من تأثير الدين في السياسة ، وضرب ما كان من اعراضها عنه ، ومن اهتمام مسلمي الارض كافة بحرب طرابلس وحرب البلقان ، وبذلم المال لاعانة الدولة على الحرب بقدر الامكان ، ومطالبة مسلمي الهند لدولتهم البريطانية بمساعدتها ، واستيائهم من ميلها للبلقانيين . ففي أثناء الحرب ألفوا في الآستانة جمعية إسلامية خيرية تحت رياسة أو رعاية ولي عهد السلطنة . وكان أول من بذل المال لتأسيسها بعض وجهاء المصريين ، ويرجون أن يجمعوا لها مالا جماً ، وإن لم يعرف العالم الإسلامي اين يذهب هذا المال وكيف ينفق ؟

المدرسة الجامعة بالمدينة

واذاعوا في الاقطار خبر تأسيس مدرسة جامعة في المدينة المنورة - ويمبر عنها الترك باسم « دار فنون » - ثم أرسلوا وفدا اليها في أثناء زيارة الحجاج لها للاحتفال بالشروع في تأسيس هذه المدرسة الموسَّعة لفتح باب الاعانات لها . ونحن ننظر ان نرى نظام هذه المدرسة لتعلم هل موضوعها دار فنون جامعة لكل الفنون والعلوم العالية كما يفهم من هذه التسمية أم لا ، ولتعلم أي اللغات تكون لغة التعليم فيها ؟ هل هي العربية أم التركية ؟ ومن أين يأتون بالتلاميذ الذين تلقوا التعليم الابتدائي والثانوي ليدرسوا فيها الفنون والعلوم العالية ؟ وليس في المدينة ولا في الحجاز شيء من هذا التعليم ! ولا نبحث عن المامنين والسكرتب قبل أن نعرف لغة التعليم ، فان نظارة المعارف العثمانية تفتذر عما نطلبه من جعل التعليم في ولايات الدولة العربية بلغة اهلها ، وأظهر أعذارها عدم وجود السكرتب والمعلمين . وقد أذاعت الجرائد من بضعة أشهر أن النظارة ألفت لجنة فيها لأجل اختيار السكرتب العربية الصالحة . وعلمنا انها طلبت نموذجاً من كتب التعليم التي تقرأ في المدارس المصرية الأميرية فأرسل اليها . والى الآن لم نر لعمل اللجنة أثراً يذكر . وإذا كانوا يريدون التعليم في المدينة باللغة التركية فان لنا في ذلك كلاماً آخر . نقول هذا ونحن لانهقل فلا نصدق أن حكومتنا توجد في المدينة المنورة مدرسة جامعة . ونرى ذلك غير مستطاع ان كان مراداً ، ولا نغان أنه مراد . ولكننا قد

تبنى بناء نخبة تسميه مدرسة جامعة ، ونجذب اليه بعض الطلاب من بلاد مختلفة ، فيعطون دروسا ابتدائية أو فوق الابتدائية ، حسب استعداد من يحضر . ثم تستندي أكف أغنياء الحجاج وغيرهم لأجل ترقية المدرسة كما تستندىها الآن لأجل تأديتها باعاناتهم وأما كون المراد من هذه المدرسة بث فكرة الجامعة الإسلامية في نفوس المسلمين - كما قالت الجرائد في هذه الاقطار وفي غيرها - فالظاهر ان السياسة الاتحادية الاخيرة تود إذاعة هذا المبنى عنها ، ونحضر الذين يتولون إنشاء المدرسة الآن على اقناع زوار المدينة المنورة وغيرهم بأن جمعية الاتحاد والترقي تخدم الدولة والاسلام ، وأنه يجب ان تساعد على ذلك بما يستطيع من النفوذ والمال ، وقد علم هذا من حال من اختارهم الجمعية للشروع في العمل ، ومن الاحتفال الذي كان في المدينة المنورة ، ومن حال المتدوب الذي بقي هنالك بعد الاحتفال (وهو الأمير شكيب أرسلان أحد أدباء طائفة الدرزي في جبل لبنان) الذي كتب العشرات بل المئات من المقالات في إطرأه الجمعية والاطمن في طلاب الاصلاح من العرب للبلاد العربية . أما الشيخ عبد العزيز شاويش رئيس لجنة ذلك الاحتفال في المدينة المنورة ورفيقه عبد القادر أفندي المغربي فهما من غلاة أنصارها الذين ثبتوا على خدمتها في الاقبال والإدبار ، على اختلاف المظاهر والاطوار ، ومن كان هذا شأنه معها فيما رجعت عنه من سياستها القديمة ، فكيف لا يكون كذلك في سياستها الجديدة ؟

أما أنا فأنتنى لو توجد مدرسة بجامعة في المدينة المنورة ، أو مدرسة ما مهما كانت درجتها ، ومهما كان الغرض من انشائها ، فإذا لم تكن كما نحب اليوم ، فانتا نرجو أن تكون كما نحب غدا . ولهذا لم أكتب كلمة تحذير منها في المقالات التي أنحيت بها على أعمال الجمعية ، أيام كان الخلاف بينها وبين قوما العرب على أشده ، حتى انني عدت - كما كنت في عهد عبد الحميد - لا آمن على نفسي ان أحج بيت الله الحرام ، أو أزور حرم رسوله عليه الصلاة والسلام ، وكانت تحمل لي هذه المدرسة - عند سماع خبر العزم عليها - كمسجد الضرار . وقد دخل قوما معها الآن في طور جديد نمنينا فيه بكل ما نطلب من الاصلاح ، والله المسؤول ان تصدق الأمانى ونحصل الآمال

وأما رأي الذي ألتج به للدولة ، فهو ان تصدي رجالها السياسيين لنحر يك أوتار الجامعة الإسلامية بضر الدولة كثيرا ولا ينفعها إلا قليلا ، ويوشك ان تكون هذه الاقوال التي قيات في هذه المسألة - على قلة تأثيرها - من أسباب ما نراه من شدة

تحمّل أوربة عليها ، وأكتفى في هذا المقام بالمثل الذي يكرّوه الامام الغزالي في الاحياء : « كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة »

ومرادي من هذا انه يجب عليها أحد امرين : (الاول) ان تؤسس حكومة اسلامية ، خالية من التقاليد والقوانين الاجنبية ، الا ما كان من النظام ، الذي يتفق مع الشرع ولا يختلف باختلاف الاقوام ، وتمطي مقام الخلافة حقه من إحياء دعوة الاسلام ، وإقامة الحدود وحرية أهل الأديان ، ولا يمجّزها حينئذ ان ترضي غير المسلمين من رعاياها الذين ليس لهم أهواء سياسية ، ولا ضلع مع الدول الأجنبية ، بل يكون ارضاؤهم أسهل عليها منه الآن ان شاء الله . ولو كان لي رجاء في إصلاحها الى هذا الرأي ، أو جعله محل النظر والبحث ، لينت ذلك بالتفصيل ، ولا وردت ما أعلمه من المشكلات والعقبات التي تعترض في طريق تنفيذه من داخلية وخارجية مع بيان المخرج منها ، ثم ما يترتب عليه من تجديد حياة الدولة وكونه هو المنهج لها من الخطر ، وان تراعى لسكثير من الناس انه هو المسرع بالخطر ، ظنا منهم أن أوربة تعجل بالاجهاز على الدولة اذا علمت بانها شرعت بنهضة إسلامية ، لعلمها بانها هذه هي حياتها الحقيقية ، وكون حياتها بهذا هو ما يصرح به بعض أحرار الأوربيين (١) وان خوف منه بالنموية والابهام اكثر السياسيين

{ الثاني } ان تدع كل ما عدا الامور الرسمية الممهودة لديها من أمور الدين الى الجمعيات الدينية الحرة ، والافراد الذين يدفعهم استعدادهم الى هذه الخدمة ، ولها ان تساعد ما يستحق المساعدة من هذه الاعمال بالحماية ، وكذا بالاعانات المالية من أوقاف المسلمين الخيرية ، (اذا كانت تريد بقاء الاوقاف العامة في يدها ولم تجب طلاب الإصلاح الى جعل أوقاف كل ولاية في أيدي أهلها) مع ابقائهم بمزول عن السياسة وأهلها . ولولا ان هذا هو رأي لما اشترطت على رجال الدولة وجمعية الاتحاد ، إذ عرضت عليهم مشروع الدعوة والارشاد ، ان يكون في يد جماعة حرة لا علاقة لها بالسياسة ، وان لا تخصص لها اعانة من خزانة الدولة ، بل تكون نفقاتها مما تجمعها هي من الاعانات بأنواعها ، ومما تعطاه من أوقاف المسلمين الخيرية . (فستذكرون

(١) قال لورد كاتشر لبعض من لقيه بن العثمانيين المشتغلين بالسياسة : ان الدولة العثمانية لاتصالح بالقوانين التي اقتبسها منا (أي الأوربيين) ونحن ما صاحت لنا هذه القوانين الا بعد تدريجية في عدة قرون كما نغير فيها ونبدل بحسب اختلاف الاحوال ، وان عندكم شريعة عادلة موافقة لمبادئكم ولاحوالكم الاجتماعية فلواجب على الدولة ان تعمل بها وتترك قوانين أوربة فتقيم العدل وتحفظ الأمن وتستغل بلادها الخصبة . وعندي انها لاتصالح بغير هذا

ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ، إن الله بصير بالعباد)

استغلال الحجرة النبوية

بلغنا والعهد على الرواة أن بعض المنافقين الذين يتقربون الى (جمعية الاتحاد والترقي) باسم الدين ، واستنباط الوسائل منه الى استخراج المال من جيوب المسلمين ، قد زينوا لها أن تتخذ دفترًا تضعه في حجرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام . وتذيع في العالم الاسلامي كله أن من أراد أن يكتب اسمه في هذا الدفتر ، الذي وضع لدى قبر الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فليبذل قطعة من النقود الذهبية ، (كالجنيه الانكليزي أو الليرة العثمانية) ونحن نتصح للدولة أو الجمعية بأن ترد هذا الاقتراح ولا تنفذه ، مهما زينه المنافقون ووسعوا دائرة الاماني فيه ، وأوهموها ان السواد الاعظم من المسلمين يقبلونه ، ظانين أنه بحملهم معروفين عند نبيهم (ص) محبوبين لديه ، مقبولين عنده ، وأنه يمكن لمن يدعوهم الى البذل أن يقول لهم : انه (ص) ينظر في هذا الدفتر كل يوم ، ويقرأ هذه الاسماء ويدعو لأصحابها بخير

هذه بدعة قبيحة لا اظن ان رجال الاتحاد يقبلون فيها قول المنافقين ، أو محتاجون الى نصيح الناصحين ، وهي على كونها حدثًا وبدعة في مسجد الرسول (ص) وعبثًا بالدين ، تخل بتمظيمه وتكريم مقامه (ص) وقد لمن من أحدث حدثًا في مسجده (وسيأتي الحديث فيه) وكذا في مدينته وما حولها : روى الشيخان في صحيحيهما وغيرهما عن علي كرم الله وجهه أنه قال : ما كتبنا عن رسول الله (ص) الا القرآن وما في هذه الصحيفة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عيشر الى ثور (١) فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » الحديث

لا يميز اصحاب الجراة من المنافقين ان يقولوا ان استغلال حجرة المصطفى وقبره (ص) بمثل هذا الدفتر لا يمد حدثًا ولا بدعة ، لانه وسيلة الى مساعدة الدولة على خدمة الدين (مثلا) ويمكن ان يتقى فيه الكذب في الدين وابهام الباطل والكذب على الرسول (ص) حتى لا يكون توسلا باسمه (ص) الى أكل أموال الناس بالباطل . ولكن أنصار السنة أنقض حجة وأقوم قیلا ، فلا يميزهم أن يظهروا الدلائل

(١) غير وثور جيلان جهلها « ص » حدین للمدينة . وثور جبل بمكة أيضا وقد اشتبه بعض شراح الحديث في هذا الذي في المدينة ، ورجح بعضهم رواية « ما بين عير وأحد » وان كانت الاولى أصح سندًا . وقال بعضهم ثور الذي يحد المدينة وراء أحد الى الشمال وهو مدور ولونه الى الحمرة . فالظاهر انه جبل صغير ثلثه بعض الناس جزءا من أحد

وآثار السلف التي تدحض هذه الشبهات ، وأن يبينوا للناس ان كل بدعة حدثت في الاسلام قد موهت بمثل هذا التويه ، وادعى محدثوها أنهم يخدمون بها الدين ، كما بينه الامام الشاطبي في كتاب الاعتصام
وانني انقل هنا اثرا واحدا من آثار السلف الصالح في التوقي من احداث شيء في مسجد الرسول (ص) او مدينته حذرا من لعنته . نقل الشاطبي في بيان كون المبتدع ملعونا ما يأتي :

« قال ابو مصعب صاحب مالک : قدم علينا ابن مهدي - يعني المدينة - نصلي ووضع رداءه بين يدي الصف ، فلما سلم الامام رمة -ه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا - وكان قد صلى خلف الامام - فلما سلم قال : من هاهنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان ، فقال : خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه . فحبس . فقبل له : انه ابن مهدي (١) فوجه اليه وقال له : أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر اليه ، وأحدثت في مسجدنا شيئا ما كنا نعرفه ؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فبكى ابن مهدي ، وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبدا في مسجد النبي (ص) ولا في غيره .

(قال الشاطبي) وهذا غاية في التوقي والتحفظ في ترك احداث ما لم يكن خوقا من تلك اللعنة ، فما ظنك بما سوى وضع الثوب ؟ اه (ونقول) فما ظنك ببدعة وحدث في حجرة الرسول {ص} يتبعها الكذب عليه ، وأكل أموال الناس باسمه ، والزيادة في الدين الذي جاء به ، ولو لم يكن في ذلك من الزيادة في الدين إلا إحداث قرينة جديدة وعبادة مخترة هي التقرب الى الله تعالى والى رسوله (ص) بكتابة اسماء الناس في دفتر هنالك لكفى ، فان قالوا اننا لانعده قرينة ولا سببا للثواب . قلنا اذا هو غش واحتيال ، لأجل سلب الاموال ، فان من يعلم ان كتابة اسمه لا تقربه الى الله ورسوله ، لا يدفع المال لأجلها . . . هذا ولولا الاخلاص في النصيحة لله ولرسوله وللدولة لما كتبت هذا قبل إحداث هذا الحدث المقترح ، والله عليم خبير

(١) هو عبد الرحمن بن مهدي الشهير بالصلاح والعلم والعمل ، كان يختم القرآن كل ليلة ويتعبد بنصفه . لهذا كان قولهم للامام مالک « هذا ابن مهدي » سببا لمبادرته الى اخراجه من الحبس لعله أن كلمة حق واحدة تؤثر في نفسه ، ما لا يؤثر الحبس الطويل في نفس غيره .

﴿ انتقاد أجوبة المنار لمن سأل عن حكم الحج ﴾

كتب الينا غير واحد من البحريين أن الذي سألنا عن حكم الحج واسرار المناسك لم يكن يريد الحج هو وأصحابه ، وما أسئلتهم تلك الا مظهر ما في نفوسهم من الاعتراض على الدين وعدم الاذعان لأحكامه ، وانه ما كان ينبغي ان يجابوا الا أن يقال لهم: هذا ديننا فان كنتم من أهله فأقيموا أركانه وأدوا فرائضه ، والا فالزموا شأنكم .

هذا معنى ما كتب الينا ، وصرحوا بأن سبب سوء اعتقادهم في السائل ومن على شاكلته أنهم قد تعلموا في مدرسة دعاة النصرانية { المبشرين } فأزاعوا عقائدهم أما نحن فنقول ان الاسئلة التي أرسلت اليها تدل على أن السائل قد عرضت له شبهات في هذه العبادة (الحج) فهو إما حريص على دينه يسأل العلماء ليأخذ عنهم ما يدفعها بها ليكون على بصيرة من دينه ، وإما معجز أو شاك يختبر علماء المسلمين ليرى ما عندهم ، حتى اذا عجزوا عن بيان حكم هذه المناسك عذر نفسه ، واطمأن بما عنده . والواجب علينا ان نغلب حسن الظن ما وجدنا له منفذا ، وان نحيب طالب العلم مهما كان قصده ، فان كان مؤمنا ازداد ببيان حكمة الدين إيمانا ، وان كان شاكاً أو زائفا يوشك ان يعود الى الرشده ، ويطمئن بما ظهر له من الحق . ولا ينبغي لنا ان نتهم أحدا في دينه بالشبهة ، ولا أن ندع من يشككم دعاة النصرانية في الحق وشأنهم ، بل ينبغي لنا ان نجذبهم اليها ، اذا هم أعرضوا عنا وتركوا سؤالنا . فاذا ترك الحق الباطل يصول بشبهاته على أحداث المسلمين ، يرقون كلهم من الدين .

واذا كان بعض أهل البحريين يعلمون مبلغ افساد دعاة النصرانية في بلدهم ، فلماذا لا يحذرون الغافلين من ارسال أولادهم الى مدارسهم ، ويعتقونهم عنها بمدرسة اسلامية ينشئونهم فيها ، يعلمونهم فيها من علوم المعاش ما يعلمهم هؤلاء المفسدون ، ويزيدون عليهم تعليم عقائد الاسلام وأحكامه وحكمه وآدابه وتاريخه بدلا من النصرانية وشؤون أهلها ؟ الا يعلمون أنهم بترك معارضة هؤلاء المخاريين لدينهم آثمون كلهم ؟ وان هذا الأثم لا يزول الا بانشاء مدرسة ينقذون فيها أولادهم من مدرسة دعاة النصرانية التي ستلقي العداوة بينهم وبين أولادهم وتقطع صلتهم بهم في الدنيا والآخرة ؟؟ وعسى أن يعتبر بهذا من يدعون في حضرموت وغيرها من أطراف جزيرة العرب الى جعل بلادهم للانكليز أو تحت حمايتهم ، ويفطنوا لما في ذلك من الخطر على دينهم

يُحْمَرُ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَلْبِغُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ

الْمَلِكُ
١٣١٥

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

﴿ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ لِلْإِسْلَامِ صَوِي وَ « مَنْارًا » كُنَّارَ الطَّرِيقِ ﴾

مصر سلخ صفر ١٣٣٢ هـ ق ٧ الشتاء الثاني ١٢٩٢ هـ ش ٢٦ يناير ١٩١٤

فَتَاوَى الْمُنَافِقِينَ

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ولشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمزاً بما قدمنا من آخر السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبتنا غير مشترك لمثل هذا، وان مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الموالد بدعة أم سنة ﴾

(س ١) من صاحب الامضاء في فليمنغ (سومطرة)

من فليمنغ الى القاهرة في ٢٥ المحرم عام ١٣٣٢

جناب الاستاذ مرشد الامة ورشيدها سيدي محمد رشيد رضا ادام المولى وجوده . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ارجو من فضلكم اجابة السؤال الآتي على صفحات المنار . ما قول سيدي في قراءة القصص المسماة بالموالد هل هي سنة أم بدعة ؟ ومن اول من فعل ذلك ؟ واي الموالد المتداولة بين ايدينا اخرى بالقراءة يا حسن ؟ فان كثيرين من رجال المناصب يزعمون ان مولد الديبعي هو امثل الموالد وافضلها وان روح النبي صلى الله عليه وسلم تحضر عند قراءته خلافا للموالد الاخرى . ارجو ان تتفضل بازالة الاشكال والجواب على هذا السؤال ولكم الفضل اولا وآخرا ودمتم والسلام (طالب الدعا منكم السيد عقيل بن عبدالله بن عقيل الحبشي)

{ج} هذه الموالد بدعة بلا نزاع ، وأول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد النبوي احد ملوك الشراكسة بمصر . وقد شرحنا ما في هذه الاحتفالات التي يسمونها الموالد بمصر في مجلد السنة الاولى من المنار ثم في غيره من المجلدات . ولم نطلع على قصة من قصص المولد النبوي الشريف الا ورأينا فيها كثيرا من الاخبار الموضوعة . حتى جمع صديقنا عالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي من كتب الصحاح والسنن اصح وامثل ما ورد في ذلك و (شذرة من السيرة النبوية) وقد طبع في مطبعتنا وصار محبوب السنة ومبغضو البدعة يستغنون به عن تلك القصص المشحونة بالموضوعات والا كاذيب التي يؤثرها الجهال زعماء منهم انها اكثر تعظيما للنبي (ص) وقد اغناه الله تعالى بفضله العظيم عليه عن تعظيم غيره له بالكذب في سيرته . ولم نطلع على مولد الديبعي . فان كان هو المحدث المشهور فالمرجو ان يكون ما كتبه خاليا عن الموضوعات ، وان لم يخل من الضعاف التي يتساحون بها في ذكر المناقب .

﴿ قراءة البخاري لطلب النصر في الحرب ﴾

(س ٢) من علي أفندي مهيب (بديوان عموم التلغرافات) بتصر (تاخر)

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد قرأت في الجرائد في الايام الاولى للحرب الحاضرة بين الدولة العلية ودول البلقان ان صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر كلف حضرات العلماء بقراءة البخاري امام القبلة طلباً للنصر من الله سبحانه . فهل ورد شيء عن قراءة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم اثناء الحرب طلباً للنصر ؟ ولماذا لم يقرأ كلام الله سبحانه بالاولى اذا كانت التلاوة تغني عن العمل ؟ أرجو الافادة على صفحات المنار الاغر ولحضرتكم جزيل الشكر

(ج) جاءنا هذا السؤال في اثناء الحرب الاخيرة فوضعه بين الاسئلة الكثيرة ولم يتفق وقوعه بيدنا الا الآن . وموضوعه يتكرر عند الحرب وغير الحرب من المصائب كالوباء والقحط . والجواب انه لا يعقل أن يكون قد ورد في الكتاب أو السنة أمر أو ترغيب بقراءة أحاديث الرسول (ص) لطلب النصر أو رفع المصائب ولا أن يكون ذلك معروفاً في الصدر الاول . فان الاحاديث لم تكن مدونة في زمن الخلفاء الراشدين (رض) وانما دونت في زمن التابعين ، وأول من أمر بجمعها ونشرها عمر بن عبد العزيز (رض) ولم يكن التابعون ولا تابعو التابعين يقرءونها لتكون قراءتها سبباً للنصر . وانما فعل ذلك المتأخرون ولا أدري في أي زمن أحدثوا ذلك ، وما أظن ان أحداً من أهل العلم يقول ان هذا سنة أو مأمور به شرعاً ، ولعل أقوى ما يمكن أن يقولوه في سببه : اننا نجتمع للدعاء ونقرأ قبل الدعاء طائفة من أحاديث الرسول (ص) لما يرجى من تأثيرها في حضور القلب ، والخشوع للرب ، الذي يرجى أن يكون سبباً لاستجابة الدعاء . وعلى هذا يتجه السؤال الثاني وهو « لماذا لا يقرأ كلام الله سبحانه »

وما أظن ان أحداً من أهل العلم يقول ان قراءة الحديث أو القرآن في المساجد بنية نصر الحار بين سبب لنصر الحار بين في ميدان القتال ، وقد بين الله تعالى أسباب النصر في كتابه وأمر بها وأهمها اعداد ما استطاع من القوة في كل زمن والثبات وذكر الحار بين لله تعالى في تلويهم عند لقاء العدو ، كذكر وعده بأحدى الحسينين وثوابه للشهداء ، وبألسنتهم كالتكبير فانه يعلي الهمة ويقوي الامل والرجاء . وقد بينا ذلك بالتفصيل غير مرة . وقد ظهر المشركون على المسلمين في أحد وحنين والنبي (ص) معهم وأنزل الله تعالى في أحد (أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم) فراجع تفسيرها في المنار أو في الجزء الخامس من التفسير، ان شئت زيادة الايضاح والتفصيل .

التصوف الاسلامي الصحيح

(فصل من كتاب مدارج السالكين ، بين منازل « إياك نعبد وإياك نستعين »)

للامام العلامة الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى

في مشاهد الخلق في المعصية وهي ثلاثة عشر مشهداً (١) : مشهد الحيوانية وقضاء الشهوة - ومشهد اقتضاء رسوم الطبيعة ولو ازم الخلقة - ومشهد الجبر - ومشهد القدر - ومشهد الحكمة - ومشهد التوفيق والخذلان - ومشهد التوحيد - ومشهد الاسماء والصفات - ومشهد الايمان وتعدد شواهده - ومشهد الرحمة - ومشهد المعجز والضعف - ومشهد الذل والافتقار - ومشهد المحبة والعبودية . فالاربعة الاول المنحرفين ، والثمانية البواقى لاهل الاستقامة . واعلاها المشهد العاشر . وهذا الفصل من أجل فصول الكتاب وأنفعها لكل أحد ، وهو حقيق بأن تثني عليه الغناصر ، ولعلك لا تطفر به في كتاب سواه ، الا ما ذكرناه في كتابنا المسمى بسفر المهجرتين ، في طريق السعاداتين

﴿ فصل ﴾

فأما (مشهد الحيوانية وقضاء الشهوة) فمشهد الجهال ، الذين لا فرق بينهم وبين سائر الحيوان الا في اعتدال القامة ونطق اللسان ، ليس همهم الا مجرد نيل الشهوة بأي طريق أفضت اليها . فهؤلاء نفوسهم نفوس حيوانية ، لم تترق عنها الى درجة الانسانية ، فضلاً عن درجة الملائكة . فهؤلاء حالهم اخس من ان تذكر ، وهم في

{١} المعنى المراد من لفظ المشهد هو ما يغلب على اعتقاد الانسان أو وجدانه وشعوره في معصيته أو معصية غيره ، ومثله كل عامل في عمله ، ويعبر به عن الناس الآن عن مثل هذا المعنى بالملاحظة . فيقال علي عرفهم : إن العامي الجاهل لا يلاحظ في المعصية الا إرضاء شهوته . ولكن الطبيب الجاهل يلاحظ معنى آخر مع قصد الشهوة وهو أن هذا العمل من الوظائف الطبيعية لبعض أعضاء الجسم . وعلى ذلك فقس

أحوالهم ، متفاوتون بحسب تفاوت الحيوانات التي هم على أخلاقها وطبائعها
(فمنهم) من نفسه كلبية أو صادف جيفة تشبع ألف كلب أوقع عليها وحماها من
سائر الكلاب ، ونبح كل كلب يدنو منها ، فلا تقربها الكلاب إلا على كره منه
وغلبة ، ولا يسمح لكاتب بشيء منها ، وهمه شبع بطنه من أي طعام اتفق : ميتة
أو مذكي ، خبيث أو طيب . ولا يستحي من قبيح ، أن تحمل عليه يلمث أو تتركه
يلمث ، أن اطعمته بصيص بذنبه ودار حولك ، وإن منعه هرك ونبحك .
(ومنهم) من نفسه حمارية لم تخلق إلا للكد والكد ، كلما زيد في علفه
زيد في كرده ، أبكم الحيوان وأقله بصيرة . ولهذا مثل الله سبحانه وتعالى به من
حملة كتابه فلم يعرفه معرفة ولا فقها ولا عملاء ومثل بالكاتب عالم السوء الذي آذاه الله
آياته فانسأخ منها وأخذ إلى الأرض وأتبع هواه . وفي هذين المثليين استمرار عظيمة
ليس هذا موضع ذكرها .

(ومنهم) من نفسه سبعة غضبية همته العدوان على الناس وقهرهم بما وصات
إليه قدرته ، طبيعته تنقضي ذلك كتنقضي طبيعة السبع لما يصدر منه .
(ومنهم) من نفسه فارية ، فاسق بطبعه ، مفسد لما جاوره ، تسبيحه بلسان الحال :
سبحان من خلقه للفساد .

(ومنهم) من نفسه على نفوس ذوات السموم والحماة ، كالحية والعقرب
وغيرها ، وهذا الضرب هو الذي يؤذي بعينه فيدخل الرجل القبر ، والجل القدر ،
والعين وحدها لم تفعل شيئاً وإنما النفس الخبيثة السمية تكيفت بكيفية غضبية مع
شدة حسد وأعجاب ، وقابلت الممين على غرة منه وغفلة ، وهو أعزل من سلاحه ،
فلدغته ، كالحية التي تنظر إلى موضع مكشوف من بدن الإنسان فتشه ، فإذا عطب
وإما أذى . ولهذا لا يتوقف أذى العائن على الرؤية والمشاهدة ، بل إذا وصف له
الشيء الغائب عنه وصل إليه إذا . والذنب لجل الممين وغفلته وغرته عن حمل
سلاحه كل وقت . فالعائن لا يؤثر في شاكى السلاح ، كالحية إذا قابلت درعا
سابقاً على جميع البدن ليس فيه موضع مكشوف ، فحق على من أراد حفظ نفسه
وحمايتها أن لا يزال متدرعا متحصناً ، لا بسا أداة الحرب ، مواظباً على أوراد التعوذات

والتحصينات النبوية التي في السنة والتي في القرآن (١) .

وعلى هذا الشبه اعتماد أهل التعبير للرؤيا في رؤية هذه الحيوانات في المنام عند الانسان وفي داره أو أنها تحارب به . وهو كما اعتدوه . وقد وقع لنا وانبرنا من ذلك في المنام وقائع كثيرة . فكان تأويلها مطابقا لأقوام على طباع تلك الحيوانات . وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في قصة أحد بقراتنحر ، فكان ما أصيب من المؤمنين بنحر الكفار ، فإن البقر أنفع الحيوان للارض وبها صلاحها وفلاحها مع ما فيها من السكينة والمنافع والنذل (بكسر الذال) فأنها ذلول مذلة منقادة غيرأية ، والجواميس كبارهم ورؤساؤهم (٢) ورأى عمر بن الخطاب كأن ديكاً نقره ثلاث نقرات ، فكان طمن أبي أوأوة اه . والديك رجل أعجمي شرير .

ومن الناس من طبعه طبع خنزير يمر بالطيبات فلا يلوى عليها ، فاذا قام الانسان عن رجليه قمه . وهكذا كثير من الناس يسمع منك ويرى من المحاسن أضاف أضاف المساوي ، فلا يحفظها ولا ينتقاها ولا تناسبه ، فاذا رأى سقطة أو كلمة عوراء وجد بغيته وما يناسبها فجماها فأكتمه ونقله

(ومنهم) من هو على طبيعة الطاووس ليس له الا ان يتلوى والتزين بالريش وما به ، ذلك شيء (ومنهم) من هو على طبيعة الجمل أحقد الحيوان وأغظه كيدا (ومنهم) من هو على طبيعة الدب أبكم خبيث ، وعلى طبيعة القرد (٣)

أحمد طبائع الحيوانات طبائع الخيل التي هي أشرف الحيوانات نفوسا وأكرما طبعا ، وكذلك الغنم ، وكل من ألف ضربا من ضروب هذه الحيوانات اكتسب من طبيعته وخلقه ، فإن تغذى بلحمه كان الشبه أقوى . فإن الغاذي شبيهه بالمغتذي (٤) . ولهذا حرم الله أكل لحوم السباع وجوارح الطير لما يورث آكله (٥) من شبهه

{١} حذقنا من هذا الموضع بحثا وجيزا في عقاب من ثبت انه يؤدي بغيته ، وانه ان قتل بالعين لا يقتل بالسيف لان الجزء من جنس العمل

{٢} أي كبار الناس النافعين ورؤساؤهم . أي تعتبر رؤيتها في المنام بذلك

{٣} أي في إفساد كل ما تصل اليه يده (٤) وفي نسخة « المتغذي »

{٥} وفي نسخة « أكلا »

نفوسها بها والله أعلم . والمقصود أن أصحاب هذا المشهد ليس لهم شهود سوى ميل نفوسهم وشهواتهم لا يعرفون ما وراء ذلك ألبتة

﴿ فصل ﴾

(المشهد الثاني مشهد رسوم الطبيعة واوازم الخلقة)

كشهد زنادقة الفلاسفة والأطباء الذين يشهدون أن ذلك من اوازم الخلقة والطبيعة الانسانية ، وأن تركيب الانسان من الطبائع الاربع وامتزاجها واختلاطها كما يقتضي بغي بعضها على بعض وخروجه عن الاعتدال بحسب اختلاف هذه الاخلاط ، فكذلك تركيبه من البدن والنفس والطبيعة والاخلاط الحيوانية يتقاضاه اثر هذه الخلقة ورسوم تلك الطبيعة ، ولا تنقهر الا بقاهر إما من نفسه وإما من خارج عنه . وأكثر النوع الانساني ليس له قاهر من نفسه ، فاحتياجه الى قاهر فوقه يدخله تحت سياسة وإيالة ينتظم بها أمره ضرورة (١) كحاجته الى مصالحه من الطعام والشراب واللباس . وعند هؤلاء أن العاقل متى كان له وازع من نفسه قاهر لم يحتاج الى أمر غيره ونهيه وضبطه (٢) . فشهد هؤلاء من حركات النفس الاختيارية الموجبة للجنيات ، كشهدهم من حركات الطبيعة الاضطرارية الموجبة للتغيرات (٣) وليس لهم مشهد وراء ذلك .

﴿ فصل ﴾

(المشهد الثالث مشهد أصحاب الجبر)

وهم الذين يشهدون أنهم مجبورون على أفعالهم ، وإنها واقعة بغير قدرتهم ، بل لا يشهدون أنها أفعالهم البتة . ويقولون : إن أحدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر ، وإن الفاعل فيه غيره والمحرك له سواه ، وأنه آلة محضنة ، وحركاته بمنزلة هبوب الرياح وحركات الاشجار . وهؤلاء إذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر وحملوا ذنوبهم عليه ، وقد يغفلون في ذلك حتى يروا أفعالهم كلها طاعات خيرها وشرها ،

(١) كان الظاهر أي يقال « ضروري » لأنه خبر قوله فاحتياجه

(٢) كذا (٣) وفي نسخة التغيرات

لموافقتها المشيئة والقدر . ويقولون : كما أن موافقة الامر طاعة ، فوافقه المشيئة طاعة . كما حكى الله تعالى عن المشركين إخوانهم أنهم جعلوا مشيئة الله تعالى لأفعالهم دليلا على أمره بها ورضاه .

وهؤلاء شر من القدرية النفاة ، وأشدّ عداوة لله ، ومناقضة لكتبه ورسوله ودينه ، حتى أن من هؤلاء من يعتذر عن إبليس ويتوجع له ويقيم عذره بجهد ، وينسب ربه تعالى إلى ظلمه بلسان الحال والمقال ، ويقول : ما ذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالقه ؟ وقد وافق حكمه ومشيئته فيه وأرادته منه ؟ ثم كيف يمكنه السجود وهو الذي منه وحال بينه وبينه ؟ وهل كان في ترك السجود لغير الله إلا محسنا ؟ ولكن :

إذا كان المحب قليل حفظ فما حسناته إلا ذنوب

وهؤلاء أعداء الله حقا ، وأولياء إبليس وأحباؤه وإخوانه . وإذا نأح منهم نأح على إبليس رأيت من البكاء والحنين أمرا عجيبا ، ورأيت من تظلم الاقدار ، واتهام الجبار ، ما يبدو على فلتات ألسنتهم وصفحات وجوههم ، وتسمع من أحدهم من التظلم والتوجع ما تسمعه من الخصم المغلوب العاجز عن خصمه . فهؤلاء هم الذين قال فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية في تائيته :

ويدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طرا فرقة القدرية

﴿ فصل ﴾

(المشهد الرابع مشهد القدرية النفاة)

ويشهدون أن هذه الجنايات والذنوب هم الذين أحدثوها ، وأنها واقعة بمشيئتهم دون مشيئة الله تعالى ، وأن الله لم يقدر ذلك عليهم ولم يكتبه ولا شاءه ولا خلق أفعالهم ، وأنه لا يقدر أن يهدي أحدا ولا يضلّه إلا بمجرد البيان ، لا أنه ياهمه الهدى والضلال ، والفجور والتقوى ، فيجعل ذلك في قلبه . ويشهدون أنه يكون في ملك الله ما لا يشاؤه ، وأنه يشاء ما لا يكون ، وأن العباد خالقون لأفعالهم بدون مشيئة الله . فالمعاصي والذنوب خلقهم وموجب مشيئتهم ، لا أنها خلق الله

ولا تتعلق بمشيئته . وهم لذلك مبخوسو الحظ جدا من الاستعانة بالله والتوكل عليه والاعتصام به ، وسؤاله ان يهديهم ، وان يثبت قلوبهم وان لا يزيغها ، وأن يوفقهم لمرضاة ويحببهم معصيته . اذ هذا كله واقع بهم وعين أفعالهم لا يدخل تحت مشيئة الرب . والشيطان قد رضي منهم بهذا القدر ، فلا يؤزهم إلى المعاصي ذلك الأثر ، ولا يزعجهم اليها ذلك الإزعاج . وله في ذلك غرضان مهمان (أحدهما) ان يقرر في قلوبهم صحة هذا المشهد وهذه العقيدة ، وأنكم تاركون الذنوب (١) والكبائر التي تقع فيها أهل السنة . فدل على أن الامر مفوض اليكم واقع بكم ، وأنكم العاصون لانفسكم المانعون لها من المعصية (الغرض الثاني) أنه يصطاد على أيديهم الجاهل ، فاذا رأوهم أهل عبادة وزهادة وتورع عن المعاصي وتمظيم لها قالوا : هؤلاء هم أهل الحق . والبدعة آثر عنده واحب اليه من المعصية ، فاذا ظفر بها منهم ، واصطاد الجاهل على أيديهم ، كيف يأمرهم بالمعصية ؟ بل ينهاهم عنها ويقبحها في أعينهم وقلوبهم ، ولا يكشف هذه الحقائق الا ارباب البصائر .

﴿ فصل ﴾

(المشهد الخامس وهو احد مشاهد اهل الاستقامة : مشهد الحكمة)
وهو مشهد حكمة الله في تقديره على عبده ما يفضيه سبحانه ويكرمه ، ويلوم ويماقب عليه ، وانه لو شاء لعصمه منه ، ولحال بينه وبينه ، وانه سبحانه لا يمهي قسرا ، وانه لا يكون في العالم شيء الا بمشيئته (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

وهؤلاء يشهدون ان الله سبحانه لم يخلق شيئا عبثا ولا سدى ، وانه له الحكمة البالغة في كل ما قدره وقضاه من خير وشر ، وطاعة ومعصية ، وحكمة باهرة تعجز العقول عن الاحاطة بكنهها ، وتكمل الالسن عن التعبير عنها ، فصدر قضائه وقدره لما يفضيه ويسخطه اسمه الحكيم الذي بهرت حكمته الالباب ، وقد قال تعالى ملائكته لما قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فاجابهم سبحانه بقوله (اني اعلم ما لا تعلمون) فله سبحانه في ظهور المعاصي (١) وفي نسخة « تاركو الذنوب »

والذنوب والجرائم وترتب آثارها من الآيات والحكم ، وأنواع التعريفات الى خلقه ،
وتنوير آياته ، ودلائل ربوبيته ووحدانيته ، وإلهيته وحكمته وعزته ، وتأم ملكه وكال
قدرته ، وإحاطة علمه ، ما يشهد أولو البصائر عيانا ببصائر قلوبهم ، فيقولون (ربنا
ما خلقت هذا باطلا سبحانه) ان هي الا حكمة الباهرة وآياتك الظاهرة

ولله في كل تحريكة وتسكينة ابدا شاهد

وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد

فكم من آية في الارض بينة دالة على الله وعلى صدق رسله وعلى ان لقاءه
حق ، كان سببها معاصي بني آدم وذنوبهم ، كمايته في اغراق قوم نوح ، وغلو الماء على
رؤوس الجبال ، حتى اغرق جميع اهل الارض ، ونجى اوليائه واهل معرفته وتوحيده .
فكم في ذلك من آية وعبرة ، ودلالة باقية على ممر الدهور ، وكذلك إهلاك قوم
عاد وثمود . وكم له من آية في فرعون وقومه من حين بعث موسى اليهم ، الى قبل مبعثه
الى حين إغراقهم ، لولا معاصيهم وكفرهم لم تظهر تلك الآيات والمعجائب . وفي
التوراة ان الله تعالى قال لموسى : اذهب الى فرعون فاني سأقسي قلبه وامنع عن (١)
الايان لاظهر آياتي ومعجائبي بمصر . وكذلك فهل سبحانه فاعلم من آياته ومعجائبه
بسبب ذنوب فرعون وقومه ما اظهر . وكذلك اظاره سبحانه ما اظهر من جعل
النار بردا وسلافا على ابراهيم ، بسبب ذنوب قومه ومعاصيهم ، وإلقاءهم له في النار ،
حتى صارت تلك آية ، وحتى نال ابراهيم ما نال من كمال الخلقة .

وكذلك ما حصل للرسل من الكرامة والمنزلة والرافى عند الله والوجاهة عنده
بسبب صبرهم على اذى قومهم وعلى محاربتهم لم ومعاداتهم . وكذلك اتخذ الله
تعالى الشهداء والاولياء والاصفياء من بني آدم ، بسبب صبرهم على اذى بني آدم
من اهل المعاصي والظلم ومجاهدتهم في الله ، ونحوهم لأجله من أعدائه ما هو بعينه
وعلمه ، واستحقاقهم بذلك رفعة الدرجات . - الى غير ذلك من المصالح والحكم
التي وجدت بسبب ظهور المعاصي والجرائم ، وكان من سببها تقدير ما يفيضه الله
وبسخطة ، وكان ذلك محض الحكمة ، لما يترتب عليه مما هو أحب اليه وأثر عنده

١٢٠ الحكمة في معصية آدم وما ترتب عليها من الخير (المنار - ج ٢ م ١٧)

من فوته بتقدير عدم المعصية . فحصل هذا المحبوب العظيم ، احب اليه من فوات ذلك المبغوض المسخوط ، فان فواته وعدمه وان كانت محبوبا له لكن حصول هذا المحبوب الذي لم يكن يحصل بدون وجود ذلك المبغوض احب اليه ، وفوات هذا المحبوب ، اكره اليه من فوات ذلك المكروه المسخوط ، وكما لحكمته تقتضي حصول احب الامرين اليه بفوات ادنى المحبوبين ، وان لا يعطل هذا الاحب بتعطيل ذلك المكروه . وفرض الذهن وجود هذا بدون هذا ، كفرضه وجود المسببات بدون اسبابها ، والملزومات بدون لوازمها ، مما تمنه حكمة الله وكما قدرته ورؤيته .

ويكفي من هذا مثال واحد وهو انه اولا المعصية من ابي البشر باكله من الشجرة لما ترتب على ذلك ما ترتب من وجود هذه المحبوبات العظام للرب تعالى ، من امتحان خلقه وتكليفهم ، وارسال رساله ، وانزال كتبه ، واظهار آياته وعجائبه ، وتنويعها وتصنيفها ، واكرام اوليائه ، واهانة أعدائه ، وظهور عدله وفضله وعزته وانتقامه ، وعفوه ومغفرته ، وصفحه وحلمه ، وظهور من يعبدونه ويحبونه ويقوم بمراضيه بين أعدائه في دار الابتلاء والامتحان . فلو قدر أن آدم لم يأكل من الشجرة ولم يخرج من الجنة هو وأولاده ، لم يكن شيء من تلك ، ولا ظهر من القوة الى الفعل ما كان كامنا في قلب ابليس بعلامه الله ولا تعلمه الملائكة ، ولم يتميز خبيث الخلق من طيبه ، ولم تتم المملكة حيث لم يكن هناك إكرام وثواب ، وعقوبة واهانة ، ودار سعادة وفضل ، ودار شقاوة وعدل .

وكم في تسليط أوليائه على أعدائه ، وتسليط أعدائه على أوليائه ، والجمع بينهما في دار واحدة ، وابتلاء بعضهم ببعض ، من حكمة بالغة ، ونعمة سائغة ؟ وكم في طيها من حصول محبوب للرب ، وحمد له من أهل سمواته وارضه ، وخضوع له وتذلل ، وتعبد وخشية وافئدة اليه ، وانكسار بين يديه ؟ أن لا يجالهم من أعدائه ، إذ هم يشاهدونهم ويشاهدون خذلان الله لهم ، واعراضه عنهم ، ومقتله لهم ، وما أعد لهم من العذاب . وكل ذلك بمشيئته وإرادته ، وتصرفه في مملكته ، فأوليائه من خشية خذلانه خاضعون مشفقون ، على أشد وجل وأعظم مخافة وأتم انكسار . فاذا رأت

(المنار - ج ٢ م ١٧) معنى القدر وكونه ليس بالجبر ولا بالخلق المستأنف ١٢١

الملائكة إبليس وما جرى له ، وهاروت وماروت ، وضمت رؤوسها بين يدي الرب
مخضوعاً لمظمته ، واستكانة لعزته ، وخشية من إبعاده وطرده ، وتذلاً لهيبته ،
واقتراراً إلى عصيته ورحمته ، وعلمت بذلك منته عليهم ، واحسانه اليهم ، وتخصيصه
لهم بفضله وكرامته .

وكذلك أولياؤه المتقون ، إذا شاهدوا أحوال أعدائه ومقته لهم ، وغضبه
عليهم ، وخذلانه لهم ، ازدادوا له خضوعاً وذلاً ، واقتراراً وانكساراً ، وبه استعانة ،
واليه إنابة ، وعليه توكل ، وفيه رغبة ، ومنه رهبة ، وعلموا أنهم لا ملجأ لهم منه إلا
إليه ، وأنهم لا يعيدهم من بأسه إلا هو ، ولا ينجيهم من سخطه إلا مرضاته ،
فالفضل بيده أولاً وآخره

وهذه قطرة من بحر حكمته المحيطة بخلقه . والبصير يطالع بصيرته ما وراءه
فيطالع على عجائب من حكمته لا تبلغها العبارة ، ولا تنالها الصفة . وأما حفظ العبد في
نفسه وما يخصه من شهود هذه الحكمة فيحسب استعداداً وقوة بصيرته ، وكمال علمه
ومعرفته بالله وأسمائه وصفاته ، ومعرفته بحقوق اليهودية والربوبية ، وكل مؤمن له
من ذلك شرب معلوم ، وغمام لا يعمده ولا يتخطاه (١)

(١) بقي من بيان حكمة الله تعالى في تقدير الكفر والمعاصي كلمة ضرورية لا يتم
بدونها . وهي معنى ذلك التقدير ، وكونه لا دلالة فيه ولا اقتضاء للجبر والاكراه على
الفعل . وذلك أنه تعالى خالق الناس مختاراً في أفعالهم ، يمولونها بإرادتهم ، حسب علمهم
أو ظنهم بأن فعل كذا أو تركه خير لهم . فكل عمل من أعمالهم حلقة من سلسلة
الأسباب والمسببات قبله حلقة الاختيار ، وهذا الترتيب هو التقدير ، فالقدر جعل
المسببات على قدر الأسباب ، وانتظام الجميع في سلسلة واحدة . وضده الخلق الأنف
الذي هو مذهب القدرية . ومعناه أن الله تعالى يخلق كل شيء يقع في السكون ابتداءً
واستئنافاً لا يكون شيء من الحوادث مبني على تقدير ونظام سابق ، تكون فيه
الأسباب على قدر المسببات ، والنتائج أثراً لترتيب المقدمات . فكل مخلوق له علم وإرادة
واختيار يطيع أو يعصي باختياره الذي هو من قدر الله ، ولا يخلق الله كل عمل يصدر
منه خلقاً مستأنفاً كما يزعم منكرو القدر العميان . وله في هذا التقدير حكم كثيرة
أشار المصنف إلى طائفة منها ، والله عليم حكيم

﴿ فصل ﴾

(المشهد السادس مشهد التوحيد)

وهو أن يشهد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا تتحرك ذرة الا بإذنه ، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته ، وأنه ما من قلب الا وهو بين أصابعه ، إن شاء أن يقيمه أقام ، وإن شاء أن يزيغه ازاعه . فالقلوب بيده وهو مقابها ويصرفها كيف شاء وكيف اراد ، وأنه هو الذي آتى نفوس المؤمنين نقواها ، وهو الذي هداها وزكاها ، وألهم نفوس الفجار فجورها وأشققاها « من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له » يهدي من يشاء بفضله ورحمته ، ويضل من يشاء بعذله وحكمته . هذا فضله وعطاؤه وما فضل الكريم بممنون (١) وهذا عدله وقضاؤه (لا يستل عتبا يقتل وهم يستلون) قال ابن عباس : الايمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده ، ومن آمن بالقدر صدق إيمانه توحيده : وفي هذا المشهد يتحقق للعبد مقام (إياك نعبد وإياك نستعين) علما وحالا ، فيثبت قدم العبد في توحيده (٢) الربوبية ، ثم يرقى منه صاعدا الى توحيد الألهيّة ، فانه اذا تيقن أن الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والهدى والضلال ، والسعادة والشقاء ، كل ذلك بيد الله لا بيد غيره ، وأنه الذي يقاب القلوب ويصرفها كيف يشاء ، وأنه لا موثّق الا من وقفه وأعانه ، ولا مخذول الا من خذله وأهانته ونحلي عنه ، وان اصح القلوب وأسلمها وأقومها ، وأرقها وأصفها ، وأشدّها وألينها ، من اتخذها وحده إلهًا ومعبودا ، فكان أحب اليه من كل ماسواه ، واخوف عنده من كل ماسواه ، وأرجى له من كل ماسواه ، فتتقدم محبته في قلبه جميع المحاب ، فتتساق المحاب تبعا لها كما يتساق الجيش تبعا للسلطان ، ويتقدم خوفه في قلبه جميع المخوفات ، فتتساق المخاوف كلها تبعا لخوفه ، ويتقدم رجاؤه في قلبه جميع الرجاء ، فيتساق كل رجاء تبعا لرجائه .

(١) وفي نسخة بزيادة « اي مقطوع » وهو تفسير لممنون {٢} وفي نسخة

« توحيد » بدون هاء

فهذا علامة توحيد الإلهية في هذا القلب ، والباب الذي دخل اليه منه توحيد الربوبية ، أي باب توحيد الإلهية توحيد الربوبية (١) فإن أول ما يتعلق القلب (٢) بتوحيد الربوبية ثم يرتقي الى توحيد الإلهية ، كما يدعو سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد الى النوع الآخر ، ويحتج عليهم به ، ويقررهم به ، ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية .

وفي هذا المشهد يتحقق له مقام (إياك نعبد) قال الله تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ: الله . فأنى يؤفكون؟) أي فمن أين بصرفون عن شهادة ان لا اله الا الله ، وعن عبادته وحده ، وهم يشهدون انه لا رب غيره ولا خالق سواه (٣) وكذلك قوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟) سيقولون: الله . قل أفلا تذكرون؟ فتعلمون أنه اذا كان وحده مالك الأرض ومن فيها ، وخالفهم وربهم ومليكهم ، فهو وحده الههم ومعبودهم ، فكما لا رب لهم غيره ، فكذا لا إله لهم سواه (قل لمن رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟) سيقولون: الله . قل: أفلا لتقون؟ قل: من يملك كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه؟) - الآيات . وهكذا قوله في سورة النمل (قل: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، الله خير أمّا يشركون؟ أمّئن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم ان تُنبِتوا شجرها؟ إله مع الله؟ بل هم قوم خصمون) الى آخر الآيات . يحتج عليهم بأن من فعل هذا وحده ، فهو الإله وحده ، فإن كان معه رب فعل هذا فينبغي أن تعبدوه ، وان لم يكن معه رب فعل هذا فكيف تجعلون معه إلهاً آخر؟

ولهذا كان الصحيح من القوانين في تقدير الآية «أوله مع الله فعل هذا؟» حتى يتم الدليل ، فلا بد من الجواب بلا . فاذا لم يكن معه إله فعل كفعله فكيف تعبدون إلهة أخرى سواه؟ فعلم ان إلهية ما سواه باطلة ، كما أن ربوبية ما سواه باطلة باقراركم وشهادتكم . ومن قال: المعنى هل مع الله إله آخر؟ من غير أن

(١) وبعبارة أخرى توحيد الربوبية ، باب يدخل منه الى توحيد الإلهية .

(٢) وفي نسخة «العبد» (٣) وفي نسخة «وانه لا خالق سواه»

يكون المعنى « فمل » فقوله ضميم أوجهين (أحدهما) أنهم كانوا يقولون : مع الله آلهة أخرى ، ولا ينكرون ذلك (الثاني) أنه لا يتم الدليل ، ولا يحصل افحامهم وإقامة الحجة عليهم إلا بهذا التقدير ، أي فإذا كنتم تقولون : أنه ليس معه إله آخر فعل مثل فعله ، فكيف تجمعون معه إلهاً آخر لا يخلق شيئاً وهو عاجز ؟ وهذا كقوله (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل : الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) وقوله (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟) وقوله (أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟) وقوله (والذين يصدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون) وقوله (واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون) وهو كثير في القرآن وبه تتم الحجة كما تبين .

والمقصود أن العبد يحصل له هذا المشهد من مطالعة الجنايات والذنوب وجريانها عليه وعلى الخليفة بتقدير العزيز الحكيم ، وأنه لا عاصم من غضبه وأسباب سخطه إلا هو ، ولا سبيل إلى طاعته إلا بموته ، ولا وصول إلى مرضاته إلا بتوفيقه ، فوارد الأمر كإله منه ومصادرها إليه ، وإزمة التوفيق جميعها بيديه ، فلا مستعان للعباد إلا به ، ولا متكل إلا عليه (١) كما قال سميع خطيب الأنبياء (وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

﴿ فصل ﴾

(المشهد السابع مشهد التوفيق والخذلان)

وهو من تمام هذا المشهد وفروعه ، ويمكن أفرد بالذكر لحاجة العبد إلى شهوده وانتفاعه به . وقد أجمع العارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلمك الله إلى نفسك (٢)

(١) أي أن الذي يدرك حقيقة معنى القدر يعلم أن ما آناه الله تعالى إياه من هدايات الحواس والمقل والوجدان ، وما يصل إليه علمه المكتسب بها والضروري الذي هو أقوى منه ، كل ذلك لا يكفي لتصرف إرادته واختياره دائماً فيما هو خير له ، فإنه مهما اتسع علمه واختياره يختار لنفسه أحياناً كثيرة ما هو شر له في دينه ودنياه وعاجل أمره وآجابه ، فإذا فقد هذا علم علم شهود أنه لا يستغني طرفه عين عن توفيق الله وعنايته . (٢) هذا تفسير باللائم وأما المازوم فكون الأسباب المكسوبة وغير المكسوبة موافقة للمصلحة الصحيحة

والخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك . فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا فيطيعه ويرضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه له ، ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه ويفعل عنه بخذلانه له . فهو دائر بين توفيقه وخذلانه ، فان وفقه بفضله ورحمته ، وإن خذله فبعده وحكمته ، وهو المحمود على هذا وهذا ، له أتم حمد وأكمله ، ولم يمنع العبد شيئا هو له ، وإنما منعه ما هو مجرد فضله وخطائه ، وهو أعلم حيث يضعه وأين يجعله . فمضى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه ، علم ضرورته وحاجته الى التوفيق كل نفس وكل لحظة وطرفة عين ، وان إيمانه وتوحيده بيده تعالى (١) ، لو تخلى عنه طرفة عين أثُلَّ عرش توحيده ، ولحُرَّتْ سماء إيمانه على الأرض ، وان الممسك له من يمسك السماء ان تقع على الأرض الا بإذنه . فمحجّبري قلبه (٢) ودأب لسانه « يا قلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، يا مصرف القلوب صرف قلبي الى طاعتك » ودعواه « يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله الا أنت برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا إلى احد من خلقك » فني هذا المشهد يشهد توفيق الله وخذلانه ، كما يشهد ربه بيته وخلقه ، فيسأله توفيقه مسألة المضطر ويعوذ به من خذلانه عياذ المأهوف ويلقي نفسه بين يديه ، طريقا يبابه مستسلا له ، ناكس الرأس بين يديه خاضعا ذليلا مستكينا ، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

وانتوفيق ارادة الله من نفسه ان يفعل بعبده ما يصلح به العبد ، بأن يجعله قادرا على فعل ما يرضيه ، مريدا له ، محبا له ، مؤثرا له على غيره ، ويبغض اليه ما يسخطه ويكرهه اليه . وهذا مجرد فعله ، والعبد محل له ، قال تعالى (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان . أولئك

{ ١ } وفي النسخة الثانية « وتوحيده بمسك بيد غيره بيده تعالى » { ٢ } محجّبري الانسان بكسر الهمزة وتشديد الجيم المكسورة والقصر) دأبه الذي يلزمه ولا يتركه . ويسمى بها الناس في بعض البلاد في هذا العصر « لازمة » فالذي يكثر في كلامه من كلمة « مثلاً » يقولون : لازمة مثلاً

هم الراشدون * فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم (فهو سبحانه عليم بمن يصالح هذا الفضل ومن لا يصلح له ، حكيم بضمه في مواضعه وعند أهله ، لا يمنعه أهله ، ولا يضعه عند غير أهله . و ذكر هذا عقيب قوله (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) ثم جاء به (١) بحرف الاستدراك فقال (ولكن الله يحب اليكم الإيمان) يقول سبحانه : لم تكن محبتكم للإيمان وأرادته وتزيدته في قلوبكم منكم ، ولكن الله هو الذي جعله في قلوبكم كذلك فآثرتموه ورضيتموه ، فلذلك لا تقدموا بين يدي رسولي ، ولا تقواوا حتى يقول ولا تفعلوا حتى يأمره فالذي يحب اليكم الإيمان أعلم بمصالح عبادته منكم ، وأنتم قلوا توفيقه لكم (٢) لما أذعنت نفوسكم للإيمان ، فلم يكن الإيمان بمشورتكم وتوفيق أنفسكم ، ولا تقدمتم به إليها ، فنفسكم تقصر وتعجز عن ذلك ولا تبلغه ، فلو أطاعكم رسولي في كثير مما تريدون لشق عاينكم ذلك ، ولملكتم وفسدت مصالحكم وأنتم لا تشعرون ، ولا تظنوا أن نفوسكم تزيد بكم الرشد والصالح ، كما أردتم الإيمان ، قلوا أني حبيته اليكم وزينته في قلوبكم ، وكرهت اليكم ضده ، لما وقع منكم ولا سمحت به أنفسكم .

وقد ضرب للتوفيق والخذلان مثل ملك أرسل إلى أهل بلد من بلاده رسولا وكتب معه (٣) كتابا يعلمهم أن العدو مصبحهم عن قريب ، ومحتاجهم ومخرب البلد ومهلك من فيها ، وأرسل اليهم أموالا ومراكب وزادا وعدة وأدلة ، وقال : ارتحلوا إلي مع هؤلاء الأدلة ، وقد أرسلت اليكم جميع ما تحتاجون إليه . ثم قال الجماعة من مماليكه : اذهبوا إلى فلان فخذوا بيده واحملوه (٤) ولا تذروه يقعد ، واذهبوا إلى فلان كذلك وإلى فلان ، وذروا من عداهم فانهم لا يصالحون ان يساكنوني في بلدي . فذهب خواص مماليكه إلى من أمروا بحملهم فلم يتركوهم بقرون ، بل حملوهم حملا وساقوهم سوقا إلى الملك ، فاجتاح العدو من بقي في المدينة وقتلهم ، وأسر من أسر . فهل يعد الملك ظالما لهؤلاء أم عادلا فيهم ؟ نعم خص أولئك بأحسنه وعنايته وحرماها من عداهم ، إذ لا يجب عليه التسوية بينهم في فضله وإكرامه ، بل ذلك فضله

(١) سقط من النسخة الثانية لفظ « به » (٢) سقط من النسخة الثانية لفظ « لكم »

{٣} وفي نسخة « له » (٤) وفي نسخة « فاحملوه »

يؤتيه من يشاء .

وقد فسرت القدرية الجبرية التوفيق بأنه خلق الطاعة ، والخذلان (بأنه) خلق المعصية . ولكن بنوا ذلك على اصولهم الفاسدة من انكار الأسباب والحكم ، وردوا الامر الى محض المشيئة من غير سبب ولا حكمة . وقابلهم القدرية النفاة ، ففسروا التوفيق بالبيان العام ، والهدي العام ، والتمكن من الطاعة والإقبال عليها وتهيئة أسبابها . وهذا حاصل لكل كافر ومشرک بلغته الحجة وتمكن من الايمان . فالتوفيق عندهم أمر مشترك بين الكفار والمؤمنين ، إذ الاقدار والتمكين والدلالة والبيان قد عم به الفريقين (١) ولم يفرد المؤمنين عندهم بتوفيق وقع به الايمان منهم ، والكفار بخذلان امتنع به الايمان منهم ، ولو فعل ذلك لكان عندهم محاباة وظلما . والتزموا بهذا الاصل لوازم قامت بها عليهم سوق الشناعة بين العقلاء ولم يجدوا بدا من التزامها ، فظهر فساد مذهبهم ، وتناقض أقوالهم (٢) ، لمن أحاط به علما وتصوره حق تصوره ، وعلم أنه من أبطل مذهب (?) في العالم وارداه .

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . فلم يرضوا بطريق هؤلاء ولا طريق هؤلاء ، وشهدوا انحراف الطريقين عن الصراط المستقيم ، فأثبتوا القضاء والقدر وعموم مشيئة الله للكائنات وأثبتوا الأسباب والحكم والغايات والمصالح ، ونزهوا الله عز وجل أن يكون في ملكه ما لا يشاء ، أو أن يقدر خلقه على ما لا يدخل تحت قدرته ولا مشيئته ، أو أن يكون شيء من أفعالهم واقعا بغير اختياره وبدون مشيئته . ومن قال ذلك فلم يعرف ربه ، ولم يثبت له كمال الربوبية . ونزهوه مع ذلك عن العبث وفعل القبيح وأن يخلق شيئا سدى ، وإن تخلوا أفعاله عن حكم بالغة لأجلها أوجدها ، وأسباب بها سببها ، وغايات جعلت طرقا ووسائل إليها . وإن له في كل ما خلقه وقضاه حكمة بالغة . وتلك الحكمة صفة له قائمة به ليست مخلوقة كما تقول القدرية النفاة للقدروا الحكمة في الحقيقة .

فأهل الصراط المستقيم بريئون من الطائفتين ، الا من حق تضمنه مقالاتهم ،

{ ١ } وفي نسخة « بين الفريقين » (٢) وفي نسخة « قولهم »

فانهم يوافقونهم عليه ويجمعون حق كل منهما الى حق الاخرى ، ولا ييطلون مامعهم من الحق لما قالوه من الباطل ، فهم شهداء الله على الطوائف أمناء عليهم ،حكام بينهم ، حاكمون عليهم ، ولا يحكم عليهم احد منهم ، يكشفون أحوال الطوائف ، ولا يكشفهم الا من كشف له عن معرفة ما جاء به الرسول (١) وعرف الفرق بينه وبين غيره ولم يلتبس عليه ، وهؤلاء افراد العالم ونخبته وخلاصته ، ليسوا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، ولا من الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، بل ممن هو على بينة من ربه وبصيرة في إيمانه ، ومعرفة بما عند الناس ، والله الموفق .

﴿ فصل ﴾

المشهد الثامن مشهد الأسماء والصفات

وهو من أجل المشاهد وهو أعلى مما قبله وأوسع . والمطلع (٢) على هذا المشهد معرفة تعلق الوجود خلقا وامرا بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وارتباطه بها ، وان كان العالم بما فيه من بعض آثارها ومقتضياتها . وهذا من أجل المعارف وأشرفها ، وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة ، فان أسمائه أوصاف مدح وكمال ، وكل صفة لها مقتضى ، وفعل : إما لازم وإما متعمد ، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه وهذا . في خلقه وأمره وثوابه وعقابه ، كل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها . ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها ، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال ، وتعطيل الأفعال عن المفعولات ، كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله ، وأفعاله عن صفاته ، وصفاته عن أسمائه ، وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته .

واذا كانت أوصافه صفات كمال ، وأفعاله حكما ومصالح ، وأسمائه حسنى ، ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه . ولهذا ينكر سبحانه على من عطاه عن أمره ونهيه وثوابه وعقابه ، وانه نسبه الى ما لا يليق به ، ويتنزه عنه (٣) وان

{١} وفي نسخة الرسل (٢) المطلع بفتح اللام . وخبره معرفة تعلق الوجود

(٣) وفي نسخة: بل يتنزه عنه

ذلك حكم سيئ ممن حكم به عليه ، وان من نسبة الى ذلك فما قدره حق قدره ، ولا عظمه حق تعظيمه ، كما قال تعالى في حق منكري النبوة وارسال الرسل وانزال الكتب (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وقال تعالى في حق منكري المعاد والثواب والعقاب (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه) وقال في حق من جوز عليه التدبيرة بين المختلفين كالأبرار والفجار ، والمؤمنين والكفار (أم حسب الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) فأخبر ان هذا حكم سيئ لا يليق به ، تأباه أسماؤه وصفاته ، وقال سبحانه (أنحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ؟ فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم) عن هذا الظن والحسبان ، الذي تأباه أسماؤه وصفاته .

ونظائر هذا في القرآن كثير ، ينفي عن نفسه خلاف موجب أسمائه وصفاته ، اذ ذلك (١) مستلزم تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها ، فاسمه الحميد المجيد يمنع ترك الانسان سدى مهلا معطلا ، لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب ، وكذلك اسمه الحكيم ، يأبى ذلك ، وكذلك اسمه الملك ، واسمه الحي يمنع أن يكون معطلا من الفعل بل حقيقة الحياة الفعل ، فكل حي فعال ، وكونه سبحانه خالقا قيوما من موجبات حياته ومقتضياتها ، واسمه السميع البصير يوجب مسوعا ومرثيا ، واسمه الخالق يقتضي مخلوقا . وكذلك الرزاق : واسمه الملك يقتضي مملكة ونصرفا وتديبرا واعطاء ومنعا وإحسانا وعدلا وثوابا وعقابا . واسم البر المحسن المعطي المنان ونحوها تقتضي آثارها وموجباتها .

اذا عرف هذا فمن أسمائه سبحانه الغفار التواب العفو (٢) فلا بد لهذه الاسماء من متعلقات ، ولا بد من جنابة تغفر ، وتوبة تقبل ، وجرائم يعفى عنها . ولا بد لاسمه الحكيم من متعلق يظهر فيه حكمه (٣) اذ اقتضاء هذه الاسماء لآثارها

(١) ونسخة « ذاك » (٢) وفي نسخة بوار العطف في هذه الاسماء الثلاثة الأخيرة . وهنا محل الشاهد { ٣ } وفي نسخة « حكمة »

كافتضاء اسم الخالق الرازق المعطي المانع المخلوق والمرزوق والمعطي والمنوع وهذه الاسماء كلها حسنى ، والرب تعالى بحب ذاته ووصافه واسماءه . فهو عفو يحب العفو ، ويحب المغفرة ويحب التوبة ، ويفرح بتوبة عبده حين يتوب اليه أعظم فرح يخطر بالبال . وتنان تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله ويحلم عنه ويتوب عليه ويسامحه من موجب اسمائه وصفاته . وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك ، وما يحمده به نفسه ويحمده به أهل سمواته وأهل أرضه ، ما هو من موجبات كماله ومقتضى حمده . وهو سبحانه الحميد المجيد ، وحده ومجده يقتضيان آثارهما ومن آثارهما مغفرة الزلات ، وإقالة العثرات ، والعفو عن السيئات ، والمسامحة على الجنايات ، هذا (١) مع كمال القدرة على استيفاء الحق ، والعالم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها ، فخلعه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته ، كما قال المسيح صلى الله عليه وسلم (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) أني فغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك ، است كن يغفر عجزا ، ويسامح جهلا بقدر الحق ، بل أنت عالم بحقك ، قادر على استيفائه ، حكيم في الأخذ به .

فمن تأمل سريان آثار الاسماء والصفات في العالم وفي الآ مرتبين له ان مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد ، وتقديرها هو من كمال الاسماء والصفات والافعال ، وغاياتها أيضا مقتضى حمده ومجده ، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته ، فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة ، والآيات الباهرة ، والتعرفات الى عبادته باسمائه وصفاته ، واستدعاء محبتهم له وذكرهم له وشكرهم له ، وتعبدهم له باسمائه الحسنی ، اذ كل اسم فله تمتد مختص به علما ومعرفة وحالا ، واكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الاسماء والصفات التي يطالع عليها البشر ، فلا يحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير ، عن التعبد باسمه الحكيم الرحيم ، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي من عبودية اسمه المانع ، أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم ، أو التعبد بأسماء التودد والبر والالطف والاحسان

(المنار - ج ٢ م ١٧) الأسباب مع مسبباتها أربعة ومنها المكروه الموصول الى المحبوب ١٣١

عن ائمة العدل والجبروت والعظمة والكبرياء ونحو ذلك .
وهذه طريقة الكمل من السائرين الى الله ، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن .
قال الله تعالى (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها) والدعاء بها يتناول دعاء المسئلة
ودعاء الثناء ودعاء التمجيد . وهو سبحانه يدعو عباده الى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ،
ويثنوا عليه بها ، يأخذوا بحظهم من عبوديتها ، وهو سبحانه يحب موجب أسمائه
وصفاته . فهو عليم يحب كمل عليم ، وجواد يحب كل جواد ، وتر يحب الوتر ،
جميل يحب الجمال ، عفو يحب العفو وأهله ، حيي يحب الحياء وأهله ، بر يحب
الابرار ، شكور يحب الشاكرين ، صبور يحب الصابرين ، حلیم يحب أهل الحلم ،
فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة والعفو والصفح خلق من يغفر له ويتوب عليه ويعفو
عنه ، وقدر عليه ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له ، ليرتب عليه المحبوب له
المرضي له ، فتوسطه كتوسط الأسباب المكروهة المفضية الى المحبوب .

فربما كان مكروه النفوس الى محبوبها سببا ما مثله سبب
والاسباب مع مسبباتها أربعة أنواع : محبوب يفضي الى محبوب ، ومكروه
يفضي الى محبوب . وهذان النوعان عليهما مدار أفضيته وأقداره سبحانه بالنسبة الى
ما يحبه ويكرهه . والثالث مكروه يفضي الى مكروه . والرابع محبوب يفضي الى
مكروه . وهذان النوعان ممتعان في حقه سبحانه ، اذ الغايات المطلوبة من قضائه
وقدره - الذي خلق ما خلق وقضى ما قضى لأجل حصولها - لا تكون الا محبوبة
لارب مرضية له ، والاسباب الموصلة اليها منقسمة الى محبوب له ومكروه له .
فالطاعات والتوحيد أسباب محبوبة له موصلة الى الاحسان والثواب المحبوب له
أيضا ، والشرك والمعاصي أسباب مسخوطة له ، موصلة الى العدل المحبوب له ،
وان كان الفضل أحب اليه من العدل . فاجتماع العدل والفضل أحب اليه من انفراد
أحدهما ، لما فيهما من كمال الملك والحمد ، وتنوع الثناء وكمال القدرة .

فان قيل : كان يمكن حصول هذا المحبوب من غير توسط المكروه . قيل هذا
سؤال باطل لأن وجود المازم بدون لازمه ممتنع ، والذي يقدر الذهن وجوده شيء
آخر غير هذا المطلوب المحبوب للرب ، وحكم الذهن عليه بأنه محبوب للرب بحكم

١٣٢ مشهد زيادة الايمان في سوء آثار المعصيان وحسن آثار الطاعة (المنار - ج ٢ م ١٧)

بلاعلم ، بل قد يكون مبعوضا للرب تعالى لمنافاته حكمته ، فاذا حكم الذهن عليه بأنه محبوب له كان نسبة له الى ما لا يليق به ويتعالى عنه . فليعط اللبيب هذا الموضع حقه من التأمل فانه مزلة اقدام ، ومضلة افهام ، واو أمسك عن الكلام من لا يعلم لقل الخلاف . وهذا المشهد أجل من ان يحيط به كتاب ، أو يستوعبه خطاب ، وانما أشرنا منه الى أدنى إشارة تطلع على ما وراءها والله الموفق (١) .

﴿ فصل ﴾

المشهد التاسع مشهد زيادة الايمان وتعدد شواهد

وهذا من ألطف المشاهد وأخصها بأهل المعرفة . وأمل سامعه يبادر الى انكاره ويقول : كيف يشهد زيادة الايمان من الذنوب والمعاصي ؟ ولا سيما ذنوب (٢) العبد ومعاصيه ، وهل ذلك إلا منقص للايمان ؟ فانه باجماع السلف يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . فاعلم ان هذا حاصل من النفات العارف الى الذنوب والمعاصي منه ومن غيره ، والى ترتب آثارها عليها . وترتب هذه الآثار عليها علم من أعلام النبوة ، وبرهان من براهين صدق الرسل وصحة ما جاءوا به . فان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أمروا العباد بما فيه صلاح ظواهرهم وبواطنهم في معاشهم ومعادهم ، ونهواهم عما فيه فساد ظواهرهم وبواطنهم في المعاش والمعاد ، وأخبروهم عن الله عز وجل انه يحب كذا وكذا (٣) وانه ييغض كيت وكيت ، ويماقب عليه بكيت وكيت ، وانه اذا أطع بما أمر به شكر عليه بالإمداد ، والزيادة والنعم في القلوب والابدان والاموال ، ووجد العبد زيادته وقوته في حاله كلها ، وانه اذا خواف أمره ونهييه ترتب عليه من النقص والفساد والضعف والذل والمهانة والحقارة وضيق العيش وتكد الحياة ما ترتب ، كما قال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، وانجز ينشهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال (قل : يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم ، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة والدار الآخرة خير) وقال تعالى (وأن استغفروا ربكم

(١) وفي نسخة زيادة «المعين» (٢) وفي نسخة «من ذنوب» (٣) وفي نسخة

زيادة «فيثيب عليه»

ثم تو بوا اليه يتمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ، ويؤت كل ذي فضل فضله)
وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة
أعشى) وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، والصحيح أنها في الدنيا وفي البرزخ
فإن من أعرض عن ذكره الذي أنزله فله من ضيق الصادر ونكد العيش وكثرة
الخوف وشدة الحرص والتعب على الدنيا وانه حاسر على فواتها قبل حصولها وبعد
حصولها ، والآلام التي في خلال ذلك - ما لا يشعر به القلب لسكرته وانغماسه
في السكر . فهو لا يصحو ساعة الا أحس وشعر بهذا الألم فبادر الى ازالته بسكر ثان ،
فهو هكذا مدة حياته . وأي عيشة أضيق من هذه او كان للقلب شعور؟ فقلوب أهل
البدع والمعرضين عن القرآن وأهل الغفلة عن الله وأهل المعاصي في جحيم قبل
الجحيم الكبرى ، وقلوب الأبرار في نعيم قبل النعيم الأكبر (ان الأبرار انفي نعيم
وان الفجار انفي جحيم) هذا في دورهم الثلاث ليس مختصا بالدار الآخرة ،
وان كان تمامه وكماله وظهوره إنما هو في الدار الآخرة (١) وفي البرزخ دون ذلك ،
كما قال تعالى (وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك) وقال تعالى (ويقولون : متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين؟ * قل : عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون)
وفي هذه الدار دون ما في البرزخ ، ولكن يمنع من (٢) الإحساس به الاستغراق في
سكرة الشهوات ، وطرح ذلك عن القلب وعدم التفكير فيه . والعبد قد يصيبه ألم
حسي فيطرحه عن قلبه ويقطع التفاته عنه ، ويجعل اقباله على غيره الا يشعر به جملة ،
فلو زال عنه ذلك الاتفات لصاح من شدة الألم . فما الظن بعذاب القلوب وآلامها ؟
وقد جعل الله سبحانه للحسنات والطاعات آثارا محبوبة لذينة طيبة لذتها فوق
لذة المنصية باضعاف مضاعفة لانسبة لها اليها ، وجعل للسيئات والمعاصي آلاما وآثارا
مكروهة ، وحرارات ترابي على لذة تناولها باضعاف مضاعفة . قال ابن عباس : ان
للحسنة نورا في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ،
ومحبة في قلوب الخلق . وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ، ووهنا في البدن ،

(١) مارأيت أحدا سبقني الى تقرير هذا المعنى والاستدال عليه بالقرآن مثل المصنف

(٢) وفي نسخة بسقوط «من»

ونقصا في الرزق ، و بغضة في قلوب الخلق . وهذا يعرفه صاحب البصيرة ويشهده من نفسه ومن غيره ، فما حصل للعبد حال مكروهة قط الا بذنب ، وما يعمو الله عنه أكثر . قال الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وقال لخيار خلقه وأصحاب نبيه (أَوَلَمْآ أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْنِم : أَنَّى هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) وقال (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) والمراد بالحسنة والسيئة هنا النعم والمصائب التي تصيب العبد من الله . ولهذا قال « مَا أَصَابَكَ » ولم يقل : مَا أَصَبْتَ . فكل نقص وبلاء وشر في الدنيا والآخرة فسببه الذنوب ومخالفة أوامر الرب ، فليس في العالم شر قط الا الذنوب وموجباتها

وآثار الحسنات والسيئات في القلوب والابدان والاموال امر مشهود في العالم ، لا ينكره ذو عقل سليم ، بل يعرفه المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، وشهود العبد هذا في نفسه وفي غيره وتأمله ومطالعته مما يقوي إيمانه بما جاءت به الرسل ، وبالاثواب والعقاب ، فإن هذا عدل مشهود محسوس في هذا العالم ، ومثوبات وعقوبات عاجلة دالة على ما هو اعظم منها لمن كانت له بصيرة ، كما قال بعض الناس : اذا صدر مني ذنب ولم ابادره ولم اتداركه بالثوبة انتظرت اثره السيئ ، فاذا اصابني او فوقه اودونه كما حسبت ، يكون هجبراي « اشهد ان لا اله الا الله ، واشهد ان محمدا رسول الله » ويكون ذلك من شواهد الايمان وادلته ، فان الصادق مني اخبرك انك اذا فعلت كذا وكذا ترتب عليه من المكروه كذا وكذا ، فجمعت كل ما فعلت شيئا من ذلك حصل لك ما قال من المكروه ، لم تزد الا علما بصدقه وبصيرة فيه ، وليس هذا لكل احد ، بل اكثر الناس يرين الذنوب على قلبه فلا يشهد شيئا من ذلك ولا يشمر به البتة . وانما يكون هذا لقلب فيه نور الايمان ، واهوية الذنوب والمعاصي تعصف فيه ، فهو يشاهد هذا وهذا ، ويرى حال مصباح إيمانه مع قوة تلك الاهوية والرياح ، فيرى نفسه كراكب البحر عند هيجان الرياح وتقلب السفينة وتكفئها ، ولا سيما اذا انكسرت به وبقي على لوح تلعب به الرياح ، فهكذا المؤمن يشاهد نفسه عند ارتكاب الذنوب ، اذا اريد به الخير ، وان اريد به غير ذلك فقلبه في واد آخر .

ومتى انفتح هذا الباب للعبد انتفع بمطالعة تاريخ العالم واحوال الامم ، وماجريات الخلق ، بل انتفع بما جريات اهل زمانه وما يشاهده من احوال الناس ، وفهم حينئذ معنى قوله تعالى (أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وقوله (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم) فكلما تراه في الوجود من شر وألم وعقوبة وجذب ونقص في نفسك وفي غيرك فهو من قيام الرب تعالى بالقسط ، وهو عدل الله وقسطه ، وان اجراه على يد ظالم فالسلط له اعدل العادلين ، كما قل تعالى ان افسد في الارض (بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار) الآية . فالذنوب مثل السموم مفسدة بالذات ، فان تداركها من سقي بالادوية المفاومة لها ... ، والا قهرت القوة الايمانية وكان الهلاك ، كما قال بعض السلف : المعاصي يريد الكفر ، كما ان الحى يريد الموت فشهود العبد نقص حاله اذا عصى ربه ، وتغير اقلوب عليه رجفوها منه ، وانسداد الابواب في وجهه ، وتوعر المسالك عليه وهوانه على اهل بيته واولاده وزوجته واخوانه (١) وتطلبه ذلك حتى يعلم من اين أتى ، ووقوعه على السبب الموجب لذلك مما يقوى ايمانه . فان اقالع و باشر الاسباب التي تفضي به الى ضد هذه الحال ، ورأى العز بعد الذل ، والغنى بعد الفقر ، والسرور بعد الحزن ، والامن بعد الخوف ، والقوة في قلبه ، بعد ضعفه ووهنه - ازداد ايمانه مع ايمانه ، فتقوى شواهد الايمان في قلبه ، وبراهايته وادائته في حال معصيته وطاعته ، فهذا من الدين (يكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون) وصاحب هذا المشهد متى تبصر فيه واعطاه حقه صار من اطباء القلوب العالمين بدائها ودوائها ، فنفعه الله في نفسه

(١) هذه الآثار التي تترتب على الذنوب لا يشهدها كلها الا المؤمن الذي يعيش بين المؤمنين الصادقين . واما الجاحدون والمنافقون والفاسقون المصرون ، فلا تتغير قلوب بعضهم على بعض لاجل المعصية ، ولا يشعرون بهوانهم على اهل بيوتهم ، الا قليلا وفي بعض المعاصي دون بعض . فالذين اعتادوا شرب الخمر في بيوتهم ، وغير بيوتهم يمدونها هم واهلهم كشراب الماء . والمعاصي آثار أخرى في الاخلاق وفي الصحة لا يغفل عن قبورها وشؤمها الا من هو اجهل من الانعام

ونفع به من شاء من خلقه ، والله اعلم .

﴿ فصل ﴾

المشهد العاشر مشهد الرحمة

فان العبد اذا وقع في الذنب خرج من قلبه تلك الغلظة والقسوة ، والكيفية الغضبية التي كانت عنده لمن صدر منه ذنب ، حتي لو قدر عليه لاهلكه ، وربما دعا الله عليه ان يهلكه ويأخذه غضبا منه لله وحرصا على ان لا يمسي ، ولا يجد في قلبه رحمة المذنبين الخاطئين ولا يراهم الا بعين الاحتقار والازدراء ، ولا يذكرهم الا باسان الطمن فيهم والعيب لهم والذم ، فاذا جرت عليه المقادير وخلي بنفسه استغاث بالله واتجأ اليه ، وتعلم بين يديه تعلم السليم ، ودعا دعاء المضطر ، فتبدلت تلك الغلظة على المذنبين رقة ، وتلك القساوة على الخاطئين رحمة ولينا ، مع قيامه بحدود الله ، وتبدل دعاؤه عليهم دعاءا لهم ، وجعل لهم وظيفة من عمره - يسأل الله فيه ان يغفر لهم ، فما انفع له من مشهد ! وما اعظم جدواه عليه ! والله اعلم .

﴿ فصل ﴾

فيورثه ذلك (المشهد الحادي عشر)

وهو مشهد العجز والضعف ، وانه اعجز شيء عن حفظ نفسه واضممه ، وانه لا قوة له ولا قدرة ولا حول الا بربه ، فيشهد قلبه كرىشة ملقاة بارض فلاة تقابلها الريح يميناً وشمالاً ، ويشهد نفسه كراكب سفينة في البحر تهيج بها الريح ، وتلاعب بها الامواج ، ترفعها تارة وتخفيضها تارة أخرى . تجري عليه احكام القدر وهو كالألة طريقها بين يدي وليه ملقى بيابه ، واضعاً خده على ثرى اعتابه ، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ليس له من نفسه الا الجهل والظلم وآثارها ومقتضياتها ، فاهلاك ادنى اليه من شرك نعله ، كشاة ملقاة بين الذئب والسباع لا يردهم عنها الا الراعي ، فلو تخلى عنها طرفة عين لتفاسدها اعضاءا . هكذا حال العبد ملقى بين الله وبين اعدائه من شياطين الانس والجن ، فان حماه منهم وكفهم عنه لم يجدوا اليه سبيلا ، ان تخلى عنه ووكله الى نفسه طرفة عين لم ينقسم

عليهم بل هو نصيب من ظفر به منهم .

وفي هذا المشهد يسرف نفسه حقا ، ويعرف ربه ، وهذا احد التأويلات للكلام المشهور « من عرف نفسه عرف ربه » وليس هذا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما هو اثر اسراييلي بغير هذا اللفظ ايضا « يا انسان اعرف نفسك تعرف ربك » وفيه ثلاث تأويلات (احدها) ان من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ، ومن عرفها بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرفها بالذل عرف ربه بالعز ، ومن عرفها بالجهل عرف ربه بالعلم ، فان الله سبحانه استأثر بالكمال المطلق والحمد والثناء والمجد والغنى ، والعبد فقير ناقص محتاج ، وكلما ازدادت معرفة العبد بنقصه وعيبه وفقره وذله وضعفه ، ازدادت معرفته لربه باوصاف كماله .

(التأويل الثاني) ان من نظرا الى نفسه وما فيها من الصفات الممدوحة من القوة والارادة والكلام والمشيئة والحياة ، عرف ان من اعطاه ذلك وخلق فيه اولى به ، فمعطي الكمال أحق بالكمال ، فكيف يكون العبد حيا متكلما سميعا بصيرا مريدا عالما يفعل باختياره ، ومن خلقه وأوجده لا يكون أولى بذلك منه ؟ . فهذا من أعظم المحال ، بل من جعل العبد متكلما أولى أن يكون هو متكلم ، ومن جملة حيا عليما سميعا بصيرا واعلا قادرا ، أولى أن يكون كذلك . فالتأويل الاول من باب الضد . وهذا من باب الاولوية .

(والتأويل الثالث) ان هذا من باب النفي . أي كما انك لا تعرف نفسك التي هي أقرب الاشياء اليك ، فلا تعرف حقيقتها ولا ماهيتها ولا كيفيتها ، فكيف تعرف ربك وكيفية صفاته ؟ . والمقصود أن في هذا المشهد يعرف العبد أنه عاجز ضعيف ، فيزول عنه رعونات الدعاري والاضافات الى نفسه ، ويعلم انه ليس له من الامر شيء ، وليس بيده شيء ، ان هو الا محض الفقر والعجز والضعف .

(للبحث بقية)

الرد المتين

على مفتريات المبشرين (*)

لقد اطلعنا على المجلة المدعوة « الشرق والغرب » التي يطبعها المبشرون بمصر وقرأنا العدد الاول الذي صدر في ١ كانون الثاني سنة ١٩١٤ والعدد الثاني الذي صدر في ١٥ من الشهر المذكور واذا فيما على زعم أولئك المبشرين تفقيد لما كتبناه في كتابنا الذي سميناه « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » وجميع ما قالوه ينحصر في خمسة امور (الاول منها) تطاولهم واستباحتهم لكلام البذاء والتطاول وهذا ليس له عندنا جواب فليفرحوا وليتغنموا به

(الامر الثاني) ادماؤهم أننا اعتمدنا في كتابنا على اقوال علماء اصارى اوروبيين ملحدين . وهذا نجوابهم عليه بان لهم الخيار بما يصفونهم به . أما نحن فنقول بحققهم انهم علماء مستقلون قالوا الحق الذي وصل اليه علمهم بشأن ديانة المبشرين غير مباليين بمن لا يرضاه منهم (الامر الثالث) عدم تصديقهم باطلاعنا على الكتب التي ذكرناها في اول الكتاب . وهذا ايضا لهم الخيار فيه صدقوا أم لم يصدقوا . ونقول لهم ولمن هم على شككهم : ها هي ذى مكتبتنا حاضرة لكل من يروم الاطلاع عليها ، وتزيدهم - وربنا شهيد - انه عندنا عدة كتب غير التي ذكرناها لم تقل منها كلمة واحدة ، لشدة اعتراضاتها على الديانة النصرانية . وجميعها تأليف علماء مسيحيين اوروبيين . وان احبوا فاتنا مستعدون لذكر اسمائها ، واسماء المدن التي طبعت فيها مع اسماء الطابعين (الامر الرابع) قولهم ما نصه بالحرف « فاذا استزادنا حضرته من نقد بقية ما في كتابه فرجنا عدنا اليه في فرصة اخرى . ولكن ليسمح لنا الآن بهذه النصيحة وهي ان لا يحشر نفسه بين العلماء الباحثين ، بل ليدع ذلك لرجال العلم وليبحث له عن شغل يرتزق منه والله يهدي سواء السبيل »

اما من جهة تقديم بقية ما في كتابنا فاتنا لشكره لهم سلفا ، فاتالم نأت بكلمة واحدة من عندنا ، ولا بكلمة واحدة من كلام علماء المسلمين رضي الله عنهم ، بل جميع ما ذكرناه مأخوذ من كتب علماء الغرب المسيحيين خاصة ، واما امرهم ايانا بان لا نحشر نفسنا بين العلماء الباحثين بل لنضع ذلك لرجال العلم ، وأن نبحث عن

(*) لصاحب الامضاء من متخرجي الكلية الامريكانية ببيروت

شغل يرتزق منه ! فأجيبهم عنه بأسف عظيم : ان والدي منذ نعومة اظفاري وضعني بمدارس المبشرين ، ولم يعلم ان المدارس فيها يخرج مجبأ للكسل والبطالة واللاهو والسباحة والتسول ، واكره شيء عليه السعي وراء شغل يرتزق منه : ويفضل التحول على السعي ، والفاقة على الفنى ، لرسوخ ما علموه اياه في عقله كتعاليمهم لتلاميذهم الصغار « فلا تهتموا للغد لأن الغد بهم بما لنفسه » وكذلك « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون » وكذلك « انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، وأبوكم السماوي يقوتها » وكذلك فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم انه يسر ان يدخل غني الى ملكوت السموات ؟ واقول لكم ايضا ان مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني الى ملكوت السموات . . . فاجاب بطرس حينئذ وقال له هانحن تركنا كل شيء وتبعناك ، فاذأ يكون لنا . . . وكل من ترك بيوتا أو اخوة أو اخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي ياخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابدية » وغير ذلك كثير مما هو على هذا النمط

أما لو وضعني بمدارس المسلمين ، لكنت لكم من الشاكرين ، لان اصحكم يكون تذكري لي بما درسته فيها من آيات القرآن المجيد ، والحديث الشريف ، وكقوله تعالى { فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله } وكقوله تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكاوا من رزقه واليه النشور) وكقوله تعالى (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر أن يكون كفرا » وقوله صلى الله عليه وسلم « اعمل عمل امرئ يظن انه لن يموت أبدا ، واحذر حذر امرئ يخشى ان يموت غدا » (١) وقوله صلى الله عليه وسلم « ما اكل احد قط خيرا من ان يأكل من عمل يده » (٢) وكذلك أيضا « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا : ويح هذا لو كان شبابه وحملته في سبيل الله . فقال صلى الله عليه وسلم « لا تقولوا هذا فانه ان كان يسمى على نفسه ليسكتفئها عن المسئلة ويفتيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وان كان يسمى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله » (٣) واحسرتاه ! ابته وضعني بمدارس تعلم القرآن المجيد ، والحديث الشريف ، أي تعلم الحكمة ، والهمة

(١) المنار : رواه البيهقي عن عبد الله بن عمرو (٢) رواه البخاري عن المقدم

(٣) رواه الطبراني عن كعب بن عجرة

والرحمة، ولا كان وضعي بمدارس تعلم الكسل والخنول والبلادة وحب التسول والفاقة
وبغض المجد وكره الغنى

(الأمر الخامس) اعتراضهم على بعض علماء المسلمين الكرام وتصريحهم باسم
الامير صاحب التأليف المشهورة المبنية على آيات القرآن المجيد والحديث الشريف ،
ويكفهم رداً على اعتراضهم ونحاملهم ما أبدوه من العداوة والبغضاء للحق وأهله
أما اعتراضهم على آيات القرآن المجيد كقولهم مانصه بالحرف «ولا نحن نطلب من
إخواننا المسلمين ان يبينوا لنا كيف يصح القول بأن هامان كان وزير فرعون ، وان
مريم العذراء كانت أخت موسى وهرون ، على ما يستفاد من القرآن ، ولا غير ذلك
من المشاكل التي يستحيل التوفيق بينها وبين التاريخ »

على رسلكم يا أيها المبشرون الزاعمون انكم لا تقولون الا الحق المبين : فما معنى
ذكر مثل هذه المسائل وما مدخاها مع تفنيدهم لكتابتنا ، اما أن لكم ان تركوا
المغالطات والسفسطات والنوبيات وتعتوها ؟ اما أن لكم أن تركوا التشديق بما يعود
عليكم بالخبيثة والخذلان ؟ والله لو كان قصدكم الاستفهام حقيقة لما كنا نتأثر
باعتراضاتكم وتشدقاتكم ، ولكن ان لم أن قصدكم بها اغواء عباد الله تعالى وتشكيك
عوام المسلمين في دينهم . ومع ذلك نقول لكم يا مرحبا سلوا عما تشاؤون من المشاكل
التي تظنون استحالة التوفيق بينها وبين التاريخ الذي كتبته أيدي الصادقين .

ونقول لكم مع اننا نعلم انكم قصدتم بالتجاهل الاغواء وتشكيك عباد الله
تعالى : ان المقصود من أخوية مريم العذراء هو أخوية تشبيه لا أخوية ولادة من أب
وأم . وهذا التشبيه كثير ومشهور في اللغات الشرقية . ولقد جاء مثله في انجيل متى
ففي الفصل الثامن عشر من عدد ٤٦ الى ٥٠ « وفيما يكلم الجموع اذا أمه واخوته قد
وقفوا خارجا طالبين ان يكلموه فأجاب وقال للقائل له : من هي امي ومن هم إخواني ؟
ثم مد يده نحو التلاميذ وقال ها امي واخوتي ، لأن من يصنع مشيئة ابي الذي في
السموات هو أخي وأختي وأمي » وجاء مثله في انجيل مرقس { راجع الفصل الثالث
من عدد ٣٢ الى ٣٤ }

وهكذا أخوة مريم لهرون عليهما السلام أي كاخوة المسيح عليه السلام لمن
أشار إليهم بيده . وكما يشبهون الصالح بأحد المشهورين بالتقوى والعفاف في الايام
الحالية كذلك يشبهون الشرير المشهور بالحياة في القرون الماضية كقولهم « أخو
الحارث بن ظالم » وهكذا

(المنار - ج ٢ م ١٧) ثبات الانجيل اخوة المسيح وأنه أعرض عن أمه وعنهم في ١٤

ولنا على الاعداد التي ذكرناها من الانجيل سوالات عديدة نود الاستفسار عنها من حضرة المبشرين الذين انتقدوا اطلاق لقب « أخت هارون » على مريم ولكن خوفا من ان يتوهم أحد المسيحيين الشرقيين بأننا نقصد الخط من المتفادات النصرانية كما توهموا قلنا عن الباغاريين وحلتناهم أنهم كفار ظالمون لاستباحتهم سفك دماء نساء وبنات وأولاد المسلمين ودفنهم جرحى المساكر العثمانية تحت التراب وهم احياء يقاسون ألم الجراح وألم الموت حقا ، واحرقا قلوب النساء المسلمات ، وغير ذلك من الاعمال الوحشية التي لم يرو التاريخ صدور مثلها حتى ولا من القبائل المتوحشة في افريقية . لذلك نكتفي بهذين السؤالين مؤملين من حضرتهم افادتنا عنهما وهما :

(١) انهم يقولون عن مريم العذراء عليها السلام انها لم تلد أحدا غير المسيح عليه السلام ، والانجيل تقول انه كان لها اولاد ، فهل نصدق كلامهم وانضرب بكلام الانجيل عرض الحائط ام نصدق كلام الانجيل ونسكذب كلامهم .

(٢) يظهر من كلام الانجيل انها اي أمه لم تكن مؤمنة به ولا صانعة ارادة مرسله كتلاميذه . ولولا ذلك لما تبرأ منها هي ومن معها من اخوته وأشار نحو الحاضرين بأنهم هم اخوته واخواته وأمهم . فلو كانت مؤمنة به لما فعل هذا لان فيه اهانة عظيمة لها ، كما هو المتبادر من عبارة الانجيل لكل من يقرؤه . ومعلوم اننا نحن لا نؤمن بهذه القصة التي سموها انجيلا ، بل نؤمن بان أمه كانت مؤمنة تقية ، وانه كان برا بها كما حكى الله عنه في قوله (ورا بوالدني)

وقد أرسلنا اليهم كتاب تاريخ الفحشاء هدية كي يتسلوا به الى ان نختصر بعض فصول كتابنا الذي سميناه « مقام عيسى المسيح عليه السلام في النصرانية والاسلام » لتنشر في المنار الاغبر أدام الله شمس صدقه ونيرة سماء العدل والمدونة واما اعتراضهم على مسألة تحديد تعدد الزوجات ، واقوال انصوفي المنتصر وغير ذلك بما ذكره بمجلتهم فسندد عليه في الفصول الآتية ان شاء الله تعالى

(محمد طاهر التنير)

(المنار) نشرنا هذه النبذة وبتلوها الفصل الاول من الكتاب الذي أشار اليه الكاتب ، وقد تصرفنا في العبارة بعض التصرف فان في الاصل شدة في العبارة لاجابة اليها . وسنعلق على الفصل الآتي كلاما نبين فيه الغرض من نشر أمثال هذه المقالات

مقام

﴿ عيسى (يسوع) المسيح عليه السلام ﴾

د في النصرانية والاسلام ؛

— الفصل الاول في نسبه —

﴿ تنبيه مهم ﴾

ان اهانة الناس واحتقار اديانهم لمن أقبح الاعمال واطغما كرها ومقتا عند المسلمين كافة ، ولا يتأتى عنها الا العداوة والبغضاء ، على مخالفتها للشريعة الفراء ، قال الله تعالى (لا / كراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وكل من يتدبر الحقائق بعين الصدق والانصاف يرى ان جميع ما كتبه علماء المسلمين { رض } قديما وحديثا بشأن النصرانية لم يكن سوى ردة على المفتريات التي رعى المخالمون بها دين الاسلام المبين ، بنيا وعدوانا حيناً بعد حين ، وهذا الافتراء الذي اتخذه المبشرون وغيرهم من قسبي الفرق النصرانية مهنة لهم في هذه الايام هو الذي اضطرنا الى كتابة هذه الكتب وهي (المقائد الوثنية ، في الديانة النصرانية . ومقام عيسى عليه السلام ، في النصرانية والاسلام) و (آداب الاسلام وتعليم التوراة والانجيل) و (اخلاق عيسى المسيح عليه السلام في الاناجيل وفي القرآن المجيد) ولم يطبع منها سوى (كتاب العقائد الوثنية) وان شاء الله تعالى سنطبع البقية باقرب وقت بعد ما ننشر اكثر نصولها باختصار في المنار الاغر .

وقد بينا الحقائق ولله الحمد بطريقة ترضي حتى أشد الناس عداوة لدين الاسلام المبين ، اذ لا خير يرجى من كتابة ما ينضب الناس ولا سيما في الامور الدينية التي هي أعز شيء عند الانسان ، مهما كان دينه . قال الله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) فالحمد لله على نعم تعليم القرآن المجيد ، الذي لولاه لسكننا مثل أولئك المبشرين ومن يخون نحوهم ، الذين ألفوا تلك الكتب السافلة المشحونة بالباطل والتناول والافتراء وغير ذلك مما هو من اخلاقهم وخصالهم .

وانا نلفت نظر القارئ القاضل الى امر ذي بال وهو اقتصارنا على ما جاء

في التوراة والانجيل كي لا يقدر احد منهم على نسبة الكلام اليها كما فعلوا بنسبة كلام العلماء الا ورويين الذين استشهدوا بكلامهم في كتابنا (العقائد الوثنية) اليها ، مع اتنا ذكرنا اسماءهم بالمرية والافرنجية ، ولنتظر الآن ما ذا يقول أولئك القوم الذين ألفوا تلك الكتب السافلة ضد دين الاسلام المبين .

﴿ الجذ الاول من حدود الزنا ﴾

عقد الفصل ٣٨ من سفر التكوين من اوله الى آخره لبيان زنا القديس (يهوذا) بكنته (ثامار) وحملها منه . وانها وضعت ولدين ذكرين سماهما (فارص) و (زارح) والمبشرون المؤلفون لتلك الكتب والرسائل يقولون : ان فاديسهم ومخلصهم وخالفهم « يسوع المسيح » من سلالة (فارص) المباركة وبما ان هذه القصة الشريفة لها علاقة مهمة مع هذا الرب المختار الولادة من الزنا تأتي عليها باختصار ، ومن بحب الزيادة فليقرأ الفصل المذكور ير فيه ما ملخصه ان يهوذا نزل عند رجل عدلامي اسمه (حيرة) فرأى ابنة رجل كنعاني اسمه (شوع) فأخذها ودخل عليها وولدت له ثلاثة اولاد ذكور اسم الكبير (عير) والثاني (اوثنان) والثالث (شيلة) ولما كبر عير اخذ له زوجة من بنات الكنعانيين اسمها (ثامار) فعمل الشر بعيني الرب فأهلكه فأمر يهوذا ابنه { اوثنان } بأن يأخذ زوجة اخيه ويقم له نسلا فزوجها اوثنان . وبما ان النسل الذي يأتيه منها يعد نسل اخيه لا نسله صار اذا ضاحكها يفسد على الارض { اي يعزل ماءه } لئلا تحمل منه فأما رب التوراة وأبقى اياه القديس لانه لما زنى بها لم يفسد على الارض . ولما مات امرها يهوذا بأن تقعد أرملته بيت ابيها وانه متى كبر ابنه شيلة يعطيها اياه زوجا لها وقال في نفسه ربما يعمل كما عمل اخواه فيسميته الرب مثلها . فذهبت الى بيت ابيها ومضت الايام وكبر { شيلة } ولم يعطه لها . وبلغها ان حماها المذكور (القديس يهوذا) ذاهب الى {تمنة} مع صاحبه العدلامي ليتص صوف غنمه فخلعت ثياب ترملها وغطت وجهها وجالست على طريق {تمنة} فلما رآها ظنها هذا القديس زانية وراودها عن نفسها فقالت له : ماذا تعطيني ؟ فقال لها اعطيك جدي معز أبنته لك . فقالت له أعطني رهنا فأعطاها عصا به وخاتمه وعصاه وزنى بها . ولما وصل الى تمنة ارسل لها الجدي مع صديقه العدلامي ليفتك الرهن . فلم يجدها فرجع واخبر يهوذا . فقال له لتذهب بما معها كي لا يلحقنا عار . فخلعت منه ووضعت ولدين ذكرين سمتهما «فارص» و «زارح» ويسوع المسيح من نسل فارص المبارك

ولنا على هذه القصة عدة أسئلة وملاحظات مهمة ذكرناها في كتابنا (مقام عيسى المسيح عليه السلام. في النصرانية والإسلام) نذكر منها هنا سأتين فقط لأن قصصنا الاختصار كي لا نضيع كثيرا من صفحات المنار الأغر لأن عليه أداء خدمات اسلامية مهمة .

(أولاهما) تقول التوراة انه ظنها زانية لأنها كانت مغطية وجهها. وهذا باطل عقلا ويكفي لرده وإظهار بطلانه ما جاء في التوراة والإنجيل (منها) في قول سفر التكوين (٢٤ : ٦٤ و ٦٥) ورفعت رفقة عينها فرأت اسحق فنزلات عن الجمل وقالت للعبد من هذا الرجل الماشي في الحقل للفائنا فقال العبد هو سيدي . فأخذت البرقع وتغطت) وجاء في الرسالة الاولى الى أهل كورنتوس (١١ : ١٦ » لان المرأة ان لم تغط فليقص شعرها أو يحلق وان كان عيبا على المرأة ان يقص شعرها أو يحلق فلتتغط) فالحيجاب علم الخدرات العاهرات ، وسيمة الخيرات الطيبات ، كما ان النبرج والابتذال من علامات الفواجر الزانيات

(ثانيتهما) نخبرنا التوراة عن ذهاب يهوذا مع صاحبه العدلامي ، وانه كان معه لما راودها عن نفسها ، وانه أرسل الجدي الوديع معه ، وأنه لم يجدها وغير ذلك ، لكنها لم تذكر هل زنى بها هذا العدلامي أيضا أم لا ؟ وبدل العقل والعادة بين الفساق في هذه الامور التي يشتركون فيها وارسال الاجرة أي الجدي اليها معه على انه زنى بها مع يهوذا . واذا صح هذا فمن الحال معرفة ممن كان الحمل وربما حملت من كل واحد بولد ، ولا يبعد حينئذ ان يكون زارح ابن يهوذا ، وفارص ابن العدلامي . وكيفما كان فان هذا المجد الاعلى للمسيح قد خاق من ماء الزنا

(الجدل الثاني)

جاء في سفر يشوع بن نون مانصه (٢ : ١) « فأرسل يشوع بن نون رجلين من شطرين جاسوسين تحت الحفاء قائلين امضيا انظرا الارض واربحا . فانطلقا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب وباتا عندها » وجاء في هذا السفر ذاته (١٧ : ٦) ولتكن المدينة بكل ما فيها مبسلة للرب ، ولكن راحاب الزانية نجيا هي وجميع من معها في بيتها » انتهى

وهذه راحاب الزانية زنى بها ساميون وهو من سلالة فارص الذي هو الاصل الاول من اصول الزنا المقدس . فحبلت ووضعت (بوعز) الذي من سلالة جاء « حمل الله الوديع » وما قلناه بخصوص عدم معرفة الحمل ممن كان عند ذكرنا الجدل الاول ،

(المنار ج ٢ م ١٧) زعم زنا داود . اعتقاد المسلمين طهارة نسب المسيح ١٤٥

هل كان من يهوذا أو من العدلامي ؟ نقوله هنا أيضا . لان كلا الجاسوسين باتا عند هذه الزانية فكيف يعرف ممن علقت ؟

{ الشاهد الثالث } في سفر الملوك الثاني { ١١ : ٢-٥ } نقلنا هذه الاعداد عن التوراة المطبوعة بمطبعة اليسوعيين بمدينة بيروت . واسم هذا السفر في تورااة الابروسطانت (سفر صموئيل الثاني) : « وكان عند المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى عن السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة جدا ، فارسل داود وسأل عن المرأة فقيل له هذه بتشابع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي ، فارسل داود رسلا وأخذها فدخلت عليه فدخل بها ، وتطهرت من نجاستها ورجعت الى بيتها ، وحملت المرأة فارسلت واخبرت داود وقالت انني حامل » انتهى فوضعت ولدا ومات ثم زنى بها ثانية (على رعمهم) فحبلت ووضعت سليمان وهو الاصل الثالث من الثالوث الزائبي وبما اننا قصدنا الاختصار بقدر الامكان لذلك لم نكتب ما جاء في تفاسيرهم على التوراة والانجيل وان كان موجودا في كتابنا ، لان على المنار الاغراض خدمات عظيمة فلا نضيع من صفحاته اكثر من هذا القدر

فهذا ما عندهم وهذا ما يدعون الناس الى الايمان والاهتداء به ، واما ما عندنا وندعو اليه أهل الفضل والعقل بعد تبرئة انبياء الله من الفسق والفجور فهو :

اعتقاد المسلمين

طهارة نسب عيسى المسيح عليه السلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم * اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها اناشيء والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأناشيء ، ولاني سميتها مريم ولاني اعizها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نبأنا حسنا وكفأها زكيا)

وقال الله تعالى في سورة العنكبوت بعد ذكر ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام

(المجلد السابع عشر)

(١٩)

(المنار ج ٢)

{ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب، وآتيناه أجره في الدنيا وأنه الآخرة لمن الصالحين}

الله أكبر ! فلينظر المبشرون والاب لويس شيخو - الذي الف رسالة منذ بضع سنين وسماها (خرافات القرآن) وقد ترجمها المبشر المدعو « زويمر » { } ونشرها في مجلته « العالم الاسلامي » - الى اعتقاد المسلمين بطهارة نسب عيسى المسيح عليه السلام . فانهم اذا نظروه من جهة القرآن المجيد يرونه من سلالة طيبة زكية حماها الحي القيوم من التلطيخ بأقذار وادران الزنا والسفاح . فلينظروا أي الوصفين أحب اليهم بحق هذه الذات الشريفة وابتمسكوا به . وايم الله اننا ما كنا نحجب كتابة ما ذكرناه على هذا الموضوع غير أن ضرورة الحال تمنعنا

اعتقاد المبشرين

أن المسيح إلههم صار لعنة

والعياذ بالله تعالى

قال مقدسهم بولس في رسالته الى أهل غلاطية الاصحاح الثالث العدد (١٣:٣) «المسيح اقتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لاجلنا لانه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة»

يعلم الناس ان النصارى يعتقدون أن المسيح هو إلههم وربهم وخالقهم ومخلصهم، وكتابهم المقدس يلقبهم أنه « صار لعنة » واللعنة غاية المبالغة في الشتم والازدراء وليس بعدها زيادة لمستزيد ، واي شيء يمكن ان يؤتى به ويكون اشد قبحا من قول مقدسهم إنه « صار لعنة » اي انه نفس اللعنة ، فما هذا الحب الذي قادهم الى القول بألوهيته من جهة ثم قادهم الى القول بأنه « صار لعنة » من جهة أخرى ؟ ا . دع اعتقادهم بأنه من سلالة زناء مثلث كما بيناه سابقا ، فهم والحالة هذه اسوأ حالا من اشد اعدائه ، لأن مقام العداوة لا يطلب الا قبح الاوصاف ، ومقام المحبة لا يطلب الا احسنها واكملها ، فهم يدعون محبته عليه السلام ويعتقدون انه خالفهم ورازقهم وقادهم ومخلصهم ، ثم يصفونه بهذا الوصف . . . فما بلهم لا يتدبرون ما يعتقدون ! .

(١) هو زويمر الذي حرأ دعاه النصرانية في مصر وبلاد العرب على الغلو في العطن في الاسلام واهانة المسلمين وتوبيخ العداوة بينهم وبين النصارى

وبما انه إله على حسب اعتقادهم - والعياذ بالله تعالى - فنذا الذي صيره لعنة ؟ هذا ما نود ايضاحه منهم ! وأغرب من ذلك اعتقادهم أن الإله ذو ثلاثة أقانيم (اي اشخاص) وهي الآب والابن والروح القدس ، وان هذه الاقانيم الثلاثة هي إله واحد . فكيف صار الابن الذي هو ثلث إلههم « لعنة » دون الثلثين الآخرين ، اي الآب والروح القدس ؟ وما داموا يقولون بأن الثلاثة واحد حقيقة فلا بد من دخولهم جميعا تحت اللعن بهذا الاتحاد !! فتدبر هذا وسلمهم : من اللاعن ؟ ومن هو يا ترى ؟
(ستأتي البقية)
عبد الوهاب وولده محمد طاهر

(المنار) قد غلا دعاة النصرانية في العام الماضي وفي هذا العام في الطعن بالاسلام قولاً وكتابة ، فلم يكتفوا بصحفهم الدورية ، ولا بالمكتب التي نشروها من قبل ، بل هم يلفقون رسائل جديدة بمعنى ما تقدمها في الطعن والقذف والتمويه ولكن تختلف أسماؤها وأساليبها . وأكثروا المحافل والجمعيات في القاهرة وسائر البلاد والقرى لأجل الدعوة الى النصرانية . ومن العجائب أنهم كانوا من قبل أصحاب صبر وإناة فخانهم الصبر في هذه السنة حتى صاروا يهينون من يرد عليهم في الجمعيات إهانته شديدة . وقد خدعوا أفراداً من فقراء العامة بالمال وادرار الرزق بأظهروا التنصر ، ثم بدا لهم وندموا ، فصار من يريد الرجوع الى حظيرة الاسلام يهدد بالإبذاء ، حتى أخبرنا بعضهم انه لا يمكنه الا ان يفر من القاهرة الى بلد آخر يظهر اسلامه فيه لأجل هذا العدوان وجب علينا ان لا نقف عند حد رد مطاعنهم التي يكررونها كما كنا نفعل من قبل ، وان نبين لآخواتنا المسلمين حقيقة دينهم والمقابلة بينها وبين ديننا ، وبيان أننا نحن نعظم المسيح ونكرمه بالحق ، فلا نحتاج الى من يدعوننا الى الايمان به إيماناً بجمع النقائص ككونه واحداً وثلاثة ، ومقدساً ولعنة ، برأه الله عما قالوا . وهذا مما يجب علينا شرعاً كالصلاة وغيرها من الفرائض . ولهذا نشرنا هذه الرسالة بعد تصحيحها . نعم أنهم هددونا بالسلطة الانكليزية ، واغروا المعتمد الانكليزي بنا عسى ان يأمر الحكومة المصرية بأقفال المنار ومقاومة (مدرسة دار الدعوة والارشاد) ومنع نظارة الاوقاف أن تساعدوا بشيء من أوقاف المسلمين بمد أن صارت الاوقاف تحت سيطرته ، ليتسنى لهم ان يقولوا : ان جميع المسلمين في مصر عجزوا عن الرد عليهم ، وليكتفوا مؤنة من يرد عليهم في المستقبل اذا نجحت مدرسة دار الدعوة والارشاد (فاعتبروا يا أولى الابصار)

مطامع الدول فينا^{*}

« وضمت الحرب أوزارها، واخذت المدافع انقاسها، واعيدت السيوف الى اغمادها، وعادت الدول المتناجزة بالامس عن مبادئ القتال الى ردهات المجلس فعمدت بعضها مع بعض معاهدات تضمن صيانة السلام الى حين . ثم خنت كل واحدة الى نفسها تناقشها الحساب، وتبحث في ماناها من الغنم . فكانت الهمة الاولى منصرفة الى اقتسام الاراضي المكتسبة . ثم الى النظر في مائثرته النفقات الحربية في ميزانياتها، وما يقتضيه سد تلك النفور من الاموال الطائلة ، وهي لا سبيل اليها الا بعقد القروض »

« ولو انحصر الامر في الدول الخارجة من ميدان القتال لكان الخطاب، والكرائم دولا أخرى أثبت الا أن يكون لها من الغنيمة نصيب »

« تنازات تركيا لاطاليا عن ولاياتها الافريقية . ثم تخلت حكومات البلقان عن ولاياتها الاوربية غير ولاية أدرنه . ثم تقاسمت الدول ما بقي بشكل مناطق نفوذ كل واحدة بحسب ما توحيه اليها مطامعها في الملائية والظهر »

« ورضيت انكلترا نصيباً لها سواحل خليج العجم من الاوقيانس الهندي الى البحر الاحمر . فأصبحت سلطتها ميسوطة على البلاد العربية من البصرة الى السويس ومن الخليج العجمي الى ترعة السويس . وأصبحت في يدها الطريقان البحر يتان الموصلتان من املاكها الشرقية الى املاكها الغربية . واتصلت امبراطوريتها الاسيوية (الهند) بملكها الافريقي (مصر)

« أما ايطاليا ولية امر طرابلس الغرب والواضعة يدها على جزيرة رودس وما جاورها من جزر البحر المتوسط فانها فازت بهذه البقعة الآهلة باليونانيين والاروام، والقائمة بين خط بغداد والارخبيل، ومعها ميناء اضايا وخط حديدي يمتد الى الداخلية، ويتصل بالخطوط الالمانية ، - خط بغداد وخط أزمير »

« وأما ألمانيا فكان نصيبها هذا الخط البغدادي الكبير بجماته لا مسيطر عليها فيه ولا مهيمن ، وهو الذي طمحت اليه ، ومن ورائه ما بين النهرين وكل البلاد الواقعة بين اسكودار والبصرة من البوسفور الى الخليج العجمي »

« وان اتفاق بوتسدام مهد الالمانيين السبيل الى بلاد ايران اذ خولهم حق عميد

(* بقلم الموسيوقلورنش وزير خارجية فرنسا سابقا وترجمة جريدة الاهرام)

خط حديدي من بغداد الى طهران . وفي مقابل ذلك جعلت حصة روسيا ارمينيا الكبرى . وهي تتناول الاراضي الواقعة الى شمال الخط البغدادي وإلى جنوبه بحملتها بين انقرة وبغداد .

« على أن تمت عقبة كان لا مندوحة عن تذليلها . فان الاستئثار بتلك البقاع الواسعة كان لا بد من تموينه بحجبة من الحجيج ووسيلة من الوسائل فكانت هذه الوسيلة الاشغال العمومية والمشروعات النافعة الواجب اجراؤها . بيد أن روسيا لم يخطر لها أن تبذل أموالها الخاصة في هذا السبيل بل لجأت الى فرنسا . افليست هي على الدوام مستعدة لبذل أموالها استعداد تركيا للتخلي عن أراضيها ؟ وعلى هذه الصورة تم الاتفاق على أن فرنسا تتولى انشاء مينائي بني بولي وهر كاه (على البحر الاسود) والخطوط الحديدية (سمسون سيواس - ديار بكر ، وديار بكر - ارضروم - طرابزون) مع العلم بقلة ايراداتها المتوقعة ، لانها لازمة لروسيا تأييدا لموقفها السياسي والاقتصادي والحربي أيضاً ، وإن كان لفائدة لنا نحن من على الاطلاق . وأما اعطينا في مقابل ذلك البقعة السورية في جنوبي غربي خط بغداد ، مع حق انشاء مينائي حيفا ويافا وتوريد خط رفاق الحديدي الى القدس ، ثم الاتفاق على اقتسام النقل بين خط دمشق - حماه والخط الحجازي ، وكلاهما متصل بالسواحل السورية : الاول في بيروت والثاني في حيفا . وكلاهما امتيازات لانفع لنا منها ما دامت حكومتنا متفاوضية عن معاهدنا الكاثوليكية في الشرق ، ضاربة بما لنا من الحق في حماية الاراضي المقدسة وحماية المارونيين عرض الحائط ، ومهدت للايطاليين قطع السبيل علينا بما ينشئونه لانفسهم في رودس واذاليا وطبرق وسراقوسة

« لا يتوهم من متوهم ان الدولة العثمانية بذلت كل ممتلكات الآخذين على أنفسهم صيانة كيانها . كلا ! فهي لا تزال باقية لها الاراضي الواقعة على ضفتي المضائق . وما زالت في عهدتها حماية البوسفور والدردينل (!!) وانه لشرف عظيم (!!) ونخر باق وإن كان باقي على كاهل صاحبه مسؤوليات عظيمة . ثم انهم لا يزالون مالكيين ادرنه والاستانة وبروسه وأزمير واسقاعا مترامية الاطراف خصبة التربة تكفي ايراداتها - في ما يقولون - لدفع فوائد ديونها المتركمة (!!) »

« بهذا الترتيب نجحت الدولة العثمانية من الطور الثاني . واعني به طور التقسيم أو طور التجزئة . بقي الطور الثالث واعني الحاجة الى المال . ومعلوم اننا نحن معاشر الفرنسيين لا نبرح أبداً من بال أحد متى بلغت المسائل هذا الطور واعني طور الدفع . اذن الى

فرانساً أنجحت الابصار للمطالبة بسد الفراغ الذي سببته هفوات وجنود بل جنائيات الآخريين حتى يتهاى لأرباب الجشع والطمع ممن ذكر ان يستنبهوا لتحقيق مطالبهم .
أما ما يطالبوننا به هذه المرة فثمانى مئة مليون فرنك

« ولقد غامرت الامة الفرنسية الى هذا الحين بمبالغ طائلة من توفيرات ابناؤها في المشروعات العثمانية فلا ينكر عليها حق السعي في استرداد ذلك المال . ولكن هذا لا يجب ان يتخذ ذريعة لتضحية مصالح البلاد في سبيل منافع بعض المالين ، فبعد نكبات الجيوش العثمانية اتفقت الصحافة وأجمع الرأي العام في فرنسا والعالم كله على إلقاء تبعة تلك الانكسارات على عاتق جمعية الاتحاد والترقي . فان الاتحاديين هم المسؤولون عن سوء انتظام الجيش وسوء الادارة وضباغ أموال الحكومة . وان هؤلاء الاتحاديين هم أنفسهم المنفذون الاحكام اليوم وفي أيديهم التصرف بالاموال العمومية . وهم أنفسهم الذين يتطالبون اليوم الاموال الفرنسية في حين ان لاستعمالها في فرنسا وجهة أولى وأنفع ، ولكن ما نهم من يمتدح ، فان قلم المراقبة في وزارة الداخلية كان قد ألغى وأعاد المتولون على شكل أخصن لمصالحتهم

« ومن أهم ما يهتمون به جمعية الاتحاد والترقي نزاعها الالمانية وهي تكاد تكون تحرشاً بنا . ثم يتهموننا بأنها ألقت بين يدي الضباط الالمانيين تنظيم جنديتها حتى ألغى بعضهم على الجزال فمدرغواتر تبعة انكسارات للعثمانيين في تفرق كايسه ولوله برغاس »
فاما اعتماد الاتحاديون السماعة فكان أول عمل قاموا به انتداب بثة ألمانية

جديدة لتنظيم الجيش العثماني . ورضي الماهل الالمانى بإيفاد ثلاثة وأربعين رجلاً من ضباط جيشه الى الأستانة ، ولكنه اشترط أن تكون لهم مع تحمل المسؤولية السلطة الفعلية ، وان تكون القيادة العليا لرعي البثة ، وان يكون الضباط العثمانيون في الجيش خاضعين لضباط الالمانيين . ولما كان الخط البغدادي الذي يجتاز آسيا الصغرى من أدناها الى أقصاها من خليج المعجم الى البوسفور - وكل الخطوط الحديدية الاخرى فروع له ، هو الوسيلة الوحيدة لهيئة الجيش وشدته ، فان الجيش العثماني بقيادة الضباط الالمانيين سيكون بمنزلة احدى فرق الجيش الالمانى ، فالعثماني مئة مايوت فرنك التي تطالبنا الحكومة العثمانية بها اليوم ستنفق في تسليح وتجهيز وتنظيم وتدريب جيش يكون في طليعة الجيوش المهاجمة لنا في أول حرب نخوض غمراتها ، وتكون أموالنا نحن الفرنسيين قد تحولت الى حديد ورصاص يخرق صدور ابناؤنا .

« ولقد بلغ من حرج الموقف ان الحكومة الروسية مع عدم رغبتها في اتباع

خطة المجاعة والمشاكلة لم يسعها الا اقامة الحجبة في عاصمة السلطنة . وليست وزارتنا الحربية والخارجية في فرنسا ببعيدتين عن وزارة المالية فحدير بوزيرهما ان يجتمعا بزمايها ويكاشفاه بان في الحياة مواقف لا يجوز فيها تضحية الوطنية في سبيل مصالح بعض الافراد ، وان بعض القروض يجب معجانية قبولها في بورصة باريس

« أما أنا فاني لا ابذل فلساً واحداً من مالي للذين يساءلون في تربة الوطن وفي موارده الطبيعية ترفاً لبعض الظلماء ، ولا اعتبر من يجود باموال الامة على هذه الصورة مؤثماً أميناً »

« رب قائل يقول ليس في الامر شيء مما تخشاه ، وكل ما هنالك تفاهم بتبيين مناطق تتوكل دولة . نعم . ولكن لنحدث غداً فتنة أو ثورة أو مذبحة - وليس ذلك بالامر النادر حدوثه في آسيا الصغرى - اذن لانبث أن نرى العمارة الإيطالية في ايطاليا ، والانكبا في الكويت ، والامان في مرسين ، والفرنسويين في بيروت ، والروسين في طرابزون . وهى وطئت اقدامهم الارض فهيات ان تنزحرح عنها . وان لدينا في موقف ايطاليا اليوم في جزر بحر ايجه خير شاهد ، فالامر اذن ليس بمنحصر في تبين مناطق النفوذ ، بل هو يتجاوز الى تقسيم الاملاك العثمانية الاسيوية والسلام » .
(الاهرام)

ثم علقت الاهرام عليه بما يلي :

هذا هو كلام ذلك الوزير وهو لا يقول لنا شيئاً لانعرفه ولكنه يقول لنا ونردده على أنفسنا لتعظ وتتخذ الحيلة ونعمل بقول الشاعر :

ما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

(المنار) صدقت الاهرام إن هذا السياسي الكبير لا يقول لنا شيئاً لانعرفه ، أي لانعرفه أهل البصيرة منا ، ولكنهم - واحسرتاه ! - قليلون فينا والجمهور مغرور بما يرى حيناً بعد حين من إباحض الذبل قبل السجود ، كلما أومض إيماضة حسبو انهم في عالم الحياة النورية داخلون ، واذا أظلم عليهم عادوا في ظلمتهم يعمهون ، واذا صاح بهم المنذرون ، : يا قومنا فروا الى النجاة فانكم الى الذبح تساقون . وسوس لهم الموسوسون ، : ان هؤلاء قوم غاشون ، وعن حظيرة الاخلاص الاتحاد خارجون ، وبالسنة أعدائنا الافرنج ينطفون ، اما ترون وميض انوار التجديد ، يلوح لأعينكم من بعيد ، فابذلوا لهؤلاء المجددين كل ما تملكون من المال ، تقالون جميع الآمال !!

بيننا في المجد الماضي وفيما قبله ماوصلنا اليه من الخطر القريب ، وبيننا ان الأوربيين لا يقبلون ان يأخذوا بلادنا اذ بالفتح السلي المنير عنه مناطق الاقتصاد والثروة ، وبيننا طريقة النجاة والى ان لا يسمع ولا يبصر ، وهما نحن أولاء نرى غير الرسميين من ساسة الأفرنج يصرحون بذهاب ملكنا تصريحا ، والرسميين منهم يصرحون بالميل ويعرضون بالقول تعريضا وحسبنا ان نصيحنا وأديننا الأمانة . وان عرضنا أنفسنا للآذى والاهانة .

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ تاريخ حرب البلقان الأولى ﴾

« بين الدولة العلية والاتحاد البلقاني »

عني يوسف افندي البستاني أحد محرري الجريدة اليوم ، يتبع حوادث هذه الحرب من أول العهد بشوب نارها ، الى ان خمدت ووضعت أوزارها ، وقرأ ما كتبه أشهر كتاب الأفرنج في الجرائد الأدورية ، وما ألفوه من الكتب في ذلك . وما كانت تنشره الجرائد العربية لمراسليها في الآستان وغيرها . فتميزت تلك مادة لوضع تاريخ لهذه الحرب كتبه بمداد الروية والاعتدال ، خفاء تاريخا مفيدا جامعا لما فيه العبرة النافعة ، والموعظة العادلة ، بعيدا عن الغلو والقول وهراء ، وبلغت صفحاته ٣٢٧ ماعدا صفحات المقدمة والصور والرسوم . (وفيه : دراسة وخريطان) وقد كتب في الحرب عدة مصنفات عربية ، قد رأينا مذكورا مع هذا الكتاب ينبغي ان يكون مهول قراءة العربية عليه دونها . وهو يطلب من مكتبة المزار بصر وثمن النسخة منه خمسة عشر قرشا خلا أحرة البريد

﴿ بيكي مجموعة سي ﴾

مجلة علمية شهرية تركية تصدر في الآستان العلية صفحاتها ١٢٠ قيمة اشتراكها في الممالك العثمانية عن سنة واحدة نصف ايرة عثمانية وفي روسيا خمس روبل ونصف و ١٥ فرنكا في سائر الممالك وهي مطبوعة طبعا جيدة على ورق الخفيف وثمن العدد

(*) كتب تقاريط هذا الجزء شقيقنا السيد صالح محمد رضا

الواحد خمسة قروش عثمانية

(مجلة الناشئة) مجلة شهرية تبحث في الناشئة وشؤونها بمرورها طلاب المدرسة الاممية الوطنية في دمشق ، قيمة الاشتراك السنوي ١٥ قرشا ولللاميذ المدرسة ١٠ قروش . ويضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج . وصفحاتها ٣٢ بالقطع الصغير . تبحث على مطالعتها تنشيطا لحرريها واطلاعا على سير العلم في نابتة الامة

(لسان العرب) مجلة تاريخية اجتماعية ادبية مصورة لمنشئها أحمد عزت الاعظمي صفحاتها ٥٦ مطبوعة على ورق جيد ، قيمة اشتراكها السنوي ثلاثة ريالات مجدية في الممالك الاجنبية وللطلبة بنصف القيمة وعنوانها « الاستانة . شارع ابو السعود . صندوق البريد عدد ١٤٩ . وهذه المجلة مكانة في نفسي وارجو أن اوفق الى قراءة مالدي من اعدادها فاعود الى تقريرها بالتفصيل الذي يليق بها

(مجلة كمال) مجلة ادبية فلكاهية شهرية (سنتها عشرة أشهر) مطبوعة على ورق نظيف طبعا نظيفا صفحاتها ٩٦ بقطع المنار . يصدرها في بيروت كمال افندي عباس . قيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريالان مجديان وفي مصر والبلاد الاجنبية عشرة فرنكات (المرأة) جريدة اسبوعية ، مصورة سنتها خمسون عددا ، صفحاتها ٢٨ وهي في شكل مجلة من المجلات ذات الصفحات الكبيرة يصدرها في بيروت خليل افندي زينية المعروف لدي كتاب وقراء العربية ، قيمة اشتراكها السنوي في بيروت ٨٠ قرشا سوريا وفي لبنان وسائر الولايات العثمانية ٢٠ فرنكا وفي الخارج ٢٥ فرنكا

باب الاخبار والآراء

﴿ لا بابوية في الاسلام ﴾ ولا تباع شفاعة خير الانام ﴿

ذكرنا في الجزء الماضي ان بعض المتنافقين زين الاتحاديين ان يستغلوا حجة المصطفى صلى الله عليه وسلم بوضع دفاتر فيها يكتب فيها اسماء الناس الذين يبذلون لهم الذهب الاحمر لتكتب اسمائهم في تلك الدفاتر ، وينابها قباحة هذه البدعة المشتملة على عدة جرائم منكرة ، وينابها ان ساف الامة الصالح ما كانوا يتساحون في إحداث بدعة من العادات المباحة في مسجد الرسول (ص) لئلا يدخل محدث ذلك والراضي به في عموم قوله (ع) « من أحدث في مسجدنا هذا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين » وهو الحديث الذي اجتج به الامام مالك على ابن مهدي العالم الزاهد لما

صلى على ثوبه . وبنينا على ذلك اقنالا نغان ان جمعية الاتحاد والترقي تبنوا
الاقتراح ، ولا ان الحكومة تنفذه

ثم بلغنا بعد ذلك ان موضوع المشروع ان تسمى تلك الدفاتر دفاتر المستفتين .
أي ان كتابة الاسماء في تلك الدفاتر طريق أو سبب لشفاعة النبي (ص) فهي اذا عباد
عن بيع شفاعة المصطفى (ص) لمن يريد ان يشتري ، وان أقل ثمن لها ايرة عثمانية .
الشفاعة لا تملك قنباغ ، ومن يدعي ان كتابة اسم أحد ووضعه في المجرى فانه
يكون سببا لشفاعة الرسول (ص) له فهو مقرر على الله ورسوله ، لأن هذا أمر لا يعلم
الا بوحى من الله ، ولو أنزل الله تعالى فيه شيئا يدل عليه بالنص أو الفحوى لكان
أجدر الناس بمعرفة والعمل به الصحابة (رض) ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

لهذا تصح للذين لا يعرفون أصول الدين وفروعه من رجال الدولة الاتحاديين ان
يتجنبوا هذه البدعة ، فليست هذه المسألة كغيرها من الأمور التي تجرأوا عليها . ولينذكروا
ان مسألة بيع البابوات للغفران هي التي احدثت الانقلاب الديني العظيم الذي آل الى
سلب السلطة السياسية من البابوات ، بعد حروب شابت من هولها البلدان . علم
ان بيع الغفران له وجه ما في دين النصارى اذ يحتجون عليه بقول الانجيل . ثم ان
ما يحلونه او يعقدونه في الارض يكون كذلك في السماء . وبيع الشفاعة بدعة في
الاسلام ليس لها وجه ولا شبهة . بل تدل الجميع على كثرة نبيهم ورسولهم
بالشرك بالله تعالى لانه قول على الله بغير علم ، وشرع لم يأذن به الله ، وريادة في الدين
الذي اكمله ، وداخل في عموم الاحداث والبدع التي نهى وحذر الشارع . منهم
ولعن محدثها . والآيات والاحاديث في هذا كثيرة . تدعمها الآيات التامة بأن
يوم القيامة لا يملك فيه احد لاحد شيئا لشفاعة ولا غيرها «والامر يومئذ لله وحده»
فلا يشفع احد عنده الا باذنه ولا يأذن الا لمن رضي له قولا (ولا يشفعون الا من
ارتضى وهم من خشيته مشفقون) واجمع المستشرقون على انه ليس لاحد ان
يمستقبل احد في الآخرة الا بنص من الشارع . فليس لأحد من رجال الحكومة
العثمانية ولا غيرهم أن يدعي ان النبي (ص) يشفع له او لاحد معين ، فمن لا يملك
الشفاعة لنفسه ، كيف يبيعها لغيره ؟ فان كانوا في شك من صحة الشبهة ولعمري ان
المسألة فليعرضوها على علماء الفاض وعلماء السامية في اقصاهم واطلعيهم منهم
رأيهم فيها بالحربة التامة . وربما انود الى بيان ذلك بالتفصيل ، ودلائل السنة والتاريخ
« والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

﴿ جمعية خدام الكعبة في الهند ﴾

جاءنا من هذه الجمعية رسالة وحيزة ماعنصها ان الدولة العثمانية اصبحت على خطر مما يبيت لها الاعداء ، وان اكبر أمانى المسلمين ان تكون غنية قوية ، وان مؤسسى الجمعية احسوا بما سيصيب الحرمين الشريفين من المصائب الحاضرة فأسسوا هذه الجمعية لا يقصدون منها « الا مساعدة الدولة العثمانية في المحافظة على الحرمين الشريفين وبذل المال والنفس في سبيل حمايتهما من الغوائل » ومن ذلك تعلم العرب الذين يقطعون السبل على الحجاج . كل هذا حسن . ولكن جاء بعده ان الجمعية تريد إنشاء جريدة باللغتين العربية والاوردية . قال الكاتب « حتى تنشر افكارنا في جميع البلاد الاسلامية وننبه المسلمين الى ما يجب عليهم نحو دينهم ودولتهم الوحيدة » الخ وهذا هو الامر الذي لم تفهمه : جمعية خدام الكعبة انشئت لخدمة الحرمين الشريفين فكيف يجوز لها صرف المال الذي تجمعه للحرمين الشريفين في انشاء جريدة سياسية . وما هي هذه الافكار التي يريد رئيس تحرير الجريدة ان يثبثها في العالم الاسلامي ؟ هل هي افكاره ام افكار الذين يتبرعون بالمال لخدمة الحرمين الشريفين ؟ ومن اين وقف على افكارهم ؟ وهل دفعوا المال لاجل نشر الافكار السياسية أم لاجل خدمة الحرمين ؟

قد بينا رأينا من قبل في هذه الجمعية وفيما يجب ان تكون عليه فلا نعيده . ونقول الآن انه لا يجوز لها بحسب قانونها الذي نشرناه وبحسب ما اقترحناه من تعديله ان تنفق شيئاً من مالها على انشاء الجرائد ، فهذه الفكرة الجديدة قد ازلت ثقتنا بالجمعية الا ان يرجعوا عنها .

أما مساعدة الدولة العثمانية بالمال والنفس فهو عمل نشكره لـكل من قام به في الهند وغيرها فمن شاء فليؤلف له جمعية مستقلة ولينشئ له ما شاء من الجرائد بما شاء من اللغات . واما خدمة الكعبة والحرمين الشريفين فيجب ان يكون بمزول عن السياسة واهلها . وهو عمل تخدمه جميع الجرائد الاسلامية في جميع الاقطار وتنشر لجمعته ما شاءت من غير أجره فلا يحتاج الى جريدة خاصة .

ان مساعدة الدولة بالمال والنفس وبث فكرة الجامعة الاسلامية بوشك ان تقاومه حكومة تلك البلاد وتبطله وتصادر جريدته ، فاذا كان ملصقا بجمعية خدام الكعبة بوشك ان يكون شؤماً عليها وسبباً لزوالها . لاجل هذا نحب ان تكون بمزول عن السياسة . وما دمنا نرى هذا الرأي فاتنا تصح لـكل مسلم أن يقاوم هذه الفكرة الجديدة التي عزم عليها جمعية خدام الكعبة ، لتكون جمعية خيرية محضة ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجع الحق والمصلحة على الهوى .

﴿ مفاسد المتفرنجين ، في أمر الاجتماع والدين ﴾

بهاجم الاسلام والمسلمين جيش خارجي من دعاة النصرانية ، وجيش آخر داخلي من دعاة التقاليد الافرنجية . والثاني أنكى من الأول وأضر ، وأدهى وأمر ، لأن جل أفراده من المارقين الذين يمدحهم المسلمون منهم وما هم منهم ، واسبعون عدوا خارج الدار ، أهون من عدو واحد في الدار . فقد تمر السنون ودعاة النصرانية تبسح أصواتهم من الصباح بالحطب والجدل ولا يقع في شركهم في القطر الكبير الا واحد أو آحاد يلجئهم الفقر الى ان يكونوا من خرافهم ، لانهم يجدون من المرعى عندهم مالا يجدون عند غيرهم . وقد ورد في الحديث « كاد الفقر ان يكون كفرا » وقلما نجد واحدا من هؤلاء الخراف يأنس مرعى له خارج دمتهم الا ويتفلت منها

وأما هؤلاء المنافقون المتفرنجون فانهم يغشون المسامين بأنهم منهم ، ينفعهم ما ينفعهم ويضرهم ما يضرهم ، وانهم انما يدعونهم الى الترفي عما هم عليه الى مدنية أعلى وحضارة أسمى ، وهي أن يكونوا مثل الافرنج في عزمهم وروثهم وذرهم ، وبحسبون لصغر عقولهم ، وقصر نظرهم ، ان ما يفوقنا به الافرنج من الثروة وأسباب القوة ، قد جاءهم من رقص نسائهم مع رجالهم ، ومن اختلاطهم بهم في مجامعهم ومحافلهم ، - أو من عدم مبالاة كثير منهم بالدين ، وان كان الا كثرون يتعصبون له ويبذلون له الملايين . - أو من عائلتهم في طعامهم وشرابهم وأزيائهم ، وفسقهم وفجورهم ، واجتماعهم وافتراقهم ، فطفقوا يقلدوهم في شر ما عندهم ، ويدعون المسلمين الى تقليدهم في أمثال هذه الظواهر ، على ان منها ما هو من سيئات مدنيتهم وقبائحها التي ينكرها عليهم حكماؤهم وعقلاؤهم ، ومنها ما هو مناسب لطبيعة بلادهم وأجياهم دوننا ، ومنها ما لا تقع فيه ولا ضرر لذاته ولا كنهه يضرنا من حيث هو تقليد لهم يضيف روابطنا القومية ، ومشخصاتنا الاجتماعية ، ويحقر أمتنا في أنفسنا ويمظم أمتهم فيها ، فيكون تمهيدا لقبول سيادتهم علينا بغير امتعاض ، دع ما يتوقف عليه البقاء من الجهاد .

وقد قوي هجوم هؤلاء المتفرنجين في فاتحة هذا العام فكان أشد مما كان عليه في العام الماضي ، فكان شأنهم معنا كشأن دعاة النصرانية سواء . ومنبت هذه الفتن ومطلع رؤوس شياطينها الآستانة ومصر ، وقد اشتركت المدينتان في مسألة الدعوة الى تهتك النساء باسم تحرير المرأة ، وامتازت الآستانة بالغلو في عصبية الجنسية ، وقطع ما امر الله به ان يوصل من الوشائج الدينية ، بمثل كتاب (قوم جديد) و (ترجمة القرآن) بالتركية وغير ذلك .

ان الاستانة ومصر فرسا رهان في تهتك النساء وفي تجري المتفرنجين على ذلك، وقد نشر بعض الشبان في الجرائد المصرية دعوة الى جمعية تسعى لهتك ما بقي من آثار الحشمة التي يسمونها حجابا وإبطال ذلك بالفعل، وعقدوا اجتماعا في ادارة (الجريدة) التي هي لسان حالهم واقنعوا بعض النساء بحضوره حاسرات فهجم بعض الشبان عليهم امامتهم وتقبيلهم فنعيم آخرون. وقد اختلفت الروايات عينا في تفصيل ما كان في هذا الاجتماع فلا يحزم بشيء منه ولا فائدة في شرحه.

فام هؤلاء الشبان بهذه الدعوة في وقت جاء تساقط البرقيات الاوروبية ببيان ضرب من ضروب فضائح اختلاط النساء بالرجال ما كان يذاع مثله من قبل. وهو انه قد انقضت عدة من المدارس اللواتي يتلقين العلوم العالية في مدارس المانية الجامعة. وهذا وانما الانانيين اندام عصابة من السنكسوين - دع الاتنيين - في التربية الدينية والصيانة المنزلية. وان كثيرا من الدعاة الى تهتك النساء الذي يهرون عنه بتحرير المرأة، لا يعمون الا ان يهدوا السبيل لانفسهم للتمتع بالحسان من ثيات وابكار، وقايل منهم من يقول انهم يلبس المصالح المدني وهو عاجز عن كل اصلاح فلا يرى اهون عليه من اللفظ بالكلام في هذه المسألة، لانه لا يتوقف على علم ولا عمل، فما على الا لفظ الا أن يبرز ما كتب غيره من قبل في قالب جديد، ويزيد عليه من لغو الكلام ما يشاء ان يزيد. يقول في أهل الصيانة مالك لا ترد على ما يكتب هؤلاء المفسدون، فنك اطلب، وإياك أرجو، أن تتبع عوارهم، وتعلم أظفارهم، وإني أرى ان الذين قاموا في وجوههم سائحين متهمكين قد كالألهم الصاع صاعين أو عدة أصع، وليس عندهم شبهات قوية تحتاج الى علم واسع وحجج قيمة. بل لا يكاد يفهم مرادهم من كلامهم، ولا أراهم يبينون ما يريدون. فليست المرأة مستعبدة فيكون طلبهم تحريرها طلبا حقا لها شرعي أو عقلي، وليست محجوبة في مصر حجابا مانعا لها من التصرف والرياضة ولا التمرج المذموم أو غير المذموم بل هي تقبل ما تشاء. الا ان القاعدة العامة في نساء الانبياء والموسطين في المدن انهن لا يحضرن اندية الرجال ومجامعهم العامة، وأما المجالس الخاصة والمحاكم ومحال التجارة فيحضرها كثير منهن. وانهم لا يخلون بالرجال الا حاش في البيوت الا شذوذا. فالظاهر أن هؤلاء المتفرنجين يطالبون لان إبطال هاتين العاديتين دفعة واحدة. ولا يشك ذو عقل ان ذلك مما يستشري به الفساد، فيستشري في الناس الاضرار، وليس له حشمة تمحو سيئة من سيئاته، على ان دفع

المفاسد مقدم عقلا وثقلا على حجاب المصالح ، وابن هي في مسائلنا .
 إن نساءنا في حاجة الى علم وأدب تتقف بهما عقولهن ، واتصالح بهما عاداتهن ،
 ويقدرن بهما على تدبير المنازل وتربية الاولاد ، ويكون عونا للرجال على تجديد حياة
 الامة الاجتماعية بمقوماتها ومشخصاتها من الدين واللغة والعادات الحسنة . ولا يتم هذا
 الا بتأليف جمعية من أهل البصيرة والرأي تنشئ المدارس الداخلية للتعليم والتربية في
 والمدنية بالعمل . وجمعية أخرى للنساء المتعاملات المهذبات غير المقتونات بالتفرنج .
 إصلاح البيوت الموقت . والمتفرنجون لا يطلبون هذا وإنما يودون ان يفسخ جميع نساء المدن
 مما بقي من عاداتهن ويقلدن نساء الافرنج في الاختلاط بالرجال غير الخاطرين في البيوت والجماع
 والأندية والملاعب والملاهي والمتزهات ، وما يتبع ذلك من العادات في الزم والمعبودات
 ولو فرضنا ان جميع ما ينسلخن منه بهذه الصفة فيسبح أو ضار من بعض الوجوه
 وجميع ما يدخلن فيه حسن في ذاته ونافع لاهله ، لما صدنا ذلك عن إنكاره .
 التحول والاقبال ، لما يترتب على التغيرات القومية من المضار وضمف مفوماتها
 ومشخصاتها ، وتراخي روابطها وانقسام عري جاءتها . وناهيك به اذا كان التحول
 لامة أخرى تراها أرقى منها . فكيف اذا كان ما يطلب من نساءنا التحول الى
 قبيح ضار لداته أو ضار بامتنا دون الافرنج

ان الضرر في تفرنج نساءنا أنواع : ديني وسياسي واجتماعي واقتصادي ، ولا نذكر
 شرح هذا في عجالة كهذه . ولكن التفرنج فتنة ، واسكل جديد لثمة ، ونفس
 ان ما يطلبه المتفرنجون لنسائهم من هتك الحجاب الرقيق الخائل دون تمام التخليع في
 ما ذكرناه من بقايا العادات - قريب غير بعيد ، فقد بدأ به بعضهم ولما وجدوا
 سريان التقليد فيه . بأن الذين يسافرون بنسائهم الى أوربة يلبس نساءهم البشوش
 الافرنج ويأكلن مع الرجال ويجلسن معهم في الملاهي والملاعب . ومنهم الذين
 نساءهم بقاء أصدقائهم ومجالستهم ومؤاكاتهم ، يكون هذا بينهم بالماءة
 لم يرخص بعض الشبان لانه تدرج وهم يطلبون الحفرة . ومن يتبع في
 الهاتكين لأحسن من بقي من عادات نسائهم لرأى وسمع من الفضائح ما يستعجب من
 وتدوينه . وأنا ليحزنا ان نرى هذه العدوى قد سررت الى بعض الفتيات
 وجملة القول ان متفرنجي مصر والآستانة يستعجلون بتغيير عاداتهم
 والجمع بينهم وبين الرجال تقايذا الافرنج ، على انه ليس لهم ولا نسائهم
 وتربيتهم وآدابهم وأخلاقهم الموروثة من مجمل الملة انهم كمناء نساءنا

لا معنى بأشد ما نحتاج الى انواع مثله من مزايا الافرنج وفضائلهم لان في تحصيله مشقة ، بل
 معنى بمحاكاهم في مظاهر الزينة واللبدة ، وطمنا اهلكت اللذة والزينة الاعم القوية ،
 فكيف يكون فعلها بالاعم الضعيفة ؟ ان مسلمي الهند من أشد أهل الارض مبالغه في
 حجب النساء ولم يمنع ذلك الطبقة المصرية منهم ان تكون أرقى من مثلها في الآستانه
 ومصر . واسكن من كان له هوى في شيء لا يلتفت الى ما يخالف هواه ، وان كان مؤيدا بأقوى
 الحجج وميئنا بأوضح الشواهد والامثال . فالمصريون والترك يريدون بالتفرنج ان
 يكونوا مثل الافرنج . هو الذي ببعضهم عن ان يكونوا مثاهم ، بما يجعلهم عالة عليهم ،
 ويذهب بما بقي من استقلالهم السياسي ، لانه منوط باستقلالهم الاجتماعي والخلقي ،
 ان السواد الاعظم من الشعب التركي والشعب المصري يفت هذا التفرنج ، واسكن
 ليس للسواد الاعظم زعماء يستعملون قوته المعنوية في المحافظة على مقومات الامة
 بخصائصها مع اقتباس ما يقويها من الفنون والصناعات المصرية . وأما المتفرنجون فهم
 على قنهم يمتزجون بالافرنج أنفسهم ، وناهيك بنفوذهم وسلطانهم ، وكون جل رجال
 الحكومة من سبك معاملهم . ولا حظ لهؤلاء الافرنج الا جعل جميع ممالك الشرق
 مزارع ومناجم لهم ، وأهالها فلاة لخدمتهم ، وسوقا لانواع سلعهم . ولله درهم ! فان
 أرقى ما وصلوا اليه من العقل والعلم هو ما جعلهم يتصرفون في الاعم والشعوب كما
 يتصرفون في الحيوان والنبات والجماد

هذا ما أحبيت اذكر به السكارهين لهذا الغلو والاستعجال ، بالجمع بين النساء
 والرجال ، وهو لا يغير شيئا من هذه الاحوال ، وانما الذي يمكن ان يغيرها هو العمل
 الذي أشرنا اليه دون سواء .

العصبية الجنسية

ان روح التعليم الأوربي والسياسة الاوربية أحدثت في ايام الشرق كلها نزعة جنسية .
 وقد كان المسلمون أبعد الناس عن هذه النزعة فلذلك كانوا ضعافا فيها ، وكان العرب
 أشدهم بعدا عنها وضعفا فيها ، ولذلك كتبت في مقالات (العرب والترك) التي نشرتها
 في الآستانه ثم في المنار ان تكوين عصبية جنسية للعرب لا يمكن ان يكون الا من عمل الآستانه
 ان في الترك من غلاة العصبية الجنسية من يعز نظيرهم في غيرهم ، واتفق ان
 كان زعماء جمعية الاتحاد والترقي من هؤلاء الغلاة . فلما صار اليهم أمر الدولة ، اندفعوا
 اندفاعا شديدا في تقوية العصبية التركية ، ومحاولة تترك جميع الشعوب العثمانية ، فهبجوا
 بذلك عصبية هذه الشعوب حتى نجحت قرون الفتن ، وسفكت الدولة دماء غزيرة في

بلاد الارنؤوط و بلاد العرب ، و انتهت سياسة الشدة والقوة بحرب البلقان التي خذلت بها الدولة ، وورث البلقانيون جميع ولاياتها الاوربية الا (ادرنه) فبقيت لها ، وبلاد الارنؤوط فاتها استقلت بنفسها . فاضطر الاتحاديون الى سياسة المداراة وتعزيز الجنسية التركية في نفوسها بالمدارس ونشر الكتب والرسائل والصحف ، مع ترك سائر الشعوب العثمانية تخطب بجهلها اذا لم ترض الاضطباع بالجنسية التركية في مدارس الدولة الرسمية ، والمدارس الاهلية التركية ، التي يجتمعون لها الاعانات بنفوذ الدولة والخلافة من العثمانيين ومن مسلمي الممالك الاجنبية

يرى هؤلاء العاملون انه ليس في طريقهم عقبة تحول دون بلوغ المقصد بالسرعة التي يبتغون من وراء هذا العمل الا حاجة الترك الى اللغة العربية لاجل الدين . ويرون ان هذا الدين ولغته مما يميّز تكوين أمة تركية ودولة تركية محضّة على الطراز الافرنجي الفرنسي ، فاجتهدوا في ازالة هذا المانع بمزيلين (أحدهما) ترجمة القرآن بالتركية ودعوة الترك الى الاستغناء عن القرآن العربي بما سموه القرآن التركي ، واذا استغنوا عن القرآن يستغنوا بالاولى عن غيره من كتب الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم والفنون العربية (الثاني) نشر الكتب والرسائل التي تجعل الجنسية التركية أعلى وأسمى في النفوس من رابطة الدين تمهيداً لنسخ الثانية بالاولى ، بمؤنة الكتب الكثيرة التي تطعن في الاسلام ككتاب تاريخ الاسلام الذي ألفه أعداء الاسلام من الايطاليين وترجمه الدكتور عبد الله بك جودت بالتركية ، فكان له تأثير شديد عند طلبة المدارس العالية ولاسيما مدرستي الطب والحربية ، الذين لا يكادون يعرفون من الاسلام شيئاً وقد نشروا في الآستانة كتاباً تركياً اسمه (قوم جديد) كان أنصح معبر عن رأي هؤلاء المتفرنجهين من الترك ، ومما جاء فيه الانكار الشديد على وضع اسماء الخلفاء الراشدين وسبطي الرسول (رضوان الله عليهم) في ألواح معاقبة في قباب المساجد التركية مع ان أولئك الرجال من العرب ، قال الكتاب ينكر عليهم ذلك ويقول للترك أليس عندكم من الخلفاء والرجال العظام من الترك من هم خير من أولئك العرب . انزعوا هذه الاسماء وضعوا مكانها اسماء عظام الترك مثل طلعت بك وقنحي بك وانور بك « صلوات الله عليهم » (??) ويقول إن كل من يساعد رجال الدولة على الاعمال العسكرية يكون أفضل من الائمة المجتهدين ومن شيخ الاولياء العارفين الشيخ عبدالقادر الكيلاني الخ وهذا قليل من كثير ، والامر لله العلي الكبير .

(تنبيه) : سقط في الآية لفظ « في » في ص ١٠٧ السطر السادس فليصلح

قدس عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المائدة

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

مصر ٣٠ ربيع الانور ١٣٣٢ هـ ق ٥ الشتاء الثالث ١٢٩٢ هـ ش ٢٥ فبراير ١٩١٤

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

انتقنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وطيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعاً قد مناه تاخر السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه وربما جينا غير مشترك لثقل هذا وان مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا مذر صديع لا تخفاه

﴿ دعاة البهائية ومجلة البيان المصرية ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في القاهرة

حضرة العالم الفاضل صاحب المنار الاغر

نشرت مجلة البيان التي تصدر في مصر مقالا عن البهائيين وزعيمهم عباس افندي جاء فيه ما يأتي : - « ذلكم هو مولانا عباس افندي المقلب بعبد البهاء بطل الاصلاح الديني وسيد المصلحين الدينيين، والمصدر الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » البهائية هي كمال حي » - « هي الكاثوليكية الصادقة » . وما دعوتها في الحقيقة الا دعوة اصلاح ورقى للاسلام » - ان انصارها استخرجوا اسمي تعاليم القرآن فنقوها مما علق بها مما ليس من الدين الصحيح في شيء » - « ان نعم الآخرة وهم وخيال » هذا بعض ما جاء في تلك المجلة وما نشره صاحبها المسلم الازهري عقب مقابلته لزعم البهائيين في الاسكندرية

وقد رد على (البيان) الاستاذ صاحب (عكاظ) في عدة مقالات وتبعه كاتب في جريدة الشعب ثم تبعتهما جريدة الافكار وكاهم كان يطلب الى صاحب (البيان) تكذيب ما نشره في هذا الموضوع والرجوع الى الحق ، ولكنه كان يقول لهم اني كتبت واكتب عن البهائيين وزعيمهم كما كتبنا عن فولير وسبفسر ونيشيه ، وكما كتب الاوريون ويكتبون عن العظماء والفلاسفة والتابعين

فما رأي العالم الجليل صاحب المنار في ما نشره « البيان » في موضوع البهائيين وزعيمهم ؟ وما رايه في رد عكاظ اولا والشعب والافكار ثانيا ؟ { ف - صحفي قديم }

(ج) ينال في المنار مرارا ان البهائية قد اتحلوا ديناً جديداً في هذا العصر ،

.....

هو أساس الاسلام ، واساس دين البهائية وثني مادي ، وهم يعبدون والد زعيمهم عباس افندي الملقب (بعبدالبهاء) وما هذا اللقب الا عنوان القول بالوهمية البهاء . ولهم شريعة ملفقة من الأديان المختلفة ، وفلسفتها هي عين فلسفة سلفهم من فرق الباطنية ، الذين حاربوا الاسلام بالدسائس التي اخترعتها لهم جمعيات الجيوس السرية ، لافساد أمر المسلمين وازالة ملكهم انتقاما للمجوسية التي أبطلها الاسلام . الا وان مرزا حسين الملقب بالبهاء هو وولده الداهية عباس افندي قد جملا دينهما الجديد تنقيحا لما دعا إليه الأئمة الثنار مرزا محمد علي الذي اشتهر بلقب (الباب) وانما مهد السبيل لدعوته في بلاد القرم بدعة الشيخية ، الذين هم اكبر المفسدين في الشيعة الامامية ، وسننشر في المنار شيئا من فلسفتهم الخيالية ، التي انتزعوها من أباطيل الباطنية ، وزفوها في معرض الاساليب الصوفية .

وجهة القول ان دين البهائية دين مخترع ، افتراه الباب الخدوع ، وتقمحه بتادي الزمان الباقعة عباس افندي . وهو أضر على الاسلام من كل دين في الأرض ، لان أهله يسلكون في الدعوة اليه سلك سلفهم الطالح في مخادعة عوام المسلمين وابهامهم أنهم يصلحون لهم دينهم ، واحتجاجهم بالشبهات التي يحرفون بها القرآن والاحاديث بالتأويلات البعيدة ، فهم أكبر فتنة على المسلمين في هذا العصر ولا سيما على الشيعة ، لان الغلو في التشيع سلم للباطنية ، ولهذا كان يقول بعض العلماء يقول : اثني برافضي كبير اخرج لك منه باطنيا صغيرا ، واثني باطني كبير اخرج لك زنديقا كبيرا فمن عرف دين البهائية من المسلمين ومدحه واستحسنه وشهد بكونه حقا أو اصلاحا للاسلام ، وكونه هو أو زعيمه معصوما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كانت بذلك مرتدا عن الاسلام ، وان زعم انه مسلم ، فهو زنديق منافق كسائر الباطنية اذا كانوا ضغفاء بين المسلمين فالبهائية كسلفهم من الباطنية يتوسلون بدعوى الاسلام بين المسلمين ليقبل كلامهم في دعوتهم الى باطلهم وتخریف معاني القرآن بالاستدلال عليها وإبطال ما يفهمه المسلمون منها . فاذا كان صاحب البيان قد قال ما نقله عنه السائل متقدما له فالامر ظاهر ، وان كان قد كتبه عن جهل بحقيقة القوم فكان الواجب عليه بعد ان نبهته جريدة عنكاظ وغيرها ان يرجع الى الحق ويصرح ببطالان دين البهائية وتحذير المسلمين من خداع دعائه (ويسمونه مباغين) وأما ما ذكره السائل عنه من الاعتذار عن تقديس دين وثني مادي وتقديس داعيته واحد مخترعيه - بان مدحه له كمدحه لفولتير - فهو غريب ، فان مدحه لفولتير إن

كان باطلا فهو تأييد للباطل بالباطل ، وان كان يراه حقا ويرى ان ما قتله في عباس افندي ودينه حق أيضا ، يكون ذر ارتد عن الاسلام ودخل في دين البهائية . والا فان من قال حقا وقال باطلا ، لا يكون قوله الحق مرة عذرا له اذا قال الباطل بعده . والذين مدحوا مثل فولتير من كتاب الافرنج كانوا مثله مارقين من التصرانية ، فهل يرضى صاحب البيان ان يكون مدحه لعباس كمدحهم لفولتير ؟ وايس ما نقله السائل عن البيان قول مؤرخ بحكي شيئا وقع لارأي له فيه ، حتى يقال « ان حاكي الكفر ليس بكافر » بل ذلك مدح لهذا الدين الجديد وتفضيل له على غيره يتضمن دعوة المسلمين اليه . فاذا لم يكن هذا مراده فليصرح كتابة ببراءته من البهائية والتحذير من كفرهم بالاسلام . على ان فيما نقله السائل عنه ما هو كفر في نفسه بالاجماع ، كإنكار حقيقة ائمة الآخرة ، وتسميته وهما وخيالا ، بناء على ان هذا من مذهبهم . وجملة القول ان من شأن المسلم ان لا ينشر شيئا يعد كفرا في دينه ، وان لا ينقله عن غيره مقرا له ومستحسنا . فكيف ينوه بمدح دين جديد يراد به نسخ الاسلام وابطاله من الارض ويصفه بأنه هو الحق الذي لا يأتيه البطل من بين يول من خلفه ؟ وقد قرأنا بعض ما نشر في عكاظ ردا على البيان فرأينا مبنا على اساس الصواب ولم نر ما كتب في جريدة الشعب لانتا لا تكاذ تقرأها بل قلما تراها - وكذا جريدة الافكار - والحق ظاهر في نفسه

(البحث في تعدد الزوجات والطلاق والحجاب)

(س ٤) من صاحب الامضاء في مصر

فضيلة الاستاذ العالم العلامة منشي المنار الأغر

بعد الاحترام نرجو من سيادتكم اجابتنا على السؤال الآتي في مناركم الأغر : هل يعد البحث في تعدد الزوجات والطلاق والحجاب من الوجهة العمرانية وتبيان اضرارها في الناس من الوجهة الاقتصادية اهانة للدين الاسلامي

عبد الحميد حمدي بشبرا مصر

(ج) حاشا لله ان يعد البحث في هذه المسائل اهانة للدين الاسلامي مطلقا . بل كثيرا ما يكون البحث فيها كاشفا عن حكم الاسلام وفضائله ، ومبيننا وجه كونه دين الفطرة الجامع بين مصالح الروح والجسد . ولكن غير المسلم قد يهين الدين

الاسلامي اذا خالب هواه ورأيه بعض أحكامه ، فيتخذ ذلك وسيلة للطعن فيه .
أما المسلم فانه يبحث عن الحقائق مع الادب فان عرضت له شبهة على حكم إسلامي
ثابت يزداد بحثا ليزداد علما ، ولكنه ينسب القصور الى نفسه لا الى دينه ، ويجعل
هذا قاعدة للبحث ، الى ان يتبين له الحق .

﴿ اسئلة من صاحب الامضاء في (العطف) من ٥ - ١١ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الاستاذ الأوحد منشىء المنار المنير ، السيد محمد رشيد رضا ، شاد الله به
منار الدين

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فاني سائل فضيلتكم عن أمور أشكلت علي
مؤملا اسعافا باجوبتها لما اني لا ارى لذلك ممن اعرف اهلا سواكم
(١) لماذا حمل الاستاذ الامام اخذ الكتب في القيامة بالايمان وبالشمائل من
وراء الظهور على اخذها بنشاط وسرور أو بضد ذلك مع إمكان الحمل على الظاهر
الذي تمتنع مخالفته بلا دليل ؟ واستبعاد تصوير وراء الظهر بما صور به لا يوجب
رفض الظاهر فلم لا يقال يأخذ الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره حقيقة ، ولا يزداد على
ذلك ؟ ويجعل النشاط والسرور سبباً للأخذ باليمين وضد ذلك سبباً للأخذ بالشمال
من وراء الظهر ؟

(٢) هل يحل التداوي بالخمر اذا ظن نفعها بخبر طيب أخذاً من آية (ما جعل الله
عليكم في الدين من حرج) ومن القاعدة المتفق عليها : الضرورات تبيح المحظورات .
واذا جوزتم فما ترون في حديث « إنها داء وليست بدواء » أو كما ورد
(٣) هل الخمر نجسة وما دليل نجاستها ان قلتم بها ؟ فاني لم ار دليلا شافياً بعد
شدة البحث

(٤) ما جواب مجوزي سماع الملاهي عن حديث تحريم سماع المعازف الذي في
البيخاري

(٥) ما درجة حديث النهي عن تعليم النساء الكتابة وهل له معارض ؟ وما رأيكم
في هذا التعليم ؟ والحديث المشار اليه ذكره في فتح البيان عن البيهقي والحاكم وابن
مردويه وسكت عليه ، فهل ذكر الحاكم له يفيد تحته

(٦) ما درجة حديث جابر في خلق النور المحمدي قبل الاشياء فقد انكر الشيخ عبد العزيز شاويش صحته مع ذكره في كتب جمعة كشرح الحمزية لابن حجر لكن لم ار من صححه بعد شدة بحث في كثير من كتب السنة

(٧) لم شرطتم على المفتي ذكر دليل الحكم للعامي مع ان كثيراً من الادلة يصعب جداً تفهيمه اياها فالتكليف به حرج شديد ؟ واذا وسع العامي أن يثق برواية المفتي فلم لا يسعه أن يثق بانه اخذ فتواه من دليل صحيح ؟ فانا اذا نظرنا الى احتمال خطأ العالم في اخذ الحكم أو فتواه بما لا يعلم لزم أن ننظر الى احتمال كذبه في الرواية أو في تفهيم مرويّه ، ولا انزالكم ترتيباً في صعوبة تفهيم العامي بعض الادلة لعلمكم بان مأخذ الحكم قد يتركب من حديثين أو احاديث أو من سنة وقرآن ، ويحتاج تقريره الى فطنة والمأم بحمالة علوم

هذه ياسيدي الاستاذ مسائل اشتدت حاجتنا الى معرفة الحق فيها جداً فلجأنا اليكم والامل بتحقيق طلبنا ملء الفؤاد لا برحمة عضد الحق

خادم العلم الشريف
م . ز - بالعطف

﴿ اخذ الكتب بالايمان والشئام ﴾

حمل الاستاذ الامام الآية في سورة الانشقاق على الكناية لانه الابلاغ الذي يظهر به معنى الوعد والوعيد الذي وردت الآية في سياقه . والكناية لا تنافي الحقيقة ، فيجوز أن يكون المراد هو ما فسر به الآية مع كون الاخذ بالايمان والشئام ممدودة الى ما وراء الظاهر يقع بالفعل . ولكن ارادة الحقيقة وحدها خبر مجرد ليس فيه ما في الكناية من الموعظة وبيان حسن حال من يأخذ كتابه يمينه من قبل وجهه ، وسوء حال من يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره . وحمل كلام الله على ابلاغ الوجوه العربية واظهارها انطباقاً على مقاصد القرآن هو الاولى بل المتعين ، وقد انزل الله القرآن هدى وموعظة وعبرة وذكرى كما هو مبين في عدة آيات . نعم لا يجوز ان يتكلف المفسر في كلام الله تعالى معاني لا يسيغها الاسلوب العربي البليغ للهروب من معنى متبادر لا يوافق ذوقه أو رأيه . وقد عهد في الاستعمال العربي البليغ التعبير باليمين وبالاخذ باليمين عن اليمين والنشاط والعناية ، وبالتعبير بالشمال عن ضد ذلك من الشؤم والكراهة . وسمت العرب اليد اليمين اليمنى ، والشمال الشؤمى . وكانوا ييمينون بالطير اذا مرت يميناً ويتشاءمون

بها اذا مرت شمالا . فقول العرب اخذ فلان كذا يمينه او بشماله ، قلما يريدون الا الكناية ، فهو من الكنايات المشهورة بينهم ، لأن ارادة الحقيقة قلما تكون لها فائدة . واما قول العلماء ان الاصل في الكلام الحقيقة ولا يصار الى المجاز أو الكناية الا بدليل وقرينة ، فلا يريدون به ان كل ما امكن أن يراد به الحقيقة يحمل عليها مطلقاً ، فان من الكلام ما يحزم سامعه عند سماعه انه مجاز أو كناية مع إمكان ارادة المعنى الحقيقي . ثم ان تحديد الحقيقة في كل مواد الكلم والتمييز بينها وبين المجاز والكناية ليس من السهولة بحيث ينال من طرف الثمام ، ولعسر انكر بعض النقاد المجاز من اصله وعد الجاهير كثيراً من المجازات حقائق ، وخلطت معاجم اللغة الحقيقة بالمجاز ولم يعن بالترصيل بينهما الا افراد من الجهابذة كالزنجشري في أساس البلاغة ، وليس هذا المقام بالذي يتسع لبيان ذلك

التداوي بالخمير

التداوي بالخمير لمن ظن نفعها شيء . والاضطرار الى شربها شيء آخر . فلما الاضطراب فانما يعرض لبعض الافراد في بعض الاحوال ، وهو يبيح المحرم من طعام وشراب بنص قوله تعالى (وقد بين لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) وبني الخرج والعسر وغير ذلك من الأدلة . وقد مثل الفقهاء له في شرب الخمر بمن غص بلقمة فكاد يخنق ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر . ومثله من دق من البرد وكاد يهلك ولم يوجد ما يدفع به الهلاك برداً سوى جرعة أو كوب من خمر ، ومثله أو أولى منه من اصابته نوبة ألم في قلبه كادت تقضي عليه وقد علم أو اخبره الطبيب بانه لا يجد ما يدفع عنه الخطر سوى شرب مقدار معين من الخمر القوية كالنوع الحديث الافرنجي الذي يسمونه (كونياك) فاننا نسمع من الاطباء انه يتعين في بعض الاحيان لعلاج ما يعرض من مرض القلب ودفع الخطر وقد ثبت ذلك بالتجربة . وهذا النوع من العلاج لا يكاد يكون شرباً للخمير وانما يؤخذ منه نقط قليلة لا تسكر . واما التداوي المعتاد بالخمير لمن يظن نفعها ولو باخبار الطبيب كتقوية المعدة او الدم ونحو ذلك مما نسمعه من كثير من الناس فهذا هو الذي كان الناس يفعلونه قبل الاسلام ونهى عنه النبي (ص) ونص الحديث الذي اشار اليه السائل «انه ليس بدواء ولكنه داء» رواه احمد ومسلم وابوداود والترمذي . وسببه ان طارق بن سويد الجعفي سأل النبي عن الخمر وكان يصنعها فنهاه عنها ، فقال إنما اصنعها للدواء . فقاله . وقوله

«ولم يكن داء» هو الحق وعليه اجماع الاطباء ، فان المادة المسكرة من الخمر سم تتولد منه امراض كثيرة يموت بها في كل عام الوف كثيرة ، والسموم قد تدخل في تركيب الادوية ، ولكن الذين يشربون الخمر ولو بقصد التداوي بها لا يلبثون أن يؤثر في اعصابهم سمها ، فتصير مطلوبة عندهم لذاتها ، أي لا مجرد التداوي بها ، فيتضررون بسمها ، فلا يعترف مسلم بأمر احد من الاطباء بالتداوي بها لمثل ما يصنفونها له عادة والله الموفق

﴿ نجاسة الخمر ﴾

ذهب جمهور الفقهاء الى نجاسة الخمر ، وروي عن ربيعة شيخ الامام مالك القول بطهارتها ، فاما نجاستها المعنوية فلا شك فيها ، واما النجاسة الحسية فلا تصدق على الخمر لغة لانها ليست قذرة والنجس ما كان شديد القذارة ، ولا قام عليها دليل من الكتاب ولا من السنة . وقد شرحنا ذلك في المجلد الرابع من المنار (ص ٥٠٠ و ٨٢١ و ٨٦٦) فليرجع اليه السائل ان شاء . وقد جمعنا الايام بعد كتابة ما كتبناه في ذلك المجلد بجماعة من اكابر علماء الأزهر في قطار خاص من قطارات سكة الحديد كان يحملنا الى بلدة (ديروط) بدعوة قطب باشا قرشي (رحمه الله) للاحتفال بتأسيسه مسجداً ومدرسة فيها ، فدار الكلام بيننا في هذه المسألة ، فقال احد علماء المالكية انه يريد أن يكتب رسالة يثبت فيها نجاسة الخمر بالدليل فتكون رداً على المنار ، قلت له اذا جئت بدليل صحيح يقبله المنار وينشره في الاقطار ، والا رد عليك ما تكتب ، ويمكنك أن تذكر الآن ما عندك من الدليل ، قال «الاجماع» قلت لم ينقله احد بل نقلوا عن الامام ربيعة التصريح بطهارتها ، قال «آية المائدة» قلت : إن لفظ «رجس» محمول فيها على الخمر والميسر والانصاب والازلام ، ولم يقل احد من من المسلمين بنجاسة الميسر والانصاب والازلام ، فتعين ان يكون الرجس هو المستقبح عقلاً وشرعاً لضرره ، والرجس يكون حسياً وهو ما يدرك باحد الحواس ، ويكون معنوياً وهو ما يعرف بالعقل والشرع مجتمعين أو منفردين ، قال تعالى (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) وقال (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم) وقال (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) ولا يمكن ارادة النجاسة الحسية بشيء من ذلك . . . ولما لم يستطع الاستاذ المالكي أن يقيم دليلاً ، سال احد الحاضرين مفتي الديار المصرية - وكان يسمع المناظرة - عن رأيه في المسألة . فقال

المفتي : ما مذهب الاستاذ ؟ يعني كاتب هذا - قيل له شافعي . فقال لي : ما المعتمد عند الشافعية في المسألة ؟ قلت المعتمد ان الخبر نجسة . قال انتمي الامم . قلت لا ، اننا نبحث في الدليل على نجاسة الخبر لا في نص المذهب . فان كان اليك دليل فاذكره لنا . فلم يات بشيء . ثم سكت الشيوخ وسكتنا .

﴿ سماع الممازف ﴾

قد شرحنا في الجزئين الأول والثاني من المجلد التاسع هذه المسألة فذكرنا إرادة مجوزي السماع وأدلة حاطريه . وأقوى أدلة الحاطرين حديث البخاري الذي أشار إليه السائل . اذ لم يصح في الباب سواء . بل قال ابن حزم : لا يصح في الباب حديث أبدا وكل ما فيه موضوع . وبيننا أجوبة المجوزين عن هذا الحديث (فمنها) انه منقطع الاسناد فيما بين البخاري (ومنها) ان في اسناده صدوق ابن خالد وقد قال فيه يحيى بن معين انه ليس بشيء ، والامام احمد انه ليس بمستقيم (ومنها) انه مضطرب المتن والسند بما بيناه هنالك (ومنها) ان كلمة الممازف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود . (ومنها) ان لفظة يستحلون ليست نصا في التحريم فقد ذكر القاضي ابو بكر بن العربي لها معنيين أحدهما ان المعنى : يعتقدون ان ذلك حلال . والثاني ان يكون مجازا عن الاسترسال والاكتثار من ذلك { ومنها } ان لفظة الممازف مختلف في مدلولها والاختلاف يوجب الاحتمال المسقط للاستدلال { ومنها } ان الممازف المنصوص عليها فيه هي ما كانت مفترنة بشرب الخمر كما استفاد من بعض روايات الحديث (ومنها) ان المراد بالحديث يستحلون مجموع ما ذكر فيه لا كل واحد منها . وحينئذ يستثنون الممازف بدليل كون الدف والغناء منها جمعا بين الأدلة ، إذ ثبت في الأحاديث المتفق عليهم - سماع النبي (ص) واجازته لهما . واذا أراد السائل أن يقف على تفصيل هذه الوجوه والاجوبة عنها وما يخص ما قاله المجوزون والمحرمون في المسألة فليرجع الى المجلد التاسع من المنار .

والذي ظهر لي من مجموع ما ورد في هذا الباب ومن كلام العلماء المختلفين في المسألة ان سماع الغناء وآلات اللامو ليست محرمة لذاتها مطلقا ، ولكن الاكثار منها مكروه ولو لم تبعث على معصية ، فاذا كانت مغربة بالفسق كما يقع كثيرا حرمت لسد الذريعة . ولما كثر اللامو والفسق من المفتونين بالممازف وصارت أغانيهم كلاما غرامية خلاقا لما كان عليه الناس في القرون الاولى وصارت بذلك من دواعي السكر والعشق المؤدي للفسق - اكثر علماء الدين من ذمها والتفكير منها والجزم بتحريمها - كما حرّموا

ابداء المرأة لما ظهر من زينتها وكشف وجهها وكفها خوف الفتنة ، حتى منعوا النساء الصلاة في المساجد . وقالوا مثل ذلك في الاورد الجليل الصورة . وحديث البخاري أي المسئول عنه اخبار بالغيب عن حال هؤلاء الفساق ، فلم يبعد عن الفهم من قال انه في تقييع حال هؤلاء الفساق في جملة أفعالهم . فرواية البخاري « ليكون من امتي قوم يستحلون الحر (١) والحرير والخمر والمعازف » ورواية بعض السنن « ليشرن ناس من امتي الخمر يسمونها بغير اسمها يزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات » وفي لفظ « تروح عليهم القيان وتعدو بالمعازف » فالحديث مروي بالمعنى ولذلك اختلفت ألفاظه . ولا شك ان ما يؤخذ من تعدد الفاظه يدل على استقباح النبي (ص) لمجموع فعل هؤلاء الفساق ، ومنه عزف المغنيات لهم على شرهم وفسقهم . فهو مثل حديث « صنفان من اهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات لميلات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ربهن ، وان ربهن ليوجد من مسيرة كذا وكذا » رواه احمد ومسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة . فاما الرجال الذين يضربون الناس بسياط كأذناب البقر فهم اعوان الحكماء الذين ابتدعوا السياط التي تسمى الكرايسج وصاروا يذبون الناس بها . واما النساء الموصوفات بما ذكر فمن مشاهدات في زماننا . ولم يفهم المراد من وصفهن بما ذكر كثير من العلماء قبل وجودهن . وانت ترى من وصفهن انهن يضمن على رؤوسهن شيئاً مرتفعاً شبه سنام البخت من الابل . وهذا يحد ذاته مباح بالاجماع ، ولكنه مع سائر تلك الثموت يمثل حال طائفة من الفواسق العوان اللواني يضلن كثيراً من الناس

﴿ تعليم النساء الكتابة ﴾

لم يصح في النهي عن تعليم النساء الكتابة شيء . وليس كل ما يرويه الحاكم صحيحاً بل صحح في مستدركه على الصحيحين أحاديث جزموا بان بعضها ضعيف وبعضها موضوع . ومنها هذا الحديث الذي يشير اليه السائل « لاتسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة » رواه في المستدرك من طريق عبد الوهاب بن الضحاك عن عائشة ، وهو كذاب كما قال ابو حاتم ، مثبوك كما قال النسائي ، ينكر الحديث كما قال الدارقطني . وقال الحافظ بن حجر في الاطراف بعد ذكر تصحيح الحاكم : بل عبد

(١) الحر بالكسر الفرج والمرأ الزنا ، وفي لفظ الخز بمجيتين . وهو نوع من الديباج وهذا من الاضطراب في متن الحديث

الوهاب متروك، وقد تابعه محمد بن ابراهيم الشامي عن شعيب بن اسحق ، و ابراهيم رماء ابن حبان بالوضع . وان حبان هو الذي روي حديثه هذا في كتاب الضمفاء ، وقال الدارقطني فيه : كذاب . واخرج ابن حبان في الضمفاء أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً « لا تعلموا نساءكم الكتابة » وفي سنده جعفر بن نصر وهو منهم بالكذب كما قال الذهبي . وهذه الروايات الواهية او الموضوعية معارضة بروايات صحيحة في مشروعيتها لتعليم النساء الكتابة . منها حديث الشفاء التي علمت حفصة أم المؤمنين الكتابة ، وقال لها النبي (ص) مرة مازحاً « الا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة » رواه احمد وابو داود بسند رجاله رجال الصحيح ، الا ابراهيم بن مهدي البغدادي المصيصي وهو ثقة كما قال ابن القيم ، ورواه النسائي والحاكم وصححه ، وغيرهم . وقد صرح كثير من العلماء بأن حديث الشفاء يدل على جواز تعليم وتعلم النساء الكتابة ، وفي الأدب المفرد للبخاري ان عائشة بنت طلحة كانت في حجر عائشة أم المؤمنين تكتب الرجال . كانوا يكتبون اليها من الامصار ويهدونها لمكانها من أم المؤمنين فتأمرها أم المؤمنين بأن تحببهم على كتبهم وتيسرهم على هداياهم . وعلى هذا جرى المسلمون فكان فيهم كثير من الكتابات العلامات بالحديث والأدب والفنون . وهن بدخلن في عموم خطاب الشرع في جميع احكامه الا ما خصص . ومن مقاصد الشرع اخراج الامة من الاية وتعليمها الكتاب والحكمة كما هو منصوص في كتاب الله تعالى

حديث جابر في أول الخلق

تجدون الكلام على هذا الحديث وما في معناه من كون نبينا (ص) كان نبياً وآدم بين الماء والطين وغيره في ص ٨٦٥-٨٦٩ من مجلد المنار الثامن . ولا عبرة بكلام مثل الشيخ عبد العزيز جاديش في انكار حديث ولا في اثباته فانه ليس من علم الحديث في شيء ، وهو جريء على القول في الدين بالهوى والرأي حتى انه انكر بعض احاديث الصحيحين بغير علم ، فهو ينكر ما لا يوافق عقله ورأيه

ذكر المفتي للدليل

لنكم ذكرتم في السؤال عبارة التي استبطنتم السؤال منها فاتا لا تذكر مسألة الشرطية ولا تذكرها ، وانما تذكر اننا كتبنا مرارا انه ينبغي للمعلم والمفتي في الدين أن يبين للناس نصوص الكتاب والسنة في المسائل ليمروا اصل دينهم ، ومن ان أخذ الحكم الذي لقنوه أو أفتوا به . وهذا هو الواجب الذي أخذ على اهل الكتاب المهد أن يبينوه

لأناس ولا يكتبون ، فإذا تعمس أو تذر على بعضهم فهم الآية أو الحديث بمد يانه
بقدر الاستطاعة خرج المفتي من تبعه الكتمان . وأما المسائل التي لا نص فيها بعينها
ويتمذر على السائل فهم مأخذها ، كـ بعض مسائل المواريث التي بدخلها العول مثلاً ، فلا
بأس ببيان الحكم فيها بدون ذكر مأخذها . وأما تهويد الناس اخذ مسائل الدين بدون
وصلها بأصلها من الكتاب والسنة فهو قطع لحبل الله ورسوله بين المؤمنين ، وهو الذي
فتح للباطنية وغيرهم من المضالين ، باب اضلال المسلمين . اذ صارت العامة تقبل كل ما يقال
ها انه من الدين . — فهذا سبب ما رأيتوه وسميتوه اشتراطاً ، ولولا ضيق الوقت
لراجعنا ما تشيرون اليه من مظانه واجبتنا عنه بعينه ، والخطب سهل ان شاء الله تعالى .

باب الانتقاد على المنار

قد عابرة في المنار ، والمناظرات بين دعاة النصرانية وعلماء الاسلام
الذين لنا طاهر افندي التنير من بدوت نبذتين في الرد على دعاة النصرانية
الذين فصح لهم الدستور باب الجرأة على توزيع رسائل الطعن في الاسلام في سورية
حتى قاربوا ان يجهروا فيها كما يجهرون في مصر ، وقد رأينا في كل من النبذتين
شدونا في التعبير فحذفنا ونقحنا وتصرفنا في العبارة محذوف بعض المعاني الشعرية
التي تؤثر تأثيراً رديئاً بلا فائدة . وقد ظهر لنا بعد ذلك انه بقي في الكلام ما ينتقد
على الكاتب ، وكذا على الناشر ، لانه يؤلم القارئ من النصارى ، اذ كشفنا
بعض اصدقاءنا السوريين بما انتقدوه ، وقالوا ان مثل هذا لا يعهد من المنار ، فهو
يرد على المبشرين من سنين طويلة ولم ننتقد عليه كلمة واحدة تعد جارحة أو بعيدة
عن الأدب ، ثم انه قد عرف بأنه داعية وفاق ومودة ، فلا ينبغي له ان ينشر لمن
لا يراعون مشربه هذا ما ينافيه . فرأينا ان نكتب كلمات في هذا الموضوع
تزيل اللبس ، وتكون هي التول الفصل ، وهي :

(١) اننا نحمد الله تعالى ان جعلنا من دعاة الوفاق والمودة ، ومن محبي الأدب والزهادة ،
وأنه لم يردنا ونحن ننا ان تقع في سهو او غلط ينافي ذلك ويعارضه ، واذا عثرنا
على شيء من التوبة والندم ، وتلافى ما يمكن تلافيه بما نحمله الطاقة ، وتناله الاستطاعة .
(٢) ان المنار لا يشترك فيه النصارى كما يشترك المسلمون في صحفهم الدينية — دع
الشيء التي تسمى عامة — فلا يوجد في مشركه عشرة نفر من النصارى ، لأجل هذا
الخطب في تلك عند كتابة كل شيء او نشره ان يراعى فيه موقعه من نفوسهم ، وتأثيره
فيهم ، والأدب مطلوب عندنا اذاته . وإنما يطبع عليه عدد قليل من اهل العلم
والادب ككتاب الصحف التي يادها المنار ، وهؤلاء من الاحرار اصحاب الصدور

(المنار - ج ٣ م ١٧) الانتقاد على المنار. والمناظرات في النصرانية والاسلام ١٨٩

الواسعة ، فاذا هم استنكروا شيئا لا يذيعونه في جمهور قومهم ، ونتيجة هذا أن ما ينشره المنار لا تأثير له في عامة النصارى حتى يقال ان المجلات كالجرائد يجب ان يراعى فيها شعور جميع الملل التي تقيم في الوطن التي تصدر فيه او تنطق باللغة التي تكتب بها . فهو اذا من كتب الاسلام الدينية ، فلا وجه لمطالبتنا بأن نراعى شعورهم فيه ، ولا لدعوى ان ما ينشر مخالفًا لعقائدهم او ردا عليها يوجب التفرقة والعداوة .

(٣) إن دعاة النصرانية هم المعتدون على المسلمين بالظعن في دينهم بما ينشرون من الكتب والرسائل والصحف ، وبما يعتقدون من الجامع لدعوة المسلمين الى دينهم وفي مدارسهم ومستشفياتهم ، فصار من الواجب علينا شرعا أن ندافع عن ديننا ، ونفرعوا منا عن قبول دعوتهم . فالفرق بيننا وبينهم انهم مهاجمون ونحن مدافعون ، وانهم يكتبون مطاعنهم لينشروها في المسلمين ، كما يكتبون مطاعنهم القولية فيهم ، ونحن لا نشر مطاعنا بين النصارى ولا نشافهم بها ، ولا يكاد يطلع عليها الا عدد قليل من محبي الوقوف على الشؤون العامة . فمن ينتقد ما نكتبه بدعوى انه يوجب العداوة والتفرقة بين عامة الفريقين مخطيء ، وانما يكون مصيبا اذا قال ذلك فيما يكتبه اهل ملته ودينه ، لانهم ينشرونه بين المسلمين فينفرونهم من النصارى ، ولا يغفل عن هذا او يتغافل عنه الا الغالي في التعصب .

(٤) قال بعض اصحابنا إن الطاعنين في الاسلام من النصارى كلهم من الاجانب كالا مريكانين والانكاز لا من ابناء وطننا ، فلا ينبغي ان نسيء الى ابناء وطننا بردنا عليهم . وتموا . (اولا) أن هذا القول غير صحيح ، فكتاب (الضلالة) المسمى بضد اسمه تأليف رجل من متعصبي القبط وهو اقذر هذه الكتب وأقبحا أدبا في الظعن في تبينا صلى الله عليه وسلم ، وكتاب اجبات المجتهدين مؤلفه سوري ، بل اقول ان اكثر تلك الكتب والرسائل والصحف الطاعنة في الاسلام يكتبها اجراء المبشرين من الوطنيين او يترجمونها اذ لا يكاد يوجد في أولئك الاجانب من يحسن الكتابة العربية ، وانما ينشرها الاجانب لان لديهم أموالا كثيرة مرصدة لذلك من اهل بلادهم الذين يقول لنا ابناء وطننا انهم هم البراء من التعصب الديني دون اهل الشرف . ولان لهم من الامتيازات والنفوذ السياسي ما يخيمهم من سلطة الحكومة . ونحن نرى جمهور الوطنيين من ذنب أولئك الاجراء ولا نعدده مانعا من الاتفاق بيننا وبينهم (وثانيا) اذا فرضنا ان هذا العدوان من الاجانب خاصة ، فهل من العدل ان يطالبنا النصارى بلادنا بأن لا نرد عليهم ، ولا نحذر عوامنا ونحول بينهم وبين افسادهم لعقائدهم ، لان دفاعنا عن ديننا يجرح عواطفهم الدينية ؟ ؟ أليس منتهى التعصب والسعي للعداوة والتفرقة ان تطالب ابن وطنك بان يترك الدفاع عن دينه ، ويعلم اهله ما يصونهم عن الارتراد عنه ، أو عن فساد العقيدة الذي قلما تنتج دعوة المبشرين

غيره، وأن يرضى بأن يكذب قرآنه ويشتم رسوله، إكراماً لخاطرك، ومراعاة لعواطفك؟

(٥) ان القاعدة الصحيحة المعقولة للاتفاق هي قاعدة المنار الذهبية التي دعا إليها المختلفين في المذاهب والاجناس من المسلمين، والمختلفين في الأديان والاجناس من العثمانيين . وهي « نتعاون على ما نشترك فيه . ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه » وقد شرحناها غير مرة ولكن كثيراً من الناس لا يحبون الوفاق ، ومنهم اعوان المبشرين من الوطنيين ، وبعض الكتاب والصحافيين ، كالشيخ يوسف الخازن من نصارى السوريين، الذي وضع قاعدة للخلاف، ضد القاعدة التي وضعتها للوفاق ، وصرح بها في ملأ من أدباء نصارى السوريين كنت اكلمهم في وجوب السعي الى الوفاق والوحدة . فسخر من هذه الدعوة ، وقال : اذا كان الخلاف بين مسلم ونصراني فأنا مع النصراني على المسلم كيفما كان - أي في الحق والباطل، واذا كان بين كاثوليكي وغير كاثوليكي فأنا مع الكاثوليكي مطلقاً ، واذا كان بين كاثوليكي ماروني وكاثوليكي غير ماروني فأنا مع الماروني مطلقاً قال وكل الناس كذلك . فمثل هذا لا يعذر المسلمين في كلمة يخالفون فيها النصارى ولا بقولهم ولو في كتبهم وصحفهم الخاصة بهم ائنا على الحق والطاعن في ديننا على الباطل . ولذلك اقام النكير على المنار مرة لانه ذكر اسم المبشرين في سياق الكلام على ما افسد بلادنا من سعي فساق الافرنج كواخير البغاء وحانات الخمر وبيوت القمار . ونحن نرى المبشرين اشد إفساداً في بلادنا من غيرهم لان صاحب الحانة يحمل المسلم او يساعده على مخالفة الاسلام في امر واحد وهو السكر ، والمبشر يحمله على ترك دينه كله ، وزد على ذلك ان المبشرين هم الذين يوقدون نار العداوة بين المسلمين والنصارى ويفسدون المسلمين انفسهم بتشكيكهم في الدين الذي هو اساس الفضيلة والتقوى والوحدة والاتفاق . فمثل الشيخ يوسف الخازن من متعصبى النصارى السوريين ، وبعض اصحاب الجرائد من متعصبى القبط، اشد سعيًا في التفريق بين المسلمين والنصارى من المبشرين الاجانب، لانهم يحثون عن كلمة يقولها مسلم في الدفاع عن دينه فيجيدونها عن سببها والحامل عليها من الأعذار ويزفونها الى قومهم في صورة مشوهة وإضافات باطلة . وما بلغ المكروه الا من نقل

(٤) ان مجالنا في الرد على النصاري اضييق من مجالهم لانا نؤمن بنبيهم المسيح ونعظمه ونعظم حواريه ، ونعد الطعن فيه كفراً وردة عن الاسلام (لا تفرق بين احد من رسله) وهم يطعنون بلا قيد ولا حد . فعناية ما يمكن ان يكتبه المسلم هو النقل من كتبهم الدينية او كتب احرار الاوربيين بشرط اظهار البراءة من كل مالا يليق بكرامة المسيح او غيره من انبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، والتصريح بأن نقل ما ذكر من باب (ناقل الكفر ليس بكافر) وانا لا احب لنفسي سلوك هذه الطريقة . وهي التي اضطر اليها بعض من كتب في المنار ، وكتابة التنير من

هذا الباب، وانني حبا في النزاهة والادب، وكراهة للشعريات في المناظرة والجدل، عملا بقوله تعالى (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن) قد تقحنتها ، فاذا كان قد بقي فيها كلمة شاذة ككلمة الثالوث الزنائي في سياق قصة ولادة سليمان عليه السلام ، فانما ذلك من السهو الذي يظهر بما نبين من سببه ، وهو ان الكاتب جعل عنوان مقالته (الثالوث الزنائي المقدس) وصدر الكلام في كل قصة من القصص الثلاث التي نقلها من التوراة بقوله (الاقنوم الاول من الثالوث الزنائي المقدس) الخ وكان يختتمها بمثل هذه الكلمة ، ويكررها في أثناء العبارة ، فرجنا (شطبنا) كل هذه الكلمات لان فيها امتهاننا لاصطلاحات محترمة ، وغرضنا من تحذير عوام المسلمين من الاستجابة للمبشرين لا يتوقف على ذلك ، ولا هو مما يرضاه آدابنا ، وجعلنا مكان كلمة الاقنوم كلمة الجد ، وحذفنا لفظ الثالوث من العناوين ومن تضاعف الكلام ، واتفق اننا لم نقرأ تلك الاوراق في وقت واحد لسكثرة الشواغل وضيق وقتنا عنها ، ولذلك جعلنا في القصة الثالثة لفظ (الشاهد) بدل (الجد) وبقي في آخرها كلمة « الثالوث الزنائي » على اني اذكرك جيدا اني حذفنا هذه العبارة التي كانت في العنوان الاول وتكررت في الكلام . فلا أدري اكان ترميجه (شطبها) غير ظاهر فجمعت حروفها ، ام كنت قد نسيتها لاني قرأت تلك الورقة التي هي فيها وحدها . ولهذا قلت فيها الشاهد الثالث بدل الجد الثالث . وقد ظهر بهذا الذي شرحته ان هذه الكلمة قد بقيت في المقالة كالعضو الاثري . وان اللام فيها لام العهد الذكري . اي الثالوث الذي تقدم ذكره . وانني لما ذكرت لي ماصدقت حتى راجعت ورأيته بعيني . وقد امتعضت امتعاضا شديدا ظهر علي وسئلت عن سببه . فان من خلقي وغريزتي أن انألم مما يقع مني بخالفنا لمشربي ورأيي ، ولو سهوا او نسيانا . ولا أبالي بما ينتقده الناس اذا كنت اعتقد انه حق وصواب وغير خارج عن حدود الآداب . ومثل هذا الغلط والسهو يقع كثيرا وفي هذا الجزء من المنار غلط في آية من القرآن غفلنا عنها . لاجل هذا قلت لمن نهني ولغيره : اني أحب ان أتلافى هذا الخطأ بما يرضى المتألمين ، منه وادع لاهل الانصاف من النصارى اقتراح ما يرونه ويرضونه من اعتذار او انتقاد لما كتب ، او حذف الكراسة من المنار وطبع كراسة بدلها خالية من كل كلمة جارحة . وانما اقبل في هذا قول المعتدلين البراء من التعصب كاسكندر بك عمون وسامي افندي الجريديني من فضلاء المحامين السوريين . على ان هذه الكتابة يصح ان تعد ترضية للمنصفين ودليلا على اننا لم ننشر تلك العبارة عمدا . واما المتعصبون فلا يرضيهم منا الاخروجنا من ديننا . فلا زالوا ساخطين وقد سعوا مع بعض المبشرين من قبل لاقناع الوكالة البريطانية بالغاء المنار ومنع اصداره ظانينهم بان الجويخلو لهم ولغيرهم من اعداء الاسلام فلا يتجرأ احد على الرد عليهم .

(٧) ان سبب نشر هذه المقالة والمعنى الذي اردنا ان يفهمه المسلمون منها هو ان

إيماننا بالمسيح والانبياء اصبح من إيمان المبشرين، وتكريمنا لهم خير من تكريمهم، فهم قد جمعوا فيما قالوه في المسيح عليه السلام بين الضدين فأطروه حتى اتخذوه ربا وإلهاء، ونقلوا في نسبه لأمه وأبيه الناموسي (لا الحقيقي) انه من نسل سليمان بن داود من سبط يهوذا وقد ثبت في العهد العتيق عندهم (لا عندنا) ان بعض أجداده في هذا النسب (الذي سرده متى ولوقا في انجيليهما) من اولاد الزنا . وثبت عن مقدسهم بولس أنه صار لعنة لأجابه. ونحن المسلمين نقول انه عليه السلام اهل لكل كرامة وفضيلة، وانه من روح الله وآية منه، ولكن - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله - ونقول انه طاهر من نسب طاهر، فنحن ننقل ما نقلنا عن العهدين العتيق والجديد مما لا يسعهم إنكاره، لأقامة الحججة عليهم، وإعلاما لعامة اهل ديننا باننا لسنا في حاجة الى من يدعونا الى الايمان به عليه السلام، بل نحن أحق بأن ندعوا هؤلاء الدعاة الى تبرئته من اللعنة ومن دنس النسب، كما نبرى سائر الانبياء عليهم السلام مما لا يليق بهم، ونحشو التراب في فم من يزعم اننا نقول كلمة فيهم تشعر بنقصهم . قال الابوصيري رحمه الله في لاميته

وأبيك ما أعطى يهوذا خاتما لونا بمحصنة ولا منديلا

لوتوا بغير الحق السنة بما قالوه في ليا وفي راحيلا

ودعوا سليمان النبي بكافر واستهونوا افكا عليه مقولا

﴿ ٨ - صفوة الكلام وفصل الخطاب ﴾

ان المسلمين مدافعون لامعتدون، وهذا الدفاع فرض ديني عليهم، والمنار الذي يرد عليهم يوزع على المسلمين أيضا ليحذرهم من الارتداد عن دينهم أو يحول دون شكهم فيه، والمشترون فيه من غير المسلمين يعدون على اصابع اليد، فما يكتبون يشير سخط الرأي العام الاسلامي، ولذلك طفق المسلمون يؤلفون الجمعيات في مصر لمقاومتهم وما يكتبه المسلمون على كونه دفاعا لا يكاد يشعر العالم النصراني لانه يوزع على المسلمين دونهم، الا اذا بحث عنه بعض المتعصبين من اصحاب الصحف او غيرهم . والمعلول يدوم بدوام علته. فنحن لا نترك الرد عليهم ما داموا يدعونا الى دينهم قولاً وكتابة ويتعرضون في خطبهم وكتبهم وصحفهم لديتنا، فان تركوا تركنا، واذا استمروا استمررنا، ولنلزم الادب في العبارات بقدر فهمنا واجتهادنا، فمن كان ساعيا في منع ذلك باخلاص وحب للوفاق فليبدأ باسكات المبشرين عن ذكر كتابنا ونبينا واصول ديننا وفروعه، ويبقى لهم مجال واسع في الدعوة الى دينهم بذكر محاسنه وما عندهم من الدلائل عليه، ومن لم برضه منا الا ان نسكت لهم عن الطعن في ديننا والتنفير عنه والتحريف انصوبه فلا زال ساخطاً غاضباً حاقداً - الى ما شاء من لوازم تعصبه - ولعل سوء تأثير هؤلاء المبشرين سيضطر الحكومة والمحتالين الى وضع حد لهذا الامر إما بقانون أو بغير قانون، ولا نظن أن الانكليز يجبروننا على السكوت ويدعونهم ينفون كما يريدون

فصل^{*}

فحينئذ يطالع منه على (المشهد الثاني عشر)

وهو مشهد الذل والانكسار ، والخضوع والافتقار للرب جل جلاله ، فيشهد في كل ذرة من ذراته الباطنة والظاهرة ضرورة تامة وافتقارا تاما الى ربه ووليه ، ومن يده صلاحه وفلاحه ، وهدايه وسعادته ، وهذه الحال التي تحصل لقلبه لا تنال العبارة حقيقتها ، وانما تدرك بالحصول ، فيحصل فيه كسرة خاصة لا يشبهها شيء ، بحيث يرى نفسه كالاناء المروض تحت الارجل الذي لا شيء فيه ، ولا به ولا منه ، ولا فيه منفعة ، ولا يرغب في مثله ، وانه لا يصلح للارتفاع الا بجبر جديد من صانعه وقيمه ، فحينئذ يستكثر في هذا المشهد ما من ربه اليه من الخير ، ويرى انه لا يستحق قليلا منه ولا كثيرا ، فأني خير ناله من الله استكثره على نفسه ، وعلم أن قدره دونه ، وأن رحمة ربه اقتضت ذكره به وسياقته اليه ، واستقل ما من نفسه من الطاعات لر به ، وراحا واوساوت طاعات الثقلين من أقل ما يذبحي لر به عليه ، واستكثر قلب معاصيه وذنوبه ، فان الكسرة التي حصلت لقلبه أوجبت له هذا كله ، فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور ! وما أدنى النصر والرحمة والرزق منه ! وما أنفع هذا المشهد له وأجداه عليه ! وذرة من هذا ونفس منه أحب الى الله من طاعات أمثال الجبال من المدائن المعجيين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم وأحب القلوب الى الله سبحانه قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة ، وملكته هذه الذلة ، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه لا يرفع رأسه اليه حياء وخجلا من الله . قيل لبعض العارفين : أيسجد القلب ؟ قال : نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها الى يوم اللقاء . فهذا سجود القلب ، فقلب لا تباشره هذه الكسرة فهو غير ساجد السجود المراد منه . واذا سجد القلب لله هذه السجدة العظمى سجدت معه جميع الجوارح ، وعنا الوجه حينئذ للحي القيوم ، وخشم الصوت والجوارح كلها ، وذل العبد وخضع واستكان ، ووضع خده على عتبة العبودية ،

(*) تابع لما نشر في ص ١١٣ من المجلد السابع عشر

ناظرا بقلبه الى ربه ووليه نظر الذليل الى العزيز الرحيم ، فلا يرى الا متملقا لربه خاضعا له ، ذليلا مستعطفا له ، يسأله عطفه ورحمته ، فهو يترضى ربه كما يترضى الحب الكامل المحبة محبوبه المالك له ، الذي لاغنى له عنه ، ولا بد له منه ، فليس له هم غير استرضائه واستعطافه ، لانه لا حياة له ولا فلاح الا في قربه ورضاه عنه ، ومحبه له ، يقول : كيف أغضب من حياتي في رضاه ؟ وكيف أعدل عن معادتي وفلاحي وفوزي في قرب به وحبه وذكره ؟

وصاحب هذا المشهد يشهد نفسه كرجل كان في كنف أبيه يذوقه بأطيب الطعام والشراب واللباس ، ويربيه أحسن التربية ، ويرقيه في درجات الكمال أتم ترقية ، وهو القيم بمصالحه كلها ، فبعثه أبوه في حاجة له فخرج عليه في طريقه عدو فأمره وكتبه وشده وثاقا ، ثم ذهب به الى بلاد الاعداء فسامه سوء العذاب ، وعامله بضد ما يكون أبوه يعامله به ، فهو يتذكر تربية والده وإحسانه اليه الفينة بعد الفينة ، فيهبج من قلبه لواعيج الحسرات كلما رأى حاله ، وتذكر ما كانت عليه ، وكل ما كان فيه . فبينما هو في أسر عدوه يسومه سوء العذاب ، ويريد نحره في آخر الامر ، اذ حانت منه التفانة الى نحو ديار أبيه ، فرأى أباه منه قريبا ، فسعى اليه ، وألقى نفسه عليه بين يديه ، يستغيث يا أبتاه يا أبتاه يا أبتاه ! أنظر الى ولدك وما هو فيه ، ودموعه تستبق على خديه قد اعتنقه والتزمه ، وعدوه في طلبه ، حتى وقف على رأسه وهو ملتزم لوالده ممسك له . فهل تقول ان والده يسلمه مع هذه الحال الى عدوه وبخلي بينه وبينه ؟ فما الظن بمن هو أرحم بعبده من الوالد بولده ، ومن الوالدة بولدها ؟ اذ فر اليه ، وهرب من عدوه اليه ، وألقى نفسه طريحا بيا به ، عرغ خده في ثرى أعتابه ، با كيا بين يديه يقول : يارب ! يارب ! ارحم من لا راحم له سواك ، ولا ناصر له سواك ، ولا موثوي له سواك ، ولا مغيث له سواك ، مسكينك وقبورك وسائلك وموئلك ومرجيك ، لا ملجأ له ولا منجأ له منك الا اليك ، أنت معاذه ، وبك ملاذه

يامن ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهبطون عظما أنت جابره

﴿ فصل ﴾

فاذا استبصر في هذا المشهد ، وتمكن من قلبه ، وباشره وذاق طعمه وحلاوته ، ترقى منه الى (المشد الثالث عشر) وهو الغاية التي شمر اليها السالكون ، واما القاصدون ، ولحظ اليها العاملون

وهو مشهد العبودية والمحبة والشوق الى لقائه والابتهاج به ، والفرح والسرور به ، فتَقَرُّ به عينه ، ويسكن اليه قلبه ، وتطمئن اليه جوارحه ، ويستولي ذكره على لسان محبه وقلبه ، فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية ، وارادات التقرب اليه والى مرضاته ، مكان ارادة معاصيه ومساخطه ، وحركات للسان والجوارح بالطاعات ، مكان حركاتها بالمعاصي ، قد امتلأ قلبه من محبته ، ولهج لسانه بذكره وانقادت الجوارح لطاعته ، فان هذه الكسرة الخاصة لها تأثير عجيب في المحبة لا يعبر عنه . ويحكى عن بعض العارفين قال : دخلت على الله من ابواب الطاعات كلها فما دخلت من باب الا رأيت عليه الزحام فلم أتمكن من الدخول ، حتى جئت باب الذل والافتقار فاذا هو اقرب باب اليه واوسع ، ولا مزاحم فيه ولا معوق ، فما هو الا ان وضعت قدمي في عتبة فاذا هو قد اخذ بيدي وأدخلني عليه . وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : من اراد السمادة الابدية ، فليأزم عتبة العبودية . وقال بعض العارفين : لا طريق اقرب الى الله من العبودية ، ولا حجاب اغلظ من الدعوى ، ولا ينفع مع الاعجاب والكبر عمل واجتهاد ، ولا يضر مع الذل والافتقار بطالة ، يعني بعد فعل الفرائض .

واقصد ان هذه الذلة والكسرة الخاصة تدخله على الله ، وترميه على طريق المحبة ، فيفتح له منها باب لا يفتح له من غير هذه الطريق ، وان كانت طرق سائر الاعمال والطاعات تفتح للعبد ابوابا من المحبة ، لكن الذي يفتح منها من طريق الذل والانكسار والافتقار وازدراء النفس ، ورؤيتها بعين الضعف والعجز والعيب والنقص والذم ، بحيث يشاهدها ضيعة وعجزا وتفریطا وذنبا وخطيئة ، نوع آخر وفتح آخر . والسالك بهذه الطريق غريب في الناس . هم في واد وهو في واد . وهي تسمى طريق الطير ، يسبق النائم فيها على فراشه السعاة فيصبح وقد قطع الركب ،

بيننا هو يحدثك واذا به قد سبق الطرف وفات السعاة . فالله المستعان وهو خير الغافرين . وهذا الذي حصل له من آثار محبة الله له وفرحه بتوبة عبده ، فانه سبحانه يحب التوابين ويفرح بتوبتهم أعظم فرح واكمله ، فكلما طاع العبد منته سبحانه عليه قبل الذنب وفي حال موافقته وبعده ، وبره به وحلمه عنه واحسانه اليه . حاجت من قلبه لواء محبته والشوق الى لقائه ، فان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها ، واي احسان أعظم من احسان من يبارزه العبد بالمعاصي ، وهو يمد به نعمه ويمهله بالطفاه ، ويسبل عليه ستاره ، ويحفظه من خطفات أعدائه المتربصين له ادنى عثرة ينالون منه بها بغيتهم ، ويردهم عنه ويحول بينهم وبينه ، وهو في ذلك كله بعينه يراه ويطلع عليه ، فالسما تستأذن ربها ان تحصيه ، والارض تستأذنه ان تخسف به ، والبحر يستأذنه ان يفرقه ، كما في مسند الإمام احمد عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما من يوم الا والبحر يستأذن ربه ان يفرق ابن آدم ، والملائكة تستأذنه ان تعاجله وتملكه (١) » والرب تعالى يقول : دعوا عبيدي فأنا أعلم به اذ أنشأته من الارض ، ان كان عبدكم فشأنكم به ، وان كان عبيدي فمني الى عبيدي ، وعزتي وجلالي ان أتاني ليلا قبلته ، وأن أتاني نهارا قبلته ، وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، وان مشى الى هرات اليه ، وان استغفرني غفرت له ، وان استقاني أقلته ، وان تاب الي تبت عليه . من اعظم مني جودا وكرما وانا الجواد الكريم ؟ عبيدي بيتوت ببارزوني بالمعظائم ، وانا أكماؤهم في مضاجعهم ، وأحرسهم على فرشهم ، من اقبل الي تلقينه من بعيد ، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المازيد ، ومن تصرف بحولي وقوتي أنت له الحديد ، ومن اراد مرادي ردت ما يريد . أهل ذكرى أهل مجالستي ، وأهل شكري أهل زيادتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا اقنعهم من رحمتي ، ان تابوا الي فأنا حبيبهم ، وان لم يتوبوا فأنا طيبهم ، أبتليهم بالمصائب ، لا طهرهم من المعاييب »

(١) لعل المراد ان الانسان عرضة للإهلاك في البر والبحر بجهله وخطايا ، لولا عناية الله به وتسخيره هذه المخلوقات له . والكلام عن لسان الحال ، قد يكون أفصح من لسان المقال

﴿ نموذج آخر من الكتاب ﴾

في بعض منازل السير الى الله تعالى

فما تقدم هو نظر الصوفية في المعصية، واختلاف مشاهد أصناف الناس فيها بين من يعتبر ويندم ويزداد بعدها صلاحا، ومن يرى انه مجبور ومعذور بالقدرة، ومن يرى انه يؤد لحق الطبيعة ووظائف الاعضاء الخ وذلك جاء كله في مباحث التوبة. واما هذا النموذج فهو من نظرهم في سير السالكين الى الله تعالى أي الى معرفته العليا وما لهم من المنازل في طريقهم

﴿ فصل ﴾

ثم ينزل القلب منزل الاعتصام وهو نوعان: اعتصام بالله، واعتصام بجبل الله. قل الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال (واعتصموا بالله هو مولاكم، فزعم المولى ونعم النصير) والاعتصام افتعال من العصمة وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور والخوف، فالعصمة الحسية، والاعتصام الاحتماء، ومنه سميت القلاع الواحش، لمنعها وحمايتها. ومدار السعادة الدنيوية والاخرية على الاعتصام بالله، والاعتصام بجبله، ولا نجاة الا لمن تمسك بهاتين العصمتين. فاما الاعتصام بجبله فانه يعصم من الضلالة، والاعتصام به يعصم من الهلكة، فان السائر الى الله كالسائر على طريق نحوه مقصده، فهو محتاج الى هداية الطريق والسلامة فيها، فلا يصل الى مقصده الا بعد حصول هذين الأمرين له، فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة، وان يهديه الى الطريق، والعدة والقوة والسلاح بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتهما، فالاعتصام بجبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل، والاعتصام بالله يوجب له القوة والعدة والسلاح والمادة التي يستلزم بها في طريقه، ولهذا اختلف عبارات السلف في الاعتصام بجبل الله بعد إشارتهم كماهم الى هذا المعنى، فقال ابن عباس: تمسكوا بدين الله. وقال ابن مسعود: هو الجماعة. وقال: عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة، خير مما تحبون في الفرقة. وقال مجاهد وعطاء: يهد الله. وقال قتادة والسدي وكثير

من أهل التفسير : هو القرآن . قال ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان هذا القرآن هو حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، وعصمة من تمسك به ، ونجاة من تبعه » وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن : هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تختلف به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تشبع منه العلماء » وقال مقاتل : بأمر الله وطاعته ، ولا تفرقوا كما تفرقت اليهود والنصارى . وفي الموطأ من حديث مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا : يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، وان تناصحوا من ولأه الله امركم . ويسخط لكم قيل وقال ، واضاعة المال ، وكثرة السؤال » رواه مسلم في الصحيح

قال صاحب المنازل : « الاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعته مراقبا لأمره » ويريد بمراقبة الامر انقيام بالطاعة لأجل ان الله أمر بها وأحبها ، لا مجرد العادة أو لعلها باعثة سوى امثال الامر ، كما قال طلق بن حبيب في التقوى : هي العمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وترك معصية الله على نور من الله ، تخاف عقاب الله . وهذا هو الايمان والاحتساب المشار اليه في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كقوله « من صام رمضان إيمانا واحتسابا - ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا - غفر له » فالصيام والقيام هو الطاعة ، والايمان مراقبة الامر (١) واخلاص الباعث هو ان يكون الايمان الأمر (٢) لا شيء سواه . والاحتساب رجاء ثواب الله ، فالاعتصام بحبل الله يحمي من البدعة وآفات العمل والله أعلم

(١) ضبط في نسختنا الأمر بصيغة اسم الفاعل . وفي نسخة أخرى الأمر بصيغة المصدر وهي الموافقة لقول صاحب المنازل والمعنى ، فاخترناها (٢) لم يوضع لهذه في نسختنا علامة المد ، وفي نسخة لآمر ، والصواب ما اخترناه . أي ان هذه هي التي يجب ان تكون اسم فاعل معرف والاولى هي المصدر .

﴿ فصل ﴾

وأما الاعتصام به فهو التوكل عليه ، والامتناع به ، والاستملاء به ، وسؤاله ان يحبي العبد وينعمه ويعصمه ويدفع عنه ، فان ثمرة الاعتصام به هو الدفع عن العبد ، والله يدفع عن الذين آمنوا ، فيدفع عن عبده المؤمن اذا اعتصم به كل سبب ينفذ الى العطب ، ويحميه منه ، فيدفع عنه الشهوات والشهوات وكيد عدوه الظاهر والباطن ، وشر نفسه . ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقادها ، بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه ، فتفقد في حقه أسباب العطب فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها ، ويدفع عنه قدره بقدره ، وارادته بارادته ، ويميزه به منه .

فصل

وأما صاحب المنازل فقال ﴿ الاعتصام بالله الترقى عن كل موهوم ﴾ الموهوم عنده ما سوى الله تعالى . والترقى عنه الصعود من شهود نفعه وضرره ، وعظائمه ومنعمه وتأثيره ، الى الله تعالى . وهذه إشارة الى الفناء ، ومراده الصعود عن شهود ما سوى الله الى الله . والكمال في ذلك الصعود عن ارادة ما سوى الله الى ارادته . والآنوارى يفسره بالصعود عن وجود ما سواه الى وجوده ، بحيث لا يرى غيره وجودا البته ، ويرى وجود كل موجود هو وجوده ، فلا وجود لغيره الا في الوجود الكاذب عنه .

قال ﴿ وهو على ثلاث درجات : اعتصام العامة بالخبر امتسلا ما وإذعانا

بتصديق الوعد والوعيد ، وتعظيم الأمر والنهي ، وتأسيس المعاملة على اليقين والانصاف ﴾ يعني أن العامة اعتصموا بالخبر الوارد عن الله استسلا ما من غير منازعة ، بل ايمانا واستسلا ما ، وانقادوا الى تعظيم الأمر والنهي والإذعان لهما ، والتصديق بالوعد والوعيد ، وأسسوا معاملتهم على اليقين ، لا على الشك والتردد (١) وسلوك طريقة الاحتياط كما قال القائل :

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تبعث الاجساد قلت اليكما
ان صح قولكما فليست بخاسر أو صح قولي فالحسار عليكما

(١) وفي نسخة : لا على شك والترديد . ولعله وتردد

٢٠٠ الانصاف، اعتصام الخاصة بصون الارادة عما سوى الله (المنار- ج ٣ م ١٧)

هذه طريق أهل الريب والشك ، يقومون بالامر والنهي احتياطا ، وهذه الطريق لا تنجي من عذاب الله ولا يحصل لصاحبها السعادة ولا توصله الى المأمن .
وأما الانصاف الذي أسسوا معاملتهم عليه ، فهو الانصاف في معاملتهم لله ولخلقه . فأما الانصاف في معاملة الله ، فإن يعطي العبودية حقها ، وأن لا ينزع ربه صفات الهيئته التي لا تليق بالعبد ولا تنبغي له ، من العظمة والكبرياء والجبرية . ومن انصافه لربه ان لا يشكر سواه على نعمه وينساه ، ولا يستعين بها على معاصيه ، ولا يحمد على رزقه غيره ، ولا يعبد سواه ، كما في الاثر الإلهي «أني والجن والانس في نبي عظيم : أخلق وبعبد غيري ، وأرزق ويشكر سواي» وفي أثر آخر «ابن آدم ما انصفتني ، خبرني اليك نازل ، وشرك الي صاعد ، أنحب اليك بالنعمة ، وأنا عنك غني ، وتبغض الي بالمعاصي وأنت فقير الي ، ولا يزال الملك الكريم ، يرج الي منك بعمل قبيح » وفي أثر آخر «يا ابن آدم ! ما من يوم جديد ، الا يأتيك من عندي رزق جديد ، وتأتي عنك الملائكة بعمل قبيح ، تأكل رزقي وتمصبي ، وتدعوني فاستجيب لك ، ونسأني فأعطيك ، وأنا أدعوك الى جنتي فتأبى ذلك ، وما هذا من الانصاف » وأما الانصاف في حق العبيد فإن يعاملهم بمثل ما يحب أن يعاملوه به . ولعمري الله هذا الذي ذكر أنه اعتصام العامة هو اعتصام خاصة الخاصة (١) في الحقيقة ، وليكن الشيخ ممن رفع له علم القناء فشر اليه ، فلا تأخذه فيه لومة لائم ، ولا يرى مقاما أجل منه .

﴿ فصل ﴾

قال (واعتصام الخاصة بالانقطاع ، وهو صون الارادة قبضا ، واسبال الخلق عن الخلق بسطا ، ورفض العلائق عزما ، وهو التمسك بالعروة الوثقى) يريد انقطاع النفس عن اغراضها من هذه الوجوه الثلاثة ، فيصون إرادته ويقبضها عما سوى الله سبحانه ، وهذا شبيه بحال أبي يزيد فيما أخبر به عن نفسه لما قيل له : ما تريد؟ فقال : أريد أن لا أريد

{١} وفي نسخة الخاصة

(الثاني) إسبال الخُلُق على الخلق بسطا . وهذا حقيقة التصوف فانه كما قال ابو بكر الكتاني : التصوف خُلُق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . فان حسن الخُلُق وتزكية النفس بمكارم الاخلاق ، يدل على سعة قلب صاحبه ، وكرم نفسه وسجيته . وفي هذا الوصف يكف الاذى ويحمل الاذى ، ويوجد الراحة ، ويدبر خده الابسر لمن لطم الايمن ، ويعطي رداءه لمن سلبه قميصه ، ويمشي ميلين مع من سخره ميلا (١) وهذا علامة انقطاعه عن حظوظ نفسه واغراضها .

وأما رفض العلائق عزما ، فهو العزم التام على رفض العلائق وتركها في ظاهره وباطنه ، والاصل هو قطع علائق الباطن ، فمتى قطعها لم تضره علائق الظاهر ، فمتى كان المال في يدك وليس في قلبك لم يضرك واو كثير ، ومتى كان في قلبك ضررك واو لم يكن في يدك منه شيء . قيل للامام أحمد : أياكون الرجل زاهدا ومعه الف دينار ؟ قال : نعم على شريطة ألا يفرح اذا زادت ولا يحزن اذا نقصت . ولهذا كان الصحابة أزهد الامة مع ما بأيديهم من الأموال . وقيل لسفيان الثوري : أياكون ذو المال زاهدا ؟ قال : نعم إن كان اذا زيد في ماله شكر ، وان نقص شكر وصبر . وانما يحمّد قطع العلائق الظاهرة في موضعين : حيث يخاف منها ضررا في دينه ، أو حيث لا يكون فيها مصالحة راجحة ، والكمال من ذلك قطع العلائق التي تصير

(١) قوله : وفي هذا الوصف الخ يريد به تزكية النفس ، وهو غير حسن الخلق فان التزكية تهذيب فسي مبدأ ، وحسن الخلق غاية . وفي طور التزكية والتهذيب بحسن ما ذكره من العمل بوصايا الانجيل ، كقوله : من لطمك على خدك الايمن فأدر له الابسر . الخ ودين المسيح كله تمهيد لدين محمد عليهما السلام ، بل هما دين واحد جاء القسم الاول منه تمهيدا للثاني ، كما اخبر المسيح اصحابه بأنه لا يستطيع ان يقول لهم كل شيء ، وبشرتهم بأنه سيأتي بعده البارقليط الذي يقول كل شيء . من حقائق الدين . وهو محمد (ص) بدليل انه لم يجيئ بعده نبي غيره ، وانه هو الذي بين كل شيء . وفصل بين الساترين الى الله تعالى بالتزكية والتهذيب وبين الواصلين اليه ، وبين فضيلتي العدل والاحسان وغير ذلك

كلايب على الصراط تمنعه من العبور ، وهي كلايب الشهوات والشبهات ، ولا يضره ما تعاق به بعدها .

فصل

قال (واعتصام خاصة الخاصة بالانصال ، وهو شهود الحق تفريدا ، بعد الاستحذاء له تعظيما ، والاشتغال به قربا) لما كان ذلك الانقطاع ، موصلا الى هذا الانصال ، كان ذلك للمتوسطين ، وهذا عنده لأهل الوصول . ويعني بشهود الحق تفريدا ، أن يشهد الحق سبحانه وحده منفردا ولا شيء معه ، وذلك لفناء الشاهد في الشهود ، والحوالة في ذلك عند القوم على الكشف . وقد تقدم ان هذا ليس بكمال ، وان الكمال ان يفني بمراده عن مراد نفسه . واما فناؤه بشهوده عن شهود ماسواه ، فدون هذا الفناء في الرتبة كما تقدم .

وأما قوله بعد الاستحذاء له تعظيما . فالشيخ قدس الله روحه ايكثرة لهجه بالاستعارات عبر عن معنى لطيف عظيم بالفظه الاستحذاء التي هي استعمال من المحاذاة ، وهي المقابلة التي لا يبقى فيها جزء من المحاذي خارجا عما حاذاه . بل قد واجهه وقابله بكليته وجميع اجزائه . (١) ومراده بذلك القرب وارتفاع الوسائط المانعة منه ، ولا ريب ان العبد يقرب من ربه ، والرب يقرب من عبده ، فاما قرب العبد فكقوله تعالى (واسجد واقترب) وقوله في الاثر الا-بي « من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا » وكقوله « وما تقرب اليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي » وفي الحديث الصحيح « أقرب

(١) هذا التفسير الاستحذاء لم نجده في معاجم اللغة كلسان العرب والقاموس وشرحه بل المعروف فيها ان معنى استحضى فلان فلانا ، طلب منه أن يلبسه حذاء . كاستطعمه واستكساه . واظن أن الاستحذاء في كلام الهروي بالخاء المعجمة وهو الخضوع والانكسار لله تعالى . وانما تكلف المصنف له هذا التفسير لأنه وجد نسخ المنار تذكره الاستحذاء بالمهمل

ما يكون الرب من عبده في جوف الليل الأخير » وفي الحديث أيضا « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » وفي الحديث الصحيح لما ارتفعت أصواتهم بالتكبير مع النبي صلى الله عليه وسلم في السفر فقال « يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم ، انكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، ان الذي تدعونه سميع قريب ، أقرب الى أحدكم من عنق راحلته » فبهذا الشيخ عن طلب القرب منه ورفض الوسائط الحائلة بينه وبين القرب المطلوب الذي لا تفرعون عابديه وأوليائه الا به ، بالاستحذاء . وحقيقته موافقة العبد الى حضرته وقدامه وبين يديه ، عكس حال من نبذه وراء ظهره ، وأعرض عنه ونأى بجانبه ، بمنزلة من ولي المطاع ظهره ، ووال بشقه عنه .

وهذا الامر لا يدرك معناه الا بوجوده وذوقه ، وأحسن ما يعبر عنه بالعبارة النبوية المحمدية ، وأقرب عبارات القوم انه التقريب برفع الوسائط التي بارتفاعها يحصل للعبد حقيقة التعظيم . فلذلك قال : الاستحذاء له تعظيما . ومن اراد فهم هذا كما ينبغي فعليه بفهم اسمه تعالى الباطن وفهم اسمه القريب ، مع امتلاء القلب بحبه ، ولهج اللسان بذكره . ومن هاهنا يؤخذ العبد الى الفناء الذي كان مشمرا اليه ، عاملا عليه ،

فان كان مشمرا الى الفناء المتوسط وهو الفناء عن شهود سوى ، لم يبق في قلبه شهود لغيره البتة ، بل تصححل الرسوم وتفتى الاشارات ، ويفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل . وفي هذا المقام يجيب داعي الفناء طوعا ورغبة لا كرها ، لأن هذا المقام امتزج فيه الحب بالتعظيم مع القرب ، وهو منتهى سفر الطالبين لمقام الفناء وان كان هذا مشمرا للفناء العالي ، وهو الفناء ، عن ارادة سوى ، لم يبق في قلبه مراد بزاحم مراده الديني الشرعي النبوي اقرآني ، بل يتحد المراد ان فيصير عين مراد الرب هو مراد العبد . وهذا حقيقة المحبة الخالصة ، وفيها يكون الاتحاد الصحيح . وهو الاتحاد في المراد لا في المريد ولا في الارادة . فتدبر هذا الفرقان في هذا الموضع الذي طالما زلت فيه اقدام السالكين ، وضلت فيه افهام الواجدين . وفي هذا الباب (١) حقيقة يفنى من لم يكن ارادة وإيثارا ومحبة وتعظيما وخوفا

٢٠٤ منزلة الفرار الى الله وهو ٣ درجات - ١ - فرار العامة (المنار - ج ٣ م ١٧)

ورجاء وتوكلا ، ويبقى من لم يزل . وفيه ترتفع الوسائط بين الرب والعبد حقيقة ، ويحصل (١) له الاستحذاء التذكور مقرونا بغاية الحب وغاية التعظيم . وفي هذا المقام يجيب داعي الفناء في المحبة طوعا واختيارا لا كرها ، بل ينجذب اليه انجذاب قلب المحب وروحه الذي قد ملأت المحبة قلبه ، بحيث لم يبق فيه جزء فارغ منها ، الى محبوبه الذي هو اكمل محبوب واجله واحقه بالحب . وهذا الفناء اوجبه الحب الكامل المتمزج بالتعظيم والجلال والقرب ، ومحو ما سوى مراد المحبوب من القلب ، بحيث لم يبق في القلب الا المحبوب ومراده . وهذا حقيقة الاعتصام به وبجبله والله المستعان .

واما قوله : والاشتغال به قربا . أي يشغله قرب الحق عن كل ما سواه ، وهذا حقيقة القرب . ألا ترى ان القريب من السلطان جدا المقبل عليه المكلم له لا يشغل بشي سواه البتة ؟ فعلى قدر القرب من الله يكون اشتغال العبد به . والله اعلم .

﴿ فصل ﴾

ومن منازل اياك نعبدا واياك نستعين (منزلة الفرار) قل الله تعالى (ففرروا الى الله) وحقيقة الفرار الهرب من شيء الى شيء ، وهو نوعان : فرار السعداء وفرار الاشقياء . ففرار السعداء الفرار الى الله عز وجل ، وفرار الاشقياء الفرار منه لا اليه . واما الفرار منه اليه ففرار اوليائه . قال ابن عباس في قوله تعالى (ففرروا الى الله) ففروا منه اليه ، واعملوا بطاعته . وقال سهل بن عبد الله : ففروا بما سوى الله الى الله . وقال آخرون : اهروا من عذاب (٢) الله الى ثوابه بالايان والطاعة .

وقال صاحب المنازل (هو الهرب مما لم يكن الى من لم يزل ، وهو على ثلاث

درجات : فرار العامة من الجهل الى العلم عقدا وسعيا ، ومن الكسل الى التشهير جدا وعزما ، ومن الضيق الى السعة ثقة ورجاء) يريد بما لم يكن « الخلق » وبما لم يزل « الحق » وقوله : فرار العامة من الجهل الى العلم عقدا وسعيا - الجهل نوعان : عدم العلم بالحق النافع ، وعدم العمل بموجبه ومتتضاه ، فكلاهما جهل لغة وعرفا وشرعا

(١) وفي نسخة « ويجعل » (٢) نسخة « عقاب »

وحقيقة . قال موسى (أعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) لما قال له قومه (أتتخذنا هزوا)
أي المستهزئين (١) وقال يوسف الصديق (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن
وأكن من الجاهلين) أي من مرتكبي ما حرمت عليهم . وقال تعالى (إنما التوبة على الله
للذين يعملون السوء بجهالة) قال قتادة : أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كل ما عصي الله به فهو جهالة . وقال غيره : أجمع الصحابة ان كل من عصى الله
فهو جاهل . وقال الشاعر

ألا لا يجهل ان احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وسمي عدم مراعاة العلم جهلا ، اما لانه لم ينتفع به فنزل منزلة الجهل ، واما لجهله
بسوء ما تجني عواقب فعله . فالفرار المذكور هو الفرار من الجهلين - من الجهل بالعلم الى
تحصيله اعتقادا ومعرفة وبصيرة ، ومن جهل العمل الى السعي النافع والعمل الصالح
قصدا وسميا .

قوله « ومن الكسل الى التشمير جدا وعزما » أي يفر من اجابة داعي الكسل
الى داعي العمل والتشمير ، بالجِد والاجتهاد . والجِد هو هاهنا صدق العمل
واخلاصه من « وائب الفتور ووعود التسويف والنهاون ، وهو تحت السين وسوف
وعسى ولعل . فهي اضر شي » على العبد . وهي شجرة ثمرها الخسران والندامات .
والفرق بين الجِد والعزم ان العزم صدق الارادة واستجاءها ، والجِد صدق العمل
وبذل الجهد فيه . وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتلقي أوامره بالعزم والجِد فقال (خذوا
ما آتيناكم بقوة) وقال (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتنصيلا لكل
شيء فخذها بقوة) وقال (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) أي بجِد واجتهاد وعزم ،
لا تكن يأخذ ما أمر به بتردد وفتور .

وقوله « ومن الضيق الى السعة ثقة ورجاء » يريد هروب العبد من ضيق
صدره بالهموم والغموم والاحزان والخاوف التي تعتريه في هذه الدار من جهة نفسه ،
وما هو خارج عن نفسه مما يتعاقب باسباب مصالحه ومصالح من يتعاقب به ، وما يتعاقب
بماله وبدنه وأهله وعدره ، - يهرب من ضيق صدره بذلك كله الى سعة انضاء الثقة

٢٠٦ فرار الخاصة من الخبر الى الشهود أو من علم اليقين الى عين اليقين (المنار - ج ٣ م ١٧)

بالله تبارك وتعالى ، وصدق التوكل عليه وحسن الرجاء لجبل صنعه به ، وتوقع المرجو من لطفه وبره . ومن أحسن كلام العامة قولهم : لا هم مع الله . قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) قال الربيع بن خيثم : يجعل له مخرجا من كل ماضق على الناس . وقال أبو العالية : مخرجا من كل شدة . وهذا جامع لشدائد الدنيا والآخرة ومضايق الدنيا والآخرة . فان الله يجعل المتقي من كل ماضق على الناس واشتد عليهم في الدنيا والآخرة مخرجا . وقال الحسن : مخرجا مما نهاه عنه ، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافي من يثق به في نوائبه ومهماته - يكفيه كل ما أهمه . والحسب الكافي « حسبنا الله » كافي لنا الله . وكما كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له صادق التوكل عليه ، فن الله لا يخيب أملة فيه ألبته . فانه سبحانه لا يخيب أمل آمل ، ولا يضع عمل عامل . وعبر عن الثقة وحسن الظن بالسعة ، فانه لا أشرح للصدر ولا أوسع له بعد الايمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به

﴿ فصل ﴾

قال (و فرار الخاصة من الخبر الى الشهود ، ومن الرسوم الى الاصول ، ومن الحظوظ الى التجريد) يعني انهم لا يرضون ان يكون ايمانهم عن مجرد خبر حتى يترقوا منه الى مشاهدة الخبر عنه ، فيطلبون الترقى من علم اليقين بالخبر ، الى عين اليقين بالشهود ، كما طلب ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ذلك من ربه إذ قال (رب أرني كيف تحيي الموتى) قال : أولم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطيئن قايي) فطلب ابراهيم ان يكون اليقين عيانا ، والمعلوم مشاهدا . وهذا هو المعنى الذي عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالشك في قوله « نحن احق بالشك من ابراهيم » حيث قال « رب أرني كيف تحيي الموتى » وهو صلى الله عليه وسلم لم يشك ولا ابراهيم حاشاهما من ذلك . وانما عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة . هذا احد الأقوال في الحديث . وفيه قول ثان انه على وجه النفي ، أي لم يشك ابراهيم حيث قال ما قال ، ولم نشك نحن . وهذا القول صحيح أيضا . أي لو كان ما طلبه للشك لسكننا نحن احق به

منه ، لكن لا يطلب ما طلب شكنا ، وإنما طلبه طمأنينة .

فالمراتب ثلاث : علم يقين يحصل عن الخبر ، ثم يتجلى (١) حقيقة الخبر عنه للقلب أو البصر حتى يصير العلم به عين يقين ، ثم يباشره ويلبسه فيصير حق يقين ، فعلنا بالجنة والنار الآن علم يقين ، فإذا أضافت الجنة للمتقين في الموقف ، وبرزت الجحيم للغاوين ، وشاهدوها عيانا ، كان ذلك عين يقين ، كما قال تعالى (لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين) فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فذلك حق اليقين . وسنزيد ذلك أيضا إن شاء الله تعالى إذا انتهينا إليه .

وأما قوله « ومن الرسوم الى الاصول » يريد بالرسوم ظواهر العلم والعمل ، وبالاصول حقائق لايمان ومعاملات القلوب واذواق الايمان ووارداته ، فيفر من إحكام العلم والعمل الى خشوع السر للعرفان ، فإن أرباب العزائم في السير لا يقنعون برسوم الأعمال وظواهرها ، ولا يتدون الا بأرواحها وحقائقها ، وما يثبت لهم التعرف الإلهي وهو نصيبهم من الامر . والتعرف الإلهي لا يقتضي مفارقة الامر كما يظن قطاع الطريق وزنادقة الصوفية ، بل يستخرج منهم حقائق الامر واسرار العبودية وروح المعاملة ، فحظهم من الامر حظ العالم بمراد المتكلم من كلامه تصر بها وإيماء وتنبيه وإشارة . وحظ غيرهم منه حظ التالي له حفظا بلا فهم ولا معرفة لمراده ، وهؤلاء احوج شيء الى الأمر لأنهم لم يصلوا الى تلك التعرفات والحقائق الا به ، فالحفاظة عليه لهم علما ومعرفة وعملا وحالا ضرورية لا عوض لهم عنه البتة . وهذا القدر هو الذي فات الزنادقة وقطاع الطريق من المنتسبين الى طريقة القوم ، فإنهم لما علموا أن حقائق هذه الاوامر هي المطلوبة ارواحها ، لا صورها واشباحها ورسومها ، قالوا : نجمعهم على مقاصدها وحقائقها ، ولا حاجة لنا الى رسومها وظواهرها ، بل الاشتغال برسومها اشتغال عن الغاية بالوسيلة ، وعن المطلوب لذاته بالمطلوب لغيره . وغرهم ما رأوا فيه الواقفين مع رسوم الاعمال وظواهرها دون مراعاة حقائقها ومقاصدها وارواحها ، فرأوا نفوسهم أشرف من نفوس أولئك وهمهم اعلى ، وانهم المشتغلون باللب وأولئك بالقشر ، فتركب من تقصير هؤلاء

(١) لعلها تجلى بتأين ، وفي نسخة أخرى « تجلي » بناء ونون

وعدوان هؤلاء تعطيل جملة الامر - هؤلاء عطلوا سره ومقصوده وحقيقته ، وهؤلاء عطلوا رسمه وصورته ، فظنوا انهم يصلون الى حقيقة ، من غير رسمه وظاهره ، فلم يصلوا الا الى الكفر والزندقه ، وجحدوا ما علم بالضرورة محي الرسل (١) به . هؤلاء كفار زنادقة منافقون ، وأولئك مقصرون غير كاملين . والقائون بهذا وهذا هم الذين يرون أن الامر متوجه الى قلوبهم قبل جوارحهم ، وان على القلب عبودية في الامر كما على الجوارح ، وان تعطيل عبودية القلب بمنزلة تعطيل عبودية الجوارح وان كمال العبودية قيام كل من الملك وجنوده (٢) بعبوديته ، هؤلاء خواص اهل الايمان ، واهل العلم والعرفان .

﴿ فصل ﴾

قوله « ومن الحظوظ الى التجريد » يريد الفرار من حظوظ النفوس على اختلاف مراتبها ، فانه لا يعرفها الا المعتنون بمعرفة الله ومراده وحقه على عبده ، ومعرفة نفوسهم وأعمالهم وآفتهم . ورب مطالب عالية لقوم من العباد هي حظوظ لقوم آخرين يستغفرون الله منها ويفرون اليه منها ، يرونها حائلة بينهم وبين مطلوبهم . وبالجملة فالحظ ما سوى مراد الله الديني منك كائن ما كان ، وهو ما يبرح حظ محرم الى مكروه الى مباح الى مستحب غيره احب الى الله منه ، ولا يتميز هذا الا في مقام الرسوخ في العلم بالله وامره ، وبالنفس وصفاتها واحولها . فهناك يتبين له الحظوظ من الخفوق ، ويفر من الحظ الى التجريد . واكثر الناس لا يصلح لهم هذا لانهم انما يعبدون الله على الحظوظ وعلى مرادهم منه ، واما مجريد عبادته على مراده من عبده :-

فتلك منزلة لم يعطا احد سوى نبي وصديق من البشر
والزهد زهدك فيها ليس زهدك في ما قد أبيع لنا في محكم السور
والصدق صدقك في تجريدك وكذا (م) الا خلاص تخلصها ان كنت ذا بصر
كذا توكل ارباب البصائر في تجريد أعمالهم من ذلك السكر
كذاك توبتهم منها فهم ابداء في توبة او يصيروا داخل الحفر

والجنة فصاحب هذا التجريد لا يتنعم من الله بأمر يسكن اليه دون الله ، ولا يفرح بما حصل له دون الله ، ولا يأسى على ما فاتته سوى الله ، ولا يستغني برتبة شريفة وإن عظمت عنده أو عند الناس ، فلا يستغني إلا بالله ، ولا ينتقل إلا إلى الله ، ولا يفرح إلا بموافقة إرضاء الله ، ولا يحزن إلا على ما فاتته من الله ، ولا يخاف إلا من سقوطه من عين الله ، واحتجاب الله عنه ، فكذلك بالله ، وكذلك لله ، وكذلك مع الله ، وسببه دائما إلى الله ، قد رفع له علم فشم إليه ، ونجد له مطلوبه فعمل عليه ، تناديه الحافظ : الي ! وهو يقول : إنما أريد من إذا حصل لي حصل لي كل شيء ، وإذا فاتني فاتني كل شيء ، فهو مع الله مجرد عن خلقه ، ومع خلقه مجرد عن نفسه ، ومع الأمر مجرد عن حظه - أعني الحظ المزاحم للأمر ، وأما الحظ المعين على الأمر ، فإنه لا يحظه تناوله عن مرتبته ، ولا يسقطه من عين ربه .

وهذا أيضا موضع غلط فيه من غلط من الشيوخ نظرنا أن إرادة الحظ تقصر في الإرادة ، والتحقق فيه أن الحظ نزعان : حظ يزاحم الأمر ، وحظ يوزر الأمر فينفذه . الأول هو المذموم والثاني محمود . وتناوله من تمام العبودية . فهذا لون وهذا لون . (لنموذج بقية)

(المنار) : رأيتم أيها المبشرون الذين تدعوننا إلى النصرانية هذه المعارف العالية في الإيمان ، والعالم بالله وبمزايا الإنسان ، وهذه النضية والكسالة في الإسلام ؟ - هذا النموذج نقطة من بحر كلام غامثا في منازل السالكين المعارفين . رأيتم من ارتقى في الدين إلى الذروة العليا يمكن اقناعه بأن النزول عنها إلى الدرجات التي هي دونها ، خير له من البقاء على ارتفاعه وكمله فيها ؟ ارضى من هذا حظه من الدين والإيمان أن يشغل خياله ولسانه باسم يسوع ، وصورة يسوع ، وتثليث يسوع ، وفداء يسوع ، الذي لا يعقل ؟ أما والله لو كان يسوع وتلاميذ يسوع ويوحنا الذي عمده يسوع ومسيح رأسه ودعا له بالبركة ، ومعهم موسى وإسرائيل وكل أنبياء آبائهم أحياء وجاءهم محمد (عليهم الصلاة والسلام) بهذا القرآن لما وسعهم إلا اتباعه ، وقد كانوا كلهم على الحق والتوحيد الذي نسيختموه بالتثليث والفداء فأربعوا على ظالمكم ، وادعوا إلى دينكم البراهمة والبوذيين وأمثالهم الذين كانت لهم ثلوث كثلوثكم ، فأولئك لا يبعد أن ينتقلوا من ثلوث إلى ثلوث . وأما صاحب التوحيد الذي هو أكمل وأعلى معارف البشر ، فلا يترك التوحيد إلى ما هو دونه .

الاسلام يقاوم نفوذ النصرانية^(*)

الاسلام في المستقبل سيكون نظير الدين الاسرائيلي يدايق نفسه على حاجات العصر الحديث ولا يدع النصرانية تغلبه وتسلبه ابتداءه
(مقدمة للمترجم)

ان نشوء الاسلام في المستقبل سيعيد تاريخ الدين اليهودي الحديث بدرجة مشابهة، فالمبشرون بالانجيل الذين لا يزالون يتوقعون انضمام كل الاديان الى النصرانية لا تتحقق احلامهم فيما يتعلق بالاسلام، لان الدين الاسلامي سيظل ديناً قوياً نشيطاً نظير الدين اليهودي، ويطبق نفسه نظير الدين اليهودي على حاجات العصر المتغيرة هذا هو رأي الدكتور (كريستيان سنوك هرغرنج) الهولندي الذي قضى ربع قرن يدرس القضايا الاسلامية وشريعة الاسلام وفلسفته وما يقال عن هذا الاستاذ انه اكثر من خيالي ونبي متغرض. فهو اعلم علماء عصره في الاسلام - لانه لا يعرف تاريخ الاسلام وشريعته وفلسفته معرفة دقيقة فقط، ولكنه قضى ربع قرن يدرس الاسلام من وجه علاقته بالمؤسسات الدينية والسياسية الاخرى

وقد ارسلته جامعة ليدن في هولندا على سبيل المبادلة الى الولايات المتحدة للمرة الاولى ليلقي في امهات كلياتها العامة اربع محاضرات في نتائج درسه الاسلام، وقد فصل في هذه المحاضرات زيارته لمكة (مدينة الاسلام المقدسة) فانه قضى ثمانية اشهر ضمن تلك المدينة المسورة وكان فيها عضواً من بطانة رجل مسلم، فاتم هناك الفرائض الدينية التي كانت يقوم بها يومياً مائتا الف من حجاج مكة، وتعمد الجوامع هناك، وسمع المحاضرات التي لم يكن يسمعها في الزمن الماضي غير المسلمين. وكمن قصة رويت عن نصارى اضلوا الطريق ويهود مناصرين قتلوا في مكة لاتهمهم بانهم تجرءوا على الدخول الى المدينة الاسلامية المقدسة؟ واذا لم تصدق هذه الاخبار فقد ثبت ان كثيرين من غير المسلمين طردوا من المدينة باهانة عند ما ظهر انهم غير مسلمين

(*) ألقى الدكتور (كريستيان سنوك هرغرنج) الهولندي في أممكة محاضرة في حال المسلمين الدينية والسياسية ومستقبلهم، فترجمتها بالعربية ح. بدة الهندي السورية التي تصدر في (نيويورك) ووسعت هذا الميراد ما ورد فيها بمقدمة في ملخص سيرة الدكتور، فتلخيصاً عنها مع تصحيح بعض الألفاظ لما فيها من الغير للمسلمين

ثم ان الدكتور هرغرنج ليس يعرف اللغة العربية فقط بل انه قبل ذهابه الى مدينة الاسلام المقدسة قضى عدة سنين يدرس التاريخ الاسلامي ، وكانت معرفته هذه للاسلام وسية استطاع بها ان يحافظ على تذكره مدة ثمانية اشهر قضاها في مكة ، وبلغ منه انه خدع الكلاب الشاردة التي تفرق المسلم عن غير المسلم لانها تعرفه بقوة الشم فتهاجمه وتفضح امره .

وقد وضع الدكتور المذكور بعد اقامته في مكة فصلا فيها وفي تاريخها وحياتها العمومية الحاضرة يعتبر السكتابة الوحيدة التامة عن هذه المدينة المحمية

وليس اهتمام هذا الدكتور بالاسلام اهتمام طالب علم فقط ، فقد قضى سبع عشرة سنة في الهند الشرقية الهولندية مستشارا لحكومة هولندا في المسائل المتعلقة بإدارة سكان الهند الشرقية الوطنيين ، واستطاع بدرسه الاسلام درسا عميقا واسعا ان يضع هولندا السياسة التي تجري عليها مستعمراتها الاسلامية التي تحتوي على نحو من خمسة وثلاثين مليوناً من تابع النبي محمد

ومن مضي سبع سنين عاد الدكتور الى هولندا ليكون استاذ اللغتين العربية والسلافية في جامعة (ليدن) فقبل هذه الوظيفة على شرط ان يبقى مستشارا عموميا للحكومة في المسائل الاسلامية

وزيادة على ذلك انه ساج في اكثر البلدان الاسلامية ، وكان في خلال ربع قرن ، يفتي يراقب الحركات العاملة على احداث تغيير ديني وسياسي في العالم الاسلامي كله ، ولذلك كانت صورته التي صور بها حالة الاسلام الحاضرة ، والطريقة التي جرى عليها في تتبع نشوئه في المستقبل ، اصرين خارجين عن المؤلف الذين يعتبرون ان الاسلام لا يزال بربريا في شكله الشرقي ، بل انه يرى ان الحواجز بين الشرق والغرب تهدم بالتدريج تهتما يؤدي الى امتزاجهما السريع في خلال سنين تأتي

وقد القى هذا الدكتور محاضرة بالامس في جامعة كولومبيا في الاسلام هذا ما قاله فيها : —

﴿ محاضرة الدكتور هرغرنج في الاسلام ﴾

ان المدينة الاسلامية كانت في خلال الف سنة مضت ترتفع الى الدرجة الحاضرة النهائية ، فمن مضي الف سنة اعتقد المسلمون ان احوالهم الدينية راضية تمام الرضى ، وكان المعتقد الديني عندهم مسألة مقررة ، وكان السواد الاعظم من المسلمين

يقولون بعصمة الدين الاسلامي و يقبلون حقيقة المكشوفة بدون ريب، نظير اجماع النصارى على عصمة الكنيسة الكاثوليكية . وكانت للاسلام شرائع تتعاقب بالحياة في كل اطوارها من شخصية وعمومية وفردية واجتماعية وعلى الجملة ان الاسلام كما قام على استقلال المسلمين السياسي، فقد كانوا في دائرتهم الخصوصية احرارا مستقايين اعتبروا العالم كله ملكا لهم، فالذي لم يكن لهم كان عليهم ان يفتحوه، وبذلك كان حكم السيف ممكنا اذا لم يكن محتملا، ولكن ثبت استحالة في الالف سنة التي مضت . ففي خلال القرن الماضي تعرى الاسلام من استقلاله السياسي باعتداء الدول الاوروبية التدريجي عليه، ونتج عن ذلك ان الاسلام اضطر ان يعدل آراءه واعماله، وتأكد للمسلمين انه يجب عليهم ان يحسبوا حسابا لما تفعله الامم الاخرى وتحصل عليه

وقد نجمت عن هذه الحالة مسألتان - الاولى منهما هي: هل يستطيع الاسلام الذي يرشد حياة تابعيه وأفكارهم ان يجاري هذا التغيير عند ما يفقد استقلاله السياسي الذي قام عليه ؟

ان الذين درسوا القضايا الاسلامية استنتجوا ان القضايا الروحية، متصلة تمام الاتصال بالقضايا المادية في الدين الاسلامي، بحيث ان سقوط الاستقلال السياسي يستلزم سقوط الاسلام نفسه، ولكني لا أوافقهم على هذا القول

اما المسألة الثانية فهي اهم من الاولى وهي: هل اذا كان الاسلام قادرا على احتمال ذلك التغيير - كما اعتقد انه قادر - يقدر ان يطبق نفسه على قضايا الحيات الحديثة بطريقة يستطيع بها تاييده بان يكونوا في مقدمة الصفوف في ارتقاء العالم ومدنيته ؟ هاتان هما المسألتان مع كل القضايا الاخرى المتفرعة عنهما ما اريد البحث فيه على مسامح امر يكتين رجاء ان اوقف الغربيين على الانقلاب العظيم الجاري في العالم الشرقي وتجاري هذا الانقلاب

فشل محاولة تنصير المسلمين

والامر الجوهري في هذا الشأن هو الوجه المنظور فيه الى قضية مستقبل الاسلام، فاذا نظرتم اليها بعيني المرسل النصراني الديني فلا بد انكم تستنتجون انه لا يرجح شيء كثير من نشوء الاسلام، لان الاسلام قبل صيرورته كفؤا يجب عليه ان يتخذ النصرانية اولاً . ولكن هذا هو اسوأ رأي يعول عليه، وأنا مسرور بقولي؛ انه ليس رأيا شاملا، فالمسلمون لا يقصدون ان يتصرفوا، وقد احتاطوا اعظم احتياط لهذا الامر الذي ادركه كل المبشرين النصارى المتورين في الاراضي الاسلامية، ففي

الهند الشرقية الهولندية - حيث قضيت سبع عشرة سنة ملتصقا تمام الالتصاق بالمؤسسات الإسلامية - لا يقدر المرسل النصراني الدني أن يربح نابعين لدينه، نعم يوجد كثيرون من المدعويين مسلمين ولا سيما سكان د خايسة البلاد الذين لم يتغلغل اليهم دين من الإديان، وقد ابتعدوا خطوة واحدة عن حالتهم الوثنية الفطرية، ولم يمد يدهم تصديرهم، وفي بعض جهات جاوه حيث انتشرت الديانة الهندية سابقا لم يجد المرسلون النصاري صعوبة في تنصير قبائل برمتها

ولكن أكثر دعاة النصاري الدينيين في البلاد الإسلامية المحضة - حيث الإسلام تقليد قديم لأدين يتدين به - يرون صعوبة كبرى في تنصير المسلمين، وقد تحولوا عن التبشير بالمسيح إلى التهذيب والإعانة، وما داموا جارين على هذه الطريقة فالمسلمون مستعدون لقبول ما يقدمونه لهم

مثلا أن الذي تقدمه كلية روبرت الأمريكية في الاسنانة يقبله كل مسلم، وقد كان للكلية المذكورة نضل كبير في نشر المعرفة والطرائق التي يعتبرها المسلمون منتهى التقدم. ولكن الكلية المشار إليها لم تحول مسلما واحدا عن معتقده

وقد حدثت مؤخرا أحد زملائي القراءتين الذي قضى عدة - نين في الجزائر ولمعرفتي بتهصب المسلمين في شالي إفريقيا سألته عن العمل التبشيري الذي تقوم به الجمعيات الكاثوليكية الدينية المتعددة فقال : انه عمل ناجح ولكن لا ذكر البتة للدين فيه .

هذا وإن هولاء تمسك على خمسة وثلاثين مليونا من المسلمين ولم تعد تفكر قط في هدايتهم وتنصيرهم. وكل ما أدركناه هو حاجتنا إلى تبليغ هؤلاء الناس الذين وكات أمورهم البنا بطيات الحوادث النارية. وأدركنا أن أفضل شيء لننوسهم هو تطبيق دينهم الخاص ومؤسساتهم الخاصة على حاجات العصر الحاضر

ولا اعتقد أبدا أن الدين الإسلامي يستقطب أمام النصرانية؛ لأن المسلم محتاط أشد الاحتياط لمقاومة النفوذ النصراني، فهو يعرف النصرانية التي ليست عنده شيئا جديداً غير مألوف؛ فقد عرف أصاها وطريقة نشوءها وهو يعتبرها ديناً فسد بالتدريج، والخبر أن نسخته وحي النبي محمد خاتم الأنبياء الموحى إليهم. وبالتالي الله يغشيه النصرانية شيئا مضى، ويرى تدينه بها خطوة إلى الوراء. ومهما كنز التبشير الذي يقع على الإسلام في ربع القرن الجاري أو نصفه فإنه لا يكون تغييراً يتناول التدين بالنصرانية؛ إذ لا تدعو الضرورة في الإسلام إلى هذا الإصلاح

ولا يخفى ان كل من عاش في اراضي الاسلام لا ينكر انه حدث في النصف الاخير من القرن الماضي تغيير عظيم ، فقد اشتدت حاجة المسلمين الى كل ما هو ضروري للاشتراك في الحياة الحديثة التي تبعت دخول الغزاة الغربيين الى الشرق ، ولم يعد المسلمون المتنورون اليوم يكتفون بالتربية الاسلامية القديمة ، فهم يطلبون اطباء حديثين وكيمياء حديثة ، واحداث شيء في علم الحياة . وصاروا يطلبون دروساً اجتماعية في مدارسهم ، واللغات الحديثة والفن الحديث ، ولا يبالون من يقدم لهم هذه الاشياء اذا قدمت لهم في غير صبغة دينية

مرّ زمان كان فيه المسلم يعرف اخاه المسلم بالقبيلة وطريقة مخالفة - كأخلاقه وطريقة معيشته ولباسه واكله ، ولكن كل هذه المميزات اخذت تزول بالتدريج ، بل ان الميزة الوحيدة التي كان بها المسلم يقدر ان يعرف اخاه في الدين سبيلها التهذيب والتعليم ببقية معروفة من العقيدة الدينية

وقد زالت عادات اسلامية قديمة كثيرة ، واصبح كثير منها آخذاً الآن بالزوال ، فزي اللباس الشائع الذي دخل من الغرب الى الشرق يحمل تأدية الصلوات الخمس الواجبة يومياً امرأ مستحيلاً ، فلم يعد المسلم الشرقي يقدر اليوم ان يصلي خمس مرات في اليوم بين شروق الشمس وغروبها (١) وهو يضطر ان يشتغل ثلثي ساعات في اليوم . بل انه لا يقدر ان يحافظ على مركزه في الصناعة المنظمة التي يضطر الى مزاولتها بالتدريج واصوم سحابة النهار في شهر رمضان

وقد كانت هذه الامور قديماً شرائع لا بد من العمل بها ، اما الآن فلها تغيير اشياء لا يقدر ان يمارسها غير حجاج مكة والائمة المتصوفين ، بل حدث تراخ في كل شيء فقد ساد الاسلام في وقت من الاوقات ، وتناولت سيادته التجارة ايضا ، ولكن حفت به المشاكل بالتدريج . نعم ان ضمان الحياة لا يزال عند المسلمين شكلاً من اشكال المقامرة ، ولكن الربا في استثمار المال صار ممكناً باعتباره قسماً من المقولة الاصلية

درجة تأثير الافكار الاوربية في المسلمين

تغلغت الافكار الاوربية في كل جهة من الاراضي الاسلامية ، ولكن لم يجد فيها الشعوب الاوربية مركزاً ولهذا انجراً على القول بان المسلمين سيستعمرون على سبيلهم مما اتخذوا من التهذيب والمدنية الغربيين . ففي كل المدارس الاوربية الكبرى تجرد كثيرين من الطلبة المسلمين ، وهم من فئة المتنورين الذين بواسطتهم تحدث التغييرات

الاولى في الاسلام . وهؤلاء الشبان من أهل العلم في العالم ، فقد درسوا العلوم الغربية بفروعها نظير خبرة طلبتنا الغربيين ، وهم لا يقومون بكل الفرائض المطلوبة من المسلم الحقيقي ، لانهم مثاقم في طرائق الالباس والمأكل والمعيشة .
ولكن يجري عقابهم لا يزال اسلاميا ، فقد كان بين تلاميذي طلاب مسامون ، وعندما كنت اتناول مباحثهم التي يكتبونها كنت أرى فيها مظاهر فكر اسلامي في شكل مختلف كل الاختلاف عما يكتبه طلابي الآخرون ، بل كنت دائما أعرف الطالب المسلم من مباحثه .

ثم انك ترى موقف المسلمين المتورين نجاه شريعتهم وعقيدتهم القديمتين نفس موقف المتورين بين الاسرائيليين في العصر الحاضر ، وكلما عشت بين المسلمين ازدادت اعتقادا ان الاسلام سيجري في نشوئه على الطريقة التي سلكها الدين الاسرائيلي في تاريخه الحديث .

نعم انت الضغط الشديد الذي وقع على الدين الاسرائيلي لم يقع على الاسلام . فتفرق الاسرائيليين بين ام الارض اضطرهم الى ان يطبقوا حياتهم على شرائعهم غير شرائعهم ، وكذلك اضطر المسلمون الى ان يتقنوا الطائفة الكبرى من شرائع المسيطر على حياة الفرد اليومية من جراء اتساع الاراضي التي احتلوا بها بالنتيجة ، والاضطرار المتعدد التي اضطرروا الى العمل بتوجيهها

الاسلام واليهودية

وبين الاسلام والدين الاسرائيلي تشابه عميق يزداد ظهورا في مخالطة المتورين الاسرائيليين والمسلمين ، فالنوحيد هو قاعدة الدينين ، وليس الله نجاه خدامه في هذين الدينين الا مشترع يرى كل قسم من حياة الرجل يحتاج الى شريعة . ومن أجل ذلك صار درس الشريعة فيهما عاملا مهما . ولكن الوجه الخيالي في الدينين المذكورين انحطت أخطاؤها ، وأخذ يقتصر على القائمين ضمن جدران المدارس ، ولم تبق له علاقة قوية بحاجات الحياة الفعلية

وقد صار تفسير الشريعة في الدين الاسرائيلي منوطا بالحنامين ، وما عدا بعض مراسيم دينية خارجية ترى أكثر المتورين الاسرائيليين مكنتين بحفظ العقائد الاولى من دينهم ، أما عامة القوم فانهم يضيفون اليها طائفة من الخرافات القديمة .
وترى الاسلام نالوا الدين الاسرائيلي . فخذ القرآن مثلا وانظر الى التفسير الذي حدث في خلال ثلاثة عشر قرنا مضت على تأسيس الاسلام ، فالمسلم العربي المولد لا يتقدم

ان يفهم آيات القرآن الا بعد درس طويل

ولا يخفى أن أكثر المسلمين يعتبرون القرآن كتابا مغلقا، فقد كان في وقت من الأوقات قوة اصلاحية في العالم، وكان يقرأه كل مؤمن وورع، أما اليوم فإن الائمة والعلمانيين يقرأونه بتجويد دون أن يتدبروا معناه، حتى أن الكلمات التي يجودونها حجة عليهم في اشياء يصنعونها كل يوم حتى خلال التجويد

وسيقع أيضا تغير على الشرائع وانؤسسات الاسلامية فيحل درسها بالتدريج محل ممارستها بالرغم من التقليد المقدس الذي ينطق بان المعرفة بدون عمل لا فائدة منها. وزد على ذلك ان الناشئة الاسلامية الناضجة لا تريد أن تكذب ذهنها في درس الشريعة الاسلامية، كما هي تتعب رثائها بتجويد الآيات القرآنية، فان هذا الأمر سبقه تصرع على فئة خاصة من المسلمين، كما هي الحال عند الاسرائيليين في الوقت الحاضر ولكن ترك العادات القديمة والاعتراف بمذم اتفاق الشريعة القديمة مع حاجات الحياة الحديثة لم يفهم منهما ان المسلمين المتوربين اليوم تصابوا بالآلام، ولكن في صدورهم ميلا قويا الى التمسك بدين آبائهم وتطبيقه على الحاجات الحديثة. بل ان المسلمين المتوربين اليوم لم يودوا يذكرون الجهاد، ولكنهم يفتنون الانظار الى انحاء التساهل واتساع المعرفة التي تتفاعل في كل جهة من جهات العالم الاسلامي

وهناك أمر آخر هو أن المسلم المتورب يشعر نظير الاسرائيلي انتشارا بالرابطه الروحية التي تربطه الى اخوته في الدين وهو لا يريد ان يقطع هذه الرابطة، نعم ان السواد الأعظم من المسلمين - ولا سيما حيث انغزو الاوربي لا يزال شغيفا - هم الآن حيث كانوا من مضي خمسمائة سنة. وكذلك توجد ثمة بين الاسرائيليين لا تزال تمارس شريعة لم تصدم بالحياة الحديثة بعد وقد كان تطبيق التقليد المقدس على حاجات المحيط المتغير ظاهراً باجسلي، يظهره في الدين الاسرائيلي. ولكن التشابه في نشوء الدين الاسرائيلي والاسلامي يحمل لواحد عن أن يتوقع الاسلام نفس ما وقع في الدين الاسرائيلي

ولا يمكن أن يقع انحطاط تدريجي في الاسلام، لانه توجد بواعث خارجية تمنعه، فالاسلام قوي ولم يضمف لاسباب في تقرر الماضي، وقلت فيه الانشغالات الداخلية. وزد على ذلك أن الاسلام يرجح أكثر من التعمرانية تابعين له من الوثنيين. فالذي يصير مسلما لا يطلب منه شيء كثير، اذ لا يوجد تعديس ولا طقس ديني ولا تعليم

طويل، فكل ما يطلب منه ان يعترف بالله أنه كلي القوة ، ومن ثم يتدرج الى تعلم الفرائض الإسلامية الدينية ، وعندما يصير مسلماً يتغير مركزه الاجتماعي ، ولكن اذا تنصر فإنه يبقى دون غيره، ويظل المرسل الديني غريباً معلماً متنجساً عنه الإسلام بمكة ومبلغ عام الخطيب به

ولكنني باظهاري لكم هذه الصورة عن الإسلام والحوادث التي تدبر مجراها لا أقول أنه لا يوجد فيه كثير من التقاليد القديمة التي لا تصدق. فني خلال الثمانية الأشهر التي قضيتها في مكة كنت احسبني مقبلاً في مدينة في القرن اثنى عشر او الثالث عشر . فهناك درست الشريعة الإسلامية بكل فروعها وكل اسرار الإسلام في الأشهر الثمانية التي كانت فيها المدينة غاصة بمجتاحيها البالغ عددهم مائتي ألف ولا توجد تجارة في مكة غير نهب الحجاج فان سكانها الوطنيين يسلبونهم كل ما يكون معهم من مال بالبيع المغبون

ولا شيء ادل على البداوة القديمة من مكة ، فهي تمثل الإسلام في العصور القديمة فلا بيوت هناك . اما وسائل النور والحرارة والماء التي اعتدناها في العصر الحاضر فهي هناك كما كانت في العصور المظلمة . ولكن الذي لم يذهب الى مكة ولا أقام في بيت اسلامي فيها ودرس في جوامعها لا يقدر ان يفهم الإسلام ، او يجد صعوبة شديدة في معرفة نشوء بلاد اسلامية

وقد كثر التحدث حيناً بعد آخر عن مكة ، أنها ستفتح للعالم بالقوة ، ولكنني لا ارى شيئاً يدل على ان انكلترا ستحاول فتح مكة ، لانها اذا اقدمت على هذا الامر جلبت نفسها اضطرابات كثيرة في الهند . ولذلك ستظل مكة عدة سنين مركز التقاليد الإسلامي وعلى الجملة اني اقول ان نشوء الإسلام في القرن الجاري لا يكون شيئاً باساً على الدهشة ، بل سيكون طبقة للحركة السوموية التي تقرب بين الأمم والاديان ، دون زوال الاحترام للتقاليد الموروثة عن الساف ، ولا بد للإسلام من الاتصال بالعالم الغربي وسيفعل ذلك ، ولكن نقصه العظيم او النقطة التي يحتاج فيها اشد الاحتياج الى اتخاذ الافكار والمبادئ الاوربية هي موقفه تجاه نساءه ، وقد اخذت نساءه في موقفه نحوهن تساهلاً بطيئاً تدريجياً ، فالإسلام لا يمكن ان يرتقي ارتقاء حقيقياً الا اذا حرر نساءه الراسخات في سلاسل التقاليد القديمة التي لا تنطبق على روح العصر الحديثة ، التي هي روح الترقى الحقيقي

(المآر) : سنين رأينا في هذه المحاضرة في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

اعتقاد الشيخية^{*)}

على ما نقل من كلامهم في كتبهم المعروفة الكاشفة عن اعتقاداتهم في مراتب اصول العقائد (ففي مرتبة معرفة الذات) قالوا « إنّ الذات ذاتان » ذات غيبية باطنية لا اسم لها ولا رسم لها ، ولا تسمى ولا توصف ، ولا تكليف على العباد بمعرفتها وتوحيدها وعبادتها . وذات ظاهرة تسمى وتوصف ، وفي هذا القسم من الذات قالوا : ان المعرفة فرع ادراك المروف ، والعبادة فرع ادراك المعبود ، فيجب أن يكون المعبود في صفة العارف والعابد ، حتى يمد بجسمه جسم المعبود ، وبنفسه نفس المعبود ، وبمقامه عقل المعبود ، وبفؤاده فؤاد المعبود . فهناك ذات ظاهرة معرفتها تسمى بمعرفة الباي ، وهي الممنونة بها المعرفة والعبادة ، وهي في مقام النبوة نبي ، وفي مقام الامامة امام ، وفي مقام الركنية ركن رابع . ولذا قالوا : ان الخطاب في « إياك نعبد وإياك نستعين » الى النبي والامام

والركن الرابع صرح به الشيخ أحمد بن صقر المشهور بزين الدين واغرا الحسائي في رسالته الخطابية المطبوعة في جوامعه : والسيد كاظم الرشتي في شرح الخطبة ، والشيخ كريم خان في موارد من ارشاده المروف المطبوع في عصره . وهذه المقالة دعيتهم الى مصاحبتهم لصور مشايخهم ، وجعلها في محال سجدتهم ، وقد اشتهروا بذات بحيث لا يتمكنون من انكاره

(وفي مرتبة معرفة الصفات) قالوا : ان الاسماء والصفات للذات الظاهرة النبي والامام والركن الرابع وهي معرفتهم بالمعاني . وقالوا : ان الصفات كلها حادثة ، فالله عالم بالاسماء ولم يحدث ، وقادر بقدره حادثة ، وهكذا . وقالوا : ان الصفات متحدة في المفهوم كذا هي متحدة في المصداق . وقالوا : نسبة الخلق والرزق اليه تعالى كفر . قال الحان المذكوراني في ارشاده بالفارسية : پس هر كه بكويد ذات خداي تعالى خالق اشياء است يا جماع مسلمانان از ضرورت دين بيرون رفته . وصرح بهام ذلك ابن صقر في شرح العرشية ، والرسالة العلمية ، وشرح الزيارة ، والسيد الرشتي في شرح الخطبة (وفي مرتبة معرفة الاسماء) قالوا ان الذات لا اسم لها ولا رسم لها . ويقولون في

*) الشيخية هي التي تسمى بالشيخية في كتبهم المعروفة الكاشفة عن اعتقاداتهم في مراتب اصول العقائد (ففي مرتبة معرفة الذات) قالوا « إنّ الذات ذاتان » ذات غيبية باطنية لا اسم لها ولا رسم لها ، ولا تسمى ولا توصف ، ولا تكليف على العباد بمعرفتها وتوحيدها وعبادتها . وذات ظاهرة تسمى وتوصف ، وفي هذا القسم من الذات قالوا : ان المعرفة فرع ادراك المروف ، والعبادة فرع ادراك المعبود ، فيجب أن يكون المعبود في صفة العارف والعابد ، حتى يمد بجسمه جسم المعبود ، وبنفسه نفس المعبود ، وبمقامه عقل المعبود ، وبفؤاده فؤاد المعبود . فهناك ذات ظاهرة معرفتها تسمى بمعرفة الباي ، وهي الممنونة بها المعرفة والعبادة ، وهي في مقام النبوة نبي ، وفي مقام الامامة امام ، وفي مقام الركنية ركن رابع . ولذا قالوا : ان الخطاب في « إياك نعبد وإياك نستعين » الى النبي والامام

قوله تعالى « ولله الاسماء الحسنى » يعني الربوبية الثانية في الذات الظاهرة قال سيدهم في شرح الخطبة : ان الربوبية لها ستة مقامات (احدها) رتبة الذات البحت التي لا اسم لها ولا رسم { اثنائية } رتبة الذات الظاهرة التي هي مظهرة تلك الذات البحت (والثالثة) رتبة الذات في مقام يعبر عنها بهو (والرابعة) رتبة يعبر عنها باله (والخامسة) رتبة يعبر عنها بسائر الاسماء (والسادسة) هي الرتبة الربوبية ، السارية في العبودية ، وخمسها شيخه وكثرها الخائف الكرماني بغير حساب . قال في الارشاد : من نيمكم انخدائكم سابق على پرستند باطل بوده بلكه ميكويم او حق بوده وعبادتش درست بوده ولكن امروز چون شعور شما زياد شده بايد بدانيد كه ان خدا نبوده بلكه بنده بوده واينكه امروز ميكويم اين خدا است وبعد از اين شعورها زياد ميشود بايد ايندكه اين خدا نيست بلكه بنده ايست از بندكان خدا و خدا ديكر نيست .

وقال الشيخ أحمد في شرح الزيادة في تفسير الدعاء : أنت الله عماد السموات - يعني الحسن ابن علي - وقالوا أنت الله قوام الارضين - يعني الحسين بن علي - وقالوا : ان الضمائر له في القرآن من الغيبة والخطاب والتكلم راجعة الى النبي والامام والركن الرابع في مرتبة المعاني . وقال الشيخ أحمد : كما ان له الاسماء الحسنى كذلك له الاسماء السوءى ، لكن امرنا بدعوته بالحسنى دون السوءى ! وقال ان معنى قولك « الله عالم قادر بصير » لا الله الله . لا محادها في المفاهيم الغوية كاتخاذها في المصداق الوجودي (وفي مرتبة معرفة الافعال) قالوا لا فعل لله تعالى ، ولا انتسب اليه الفعل ، ولا يطاق على الذات اسم الخالق والفاعل وأمثالهما ، لانها يجب ان تكون مقارنة للفعل والذات لا يقارن شيئا . واستدلوا بقوله : ان الارادة لانكون الا والمراد معها . ولا يفهمون ان معية المراد مع الارادة حادثة هي لامع المريد الذي هو القديم تعالى

(وفي مرتبة العدل) قالوا لا خصوصية للعدل في حق معرفته من الاصول دون سائر الصفات . ولذلك جعلوا اصول دينهم أربعة (احدها) معرفة الله (واثنائية) معرفة النبي (والثالثة) معرفة الامام (والرابعة) معرفة الركبي . وعليه في الارشاد الخان الكرماني (وفي معرفة النبوة) قالوا لكل نوع من الموجودات في من نوعهم ، فلا جماد في من الجمادات ، والنبات هكذا ، والحيوان ايضا . وقالوا ان الصفات المقررة في انبياء بني آدم مقررة لها من كونها ظاهرة ظاهرة ، عاقلة عاقلة ، قابلة للوحي والالهام ، معصومة فياخذه على ما تحبها من امورها . ولها آفة من بعدها حافظه لشرائعها وعبادتها ونجيات . صرح به الشيخ أحمد في جوابه ، والخان في ارشاده ، وزاد اشياء اخرى ،

فقال : ان محمدا نزل وتطور في كل مقام في صورة كل نوع فينبئ فيها و يبلغها ، فانهم قد يظهرون في صور الجمادات والنباتات والحيوانات ، وصور بني آدم سميدهم وشقبيهم . وبه قال الشيخ احمد في موارد من كتبه . منها ما ذكر في شرح الزيارة في تفسير « واجسادكم في الاجساد » وقال ان الائمة قد يظهرون في احسن صورة لا ويسائهم ، وفي اوحش صورة لأعدائهم . ثم ذكر حديث جابر بن عبد الله في قول طلحة : وقال في الاستشهاد لهذا الحديث : حيث ظهر امير المؤمنين (ع) في صورة قبيحة هي صورة مروان بن الحكم ورمى طلحة بسهم وقتله الاتفاق على ان طلحة قتل برمي مروان ، لكن طلحة لما عين الموت وكشف عنه غطاؤه رأى عليا (ع) في صورة مروان بن الحكم ، انتهى . وصرح به الخان في ارشاده . والعجب من هذه المقالة بانه كيف عرف طلحة ورأى عليا في صورة مروان ، ولم يعرفه الحسن بن علي حيث قال في مجلس معاوية لمروان : أنت الذي وقتت بين الصفين ورمى طلحة وقتلته ؟؟

(وفي مرتبة الختمية) قالوا ان للخاتم (ص) اسمين (يعني ظهورين) اسم سماوي وهو احمد ، واسم ارضي وهو محمد . وقد ظهر باسمه الارضي منذ بعث في رأس كل مائة لترويج ظاهر شريعته ، حتى مضت عليه وعلى شريعته ستة مائة ستة مائة فكانت اثني عشر مائة (١) وانتهت الدورة الاولى لترويج ظاهر الشريعة ، واثت الدورة الثانية لترويج باطن الشريعة . وانقضت دورة ظاهر الشريعة ، فظهرت تلك الحقيقة المحمدية باسمها السماوي وهو احمد في الشيخ احمد لترويج باطن الشريعة . وهذه المقالة عين ما قلناه السيد كاظم الرشتي في شرح قصيدة عبد الباقي ، مذكورة في عشرين ورقا (٢) من أواخر الكتاب . ولا يخان في هذا الميدان جولان ، حيث شبه الايمان بالانسان . وقال انه كان نطفة في زمن آدم (ع) ثم صار علة في زمن نوح (ع) ومضغة في زمن ابراهيم (ع) وعظاما في زمن موسى (ع) ونفخ فيه الروح في زمن عيسى (ع) وتولد في زمن محمد (ص) فارتضع من ثدي ولاية الائمة (ع) ولما كان أوان فطامه غاب عنه المرتضعة (٣) فودعوه (٤) لدى المربيات وهم الفقهاء ، وصار مراهما في زمن شيخنا ، فأخذناه من الاماء المربيات لتعلمه الآداب والسنن . وجال في المقام ، واطال في الكلام ، ولعب بذنبه والسبال ، حتى آل الحال الى مقالة

(١) المنار : الصواب في المائتين مئة ست مئة فكانت اثني عشرة مئة (٢) الصواب ورقة
 (٣) المربيات اي بنو الامام الثاني عشر الوهمية (٤) يريد اودعوه من الودعية

قرة العين الفزوينية راقصة بالغنج والدلال، انكحت وزوجت قد فر من الميدان(?) وقال الخان ايضا في ارشاده : ان بعث الانبياء والرسل وانصب الحجج وانزال الكتب كلها لاثبات الركن الرابع ، وهو بمنزلة اصل الكعبة في مسجد الامامة في حرم النبوة في عالم ارض التوحيد . فعلى الاسلام السلام بعد هذه المقالة وقالوا بكفر من انكر الركن الرابع ، وانهم ناصيين(?) وطهارة لهم للتقية . وايضا قال في اول المجلد الرابع من ارشاده ما هذا لفظه : من چگونه بدست قاصر و نفس ضعيف ابن . صلب وابگردن ابن خلق منكموس بگذارم که هزار و ده سال است که در جاهليت غيبت گرفتارند . وتاريخ كتابه في ست وستين فيكون من اول ولادة الحجة داخلا في الجاهلية الى ان بلغ قلمه موضعه من الكتاب . وقال كتابي هذا - يعني الارشاد - مطابق لما هو مسطور في اللوح المحفوظ حرقا بحرف ، والسواد مطابق للاصل . وقال قراءة كتابي هذا واجبة وقراءة القرآن مستحبة . وقال من قرأ خمسة اوراق من كتابي فكأنما قرأ التوراة والانجيل والزيور والفرقان ، وما اتي به الانبياء من عند الله . ولا تقتصر عباداته عن عبادة السيد ميرزا علي محمد ابن السيد رضا الشيرازي في بيانه انزال اليه من السماء بزعمهم : ان لو اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بحرف من حروف البيان اذا لا يأتون بحرف منه ابدا

(وفي مرتبة الوحي) قالوا ان الوحي عبارة عن توجه خيال النبي (ص) الى نفسه ، ونفسه الى عقله ، وانزال عقله المعاني الى نفسه ، ونفسه الى خياله ، والعقل هو جبريل النازل عليه . صرح به الخان في ارشاده في المقصد الثالث في النبوة . وقال هناك ان النبي مهما كان متوجها الى مسألة علمية كان غائلا عن سائر المسائل ، فيتدرج له العلم شيئا بعد شيء في الدنيا والبرزخ . وقال كثيرا ما يسأل عن الائمة من الاحكام الشرعية (١) ولم يكن لهم جواب حتى ياقى اليهم من عقلمهم ، فيقتصر زمان الايفاء ويطول

فان قيل فكيف يرمون هؤلاء بالغلو في حقهم (ع) مع هذه المقالة ؟ يقال ان التناقض في كلامهم غير معدود ولا محدود ، ويقولون بجواز اجتماع التقيضين لاسما في ذات الواجب ، ويستدلون بوجود ملك نصفه من النار ونصفه من الثلج . وهذا معروف منهم

{ وفي مرتبة العصمة } قالوا يجوز الكبار والصغار عليهم عمدا وسهوا قبل

(١) لعل الاصل ان المراد: كثيرا ما يسأل الائمة عن الاحكام الشرعية .

البعثة وبعدها . صرح بالسهم شيخهم في (جوامع الحكم) وقال يغيب عنهم الملائكة المسدد . وقال الخان في الارشاد: پس اكر خداوند مصاحبت داند در بقاء دين ان يغمبر كه از دنيا مي رود البته قائم مقامى از براى ان يغمبر قرار دهد كه افلا در حفظ شريعت معصوم بوده باشد اگر چه در جاهاي ديكر معصوم نباشد . وان كان في مبحث العصمة اثبت بها لهم وقد قسمها بعصمة عقلية ، وعصمة نفسية ووجودية ، وقسمها الشيخ في شرح الزيارة بعصمة ذاتية - وقال بها لدينا والائمة - وعصمة عرضية - وقال بها في سائر الانبياء - ولا يفهم مراده . وقال الخان بعصمة الركن الرابع الذي يسميه امام الزمان حيث يقول في ارشاده غير مرة : پس امام غائب بكارمر درميخودر ومردم امام حي حاضر معصوم ميخواهند

(وفي مرتبة الازعان بالمعراج) قالوا بما هو لفظ الشيخ في رسالته المسماة بالقطفية: قال انه تعالى لما اراد العروج الفى في كل كرة ما منها نالقى ترابه في التراب ، وماءه في الماء ، وهواءه في الهواء ، وناره في النار . وكل قبضة (?) في تلك السماء ، ثم لما رجع اخذ من كل كرة ما ألقى فيها . وصرح عليه في جميع كتبه . ومن بيانه تشبيه المعراج باكل الغذاء وتحاييه واخراج تفاه ، الى ان يحصل الروح البخاري في القلب ، ثم يصعد الى الدماغ ، وقد صمدها الخان في معراج الغذاء المأكول الى ان جعلتها نفسا وجفلا وفؤادا

(وفي مرتبة الامامة) قالوا ان امام الزمان غير الائمة الاثني عشر : ولا بد في كل زمان عن امام غيرهم ، وهذا صريح كلامهم . وقال الخان في ارشاده: پس جنانچه بخداى نايده ا كتمان ميتوانيد نمود بامام غائب هم ا كتمان ميتوانيد نمود . وقال في موضع آخر: سار غائب چگونه تربيت شا كرد ميتواند نمود .

(وفي مرتبة الاماد) قالوا ان الجسم جسمان ، والجسد جسدان ، جسد عنصري دنيوي وهو مخلوق من عناصر هذه الدنيا التي تحت تلك القمر ، وهذه تفتى ويلحق كل شيء الى اصله ، ويعود اليه عود مازجة واستهلاك ، فيعود مائه الى الماء وهواءه الى الهواء ، وناره الى النار ، وترابه الى التراب . ولا يرجع ولا يعود لانه كاثوب يلقى من الشخص . والثاني جسد أصلي من عناصر (هورقاليا) وهو كامن في هذا المحسوس ، وهو مركب الريح ، فيقوم للحساب ، وهو الجسد الذي يتألم ويتنعم وهو الباقي ، وبه يدخل الجنة والنار . وقالوا : السؤال عن الروح والجسد الهورقاليائي ينون البرزخي . وقتنا ان تصراط والميزان والوسيلة كلها مؤولة منوية غير جسمانية

(وفي مرتبة تسكليف الناس في زمان الغيبة) قالوا : لا بد في كل زمان من امام زمان غير الأئمة الاثني عشر ، ولهم في هذا المقام مناقضات شتى ، فتارة يعبرون بالشيعة ، وتارة بالنقباء والنجباء ، وتارة بالركن الرابع ، وتارة يفرقون بينهم . وجعلوا معرفة الركن الرابع اصلا من اصول الدين ، ونسبوا منكره الى الناصية ، وتناقضوا في القول ، فقالوا : هذا الركن من الايمان كان مخفيا حتى أظهره الشيخ أحمد ثم السيد كاظم ثم كريم خان ، فمن لم يعرفهم ولم يحبهم مات ميتة جاهلية ، وميتة كفر وتناق ، ثم تفرقت كلماتهم من بعدهم على أشخاص كثيرين فتفرقوا أيادي سبا ، كلما دخلت أمة أمنت أخرى ، الا ان أكثرهم اجتمعوا على محمد خان حسب ما وصى اليه ابوه ، وقالوا في صفات الركن الرابع ما لا يفصر عن صفات الرسل والأئمة ، قال رحيم خان اخو محمد خان في منظومته : قدر تشان قدرت يزدان بود . وقال لهم السلطنة على العالم والقدرة الالهية على التصرف فيما يشاؤون ، وأمثال ذلك .

ويقولون صريحا بوجود الباب للإمام ، وان كانوا ينفونه على السيد ميرزا علي محمد الشيرازي ، فالنزاع في الموضوع دون الحكم ، ومحصل كلامهم ان التصديق في مراتب التوحيد لا يكمل الا بالتصديق بالنبوة ، والتصديق بالنبوة ومعرفة صاحبها لا يكمل الا بالتصديق بالإمامة ومعرفة صاحبها ، والتصديق بالإمامة ومعرفة صاحبها لا يكمل الا بالتصديق بالركن الرابع ومعرفة ، فالعلة الغائية من المعرفة في معرفة أصول الدين والعقائد معرفة الركن الأخير . على ان الدين والايمان مركب من أربعة اركان ، ولا يتم معرفة الاول الا بالثاني ، ولا يتم هو الا بالثالث ، ولا يتم هو الا بالرابع ، فمعرفة اصل ومعرفة المثلث الاول من باب المقدمة ، كما يفهم عن عبارات الخان في ارشاده . ولذا قالوا ان معرفة الركن الرابع ومحبه وموالاته من ضروريات الدين ، ومن انكرها انكر اصوله ، وقد عبر الشيخ في كتبه عن هذا الاصل بالشيعة الخاص ، وبعض آخر منهم بالنائب الخاص في زمن الغيبة الكبرى ، في مقابلة الامامية من قولهم ان الاحكام الشرعية والحوادث الواقعة في زمن الغيبة الكبرى راجعة الى النائب العام ، وهو الفقيه الجامع للشرائط ، حتى آل الامر بالخان فعبر عنها بالركن الرابع ، وزاد في التطيور نعمات أخر لا فائدة في ذكرها والمعجب كل المعجب من الفتن الحادثة بعده فان ابنه محمد رحيم خان قال بوحدة الناطق أي الركنية الشخصية ، وقال بان الركن الرابع للدين في كل عصر من الاعصار شخص واحد يجب لكل مكلف في ذلك العصر متابعتها في الاحكام الصادرة عنه ،

وارجاع أموره التكليفية اليه ، ومعرفة وموالاته ومحبة ، بناء على ان هذه المعرفة بهذه الصفة من ضروريات الدين . وخالفه في هذه المقالة تلميذ الخان السيد ميرزا محمد باقر الهمداني . وقال بكثرة الناطق أي الركنية النوعية ، وقال ان الركن الرابع في كل عصر يمكن أن يكون متعددًا متمسكًا بالتوقيع الصادر عن الامام القائم المنتظر {ع} وأما الحوادث الواقعة فارجعوا الى رواة احاديثنا ، وكون محل الرجوع رواية يدل على تعدد الركن لا الشخص ، ولكل منهما كتب متعددة ممهدة لاثبات مدعاه . ولذا صارت الشيخية بعد الخان المهود طائفتين ، وبقي الامر كذلك الى زماننا هذا والاصهبانيون منهم من الطائفة الهمدانية . وأما الطائفة الاولى أي تبعة الكرمانى (فهم) متفرقون في سائر البلاد والاضراب منهم ساكنون في طهران وكرمان . وكاهن متفقون في جواز التقايد من الميت ، والعسل بكل خبر ولو كان ضعيفا . ولذا يمدون من الاخباريين مع إعمالهم نبذة من قواعد أصول الفقه في مباني فتاويهم انتهى

« المنار »

ما أفسد دين الشيخ أحمد الاحسائي وأتخابه وأثار في أدمغتهم هذه الخيالات الا التشيع بما أثروه عن فرق الباطنية ، وما رأوه من اقرار الناس لبعض زعماء الباطنية بالامامة وبعضهم بالالوهية ، وعلمهم بأن أهل زمانهم أجدر من المتقدمين بالتقليد ، للاعراض عن القرآن والسنة والجهل بهما وبلغتهما ولما كان قبل من التمهيد . والظاهر ان كلا من الاحسائي والرشدي والكرماني كان يطمح أن يكون في شيعة العراق والفرس ، كامام بل إله الاسماعيلية في الهند ، ولكن كان ينتهى شوط أباطيلهم التمهيد للباب ثم للبهاء ، الذين كانوا دونهم في الفلسفة والفصاحة والذكاء ، وما سبب رواج كفر الباطنية وشركهم المخترع - على اختلاف فرقهم من اسماعيلية ودروز ونصيرية وبكداشية وبابية وبهائية - الا الغلو في تعظيم آل البيت (وكذا غيرهم من العلماء والصالحين) والتقليد في الدين فهذان السببان هما اللذان أعدا الاذهان ، لقبول هذا الكفر والطغيان ، وما كانت فرقة الشيعة الامامية أشد غلوا من سائر فرق المسلمين في تعظيم آل البيت جعلها واضعوا هذه الاضاليل مباءة لها ، وسلاماً لمقاصدهم منها .

تقرير المطبوعات الجديدة^(*)

﴿ نشوء فكرة الله ﴾

« كراسة تحتوي على خلاصة كتاب لجرانت ألين الكاتب الانكليزي المشهور عن نشوء الاعتقاد بالله وترقي الانسان من الوثنية الى التوحيد الحاضر مع بيان اصول المسيحية ونشوتها »

لخص هذه الكراسة من ذلك الكتاب وطبعها ونشرها (سلامه اقندي موسى) وهو شاب قبطي الجنس مادي الاعتقاد، بمعنى باقناع الناس بأن الأديان أوضاع مخترعة ينبغي لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعي واصول الاشتراكية ومنها - على رايه تبعا لبعض غلاة المادية من الافرنج - أن يجعل الاقوياء باعلاك الضعفاء، ومنعهم من الزواج ومن كل ما يطيل أيام حياتهم على الارض ، كمالجئة المرضى والصدقة على البائسين . وما نشر هذه الكراسة الا في سبيل مذهبه . وهذه الحملات التي يحملها الملاحدة على الدين تؤثر في النصرانية دون الاسلام ، لأن النصرانية الحاضرة وثنية متسلسلة من وثنية قدماء المصريين والهنود وغيرهم . وانا ثقّل نصولا من هذه الرسالة بحروفها ثابت ما قلناه ، ثم نعقب عليها بما نراه ، قال الكاتب :

﴿ المسيحية كتناسل ديني ﴾

اذا اخذنا المسيحية كنموذج للاديان واعتبرنا نشوءها نجد ان كل ما فيها من العقائد والمراسم مأخوذ من الاديان السابقة لها التي كانت فاشية عند ظهورها . فآله المسيحية -- المسيح -- كان انسانا كما كانت كل الآلهة القديمة عند اول ظهورها . وقد اعتبره المسيحيون الاولون ابنا لآله (كذا) تربيها له عن الانسانية كما فعل اليونانيون مع اسكندر المقدوني . ونجد في المسيحية ما يسمى (بالثالوث الاقدس) وهو عبارة عن ادماج ثلاثة آله وهم الآب والابن والروح القدس في إله واحد، على مثال ما كان يعتقد المصريون في اثالوث الالهى المكون من اوزيريس وايسيس وهوريس . والمسيحيون يعتقدون ان أم المسيح عذراء . ولا بد ان هذا الاعتقاد قد تسلسل من

(*) كتب تقرير هذا الجزء - ما عدا الاول منها - شقية السيد صالح مخلص رشنا

الاعتقاد المصري القديم الذي كان قائماً على اعتقاد البكارة في ايسيس ام هوريس . وكذلك ترى اذا بحثت عن الاصل في مراسم المسيحية كالصليب والقبر والكنيسة والهيكل انها مأخوذة من الاديان المصرية القديمة . كما ان نظام القربان والسكرات مأخوذة منها ايضاً .

(١٥ - الضححية والدم)

قد رأينا فيما سبق ان للضححية باعثن الاول هو الاعتقاد بانها تقدم كطعام للروح او الاله . والثاني هو الاعتقاد بان الاله ذاته تجسد فيها وتدفن اجزاؤها في الحقل لكي تسمى الزروع .

الى هنا لم نتكلم عن اكل الناس الاحياء للضححية . فقد رأينا الضححية تجزأ وتدفن في الحقل باعتبار انها إله ورأينا القربان ايضاً يوضع للبعث اعتباراً بأنه سيجوع ويأكله . وسنتكلم الآن عن اصل عادة اكل الناس للضححايا .

من الشائع بين عوام مصر ان من اكل قلب ذئب صار قوياً مثل الذئب ويعتقدون في الهند ان من يأكل نمراً يصير شجاعاً جريئاً كالنمر . لهذا لما نشأت عادة ذبح الالهة المتجسدة في الضححية ورد على خواطر المضححين ان يأكلوا هم ايضاً قطعة من جسم الاله حتى يصيروا مثله في صفاته ، على نحو ما يفعل آكل الذئب والنمر . فصاروا يضعون جزءاً من الضححية المؤهلة في الارض ويأكلون جزءاً آخر منها . وهذا صيد المصفورين بحجر واحد : مباركة الحقل وتقوية الجسم . كذا تفعل قبائل الغوند . وكذا ايضاً كان يفعل المكسيكيون . فانهم كانوا اذا ارادوا التضحية قبضوا على اسير من أسرى حروبهم وعاملوه معاملة الملوك مدة عام يقتلونه باحتفال عظيم في نهايته ويأكلونه . وبمضي الزمن ارتقى الانسان من التضحية البشرية الى التضحية الحيوانية الحاضرة في اعياده . وفي طريقة الذبح عند العرب والعبرانيين الآن بقايا اثرية من عوائد التضحية القديمة فانهم يذبحون الآن « باسم الله » ويتطلبون اراقة الدماء من المذبوح ، والدم هو في العادة الجزء الذي يشتميه الاله لانه - بخلاف اللحم - يحفظ فيظن الرائي ان الاله قد شربه .

قلنا ان الانسان كان يشرب دم الذبيحة او يأكل لحمها اعتقاداً بأنه يأكل ويشرب من لحم الاله ودمه . وقد قلنا انه كان يعتقد بأن روح الضححية روح للاله نُحَل من الذبيحة عند الذبح وتنتشر في المحاصيل كالسكر والفلال .

من هنا نشأت عادة أخرى وهي أن يأكل المتدين خبزا أو يشرب نبيذا باعتقاد أنه يأكل من لحم الاله ودمه . لان روح الاله قد تجسدت في محاصيل الغلال والسكر . والخبز والنبيذ هو ما يأخذه المسيحي من قسيسه باعتقاد أنه يأكل ويشرب من لحم المسيح ودمه .

(١٦ - ضحية الافتداء)

للضحية - كما قلنا - اعتباران عند المنوحشين (١) انها تقدم كطعام للروح أو للاله (٢) انها تقدم كأنها هي الاله ذاته

وهناك نوع ثالث من الضحايا يقدم باعتباره يفدي القبيلة أو الامة من خطاياها وقد صلب المسيح لكي يفدي الناس من خطاياهم أي لكي يكفر عن ذنوبهم والاصل في هذه الضحية هو الاعتقاد بإمكان نقل المرض من شخص الى شخص أو الى شيء آخر . مثال ذلك ان ملكا في (بنشوانا لاند) أصيب مرة بمرض ما فأحضر ثورا وتليت عليه الرقيات وأغرق بعد ذلك في النهر . ومنطق هذا العمل عندهم ان المرض قد انتقل الى الثور وذهب معه بعيدا عن الملك ، ولا يزال عندنا نحن المصريين آثار باقية من هذا الاعتقاد في رقياتنا حيث نزيل الرقية المرض وتلقيه بعيدا عن المريض بالقائها بعض اشياء كانت تحرقها في النار وقت الرقية

وقد نشأ من اعتقاد امكان نقل المرض اعتقاد امكان نقل الخطيئة . مثال ذلك ان بعض قبائل افريقيا ينقل كل سنة شخصين رجلا وامرأة - لكي يكفرا عن خطايا القبيلة . يعتقدون ان خطيئات القبيلة قد انتقلت الى هذين الشخصين وانهم يقتلها يفسلون القبيلة من ادران خطاياها ، ويررونها امام آلهتها ، كما كان يقتل الاثنيون شخصا عند وفود وباء ما على بلدهم اعتقادا بأن الوباء يموت بموته وينجي الامة منه ، وكما تذري الراقية قطعة الشب التي احرقتها في النار وقت الرقية اعتقادا بأنها حملت المرض معها وذهبت بعيدا عن المريض

(١٧ - العالم قبل المسيح)

كان العالم الذي انتشرت فيه المسيحية تابعا للدولة الرومانية عند بدء انتشار هذه الديانة . وقد كانت هذه الدولة تشمل كل ممالك البحر المتوسط ، ودرجت اللغة الرومانية على ألسن التجار فقربت بين هذه الامم وصبغتهم بالصبغة الرومانية . وقد بنت التجارة على المم - اجرة والنزوح الى المواني فكانت الاسكندرية ورومية

وانطاكية (١) ملأى بالسوريين والرومانيين والاسبانيين وغيرهم من الجاليات التي هجرت مواطنها الأصلية واستعمرت هذه المواني الارترزاق . وقد أدى هذا الى انتشار الاديان في اصقاع الامبراطورية، وخروجها من اوطانها الأصلية، فكانت الآلهة المصرية تعبد في انجلترا ورومية بسبب النزلاء المصريين كما كان يعبد الآله (يهوه) في الاسكندرية و مرسيايا بواسطة اليهود . وقد كانت بعض هذه الآلهة تتخذ في الصفات فيعبدوها الناس وان كانت أجنبية عنهم الا انها تتفق في صفاتها مع احداً لهم . او كانت الظروف تقضي عبادة الآلهة الغريبة كما حدث مع البطالسة ، فانهم حينما تولوا حكم مصر عبدوا الآلهة المصرية مع انهم كانوا يونانيين . وقيل ظهور المسيحية كانت الاديان الوثنية قد ضعفت امام الفلاسفة وحصل بذلك اشتياق في النفوس للتوحيد اليهودي ولو لم يكن (يهوه) إله اليهود وطنياً متمصباً في الوهيته يكاد لا يتعرف بأمة حقيقة بالجئسة غير اليهود اعمت عبادته . لهذا تحول الناس الى العبادة المسيحية لانها في الحقيقة عبادة للآلهة كلها . لان المسيحية اشتقت مناسكها وسننها ومراسمها من آلهة مصر وسوريا ورومية وفرنسا وانجلترا وغيرها، فكانت كل الامم تعرف شيئاً عنها وتمتد بصحة بعض سننها وأساطيرها . ومما زاد في الاقبال عليها سهولة طريقة الدين بها وصعوبته عند اليهود

(١٨ - نمو المسيحية)

انا اشك في ان المسيح كان انساناً موجوداً . على اننا اذا صدقنا رواية وجوده كشخص ما، فانما نعتقد ذلك باعتبار انه وجد وقتل كضحية مؤلمة . وهي الضحية التي قلنا انها كانت تقدم لآلهة الغلال والنبذ . فقد كان السوريون المجاورون لليهود يبدون (أثيس) إله الغلال، وكان من عاداتهم أن يقدموا له ضحية سنوية . ولعل الاشاعة التي فشت بعد ظهور المسيحية عن ذبح اليهود للاطفال قد نشأت عن هذه التضحية، وعندها سبعة اشياء ترجح ان المسيح كان ضحية مؤلمة . وهي :

(١) اذا فحمت عظام بولس في رسائله الى الفورتيتين نجده يصف المسيح كأنه يحف احد آلهة الغلال تماماً .

(٢) اكل تلاميذ المسيح وكل المسيحيين الآن الخبز والنبذ باعتبار انهما من جسد المسيح ودمه . وهذا ما كان يفعله تماماً عبدة (أدونيس وأثيس) آلهي الغلال لان الآلهة نجمد في المحصولات .

(١) المنار : انطاكية ليست فرضة (ميناء) وكذلك رومية

(٣) قول المسيح «أنا خبز الحياة» . «خذوا. كلوا من دمي» (١) وقد وصفوه بأنه قمحي الوجه وان شعره كالون النبيذ .

(٤) انه دخل أورشليم بهيئة ملك مثل ضحايا أتياس وادوينس . لان الاعتقاد كان فاشيا بان هذين الالهين يجسدان في الضحية التي تقدم لهما فيجب اذن اكرامهما ما داما على قيد الحياة . وقد جاء في الانجيل انهم وهم يقتلون المسيح ركعوا، وهذا مماثل ما كان يفعله كهنة أتياس بالضحايا .

(٥) ولما دخل المسيح أورشليم كان ممتطياً حمرا وقد نثرت أغصان الاشجار على الارض، وهو عين ما كانوا يفعلونه مع ضحية اتياس وما زال في «أحد الزعف» (٢) الذي يسبق العيد الكبير عند النصارى بقية من بقايا أعياد آلهة الغلال .

(٦) لما قتل المسيح بكى عليه النساء مثلما كان يحدث في ضحايا أتياس لانهم كانوا يعتقدون بأن الاله يجرد فيها وبالتالي يكون عليه لانهم قتلوه .

(٧) بعثه بعد ثلاثة أيام . مثل أتياس وادوينس بالضبط

فالمسيح قبل لغرضين : انه نحية مؤهلة ولكي يفدي الشعب من خطاياهم (وقد عرفنا اصل و معنى الفداء)

أماثالوث فقد جاء للمسيحية من مصر وانشأ أولا عند الاقباط لان أديانهم الوثنية السابقة كانت تحتم هذا الاعتقاد .

أما الصليب فقد أتى ايضا من مصر ونراه للآن على الجملان . وقد اختلط الموضوع على بطريرك مصري مرة فقال في احد كتبه عن المسيح انه «جمل الله» أي انه ظن الصليب والمسيح شيئا واحدا لان الجمل كان يرسم عليه الصليب .

(١٩ - بقايا اثرية في المسيحية)

ما زال المسيحيون للآن يعبدون الموتى . وقد كانت الكنائس عند اول تشييدها قبورا لبس الا . ومركز القديس الآن بين النصارى وقيمتهم عندهم كركز رئيس القبيلة المتوفى بين قبيلته بالضبط . لان النصراني يحترم القديس ويتبنيه ويتقرب منه كأنه يعبد عبادته ولو أنكر ذلك . وقد كانت القرون الوسطى العصر الذهبي

(١) المنار : العبارة متضخمة لم تؤد معنى ما في الانجيل وهو انه سمى خبز جسده وأسرهم بأكله وسمى الخمر دمه وأسرهم بشربها

(٢) أي يوم الاحد الذي يصفرون فيه سغب الخبز بأشكال مخصوصة

لعبادة الموتى والارواح . فانهم كانوا لا يبنون كنيسة الا اذا أحضروا لها شهيدا أو قدسا دفنوه في هيكلها . وقد تفانوا في هذا العمل حتى ان البندقيين نقلوا جثة مرقس الرسول من الاسكندرية الى البندقية لكي يضعوها في الكنيسة المسماة باسمه هناك .
ودين الاسلام التوحيدى العظيم لم يتهالك عن تقديس الموتى واعتبارهم .
فالمسلمون ما زالوا الآن يتمسحون بقبور الاولياء ويتبركون بها و يبنون لهم -
للاولياء - المساجد على قبورهم .

نريد بذلك ان الانسان الذي تشبع بالتوحيد ما زال يحن الى ميوله الوحشية وتبعته غريزة التدين الاصلية الى العبادة الاولى : عبادة الجثث والارواح .
وترى الآن عند المسلمين اثر من آثار العبادات القديمة في مشهد قتل الحسين حيث يملون قتل الحسين ويسبرون به في الشوارع باكين ومترحمين عليه كما كان يفعل السوريون في البكاء على ادونيس سنوياً . اهـ

(المزار) : ما أضل (جرات ألين) الكاتب الانكليزي مؤلف الكتاب ،
وأضل أمثاله من احرار الكتاب ، وحججهم عن الدين الحق ، وأوههم أنه من
خرافات الخلق ، الا ما رأوه من مظاهر الوثنية بين الاقوام ، مع جهلهم بحقيقة
الاسلام ، وظنهم ان النصرانية هي أرقى الاديان ، مع شهادة التاريخ بأن جميع
أصولها مأخوذة من تقاليد عبدة الالوان ، كثنائية البشر والتثليث والفداء ، وتقديس
كثير من الاشياء . ولو فهموا القرآن حق فهمه ، وعرفوا سيرة نبيه لعرفوا الدين
الحق . فان الاسلام وحده هو الدين الذي حفظ أصله كما هو ، فهو الذي يجب ان
يخذ مقياسا وميزانا لا النصرانية ، التي لا يزال الكثيرون من العلماء والمؤرخين
يشكون - كالمؤلف - في وجود من تنسب اليه (وهو عيسى بن مريم عليهما السلام)
اذا كانوا يحكمون على الاديان بمسائل يستنبطونها من التقاليد التي اخترعت بعد
دعاة تلك الاديان فكيف يكون حكمهم صحيحا ؟ ألم تر أيها القارئ كيف عدوا على
الاسلام تقديس كثير من المسلمين للموتى وتمسحهم بقبور الصالحين وبناء المساجد
عليها ، وتميل الشيعة منهم لقتل الحسين بن علي (عليهما السلام) كما كان يفعل الوثنيون
الاولون ، اذ كان تقديس الموتى ركناً من أركان الوثنية ؟

يعدون هذا على الاسلام ، وأصول الاسلام تنفيه وتحرمه وتعد بمضه ككفرا
وشركا وبمضه معصية ، وقد اجمعوا على انه بدعة ، وثبت عن النبي (ص) في الصحيحين

والسنة انه لعن الذين يتخذون القبور مساجد او يوقدون عليها السرج، ونهى ان يتخذ قبره وثنا او يتخذ عيداً . ومن الظلم أيضاً ذكر الاسلام في سياق الكلام عن الدم والانساحي الوثنية . فان اضحية الاسلام لا شائبة فيها للوثنية والفداء ، وانما هي نفقة وتوسعة على العيال والفقراء ، والله تعالى يقول (ان ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) كما انه ينفي عقيدة الفدية نقياً صريحاً . فاذا كان الاسلام وهو الدين الوحيد الذي حفظت أصوله يتقدون عليه ويعدون منه ما جاء لخدمه وابطاله ونهى عنه اشد النهي ، فكيف يعتد بما ينسبونه الى اليهودية والنصرانية ولم تحفظ أصولهما حتى يمكن الرجوع اليها ؟

الحق ان اصل الدين فطري في البشر ، انطوى عليه وجدانهم ، وصدقته عقولهم ، عند ما صاروا يبحثون ويستدلون ، والماديون يتوهمون ان فطرتهم وعقولهم لا تؤمن بغير ما يدركونه بحواسهم ، وهذا غفلة منهم عن انفسهم ، وعن فرضهم وجود الاثير فرضاً تلجئهم اليه الضرورة . وقد بينا من قبل كيفية طروء الوثنية على الناس ، وحقيقة النشوء والارتقاء في الاديان وكيف قاومها الانبياء بالدين الحق ولا محل لاعادته هنا .

﴿ اعتناق الاسلام ﴾

تأليف (المهتدي) عبد الكريم يوسف (جوصو) الفرنسي طبع في المطبعة التونسية على ورق جيد بحرف كبير ص ١٠٧ « بقطع الاسلام والنصرانية » يباع في المكتبة العلمية (٢٩ شارع الكنيسة بتونس)

ما زال الله يزيدنا بصيرة ويقينا بدين الاسلام خاتم الاديان بما يهدي اليه من ارباب الارادة القوية والفكر المستقل ، فن اسلام عبد الكريم يوسف (جوصو) الفرنسي ، الى اسلام اللورد هدي الانكليزي ، الى امثالهما من اخواتنا الذين لحقوا بنا في الاسلام دين الحق والتوحيد والتنزيه ، والايمان بجميع الانبياء المصلحين .

ولا بد من تعميم الدين الحق { دين الاسلام } في جميع اقطار المعمورة . (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)
واليك صورة اهداء كتاب اخينا عبد الكريم قال حفظه الله

الحمد لله الواحد الاحد ، الفرد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذي جاء بالحق ليظهره على الدين كله . مرغماً انتف من عاند وحقد وحسد ، فدعا لسبيل ربه بالحكمة والموعظة

الحسنة ، وجادل الناس بالتي هي احسن ، فمنهم من تجبر وانفر ، ومنهم من انقاد واذعن واقرب ، وتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل وان نجد لسنة الله تبديلا ، وعلى كافة الانبياء والمرسلين ، وجميع الآل والاصحاب ومن تبعهم وتلاهم الى يوم الدين . اما بعد فان المنازل تسهوي الباب قاطنيها بما يتاح لهم تحت ادبها من افانيس السعادة . والسعادة - لازالت لها قريناتا : سعادة ارواح وسعادة اشباح ، بينهما من التفاوت كما بين النار والنور ، والظل والحرور .

وقد صادفت اثناء اقامتي بالفطار التونسي سعادة لنفسي ، وراحة لفكري ، من نصب وكفاح مارسته عقدين من السنين ، اعني حين قر قرارتي ، وسكنت نفسي ، رانقاد ضميري ، لاتباع دين الهدى وشريعة الاسلام ، فصار هذا الفطار حينئذ وطنا لنفس تحن اليه ، وترفرف بأجنحتها عليه ، ومن كانت حر الضمير يصدع بالحق لا يخشى لوما ولا تريبا .

لذلك اردت أن ابدي للناس عند ما نجز هذا التأليف مالفؤادي من الود والميل نحو قطر يجدر لي ان ادعوه « قطر السعادة » فوطدت العزم على اهداء الكتاب لأمره الاعظم ، وملاذه الانخم ، صاحب السؤدد والفخار ، سيدنا محمد الماصر باشا باي ، صاحب المملكة التونسية ، لازال رفيع المهاد ، طويل النجاد آمين

عبد الكريم جو صو

وهذا مقل متي

« تقوات عني بعض الصحف الفرنسية عند ما اعتنقت دين الاسلام اني أريد تمهيد السبيل للزوج بارع نساء ، وامتلاك ما اشاء من الجواني ، سبحانه لك اللهم هذا رجم بالغيب ، وقذف بالبهتان ، بل اني اسلمت لله رب العالمين ، مخاضا له الدين ، وما أنا اول المهتدين

وجدت الاسلام ديننا سمحا سهل المأخذ ، بين العقيدة ، واضح البرهان ، مجردا من الغموض ، لا يفتقر أتباعه في عبادة خالفهم الى واسطة ، فارتضيته لنفسى والحمد لله لقد كنت بادئ بدء اردت ان اقد اسلافي الكاثوليكين ، ولكن الفكر ابى ان يمتد شيئا لادليل عاينه ، وكيف يقيم البرهان على صحة العقائد الكاثوليكية وقساوستها ورهبانها وكردينالها عاجزون عنها .

بعد ذلك مكثت نحو شهرين سنة البحث عن الدين الحق لا يكون من شيعته ، اذ لا شئ لمخلوق عن عبادة خالقه .

فاتفق لي في اواخر هذه المدة ان حجت بعض الاقطار الاسلامية ، فآثر جمال حياة اهلها تأثيرا عظيما على قريحتي الفنية ، واستهوطني بحاسنها الى ان اندفعت للبحث في شؤونهم اجمالا وتفصيلا ، واذ ذاك اخذ دين الاسلام يستميلاني شيئا فشيئا ، الى ان تجلى اليقين امام عيني ، وعلمت ان الدين عند الله الاسلام .

وها انا ابين للواقفين على هذا الكتاب خلاصة ابحاثي من اولها الى آخرها تفصيلا لمزاعم الواهمين . » اه

ثم كتب له ملحقا في المباحث الآتية وهي (تسامح الاسلام) و (انشار الاسلام) و (في الخلق) نقلا عن كتاب الاسلام الذي ألفه الكونت هنري دي كاستري . ثم (القرآن) نقلا من « البحث في اصل اللغات » تأليف جان جاك روسو ومن « حياة محمد » تأليف بولانغير . ومن « الاسلام » تأليف هنري دي كاستري . وبعد ذلك ، بحث (في المرأة) من مختصر « في حقوق المسلمات » تأليف رحمن حلوه . ومن « مختصر الانكليزي في الاسلام » تأليف ريفي . يتلوه مبحث (قضاء الكنيسة الكاثوليكية على المرأة) ثم (في تعدد الزوجات) من كتاب « الاسلام على حذف القرآن » تأليف قرسين دي تاسي .

(الاسلام) مجلة دينية عامية اخلاقية سياسية فارسية تصدر في طهران في كل شهر عربي مرة صفحتها ٤٨ بالقطع الصغير . رئيس تحريرها حسين كمال السلطان . قيمة اشتراكها ١٢ قرانا في إيران ، يضاف اجرة البريد للخارج . وثمان العدد الواحد قران واحد عنوانها « طهران خيابان حربة مركز توزيع كل جرائد داخلية وخارجية » (العرفان) مجلة شهرية شهيرة تصدر في صيدا سنتها عشرة أشهر تبحث في العلم والادب والاجتماع وتنفى عنانية خاصة بشؤون الشيعة ، وكانت حجبت عن قرائها زمنا ثم عادت الى خدمتها وهي ذات اربعين صفحة بقطع المنار ، وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريال مجيدي وفي الخارج ستة فرنكات

(المنهل) مجلة ادبية تاويلجية اجتماعية مصورة عند الاقتضاء . تصدر مرة في الشهر في القدس الشريف لمنشئها محمد موسى المغربي . صفحاتها ٤٠ قيمة اشتراكها ريال ونصف ريال مجيدي في البلاد العثمانية وفي الخارج عشرة فرنكات

في اصلاح اللامركزي وطلابه في البلاد العربية

تألف حزب اللامركزية بمصر لمطالبة الدولة بتغيير شكل ادارتها في المملكة كلها - وان كان جميع مؤسسيه من العرب السوريين - لانهم يريدون الحياة للدولة كلها لا لبلادهم فقط ، ولو طالبوا الادارة اللامركزية لبلادهم وحدها لما كان ذلك أنفع لهم ولا أرجى لقبول طلبهم ، اذ رضاء الدولة بجعل ادارة بعض ولاياتها مركزية وبعضها غير مركزية بعيد عن العقل والتصور . وتألفت في أثناء ذلك الجمعية اصلاحية ببيروت لطالب اصلاح معين لولاية بيروت خاصة . وتنتها جمعية في البصرة لطالب اصلاح لولاية البصرة خاصة . وما حفز العرب في هذه المواضع باهاب بهم الى طلب اصلاح والدولة بتن من اثناء الحرب البلقانية التي غابت فيها على امرها ، الا خوفاً من أن يكون بقاء الخلل السابق سبباً لانحلال الدولة وتقسيم الدول لها بالفتح السلمي الاقتصادي او الاحتلال العسكري .

ولما رفعت هذه الجماعات اصواتها بطالب اصلاح رددت صداد جماعات المهاجرين السوريين في امريكا الشمالية والجنوبية وفي أوروبا ، واقترح بعض من في باريس منهم نأليب مؤتمر عربي بباريس لاعلان مقاومة كل احتلال اجنبي في البلاد وللبحث في حقوق العرب في الدولة العثمانية وانطابية بها . وهدوا الى حزب اللامركزية ادارة هذا المؤتمر ، فاختار الحزب للقيام بذلك كلا من السيد عبد الحميد الزهرراوي واسكندر بك عمون ورشح الاول لرياسة المؤتمر على ان يكون بائغاب اعضاء المؤتمر ، وكذلك كان . وكانت من امر انفراد المؤتمر ونجاحه واهتمام حكومة الاستانة به ما هو مشهور .

شعر اركان الحكومة الاتحادية بوجود العرب وعثوا بمبادلة الاحتفالات بينهم وبين من في الاستانة من العرب واكثرهم طلبة المدارس الاميرية . وسعوا لاستقدام الوفود من سورية ، واحتفلوا واحتفوا بمن ذهب منهم الى الاستانة ، وادبوا لهم المآدب ، واحبوا التأليف بين طلاب اصلاح ومن عارضهم وشنع عليهم زلفاً للحكومة ، ولكن لم يتم لهم هذا . وكانت هذه المظاهرات التي اهتم بها اهل الاستانة تذكر بالسخرية في غيرها ، ويمدها العرب في مصر وسورية والعراق وفي البلاد الاجنبية خداعاً وتخديراً .

وأما الامر الذي كانت محل النظر ، وموضع الامل عند بعض العرب ، فهو

الاتفاق الذي عقده جمعية الاتحاد والترقي مع رئيس المؤتمر العربي ، واعطته العهد والميثاق لتنفيذته . وهذا من اثنتي عشرة مادة . ولهذا مكث رئيس المؤتمر بضعة اشهر في باريس ينتظر تنفيذ ، وكانت لاستانة تجذبه اليها وحزب اللامركزية يجذبه منها ، حتى اختار الحزب أخيرا أن يعود الى مصر ، وان يمر بالاستانة مختبرا اذا شاء . فشاء وجاء الاستانة ، راجع رجال الحكومة في أمر تنفيذ الاصلاح الموعود به ، فقالوا إتنا على عهدنا ، وقد بدأنا من التنفيذ بإنشاء مدرستين سلطانيتين باللغة العربية احدهما في دمشق والاخرى في بيروت ، وبتقرير جمل عسكر كل ولاية في مطلقها العسكرية ، وبجعل اللغة العربية رسمية في المحاكم ودواوين الولايات العربية ، وباختيار الموظفين لهذه الولايات من المارفين باللغة العربية . واما ما يتعلق بالنائمة والاقواف والمعارف فهو يتوقف على وضع القوانين له ونحن شارعون في ذلك بتنقيح قانون الولايات ووضع قوانين أخرى ، ثم ان تنفيذ بعض ذلك يتوقف على وجود المال ولا مال الآن . واما المناصب والوظائف في مجالس الاعيان وصالح الحكومة العليا فهم ساعدنا على اختيار الاكفاء لها لمعينهم بالتدريج .

هذا ماخص ما تذكر من معنى أحوبة الحكومة للسيد الزهراوي بعد مراجعات متعددة ، ووعود مبهمة ، كان فيها بين اليأس والرجاء مدة طويلة ، حتى عزم على منادرة الاستانة . ثم شرعت الحكومة في تنفيذ ما لا يتوقف على القوانين ولا المال من المطالب بالمشاورة معه ، ومنها تعيين ستة أعضاء من العرب في مجلس الاعيان احدهم السيد الزهراوي نفسه ، إذ اقضت الحال ان يكون في الاستانة مراقبا لتنفيذ سائر ما وعدت به الحكومة من الاصلاح ، ومنها تعيين الشيخ اسماعيل الحافظ من علماء طرابلس الشام عضوا في مجلس المعارف الاعلى ، وهو في الذروة العليا من نابي العرب علما وتحملا ، اخلاقا وعقلا ورأيا واستقامة . ومنها تعيين عبد الوهاب افندي الانكليزي (لقبا لا نسبا) وشكري افندي العسلي مفتشين في بعض الولايات ، وهما من اشهر نابي العرب من سلك الحكومة الملكي المستحقين للمناصب العالية . ومنها تعيين اناس آخرين في (الدوائر) المالية في العاصمة .

وكان رجال الاستانة قبل هذا قد أرضوا بعض رجال جمعية بيروت الاصلاحية بالوعود الجلية فسكنت - ركتها بالتدريج ، واسمهاوا السيد طالب بك النقيب زعيم البصرة ، أمان في الجرائد الرضاء عن الحكومة والاتفاق معها وتبرع للاسطول العثماني وجمع له مالا كثيرا

ثم ان حزب اللامركزية رأى من الصواب ان يحفظ صلته بالسيد الزهراوي كما حفظ هو صلته بالحزب بعد قيامه بمسأله اليه خير قيام . حتى انه لم يحل ولم يرحل ، ولم يحل ولم يبعد ، الا باستشارة الحزب ، ولارب زعماء الحزب يشقون كل ائمة بصدق في القول وباخلاصه في العمل لمصلحة الامة ، فهو بهذا خير من يوثقهم على أعمال حكومة العاصمة فيكونون على صيرة منها ، فلا يبتزون عملهم وسعيهم على الخشون والاهام ، فقرر الحزب باتفاق الآراء إقرار السيد الزهراوي على قبول منصب الأعيان وائمة به ، اي في التوسط لادي الحكومة بمطالب الاصلاح . فمل الحزب هذا وهو غير موقن ولا مرجح لانجاز الحكومة ما وعدت به السيد الزهراوي ، كما انه غير موقن بأنها لا تنجزها ، فكانت الحكمة في عدم تسام الصلة بالحكومة ، ومطالبتها بالبرهان والحجة ، على كون الحزب لا يألو جهدا في انسي الى الاصلاح من طريق الامة ، فهو يسلك الطريقين الى مقصده ، فاذا لم يصل من احداهما وصل من الآخر .

اتفق ان الحزب لم يذير شيئا جديدا بعد بيانه العام الذي نشره يوم المظاهرة البرقية السلمية ، بطالب البلاد كلها للإدارة اللامركزية ، لانه لم يتجدد شيء جديد يدعو الى النشر ، فخان البدء عن مركز الحزب والذين ليس لهم صلة مكاتبة به ، ان الحزب قد سكن وسكت او انحل كجمعية بيروت وجمعية البصرة . وأنه رضي من الحكومة بما قالت وما فادت ، وطاقت الجرائد العربية في امريكة تطعن في الحزب وفي طالب الاصلاح كافة ، وزعماء بيروت منهم خاصة .

يدخل الكلام بهذا الموضوع في اربع مسائل : الجماعات الاصلاحية ، والمترضون عليها الآن ، وما يعترضون به ، والحالة الحاضرة . ونسأ في كل مسألة منها قول وجيز .

اما الجماعات الاصلاحية فثلاث كما تقدم : جماعة حزب اللامركزية وهي تعمل للسكك كلها وان كان العالم فيها عربا وناثير عمائها الاول في البلاد العربية . وهي وجد الاصلاح في البلاد العربية يوجد في غيرها حتما اما سابقا واما لاحقا . وجماعة بيروت وجماعة البصرة ، ومطالب كل منهما موضعية ، ولكن زعماءها متفقون مع حزب اللامركزية في مطالب العامة كلها ، اذ النسبة بينه وبينهما كالنسبة بين الخاص والعام . فثلاث سمكت الجماعةان اليوم عن مطالبهما العامة لأسباب اقتضت ذلك ،

فذلك لا ينفي بقاء اتفاق أهل الرأي منكم، مع حزب اللامركزية في المطالب الاصلاحية العامة، وان لم يساعد على ذلك جميع افرادها في الشكل الاول، فقد يساعد كثير منهم في شكل آخر. والحق الواقع ان الحزب الآن اقوى ناصرا واكثر عددا مما كان عليه من قبل، خلافا لما يتوهمه اليميد عنه، فقد تشعبت شعبه وكثرت فروعه في الولايات، ورسخت مقاصده في النفوس، وقد قويت الآمال فيه، والمحصرون رجاء الولايات في سعيه، وان صلة السيد الزهراوي به لم تزد رجاء الولايات فيه الا قوة وثباتا، وان كان أهل الرأي من شعبه ولجانه فيها متفقين مع اخوانهم الذين في سر على كون ما مننت به الحكومة على العرب لا يمد شيئا مذكورا في جانب مطالب الحزب، ولا ينبغي ان يزيده الا جدا واجتهادا في السعي.

وأما المعارضون فمنهم الخاص الذي لا علم له بدخائل الامور وحقائقها، ومنهم الخاص المطامع الذي يريد بالاعتراض حفز الهمة، والحث على الاسراع في العمل، ومنهم من لا حظ له من المطالبة بالاصلاح الا التلذذ بمقاومة الدولة العثمانية والتهويش عليها، وهو لا يرجو لها ولا منها صلاحا، ولا يحب لها بقاءا. فهو نصير المنالين عليها، وظهير المقاومين لها، وعدو الراضين منها، كيفما كانوا، وبأبه شكل ظهورا، ومراده ان تستولى الدول الاوربية عليها ولا يرضيه ما دون هذا. ومنهم من لا يسهل معرفة قصد ولا حقيقة مراده. فاما فالحاصلون في طاب الاصلاح فلا يلبثون أن يرجعوا عن انكارهم، وغير الخاصون لا علاج لهم.

وأغرب ما رأى الحزب من المعارضة والمقاومة وأبعده عن المعقول ما كان من احد كتاب نصارى السوريين الذين اتوا للحزب. فقد حضر كثيرا من جلسات اللجنة العليا بطريق الاستثناء، كان يلقى فيها دلوه بين الدلاء، فينفرد بالمعارضة، ويلج بطاب جعل المصالح والمنافع قسمة بين المسلمين والنصارى، وقد اتفق الفريقان على انكار هذا الرأي وضرر هذه القسمة، وكونها تكون مثار النزاع والتخاصم والعداوة والبغضاء، ويجزم أهل العلم والرأي من النصارى بأن ضرر هذه القسمة عليهم اشد، وان السكوت عن كل ما يتعلق بالدين والمذاهب خير لهم وانفع. ولكن هذا الكاتب الذي كان يذكر ذكر الدين في امور السياسة وشؤون الدنيا بذكره هذا بما نشره في بعض حرائر مصر وأمريكا، ونقر نصارى المهاجرين في أمريكا من الحزب، ونهاهم عن مساعدتهم باسم المسيحية وحقوق المسيحيين وعضء المسلمين لها، حتى انه كتب في جريدة الهدى الامريكية التي تعنى بنشر ما يكره ان يراه من المنار انكر على مسلمي بيروت اتفاقهم مع نصاراها على جعل نصف أعضاء المجالس المحلية

من المسلمين والنصف الآخر من غيرهم . وهي دعوى غير صحيحة ، فان المنار أنكر من لائحة جمعية بيروت الاصلاحية اكثر مما اعطته للفتشين والمراقبين من الاجانب ولم ينكر مسألة المناصفة في المجالس بل عدها دليلا على اخلاص المسلمين وصدقهم الاتفاق مع النصارى لأنهم تنازلوا لهم عن بعض حقوقهم .

وأما الانتقاد والطمع الذي صوب اليهم فهو ان الترك ارضوهم ببعض المناصب والوظائف ، فظهر أن طلب الاصلاح كان شبكة لصيد المنافع ، ويحتجون على هذا بأن المؤتمر العربى قد قرر ان لا يقبل احد من المنتمين الى لجان الاصلاح العربية اي منصب في الحكومة العثمانية اذا لم تفذ القرارات التي صادق عليها - الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين اليها . وخص باشا الانتقاد السيد الزهراوى وعميدي المسلمين والنصارى في جمعية بيروت الاصلاحية - محمد اقندي بيهم ونحله بك سرسق اذ قبلوا ان يكونوا أعضاء في مجلس الاعيان ، قبل تنفيذ الاصلاح في البلاد العربية ولؤلؤة الثلاثة ثلاثة اجوبة يردون بها تلك المضاعن (احدها) ان الحكومة قد شرعت في تنفيذ الاصلاح ولا يعقل أن لا يقبل العرب طلاب الاصلاح مناصبا ولاء ان فيها الا بعد تنفيذ الاصلاح كله بأيدي الترك ومفاوضي الاصلاح من العرب ، كأننا نقول : إنا بعد ان يصاح لنا دولاء بلادنا نقبل المناصب والوظائف فيها ! (الثاني) ان عضوية الاعيان لا تعد وثيقة او مناصبا في الحكومة ، لان عمل الاعيان كعمل المبعوثين (النواب) : وضع اقتوانين ومراقبة الحكومة في تنفيذها ، ليس سيطرة على الحكومة لا خدمة لها (الثالث) ان اللجان الاصلاحية التي ننتمي اليها قد وافقت على ان نكون في مجلس الاعيان . وأما الذين قبلوا المناصب في غير مجلس الاعيان فيمكن لمن كان متميلا الى بعض لجان الاصلاح ان يجيب بالجواب الاول . وهو جواب ضعيف اذا لم يعززه الثالث .

سواء على حزب اللامركزية اقتنع المستعدون والمطاعنون بهذه الاجوبة أم لم يقتنعوا : فان لجنة الحزب العليا لم تدخل في باب المناصب والوظائف ، وقد دعي رئيسه (رفيق بك العظيم) الى الاستانة مرارا قبل ذهاب الزهراوى اليها وبعده - وكان ولا يزال مرشحا لمنصب الوزارة - فلم يجب الدعوة ، والسيد الزهراوى - وان حضر تأسيس الحزب - لم يجب ان يدخل في لجنة الادارية ولا في الانتخاب لث : لانه جاء مصر زائرا لا مقيما . ولكن مكانه العالية من نفوس لجنة الحزب العليا ومن نفوس - اثر طلاب الاصلاح في سورية وغيرها هي التي حملت اللجنة

على اختياره للمؤتمر ، ثم ان حسن سلوكه في المؤتمر ، وتبانه بعد اتمام عمله فيه على السعي الى اصلاح مع الارتباط بالحزب وتقيده بقراراته ، وانقطاعه عن كل عمل لأجله ، على كونه ينفق من ماله نفسه . وبإحدى بدعة النفقات في أوروبا كتيبات كان من الاسباب الجديدة لرضاء الحزب بقبوله لشعب عضوية الاعيان والتوسط لدى الحكومة في اصلاح : واد السبب الأول فهو كفاءته الشخصية في ميدان واخلاصه وبارئحه الحميد النقي ، كما أشرنا الى ذلك من قبل .



بقيت المسألة الرابعة ، وهي بيان حالة الحزب الحاضرة . والتول التوجيز فيها ان الحزب - وان لم يسمع له صوت عال من عدة أشهر - قد أصبح أقوى مما كان ، منذ أسس الى الآن ، فقد كثرت فروعها في الولايات وانشطت ، وقويت الثقة به وثبتت ، وانحصرت آمل طلاب الإصلاح فيه أو كبرت ، ويتضح ان يقال ان طوره الأول كان طور تمهيد للعمل ، واد الأفكار ، ثم جالفت المبادئ ، وقد انتهى الآن بطور القيام بالأعمال ، وان قيامه بالعمل ، واضطلاع به بالسعي ، هو خير خدمة للادولة قبل الامة . لما أنبت الماضي لرجاله من الروية وحسن النية ، فكانت المصادحة في أن يدبر هو الحركة ، لئلا تقتضي الى التوضي ، أو يتغلب عليها الغلاة المتطرفون ، الذين ظهرت في مدة سكونه اصواتهم بنغمة الثورة ، وتوزيع منشورات أفادت الحكومة وعتلاء الامة . ويقال انه يريد ان يبدأ عمله بجميع مؤتمره السنوي وتجديد الخاب أعضاء اللجنة العليا ، وعرض المشروعات الجديدة للعمل عليها . ومنها تحويله الى جمعية ، اذ لم يصدق عليه الحكومة . فقد افترح هذا كثيرون . وعسى ان تكشفه الحكومة هذا الامر ، فتبادر الى اصلاح من تلاءم نفسها وامة الموفق .

الشيخ علي يوسف



﴿ أخلاقه وسجاياه ﴾ هذا لا يعني ترجمة أحد ترجمة تاريخية مؤمنة وإنما يعني من تراجم الناس بيان الأخلاق الحسنة ، ولا عمل النفع ، التي تكون مثلاً حسناً ، وقدوة صالحة ، لأن غاية المنار اصلاحية فهو يعني بكل ما يتوصل به

الى الاصلاح ، ويرغب الناس في الفضائل ومحاسن الاعمال ، وان ذكركنا مايقابل ذلك فانما نذكره لان العبرة لانتم الابه ، ولا يجعل ذكر المساوي هو الاصل في الموعظة ، وقد كان ما ذكرناه من ترجمة هذا الرجل دائر ، على هذا القطب ، وأحبينا أن نختار بهذه الكلمات التي تذكر الناس وتنبه الغافل لما هو المصقود بالذات . فنقول أن هذا الرجل نبه بعد خمول ، وارتفع بهيمته وأخلاقه الى الطبقة العليا في أمته ، فصار من بطانة أمير البلاد وأهل ثقتهم . وصاحب التأثير الاول في أفكار المصريين ، والرأي المحترم في جميع الاقطار الاسلامية ، وكم من متعلم نال الدرجات العلى في العلوم والفنون العربية والافرنجية يتسنى أن يصل الى ماوصل اليه الشيخ علي يوسف بما دون درجات علمه ، وهو لا يستطيع الى ذلك سبيلا ، لأن من أبطأت به سجاياه وأخلاقه لا تسرع به علومه وفنونه ، فأحب أن تذكرنا بهذا الرجل قد ارتقى بالعزيمة . وقوة الارادة والصبر والثبات وعوا الهمة ، والاخلاص لله والامة . فمن استطاع ان يتخلق بهذه الاخلاق ، فليقصد بها ماشاء من مراتب السكالك ، ومقامات الرجال . ويحذر المعبر بسير رجال عصره من الوقوع في مثل الخطأ الذي ارتكبه هذا النابغة وأمثاله من النوايع (كقاسم بك أمين) وهو محاولة استعجال الثروة الواسعة التي تليق بمقامهم الاجتماعي بساوك الطرق التي ربما تؤدي الى ضد مرادهم ، والشيخ رحمه الله عصمته تربيته الدينية ان يفتتن بما افتتن به كثير من كبرائنا المتفرجين من المقامرة ، وانما تورط في شراء الدور والقصور وعرضات الارض المعدة للبناء في تلك المدة التي خرج فيها التغالي بالاثمان عن الحد الطبيعي الذي وصلت اليه درجة العمران في البلاد . ولما عادت (سنة رد الفعل) بالاثمان المباني وعرضاتها الى ما دون الثمن المعتدل لها ، بعد ذلك الافراط فيها ، غرق الرجل مع من غرق في طوفانها ، ولولا ذلك لما قصرت ثروته بما يليق بمقامه الاجتماعي ، على ما كان من تنصيره في ادارة المؤيد المالية . وما ذكرنا هذا على كونه معروفا مشهورا الا ليكمل الاعتبار بسيرة فقيدنا النافعة طردا وعكسا ، ونسأل الله تعالى ان يتغمده برحمته ، بمنه وفضله وكرمه .

(تنبيه) وقع في السطر ٢٢ من ص ١٦٨ من هذا الجزء كلمة سب خطأ وصوابها (سبب)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيلبثوا أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « منارا » كنار الطريق ﴾

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٢ هـ ق ٨ ربيع الأول ١٢٩٢ هـ ش ٢٧ مارث ١٩١٤

﴿ استفتاء في فسخ نكاح المسر ﴾

ما نولكم في امرأة فقيرة غاب عنها زوجها من مدة سنتين وترك عندها ولدا ولم يترك لها شيئا لنفقة ونفقة ولده ولم يرسل لها سوى شيء يسير لا يقوم بنفقة الولد وكتبت له عدة كتب طابت منه النفقة الكافلة لها ولولدها او الطلاق فتمنت ولم يحجب عليها (?) ثم التفتت من شيخه شيخ الجاوي فكتبت له ولم (يجب) فهل لها طلب فسخ النكاح عند الحاكم الشافعي أم لا؟ وهل لو رفعت أمرها إليه وتحقق وثبت عنده جميع ما ادعته المرأة بالبينة الكافلة وفسخ نكاحها يكون فسخه واقعا وقعه ولها بعد تمام العدة من الفسخ المذكور الزوج أم لا؟ أفتونا مأجورين

﴿ جواب مفتي الشافعية بمكة المكرمة ﴾

باسم سبجانه وتعالى أبتدي الجواب ، واستمد منه تعالى العون والهداية للصواب في الحقيقة يقع كثير من بعض الرجال الظلم والتعدي والايذاء في حق النساء البائسات ، وذلك حرام وقاعله آثم يخاف لما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في حقهن ، ومن ذلك الزوج بهن ثم السفر وتركهن بلا نفقة ولا منفق ، فجزي الله امامنا الشافعي رضي الله عنه خيرا حيث سوغ لهن فسخ النكاح عند ضررهن . ويسوغ للحاكم متى رفعن أمرهن اليه بان يفسخ نكاحهن ، ثم بعد تمام العدة يتزوجن بمن شئن . وكذلك أمام دار الهجرة الإمام مالك رضي الله عنه . فالمرأة المسئول عنها متى رفعت أمرها الى الحاكم وثبت لديه ضررها ودعواها فله حينئذ فسخ نكاحها من الزوج المذكور وفسخه سائغ وواقع وقعه ، ولها بعد تمام عدة الفسخ المذكور الزوج بمن يقوم بشأنها . قال في الأسنى متنا وشرحا : واختار الفاضل الطبري وابن الصباغ وغيرهما جواز الفسخ لها اذا تضرر تحصيلها للنفقة في غيبته لضرورة ، وقال الروياني وابن اخته صاحب العدة أن المصلحة أفتوى به . وقال في فتح المعين : واختار جمع كثيرون من محققي المتأخرين في غائب تعذر تحصيل النفقة منه الفسخ ، وقواه ابن الصلاح . وقال في فتاويه : اذا تضررت النفقة لعدم مال حاضر مع عدم اكائها اخذها منه حيث هو بكتاب حكى وغيره لكونه لم يعرف موضعه او عرف ولكن تضررت مطالبته عرف حاله في اليسار والاعسار أم لم يعرف فلها الفسخ بالحاكم والافتاء بالفسخ هو الصحيح اهـ ونقل شيخنا كازمة في الشرح الكبير ، وقال في آخره وأفتى بما

قاله جمع من متأخري اليمن . وقال المحقق الطمبداوى في فتاويه : والذي نخناره
 بما للأئمة المحققين أنه ان لم يكن له مال كما سبق لها الفسخ وإنه كان ظاهر المذهب
 خلافه لقوله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ولقوله (ص) « بثت
 بالحنيفية السمحة » ولان مدار الفسخ على الاضرار ولاشك أن الضرر موجود فيها
 اذا لم يمكن الحصول الى النفقة منه وإذ كان موسرا اذ سر الفسخ هو ضرر المرأه وهو
 موجود لاسيما مع اعسارها فيكون تذر وصولها الى النفقة حكمه حكم الاعسار اه
 وقال السيد عبد الله بن عمر الحضرمي أنه يجوز فسخ النكاح من زوجها حضر
 أو غاب بتسعة شروط الى ان قال : ولو غاب الزوج وجهل عساره وإعساره بانقطاع
 خبره ولم يكن له مال يمرحلتين فلما الفسخ بشرطه كما جزم به في النهاية وزكريا والمزجد
 والسباطي وابن زياد وابن قاسم والكروي وكثيرون . وقال ابن حجر في التحفة
 والفسخ وهو متجه مدركا لانقلا اه بل اختار كثيرون وانقضى به بن عجيل وابن
 الصباغ والرويانى انه لو تذر تحصيل النفقة من الزوج في ثلاثة ايام جاز لها الفسخ
 حضر الزوج أم غاب ، وقراه ابن الصلاح ورجحه ابن زياد والطمبداوى والمزجد
 وصاحب المذهب والكافي وغيرهم فيها اذا غاب وتذرت النفقة منه ولو بنحو شكابة .
 قال ابن قاسم وهذا أولى من غيبة ماله وحده والجوز للفسخ . أما الفسخ بتضررها
 بطول الغيبة وذهوة الوقاع فلا يجوز اتفاقا وأن خافت الزنا والله سبحانه وتعالى أعلم
 امر برقه مفتي الشافعية بمكة المحمية الراجي غفران المساوي

عبد الله ابن السيد محمد صالح الزواوي

كان الله لهما آمين

الحتم

صورة ما كتبه بعض كبار علماء الشافعية بالازهر على هذه الفتوى

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أفاد العلامة السيد محطنى الذهبي في المسائل الفقهية أن أصل مذهب الامام
 الشافعي أنه لا فسخ مادام الزوج موسرا أي لم يعلم اعساره وان انقطع خبره وتذر
 استيفاء النفقة منه ، وأن الذي جرى عليه ابن الصلاح وشيخ الاسلام وكثير من
 المحققين انه اذا تذر استيفاء النفقة منه من كل الوجوه لانقطاع خبره او تعززه أي
 تواربه بحيث لا يتمكن الحاكم من جبره ، ولم يوجد اكل منهما مال فسمخت الزوجة
 بالحاكم ، قالوا لأن سر الفسخ بالاعسار هو الضرر والتضرر موجود هنا ولو مع

اليسار ، فلا انظر لعدم تحقق الاعسار . وظاهر انه لا إهمال هنا لان سبب الفسخ كما علمت هو محض الضرر من غير انظر لليسار والاعسار انتهى وان اردت بسط في المقام فراجع المسائل المذكورة صحيفة ٦٧ و ٨ - والله أعلم

کے

کے

کے

محمد النجدي سليمان العبد بالأزهر الشريف محمد إبراهيم القاياتي الشافعي
(المتأثر) أن ما علل به أرائك الفقهاء جواز الفسخ صحيح وإن رفع الحرج ونفي
الضرر والضرار قطعي في الشريعة . ومن أشد الضرر والحرج والعنت عدم القيام بحق
الزوجة الثابت بحديث « وإن لزوجك عليك حقاً » المتفق عليه . فلا عبرة بقول
من قال أنه لا يفسخ به وإن خاف الزنا على نفسها . لأنه غائب لأدلة الشرع القطعية .
وقد سبق لنا في المتأثر بيان فتوى المشيخة الإسلامية في الاستئذان بالفسخ على الغائب
والمسر ، وصدور الإرادة السنية بذلك

(محاضرة الدكتور كريستيان سنو لك هرغرنج الهولندي)

(في الاسلام ومستقبل المسلمين)

وعدنا أن نعلق شيئاً على هذه المحاضرة التي نشرناها في الجزء الماضي ووقد
بالوعد ننول

(١) يظهر من كلام الدكتور انه اختبر المسلمين اختياراً واسماً فلما يصل الى مثل غوره الاجنبي ، فهو قد اصاب في اكثر ما ذكره عنهم من رأي وخير ، ولكنه ما عرف حقيقة الاسلام وكنهه ، وأنى له ان يعرف ذلك ومن اين يعرفه ؟ يقول انه درس الاسلام وعرف أصوله وفروعه من مكة المكرمة حيث أقام ثمانية اشهر يتلقى عن بعض العلماء ! سبحان الله ! إن اهل مكة اقل اهل الامصار الاسلامية عناية بالعلم الديني وغيره ، ومن يوجد فيها من المدرسين الغرباء ، فقلنا يوجد فيهم أحد من المبرزين الاقوياء ، وان وجد فيهم من يتقن بعض العلوم الشرعية ، فهو لا يقرأ الدروس الاعلى طريقة متأخري المسلمين العقيمة ، طريقة المناقشة في عبارات بعض كتب المذاهب . فالثمانية الاشهر لا تكفيه لقراءة عقيدة كالنفسية او السنوسية ، ونحوهما من كتب الكلام على مذهب الاشعرية ، ولا لقراءة باب الطهارة والصلاة من متوسطات كتب الشافعية أو الحنفية . وعلم الكلام الذي هو علم فلسفة العقائد الاسلامية يقول فيه الامام الغزالي انه ليس من علوم الدين وإنما هو حارس

للمقيدة كالعسكر الذين يحرسون البلاد او الحجاج مثلاً . بل نقول اتنا على سعة اختبارنا للعالم الاسلامي لا نعرف مكاناً في الارض تبين فيه حقيقة الاسلام التي يمثلها القرآن وسنة الرسول المتبعة وسيرة السلف الصالح ، من العقائد والاخلاق والآداب ، والسياسة والادارة والقضاء ، تديانا سالماً من الشوائب والادهام ، بحيث تتلقى بسهولة في ثمانية اشهر أو اعوام (وارجو ان يوفق لهذا من يخرجون في مدرسة دار الدعوة والارشاد) .

(٢) اعترف هذا الدكتور الهولندي بأنه ادعى الاسلام ثقافاً او خداعاً للمسلمين ليسر غورهم وغور دينهم من حيث تأثيره في حياتهم المدنية والسياسية . وقد فعل مثل هذا غيره من أفراد الشعوب الأوربية اصحاب المستعمرات الاسلامية ، كالفرنسيين والروس والانكليز . ولو كان للمسلمين حكومات منظمة ، وجمعية اصلاحية عامة ، لما تيسر لهؤلاء الجواسيس ما يقيس لهم وأمر المسلمين فوضى . واتسأرى هؤلاء المستعمرين يراغبون كل غريب يدخل مستعمراتهم ولا سيما اذا كان مسلماً . فلا يفوتهم من حركاته ولا اقواله شيء .

(٣) بين الدكتور ان الاسلام الديني ، كان قائماً على اساس الاسلام السياسي ، وان المسلمين كانوا واثقين بدينهم راضين به اذ كانوا احراراً يرون ان العالم كله ملك لهم بانفعل او بالقوة ، عليهم ان يفتحوا منه ما لم يفتحوه . وهذا الذي ذكره عن المسلمين هو الذي عليه الافرنج الآن ، فهم يرون ان العالم كله ملك لهم ، ولذلك ينفقون فيما بينهم على اقتسام المسالك المستقلة ثم يفتقدون ذلك ، ولا مجال هنا للبحث في تفصيل هذا وبيان ما خذه . ولما كنا ننبه عقلاء القراء الى الاعتبار بحالهم السابقة وحال الاوربيين الحاضرة ، ثم العبرة كل العبرة فيما رتبته هذا السياسي الكبير على هذا وهو .

(٤) بين ان الاوربيين قد سلبوا المسلمين ذلك الاستقلال والحرية بالتدريج ، فاضطروا المسلمون الى تعديل افكارهم في الاسلام الديني ، بعد زوال الاساس الذي بني عليه وهو الاستقلال السياسي . ثم نقل ان بعض الساسة الاوربيين يرون ان سقوط الاسلام الديني يتبع سقوطه السياسي ، فيزول الاسلام من الارض ، وانه يخالفهم في ذلك ، ويرى ان الاسلام الديني لا يزول كما أنه لا يبقى كما كان في عهد استقلاله والثقة به ، وسند كرمه ملخص رأيه فيه . والعبر لمن يعقل من المسلمين في هذا كثيرة ، ومن اهمها غرور المفتونين من المسلمين الذين يفتنون أهم يحفظون

٢٧٠ خذلان المبشرين في تنصير المسلمين وكيف يهدم الاسلام (المنار- ج ٤ م ١٧)

استقلالهم السياسي او يؤسسون لهم استقلالاً جديداً مع ترك الدين ، فان هذا اذا جاز في غير الاسلام لا يجوز فيه ، لان جميع انقومات الامة جماعها الاسلام اسلامية (٥) كما بين ازالة اوروبية لاستقلال الاسلام السياسي بالاستيلاء على ممالكه الواسعة ، بين تصرفها في ازالة استقلال افراد المسلمين في انفسهم ، بما ينه من تغافل الآراء الاوربية في افكارهم ، وزلزلاتها لكثير من مقوماتهم ومشخصاتهم المالية التي يمتازون بها عن غيرهم ، وبها كانوا أمة واحدة ، وبين ان ازالة بعض المميزات العادية كاللباس ، له دخل في ازالة المميزات الدينية كالصلاة ، فقال ان اداء الصلوات الخمس صار متعذراً على المتفرنجين ، الذين يلبسون الزي الافرنجي (قال) وسيتبعه الصيام . فحزم بأنهم يتركونه ، وبأن الشرائع التي كانت مقدسة عامة ستكون خاصة بحجاج مكة والمتصوفة !

وطالما نبهنا المسلمين على ضرر هذا الانسلاخ من العادات والاخلاق بتقليد الافرنج . وقد فطنا لهذه المسألة في اثناء اشتغالاتنا بطلب العلم بطرابلس الشام ، فكتبنا في بحث الزي واللباس فصلاً طويلاً بينا فيه انه ليس للإسلام زي ديني خاص ، وان ضرر تغيير الزي سياسي اجتماعي ، وانما يمس الدين ويكون محرماً شرعاً لاسباب مازفة ككونه ضيقاً يمنع من اداء الصلاة . ولكن جماهير المسلمين لا يزالون بمعزل عن فهم امثال هذه التنبيهات والنصائح ، حتى انه ليسخر بها من يمدون انفسهم من الفلاسفة والسياسيين ، وانما هم من السفهاء المفتونين .

(٦) ذكر من اثر سلطان الاسلام في اهله ان الآراء الاوربية على شدة تضلهم في انفس المسلمين وتحويلها لماداتهم وافكارهم ، وتغييرها لشؤون حياتهم ، لم تقو على محو الشعور الديني من قلوبهم ، حتى انه كان يعرف تلاميذه المسلمين من غيرهم ، بمجرد قراءته لمنشاتهم ، لان روح الاسلام لا بد ان تجلي في عبارتها

(٧) يعمل الدكتور بهذا وغيره ما رآه ورواه من خذلان دعاة النصرانية (المبشرين) فيها يحاولون من تنصير المسلمين ، ويحزم بأن التغيير الذي ادخلته اوروبا على الاسلام لا ينتهي بتنصير المسلمين ، لأنهم يعرفون النصرانية ويمتقدون انها فسدت وان الاسلام ارقى منها . وهذا القول الذي قاله صحيح وان كان يجهله من لم يكر له مثل علمه واختباره . فنحن نعتقد ان أصل النصرانية صحيح ، وانه طراً عليها التبديل والتغيير ، وان الله اكمل دينه بالاسلام ، على سنته في النشوء وترقي الاجتماع في الاقوام .

(٨) رأي الدكتور في مستقبل المسلمين الذي اطل في بيانه هو انهم يكونون

مثل اليهود في زوال الملك والرضا بحكم الاوربيين وسيادتهم ، مع المحافظة على شعور دينهم وبعض تقاليده مثلهم ، ومجاعة الافرنج في سائر الشؤون وان كان فيها ترك احكام الاسلام وآدابه . واستدل على ذلك بنحول افكار المسلمين عن الرضاء بالتربية الدينية القديمة الى لغات الاوربيين وعلومهم وتربيتهم .

(٩) يرى هذا الدكتور الهولندي ما يراه الفرنسيون وغيرهم ان ما يراد ادخاله على الاسلام من الآراء والافكار التي يريدونها دعاء النصرانية بحجب ان يثبت في المسلمين باسم المدنية لا باسم الدين ، فيؤخذ تقبل . وهذا ما تجري عليه فراسة في مستعمراتها الاسلامية . يعني ان المسلمين قد فتنوا باسم المدنية الاوربية ومظاهرها فهم يقبلون من بابها كل شيء ، - وان لم يوصل اليها - لا يميزون بين كفر وايمان ، ولا بين ضار ونافع . واما تفهم دينهم ورؤيتهم دين النصرانية دونه فهما عما يحول دون قبولهم لشيء ما من - دعاء النصرانية باسم النصرانية .

(١٠) ملخص المحاضرة أن أوربة ازالستقلال الاسلام السياسي وانزعت ملك المسلمين من ايديهم بالتدريج ، وانها شرعت في ازالة سائر مقوماتهم وشخصاتهم القومية التي كانوا بها أمة واحدة ، دينية وغير دينية ، حتى اللغات والعادات وarkan الدين - وان اهل الرأي فيها مختلفون في دين الاسلام نفسه هل يمكن ازالته من الارض بعد اسقاط الحكومات الاسلامية كلها ام لا . فبعضهم يرون امكان ذلك فيبدلون الملايين لدعاة النصرانية لتصير المسلمين . وبعضهم يرى ان الاسلام لا يزول بآرة ، ولكن ينبغي ان تزال ثقة المسلمين به ، وأن يحولوا باسم المدنية عن جميع ما يربط بعضهم ببعض حتى اللباس ، فهذا يكونون فعلة وزراعا للسادة . السالكين لبلادهم ، اذ لا يستغنون عنهم في استخراج خيرات الارض . وهذا ما يسعى اليه قوم آخرون .

ومن العجائب ان محاضرة كهذه تترجمها جريدة سورية بالعربية ، وتجعل عنوانها (مقاومة الاسلام لنفوذ النصرانية !!) كأنه كبر عايتها قول الخياط ان المبشرين لا يستطيعون تصير المسلمين ، فعدت هذا من مقاومة الاسلام للنصرانية ، وهكذا تقول بعض الجرائد القبطية هنا اذا قابل بعض المسلمين طعن المبشرين بجزء من الف جزء . ففنى يفهم المسلمون ومتى يقولون ؟

(١١) نحن نسلم قول الكاتب وفقا لكثير من احرار الافرنج : ان أوربة قد ازالستقلال الاسلام السياسي ، ولا يصدنا عن هذا التسليم ابقاء او بقاء خيال من الاستقلال ضعيف في بعض البلاد ، يدير بعضه النفوذ الاوربي ظاهرا وباطنا او

باطنا فتحت ، ولا وجود لبعض الامارات الصغيرة غير المنظمة التي يدور حولها النفوذ الاوربي ولا يجد له الآن منفذا للدخول في احشائها كقلاب جزيرة العرب . ولو كان عدد المفلاء الذين يفهمون هذه الحقيقة ولا يفترون بخيال الاستقلال الرسمي او ظلاله مثلنا كثيرا ، لكان نهوض الاسلام من سقوطه السياسي والدني قريبا ، ولكن جمهور المسلمين الاكبر كالأطفال الذين يظنون ان الصور المتحركة التي يرونها في الملاعب تمثل الملوك والجيوش والوفد هي من الاحياء التي تتحرك وتعمل بارادتها . ولو عرف الدكتور الحاذق انبه حقيقة الاسلام كما عرف احوال المسلمين الاجتماعيين ، ولو دقق نظره بمد ذلك في شؤون المسلمين فضل تدقيق ، وقاس حاضرم الذي عرفه بماضيهم القريب المظلم ، وماضيهم البعيد المشرق ، - لالم ان في الاسلام قوة كامنة لم يكن لليهود مثاها ولا ما يقرب منها عند ما زال ملكهم ، ولا قبل ذلك ولا بعده . وللم ان هذه القوة لو وجدت من يحسن استخدامها والانتفاع بها لتمكنه ان يملك بها الشرق كله ، او يكون سيده الاول ، ولكن من سوء حظ الشرق انه لم يوجد في هذه القرون الاخيرة عقل ير ادرك هذا بقوة اشتمه ولاهمة عالية ارادت ان تصدي له ، الا عقل نابليون الكبير وهمته ولكن حالت الاقدار بينه وبينه . ولو عقل الدكتور السياسي هذا وخبره لاقنع دولته بأن تكون هي الدولة التي تسود الشرق بالمسلمين ، ولو اقنعها لتمكنها ذلك وان كان مسلمو بلادها اضعف من غيرهم في قوتي العلم والعمل ، وفي المجد والتألق والطارف . أما لو فطنت لمثل هذا العمل فرنسة أو انكلترة لسكانت كل منهما اقدر عليه من غيرها .

فاذا ظلت هذه الدول التي تملك عشرات الملايين من المسلمين ، محجوبة عن هذه الحقيقة بما ضربه التاريخ دونها من حجب السياسة والدن ، فليس من البعيد ان تظن له دولة اليابان ، ان صح ما يظنه الارويون من انهم قطعوا طرق الحياة كلها على هذه البقايا من دول الاسلام

واما الاسلام الدني فهو لا يزداد الا قوة وجدة مهما حل بالاسلام بالسياسي ، وقد حفظ الدكتور منه شيئا وغاب عنه اشياء . فان كان بعض المتفرنجين قد تروا الصلاة والصيام ، ويظن هو كما يظنون ان الجماعير سيتبعونهم في هذا الضلال ، افتنانا بزخرف السموات المدنية ، وما ثبت بقولهم الآراء الاوربية ، فليعلم ان عدد المصلين يزيد ولا ينقص ، وان هؤلاء المتفرنجين المفتونين سيرجع بمضرم الى الهدى ، وينبذ المسلمون البعض الآخر نبذ النوى ، وأن الاسلام دين المستقبل « سنبرهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق . أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » ؟ ؟

الباطنية وغلاة المتصوفة

(بدعهم وتأويلاتهم من فصول كتاب الاعتصام للامام الشاطبي)

فصل

(ومنها) بناء طائفة منهم الظواهر الشرعية على تأويلات لا عقل - يدعون فيها انها هي المقصود والمراد ، لا ما يفهم العربي - مسندة عندهم الى اصل لا عقل . وذلك انهم - فيما ذكر العلماء - قوم ارادوا ابطال الشريعة جملة وتفصيلاً ، وإلقاء ذلك فيما بين الناس لينحل الدين في ايديهم ، فلم يمكنهم إلقاء ذلك صراحاً ، فيرد ذلك في وجوههم ، وتمتد اليهم ايدي الحكام - فصرفوا عنايتهم الى التحال على ما قصدوا بأنواع من الخيل ، من جعلتها صرف لهم من الظواهر إحالة على أن لها بواطن هي المقصودة ، وان الظواهر غير مرادة . فتأولوا : كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكليف والحشر والنشر والامور الإلهية ، فهي امثلة ورموز الى بواطن .

*
* *

فما زعموا في الشرعيات ان الجابة مبادرة الداعي للمستجيب بأفشاء سرّ اليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق . ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك . ومعنى مجامعة البهيمة مقابحة من لا عهد له ولم يؤد شيئاً من صدقة النجوى - وهي مائة وتسعة عشر درهما عندهم - قالوا : فلذلك اوجب الشرع القتل على الفاعل والمنعول به ، والا فالبهيمة متى يجب القتل عليها ؟

والاحتلام ان يسبق لسانه الى افشاء السر في غير محله، فعليه الغسل،
أي تجديد المعاهدة . والطهر هو التبري من اعتقاد كل مذهب سوى
متابعة الامام . والتيمم الاخذ من المأذون الى أن يسعد بمشاهدة الداعي
والامام . والصيام هو الامساك عن كشف السر .

ولهم من هذا الافك كثير في الامور الالهية ، وامور التكليف ،
وامور الآخرة ، وكله حوم على ابطال الشريعة جملة وتفصيلاً ، اذ هم ثنوية
ودهرية وإباحية ، منكرون للنبوّة والشرائع والحشر والنشر والجنة والنار
والملائكة ، - بل هم منكرون للربوبية . وهم المسمون بالباطنية .^(١)

وربما تمسكوا بالحروف والاعداد بان الثقب في رأس الآدمي سبع ،
والكواكب السيارة سبع ، وايام الاسبوع سبع ، فهذا يدل على أن دور
الأئمة سبعة ، وبه يتم . وان الطوائع اربع ، وفصول السنة اربع ، فدل على
أن اصول الاربعة هي السابق والتالي الاكسكان - عندهم - والناطق
والاساس . - وهما الامامان . - والبروج اثنا عشر ، يدل على أن الحجب
اثنا عشر ، وهم الدعاة ، الى انواع من هذا القبل . وجميعها ليس فيه ما يقابل
بالرد ، لأن كل طائفة من المبتدعة سوى هؤلاء ، ربما يتمسكون
بشبهة تحتاج الى النظر فيها معهم . أما هؤلاء فقد دخلوا في الهديان الربقة ،
وصاروا عرضة للمز ، وضحكة للعالمين . وانما ينسبون هذه الباطيل الى
الامام المعصوم الذي زعموه ، وابطال الأئمة معان في كتب المنكلمين .

(١) اتسمت الباطنية الى عدة فرق يجمعهم القول بجعل ظواهر النصوص
غير مرادة ، والذهاب في تأويلها مذاهب من التحكم لا تتفق مع اللغة في مجاز ولا
كناية . وانقول بامام معصوم ، وقد يسمونه باسم آخر ، ويجعلونه بعد ذلك إلهاً .
وأخر فرقهم الباطية البهائية

ولكن لا بد من نكته مختصرة في الرد عليهم .

فلا يخلو ان يكون ذلك عندهم ما من جهة دعوى بالضرورة وهو محال ، لأن الضروري هو ما يشترك فيه العقلاء علما وادراكا ، وهذا ليس كذلك .
واما من جهة الامام المعصوم بسماعهم منه لتلك النواويلات . فنقول لمن زعم ذلك : ما الذي دعاك الى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم سوى المعجزة ؟
وايس لا مامك معجزة ، فالقرآن يدل على أن المراد ظاهره ، لا ما زعمت .
فان قال : ظاهر القرآن رموز الى بواطن فيها الامام المعصوم ولم يفهمها الناس فتعلمناها منه . قيل لهم : من أي جهة تعلمتموها منه ؟ أبشاهدة قلبه بالعين ؟ أو بسماع منه ؟ ولا بد من الاستناد الى السماع بالاذن . فيقال : فدل لفظه ظاهر له باطن لم تفهمه ، ولم يطالعك عليه ، فلا يوثق بما فهمت من ظاهر لفظه . فان قال : صرح بالمعنى . وقال : ما ذكرته ظاهر لا رمز فيه ، او : وانراد ظاهره . قيل له : وماذا عرفت قوله انه ظاهر لا رمز فيه ، بل انه كما قال ؟ اذ يمكن أن يكون له باطن لم تفهمه ايضا ، حتى لو حلف بالطلاق الظاهر انه لم يقصد الا الظاهر ، لاحتمل أن يكون في طلاقه رمز هو باطنه وليس مقتضى الظاهر . فان قال : ذلك يؤدي الى حسم باب التفهيم . قيل له : فانتم حسمتموه بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فان القرآن دأثر على تقرير الوحدانية ، والجنة ، والنار ، والحشر ، والنشر ، والانباء ، والوحي ، والملائكة ، مؤكداً ذلك كله بالقسم . وانتم تقولون : ان ظاهره غير مراد وان تحته رمزا . فان جاز ذلك عندهم بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لمصلحة وسرته في الرمز ، جاز بالنسبة الى معصومكم أن يظهر لكم خلاف ما يضمرة لمصلحة وسرته فيه ، وهذا لا محيص لهم عنه .

*
* *

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله : ينبغي أن يعرف الإنسان رتبة هذه الفرقة هي أخس من رتبة كل فرقة من فرق الضلال ، إذ لا تجد فرقة تنقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه التي هي الباطنية . إذ مذهبها إبطال النظر ، وتغيير الالفاظ عن موضوعها بدعوى الرمز . وكل ما يتصور أن تنطق به السنتهم فاما نظر أو نقل . أما النظر فقد أبطلوه . وأما النقل فقد جوزوا أن يراد باللفظ غير موضوعه . فلا يبقى لهم معتصم . والتوفيق بيد الله .

*
* *

وذكر ابن العربي في العواصم مأخذاً آخر في الرد عليهم أسهل من هذا . وقال أنهم لا قبل لهم به - وهو أن يسلط عليهم في كل ما يدعونه السؤال « بكم » خاتمة ، فكل من وجهت عليه منهم سقط في يده . وحكى في ذلك حكاية ظريفة يحسن موقهاها معنا . وتصور المذهب كاف في ظهور بطلانه ، إلا أنه مع ظهور فساد وبعده عن الشرع قد اعتمده طوائف وبنوا عليه بدعافاً حشة (منها) مذهب المهدي المغربي . فانه عد نفسه الامام المنتظر ، وانه معصوم حتى ان من شك في عصمته أوفى أنه المهدي المنتظر فهو كافر .

وقد زعم ذووه انه ألف في الامامة كتاباً ذكر فيه أن الله استخلف آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم السلام ، وان مدة الخلافة ثلاثون سنة ، وبعد ذلك فرق واهواء وشح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب كل ذي رأي برأيه ، فلم يزل الامر على ذلك ، والباطل ظاهر والحق

كامن ، واللم مرفوع - كما اخبر عليه الصلاة والسلام - والجهل ظاهر ، ولم يبق من الدين الا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه ، حتى جاء الله بالامام فاعاد الله به الدين - كما قال عليه الصلاة والسلام « بدئ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدئ فطوي للغرباء » وقال : ان طائفتهم الغرباء ، زعماء من غير برهان زائد على الدعوى . وقال في ذلك الكتاب : جاء الله بالمهدي ، وطاعته صافية نقية ، لم ير مثلهما قبل ولا بعد ، وان به قامت السموات ، والارض به تقوم ، ولا ضده ، ولا مثل ، ولا ند . وكذب ، تعالى الله عن قوله . وهذا كما نزل احاديث الترمذي وابي داود في الفاطمي على نفسه وانه هو بلا شك .

واول اظهره لذلك انه قام في اصحابه خطيبا فقال : الحمد لله الفاعل لما يريد ، القاضي لما يشاء ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على النبي المبعوث بالمهدي ، يلا الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا ، يبعثه الله اذا نسخ الحق بالباطل ، وازيل العدل بالجور ، مكانه بالمغرب الاقصى ، وزمانه آخر الزمان ، واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام ، ونسبه نسب النبي صلى الله عليه وسلم . وقد ظهر جور الامراء ، وامتألت الارض بالفساد ، وهذا آخر الزمان ، والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل . يشير الى ما جاء في احاديث الفاطمي .

فلما فرغ بادر اليه من اصحابه عشرة . فقالوا : هذه الصفة لا توجد الا فيك ، فانت المهدي . فبايعوه على ذلك . واحداث في دين الله احداثا كثيرة زيادة الى الاقرار بانه المهدي المأموم ، والتخصيص بالعصمة . ثم وضع ذلك في الخطب ، وضرب في السكك ، بل كانت تلك الكلمة عندهم

ثلاثة الشهادة . فمن لم يؤمن بها أو شك فيها ، فهو كافر كسائر الكفار .
وشرع القتل في مواضع لم يضعه الشرع فيها . وهي نحو من ثمانية عشر
موضعا . كترك امتثال امر من يستمع امره ، وترك حضور مواعظه
ثلاث مرات ، والمداهنة اذا ظهرت في احد قتل ، واشياء كثيرة .

وكان مذهبه البدعة الظاهرية ، ومع ذلك فابتدع اشياء ، كوجوه
من التشويب ، اذ كانوا ينادون عند الصلاة « بتا صاليت الاسلام » و « بقيام
تا صاليت » و « سر دين » و « باردي » و « واصبح لله الحمد » وغيره .
فجرى العمل بجميعها في زمان الموحدين . وبقي اكثرها بعد ما انقرضت
دولتهم . حتى اني ادركت بنفسي في جامع غرناطة الاعظم الرضا عن الامام
المعصوم . المهدي المعصوم ، الى ان ازيلت وبقيت اشياء كثيرة غفل
عنها أو اعففت .

وقد كان السلطان ابو الغلاء ادريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد
المؤمن بن علي منهم . ظهر له قبح ما هم عليه من هذه الابتداعات . فامر -
حين استقر بمراكش - خليفته بازالة جميع ما ابتدع من قبله ، وكتب بذلك
رسالة الى الاقطار يأمر فيها بتغيير تلك السنة ، ويوصي بتقوى الله
والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وانه قد نبذ الباطل وظهر الحق ، وان
لا مهدي الا عيسى ، وان ما ادعوه انه المهدي بدعة ازلها ، واسقط اسم من
لا تثبت عصمته .

ودكر ان اباد المنصور هم بان يصدع بما به صدع ، وان يرفع الحرف
التي رفع ، فلم يساعد ، لاجل ذلك . ثم لما مات واستخلف ابنه ابو محمد
عبد الواحد المنقب بالرشيد ، وفد اليه جماعة من اهل ذلك المذهب المنسمين

بالموحدين ، قفلوا منه في الذروة والغارب ، وضمنوا على انفسهم الدخول تحت طاعته ، والوقوف على قدم الخدمة بين يديه ، والمدافعة عنه بما استطاعوا ، اكن على شرط ذكر المهدي وتخصيصه بالعصمة في الخطبة والمحاطبات ، ونقش اسمه الخاص في السكك ، واعادة الدعاء بعد الصلاة ، والنداء عليها « بتاصيلت الاسلام » عند كمال الاذان و « بتقام تاصيلت » وهي اقامة الصلاة ، وما اشبه ذلك من « سودرين » و « وقادري » و « اصبح والله الحمد » وغير ذلك .

وقد كان الرشيد استمر على العمل بما رسم ابوه من ترك ذلك كله ، فلما انتدب الموحدون الى الطاعة اشترطوا اعادته ما ترك ، فاسعفوا فيه . فلما احتلوا منازلهم اياما ولم يعد شيء من تلك العوائد ، ساءت ظنونهم ، وتوقعوا انقطاع ما هو عمدهم في دينهم ، وبلغ ذلك الرشيد ، فجدد تأنيدهم باعادتها .

قال المؤرخ : فيا لله ! ماذا بلغ من سرورهم وما كانوا فيه من الارتياح لسماع تلك الامور ، وانطلقت ألسنتهم بالدعاء لخليفتهم بالنصر والتأييد ، وشملت الافراح فيهم الكبير والصغير . وهذا شأن صاحب البدعة ، فلن يسر باعظم من انتشار بدعته وانظارها (ومن يرد الله فتنه فان تملك له من الله شيئا) وهذا كله دائر على القول بالامامة والعصمة الذي هو رأي الشيعة .

فصل

(ومنها) رأي قوم التنالي في تعظيم شيوخهم ، حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه . فالمقتصد منهم يزعم انه لا ولي لله اعظم من فلان ، وربما

اغلقوا باب الولاية دون سائر الامة الا هذا المذكور . وهو باطل محض ، وبدعة فاحشة ، لأنه لا يمكن أن يبلغ المتأخرون ابداً مبلغ المتقدمين . فخير القرون الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ، ثم الذين يلونهم ، وهكذا يكون الامر ابداً الى قيام الساعة . فاقوى ما كان اهل الاسلام في دينهم واعمالهم وبقينهم واحوالهم في اول الاسلام . ثم لا زال ينقص شيئاً فشيئاً الى آخر الدنيا . لكن لا يذهب الحق جملة ، بل لا بد من طائفة تقوم به وتعتقده . وتعمل بمقتضاه على حسبهم في ايمانهم . لا ما كان عليه الاولون من كل وجه ، لانه لو اتفق احد من المتأخرين وزن احد ذهباً ما بلغ مدّاً احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصيفه . واذا كان ذلك في المال فكذلك في سائر شعب الايمان ، بشهادة التجربة العادية .

ولما تقدم اول الكتاب انه لا يزال الدين في نقص فهو اصلي لا شك فيه . وهو عند اهل السنة والجماعة . فكيف يمتد بعد ذلك في انه ولي اهل الارض ؟ وليس في الامة ولي غيره ؟ لكن الجهل الغالب ، والغلو في التعظيم ، والتعصب للنحل ، يؤدي الى مثله او اعظم منه . والمتوسط يزعم انه مساو للنبي صلى الله عليه وسلم ، الا انه لا يأتيه الوحي . بلغني هذا عن طائفة من الغالين في شيخهم ، الحاملين لطريقتهم في زعمهم ، نظير ما ادعاه بعض تلامذة الحلاج في شيخهم على الاقتصاد منهم فيه . والغالي ^(١) يزعم فيه أشنع من هذا ، كما ادعى اصحاب الحلاج في الحلاج .

وقد حدثني بعض الشيوخ أهل العدالة والصدق في النقل انه قال :
 اقمنا زمانا في بعض القرى البادية ، وفيها من هذه الطائفة المشار اليها
 كثير - قال - فخرجت يوما من منزلي لبعض شأني ، فرأيت رجلين منهم
 قاعدين ، فاتهمتهما يتحدثان في بعض فروع طريقتهما ، فقربت منهما
 على استخفاء لأسمع من كلامهم ، - إذ من شأنهم الاستخفاء بأسرارهم -
 فتحدثا في شيخهم وعظم منزلته ، وانه لا أحد في الدنيا مثله ، وطربا لهذه
 المقابلة طربا عظيما ، ثم قال أحدهما للآخر : اتحب الحق ؟ هو النبي . قال :
 نعم هذا هو الحق . قل المخبر : فقامت من ذلك المكان فارا أن يصيبني
 معهم قارعة .

وهذا نمط الشيعة الامامية . ولولا الغلو في الدين والتكالب على نصر
 المذهب ، والتهالك في محبة المبتدع ، - لما وسع ذلك عقل احد ، ولكن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر
 وذراعا بذراع » الحديث . فهو لاء غلوا كما غات النصارى في عيسى عليه
 السلام . حيث قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم . - فقال : الله تعالى
 (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق . ولا تتبعوا أهواء قوم قد
 ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل) وفي الحديث « لا
 تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، ولكن قولوا عبد الله ورسوله » .
 ومن تأمل هذه الاصناف وجد لها من البدع في فروع الشريعة
 كثيرا ، لأن البدعة اذا دخلت في الاصل سهلت مداخلتها الفروع .

فصل

واضعف هؤلاء احتجاجا قوم استندوا في أخذ الاعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها ، فيقولون : رأينا فلانا الرجل الصالح ، فقال لنا : اتركوا كذا ، واعملوا كذا . ويتفق مثل هذا كثيرا للمتمرسين ^(١) برسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال لي كذا وامرني بكذا ، فيعمل بها ويترك بها معرضا عن الحدود الموضوعة في الشريعة ، وهو خطأ ، لأن الرؤيا من غير الانبياء لا يحكم بها شرعا على حال الا ان تعرض على ما في ايدينا من الاحكام الشرعية ، فان سوفتها عمل بمقتضاها ، والا وجب تركها والاعراض عنها ، وانما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة . وأما استفادة الاحكام فلا . كما يحكى عن الكتاني رحمه الله قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : ادع الله ان لا يميت قلبي . فقال « قل كل يوم اربعين مرة يا حي يا قيوم ، لا اله الا انت » فهذا كلام حسن لا اشكال في صحته ، وكون الذكر يحى القلب صحيح شرعا . وفائدة الرؤيا التنبيه على الخير ، وهو من ناحية البشارة . وانما يبقى الكلام في التحديد بالاربعين ، واذا لم يوجد على اللزوم استقام .

وعن ابي يزيد البسطامي رحمه الله ، قال : رأيت ربي في المنام ، فقلت : كيف الطريق اليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال . وشأن هذا الكلام من الشرع موجود ، فالعمل بمقتضاه صحيح ، لانه كالتنبيه لموضع الدليل ،

(١) تمرس بالشيء احتك به ، وتمرس بدينه تلعب به وعبث كما لعبت البعير .

والمراد بهم هنا المتقلدون للصوفية في رسومهم الظاهرة دون اخلاقهم واعمالهم

لان ترك النفس معناه ترك هواها باطلاق ، والوقوف على قدم العبودية . والآيات تدل على هذا المعنى ، كقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى) وما أشبه ذلك . فلو رأى في النوم قائلا يقول : ان فلانا سرق فاقطعه ، أو عالم فأسأله ، أو اعمل بما يقول لك ، أو فلان زنى فحده ، وما أشبه ذلك ، لم يصح له العمل حتى يقوم له الشاهد في اليقظة ، والا كان عاملا بغير شريعة ، اذ ليس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي .

ولا يقال : إن الرؤيا من اجزاء النبوة ، فلا ينبغي أن تهمل . وأيضا إن المخبر في المنام قد يكون النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قد قال « من رآني في النوم فقد رآني حقا ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » واذا كان :... فأخباره في النوم كإخباره في اليقظة .

لانا نقول : ان كانت الرؤيا من اجزاء النبوة فليست الينا من كمال الوحي ، بل جزء من اجزائه ، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه ، بل انما يقوم مقامه في بعض الوجوه ، وقد صرفت الى جهة البشارة والندارة ، وفيها كاف^(١)

وأیضا فان الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها ان تكون صالحة من الرجل الصالح ، وحصول الشروط مما ينظر فيه ، فقد تتوفر ، وقد لا تتوفر .

وأیضا فهي منقسمة الى الحلم ، وهو من الشيطان ، والى حديث النفس ، وقد تكون سبب هيجان بعض اخلاط ، فتتبع الصالحة حتى

(١) كذا ولعل في الكلام حذفا

يحكم بها وتترك غير الصالحة ؟

ويلزم أيضاً على ذلك ان يكون تجديد وحي بحكم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو منهي عنه بالاجماع .

يحكي ان شريك بن عبد الله القاضي دخل على المهدي ، فلما رآه قال : عليّ بالسيف والنطع . قال : ولم يا امير المؤمنين ؟ قال : رأيت في منامي كأنك تطأ بساطي وأنت معرض عني ، فقصصت رؤياي على من عبرها ، فقال لي : يظهر لك طاعة ويضمر معصية . فقال له شريك : والله ما رؤياك برؤيا ابراهيم الخليل عليه السلام ، ولا معبرك بيوسف الصديق عليه السلام ، فبالاحلام الكاذبة تضرب اعناق المؤمنين ؟ فاستحي المهدي ، وقال : اخرج عني . ثم صرفه وابعده .

وحكى الغزالي عن بعض الأئمة انه افتي بوجوب قتل رجل يقول بخلق القرآن ، فروجع فيه ، فاستدل بان رجلاً رأى في منامه ابليس قد اجتاز بباب المدينة ولم يدخلها ، فقيل : هل دخلتها ؟ فقال : اغناني عن دخولها رجل يقول بخلق القرآن ، فقام ذلك الرجل فقال : لو افتي ابليس بوجوب قتلي في اليقظة هل تقلدونه في فتواه ؟ فقالوا : لا ! فقال : قوله في المنام لا يزيد على قوله في اليقظة .

**

وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الراي بالحكم . فلا بد من النظر فيها ايضاً ، لأنه اذا اخبر بحكم موافق لشريعته ، فالحكم بما استقر ، وان اخبر بمخالف ، فيحال ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته ، لان الدين لا يتوقف استقراره

(المناج ٤ م ١٧) حديث « من رآني في النوم » وتعدريته ٢٨٥

بعد موته على حصول المرائي النومية ، لأن ذلك باطل بالاجماع . فمن رأى شيئاً من ذلك فلا عمل عليه ، وعند ذلك نقول : ان رؤياه غير صحيحة . اذ لو رآه حقاً لم يخبره بما يخالف الشرع .

لكن يبقى النظر في معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من رآني في النوم فقد رآني » وفيه تأويلان : احدهما ما ذكره ابن رشد اذ سئل عن حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في قضية ، فلما نام الحاكم ذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما تحكم بهذه الشهادة ؟ فانها باطلة . فاجاب بانه لا يحل له ان يترك العمل بتلك الشهادة ، لان ذلك ابطال لأحكام الشريعة بالرؤيا ، وذلك باطل لا يصح أن يعتقد ، اذ لا يعلم الغيب من ناحيتها الا الانبياء الذين رؤياهم وحي ، ومن سواهم انما رؤياهم جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة .

ثم قال : وليس معنى قوله « من رآني فقد رآني حقاً » ان كل من رأى في منامه انه رآه فقد رآه حقيقة . بدليل ان الرائي قد يراه مرات على صور مختلفة ، ويراه الرائي على صفة ، وغيره على صفة اخرى . ولا يجوز أن تختلف صور النبي صلى الله عليه ولا صفاته . وانما معنى الحديث « من رآني على صورتي التي خلقت عليها . فقد رآني ، اذ لا يتمثل الشيطان بي » اذ لم يقل : من رأى انه رآني ، فقد رآني . وإنما قل : من رآني فقد رآني . واني لهذا الرائي الذي رأى انه رآه على صورته انه رآه عليها ؟ وان ظن انه رآه ، ما لم يعلم ان تلك الصورة صورته بعينها ، وهذا ما لا طريق لأحد الى معرفته .

فهذا ما نقل عن ابن رشد . وحاصله يرجع الى ان المرئي قد يكون

غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وان اعتقد الراي انه هو

**

والتأويل الثاني يقوله علماء التعبير : ان الشيطان قد يأتي النائم في صورة ما من معارف الراي وغيرهم . فيشير له الى رجل آخر : هذا فلان النبي ، وهذا الملك الفلاني ، أو من اشبه هؤلاء ممن لا يتمثل الشيطان به . فيوقع اللبس على الراي بذلك وله علامة عندهم . واذا كان كذلك امكن ان يكلمه المشار اليه بالامر والنهي غير الموافقين للشرع ، فيظن الراي انه من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون كذلك ، فلا يوثق بما يقول له أو يأمر أو ينهى .

وما اخرى " هذا الضرب أن يكون الامر أو النهي فيه مخالفاً لكمال الاول ، حقيق بان يكون فيه موافقا ، وعند ذلك لا يبقى في المسئلة اشكال . نعم لا يحكم بمجرد الرؤيا حتى يعرضها على العلم ، لا مكان اختلاط احد القسمين بالآخر . وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الاحكام الاضعيف المنة . نعم يأتي المرئي تأنيساً وبشارة ونذارة خاصة ، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً ، ولا يدينون عليها اصلاً ، وهو الاعتدال في اخذها ، حسبما فهم من الشرع فيها ، والله اعلم .

فصل

وقد رأينا أن نختم الكلام في الباب بفصل جمع جملة من الاستدلالات المتقدمة ، وغيرها في معناها ، وفيه من نكت هذا الكتاب جملة اخرى ، فهو مما يحتاج اليه بحسب الوقت والحال ، وان كان فيه طول ولكنه

(١) نص النسخة التي نطبع عنها « اجري » بالجيم وهو غلط

يخدم ما نحن فيه ان شاء الله تعالى .

وذلك انه وقع السؤال عن قوم يتسمون بالفقراء ، يزعمون انهم سلكوا طريق الصوفية ، فيجتمعون في بعض الليالي يأخذون في الذكر الجمهوري على صوت واحد ، ثم في الغناء والرقص ، الى آخر الليل ، ويحضر معهم بعض المتسمين بالفقهاء ، يترسمون برسم الشيوخ الهداة الى سلوك ذلك الطريق : هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا ؟

فوقع الجواب بان ذلك كله من البدع المحدثات ، المخالفة لطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطريقة اصحابه والتابعين لهم باحسان ، فنفع الله بذلك من شاء من خلقه .

ثم ان الجواب وصل الى بعض البلدان ، فقامت القيامة على العاملين بتلك البدع ، وخافوا اندراس طريقتهم ، وانقطاع اكلامهم بها ، فارادوا الانتصار لأنفسهم ، بعد أن راموا ذلك بالانتساب الى شيوخ الصوفية الذين ثبتت فضيلتهم ، واشتهرت في الانتطاع الى الله ، والعمل بالسنة طريقتهم ، فلم يستقر لهم الاستدلال ، لكونهم على ضد ما كان عليه القوم ، فانهم كانوا بنوا محلتهم على ثلاثة اصول : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال ، واكل الحلال ، واخلاص النية في جميع الاعمال ، وهؤلاء قد خالفوهم في هذه الاصول ، فلا يمكنهم الدخول تحت ترجمتهم وكان من قدر الله ان بعض الناس سأل بعض شيوخ الوقت في مسألة تشبه هذه ، لكن حسن ظاهرها بحيث يكاد باطنها يخفى على غير المتأمل . فاجاب عفا الله عنه على مقتضى ظاهرها من غير تعرض الى ما هم عليه من البدع والضلالات ، ولما سمع بعضهم بهذا الجواب ارسل

به الى بلدة اخرى ، فأتى به فرحل الى غير بلده ، وشهر في شيعته ان بيده حجة لطريقتهم تقهر كل حجة ، وانه طالب للمناظرة فيها ، فدعي لذلك فلم يقم فيه ولا قعد ، غير أنه قال : ان هذه حجتي ، وألقى بالبطاقة التي بخط الحبيب ، وكان هو ومجيبه ^(١) واشياعه يطرون بها فرحاً ، فوصيات المسئلة الى غرناطة ، وطلب من الجميع النظر فيها . فلم يسمع احد له قوة على النظر فيها الاول ^(٢) أن يظهر وجه الصواب فيها الذي يدان الله به لأنه من النصيحة التي هي الدين القويم ، والصراط المستقيم

ونص خلاصة السؤال : ما يقول الشيخ فلان في جماعة من المسلمين يجتمعون في رباط على ضفة البحر في الليالي الفاضلة ، يقرؤون جزءاً من القرآن ، ويستمعون من كتب الوعظ والرقائق ما امكن في الوقت ، ويذكرون الله بانواع التهليل والتسبيح والتقديس ، ثم يقوم من بينهم قوال يذكر شيئاً في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبقى من السماع ما تنوق النفس اليه وتشتاق سماعه من صفات الصالحين ، وذكر آلاء الله ونعمائه ، ويشوقهم بذكر المنازل الحجازية ، والمعاهد النبوية ، فيتواجدون اشتياقاً لذلك ، ثم يأكلون ما حضر من الطعام ، ويحمدون الله تعالى ، ويرددون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبتهلون بالدعية الى الله في صلاح أمورهم ، ويدعون للمسلمين ولائهم ويفترقون .

فهل يجوز اجتماعهم على ما ذكر ؟ أم يمتنعون وينكر عليهم ؟ ومن دعاهم من المحبين الى منزله بقصد التبرك ، هل يجيبون دعوته ويجتمعون على

(١) كذا ولعلها « ومجبه » أو « ومحبوه » (٢) لفظ الاول لا يظهر له معنى هنا والظاهر ان المقام مقام الاستثناء وان العبارة ربما دخل فيها التحريف والسقط

الوجه المذكور أم لا ؟

فاجاب بما محصوله : مجالس تلاوة القرآن وذكر الله هي رياض الجنة . ثم اتى بالشواهد على طلب ذكر الله . واما الانشادات الشعرية . فانما الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح ، وفي القرآن في شعراء الاسلام (الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) وذلك ان حسان ابن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعبا لما سمعوا قوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون) الآيات . بكوا عند سماعها فنزل الاستثناء ، وقد أنشد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورقت نفسه الكريمة وذرفت عيناه لآيات اخت النضر ، لما طبع عليه من الرأفة والرحمة .

واما التواجد عند السماع ، فهو في الاصل رقة النفس ، واضطراب القلب ، فيتأثر الظاهر بتأثر الباطن . قال الله تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي اضطربت رغبا أو رهبا . وعن اضطراب القلب يحصل اضطراب الجسم ، قال الله تعالى (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا) الآية . وقال (ففروا الى الله) فانما التواجد رقة نفسية ، وهزة تليسية ، ونهضة روحانية . وهذا هو التواجد عن وجد ، ولا يسمع فيه تكبير من الشرع . وذكر السامي انه كان يستدل بهذه الآية على حركة الوجد في وقت السماع . وهي (وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا) الآية . وكان يقول : ان القلوب مربوطة بالملكوت ، حركتها انوار الذاكر ، وما يرد عليها من فنون السماع .

.. ووراء هذا تواجد لاعن وجد ، فهو مناط الذم ، لمخالفة ما ظهر

لما بطن . وقد يذرب ^(١) فيه الامر عند القصد لاستنهاض العزائم ، واعمال الحركة في يقظة القلب النائم « يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا » ^(٢) ولكن شتان ما بينهما .

— واما من دعا طائفة الى منزله فتجابه دعوته ، وله في ذلك قصده ونيته . فهذا ما ظهر تقييده على مقتضى الظاهر ، والله يتولى السرائر ، واما الاعمال بالنيات ، انتهى ما قيده .

فكان مما ظهر لي في هذا الجواب : ان ما ذكره في مجالس الذكر صحيح اذا كان على حسب ما اجتمع عليه السلف الصالح ، فانهم كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم ، حتى يتعلم بعضهم من بعض ، ويأخذ بعضهم من بعض ، فهو مجلس من مجالس الذكر التي جاء في مشاهير حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفت بهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » وهو الذي فهمه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الاجتماع على تلاوة كلام الله .

وكذلك الاجتماع على الذكر فانه اجتماع على ذكر الله . ففي رواية اخرى انه قال « لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة » الحديث المذكور . لا الاجتماع للذكر على صوت واحد ، واذا اجتمع القوم على التذكر لنعم الله ، أو التذاكر في العلم ان كانوا علماء ، أو كان فيهم عالم فجلس

(١) لعله « يعزب » (٢) لعله أراد حديث « أتلاوا القرآن وابكوا ، فان لم تبكوا فتباكوا » فاقبسه بالمعنى ، وهو في سنن ابن ماجه من حديث سعد ابن أبي وقاص بسند جيد

اليه متعلمون ، أو اجتمعوا يذكر بعضهم بعضاً بالعمل بطاعة الله والبعد عن معصيته - وما أشبه ذلك مما كان يعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وعمل به الصحابة والتابعون - فهذه المجالس كلها مجالس ذكر وهي التي جاء فيها من الاجر ما جاء .

كما يحكى عن ابن ابي ليلى انه سئل عن القصص . فقال : ادركت . اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يجلسون ويحدث هذا بما سمع وهذا بما سمع - فاما أن يجلسوا خطيباً فلا - وكان كالذي نراه معمولاً به في المساجد من اجتماع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن أو علماً من العلوم الشرعية . أو تجتمع اليه العامة فيعلمهم امر دينهم ، ويذكرهم بأسه ، ويبين لهم سنة نبيهم ليعملوا بها ، ويبين لهم المحدثات التي هي ضلالة ليحذروا منها ، ويتجنبوا مواطنها والعمل بها .

فهذه مجالس الذكر على الحقيقة وهي التي حرّمها الله أهل البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف - وقلّ ما نجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة الا على اللحن ، فضلاً عن غيرها ، ولا يعرف كيف يتعبد ، ولا كيف يستنجي أو يتوضأ أو يغتسل من الجنابة . وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرّموا مجالس الذكر التي تغشاها الرحمة ، وتنزل فيها السكينة ، وتخف بها الملائكة ؟ فبانطاس هذا النور عنهم ضلوا ، فاقتدوا بجهال امثالهم ، واخذوا يقرؤون الاحاديث النبوية والآيات القرآنية فينزلونها على آرائهم ، لا على ما قال أهل العلم فيها . فخرجوا عن الصراط المستقيم ، الى ان يجتمعوا ويقرأ احدهم شيئاً من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة جيد التلحين تشبه قراءته الغناء المذموم ، ثم يقولون

تعالوا نذكر الله . فيرفعون اصواتهم يشون ذلك الذكر مداولة ، طائفة في جهة ، وطائفة في جهة اخرى ، على صوت واحد يشبه الغناء ، ويزعمون ان هذا من مجالس الذكر المندوب اليها ، وكذبوا . فانه لو كان حقاً لكان السلف الصالح اولى بادراكه وفهمه والعمل به ، والا فأتين في الكتاب أو في السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهرآ عالياً ؟ وقد قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين) والمعتدون في التفسير هم الرافعون اصواتهم بالدعاء

وعن ابي موسى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالنكير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اربعوا على انفسكم ، انكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، انكم تدعون سميعاً قريباً ، وهو معكم » وهذا الحديث من تمام تفسير الآية ، ولم يكونوا رضي الله عنهم يكبرون على صوت واحد ، ولكنه نهامهم عن رفع الصوت ليكونوا للآية ممثلين . وقد جاء عن السلف أيضاً النهي عن الاجتماع على الذكر ، والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون . وجاء عنهم النهي عن المساجد المتخذة لذلك ، وهي الربط التي يسمونها بالصفة . ذكر من ذلك ابن وهب وابن وضاح وغيرهما ما فيه كفاية لمن وفقه الله .

فالحاصل من هؤلاء انهم حسنوا الظن بانهم فيما هم عليه مصيبون ، واساؤا الظن بالسلف الصالح اهل العمل الراجح الصريح ، واهل الدين الصحيح . ثم لما طال بهم اسان الحال بالحجة اخذوا كلام المجيب وهم لا يدلمون ، وقولوه ما لا يرضى به العلماء ، وقد بين ذلك في كلام آخر اذ سئل عن ذكر فقراء زماننا ، فاجاب بان مجالس الذكر المذكورة في الاحاديث انها

هي التي يتلى^١ فيها القرآن ، والتي يُتَعلَّم فيها العلم والدين ، والتي تُعمر بالعلم والذكور بالآخرة والجنة والنار . كـمجالس سفیان الثوري والحسن وابن سيرين ، واضرابهم .

أما مجالس الذكر اللساني فقد صرح بها في حديث الملائكة السیاحین ، لكن لم يذكر فيه جهراً بالكلمات ، ولا رفع أصوات ، وكذلك غيره . لكن الأصل المشروع إعلان الفرائض وإخفاء النوافل ، وإلى بالآية وبقوله تعالى (اذ نادى ربه نداء خفياً) وبحديث « اربعوا على أنفسكم » - قال - : وفقراء الوقت قد تخيروا بآيات ، وتميزوا بأصوات ، هي إلى الاعتداء ، أقرب منها إلى الاقتداء ، وطريقتهم إلى اتخاذها مأكلة وصناعة ، أقرب منها إلى اعتدادها قرينة وطاعة .

انتهى معناه على اختصار أكثر الشواهد . وهي دليل على أن فتواه المحتج بها ليس معناها ما رام هؤلاء المبتدعة . فإنه سئل في هذه عن فقراء الوقت ، فأجاب بدمهم ، وإن حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يتناول عمالمهم . وفي الأولى إنما سئل عن قوم يجتمعون لقراءة القرآن ، أو لذكر الله . وهذا السؤال يصدق عن قوم يجتمعون مثلاً في المسجد فيذكرون الله ، كل واحد منهم في نفسه أو يتلو القرآن نفسه ، كما يصدق على مجالس المعلمين والمتعلمين ، وما أشبه ذلك مما تقدم التنبيه عليه ، فلا يسعه وغيره من العلماء إلا أن يذكر محاسن ذلك والثواب عليه ، فلما سئل عن أهل البدع في الذكر والتلاوة بين ما ينبغي أن يعتمد عليه الموفق ، ولا توفيق إلا بالله العلي العظيم . اهـ المراد منه

(١) في الأصل « يختلا » هكذا ، فصحتها ناسخ الورق الذي نطبع عنه فجعلها « يختلى » وكلاهما غلط

فصل*

ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين (منزلة التوكل)

قال الله تعالى (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين - وقال - وعلى الله فليتوكل المؤمنون - وقال - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - وقال عن اوليائه - ربنا عليك توكلنا وابليك ابننا وابليك المصير - وقال - قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا - وقال لرسوله - فتوكل على الله الملك على الحق المبين - وقال - وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا - وقال - وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده - وقال - فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين - وقال عن انبيائه ورسوله - وما لنا ألا نتوكل على الله ؟ (١) الآية - وقال عن اصحاب نبه - الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل - وقال - انما المؤمنون اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تلايت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) والقرآن مملوء من ذلك وفي الصحيحين في حديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، ولا يكتون ، وعلى ربهم يتوكلون ، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وابليك انبت ، وبك خاصمت ، اللهم اعوذ بك ، لا اله الا انت ان تضلني ، انت الحي الذي لا تموت ، والجن والانس يموتون » وفي الترمذي عن عمر رضي الله عنه مرفوعا « اور انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خفاصا وتروح بطانا » وفي السنن عن انس رضي الله عنه

* نموذج من الجزء الثاني من كتاب (مدارج السالكين . بين منازل « اياك نعبد وإياك نستعين » لابن القيم (١) زادت في البغدادية من الآية قوله تعالى « وقد هدانا سبيلا »

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله ، ولا حول (١) ولا قوة الا بالله ، يقال له : هديت ووقيت (٢) وكفيت ، فيقول الشيطان لشيطان آخر : كيف لك برجل هدي وكفي ووقى ؟ »
التوكل نصف الدين ، ونصفه الثاني الاقامة ، فان الدين استعانة وعبادة ، فالتوكل هو الاستعانة ، والاقامة هي العبادة ، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها ، ولا تزال معصورة بالنزائين لسعة متعلق التوكل ، وكثرة حوائج العالمين ، وعموم التوكل ووقوعه من المؤمنين والكفار والابرار والفجار ، والطير والوحش والبهائم ، فأهل السموات والارض - المتكفون وغيرهم - في مقام التوكل ، وان تباين متعلق وكلهم . فاولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في حصول ما يرضيه منهم ، وفي اقامته في الخلق ، فيتوكلون عليه في الايمان ونصرة دينه ، واعلاء كلمته ، وجهاد اعدائه ، وفي محابه وتنفيذ أوامره . (ودون هؤلاء) من يتوكل عليه في استقامته في نفسه ، وحفظ حاله مع الله فارغا عن الناس . (ودون هؤلاء) من يتوكل عليه في معلوم يناله منه من رزق او عافية او نصر على عدو او زوجة أو ولد ، ونحو ذلك . (ودون هؤلاء) من يتوكل عليه في حصول الاثم والفواحش . فان اصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالبا الا باستعانتهم بالله ، وتوكلهم عليه ، بل قد يكون توكلهم (٣) أقوى من توكل كثير من اصحاب الطاعات ، ولهذا يلقون أنفسهم في المتالف والمهالك معتمدين على الله ان يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم ، فافضل التوكل في الواجب (اعني واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس) ، واوسعها وانفعها التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية ، أو في دفع مفسدة دينية ، وهو توكل الانبياء في اقامة دين الله ، ودفع فساد المفسدين في الارض ، وهذا توكل ورثتهم .

ثم الناس بعد في التوكل على حسب همهم ومقاصدهم ، فمن متوكل على الله في حصول الملك ، ومتوكل في حصول رغبة . ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله ، فان كان محبوبا له مرضيا كانت له فيه العاقبة المجدودة ، وان كان

(١) في لسختنا « ولا حول » وفي البغدادية سقط الواو (٢) وفيها « وكفيت ووقيت »

(٣) في الحجازية « توكلهم عليه »

مسخوطا مبنوذا كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه ، وان كان مباحا حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه ، ان لم يستعن به على طاعة (١) والله أعلم .

فصل

فلنذكر معنى التوكل ودرجاته وما قيل فيه .

قال الامام احمد : التوكل عمل القلب . ومعنى ذلك انه عمل قلبي ليس بقول اللسان ، ولا عمل الجوارح ، ولا هو من باب العلوم والادراكات . (ومن) الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول : هو تلم القلب بكفاية الرب للعبد . (ومنهم) من يفسره بالسكون وخمود حركة القلب . فيقول : التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب ، كانطراح الميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء ، وهو ترك الاختيار ، والاسترسال مع مجاري الاقدار . قال سهل : التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد . (ومنهم) من يفسره بالرضا . فيقول : هو الرضا بما قدور . قال بشر الحافي : يقول احدهم : توكلت على الله ، يكذب على الله ، او توكل على الله رضي بما يفعل الله . وسئل يحيى بن معاذ : متى يكون الرجل متوكلا ؟ فقال اذا رضي بالله وكلا (ومنهم) من يفسره باثمة بالله ، والطمانينة اليه والسكون اليه . قال ابن عطاء : التوكل ان لا يظهر فيك انزعاج الى الاسباب مع شدة فاقك اليها ، ولا تزال (٢) على حقيقة السكون الى الحق مع وقوفك عليها . وقال ذو النون : هو ترك تدبير النفس ، والانخلاع من الحول والقوة ، وانما يقوى العبد على التوكل اذا علم ان الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه . وقال بعضهم : التوكل التعاق بالله في كل حال . وقيل : التوكل ان ترد عليك موارد الغاقات ، فلا تسمو الا الى من اليه الكفايات . وقيل : نفي الشكوك ، والتفويض الى مالك الملوكة . وقال ذو النون : خلع الارباب ، وقطع الاسباب - يريد قطعها من تعاق القلب بها ، لا من ملابسة الجوارح لها .

(ومنهم) من جعله مَرَكَبًا من امرين او أمور . فقال ابو سعيد الخزاز :

(١) في البغدادية طاعته {٢} في البغدادية - ولا تزول

التوكل اضطراب بلاسكون ، وسكون بلا اضطراب ، — يريد حركة ذاته في الاسباب بالظاهر والباطن — وسكون الى المسبب وركون اليه ، ولا يضطرب قلبه معه ، ولا تسكن حركته عن الاسباب الموصلة الى رضاه . وقال ابو تراب النخشي : هو طرح البدن في العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمانينة الى الكفاية . فان اعطي شكر ، وان منم صبر . فجملة مركبا من خمسة أمور : اتيام بمركات العبودية ، وتعلق القلب بتدبير الرب ، وسكونه الى قضائه وقدره ، وطمانينته بكفايته له ، وشكره اذا اعطي ، وصبره اذا منم . قال ابو يعقوب النهرجوري : التوكل على الله بكمال الحقيقة كما وتم لابراهيم الخليل عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام « اما اليك فلا » لانه غائب عن نفسه بالله (١) لم ير مع الله غير الله .

واجمع اقوم على ان التوكل لا ينافي القيام بالاسباب ، فلا يصح التوكل الا مع القيام بها . والا فهو بطلالة وتوكل فاسد . قال سهل بن عبد الله : من طمن في الحركة فقد طمن في السنة ، ومن طمن في التوكل فقد طمن في لايمان ، فالتوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم ، والكسب سنته ، فمن عمل على حاله فلا يترك سنته . وهذا معنى قول ابي سعيد « هو اضطراب بلاسكون ، وسكون بلا اضطراب » وقول سهل ابن وارف . وقيل : التوكل قطع علائق القلب بغير الله . وسئل سهل عن التوكل فقال : قلب عاش مع الله بلا علاقة . (٢) وقيل : التوكل هجر العلائق ، ومواصلة الحقائق . وقيل : التوكل ان يستوي عندك الاكثار والاقلال . وهذا من موجباته وآثاره ، لانه (٣) حقيقة . وقيل : هو ترك كل سبب يوصلك الى مسبب ، حتى يكون الحق هو المتولي لذلك . وهذا صحيح من وجه ، باطل من وجه ، فترك الاسباب المأمور بها قاذح في التوكل ، وقد تولى الحق ايهال العبد بها . وأما ترك الاسباب المباحة ، فان تركها لما هو أرجح منها ، مصاحف قدوح ، والا فهو

(١) في البغدادية — لانه علق نفسه بالله — (٢) هانان الفقرتان سقطتا من نسختنا فأثبتناهما من البغدادية (٣) وفيها — لا آله —

مذموم . وقيل : هو إلقاء النفس في العبودية ، وإخراجها من الربوبية . يريد استرسالها مع الامر ، وبرأتها من حولها وقوتها ، وشهود ذلك بها ، بل بالرب وحده . (ومنهم) من قال : التوكل هو التسليم لامر الرب وقضائه (ومنهم) من قال : هو التفويض اليه في كل حال .

(ومنهم) من جعل التوكل بداية ، والتسليم وساطة ، والتفويض نهاية . قال ابو علي الدقاق : التوكل ثلاث درجات — التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض . فالتوكل يسكن الى وعده ، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه ، وصاحب التفويض يرضى بحكمه . فالتوكل بداية ، والتسليم وساطة ، والتفويض نهاية . فالتوكل صفة المؤمن ، والتسليم صفة الاولياء ، والتفويض صفة الموحدين . التوكل صفة العوام ، والتسليم صفة الخوارج ، والتفويض صفة الخاصة . التوكل صفة الانبياء ، والتسليم صفة ابراهيم الخليل ، والتفويض صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين . هذا كله كلام الدقاق . ومعنى هذا التوكل اعتماد على الوكيل ، وقد يعتمد الرجل على وكيله مع نوع اقتراح اليه ، وإرادة وشائبة منازعة ، فاذا سلم اليه زال عنه ذلك ، ورضي بما يفعله وكيله . وحال المفوض فرق هذا ، فإنه طالب يريد ممن فوض اليه ، ملتزم منه ان يتولى أموره ، فهو رضاء واختيار ، وتسليم واعتماد ، فالتوكل يندرج في التسليم . وهو التسليم يندرجان في التفويض ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

فصل

وحقيقة الامر أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل الا بها . وكل اشار الى واحد من هذه الامور ، او اثنين او اكثر . فأول ذلك معرفة بالرب وصفاته ، من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الامور الى علمه ، وصدرها عن مشيئته وقدرته . وهذه المعرفة اول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل . قال شيخنا رضي الله عنه : ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف ، ولا من القدريّة النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء (١) ولا (١) في البغدادية « ما لم يشاء »

يستقيم أيضا من الجممية النفاة لصفات الرب جل جلاله ، ولا يستقيم التوكل الا من اهل الاثبات . فأي توكل لمن يعتقد أن الله لا يمل جزئيات العالم ؟ ولا هو فاعل باختياره ؟ ولا له ارادة ومشية ؟ ولا يقوم به صفة ؟ فكل من كان بالله وصفاته أعلم واعرف ، كان توكله اصح واغوى . والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

(الدرجة الثانية اثبات في الاسباب والمسببات) فان من نفاها فتوكله مدخول . وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي ان الاسباب يدرج في التوكل ، وأن نفيها كمال (١) التوكل

فاعلم ان نفاة الاسباب لا يستقيم لم توكل البتة ، لان التوكل من اقوى الاسباب في حصول التوكل فيه ، فهو كالدعاء الذي جعله الله سببا في حصول المدعو به ، فاذا اعتقد العبد ان توكله لم ينصبه الله سببا ، ولا جعل دعاءه سببا لنيل شيء ، فان المتوكل فيه المدعو بمحصله ان كان قدر (٢) حصل توكل او لم يتوكل ، دعا او لم يدع . وان لم يقدر لم يحصل ، توكل ايضا او ترك التوكل . وصرح هؤلاء ان التوكل والدعاء عبودية محضة لا فائدة لهما الا ذلك ، ولو ترك العبد التوكل والدعاء ما فاته (٣) شيء مما قدر له . ومن غلاتهم من يجعل الدعاء بعدم المؤاخذة على الخطي والنسيان عديم الفائدة ، اذ هو مضمون الحصول .

ورأيت بعض متعمقي هؤلاء في كتاب له (٤) لا يجوز الدعاء بهذا ، وإنما يجوزه تلاوة لا دعاء . قال — لأن الدعاء به يتضمن الشك في وقوعه ، لأن الداعي بين الخوف والرجاء ، والشك في وقوع ذلك — شك في خبر الله ، فانظر الى ما قاد انكار الاسباب من العظام ، وتحريم الدعاء بما أثبت الله على عباده وأوليائه بالدعاء

(١) نص لسختنا — كلام التوكل — وكلام محرف عن كمال بالقلب ، كما هو نص الحجازية ، والبغدادية « تمام التوكل » (٢) في البغدادية « قد قدر » (٣) لسختنا والحجازية « ما فاته » والبغدادية « لما فاته » (٤) نص الحجازية « في كتاب لا » وسقط من البغدادية كلمة « له »

به وبطلبه ، ولم يزل المسلمون من عهد نبهم صلى الله عليه وسلم الى الآن يدعون به في مقامات الدعاء ، وهو من أفضل الدعوات .

وجواب هذا الوهم الباطل ان يقال : بقي قسم ثالث غير ما ذكرتم من القسمين لم تذكروه ، وهو الواقع . وهو ان يكون قضي بمحصول الشيء عند حصول سببه من التوكل والدعاء ، فنصب الدعاء والتوكل سببين لحصول المطلوب ، وقضى الله بمحصوله اذا فعل العبد سببه ، فاذا لم يأت بالسبب امتنع السبب . وهذا كما قضي بمحصول الولد اذ جامع الرجل من بحملها ، فاذا لم يجمع لم يخلق منه الولد . وقضى بمحصول الشبع اذا أكل ، والري اذا شرب ، فاذا لم يفعل لم يشبع ولم يرو . وقضى بمحصول الحج والوصول الى مكة اذا سافر وركب الطريق ، فاذا جلس (١) في بيته لم يصل الى مكة (١) وقضى بدخول الجنة اذا أسلم وأتى بالاعمال الصالحة ، فاذا ترك الاسلام لم يدخلها أبدا (٢) وقضى بانضاج الطعام بإيقاد النار تحته . وقضى بطاوع الحبوب التي تزرع بشق الارض وإلقاء البذر فيها ، فما لم يأت (٣) بذلك لم يحصل الا الخيبة .

فرزان ما قاله منكرو الاسباب ان يترك كل من هؤلاء السبب الموصل ، ويقول : ان كان قضي لي وسبق في الازل حصول الولد والشبع والري والحج ونحوها ، فلا بد ان يصل ، ان نحرأت أو سكنت ، تزوجت أو تركت ، سافرت أو قدمت ، وان لم يكن قضي لي لم يحصل لي ايضا ، فملت أو تركت . فهل بعد أحد هذا من جملة العقلاء ؟ وهل البهائم الا ائمة منه ؟ فان البهيمة تسعى في السبب بالهداية العامة . فالتوكل من أعظم الاسباب التي يحصل بها المطاوب ، ويندفع بها المكروه . فمن أنكر الاسباب لم يستقم منه التوكل ، ولكن من تمام التوكل عدم الركون الى الاسباب ، وقطع علاقة القاب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها . فالاسباب محل حكمة الله وأمره ودينه ، والتوكل متعلق برويته وقضائه وتدره ، فلا تقوم عبودية الاسباب الا على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل الا على قدم العبودية . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) في البغدادية « فاذا جلس في بيته لم يصل الى مكة أبدا » (٢) حذف

من البغدادية لفظ « أبدا » (٣) نص البغدادية فان لم « يأت »

فصل

الدرجة الثالثة (رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل) (١) فانه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده ، بل حقيقة التوكل توحيد القلب ، فادامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول ، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل ، فان العبد متى التفت الى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه ، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة ، ومن هاهنا ظن من ظن ان التوكل لا يصح الا برفض الاسباب ، وهذا حق ، لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح ، فتوكل لا يتم الا برفض الاسباب عن القلب ، وتعلق الجوارح بها ، فيكون منقطعا منها متصلا بها . والله سبحانه أعلم .

﴿ فصل ﴾

الدرجة الرابعة (اعتماد القلب على الله ، واستناده اليه ، وسكونه اليه) بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الاسباب ، ولا سكون اليها ، بل يخام السكون إياها من قلبه ، ويلبسه السكون الى مسببها ، وعلى هذا (٢) انه لا يلبس باقبالها وإدبارها ، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها واقبال ما يكره ، لان اعتماده على الله وسكونه اليه واستناده اليه ، قد حصنه من خوفها ورجائها ، فخاله حال من خرج عليه عدو عظيم لا طاقة له به ، فرأى حصنا مفتوحا فأدخله ربه اليه ، وأغلق عليه باب الحصن ، فهو بشاهد عدوه خارج الحصن ، فاضطراب قلبه وخوفه منهم في هذه الحال لا معنى له . وكذلك من أعطاه ملك درهما فسرق منه ، فقال له الملك : عندي اضعافه لاتهم متى جئت لي أعطيتك من خزائني اضعافه . فاذا علم صحة قول الملك ووثق به واطمأن اليه ، وتعلم ان خزائنه مليئة بذلك - لم يحزنه فوته . وقد مثل ذلك بحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه وطمأننته بشدي أمه لا يعرف

(١) نسختنا والحجازية « توحيد التوكل » وسقط من البغدادية كلمة « توحيد »

(٢) نسختنا والحجازية « الى مسببها وعلى هذا » وفي البغدادية « الى مسببها »

غيره ، وليس في قلبه التفات الى غيره ، كما قل بعض العارفين : المتوكل كالطفل لا يعرف شيئا يأوي اليه الا ثدي أمه ، كذلك المتوكل لا يأوي الا الى ربه سبحانه .

﴿ فصل ﴾

الدرجة الخامسة (حسن الظن بالله عز وجل) فعلى قدر حسن ظنك بربك (١) ورجائك له يكون توكلك عليه . ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن فقال : التوكل حسن الظن بالله . والتحقيق ان حسن الظن به يدعو الى التوكل عليه ، اذ لا يتصور التوكل على من ساء (٢) ظنك به ، ولا التوكل على من لا نرجوه ، والله أعلم .

﴿ فصل ﴾

الدرجة السادسة (استسلام القلب له ، وانجذاب دواعيه كلها اليه ، وقطاع منازعاته) وبهذا فسر من قال : ان يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الفاسل يقابله كيف أراد ، لا يكون له حركة ولا تدبير . وهذا معنى قول بعضهم : التوكل اسقاط التدبير . يعني الاستسلام لتدبير الرب لك . وهذا في غير باب الامر والنهي . بل فيما يفعله بك لا فيما أمرك بفعله . فلا استسلام كتسليم العبد الدليل نفسه لسيده وانتقاده له ، وترك منازعات نفسه وارادتها مع سيده . والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ فصل ﴾

الدرجة السابعة (التفويض) وهو روح التوكل ولبه وحقيقته ، وهو إلقاء اموره كلها الى الله ، وانزالها به طلبا واختيارا ، لا كرها واضطرارا ، بل كتفويض الابن العاجز الضعيف المغلوب أموره (٣) الى ابيه العالم بشفقته عليه ورحمته ، وتعام كفايته ، وحسن ولايته له ، وتديبره له ، فهو يرى ان تدبيره له خير من تدبيره لنفسه ، وقيامه بمصالحه وتوليها ، خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليها ، فلا يجده أصلح ولا أوفق من تفويضه أموره كلها الى ابيه ، وراحته من حمل كلها (٤) رثقل حملها ، مع عجزه عنها ، وجهله بوجوه المصالح فيها ، وعلمه بكمال علم من فوض اليه وقدرته وشفقته .

(١) في البغدادية « به (٢) في البغدادية « على من تبى » (٣) كذا في نسخة وفي البغدادية ، وفي الحجازية قبل كلمة « أموره خربوشة يوشك ان يكون أصلها « في » أو « على » فتكون العبارة « المغلوب على أموره » وهي الصواب (٤) في البغدادية « كلها »

افضل الوسائل

لانهاض السلطنة

﴿ فصل جليل ختم به كتاب تاريخ الحرب البلقانية للبستاني ﴾

خطر لنا عند الفراغ من تأليف هذا الكتاب ، أن نستطلع آراء منجبة من أكابر العلماء وفحول الكتاب ، عن أفضل وسيلة تنهض بالسلطنة بعد كبتها ، وتزيد في بقظة الامة بعد غفوتها . فسألنا من أسعدنا الحظ بالوصول اليه قبيل صدور هذا المؤلف أن يصوغ لنا فكرته الاساسية في أسطر قليلة فتكرموا بتليسة الطلب ، أدامهم الله زهرا نصيرا في بستان العلم والادب . واليك آراءهم مرتبة حسب تواريخ ورودها

(رأي سياسي شهير)

كتب الي عالم كبير لم يشأ أن ينشر اسمه قال « ان الامر عويص جدا لان في السلطنة فواعل كثيرة متناقضة وبعضها خفي . ولقد سمعت مرة المرحوم نوبار باشا رئيس الوزارة المصرية الاسبق يقول ان لورد دربي ألقى عليه سؤالا مثل سؤالك وطلب منه أن يرتأي رأيا أو يضع مشروعا نافعا للسلطنة العثمانية ، قال نوبار : فأخذت القلم وكتبت « أن ينشأ في السلطنة محكمة مختلطة مستقلة ترفع اليها الشكاوي من المأمورين فتحاكمهم وتنفذ الحكومة ما تحكم به عليهم » فما أدق هذا الانتقاد ، وما أرق هذا التهمك ! ...

(رأي القانوني الكبير ، والعالم الاجتماعي الشهير)

سماعة فتحي باشا زغلول

أفرتك السلام وبعد فسؤالك هام ومطلبك أهم

الدولة العلية رعاك الله مجموع يحتاج في سياسته وانهاضه الى حكمة عالية وبصر بالأمر كبير، فإذا غلب الرأي الهوى، وبطل التفاضل بين العناصر، وأقيم وزن العدل وتساوى الناس جميعاً في الحقوق وفي الواجبات - وإذا خلصت نيات أهل الزعامة وصدقت عزائم ذوي الرئاسة ، ففضلوا مصالح الامة على المنافع الفردية ، وجددوا الشكل في طلب الإصلاح، فنشروا التعليم وغنوا بالأموال الاقتصادية ، فاستبقوا لأنفسهم مرافق

البلاد وكنوزها ، وذلوا السبل وأمنوا السابلة وقربوا المسافات ، ثم اذدرعوا واحترفوا وأنجروا فأحرفوا ، واذا احكموا نظم الجند وهذبوه - لاشك أن الدولة ناهضة من سقطتها ، وان الامة ناشطة من عقابها ، وانها نائلة من الحضارة والمناعة مكانا عليا

(رأي العالم العامل الشهير ، والصحافي المحنك الخبير)

الدكتور فارس افندي نمر

صاحب المقتطف والمقطم

حضرة الفضل ! ان كان المقصود من « السلطنة » في سؤالكم « الحكومة والامة » في حالتها الحاضرة أي الدستورية فوسائل نهاضها متعددة منها مادي ومنها أدبي واكل واسطة منها قوة لا يستغنى عنها ، وخصوصاً وسائل العلم والمال . على أن في الحكومة وفي الامة رجالاً من ذوي العلم وذوي المال لا يوزمهم ادراك ولا يسار ، والى الذي ينقصنا هو تربية الحكومة على الاخلاق القويمة ، والصفات المنظمة والمرقية لشؤون الهيئة الاحتمائية ، حتى نستطيع الاتحاد والتعاون على تدبير أمورنا وإنجاح أعمالنا ونحن جماعات ، كما يستطيع كثيرون منا اليوم تدبير أمورهم وإنجاح أعمالهم وهم أفراد .

(رأي شيخ الادباء ، وكبير الشعراء)

(سعادة اسماعيل صبري باشا)

التوظيف - اذا أراد التركي أن يستبقي ما بقي له من ملكه فلا يفرق بين التركي وسائر الاجناس التي تتألف منها الدولة العثمانية ، بل يجب عليه أن يفضل في التوظيف في كل بلد أهل الكفاءة من بينها ، فلا يوظف التركي في بلد غير بلده الاصل لي الا اذا كان يتعسر وجود أكفاء مثله من أبناء ذلك البلد ، فتتعدد جميع العناصر التي تتألف منها الدولة حب الراية التي تظلمهم ، والاراضي التي تقامهم ، فيقوم عندئذ وطن عثماني حقيقي بحبونه ويذبون عنه في اليوم المصيب .

التعليم - التعليم من أوجب الواجبات لنهوض الشعب العثماني مما هو فيه ، ولا يراد بالتعليم ان يصبح جميع الافراد من العلماء ، بل يكفي أن يكون هناك عدد وافر من المعلمين يسرون بالدولة الى مقام الشعوب الراقية ، وأن يتعلم باقي أفراد الامة ما يمكنهم من فهم قادتهم وأرباب الرأي فيهم .

العدل - العدل بسيط في معناه صعب في تنفيذه بين الافراد . وأكبر آفاته

الفرض والرشوة . فإذا أرادت الدولة أن يسود فيها العدل فلتصرف كل جهدها في . إاشاة هاتين الآتين ، وانحذر من أن تستعين بالأجانب في سن قوانينها وتوزيع العدل بين رعاياها ، ومن أن تطلب غير أبناء بلادها لإقامة العدل وسن القوانين . والا تعذر عليها أن تجد عدلاً وطنياً متفقاً مع أخلاق أمتها وعاداتها . وما يقال في العدل يقال أيضاً في سائر فروع الإدارة . وإذا كانت الحكومة لا تجد مندوحة عن الاستمانة بالأجانب الا كفاء فلا تطلبهم من حكوماتهم ، بل تكلفهم وضع التقارير بعد اختبارهم لحالة البلاد ، ثم تأخذ النافع والموافق لمادات الأهالي من تلك التقارير دون أن تجمل أمحايها . موظفين رسميين

(رأي العالم الاجتماعي الشهير)

الدكتور شبلي الشميل

الدولة لا تنهض الا بثلاثة : رجال ومدل ووقت ، والرجال بالعلم والتربية ، والمال بالموارد . فهل ذلك متوفر ، ولا سيما الوقت ، وحالنا في الاجتماع كما هي من قلة التكافؤ ، مع ما هو عليه اليوم من شدة التزعج والحواب على ذلك يدل على المصير (رأي الاستاذ الفاضل الشهير)

ابو شادي بك

رئيس تحرير جريدة المؤبد

رأي أن الدولة لا تنهض من سقطنها ولا تعود الى سابق مجدها الا اذا توفر لديها ما يأتي

أولاً تميم التعليم في أنحاء البلاد وجعل الاولى منه اجبارياً
ثانياً ازالة التنافر بين العناصر ولا يكون ذلك الا بمنح كل ولاية استقلالاً
ادارياً داخلياً حتى يعلم كل فرد ان اجتهاده منصرف الى بلده
والى نفسه .

ثالثاً إيجاد الاكفاء من الموظفين اذ بغير شك ان قوانين الدولة عادلة
ولكن تنفيذها معدوم .

رابعاً اصلاح جباية الضرائب بحيث تكون الضرائب متسلطة على الاعيان
لا على الحاصلات وتنظيم أوقات تحصيلها .

خامساً نزع السياسة من افكار الجيش
سادساً تسميم اللغة العربية في جميع الولايات وبين المسلمين بنوع اخص
وذلك لان مظهر الدولة اسلامي والقرآن عربي
(رأي العالم الاسلامي الكبير)

السيد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

الدولة كائن حي، يُحفظ وجودها بالسنة التي تحفظ بها حياة سائر الاحياء، وهي
سلامة مزاجها في نفسها ووقايتها مما يمدو عليه من الخارج
فأما سلامة مزاج دولتنا العثمانية في نفسه فانما يكون باقامة الشرع العادل في
القضائية، والمساواة في الحقوق بين الرعية، وبناء ادارة المملكة على أساس
اللامركزية، وجعل السلطة العليا شق الأبلهة بين العنصرين الكبيرين فيها - العرب
وانترك - بحيث يكونان منها كالعنصرين اللذين يتكون منهما الماء أو الهواء . واما
وقايتها مما يمدو عليها من الخارج فهو الآن منوط بدول أوربة الكبرى فمن
اصحاب المطامع فيها ومطامعهم متعارضة . وما دامت كذلك كانت الدولة آمنة على
نفسها من اقتسامها اياها بالقوة ، فيجب ان تبقى استيلاءهم على البلاد بقوة المال
والسياسة ، أي بالفتح السلمي ، وان تقوي مزاج الامة بالعلم والعلم واعدادها للدفاع
عن نفسها . فاذا هي فرطت في مراقبتها وأملأها فباعها للأوربيين ، وبقيت على
تبذيرها ، وتوهمها انها تستطيع ان تحمي نفسها منهن بقوتي الدولة البرية والبحرية
الرسميتين ، ولم تحبل كل اعتمدها على الامة ، فاحظر عليها من الفتح السلمي ، أقرب
واقوى من خطر الفتح الحربي .

(رأي الكاتب التحرير الشهير)

داود افندي بركات

رئيس تحرير الاهرام

رأيي في اصلاح السلطنة العثمانية ان تقسم مناطق ، وان تكون كل منطقة مؤلفة
من العناصر المتفقة في التقاليد . العادات واللغة ، فتعطى الاستقلال الاداري تبت من
أموره كل ما لا يتناول منطقة أخرى أو أكثر من منطقة . ويعين لكل منطقة

مندوب سام يعاونه مجلس ادارة يؤلف من الفنين في الامور المالية والادارية والقضائية والعسكرية ، ويؤخذ للمركز العام جزء معين من دخل كل منطقة ، وتلقى الضرائب المشرية ، وتقرر ضرائب ثابتة معينة على الاملاك ، وتوضع قوانين للشركات على اختلاف انواعها ، ويوحد القضاء فلا يكون من اختصاص رجال الدين الا الامور الشخصية . فتكون الدولة مؤلفة من ولايات متحدة او مناطق متحدة .

ذلك رأيي في اتهاض السلطنة بسرعة

(رأي العالم المؤرخ)

جرجي بك زيدان

صاحب مجلة الهلال

العملة الحقيقية في حال الدولة العثمانية اليوم نقر المملكة واضطراب الحكومة . والحكومة الدستورية في أيدي الامة ، والامة العثمانية ضعيفة الاحلاق ، عريضة في الانقسام ، بسبب ما توالى عليها من أتعصر الفساد .

أما المملكة ولعني الولايات الباقية منها في آسيا فليس نقرها اصليا فيها ، وكل ولاية منها كانت في بعض الأزمان مملكة قائمة بنفسها ، فالعراق كانت وحدها مملكة البابليين والاشوريين ، وبها اعترى العباسيون في ارباب دوانهم ، وكانت جبايتها ثلث جباية مملكتهم الواسعة الممتدة من حدود الهند الى شواطئ الأتلانتيكي . وسوريا كانت مؤلفة من عدة دول ثم اعترى بها السلوقيون احيالا ، وكذلك آسيا الصغرى ، وظلت مدة هي أعظم أركان الدولة العثمانية .

فهذه الولايات اذا أحسنت سياستها وادارتها صارت غنية . وهذا لا يتم والامة كما تقدم . فالوسيلة المثلى للتعرض بالدولة العثمانية انما هي ترقية الشعب ، وهو لا يقدر ان يرقى نفسه رغم استعداده الطبيعي للرقى . وقد يقوم بذلك حاكم عادل عاقل ، انما يشترط أن يكون مستبدا ، وهذا لا يتيسر والحكومة دستورية . فلا بد من الاستعانة بالاجانب ، وأسلم الطرق أن تحالف الدولة العثمانية مع دولة تثق بصداقتها ، فتستعين برجالها على اصلاح حكومتها وترقية شعبها وصيانتها من مطامع الدول الاخرى ، بشرط أن لا يكون لهذه الدولة مطمع في الاستعمار . فاذا وفقت الى ذلك في أثناء أربعين سنة نهضت واسترجعت روتها !

(رأي الشاعر السكاتب الطائر الصيت)

خليل افندي مطران

أخي - سألتني عما أرتيه لاصلاح الدولة العلية . فالذي أرتيه انما هو أمر واحد يلخص في كلمة واحدة : التعليم

منذ عشرين سنة أرقب حوادث الدولة واستقري ما يجري فيها . فالذي بدا لي من شأنها في كل حال : ان الحكم كانوا لا يهتمون باصلاحها اعتماداً منهم على جهل الامة وعلى تسليمها لهم بسبب ذلك الجهل . وان المحكومين كانوا فاقدوا الحيلة في الناس ما هو خير لهم وكاوا صابرين على مضر . وربما أومض لهم بارق الاصلاح في احدى المصادفات فتألموا منه تألمهم من الرمد المفاجئ .

فهؤلاء المحكومون ما لم يتعلموا لا يقيمون لائقهم وزناً ولا يفرقون بين حقهم لهم وحق عليهم . كما ان أولئك الحكم أيا كان جنسهم ودينهم يلبثون أبد الدهر متسكرين لامتهم جانين عليها ، الا حيث تضطرهم الى الاصلاح اضطراراً ، وتأخذ منهم قسراً ما يابونه عليها اختياراً . وكل ذلك لا يتم شيء منه الا بالتعليم .

(رأي السكاتب الشهير)

محمد افندي مسعود

حياة الدولة في مستقبلها . ومستقبلها في حكومة كفيلة باسترجاع مجدها المضيع ، وهذه الحكومة لا توجد ، الا متى عرف رجالها قدر انفسهم . فوضعوها فوق عبث الاحزاب .

(رأي الصحافي الخبير والسكاتب الالماني)

سامي افندي قصيري

المحرر في المقام

نما كانت الدولة العثمانية فيها معنى دولة استبدادية قائمة على حكومة الفرد كانت تقوى بقوة ذلك الفرد وتضعف بضعفه وتسد بسعده وتشقى بشقائه . أما الآن وقد أعلن فيها الحكم الدستوري مراعاة لاحوال الزمان والمكان وتبدلت

حكومة الفرد بحكومة الامة ، فصلاحي الحكومة قائم بصلاحي الامة . ولا يكون ذلك في رأيي الا بنشر التعليم الحر بين طبقاتها ، والفصل بين دنياها ودينها ، والتأليف بين عناصرها وطوائفها ، حتى تصبح جميعها كتلة واحدة يحركها من أعلاها الى أسفلها عامل واحد ، هو عامل الوطنية ، وتجميعها من أقطابها الى أدناها جامعة واحدة هي الجامعة العثمانية .

(رأي الكاتب الشهير)

فرح افندي انطون

صاحب مجلة الجامعة

ان سنة التطور (evolution) التي تحكم العالم المادي والعالم الاجتماعي أمر لا مفر منه . فما السبيل الى جعل التطور في السلطنة لها لاعليها ؟ لا أظن أن صديقي المؤلف يكفني الجواب على هذا السؤال في بضعة أسطر . على ان كل ما يقوله الكاتب ويفكر فيه المفكر في هذا الشأن أمر معلوم ، فما تنقصنا الاقوال ولكن تنقصنا الافعال . فقد يقال « العدل والسواء ونوسيع سلطة الولايات وقطع دابر الرشوة بحسن اختيار الموظفين وشدة مراقبتهم واصلاح المحاكم وتنظيم البوليس وتقويته وانشاء الطرق الحديدية واستثمار الارض ظريها وبنائها (الزراعة والسادن) واحياء الصناعة والتجارة والمستشارون الاجانب وتنظيف الدوائر العليا والدنيا الخ الخ » وكلها اشياء جميلة . ولكني ارى امرا آخر مقدماً عليها وان وجد المال وقوة الارادة لانفاذها وهو ما أسميه « الانسلاخ » أعني به انسلاخ الرجل الشرقي القديم - وكلنا ذاك الرجل - من جلده القديم وروحه القديمة واتخاذة جلداً جديداً وروحاً جديدة . ومعنى هذا بكلام مجرد من الزخرف والخيال تفسير السياسة التي حكمت بها السلطنة وجعلها بوزيقيست (positiviste) وهنا المشكلة العظمى . فانه يجب بناء أعمال الحكومة على هذه السياسة من غير أن يصدم هذا البناء معتقدات العناصر المختلفة وأوهامها ، أي سوق التطور في طريق هذه السياسة من غير ان يؤدي الى كسر في أعضائها . ورأس سياسة الوزيتيقيست أن يفصل الدين عن السياسة الدينية عند جميع العناصر العثمانية . وبعد هذا الفصل يمكن الانجاء الى موحدة الامة وبانية اساس مستقبلها أعني بها المدرسة الابتدائية الالزامية - واحدة لجميع ابناء الامة ، ويعزل عن المذاهب الدينية لتوحيد اغراض الامة واهوائها ما أمكن التوحيد ، وجعلها أمة واحدة لا أنما مختلفة كما هي الآن .

(رأي الاستاذ القانوني الشهير)

عزيز خانكي بك

يجب ان تبدأ الدولة باعطاء ولاياتها الاستقلال الذاتي الداخلي ثم تجعل الصلة بينها وبين ولاياتها كالصلة بين ممالك المانيا والامبراطورية، أو كالصلة بين الولايات المتحدة الاميركية والجمهورية، ثم تعاون جميع الولايات على تكوين قوة الدولة البرية والبحرية بمعنى أن كل ولاية تشترك بنسبة ثروتها

هذا من جهة سياسة الدولة من حيث مجموعتها . أما رقي الولايات فلا أمل فيه الا بإنشاء المحاكم، ووضع القوانين النظامية على الطريقة المصرية، وإقامت المدارس، ومد السكك الحديدية، وتوطيد اركان الامن العام، واجراء الإصلاحات العامة اللازمة لكل بلد مثل إنشاء السكك الزراعية، وبناء القناطر للري، وتسهيل المواصلات البرية والبحرية، وتعميم بعض المنظمات القرية، مثل انتافرافات والتافونات وتنظيم البريد داخل الولايات، وتشجيع الاهالي على إنشاء الشركات للاستثمار بخيرات هذه الاقطار التي يقال انها كلها كنوز لا تفقد .

(رأي الأستاذ الفاضل الشهير)

اسكندر بك عمون

اصحح نظام للدولة على ما بين العناصر والولايات العثمانية من التباين في الحاجات والاخلاق، والعادات والتقاليد، وعلى ما بين اهليها من التفاوت في الحضارة، ان تجعل ممالك أو ولايات مستقلة في جميع شؤونها الخاصة استقلالاً تاماً حتى في قوانينها وفي شكل حكومتها، مع ارتباطها جميعاً في الشؤون العمومية على نحو نظام الولايات المتحدة الاميركانية أو الممالك الجرمانية، وتسمى حينئذ الولايات أو الممالك العثمانية المتحدة ولهذا النظام مزية على كل نظام آخر وهي : انه النظام الوحيد الذي يمكنه أن يجمع بين الولايات والامارات العربية في جزيرة العرب وسائر الولايات الممتازة وغير الممتازة

(رأي الكاتب العالم)

نجيب بك البستاني

أحد مؤلفي وأصحاب دائرة المعارف البستانية

اهم ما يجب لاهياء امر الدولة العثمانية واعلاء شأنها انما هو العدل الصحيح في

الرعية ، واصلاح المالية ، فهما اساس الملك وبهما قوام الدول . ذلك بان تشترك جميع عناصر المملكة على نسبة كل منها الى المجموع ، فيعهد في الوظائف التي هي الكفاية ، وتؤدي الرواتب في مواعيدها ، وتوضع المكوس على ما تطبق الرعية ، وتستثمر المعادن ، وتقام اعمال الري والطرق الحديدية وغيرها على السواء في جميع اقطار البلاد ، وتستعمل الدولة في الابحاث وتعميم التعليم العلماء التماسخين من الشرقيين والغربيين ، ويكون الانتخاب على ما يضمن لكل فئة العبد الذي من الاعيان والنواب دون محاباة أو تفاضل . ففي حصل ذلك توفرت الاموال بالاجل كلفة الجيش ، وساد الامن واستوثقت الرعية من الازعاج ، وانتظمت الشورى وحصلت الالفه بين الامم الخلفه ، وانصرف هم القائمين بالامر الى استصلاح الزراعة ورفعة الصناعة والعناية بابواب العمران ، ونفذوا الشفاق وصدقوا في حب الوطن وثاروا على الامر مخلصين منزهين عن المطامع الشخصية بما يزيد هيبة الحكومة ويؤيد سلطانها يتم ذلك باذن الله اذا امتنعت الدول عن تعكير الامر على العثمانيين . ويزيد هؤلاء نحو ما تقدم ربع قرن أو ما يزيد ، لننال الدائمة - وعليها الممول في الاستغناء بعمل الاصلاح - من العلم والمدنية والبران على الاعمال ما يضمن للدولة مستقيمتها وعظمتها ، وللعثمانيين اتحادهم واستقلالهم

(رأي الكاتب البليغ)

الاستاذ امين افندي البستاني

سألني رأيي في الدولة ومسيرها : جاز بالدولة في هذا العام عبرة تكبري آدم لم تعتبر بها نالها ما هو اشر منها . وللدولة الآن بقية ملك هو ابد مدني وامنع حتى واطيب بقعة من جل الممالك الاوروبية ، فهل لها أن تعدل في الباقي من هذا الملك وتمنع حادثات الدهر ؟ الله اعلم . على أن الدولة لا تجهل اشراط الملك على المالك وما هو مبق له وما هو ذاهب به ، حتى لقد اصبحت الدلالة على رجوه الاصلاح المنشود من مبتذلات الكلام ، وملوكات الافواه والاقلام ، فهل الدولة أن تعمل بما علمها الدهر على حين لم يبق لها من ناصر الا ما تسعى اليه من ترميم هذا الملك العزيز ، والا فقد قضى الله بما لا دافع له ولا مانع له ، وحسبكم الاشارة يا ايها هذه الدولة . فاعدلوا بين ضروب الرعية لان دولتكم مستمدة من جنتها لا من اباضها ، وقدموا الكفو على غيره مهما كانت نبعته ومنبت اسلته ، واستعملوا الاجنبي

في تدبير ما أنتم ضامف عن تدبيره واسلكوا القصد في عملكم من غير سرف ولا
تفريط وخذوا بالجديد الصالح واخضعوا القديم المبتذل ثم اعدوا للملك عدته من
رجال ومال ، والله تلوّقي في هذا الباقي

(رأي استاذنا الاجتماعي الكبير)

أحمد لطفي بك السيد

مدير الجريدة

(وصل في آخر ساعة لفياب حضرتها عن القاهرة)

راجعت نفسي فوجدتني غير حاصل على المقدمات التفصيلية اللازمة لتكوين رأي
صحيح في الوسائل العملية لاصلاح الدولة العلية . وان الذين يستطيعون معرفة هذه
الوسائل هم رجال الدولة المشتغلون بسياستها والواقفون بانفسهم على ما اجهله من
المقدمات الضرورية لتكون رأي صحيح غير أن لرقى الامم وهبوطها قوانين قد
تتفي لتكوين رأي اجمالي ونظري في الاصلاح

مهما كانت الاسباب التي حثت اوروبا على اضطهاد الدولة العلية فلا شك في أن
وقوعها في الضعف والهرم هو اهم تلك الاسباب ، وليس يوجد مانع طبيعي يمنع
الدولة بمد أن مسما الهرم من استعادة شبابها بالاخذ بالتعليم الحديثة من حيث الحكم
والتربية والتعليم وتدير حالها الاقتصادية على وجه يكفل لها النظام والقوة . ولست
اجد في هذا الحاضر ما يرحح كذبة توقع الشر في المستقبل على كفة انتظار الخير .
فاذا قام العنصر الحاكم باحترام اطماع العناصر المحكومة والنهضة بالامة عن الجمود
الى التسامح بجميع الاساحة الحديثة ان في التربية وان في الاقتصاد ، أمكن الحكم
بهذه الدلائل على الاصلاح المنتظر . نعم ان ظروف الخارجية دحلا في اصلاح
الدولة ولكن العثمانيين هم المسؤولون وحدهم عن اجراء هذا الاصلاح . عليهم عمل
ما في قدرتهم والله يتولى امر ما لا يقدررون عليه

(المنار) هذه آراء أشهر حملة الاقلام وعلماء السياسة والقوانين من المصريين
والسوريين ، وأكثرهم متفقون في الرأي فيما صرحوا به وما لم يصرحوا ، ولاتكاد
ترى خلافا صريحا بينهم الا في مسألة استخدام الاجانب أو استعانة الدولة بهم ، أجازها
أو أشار بها بعضهم صريحا أو تلويحا وحذر منها بعض أهلها الاكثرون . وصرح جماعة
بمسألة اللامركزية أو الاستقلال الاداري للولايات أو الاقاليم . ولم يخل هذا الجمهور
بمسألة القوة الحربية ولا البحرية التي تمدها الدولة بتقاليدها الموروثة كل شيء . وقد
انفردنا ببدء الرأي في مسألة الدفاع . فلتعتبر بهذه الآراء الامة وان لم تعتبر بها الدولة .

﴿ عبد العزيز بك علي المصري ﴾

عبد العزيز بك المصري - أو عزيز بك كما تقول الترك - من ضباط اركان الحرب المشهورين في الجيش العثماني . وقائد برقه في قتال الجيش الايطالي . وقد قبض عليه في الاسانة منذ شهرين وسجن باس ديوان الحرب العرفي ، ولم يعرف السبب الرسمي لذلك ، فحدث لذلك من التأثير السيء في مصر وسورية وغيرهما من البلاد العربية فوق ما كان ينتظر ، وصار ذلك شغل الجرائد العربية الشاغل ، وسرى هذا التأثير الى كثير من الجرائد الاوروبية . وتناقلت الجرائد عن الاسانة ان الذي وثى به هو الشيخ عبد العزيز شاويش الذي وتلفته التجسس على العرب . وقد دعا شيخ الجامع الازهر اشهر علماء المصريين وفضلائهم الى عقد اجتماع للتشاور فيما يجب اتخاذه لانصاف هذا الرجل ، فاجتمع الوف من الناس في ٢٦ من هذا الشهر . وكانت قد دعي الى الخطابة فيما يتعاق بهذا الموضوع رفيق بك العظيم ومحمد اقندي لطفي جمعه وعحمد ابو شادي بك و ابراهيم بك الهلباوي - الثلاثة من الحامين - فخطب كل منهم فاجاد ، واتوا على عبد العزيز بك المصري واطروا خدمته لادولة واقابوا الدلائل والبيئات على استهجان القبض عليه ، وقدوا ما شاع وما تصور من اتهامه به . وخطب صاحب هذه المجلة خطبة ارنجالية وحيزة اقترحت عليه عند ما وصل وأخذ مجلسه من مكان الاحتفال ، واختار ناظم عقد اللجنة حسن باشا رضوان ان يكون الخطيب الثاني ، فأجبنا الطلب ، ثم اقترح علينا أن نكتب ملخص ما قلناه وننشره وهو هذا :

اقترح علي الآن أن اقول شيئاً في الموضوع الذي عقد لاجله هذا الاجتماع ولم يكن اسمي في جدول الخطباء - وهم كثير - فانا اقول كلمة وحيزة حتى لا اضيع على الخطباء المستعدين وقتهم

سمعتم ما شرحه الخطيب الاول (رفيق بك) من خدمة عبد العزيز بك المصري لادولة والامة في إقامة الدستور وتأييده ، وفي مقاومة حرب المصائب المسلحة في مكدونية ، وفي اليمن وبرقة . وستسمعون من سائر الخطباء شرحاً اوسع فيثناء على الرجل . وانني اظن كما تظنون أن الرجل بريء مما رماء به السعاة الواشون ، ولما كنتي اني كلمتي على غير الاساس الذي بني عليه رفيق بك كلامه ،

فأنا لا افرض أنه بريء ، وأنه يخشى أن يؤثر في أعضاء المحكمة التي تنظر في نصيبته ما يدور حولها من السعيات والالو هام فتصدق بعضها وتبني عليه الحكم ، ولا أقول بوجوب عقابه إذا كان مذنباً أو طلب العفو عنه بعد الحكم ، بل أقول قولاً آخر فيها كوه : يجوز أن يكون عبد العزيز المصري قد أتى بذنب ، لأننا نحن المسلمين لا نقول بعصمة أحد من البشر غير الأنبياء الذين يبلغون رسالات ربهم فيما يتوقف عليه امر التبليغ وحكمتهم ، كما يجوز أن يذنب كل واحد من الناس وليس فيهم أياء مرسلون . نجوز هذا عقلاً وإن كان لدينا دلائل متعددة تؤيد انبراة الاصلية ، أظهرها أن الرجل بقي زمناً في الاستانة بعد عودته من برقة كانت توكل اليه الاعمال العسكرية التي لا توكل عادة الى المجرمين المستحقين للسجون ، ولم يؤخذ بالتهمة المهمة الا بعد استقالته من الخدمة ، ولم يكن له بعدها عمل صالح ولا سيء . وانما أخذ بمسألة واش مفسد . فنفرض أنه مذنب ، وإن ذلك الواشي الخبيث صادق

أنتم تعلمون ان الائم لا تمز ولا ترتقي الا بالرجال القادرين على الخدمة العامة للامة المأمن بها ، وهؤلاء الرجال قليلون ، لذلك يجب ان يضمن بهم وتقال عثراتهم . وعزيز المصري من هؤلاء الرجال بدليل ما قام به من الخدمة العامة للدولة والامة ، فاذا صدق ذلك الواشي التمام الخبيث -- وما كان الا كذوباً -- في زعمه انه قد أتى ذنباً يحاكم عليه ، اليس له من حسناته وخدمته العامة شفع يقضي أن تنظر الدولة ذنبه وتقبل عثرته ؟ وهل كان الذين يريدون الانتقام منه براء من الذنوب والعثرات ؟ أم نقول لهم كما قال المسيح عليه السلام حين حيي بالمرأة الزانية لاحل زوجها ؟ كلا ان لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة ، ولنا في سيرة اصحابه وأئمة العدل من خاتمائه ما نهتدي به في مثل حادثة عزيز المصري .

كان ابو محجن انهفي مدمن خمر في الجاهلية وقد ايلم ولفي النبي (ص) وروى عنه حديثاً . وكانت الخمر قد احدثت له مرض الخمار فكان لا يستطيع تركها ، وكانوا يجلدونه اذا شرب فيري الم الجلد دون الم الخمار . وقد حضر حرب القادسية مع سعد بن ابي وقاص (رض) فحسب سعد وقيدته بتهمة الشرب ، وقد اتهم المسلمون مع الجوس . . . كفة شديدة ، وكان سعد مجروحاً لم يحضر المعركة بل تمرد على سطح بيته ينظر ما يفعل المقاتلون . فلما رأى ابو محجن رحي الحرب دائرة وخاف على المسلمين ان يفلخوا ، رغب الى امرأ الفائد التام أن تخله من قيده ليحضر المركة ، وعاندها بان يعود الى قيده اذا هو سلم . ففعلت . فوثب على فرس سعد يقال لما

البلقاء ، وحمل برمحه على جيش الاعداء ، فكان لا يحمل حملة الا انهزم الاعداء امامه .
وكان سعد (رض) يرى ذلك ويتمجب ويقول : الكر كر البلقاء والحمل حمل أبي
محجن (١) وابو محجن في القيد . ولما انهزم العدو رجع ابو محجن الى قيده كما وعد
امراة سعد . واخبرت هي سعداً بما كان ، فاطلقه من قيده ، وقال : لا احدة اليوم
رجال نصر الله المسلمين على يديه . فقال ابو محجن : لقد كنت اشربها اذ يقام على
الحد فيظهرني ، واذ قد حايتني (٢) فوالله لا اشربها ابداً . وقاب من ذلك اليوم
ولدينا شاهد آخر من وفائع القادسية : زهرة بن حوبة هو الذي قتل
الجلانيوس ، قائد جيش الجوس ، وقد اخذ سلبه بدون إذن القائد العام سعد بن أبي
وقاص ، فانزله سعد منه وأراد أن يؤاخذه ، ولكنه كتب الى امير المؤمنين عمر
ابن الخطاب يسأله في ذلك . فكتب اليه عمر (رض) : نعمد الى مثل زهرة وقد
صلى بنا صلى به ، وبقي عليك ما بقي من حربك وتكسر فوقه ؟ (٣)

انكر سيدنا عمر على سعد عمله ، وانهضى زهرة سلبه ، لانه رأى أن عمله الماضي
والحاجة الى عمله في المستقبل أرجح من هذه المخالفة وأن المصاحبة تقتضي ذلك .
ان لنا فوق هذا كله اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر حاطب بن
أبي بلتعة : نقض مشركو قريش عهد النبي (ص) فاراد أن يزحف عليهم لفتح مكة ،
وكان لحاطب أهل ومال بمكة خاف عليهم لانه ليس لهم احد يحميهم ، فكتب الى
أهل مكة يخبرهم بزم النبي (ص) فلم النبي (ص) بما كان (وارسل من اخذ
الكتاب من امرأة كانت تحمله في عقاص شعرها) وسأل حاطباً عن ذلك فاعترف
 واعتذر بالخوف على اهله وولده وانه عمل ما لا يضر الله ولا رسوله . فقبل عذره .
واراد عمر بن الخطاب الذي تضرب الامم بعمله المثل أن يقتله ، لافشاء سر الحرب
من اكبر الذنوب العسكرية فجعله عمر دليل التفاق ، واستأذن النبي (ص) بقتله فلم
يأذن له ، وقال « انه شهد بدرأ »

عد النبي (ص) شهود غزوة بدر من اقوى آيات الايمان، والصدق والاخلاص

(١) اعط سعد (رض) الضير ضرب البلقاء ، والظنر طائر ابي محجن ، الخ والضمير بالضاد المعجمة
كر الخيل وعدوها والظنر الوتوب (٢) كلمة الماثورة « بهرجتني » ونحن ذكرنا المعنى المراد
من هذه الكلمات لينهما جيم الحاضرين . وقد أشكل على بعض الناس ترك سعد اقامة الحد وحملوا
سبيه ، وهو ان الحدود لا تقام في الحرب ولا دار الحرب ، كما نراه في الفتوى الملحة بالنفس
من هذا الجزء ، وسعد يعلم هذا وهو مما وصى به عمر ، ولا يبعد ان لا يبره مثل ابي محجن
(٣) النوق بالضم موضع الوتر من السهم ، ويطلق على السهم بمعنى الحظ ويعنى أعلى الضائل .

في الاسلام، لان المسلمين كانوا وينشد في قبة عدد، وقلة مال، وقلة طعام، وقلة ركائب، كانوا في اشد الضعف، وكان المشركون في أوج قوتهم، فمن يبذل نفسه في سبيل الله في مثل تلك الحال، لا يبذلها الا بياض الايمان وحافظ الاخلاص، وتلك حسنة تضاهل بازائها أي سيئة من السيئات

فلنفرض أن عبد العزيز المصري قد اجترح ذنباً عكرباً كبيراً (كذب حاطب أو ما لا كذب زهرة بن حوية، أو شخصياً كذب أبي محجن رضي الله عنهم)، وان ذلك الواشي الحيث صادق فيما رماه به - وما كان الواشي التام الحيث الا كذوباً فاسداً - اليس له من الجهاد في سبيل الحكومة الدستورية عند تكوينها ومن الدفاع عنها ايام كان الخطر مدفاً بها، ما يشبه حسنة حاطب في شهود غزوة بدر؟ وما كان حاطب ممتازاً فيها بشيء انفرد به دون سائر من حضرها، ولا كان في مقدمة الذين أبلوا فيها وأنجوا، وأما عبد العزيز المصري فكان في مقدمة الضباط الذين أبلوا في فتح الاسكندرية وفي غيرها من الاعمال العسكرية التي ابدت الحكومة الحاضرة. فهو حدير بان يكفى منه بالاعتذار، اذا فرضنا انه ارتكب بعض الاوزار، دع خدمته للدولة في عهد الصالح بينهما وبراءة الجن، بعد حرب استمرت عدة اجيال، سفكت فيها دماء مئات الالوف من الرجال، وضاعت بها القناطر المغنطرة من الاموال، ولم تسفد الدولة من ذلك فائدة ما، فكان ذلك الصالح من افضل الاعمال وانفعها للدولة ولأهل اليمن. ثم دع خدمته في قتال الجيش الايطالي في برقة

واذ كان هذا الاجتماع العظيم قد عقد لاجل التشاور في انصاف هذا الرجل، أو انقاذه من الخطر، قد جعل تحت رعاية الاستاذ الاكبر شيخ جامع الازهر، وشهده طائفة من اكبر علمائه، مع هذا الجمع العظيم من خواص البلاد - فالذي اراه وأفترحه هو أن ترسل برقية بامضاء الاستاذ الرئيس الى مولانا السلطان العظيم بخطابه فيها بعنوان الخلافة، وينتهيها بقوله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ﴾ ويطلب منه بان يؤخذ عبد العزيز بك المصري بما عساه ينسبه اليه ديوان الحرب من ذنب أو تقصير، لاخلاصه وسابق خدمته للدولة، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة حاطب، وبامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في امضاء سلب الجانوس لزهرة بن حوية وبسعد بن ابي وقاص في مسألة أبي محجن (رضي الله عنهم اجمعين) ويظهر له رغبته ورغبة هذا الجمع الكبير من علماء مصر وفضلائها في ذلك. واكبر ظني أن هذا هو أرجح ما يرجح نفعه في الاسكندرية.

هذا وانني اختم كلمتي بالشكر لكم ايها الفضلاء الذين تصدتم هذا المكان للسمي في انقاذكم من الهلاك فان هذا خدمة للانسانية، ومحافظة على حقوق البشر في الحياة والحربة، وقد قال الله تعالى ﴿ومن احياءنا احيا الناس جميعاً﴾ قال بعض مفسري السلف احياءها السمي في انقاذها من الموت . والسلام .

هذا وان لجنة الاجتماع لم تعمل بهذا الاقتراح لانها كانت قد وضعت صورة برقية باسم الصدر الاعظم تتضمن معنى شذاعة الامة المصرية بالرجل . فجاءها جواب من أنور باشا ناظر الحربية ، مخلصه ان المجلس الحربي مستقل تمام الاستقلال لا يطرأ عليه أقل تأثير !!

﴿ التعصب على المنار ﴾

هاج بعض غلاة التعصب على المسلمين هيجة شؤمي على المنار في هذا العام ، وجددوا السعي الى الوكالة البريطانية اولا وبالذات والى الحكومة المصرية ثانياً وبالتمع ، لتبش بصاحب المنار فتدفيه في غيابة السجن ، أو تدفيه من ارض مصر ، واستعانوا على محاربتهم وسمايتهم ببعض القسيسين وغير القسيسين ، من الاجانب والوطنيين ، واثقوا سموم تعصبهم في جرائد القبط وبعض الجرائد الانجليزية التي يحرر فيها بعض السوريين . وكان محض نار هذه الفتنة ، والمدير الاول لهذه المكيدة ، يوسف الحزن اللبناني الذي يمش من التحرير في جريدة الوطن القبطية ، وحريصة دوكير الفرنسية ، وهو هو الراسخ في بعض المسلمين الذي نقل عنه انه قال : انا صابحه مسلم تضطرب اعتصابه ، ولهذا لا تكاد تراه يبدأ مسلماً من معارفة بلصافحة .

قد عرف القراء مما كتبناه في الجزء الماضي شيئاً من خبر هذه الهيجة التعصبية على المنار ، ولعل أدباء القراء ظنوا ان ما كتبناه في الجزء الماضي قد اذن بما يتجلى فيه من حسن نيتنا نيرانهم ، واستخرج بحججه وسماحته اضعافهم ، كلاً انه لم يزد هم الا بغيّاً وعدواناً ، وسعاية وشاية وزوراً وبهتاناً ، فنحن ثبت من تاريخنا ومما كتبناه في المنار من أول نشأته الى الآن ، اننا طلاب تسامح ووفاق ، وهم يريدون أن يتبدلوا الشيء بضده فيوهوا من يسمع كلامهم أننا دعاة عداوة وافتراق ، نحقر النصارى وندعو المسلمين الى بغضهم وعداوتهم لاجل دينهم !!

حسب الانسان أن يعلم من نفسه ومن نيته السعي للخير ، والاخلاص في العمل ، فان كان يبالي باطلاع الناس على عمله ، ومظاهر حسن قصده ، لاجل الاسوة الحسنة ،

والتعاون على الخدمة العامة ، فحسبه أن يعرف أهل الاخلاص وحسن ائمة منه ما يعرفه من نفسه .

ونحن - ولله الحمد والمنة - اصحاب تاريخ معروف ، واثري في السعي الى الاصلاح والاتفاق مدون مطبوع ، يعرفه قراء العربية ، ولا يجهله خواص الامم الافرنجية ، وحسبك ما نوه به في العام الماضي اصحاب المجلة الفرنسية انصرية بتصر ، وجريدة فرنسا الاسلامية في باريس ، من حسن تأثير خدمة المنار في المسلمين بحملهم على التسامح والمدنية ، وما سموه « المدرسة العبدية » هو ما يشه المنار من مشرب شيخنا الاستاذ الامام من اثبات التسامح الاسلامي والدعوة اليه ، والتأليف بين قواعد الاسلام الثابتة ، وبين المدنية الصحيحة . وما قالته هاتان الصحيفتان اخيرا هو صدى ما كتب في جريدة الطان من بضع سنين في سياق الكلام عن مسلمي تونس ، وما كتبه لورد كرومر عن حزب الشيخ محمد عبده في تقريره الذي ذكره فيه عقب وفاته . وهل لمشرب الشيخ محمد عبده وآرائه مظهر عرفت به في الاقطار ، غير مجلة المنار ؟ بل نقول ان هذا المشرب مما اتفق فيه رأينا مع رأي الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يكن مما اختلفنا عنه ، ومالنا فيه من القول والسعي اكثر مما كان له ، ومن الشواهد على ذلك ما كتبناه في فاتحة العدد الاول من المنار ، وفي اول نبذة فيه بعد الفاتحة ، ولم تكن يومئذ تلقينا عن الاستاذ درسا ، ولا بسطنا معه في هذه المسألة وامثالها قولاً . قلنا في بيان خطة الصحيفة وما أنشئت لاجله ما نصه « ونحاول اقناع ارباب النحل المتباينة ، والمذاهب المختلفة ، ان الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان ، وان المعارضة والمناهضة ، والمناسبة والمواثبة ، تنضي الى خراب الاوطان وتقضي على هدي الاديان »

وبينت في النبذة التي بعد المقدمة ان لفظ الكفر لم يستعمل في الكتاب والسنة للاهانة ، بل لبيان حقيقة من الحقائق . وأنه يستعمل الآن في غير ما كان يستعمل من قبل ، ومنه ارادة السب والشتم ، فلا يجوز ان يوجه بهذا المعنى في الخطاب بدهاء أو وصف الى من حرم الشرع ابذاهم وجعل لهم حقوقا محترمة من المؤمنين والمعاهدين (الاجانب الذين بينهم وبين المسلمين عهد على ترك الحرب اي غير المحاربين) واستخرجت نصا من كتب الفقهاء على ذلك لا حاجة لاعادة ذكره هنا

بعد هذا التمهيد اقول ليوسف الخازن واصحاب الجرائد القبطية من غلاة التعصب ومبغضي المسلمين كيفما كانوا ولجميع من هو مثلهم من وطني واجنبي :

قولوا فينا ما شئتم ، وظنوا ما شئتم ، واعتقدوا ما شئتم ، وهيجوا من شئتم ،
ولتدب عقارب سمائكم الى من شئتم ، فتحن لا نبالي بكم ، ولا تأبه لرضاكم ولا
لسخطكم ، فمن أخطأ الى مثلكم فهو الذي يحسن منه ان يصر ولا يعتذر ، اذ لا
صارف لكم عن شيء من الشر ، الا مكاتكم من الضعف والعجز ، وها انتم اولاء
قد اجمعتم كيدكم ، وبذلتهم في سبيل ابذاتنا جهركم ، فما كنتم الا خائنين مخذولين
« ان الله لا يصالح عمل المفسدين » نعم لو كان ساسة الانكايير كساسة القبط في
عقولهم واخلاقهم ، وكان لورد كاتشر كيوسف الخازن في تعصبه وحنقه على
المسلمين ، لا فقل المنار ، وتفي صاحبه من هذه الديار ، وتبعه اقبال الازهر بعد
دار الدعوة والارشاد ، ولو رأيت من جمهور المشاريين لكم باقرب الدين مارأيت
منكم ، لقلت للمسلمين انه قد ظهر لي في السنة السابعة عشرة من دعوتي اياكم الى
الاتفاق والتعاون مع هؤلاء الناس على ترقية البلاد ، انهم لا يمكن ان ينفقوا معكم ،
ولا يرضيهم منكم الا خرواحكم من دينكم ، او اقامتكم فيه على خسف ، لاندفعون
عنه بحق ، ولا تقابلون محاولي ابطاله واخراجكم منه بالمثل ولا دون المثل ، ولكن من
فضل الله على عباده ان مثل هؤلاء النازلة قابل ، ولهذا لا نأس من خصلتنا ، ولا نرجع
عن قاعدتنا وهي (تعاون على ما اشترك فيه ، وبذر بعننا ايضا فيما نختلف فيه)

المسائلان الشرقية والصهيونية

ما تبسدت ثروة شريف باشا الكبير في مصر الا وكان بددها مكونا لثروات
جديدة لم تكن ، وممدا لثروات أخرى وزيدا فيها . ذهبت تلك الثروة الكبيرة
ممن عجزوا عن حفظها بله تميمتها ، اذ ايدي القادرين على ذلك . وكذلك تتبدد
الدول فتتألف من الكبيرة منها دول متعددة ، وتتمى وتتسع دول أخرى — سنة
الله في تغذي الاحياء بفرائسها ، من افراد الجنة (الميسكروبات) والهوام ، الى
جماعات البشر . ارقى انواع الحيوان .

ومن عجائب العبر ، في تفاوت همم البشر ، أن ترى كاتبا صغيرا في خدمة غني
كبير يطمع ان يرث ثروته او ينشئ لنفسه مثلها ، وذلك الغني يأس من حفظ ثروته
واستبقائها . وان تعجب من تكون ممالك البلقان واليونان والعرب والحبلى الاسود والالبان
من املاك الدولة العثمانية في أوربة ، وتغذي الدول الكبرى بأملأ كما في افريقية
وتفتح افواهن لا ابتلاع املاكها في آسية . فأعجب من ذلك كله تصدي جمعية من

يهود أدربة لتكوين دولة جديدة في البلاد المقدسة من هذه المملكة تتألف من مهاجرة فقراء اليهود المذرفين في جميع اطراف الارض بمساعدة هذه الجمعية ؟ فكيف تسموهم جمعية أسسها رجل من اليهود الى تكوين دولة من اوزاع المهاجرين الفقراء في بلاد تتنازع على شبر الارض فيها اقوى الامم والدول ، وتسفل هممة اصحاب هذه البلاد عن حفظها لانفسهم ، ددع سمو الهمة الى تأسيس ملك جديد ، في قطر قريب او بعيد . وهكذا نموت الناس ونحيا ، وهكذا تردى وترقى ، واسباب ذلك ظاهرة لا محل هنا لشرحها ، وكلها تدور حول العلم او الجهل ، وعلو الهمة او وطوؤها ، وكبر انقاص وصغرها . « والعلم ما يعرفك من انت ممن معك »

علم الصهيونيون ان الدول الكبرى لا يسمحن لواحدة منهم بامتلاك مهيمن الوحي ومصدر الدين الموسوي والعيسوي وانه اذا زال ملك الترك من بلاد فلسطين فلا بد ان تكون مستقلة تحت حماية جميع الدول (وهذا رأي بعضهم في الحجاز ايضا) فطمعوا في ارضاء الدول بأن تحل اشكال التنازع بين الدول والمذاهب المسيحية بأن يكون اليهود هم اصحاب امانك في هذه المملكة ، بل طمعوا ايضا في ارضاء جمعية الاتحاد والترقي بذلك ، بل يزعمون انهم اقربوا به فهي تساعدكم على التمهيد له لتقطع الطريق على العرب وتكثر خصومهم في بلادهم ، ولا محل هنا للبحث في اثبات هذا القول او نفيه ، وانما جئنا بهذه المقدمة كإلّا لاجل تذكير الذين اكثروا القول في المسألة الصهيونية من كتاب العرب بأنهم ما فتئوا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها .

يجب على زعماء العرب اهل البلاد احد امرين . اما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ان امكن - وهو ممكن قريب اذا دخلوا عليه من باب ، وطلوه بأسبابه - ولما جمع قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة ، وأولها تأليف الجمعيات والشركات ، وآخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالنوة - وهو ما نحدث به بعضهم على ان يكون اول ما يعمل ، وانما هو السكي - والسكي آخر العلاج كما يقال .

﴿ السيدة نُمَى آل رضا ﴾

في النصف الثاني من ليلة الاحد سادسة ليالي شهر ربيع الانور وهبنا الله تعالى بنتاً سميناً نُمَى ، والله نسأل ان يحقق معنى الاسم في المسمى ، وقد قاتسا ان نذكر ذلك في الجزء الماضي .

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المائدة
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

﴿ قل عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

٣٠ جمادى الأولى ١٣٣٢ هـ ٨ ربيع الثاني ١٣٩٢ هـ ٢٥ أبريل ١٩١٤

فَتَاوَى الْمُنَارِ

انتبهوا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس طاعة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وسمه (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قدمنا متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا خفاله

﴿ حديث صحيفة علي كرم الله وجهه ﴾

(ص ١٢) من صاحب الامضاء بمصر

سيدي الاستاذ الفاضل والعلامة الكبير صاحب المنار الأغر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبمد) فأرجوكم شرح حديث علي الذي
نقلتموه في (ص ٨٣ م ١٦) من المنار وقوله فيه (وما في هذه الصحيفة - العقل وفكك
الأسير ولا يقتل مسلم بكافر) فما الذي تعرفه عن هذه الصحيفة ؟ وأين هي ولماذا
أهمها المسلمون ؟ وهل ما فيها متفق عليه في جميع المذاهب ؟ وإن لم يكن متفقاً عليه
فلم ذلك ؟ ولماذا امر صلى الله عليه وسلم بكتابتها مع أنه نهى عن كتابة شيء عنه
غير القرآن ؟ ومق امر بكتابتها ومن كتبها وأين ؟ وكيف لا يقتل المسلم بالكافر .
فالرجاء الاجابة الشافية عن كل هذه الاسئلة كما مدتكم حتى لا نحتاج لمزيد بيان بعد ذلك
(المخلص محمد توفيق صدقي)

(ج) الحديث رواه الجماعة أحمد والشيخان وأصحاب السنن بألفاظ متقاربة . أما البخاري
فقد روى الحديث عن أبي جحيفة في كتاب العلم بلفظ قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟
قال : لا الا كتاب الله ، أو فهم اعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة . قلت :
وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر . ورواية
الكشيبي « وان لا يقتل » الخ

وفي باب فكك الأسير من كتاب الجهاد بلفظ : قلت لعلي هل عندكم شيء من
الوحي الا ما في كتاب الله ؟ قال : لا والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، ما أعلمه ،
الا فهم اعطيه الله رجلاً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة . قلت : وما في هذه
الصحيفة ؟ قال العقل وفكك الأسير وان لا يقتل مسلم بكافر .

وفي باب الديات بلفظ : سألت علياً رضي الله عنه : هل عندكم شيء مما ليس في

القرآن ؟ - وقال ابن عبينه مرة : مما ليس عند الناس . فقال : والذي فاق الحجة وبرأ النسبة ، ما عندنا الا ما في القرآن ، الا فهماء يعطى رجل في كتابه وما في هذه الصحيفة . قلت وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكك الاسير الخ

ورواه في باب حرم المدينة من كتاب الحج عن ابراهيم التيمي عن ابيه بلفظ : عن علي (رض) قال : ما عندنا شيء الا كتاب الله ، وهذه الصحيفة عن النبي (ص) « المدينة حرم ما بين عائر الى كذا من احدث فيها حدثا ، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل (وقال) ذمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن تولى بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل »

وفي باب ذمة المسلمين من كتاب الجزية بلفظ « خطبنا علي فقال : ما عندنا كتاب نقرأه الا كتاب الله وما في هذه الصحيفة . قالوا وما في هذه الصحيفة ؟ فقال فيها الجراحات واسنان الابل ، والمدينة حرام ما بين عائر الى كذا ، فمن احدث فيها حدثا أو آوى فيها محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل . ومتى تولى بغير مواليه فعليه مثل ذلك . وذمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلما فعليه مثل ذلك .

وفي باب إثم من عاهد ثم غدر بلفظ : عن علي قال : ما كتبنا عن النبي (ص) الا القرآن وما في هذه الصحيفة . قال النبي (ص) « المدينة حرام ما بين عائر الى كذا ، فمن احدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه عدل ولا صرف . وذمة المسلمين واحدة يسمي بها ادناهم ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن والى قوما بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل »

وفي باب إثم من تبرأ من مواليه بلفظ : ما عندنا كتاب نقرأه الا كتاب الله غير هذه الصحيفة (قال) فأخرجها فاذا فيها اشباه من الجراحات واسنان الابل (ر ١) وفيها المدينة حرام الخ (وذكر مسألة الولاء فمسألة الذمة بمثل ما تقدم)

وفي باب كراهة التعسق والتنازع والغلو في الدين من كتاب الاعتصام بلفظ : خطبنا علي على منبر من آجر فقال « والله ما عند من كتاب يقرأ الا كتاب الله

وما في هذه الصحيفة ، فنشرها فاذا فيها اسنان الابل ، واذا فيها المدينة حرم من من غير الى كذا ، فمن احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله - ... واذا فيه : ذمة المسلمين واحدة يسمى بها ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه واذا فيها : من والى قوما بغير اذن مواليه فعليه (الا انه قال) : لا يقبل الله منه صرقا ولا عدلا .

وروايات مسلم واصحاب السنن بمعنى روايات البخاري ، وصرح مسلم بحديثي المدينة وهما غير وثور (جيلان) قال الحافظ في فتح الباري في الكلام على حديث علي من طريق ابراهيم التيمي عن ابيه :

« وسبب قول علي هذا يظهر مما اخرجه احمد من طريق قتادة عن ابي حسان الاعرج أن عليا كان يأمر بالامر فيقال له « فعلناه » فيقول : صدق الله ورسوله . فقال له الا شتر : إن هذا الذي تقول اهو شيء عهدك اليك رسول الله (ص) ؟ فقال ما عهد الي شيئا خاصة دون الناس الا شيئا سمعته منه فهو في صحيفة في قراب سيفي . فلم يزالوا به حتى اخرج الصحيفة فاذا فيها - فذكر الحديث - وزاد فيه « المؤمنون تكافأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم . ألا لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده (وقال فيه) ان ابراهيم حرم مكة واني أحرم المدينة ما بين حراتيها وحماها كله ، لا يختل خلاها ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها ، ولا يقطع منها شجرة ، الا ان يعلق رجل بعيره ، ولا يحمل فيها السلاح لقتال » والباقي نحوه . وذكر في موضع آخر ان سبب سؤال علي زعم بعضهم ان النبي خصه بشيء دون الناس .

وقال في الكلام على حديثه في باب لائم من تبرأ من غير مواليه : وكان فيها ايضا ما مضى في الخمس من حديث محمد بن الحنفية ان اباة علي بن ابي طالب ارسله الى عثمان بصحيفة فيها فرائض الصدقة ، فان رواية طارق بن شهاب عن علي في نحو حديث الباب عند احمد انه كان في صحيفته فرائض الصدقة .

وقال الحافظ : ان الصحيفة كانت مشتملة على كل ما ورد . أي فكان يذكر كل راو منها شيئا ، إما لاقتضاء الحال ذكره دون غيره ، وإما لان بعضهم لم يحفظ كل ما فيها او لم يسمعه . ولا شك انهم نقلوا ما نقلوه بالمعنى دون التزام اللفظ كله ، ولذلك وقع الخلاف في الفاظهم . ولم يقل الرواة أنه قرأها عليهم برمتها حفظوها او كتبوها عنه ، بل تدل الفاظهم على أنه كان يذكر ما فيها او بعضه من حفظه ، ومن قرأها لهم كلها أو

بعضها لم يكتبوها بل حدثوا بما حفظوا ومنه ما هو من لفظ الرسول (ص) ومنه ما هو اجمال للمعنى كقوله « العقل وفكك الاسير » فان المراد بالعقل دية القتل وسميت عقلا لأن الاصل فيها ان تكون ابلا تعقل اي تربط بالعقل في فناء دار المقتول أو عصيته المستحقين لها . وقوله « اسنان الابل » في بعض الروايات معناه ما يشترط في اسنان ابل الدية او الصدقة . وفكك الاسير ما يفك به من الاسر من فداء او مال . ففي الصحيفة بيان ذلك ، لا لفظ « العقل » وفكك الاسير ، واسنان الابل . • وجلة القول اتنا لا نعلم ان احدا كتب عن أمير المؤمنين ما كان في تلك الصحيفة بنصه ، ولا انه هو كتبها بأمر النبي (ص) لانه قال في رواية قتادة عن أبي حسان انه سمع شيئا فكتبه

واما كتابة الصحيفة مع ما ورد من النهي عن كتابة شيء عن النبي (ص) غير القرآن، فيقال فيه ان النهي عن الكتابة معارض بالامر بها كحديث « اكتبوا لابي شاه » وغيره ، والكتابة لاهل اليمن ، وكتاب الصدقات الذي كتبه ابو بكر (رض) الى انس لما وجهه الى البحرين أي عاملا على الصدقة . فانه قال فيه « ان هذه فريضة - وفي رواية فرائض - الصدقة التي فرض رسول الله (ص) على المسلمين والتي أمر الله بها رسوله » الخ رواه الشافعي واحمد والبخاري وابو داود والنسائي وغيرهم . وروى ابو داود والترمذي وابن ماجه عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب (رض) قال : كتب رسول الله (ص) كتاب الصدقة فلم يخرج به الى عماله حتى قبض فقرنه بسيفه . فعمل به ابو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض » الخ هذا لفظ ابي داود ثم بينه بنحو حديث انس مختصرا ولم يذكر الزهري البقر . وفي رواية عن يونس بن يزيد عن الزهري قال هذه نسخة كتاب رسول الله (ص) الذي كتبه في الصدقة وهو عند آل عمر بن الخطاب . قال ابن شهاب أقرأ بها سالم بن عبد الله ابن عمر فوعيتها على وجهها » ثم ذكر ان عمر بن عبد العزيز انسخها . وقد تفرد بوصل هذا الحديث سفيان بن حسين وهو من رجال مسلم الا انه ضعيف فيما يرويه عن الزهري خاصة ، وتابعه سليمان بن كثير من رجال الصحيحين . وفي رواية ابي داود لحديث انس ان الكتاب كان عليه ختم رسول الله (ص) وغير ذلك مما ورد في الكتابة .

فمن الناس من يجعل الاذن ناسخا ومنهم من يجعل احد النصين مطلقا والاخر مقيدا كتقييد كون الكتابة عنه لتبليغ نصها والتعبد بلفظها عنه كالقرآن ، لئلا يشبهه

بعض الناس ، فيمتنع التنافي بينهما حينئذ . وقد سبق للمنار البحث في ذلك كما يعلم السائل
واما الاخذ بالاحكام المروية عن تلك الصحيفة : هل هو متفق عليه أم لا ؟
جوابه أن العلماء لم يتفقوا على العمل بها ، فمنهم من لم يحرم المدينة كـ مكة ، ومنهم
من يقول : يقتل المؤمن بالكافر كالحفنية . ومن خالف من العلماء شيئا مما في الصحيفة
فإنه من الدليل المعارض له ما يراه مرجحا عليه ، كاحتجاجهم باقرار النبي (ص)
لمن صاد الثغر (طائر احمر المنقار كالمصفور) على جواز صيد المدينة ، على ان
تلك واقعة حال مجهول تاريخها ، واحتجاجهم على قتل المؤمن بالكافر بان النبي
(ص) قتل مسلما بـ معايد وقال « انا اكرم من وفى بذمته » رواه البيهقي من
حديث عبد الرحمن البيهقي مرسلا وهو ضعيف . ويقول في بعض روايات حديث
الصحيفة وفي احاديث أخرى « لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده » قالوا
معناه المناسب لمطافه على منع قتل المؤمن بالكافر - : ولا يقتل معايد حال كونه في
عهده لم ينقضه بكافر . وحينئذ يكون المراد بالكافر الحربي ، اي من كان محاربا
للمسلمين بالفعل او بالقوة بان لم يكن بينه وبينهم عهد ولا ذمة . لان المعاهد والذمي لا
يقتل بالحربي اجماعا ، وبمهوم ادلة الفصاح ، وليس هذا محل تحرير هذا البحث ، وانك
تجد تحرير الادلة فيه من غير تعصب في (فتح الباري) و (نيل الاوطار)

فمن صح عنده قتل المسلم بالكافر فله ان يعده من عجائب مبالغة الاسلام في العدل
والمساواة ، ومن صح عنده خلافه فلا يراه بدعا في اعمال الامم الفاتحة ، والزمن
زمن الاحكام العرفية او العسكرية ، بل ترى الافرنج لا يقبلون ان يكونوا مساوين
لأمم الشرق والجنوب في الدماء لا في البلاد التي يفتحونها فتحا حريا ولا سلميا
ولا في البلاد التي يكونون فيها - نزلاء معايدين كالضيوف . اما احكامهم العرفية
فحسبك نموذجا منها ما جرى في (دنشواي) من هذه البلاد من تمزيق جلود بعض
المصريين بالضرب المبرح بالسياط ذات العقد ، ثم شقهم وصلبهم على أعين الناس من
رجال ونساء وأطفال من أهلهم وغير أهلهم ، لانهم نجروا على بعض عسكر الانكليز
الذين صادوا حمامهم عن يادهم بالمقاومة والضرب المعتاد الذي لا يقصد به القتل ،
ولا يقتل مثله . هذا وقد اشتهر الانكليز بأنهم أعدل الاوربيين وأقربهم الى الرحمة .
وحجة الافرنج في تمييز انفسهم على الشرقيين أنهم ارقى منهم عدلا وفضيلة ، وهكذا
كان المسلمون فوق جميع الامم عدلا وفضيلة بشهادة جميع مؤرخي الامم . وانما
ذكرت السائل بمسألة الاحكام العرفية وبهذا الشاهد منها ، وبما تعاملنا به الافرنج

في بلادنا ، ليحتاج به من يجادل في أمثال هذه المسائل من المخالفين أو متفرنجة المسلمين ، محجوبين بنظريات الحقوق عن سيرة العالم العملي . ومن لم يسدل على نظره هذا الحجاب يقول كما قال غوستاف لوبون الحكيم الفرنسي « ماعرف التاريخ فأنحأ أعدل ولا أرحم من العرب » وكذا سائر المسلمين كانوا في فتوحاتهم أعدل وأرحم من غيرهم وإن كانوا دون العرب .

دليل منع الحائض من الصلاة وحكمته

(س ١٣) من صاحب الامضاء في (هيا - شرقية)

سيدي الاستاذ الرشيد المرشد

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد قرأت مباحثكم الرائقة الحكيمة في موضوع الوضوء والطهارة في المنار فأعجبني جدا ، واستفدت منها الشيء الكثير ، فجزاكم الله عني وعن الاسلام والمسلمين خير الجزاء . واني لمناسبة هذا المقام لسؤال عندي قديم ، أنهر هذه الفرصة لابديه ، عسى ان تتكرموا بالجواب على طريقتم المصرية فأقول :

هل سقوط فريضة الصلاة عن المرأة وهي حائض أو في تقاس من الاشياء المجمع عليها بين جميع فرق المسلمين ، واذا كانت كذلك أو كانت صحيحة فلم لم تذكر في القرآن مع أنه تعالى نهي عن الجماع في الحيض فكان من باب أولى أن ينهى عن الصلاة في مثل هذه الحالة لو كان أراد سبحانه وتعالى ان يكون النهي لكل زمان ومكان ، كما ذكر مسوغات عدم الحج بقوله (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) ومسوغات عدم الصيام او بالأحرى ما يمنع الصيام بقوله تعالى (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر)

لم تذكر موانع للصلاة مطلقا وإنما ذكرت أعمال يؤتى بها قبل الشروع فيها ، فلا الخوف من الاعداء أو غيرهم في الحرب أو غيرها مسوغاتك أو تأجيل الصلاة ، فكيف يكون دم الحيض وهو ذلك الدم الذي يتغذى منه الجنين في بطن امه مانعا من الصلاة ؟ فإن صح ان يقال انه نجس ، يصح ان يقال ان جسم الطفل بل جسم كل انسان نجس ، لأن اصله من ذلك الدم

العلم الحديث لم يثبت ان في دم الحيض عناصر خبيثة في ذاتها بل اثبت ان الانيان اثناء وجوده ضار جدا بالمرأة ، لأن أعضائها التناسلية تكون في حالة احتقان ، والاعوية الدموية فيها تكون متمددة ، فيسهل حصول نزيف بسبب

حركة عنيفة، كما يسهل جدا دخول مكروبات الامراض، فتحدث التهابات موضعية وغيرها قد تذهب بحياة المرأة أو تورثها العقم الدائم مع الآلام الشديدة، ولا سيما عند مجيء الحيض في كل شهر. والرجل لا يخلو أيضا من الضرر، فقد يدخل بعض السائل من الحيض في مجرى البول من القضييب فيحدث التهابا يشبه السيلان وهذا كله ينطبق على قوله عز وجل (ويسألونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن، فإذا تطهرن فأنوهن من حيث أمركم الله، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)

فان هذا من نهي الحائض عن الصلاة وهي عماد الدين؟ ومثلها في طهارة الارواح كمثل الماء في طهارة الاجسام، على ان حركاتها من قيام وركوع وسجود لا تضر الحائض غالبا، وان خيف منها الضرر فيمكن أن تؤتى بشكل خال من كل مضرة. وليكن أخذ ذلك من قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين. فان خفتم فرجالا أو ركباناً. فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون)

الحيض لا يمكن اعتباره الا مرضا شهريا من اخف الامراض فلم تؤمر المرأة بالصلاة في أشد الامراض وأكثرها اذى لها ولغيرها وتنتهي عنها في الحيض الذي لا ينهي عن القيام بأكثر أعمالها اليومية؟ فأرايكم دام فضلكم

المستفيد من علمكم والمستضيء بمناركم

الدكتور عبده ابراهيم

(ج) قل الحفاظ إجماع المسلمين على ان الحائض لا يشرع لها الصلاة ولا الصيام، وانها تقضي الصيام دون الصلاة. الا انهم نقلوا ان سمرة بن جندب من الصحابة (رض) كان يقول بمطالبة المرأة بقضاء الصلاة أيضا فأنكرت ذلك عليه ام المؤمنين ام سلمة (رض) ونقلوا أيضا مثل ذلك عن بعض الخوارج ولم يعتدوا به ولا رأوه مخلا بالاجماع. وأما مخالفة سمرة فهي تحرق الاجماع، وظاهر كلامهم انه رجع الى قول ام سلمة لأن امهات المؤمنين هن القدوة فيما يروينه من هذه الاحكام المتعلقة بالنساء، اذ لا يجوز ان يوجب الله على النساء قضاء الصلاة ولا يأمرهن به النبي (ص) بل لا يجوز منه السكوت عن ذلك أو إقرارهن عليه. وقد جعل العلماء حجة الاجماع على ذلك ما ورد فيه من الحديث

ويمكن ان يستنبط الدليل من القرآن على منع الحائض من الصلاة، فانه تعالى قد اشترط الطهارة للصلاة، والطهارة متعذرة على الحائض مع استمرار سببها وهو نزول الدم. أما الطهارة المشترطة للصلاة إجماعا فهي الوضوء من الحدث الاصغر والغسل من الحدث الاكبر، وأما المشترطة عند الاكثرين فقط فطهارة البدن

والثوب والمكان . وقد صرح القرآن في آيتي الوضوء والتيمم بأن طهارة الجنب الغسل، والحائض ملحقة بالجنب لأن حدثها كحدثه في تأثيره في الروح والجسد، كلاهما يحدث في الجسد ضرباً من الضعف والفتور يزيله تعميم البدن بالماء كما يناله في حكمة الوضوء والغسل، وكلاهما يضعف الروحانية . وقد ثبت في السنة والاجماع القولي والعملي المتواترين أن المراد بقوله تعالى في بيان طهارة الحيض (فاذا تطهرن) فاذا اغتسلن، فطهارتهن الغسل بالكتاب والسنة والاجماع، وهي متعذرة مع وجود سببها وإنما تجب بزواله، فاذا تعذرت الطهارة تعذرت الصلاة شرعاً لأنها مشروطة بها . وتتعذر عليها الطهارة من الخبث كما تتعذر عليها الطهارة من الحدث، فإن الدم نجس شرعاً وعرفاً لأنه مستفذر جداً باتفاق الطباع السليمة من كل الأمم . ولا يلزم من نجاسته نجاسة الجنين الذي يتغذى به، كما لا يلزم أن يكون النبات الذي يتغذى بالعذرة والروث وغيرهما من الاقذار نجساً، فالنجاسة في الشرع والعرف لا تبني على قواعد الطب، فإن جميع ادباء البشر بل جميع طبقاتهم تستقدر المطلق بالدم وتعاف مجالسته وهو أكلته ومصاحبته، وإن لم يضرهم ذلك الدم بفساد صحتهم عليهم، وخروج المني يوجب الغسل وهو طاهر عند بعض الأئمة . وصرح الفقهاء بأن الدم وغيره لا يحكم بنجاسته في معدنه من البدن بل بعد خروجه . ومتى خرج دم الحيض صار قذراً ولم يعد غذاءً للجنة

وقد علم مما تقدم أن ما ثبت في السنة العملية والاجماع من سقوط الصلاة عن الحائض له مأخذ ما من القرآن، والقرآن لم يبين أحكام الصلاة التفصيلية بل تركه لبيان النبي (ص) الذي خاطبه بقوله (وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) إذ يشمل هذا بيان الذكر المنزل وتبليغه، وبيان الجمل منه، وما يستنبط من دقائق تعبيره وأساليبه - كاستنباط النبي (ص) تحريم الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة من قوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) بجعل الاسراف في لزوم الشيء ومتعلقاته كالاسراف فيه نفسه، واستنباطه تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها من تحريم الله الجمع بين الاختين، لاتحاد العلة، واطراد الحكمة .

ولم نذكر في سياق هذا الاستدلال ما عليه السواد الأعظم من المسلمين من تحريم قراءة القرآن على الجنب والحائض، والقرآن ركن من أركان الصلاة لا تقام بدونه، لأنه وقع فيه خلاف ما . ولهذا مأخذ من القرآن وإن لم يكن نصاً فيه، وهو قوله تعالى (لا يعسه إلا المطهرون)

وجملة القول أن الصلوة أكمل العبادات إذا لم تصح مع الجنابة فلا تصح مع الحيض بالأولى، وكلا السائلين فيهما من أسباب النسل . والحيض مرض قد تضر

معه الصلاة كما قلتم ، والفرق بينه وبين سائر الامراض التي تسقط معها الصلاة انه طبيعي دائم وسائر الامراض ليست كذلك ، وهي خلاف الاصل ومقتضي الطبيعة المعتدلة . واذا اسقطها الشرع عن المرأه تخفيفا عليها ، فان لها من العبادة المزكية للروح ما لا يشترط فيه ما يشترط فيها وهو ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان والتفكير في خلق السموات والأرض (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر)

*) حقيقة الاعجاز

اما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن ، وما حققناه بعد البحث ، واتمهنا اليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر وإنضاج الروية . وما استخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه واطراد أسلوبه . ثم ما تعاطيناه لذلك من التنظير والمقارنة واكتناه الروح التاريخية في اوضاع الإنسان وآثاره ، وما نتج لنا من تتبع كلام البلقاء في الأغراض التي يقصد اليها ، والجهات التي يعمل عليها ، وفي رد وجوه البلاغة الى اسرار الوضع اللغوي التي مرجعها الى الإبانة عن حياة المعنى بتركيب حي من الألفاظ يطابق سنن الحياة في دقة التأليف وإحكام الوضع وجمال التصوير وشدة الملاءمة . حتى يكون اصغر شيء فيه كأكبر شيء فيه - تقول : ان الذي ظهر لنا بعد كل ذلك واستقر معنا أن هذا القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه . فهو امر لا تبلغ منه الفطرة الانسانية مبلغاً . وليس الى ذلك مأثي ولا جهة . وانما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع . وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغاً من ذوب تلك المواد كلها . وما نظنه الا الصورة الروحية للإنسان . اذا كان الإنسان في تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله .

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب . ومعجز في أثره الانساني ، ومعجز في حقايقه . وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الانسانية في شيء ، فهي باقية ما بقيت .

(* فصل من الجزء الثاني من كتاب آداب لغة العرب لمصطفى صادق افندي الرافي

وقد اشرنا اليها في بعض الفصول المتقدمة، على انها ليست من غرضنا في هذا الباب. وانما مذهبنا بيان اعجازه في نفسه من حيث هو كلام عربي. لاننا انما نكتب في تاريخ الآداب. ونحن في كل ما نضعه من هذا الكتاب إنما نسلك الجانب الضيق من الطريق. ونقتص الأثر الطامس، ونلتزم الخطة التي تحمل عليها النفس حملاً. وقد كان فيما قدمناه بل فيما دونه مقنع لو آثرنا ما تستوسطه النفس. وعطفنا على ما تنازع اليه من السكون، كما انتهت الى حجة واضحة واستبانة لأئمة مسفرة، ولكننا نمضي ما اعتزمنا فاللهم عونك واللهم عونك.

هذا ولا بد لنا قبل الترسل في بيان ذلك الإعجاز ان نوطى بنبذ من الكلام في الحالة اللغوية التي كان عليها العرب عند ما نزل القرآن فسنقلب من كتاب الدهر ثلاث عشرة صفحة تحتوي ثلاثة عشر قرناً لتصل بذلك العهد. حتى نخبر عنه كأننا من اهله وكأنه رأي العين. وانما سبيل الصحة فيما نحن فيه أن يشهد عليه الشاهد ان العين والأذن إذ كان من شأنهما ان لا تثبت دعوى في حادثة دون ان يشهد عليها احدهما او كلاهما.

بلغ العرب في عهد القرآن مبلغاً من الفصاحة لم يعرف في تاريخهم من قبل. فان كل ما وراءه انما كان ادواراً من نشوء اللغة وتهذيبها وتنقيحها واطرادها على سنن الاجتماع، فكانوا قد اطلوا الشعر وافتتوا فيه وتوافى عليه من شعرائهم افراد معدودون، كان كل واحد منهم كأنه عصر من تاريخه، بما زاد في محاسنه وابتدع من اغراضه ومعانيه، وما نقض عليه من الصبغ والرونق. ثم كان لهم من تهذيب اللغة واجتماعهم على نمط من القرشية يروونه مثالا لكمال الفطرة الممكن ان يكون، واخذهم في هذا السمت ما جعل (الكلمة) نافذة في اكثرهم، لا يصدها اختلاف من اللسان، ولا يعترضها تناكر في اللغة، فقامت فيهم بذلك دولة الكلام، ولكنها بقيت بلا ملك حتى جاءهم القرآن.

وكل من يبحث في تاريخ العرب وآدابهم وينفذ الى ذلك من حيث تنفذ به الفطنة وتتأني حكمة الاشياء، فانه يرى كل ما سبق على القرآن من امر الكلام العربي وتاريخه انما كان توطيداً له، ونهيشة لظهوره، وتناهيها اليه، ودربة لاصلاحهم به،

وليس في الارض امة كانت تربيتها لغوية غير اهل هذه الجزيرة ، فما كان فيهم كالبيان آتقَ منظراً وأبدع مظهراً ، وأمدَّ سبباً الى النفس ، وارتدَّ عليها بالعاقبة ، ولا كان لهم كذلك البيان ازكى في ارضهم فرعا ، واقوم في سمائهم شرعا ، واوفر في انفسهم ريعا ، واكثر في سوقهم شراءً وبيعاً . وهذا موضع عجيب للتأمل ما ينفد عجبنا على طرح النظر وإبعاده ، وإطالة الفكر وترداده ، واي شيء في تاريخ الأمم اعجب من نشأة لغوية ، تنتهي بمعجزة لغوية ، ثم يكون الدين والعلم والسياسة وسائر مقومات الأمة مما تنطوي عليه هذه المعجزة ، وتأتي به على اكمل وجوهه واحسنها ، وتخرج به للدهر خير امة كان عملها في الأمم صورة اخرى من تلك المعجزة ؟ هذا على انه - كما علمت - انشأهم على الكبر ، ولم يجبر معهم على المألوف من مذاهب تربية الأمم ، ولا هو كان طباقاً لروح الأخلاق التاريخية فيهم التي تظهرها العادات على كل دين وشريعة وسياسة ، إذ كانت ميراث الدهر ، وكانت مستقرة في كل عرق سار ، وفي كل شبه نازع . وكانت روح المجموع لا تكون الا منها ، ولا تعرف الا بها ، ولا تظهر الا فيها . فما عدا ان سفه احلامهم ، ونكس اصنامهم ، وازرى عليهم وعلى آباؤهم الأولين وقام على رؤسهم بالتقريع والتأنيب ، وهم اهل الحمية والحفاظ ، واهل النفوس التي تصب كاللغاتي في الالفاظ ، ثم ذهب بطريقة كانت لهم معروفة ، وعادات كانت لهم مألوقة ، وارسلهم في طريق العمر الى الفناء ، فكأنما طلع بهم من اولها ، وكأنهم بعد ذلك على آدابه نشأوا وهم اغفال واحداث ، بل كأنهم سلالة اجيال كانت القرآن في اوليتهم المتقدمة فكانوا هم الوارثين لا الموروثين ، والناشئين لا المنشئين ، مصداقاً للحديث الشريف « خير القرون قرني ثم الذي يليه » . ولعمرك ان هذا لعجيب ، وليس اعجب منه إلا ان اول جيل انسل من هؤلاء القوم كان هو الذي تناول مفتاح العالم فأداره ، وقد خرج للغاية التي جاء بها القرآن ، وكأنه دارمها في الاصلاب دهرا طويلا ، حتى احكمته الوراثة الزمنية ، وردت عليه من الطباع ما لا يتهيأ الا في سلالة بعد سلالة وجيل بعد جيل ، من قوم قد مروا منذ اولهم في ادوار الارتقاء . على سنن واضح وطريق نهج ، لم ينتقض لهم في (المنار - ج ٥) (٤٤) (المجلد السابع عشر)

اثناء ذلك طبع من طباع الاجتماع . ولا رذات شيمة ، ولا التوت طريقة ، ولا سقطت مروءة ، ولا ضل عقل ، ولا غوت نفس . ولا عرض لهم بنغي ولا افسدتهم عادة . وابن هذا كله او بعضه من قوم كانوا بالامس عاكفين على الاوثان يأكل بعضهم بعضاً ، ولهم العادات المرذولة ، والعقائد السخيفة . والطباع الممزوجة الى غيرها مما يحمل عليه الإفراط فيما زعموه فضيلة . كحمية الأنف واستقلال النفس . ومما كان من عكس ذلك كالتسليم للعادة والالتقياد لطبيعة التاريخ . والمضي على ما وجدوا ثم الموت على ما ولدوا ؟ لا جرم ان في ذلك سرا من اسرار الفطرة . فلولا ان اكبر الأمر بينهم كان للفصاحة واساليبها بما استقام لهم من شأن الفطرة اللغوية وما بلغوا منها كما فصلناه في بابها ، حتى صارت هذه الأساليب كأنها اعصاب نفسية في اذهانهم . تنبعث فيها الإرادة بأخلاق من معاني الكلام الذي يجري فيها . وتعترضهم على اخلاقهم وطباعهم فتصرفهم في كل وجه . كأنها إرادة جبار معتزم لا يلوي ولا يستأني ولا يتبدد . ولولا ان القرآن الكريم قد ملك سر هذه الفصاحة وجاءهم منها بما لا قبل لهم برده . ولا حيلة لهم معه . مما يشبه على التمام اساليب الاستهواء في علم النفس . فاستبد بإرادتهم ، وغلب على طباعهم . وحال بينهم وبين ما نزعوا اليه من خلافه . حتى انعقدت قلوبهم عليه وهم يجهدون في تقضها . واستقادوا الدعوته وهم يبالغون في رفضها . فكانوا يفرون منه في كل وجه ثم لا ينتهون الا اليه . لأنه اخذ عليهم بفصاحته وإحكام اساليبه جهات النفس العربية . والمكابرة في الأمور النفسية لا تتجاوز اطراف الألسنة . فإن اللسان وحده هو الذي يستطيع ان يتبرأ من الشعور ، إذ هو أداة مغلبة تتعاورها الألفاظ . والألفاظ كما يرمى بها في حق او باطل ، لا تمتنع على من ارادها لأحدهما اولهما جميعاً ،

قلنا لولا ان ذلك على وجهه الذي عرفت لما صار امر القرآن الى اكثر مما ينتهي اليه امر كل كتاب في الأرض . بل لما كان له في اولئك العرب امر البتة ، لأنهم قوم أميون قد تأثلت فيهم طباع هذه الأمية ، وكان لهم الشيء الكثير من العادات والأخبار والتواريخ . وبينهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى . ثم هم لم يعدموا الحكماء من خطبائهم وشعرائهم ، ومن جنح الى التأله منهم . كامية بن ابي

الصلت وقس ابن ساعدة وغيرهما .

وما جاءهم القرآن بشيء لا يفهمونه ولا يثبتون معناه على مقدار ما يفهمون ، ولا كان هذا القرآن كتاب سياسة ولا نظام دولة ، ولو كان أصراً من ذلك ما حفلوا به ولا استدعى هو منهم الإجابة ، لأن لم منزعا في الحرية لم تغلبهم عليه دولة من دول الأرض . ولا أفلح في ذلك من حاوله من ملوك هذه الدول في الأكسرة والقيصرية والتبابعة . بل خلقوا عرباً يشرقون ويغربون مع الشمس حيث أرادوا وحيث ارتادوا . وهم على ذلك لم يجمعهم ولم يخرجهم الى الدنيا ولم يقلبهم على تصارييف الأمور غير القرآن .

فلو ان هذا القرآن غير فصيح ، او كانت فصاحته غير معجزة في اساليبها التي ألقيت اليهم . لما نزل منهم على الدهر منالا ، ونالا منه موضعه الذي هو فيه ، ثم لكان سبيله يذنبهم سبيل القصائد والخطب والأقاصيص ، وهو لم يخرج عن كونه في الجملة كأنه موجود فيها بأكثر معانيه . قبح ان يوجد بالفاظه واساليبه ، ثم لنقضه كلمة كلمة وآية آية . دون ان تتخاذل ارواحهم . او تتراجع طباعهم . ولكن لم وله شأن غير ما عرف . ولكن الله بالغ امره .

وقد اومأنا في بعض ما سلف الى ان هذا القرآن يكبر ان يكون حيا بروح عصره الذي أنزل فيه . فلا يستطيع من يقول باعجازه ان يقصره على زمن الجاهلية ، او يتعلل في ذلك . وهو بعد من الأحكام والسو وشرف الغاية وحسن المطابقة ، بحيث تتعرف منه روح كل أمة قد فرغت الأمم واستولت على الأمد التاريخي ، ونالت ما لا ينال الا مع بسطة في العلم ، وزيادة في المعرفة بوجوه العمل ، وفضل من القوة . ومع كمال المنزلة في كل ذلك واشباهه من مقومات الأمة ، فذلك ما علمت .

وان ههنا وجهاً آخر هو اعجب مما اومأنا اليه ، على انه ضريبه في الحكمة وقسيه في الاعتبار . إذ هو متعلق بطبيعة الارض كما ان ذلك متعلق بطبيعة اهلها . فان من اثبات البين ان لميئة الطبيعة جهة من التأثير في تهئية الاخلاق . فترى في الجهات المقفرة والخوفة . او التي يلقي منظرها في نفسك اهبة دون المحبة والفرع دون الاطمان . اقواماً كأنما نشؤا في المعابد وولدوا في الصوامع ، فليس في اخلاقهم

الا الاستسلام للوهم والتخيل ، والا الخوف من كل شيء ، تكون فيه روح الطبيعة ، كما زعم العرب من البيات مع الغيلان وتزوج السعالى ومجاوبة الهواتف ، والروغان هن الجن الى الجن . واصطياد الشق ومحاربة النسناس وصحبة الرئي . وما كان لهم من خدع الكاهن وتدسيس العراف . ومن العياقة والتنجيم والزجر والطرق بالحصى^(١) وغيرها من خرافاتهم ، ثم الخوف من كل شيء ، تعرف فيه روح الطبيعة كالأوثان وسائر ما قدسته العادات والشعائر ، وان كانوا في غير ذلك اهل جلد ونجدة ومضاء وبدية وعارضة ، لان هذه الصفات وامثالها تكتسب من طبيعة الخيال حدة وشدة ، وانت واجد عكس ذلك فيمن تكون طبيعة ارضهم ساكنة مطمئنة لانتجاح اهلها ولا ترميهم بالفرع ، فانهم لا يقرون على خوف وتوثب ، ولا يكون في اخلاقهم الجنوح الى عبادة ما يخيفهم ، او تقديس ما اتصلت به روح الطبيعة ، ثم لا يكونون الا اهل عمل بالحواس دون التخيل . قد غير احدهم دهره عاملا فليس يبالي الا بالحاضر الذي تتعلق به روح العمل . دون الماضي الذي يجتمع عليه حرص أولئك لانه غيب الطبيعة التي يقدسونها . فكان من اخلاق العرب هو ما مشهور عنهم من التفاخر بالآباء والأجداد ، والذهاب مع الوهم في كل مذهب وعدم المبالاة الا بما يلحقهم بأبائهم ويجمعهم في عداد الماضين ، ليكون لهم فيمن يخلفهم من الشأن والتقديس والتعظيم بهم ما كان فيهم لمن تقدمهم . فيتقون سوء القالة وخبث الأحداث ، وسائر ما يفسد عليهم هذا الشأن بكل ما وسعهم . لا يألون في ذلك جهداً ولا يفضضون فيه ،

(١) للعرب مذاهب كثيرة من مثل ما وصفنا ولا محل لبسط القول فيها ، ولكننا تقتصر على تعريف ما أتينا به تعريفاً لفظياً ، فالغيلان إناث الجن والسعالى جمع سعالاة وهي سحرة الجن . ويقال ان الغيلان من السعالى . والهواتف جمع هاتف وهي الجن تهتف بهم وتنذرهم . والجن نوع من الجن والشق جنس من أجناسهم والنسناس جنس من الخلق يعد فيهم . والرئي جني يكون لبعض الناس فيخبره بالغيب . والكاهن من يتنبأ بما سيقع . والعراف من يستدل بالاسباب والحوادث ويتنبأ من ذلك . والعياقة التكهن بالطير أو غيرها . والزجر أن يزجر الطير ليتسعد أو يتشأم اذا أراد ان يهزم بأمر . والطرق بالحصى وسيلة من وسائل التكهن . وفي كل ذلك شرح طويل واختلاف كثير .

ولا يتقدمون في سد غيره قبل إحكامه واستفراغ قوتهم له . الى غير هذا مما هو معروف متظاهر عنهم .

ثم كانت هوائهم كله في الشعر لانه عبادة ارواحهم لطبيعة ارضهم . وهو الصلة المحفوظة بينهم وبين ماضيهم فجاء القرآن يسفه تلك الطباع منهم . ويحول بينهم وبين ذلك الماض . ويصرفهم الى العمل . ويذهب عنهم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، ويأتيهم بالبصائر من ربهم . ويهديهم بالعقل الى اسرار الطبيعة . ليعلموا انها مسخرة لهم فلا يسخروا انفسهم لها ، وحرم عليهم التقديس وما في حكمه . وبصرهم بما مسهم من طائف الشيطان وما نزعهم من امره خيالاً او وهماً او شعراً او عبادة ، وجعل افضل الفضائل في الذي قام يدعوهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم أنه ابن يومه وابن عمله وابن عقابه فلا هو مفاخر ولا واهم ولا شاعر ، وتلك اخص فضائلهم الاصطلاحية ، وخاطبه بهذه الآية الكريمة التي هي روح الثبات في اعم العلم والعمل وهي قوله « **وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِيْ عَمَلِيْ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ** ، انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون » . فكيف يمكن ان يكون هذا القرآن مع ذلك كله مما يطابق ارض العرب في طبيعتها وهي ما علمت . وكيف يتفق ان يكون كل ذلك من صنعة رجل قد نشأ فيهم واتصل بهم ، وذهبت عروقه بينهم واشجته ، وهو من صميمهم نسباً ووراثته ، يعرفونه ويحققون جملة امره ، ولم يخرج عنهم قط للعالم او الطالب ، ولا طرا عليهم من غير ارضهم ، ولا انكروا عليه امراً من لدن نشأته الى حد الكهولة والى ان دب الشيب في عذاريه ، وهم مستيقنون انه ما كان يتلو من قبله من كذب ولا يخطه ؟

وما عهدنا رجلاً من عطاء التاريخ قد اهاب بأمة طبيعية كالعرب ذات بأس وصرامة وحمة وحفاظ ، وذات خيال وتصور - يدعوها ان تخلع نفسها مما هي فيه ؛ وان تضع اعناقها للحق الذي لم تألفه حقاً ، وان تعطيه مع ذلك محض ضمايرها وتسوغة تاريخها وعاداتها ، وما هو اكبر من تاريخها وعاداتها . وهم لا يرونه في ذلك الا مسخوط الرأي ، ذاهب الوهم ، بعيداً منهم ومن نفسه ومن الحقيقة جميعاً . ولا يرون من امره ذلك الا قلة وضرباً وهو اننا واستخفافاً ، وان كانوا يعرفونه من قبل بحسن الخلق

وبصفاء الذمة ونخسح السمات، ويعرفون انه لا يريد ملكا ولا يبغى دولة، ولا يتصنع لحدث من الاحداث السياسية، ولا يهتبل غرة ذاهلة، ولا يستعد لنهزة سائحة «وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إنا عاملون» .

ثم هو على هذا كله من امره وامره لا يتأني اليهم بالتقوية، ولا يداخلهم بالنفاق، ولا يتألفهم على باطلهم، ولا ينزل في العقيدة على حكمهم، ولا يداين في خطابهم، ولا يرفق بهم فيما يتخيّلون وما يعبدون، ولا يحكم ذلك الامر من ناحية الدهاء والمخاطلة، فيقرهم على طباعهم وعاداتهم، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويمد لهم في الغي مدا، من امر ما اعجبهم، ومن شأن ما استخفهم، كما يصنع دعاة السياسة وقادة الامم، وكما صنع داهية اوربا نابليون الذي انتحل الكيكة في حرب الفنديين، واسلم في مصر، وجهر بعصمة البابا في حرب إيطاليا، وقل مع ذلك: ولو كنت احكم شعبا يهوديا لأعدت هيكل سليمان... ثم يكون مع هذا كله من فعله وفعلهم ان يثوب اليه الأمر، ويستوثق على ما اراد، وان تعطيه تلك الأمة عن يده وهي صاغرة للحق، وتبذل نصرها له بعد التخاذل عنه، وتسكن اليه بهواطفها المستنفرة، وتعطف عليه بقلوبها الجامحة. وهو الراغب عن سذمهم، والمُسْفِه لأحلامهم، والطاعن عليهم وعلى آبائهم، والمفارق لشرائعهم وعاداتهم. وهو الذي خرج من الأمة أولا، ثم اخرج الأمة كلها من نفسه آخرًا، كما اتفق للنبي صلى الله عليه وسلم.

ما عهدنا ذلك، ولا عهدنا ان الأمم تخرج عن طبائعها النفسية وتستقيم لمن يلتوي لها مثل هذا الاتواء، وتدخل في امره وتثبت على طاعته ومحبته، وهو اضعف ناصراً واقل عدداً، الا ان يغلبها على انفسها ويمتلك خيالها ويستبد بتصورها. وكيف له ان يغلب على النفس، بتفكيرها ويمتلك الخيال بالعنف عليه، ويستبد بالتصور وهو يسترذله؟ ومن اين له ذلك الا ان يأتي الفطرة التي هي اساس هذه كلها فيما كُتِبَ، ثم يصوغها ثم يصرفها؟ فان الذي لا يدفع الطبع لا يدفع الرغبة، ومن لم يقدر الأمة من رغائبها لم يقدر في زمامه غير نفسه، وان كان بعد ذلك من كان؟

وهذا الذي وصفناه امر لو ذهبت تلمسه في تاريخ الأرض كلها ما رأيت

أدباً به الفطرية في غير أولئك العرب، ولا رأيت تحقيقه في العرب، إلا من ناحية القرآن وإعجازه بنظمه وأساليبه، واقتنانه على هذه الوجوه المعجزة، التي اقل ما توصف به أنها السحر بل السحر بعضها (١)

(١) وذلك فيما نرى أنما هو وجه الحكمة في نشأة هذا الدين عربياً واختصاص العرب بالقرآن دون غيرهم من الأمم، وإفراد قريش بذلك دون غيرها من العرب. ومن يقرأ صدر التاريخ في الاسلام ويعتبر حوادثه ويتدبر آثار القرآن في قبائل العرب، ير أن شدة الايمان كانت عند شدة الفصاحة، وان خلوص الضمائر كان يتبع خلوص اللغة، وأن القائمين بهذا الدين والذين افاضوه وصرفوا اليه جمهور العرب وقتلهم عليه وجمعوا ألفتهم وقوموا أودهم انما كانوا اهل الفصاحة الخالصة، من قريش الى سرة البادية، وان الفتن انما استطارت في الجزيرة استطارة الحريق فيمن وراء هؤلاء الى اطراف اليمن، فكانوا قوماً مدخولين منقوصين، وما كان ضعف اعتقادهم الا في وزن الضعف من لغتهم. وقد اسلفنا في غير هذا الموضع أن غربة الدين ما تزال تتبع غربة العربية. ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمرو بن العاص بعمان فأقبل منها الى المدينة يخترق بلاد العرب فأطافت به قريش وسألوه فقال لهم إن العساكر معسكرة من دبا « سوق بعمان » الى حيث انتهيت اليكم. فتفرقوا حثيثاً، ومر عمر بن الخطاب بجماعة فسأهم فيم اتم؟ فلم يجيبوه. فقال: اظن قائم ما اخوفنا على قريش من العرب. قالوا صدقت، قال: فلا تخافوا هذه المنزلة انا والله منكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم، والله لو تدخلون معاشر قريش جحراً لدخلته العرب في آثاركم. اهـ

وحسبك من اثر القرآن في العرب الفصل جاء وصوغ فطرتهم وتصريفها ان احدهم كان اذا اتهم في بعض اخلاقه لم ينكر ذلك باشد من قوله: بشس حامل القرآن أنا اذن! ولما أعطي سالم مولى أبي حذيفة راية المسلمين يوم قتال مسيلمة الكذاب وكان من اشد الايام واعظمها نكابة قال لأصحابه: ما اعلمني لأي شيء أعطيتهم ونبيها! قلتم صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها قبله حتى مات؟ قالوا اجل فانظر كيف تكون. قال بشس والله حامل القرآن أنا ان لم اثبت. فتأمل. وكان صاحب الراية قبله عبد الله بن حنص. وفي هذه الموقعة صاح أبو حذيفة وقد اضطرب المسلمون: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، ثم حمل على القوم فحازهم حتى اتقدهم ولو أن هذا المعنى من غرض كتابنا لبسطناه بسطاً، ولكن القول فيه يتسع بما نخرجنا الى تاريخ الاسلام وفلسفة آدابه ومعانيه الاجتماعية، وهي اغراض انما نلم بها إلاماً في هذا الكتاب كما عرفت.

وليت شعري ما هو امر المعجز في العقل ان لم يكن هذا من امره ؟ «ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير»

(المنار)

ان مسألة إعجاز القرآن قد صارت من المسائل المألوفة بالضرورة بمعجز العرب والمستعربين عن الاتيان بمثله ، ووقوفهم حيارى منهري الانفاس خاشعي الأبصار ناكسي الرؤس في نور شمس . ولاعجازه وجوه كثيرة يعقل كل ذي علم وبصيرة منها مقدار مايتوجه اليه ذهنه ، مما استعد لادراكه عقله ، ومن الناس من لا يدرك من ذلك شيئا ، كالاطفال والعوام الذين لا يدركون علل عجز ضعفاء البنائين الاميين بغير نظام ولا هندسة عن بناء هرم مثل هرم الجيزة في عظمتها ، وما روعي فيه من دقائق الهندسة ، والاشارات العمرانية ، والتقاليد الدينية ، والمقاصد الخفية . وانما يفهم وجوه هذا العجز الرياضي والفلكي والعالم بتاريخ مصر وآثارها ، كل بقدر بحثه في فنه .

وقد كتب كثير من العلماء في بيان وجوه إعجاز القرآن ، وما أطالوا الا في شرح فصاحته و بلاغته ، وقد تعب مصنف هذا الكتاب (تاريخ آداب العرب) في تصفح ما كتبوا ، وتبع ما صنفوا ، ولم يعجزه مع ذلك ان يكون مصداق المثل السائر « كم ترك الأول للآخر » ، فجعل ٢٨٨ صفحة من الجزء الثاني من كتابه في إعجاز القرآن ، وباقيه الى ص ٣٦٤ في البلاغة النبوية . واذا كان قد انفرد ببيان نكت ودقائق لم تعرف لغيره ، فقد جلى بعض ما سبقه اليه من النكت والوجوه من قبله ، بعبارة مؤثرة بما ألبسها من حلال الخيال ، حتى تحلت في أربع مثال .
وتم مباحث مفيدة في هذا الباب ، تراها في الفصول الكثيرة من الكتاب ، وسترى الاشارة اليها في تقريظه من جزء آخر من المنار

بعد هذا كله نقول انه قد بقي من وجوه الاعجاز ما لم يغص المؤلف بحره ، حتى يستخرج دره ، وقد أجمعنا في (عقيدة الاسلام) التي كتبناها لطلاب المدارس الوسطى من هذه الوجوه ما يمكن شرحه في سفر أو أسفار . والتحقيق ان اعجاز القرآن بمعانيه من الهداية والعلم اعظم من إعجازه بفصاحته و بلاغته أسلوبه ، وهي التي كانت سبب بقاء الدين في العرب والعجم ، بعد ان قل من يذوق طعم تلك البلاغة .

﴿ الرضاء بقضاء الله تعالى وقدره ﴾

قد اضطربت في هذه المسألة الافهام ، وزلت فيها أقلام وأقدام ، وأوردوا فيه آياتا ليهودي حقيقة أو حكاية يقول فيها اذا : قضى الله ان يكون يهوديا وأمره ان يرضى قضاؤه فما حيلته في ذلك . وأوردوا له أجوبة لم يرها الكثيرون مقنعة . ولذلك طالب الشمراني في بعض كتبه ممن ظفر بجواب أحسن مما أوردوه ان يلحقه بما ذكره منها . ولم نر لأحد من العلماء تحريراً لهذه المسألة كتحرير ابن القيم لها في (كتاب مدارج السالكين) وابن نجد كابن القيم في المحققين المحررين ؟ قل قدس الله روحه في شرح كلام الهروي من الجزء الثاني :

قوله « وهو الرضاء عنه في كل ما قضى » هاهنا ثلاثة أمور : الرضاء بالله رباً ، (١) والرضاء عن الله ، والرضاء بقضاء الله . فالرضاء به فرض ، والرضاء عنه - وإن كان من أجل الامور واشرف أنواع العبودية - فلم يطالب به العموم لعجزهم ومشقة عليهم - وأوجبته طائفة كما اوجبوا الرضاء به ، واحتجوا بحجج (منها) انه اذا لم يكن راضياً عن ربه فهو ساخط عليه - اذ لا واسطة بين الرضاء والسخط - وسخط العبد على ربه مناف لرضائه به رباً . قالوا - وايضا فعدم رضائه عنه يستلزم سوء ظنه ومنازعة له في اختياره لعبده ، وإن الرب تبارك وتعالى يختار شيئاً ويرضاه ولا يختاره العبد ولا يرضاه ، وهذا مناف للعبودية . قالوا - وفي بعض الآثار الإلهية « من لم يرض بقضاي ، ولم يصبر على بلاي ، فليتخذ له (٢) رباً سواي » ولا حجة في شيء من ذلك . أما قوله (٣) « لم يتخلص من السخط على ربه الا بالرضاء عنه اذ لا واسطة بين الرضاء والسخط » فكلام مدخول ، لان السخط بالمقضي لا يستلزم السخط على من قضاه ، كما أن كراهة المقضي وبغضه والنفرة عنه لا يستلزم تعاق ذلك بالذي قضاه وقدره ، فالمقضي قد يسخطه العبد وهو راض عن قضاه وقدره ، بل يجتمع تسخطه والرضا بنفس القضا - كما سيأتي ان شاء الله - وأما { ١ } سقط من البندادية كلمة « وبأ » (٢) سقط من البندادية كلمة « له »

{ ٣ } وفيها « انه لم »

٣٥٤ اختبار العبد لنفسه واختيار الرب له وتحرير مسألة الرضا بالقضاء (المنار - ج ٥ ص ١٧)

قولكم (١) « انه يستأزم سوء ظن العبد بربه ومنازعة له في اختياره » فليس كذلك ، بل هو حسن الظن بربه في الحالتين ، وانه انما يسخط المقدور وينازعه بمقدور آخر ، كما ينازع القدر الذي يكرهه ربه بالقدر الذي يحبه ويرضاه ، فينازع قدر الله بالله (٢) كما يستعيز برضاه من سخطه ، ويعاقبته من عقوبته ، ويستعذ به منه .

فاما « كونه يختار لنفسه خلاف ما يختاره الرب » فهذا موضع تفصيل لا يسحب عليه ذيل النفي والاثبات . فاختيار الرب تعالى لعبده نوعان (احدهما) اختيار ديني شرعي ، فالواجب على العبد ان لا يختار في هذا النوع غير ما اختاره له سيده ، قال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم) فاختيار العبد ذلك مناف لإيمانه وتسليمه ورضاه بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا (النوع الثاني) اختيار كوني قدري لا يسخطه الرب ، كالمصائب التي يبلي الله بها عبده ، فهذا لا يضره فراره منها الى القدر الذي يرفعها عنه ويدفعها ويكشفها ، وليس في ذلك منازعة للربوبية - وان كان فيه منازعة للقدر بالقدر - فهذا يكون تارة واجبا ، وتارة مستحبا ، وتارة يكون مباحا مستوي الطرفين ، وتارة يكون مكروها ، وتارة يكون حراما . واما القدر الذي لا يحبه ولا يرضاه ، مثل قدر المعاييب والذنوب ، فالعبد مأمور بسخطها ومنهي عن الرضا بها . وهذا هو التفصيل الواجب في الرضا بالقضاء . وقد اضطرب الناس في ذلك اضطرابا عظيما ونجا منه اصحاب الفرق والتفصيل ، فان لفظ الرضا بالقضاء لفظ محمود مأمور به ، وهو من مقامات الصديقين ، فصارت له حرمة اوجبته اطاعة قبوله من غير تفصيل ، وظنوا ان كل ما كان مخلوقا للرب تعالى فهو مرضى له يذفي الرضا به ، ثم انقسموا فرقتين ، فقالت فرقة : اذا كان القضاء والرضا متلازمين فمعلوم اننا مأمورون بقبض المعاصي والكفر والظلم ، فلا تكون مقضية مقدرة . وفرقة قالت :

(١) في البغدادية هنا « قولهم » ونص نسختنا « قولكم » وفيها القولة السابقة « قوله » فيهما وكان الاولى ان تكون « قولهم » فيهما (٢) نص البغدادية « فينازع قدر الله بقدر بالله ولله » .

قد دل انعمل والشرع على أنها واقعة بقضاء الله وقدره فنحن نرضى بها .
والطائفتان منعفتان جائرتان عن قصد السبيل ، أولئك اخرجوها عن قضاء الرب
وقدره ، وهؤلاء رضوا بها ولم يسخطوها . هؤلاء خالفوا الرب تعالى في رضائه
وسخطه ، وخرجوا عن شرعه ودينه ، وأولئك انكروا تعلق قضائه وقدره بها .

واختلفت طرق أهل الأثبات للمقدر والشرع في جواب الطائفتين ، فقالت
طائفة : لم يقم دليل من الكتاب ولا السنة ولا الاجماع على جواز الرضا بكل
قضا ، فضلا عن وجوبه واستحبابه ، فأين امر الله عباده او رسوله ان يرضوا بكل ،
ما قضاه الله وقدره ؟ وهذه طريقة كثير من اصحابنا وغيرهم ، وبه اجاب القاضي
ابو يعلى وابن الباقلاني قال — فان قيل : أفترضون بقضاء الله وقدره ؟ قيل له :
نرضى بقضاء الله الذي هو خلقه الذي امرنا ان نرضى به ، ولا نرضى من ذلك
ما نهانا عنه ان نرضى به ، ولا نتقدم بين يدي الله ، ولا نعترض على حكمه .

وقالت طائفة أخرى : يطلق الرضا بالقضاء في الجملة دون تفاصيل المقضي
المقدر . فنقول : نرضى بقضاء الله جملة ولا نسخطه ، ولا نطابق الرضا على كل
واحد من تفاصيل المقضي — كما يقول المسلمون : كل شيء بيد ويهلك ، ولا
يقولون : حجج الله تبيد وتهلك ، ويقولون : الله رب كل شيء ، ولا يضيفون
ربوبيته الى الاعيان المستخبة المستقدرة بخصوصها .

وقالت طائفة أخرى : نرضى بها من جهة اضافتها الى الرب خلقا ومشيئته ،
ونسخطها من جهة اضافتها الى العبد كسبا له وقيامه بها .

وقالت طائفة أخرى : بل نرضى بالقضاء ونسخط المقضي ، فالرضا والسخط
لم يتعلقا بشيء واحد . وهذه الاجوبة لا يتشكى شيء منها على اصول من يجعل
محبة الرب تعالى ورضاه ومشيئته واحدة — كما هو احد قولي الاشعري واكثر اتباعه .
فان هؤلاء يقولون : ان كل ما شاء وقضاه فقد احبه ورضيه ، واذا كان الكون
محبوبا له مرضيا فنحن نحب ما احبه ونرضى ما رضيه . وقولكم : ان الرضا بالقضاء
بطاق جملة ولا يطاق تفصيلا . فذلك لا يمنع دخوله في جملة المرضي به ، فيعود
الاشكال . وقولكم : نرضى بها من جهة كونها خلقا لله ، ونسخطها من جهة كونها

كسبا للعبد ، فكسب العبد ان كان امرا ، جوديا فهو خالق لله فرغى به ، وان كان امرا عديميا فلا حقيقة له رضي ولا تسخط . واما قواكم : رضي بالقضاء دون المنقضي . فهذا انما يصح على قول من جعل القضاء غير المنقضي ، والفعل غير المفعول ، واما من لم يفرق بينهما فكيف يصح هذا على اصله ؟

وقد اورد القاضي ابو بكر على نفسه هذا السؤال فقال - فان قيل : القضاء عندكم هو المنقضي او غيره ؟ قيل : هو على ضربين ، فالقضاء بمعنى الخلق هو المنقضي ، لان الخلق هو الخلق ، والقضاء الذي هو الالزام والاعلام والكتابة غير المنقضي ، لان الامر غير المأثور والخبر غير الخبر عنه . وهو الجواب لا يخلصه ايضا ، لان الكلام ليس في الالزام والاعلام والكتابة ، وانما الكلام في نفس الفعل المقدر المالم به المكتوب : هل قدره وكتبه سبحانه راض به أم لا ؟ وهل العبد مأثور بالرضا به نفسه ام لا ؟ هذا حرف المسئلة .

وقد انكر الله سبحانه وتعالى على من جعل مشيئته وقضائه مستلزما لمحبهه ورضاه ، فكيف بمن جعل ذلك شيئا واحدا ؟ قال الله تعالى (سيقول الذين اشرکوا : لو شاء الله ما اشرکنا ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من شيء . كذلك کذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ ان تنبؤون الا الظن وان انتم الا تخرون - وقال تعالى - وقال الذين اشرکوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء . نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء . كذلك فعل الذين من قبلهم - وقالوا : لو شاء الرحمن ما عبدناهم . ما لهم بذلك من علم) فهم استدلوا على محبهه ورضاه لشركهم بمشيئته لذلك ، وعارضوا بهنا الدليل امره ونهيه . وفيه ابن الرد لقول من جعل مشيئته غير محبهه ورضاه ، فلا شك انما نشأ من جهلهم المشيئة نفس المحبة ، ثم زادوه بجهلهم الفعل نفس المفعول ، والقضاء عين المنقضي ، فنشأ من ذلك إزامهم بكونه تعالى راضيا محبا لذلك ، والتزام وضئهم به .

والذي يكشف هذه النعمه ، ويصغر من هذه العمایه ، وينجي من هذه الورطة التفريق بين ما فرق الله بينه ، وهو المشيئة والمحبة ، فانهما ليسا واحدا ولا هما

متلازمين، بل قد يشاء ما لا يحبه ويحب ما لا يشاء كونه، (فالأول) كشيئه اوجود ابليس وجنوده، ومشيتته العلية لجمع ما في الكون مع نفسه لبعضه، (والثاني) كمحبته ايمان السموات، وطغات الفجار، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين، ولو شاء ذلك لوجد كله وكان جريمه، فانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فذا تقرر هذا الاصل وان الفعل غير المفعول، والقضاء غير انقضي، وان الله سبحانه لم يأمر عباده بالرضا بكل ما خلقه وشاء - زالت الشبهات، وانحلت الاشكالات، والله الحمد، ولم يبق بين شرع الرب وقدره تناقض بحيث يظن ابطال احدهما الآخر، بل الفدر ينصر الشرع والشرع يصدق القدر، وكل منهما يحقق الآخر.

اذا عرف هذا فافرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب وهو اساس الاسلام، وقاعدة الايمان، فيجب على العبد ان يكون راضيا به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض، قال الله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فقسم انهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله، ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه، ويسلموا لحكمه تسليما. وهذا حقيقة الرضا بحكمه. فاتحكم في مقام الاسلام، وانتفاء الحرج في مقام الايمان (١) واتسلم في مقام الاحسان. ومتى خالط القاب بشاشة الايمان، واكتنحات بصبرته بحقيقة اليقين، وحيى بروح الوحي، وتمهدت طبيعته، وانقلابت النفس الامارة مطبوعة راضية وادعة، وتلقى احكام الرب تعالى بصدر واسع مشرح مسلم، فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء الديني المحبوب لله ورسوله.

والرضا بالقضاء الكوني القدرى الموافق لمحبة العبد وارادته ورضاه من الصحة والغنى والعافية واللذة امر لازم بمتنفي الطبيعة، لانه ملائم للعبد، محبوب له، فليس في الرضا به عبودية، بل العبودية في مقابله بالشكر والاعتراف بالمنة، ووضع النعمة مواضعها التي يحب الله ان توضع فيها، وان لا يمضى المنعم بها، ويرى التقصير في جميع ذلك.

(١) نص نسختنا والحجازية «والرضا في مقام الايمان» فاعتمدنا نص البغدادية

والرضا بالقضاء الكوني القدري الجاري على خلاف مراد العبد ومحبه مما لا يلائمه ولا يدخل تحت اختياره مستحب ، وهو من مقامات أهل الإيمان ، وفي وجوبه قولان ، وهذا كالمريض والفقر واذى الخلق له ، والحر والبرد والآلام ونحو ذلك .

والرضا بالقدر الجاري عليه باختياره مما يكرهه الله ويسخطه وينهى عنه ، كانواع الظلم والفسوق والمصيان حرام بماقرب عليه وهو مخالفة لربه تعالى ، فإن الله لا يرضى بذلك ولا يحبه ، فكيف تنفق المحبة ورضا ما يسخطه الحبيب ويبغضه ؟ فعليك بهذا التفصيل في مسألة الرضا بالقضاء .

فان قلت : كيف يريد الله سبحانه أمرا لا يرضاه ولا يحبه ؟ وكيف يشاؤه ويكونه ؟ وكيف تجتمع ارادة الله له وبغضه وكراهيته ؟ . قيل : هذا السؤال هو الذي اقترق الناس لأجله فرقا ، وتباينت عنه طرقهم واقوالهم . فاعلم ان المراد نوعان : مراد لنفسه ومراد لغيره . فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير ، فهو مراد ارادة الغايات والمقاصد ، والمراد لغيره قد لا يكون في نفسه مقصودا للريد ، ولا فيه مصلحة له بالنظر الى ذاته ، وان كان وسيلة الى مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ، مراد له من حيث افضائه وإيصاله الى مراده ، فيجتمع فيه الامران بغضه وارادته ، ولا يتنافيان لاختلاف متعلقهما ، وهذا كالدواء المتناهي في الكراهة اذا علم متناوله أن فيه شفاء ، وكقطع العضو اذا تأكل اذا علم ان في قطعه بقاء جسده ، وكقطع المسافة الشاقة جدا اذا علم انها توصله الى مراده ومحبو به . بل العاقل يكتفي في اثار هذا المكروه وارادته بالظن الغالب وان خفيت عنه عاقبته وطويت عنه مغيبته ، فكيف بمن لا تخفى عليه العواقب ؟ فهو سبحانه وتعالى يكره الشيء ويبغضه في ذاته ، ولا ينافي ذلك ارادته لغيره (١) وكونه سببا الى ما هو احب اليه من فوته .

مثال ذلك انه سبحانه خلق ابليس الذي هو مادة لفساد الاديان والاعمال والاعتقادات والارادات ، وهو سبب شقاوة العبيد وعملهم بما يغضب الرب تبارك

(١) أي لاجل أمر غيره وهو ما ينه بقوله : وكونه سببا الى الخ

وتعالى ، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه بكل طريق وكل حيلة .
فهو ميفوض للرب سبحانه وتعالى مسخوط له ، لعنه الله ومقته وغضبه عليه ، ومع
هذا فهو وسيلة الى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه ، وجودها احب اليه
من عدمها .

(منها) ان تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات ، فخلق
هذه الذات التي هي من اخبث الذوات وشرها ، وهي سبب كل شر ، في مقابلة
ذات جبرائيل صلى الله عليه وسلم التي هي اشرف الذوات وامهرها وازكاها ، وهي
مادة كل خير ، فتبارك الله خالق هذا وهذا . كما ظهرت لهم قدرته التامة في خلق
الليل والنهار ، والضياء والظلام ، والداء والدواء ، والحياة والموت ، والحر والبرد ،
والحسن والقبيح ، والارض والسماء ، والماء والنار ، والخير والشر . وذلك من ادل
الدلائل على كمال قدرته وعزته وسلطانه ومملكته ، فانه خلق هذه المتضادات وقابل
بعضها ببعض وسلط بعضها على بعض ، وجعلها محال تصرفه وتديره وحكمته ،
فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتديره بمملكته

(ومنها) ظهور آثار اسمائه القهرية ، مثل القهار والمنتقم والعدل والضار ،
وشديد العقاب ، وسريع الحساب ، وذو البطش الشديد ، والخافض والمذل ،
فان هذه الاسماء والافعال كمال فلا بد من وجود متعلقها ، ولو كان الخلق كلهم
على طبيعة الملاك لم يظهر اثر هذه الاسماء والافعال

(ومنها) ظهور آثار اسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وسره وتجاوزه عن
حقه وعنقه ان شاء من عبيده ، فلولا خلق ما يكرهه من الاسباب المفضية الى ظهور
آثار هذه الاسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد ، وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم
الى هذا بقوله « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله
فيغفر لهم »

(ومنها) ظهور آثار اسماء الحكمة والخبرة ، فانه سبحانه الحكيم الخبير الذي
يضع الاشياء مواضعها ، وينزلها منازلها اللائقة بها ، فلا يضع الشيء في غير موضعه ،
ولا ينزله غير منزلته ، التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته ، فلا يضع الحرمان

والمنع موضع العطاء والفضل ، ولا الفضل والعطاء موضع الحرمان والمنع ، ولا الثواب موضع العقاب ولا العقاب موضع اشواب ، ولا الخفض موضع الرفع ولا الرفع موضع الخفض ، ولا العزم مكان الذل ولا الذل مكان العز ، ولا يأمر بما ينبغي النهي عنه ، ولا ينهى عن ما ينبغي الامر به . فهو أعلم حيث يجعل رسالته ، وأعلم بمن يصالح لقبولها ويشكره على انتهائها اليه ووصولها ، وأعلم بمن لا يصالح ذلك ولا يستأمله ، وأحكم من ان يمنعه أهلها ويضها عند غير أهلها ، فلو قدر عدم الاسباب المكرهة البغيضة له لتعطلت هذه الآثار ولم تظهر الحقيقة ، ولما تمت الحكمة والمصالح المرتبة عليها ، وفواتها شر من حصول تلك الاسباب ، فلو عطفت تلك الاسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الاسباب . وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضاف أضاف ما يحصل بها من الشر والضرر ، فلو قدر تعطيلها لثلا يحصل منها ذلك الشر الجزئي لتعطل من الخير ما هو أعظم من ذلك الشر بما لا نسبة بينه وبينه .

فصل

(ومنها) حصول العبودية المتنوعة التي اولا خلق اليليس لما حصلت ، ولكن الحاصل بعضها لا كلها ، فان عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية اليه سبحانه ، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابها من الموالاة فيه سبحانه والمعاداة فيه والحب فيه والبغض فيه . وبذل النفس له في محاربة عدوه ، وعبودية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعبودية الصبر ومخافة الهوى ، وإيثار محاب الرب على محاب النفس .

(ومنها) عبودية التوبة والرجوع اليه واستغفاره ، فانه سبحانه يحب التوابين ويحب توبتهم ، فلو عطفت الاسباب التي يثاب منها لتعطت عبودية التوبة والاستغفار منها .

(ومنها) عبودية مخافة عدوه ومراغمته في الله وإغاظته فيه ، وهي من أحب أحب انواع العبودية اليه ، فانه سبحانه يحب من وليه ان يفيظ عدوه وبراغمه ويسوءه ، وهذه عبودية لا يتفطن لها الا الأكياس .

(ومنها) أن يتعبد له بالاستمادة من عدوه وسؤائه ان يجبره منه و يعصمه من كيد و أذاه .

(ومنها) ان عبيده يشتد خوفهم وحذرهم اذا رأوا ما حل بعدوه بمخالفته وسقوطه من المرتبة الملكية الى المرتبة الشيطانية ، فلا يخلدون الى غرور الأمل بعد ذلك .

(ومنها) انهم ينالون ثواب مخالفته ومعاداته الذي حصوله بمشروط بالمعاداة والمخالفة ، فأكثر عبادات القلوب والجوارح مرتبة على مخالفته .

(ومنها) ان نفس اتخاذه عدوا من اكبر انواع العبودية واجابا ، قل الله تعالى (انت الشيطان لكم عدوا فاتخذوه عدوا) فاتخذوه عدوا أنزع شيء للعبد وهو محبوب للرب .

(ومنها) ان الطبيعة البشرية مشتملة على الخير والشر ، والطيب والخبيث ، وذلك كامن فيها ككون النار في الزناد ، فخلق الشيطان مستخرجا ما في طبائمه أهل الشر من القوة الى الفعل ، وأرسل الرسل تستخرج ما في طبيعة أهل الخير من القوة الى الفعل ، فاستخرج احكم الحاكمين ما في قوى هؤلاء من الخير الكامن فيها ليترتب عليه آثاره ، وما في قوى أولئك من الشر ليترتب عليه آثاره ، وتظهر حكمته في الفريقين وينفذ حكمه فيهما ، ويظهر ما كان معلوما له مطابقا لعلمه السابق . وهذا هو السؤال الذي سألته ملائكته حين قالوا (اتجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) قل : اني اعلم ما لا تعلمون) فظننت الملائكة ان وجود من يسبح بحمده ويطيحه ويعبده أولى من وجود من يعصيه ويخالفه ، فأجابهم سبحانه بأنه يعلم من الحكم والأصالح والغايات المحمودة في خلق هذا النوع ما لا تعلمه الملائكة .

(ومنها) ان ظهور كثير من آياته وعجائب صنعته حصل بسبب وقوع الكفر والشر من النفوس الكافرة والظلمة ، كآية الطوفان ، وآية الريح ، وآية إهلاك نود وقوم لوط ، وآية انقلاب النار على ابراهيم برذا وسلاما ، والآيات التي اجراها

الله تعالى على يد موسى ، وغير ذلك من آياته التي يقول سبحانه عقيب ذكر كل آية منها (ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) وان ربك هو العزيز الرحيم (فلولا كفرالكافرين ، وعناد الجاحدين ، لما ظهرت هذه الآيات الباهرة التي يتحدث بها الناس جيلا بعد جيل الى الابد .

(ومنها) ان خلق الاسباب المتعاقبة التي بقور بعضها بمضاه ، ويكرر بعضها بمضاه ، هو من شأن كل الربوبية ، والقدرة النافذة ، والحكمة النامة ، والملك الكامل ، وإن كان شأن الربوبية كاملا في نفسه ولو لم يخلق هذه الاسباب ، لكن خلفها من اوازم كدله ومذكبه ، وقدرته وحكمته ، ففهم ورتاثيرها واحكامها في عالم الشهادة تحقيق لذلك الكمال ، ووجوب من موجباته . فتعبر مراتب الغيب والشهادة بأحكام الصفات من آثار الكمال الإلهي المطابق بجميع وجوهه وأقسامه وغاياته . وبالجملة فالعبودية والآيات والمعجائب التي ترتبت على خلق ما لا يحبه ولا يرضاه وتقديره وشيئته . أحب الى الله سبحانه وتعالى من فواتها وتمطيلها بتمطيل أسبابها .

فإن قلت : فهل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الاسباب ؟ : فهذا سؤال باطل اذ هو فرض وجود الملزوم بدون لازمه . كفرض وجود الاين بدون الاب ، والحركة بدون المتحرك ، والضرورة بدون التائب .

فإن قلت : فاذا كانت هذه الاسباب مرادة لما تنفي اليه من الحكم ، فهل تكون مرضية محبوبه من هذا الوجه ؟ أم هي مسخرطة من جميع الوجوه ؟ قلت هذا السؤال يورد على وجهين (أحدهما) من جهة الرب سبحانه وتعالى . وهل يكون محبا لها من جهة انفسائها الى محبوبه وان كان يبغيها لذاتها ؟ (والثاني) من جهة العبد . وهو انه هل يسوغ له الرضاء بها من تلك الجهة أيضا ؟ فهذا سؤال له شأن .

فأعلم ان الشر كله يرجع الى العدم ، اعني عدم الخير واسبابه المنفضة اليه ، وهو من هذه الجهة شر ، وأما من جهة وجوده المنفص فلا شرفية . مثاله ان النفس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة ، وإنما حصل لها الشر بتقطع

مادة الخير عنها ، فإنها به (١) خلقت في الاصل متحركة لا تسكن ، فإن اعينت بالعلم وإلهام الخير تحركت (٢) وانزلت تحركت بطبيعتها الى خلافه ، وحركتها من حيث هي حركة خير ، ونما تكون شرا بالاضافة ، لا من حيث هي حركة . والشر كله ظم ، وهو وضع الشيء في غير موضعه ، فلو وضع في موضعه لم يكن شرا ، فلم ان جهة الشر فيه بنسبته بمشيئته (٣) اضافة ، ولهذا كانت العقوبات المرضوعات في محلها خيرا في نفسها وان كنت شرا بالنسبة الى المحل الذي حلت به ، لما أحدثت فيه من الألم الذي كانت الطبيعة قابلة لضده من اللذة ، مستعدة له ، فصار ذلك الألم شرا بالنسبة اليها ، وهو خير بالنسبة الى الفاعل ، حيث وضعه موضعه ، فانه سبحانه لا يخلق شرا محضا من جميع الوجوه والاعتبارات (٤) فان حكمته تأتي ذلك ، بل قد يكون ذلك الخلق شرا ومفسدة ببعض الاعتبارات ، وفي خلقه مصالح وحكم باعتبارات أخر أرحح من اعتبارات مفسده ، بل الواقع منحصر في ذلك ، فلا يمكن في جناب الحق جل جلاله ان يريد شيئا يكون فسادا من كل وجه بكل اعتبار لا مصلحة في خلقه بوجه متا . هذا من أبين المحال ، فانه سبحانه بيده الخير ، والشر ليس اليه ، بل كل ما اليه خير ، والشر انما حصل لعدم هذه الاضافة والنسبة اليه ، فلو كان اليه لم يكن شرا ، فتأمل . فالتقاطع نسبته اليه هو الذي صيره شرا .

فان قلت : لم تقطع نسبته اليه خلقتا ومشيئته . قلت : هو من هذه الجهة ليس بشر ، فان وجوده هو المنسوب اليه ، وهو من هذه الجهة ليس بشر ، والشر الذي فيه من عدم امداده بالخير واسبابه ، وعدم ليس بشي (٥) حتى ينسب الى من بيده الخير .

فان اردت مزيد إيضاح لذلك ، فاعلم ان اسباب الخير ثلاثة : الایجاد ،

(١) حذف من البغدادية كلمة « به » ولله الصواب (٢) في الحجازية « تحركت في الخير » (٣) حذف من البغدادية كلمة « بمشيئته » (٤) في الحجازية « من جميع وجوه الاعتبارات » وفي البغدادية « من جميع الوجوه والاعتبارات » وانفردت نسختنا بالغلط ونصها « من جميع الوجوه الاعتبارات » (٥) في البغدادية « بشر »

٣٦٤ الابداد والاعداد والامداد وحكمة عدم امداد كل مخلوق (المنار-ج ٥ م ١٧)

والاعداد، والامداد. فهذه هي الخبرات واسبابها، فايجاد هذا السبب خير وهو الى الله، واعداده خير وهو اليه أيضا، وامداده خير وهو اليه، فاذا لم يحدث فيه اعدادا ولا امدادا حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس الى الفاعل، وانما اليه ضده.

فان قلت: فهلا اُمدّه اذ أوجده؟ قلت: ما اقتضت الحكمة ايجاده وامداده فانه سبحانه يوجده ويمده، وما اقتضت الحكمة ايجاده وترك امداده اوجده بحكمته ولم يمدّه بحكمته، فايجاده خير، والشر وقع من عدم امداده.

فان قلت: فهلا امد الموجودات كلها؟ فهذا سؤال فاسد، يظن مورده ان التدوير بين الموجودات ابغ في الحكمة، وهذا عين الجهل، بل الحكمة كل الحكمة في هذا اتفاوت العظيم الواقع بينها، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت، فكل نوع منها ليس في خلقه من تماوت، والتفاوت انما وقع بامور عدمية لم يتماق بها الخلق، والا فليس في الخلق من تفاوت، فان اعتاص ذلك عليك ولم تفهمه حق الفهم فراجع قول القائل:

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاززه الى ما تستطيع

كما ذكر ان الاصمعي اجتمع بالخليل بن احمد وحرص على فهم العروض فاعياه ذلك، فقال له الخليل يوما: قطع لي هذا البيت. وانشده (إذا لم تستطع) البيت، ففهم ما اراد فامسك عنه ولم يشتغل به

وسر المسئلة ان الرضاء بالله يستلزم الرضاء بصفاته وأفعاله واسماؤه واحكامه، ولا يستلزم الرضاء بمفعولاته كلها، بل حقيقة العبودية ان يوافقه عبده في رضاه وسخطه، فيرضى منها بما يرضى به ويسخط منها (١) ما سخطه. فان قيل: فهو سبحانه يرضى عقوبة من يستحق العقوبة. فكيف يمكن العبد ان يرضى بعقوبته له؟ قيل او وافقه في رضاه بعقوبته لاقلبت لذة وسرورا، ولكن لا يقع ذلك (٢) فانه لم يوافقه في محبته وطاعته التي هي سرور النفس وقرّة العين وحياة القلب، فكيف يوافقه في محبته للعقوبة التي هي اكره شيء اليه، واشق شيء عليه؟ بل

(١) حذف من البعدادية كلمة «منها» (٢) وفيها «منه ذلك»

(المنار-ج ٥ م ١٧) الرضاء بالةضاء بالمكروه ورضاء الرب وسخطه للشيء الواحد ٢٦٥

كان كارها لما يحبه من طاعته وتوحيده ، فلا يكون راضيا بما يختاره من عقوبته ، ولو فعل ذلك لارتفعت عنه العقوبة .

فان قلت : فكيف يجتمع الرضا بالقضا الذي يكرهه العبد من المرض والفقر والألم مع كراهته ؟ قلت : لا تنافي في ذلك فانه يرضى به من جهة افضائه الى ما يحب ، ويكرهه من جهة تألمه به ، كالدواء الكريه الذي يعلم ان فيه شفاؤه ، فانه يجتمع فيه رضاؤه به وكراهته له .

فان قلت : كيف يرضى لعبد شيئا ولا يبينه عليه ؟ قلت : لأن اعاقته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له ، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي اكراه اليه سبحانه من محبة تلك الطاعة ، بحيث يكون وقوعها منه مستلزما لمفسدة راجحة ، ومفوتا لمصلحة راجحة ، وقد اشار تعالى الى ذلك في قوله (ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ، ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم وقيل : أقعدوا مسع القاعدين ، او خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلاكم ببغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ، والله عليم بالظالمين) فاخبر سبحانه انه كره انبعاثهم مع رسول الله للفرز وهو طاعة وقرينة ، وقد امرهم به ، فلما كرهه منهم ثبطهم عنه ، ثم ذكر سبحانه بعض المفسد التي كانت تترتب على خروجهم او خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ، أي فسادا » ولا وضعوا خلاكم « أي سمعوا فيما بينكم بالفساد والشر » ببغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ، أي قابلون منهم مستجيبون لهم ، فيتولد من بين سعي هؤلاء بالفساد وقبول اولئك منهم من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم ، فاقضت الحكمة والرحمة ان منهم من الخروج وأقدمهم عنه . فاجعل هذا المثال أصلا لهذا الباب وقس عليه .

فان قلت قد تصور لي هذا في رضاء الرب تعالى لبعض ما يخلقه من وجه وكراهته من وجه ، فكيف لي بان يجتمع الامران في حقي بالنسبة الى المعاصي والمنسوق ؟ قلت : هو متصور ممكن ، بل واقم ، فان العبد يسخط ذلك ويبغضه ويكرهه من حيث هو فعل له واقم بسببه ارادته واختياره ، ويرضى بعلم الله

٣٦٦ التوبة لاتنافي شهود حكمة الذنب ولا مشهد القيومية (المنار - ج ٥ م ١٧)

وكتابتة ومشيتته واذنه الكوني فيه ، فيرضى بما من الله ، ويسخط ما هو منه .
فهذا مسلك طائفة من أهل العرفان ، وطائفة أخرى رأوا كراهة ذلك مطلقا ،
وعدم الرضاء من كل وجه ، وهؤلاء في الحقيقة لا يخالفون اولئك ، فان العبد
اذا كرهها مطلقا فان الكراهة انما تنفع على الاعتبار المكروه منها ، وهؤلاء لم يكرهوا
علم الرب وكتابتة ومشيتته وإلزامه حكمه (١) الكوني ، واولئك لم يرضوا بها من
الوجه الذي سخطها الرب وابغضها لأجله .

وسر المسئلة ان الذي الى الرب منها غير مكروه ، والذي الى العبد منها هو
المكروه والمسخط ، فان قلت : ليس الى العبد شيء منها - قلت : هذا هو الجبر
الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المكان الضيق ، والتدري اقرب الى
التخلص منه من الجبري ، وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية هم اسعد
بالتخلص منه من الفريقين .

فان قلت : كيف يتأني الندم والتوبة مع شهود الحكمة في التقدير ، ومع شهود
القيومية والمشيئة النافذة ؟ قلت : هذا الذي أوقع من عميت بصيرته في شهود الامر
على خلاف ما هو عليه ، فرأى تلك الافعال طاعات لموافاقته فيها المشيئة والقدر ،
وقال : ان عصيت أمره فقد اطمت ارادته في ذلك . قيل

أصبحت منفلا لما تختاره مني نقلي كله طاعات

وهؤلاء اعنى الخلق بصائر ، واجهاهم بالله واحكامه الدينية والكونية ، فان
الطاعة هي موافقة الامر لا موافقة القدر والمشيئة ، ولو كانت موافقة القدر طاعة لله
لكان ابليس من اعظم المطيعين لله ، وكان قوم نوح وعاد وهود وقوم لوط وقوم
فرعون كاهم مطيعين له ، فيكون قد عذبهم اشد العذاب على طاعته ، وانتقم منهم
لأجلها ، وهذا غاية الجهل بالله واسمائه وصفاته وافعاله .

فان قلت : ومع ذلك فاجمع لي بين الندم والتوبة وبين مشهد القيومية
والحكمة . قلت : العبد اذا شهد عجز نفسه ونفوذ الاقدار فيه ، وكال فقره الى
ربه ، وعدم استغنائه عن عصمته وحفظه طريقة عين - كان (٢) بالله في هذه الحال

(١) في البغدادية « وحكمه الكوني » (٢) جواب « اذا »

لا بنفسه ، فوقوع الذنب منه لا ينأت في هذه الحال البتة ، فان عليه حصنا حصينا من « في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يشي » فلا يتصور منه الذنب في هذه الحال ، فإذا حجب عن هذا المشهد وسقط الى وجوده الطبيعي وبقي بنفسه استولى عليه حكم النفس والطبع والهوى ، وهذا الوجود الطبيعي قد نصبت فيه الشباك والاشراك ، وارسلت عليه الصيادون ، فلا بد ان يقع في شبكة من تلك الشباك ، وشرك من تلك الاشراك ، وهذا الوجود وهو حجاب بينه وبين ربه ، فعند ذلك يقع الحجاب ويقوى المتغني ، ويضعف المانع ، وتشتد الظلمة ، وتضعف القوى . فأنى له بالخلاص من تلك الاشراك والشباك ؟ فإذا انتشم ضباب ذلك الوجود الطبيعي وأنجاب ظلامه ، وزال قتامة ، وصرت ربك ، ذاهبا عن نفسك وطبعك

بدالك سر طال عنك اكتامه ولاح صباح كنت انت ظلامه
فان غبت عنه حل فيه وطبقت على منكب المكشف المصون خيامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطعم عليه ختامه
وجاء حديث لا يعل سماعه شهبي الينا نثره ونظامه
إذا ذكرته النفس زال عناؤما وزال عن القاب المعنى قتامة

فهذا لك يحضره الدم والتوبة والالابة ، فإنه كان في المصيبة (١) بنفسه ، معجوبا فيها عن ربه وعن طاعته ، فلما فارق ذلك الوجود وصار في وجود آخر بقي بربه لا بنفسه ، وإذا عرف هذا فالتوبة والندم يكونان في هذا الوجود الذي هو فيه بربه ، وذلك لا ينافي مشهد الحكمة والقيومية ، بل يجامعه ويستمد منه . وبالله التوفيق .

(١) سقط من الحجازية « في المصيبة »

القول السديد

في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وعليه نتوكل

اللهم ارنا الحق حقا واهدنا لاتباعه ، وارنا الباطل باطلا ووفقنا لاجتنابه
الحمد لذاته وجميل صفاته ، والشكر له على آلائه ونعمائه وعطائه
وهباته ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المبعوث بالدين البتين ، والكتاب
المبين ، سيدنا ومولانا ونبينا محمد الرسول الامين ، وعلى آله واصحابه
الهداة المهتدين .

أما بعد فهذه تعليقة موسومة (بالقول السديد . في بعض مسائل
الاجتهاد والتقليد) اذكر فيها ما حضرني من بعض مسائل الاجتهاد ،
واقتراء المقلد بامام يرى خلاف قول مقلده — بفتح اللام — إما اجتهادا
او تقليدا ، وما يتعاق بذلك ويتذيل عليه ، متصدا للتبع في ذلك ، بل
قيدت ما سنح للخاطر الفاتر ، في الوقت الحاضر ، من غير تقيد بمراجعة
في ذلك ، وهي نبذة يسيرة من شيء كثير . فانول وبالله الاعانة
الكلام في هذه المسائل على فصول .

* هذه الرسالة هي تأليف الفقيه الاصولي الشيخ محمد بن عبد العظيم المسكي
الحنفي ابن المقدسي المبروز الملا فروخ بن عبد الحسن الرومي المودوي ، اتم تأليفه
سنة ١٠٥٢ للهجرة طفر بنسخة خطية منها صديقنا الشيخ مصطفى بن محمد سليم
العلايني فأرسلها الينا فاستحييناهما نشرها في المنار لقوائدها وللاستشهاد بها على وجود العلماء
المنصفين المبشرين الجامعين للكلمة في كل شعب اسلامي وكل عصر من عصور ضعف العلم

الفصل الأول

إِعلم أنه لم يكلف الله احدا من عباده بان يكون حنفيا او مالكيا او شافعيا او حنبليا ، بل اوجب عليهم الايمان بما بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم ، والعمل بشريعته . غير ان العمل بها متوقف على الوقوف عليهم ، والوقوف له طرق ، فما كان منها مما يشترك به العوام واهل النظر كالعلم بربضة الصلاة والزكاة والصوم والحج والوضوء اجمالا ، وكالعلم بحرمة الزنا والخمر واللاواطاة وقتل النفس ، وغير ذلك مما علم من الدين بالضرورة ، فذلك لا يتوقف فيه على اتباع مجتهد ومذهب معين ، بل كل مسلم عليه اعتقاد ذلك . فمن كان في المصير الاول فلا يخفى وضوح ذلك في حقه ، ومن كان في الاصحار الاخرة ، فلو وصل ذلك الى علم ضرورة من الاجماع والنواتر وسماع الآيات والسنن ، اي الأحاديث الشريفة المستفيضة المصروفة بذلك في حق من وصلت اليه .

وَأَمَّا مَا لَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِضَرْبٍ مِنَ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ فَمَنْ كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ بِتَوْفَرِ آيَاتِهِ وَجِبِّ عَلَيْهِ فَمَلَهُ ، كَالْأُمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ وَجِبِّ عَلَيْهِ الْإِتِّبَاعُ إِلَى مَنْ يَرْشُدُهُ^(١) إِلَى مَا كَلَّفَ بِهِ مِمَّنْ هُوَ أَهْلُ النَّظَرِ وَالِاجْتِهَادِ وَالْعَدَالَةِ ، وَسَقَطَ عَنْ الْعَاجِزِ تَكْلِيفُهُ بِالْبَحْثِ ، وَالنَّظَرِ لِمَجْزِهِ بِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (لَا يَكْفِ اللَّهُ نَسْأًا إِلَّا وَسْعَهَا) وَتَوَلَّاهُ عَزَّ مِنْ قَائِلِ (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

(١) المنار : حق العبارة ان تكون « اتباع من يرشده »

لا تعلمون) وهي الاصل في اعتماد التقليد ، كما اشار اليه المحقق الكمال ابن الهمام في التحرير ^(١).

فصل

إذا علمت ذلك ، فاعلم ان ابا حنيفة ومالكا والشافعي واحمد بن محمد ابن حنبل رحمة الله عليهم اجمعين ، كلٌّ كان من اهل الذكر الذين وجب سؤلهم لمن لم يصل الى درجة النظر والاستدلال ، فاذا عمل احد من المقلدين في طهارته وصلاته او شيء مما جرى به التكليف بقول واحد منهم مقلدا له فيه - لو صادف قوله ، ولو لم يعلم به حين العمل فقلده فيه بعد انقضائه على ما ظهر لي في المسئلة ، كما يدل عليه ما استشهد به في المسئلة بعد هذا - فقد ادى ما عليه ، وليس لاحد ممن هو في درجته التقليد له . قلت : بل ولا للمجتهد الانكار عليه ، كما صرح به في غير كتب عندنا من تصانيف الصدر الشهيد حسام الدين وغيره من كتب المذهب المعتبرة ، كالتجنيس والمؤيد لشيخ الاسلام برهان الدين صاحب الهداية كما نقلته بخطي عنها في مظانه.

اذا ثبت ذلك فليس لحنفي او مالكي او شافعي من المقلدين ان يتمتع من الاقتداء بالامام المخالف لمذهبه ، وليس له ان يحتج بانى لما قلدت الشافعي واما حنيفة - مثلا - فقد وجب علي الحكم بطلان ما خالف

(١) المنار : التقليد الاخذ بالرأي من غير دليل . وإنما تدل الآية على السؤال عن الدليل ، وهو ما تواتر عند أهل الكتاب من كون جميع الرسل كانوا رجالا . ومثله طلب النص دون الرأي . هذا وان الاجتهاد يحجزاً فمن لم يقدر على معرفة جميع الاحكام أو أكثرها بالنظر والاستدلال يجوز ان يقدر على ما يحتاج اليه منها كاه او بعضه ، وحينئذ يتمتع عليه ان يأخذ فيه برأي غيره واجتهاده ، كما ثبت في علم الاصول

اجتهاده ، لاننا نقول : انما ابيح التقليد بقدر الضرورة . وذلك يندفع بتقليدك له في عمالك وكيفية فقط ، وان شئت قل : في كيفية ايقاع ما كانت به فقط . واما الحكم ببطالان مخالفه فليس ذلك اليك ، بل للكلام مجال في تسوية ذلك للمجتهد الذي قلده .

وَأَمَّا أَنْتَ ، ومن هو في مرتبتك من المقلدين ، فقول « كل مجتهد » عنده على حد سواء ، اذ ليس الترجيح بالدليل من وظائفك ، والا كنت في درجتهم ووجب عليك الاجتهاد وارتفع التقليد ، ولست لا بد للعمل في تصحيحه من مستند ، فانت استندت الى امامك - ونعم الامام - وهذا الآخر استند الى امام في فعله مثل امامك أو أعلي منه ، فلا يمكنك الحكم على عمله بالبطالان البتة ، فليست حينئذ في تخلفك عن الاقتداء به الا عاملا بمحض التعصب ، وقد نص علماءنا وغيرهم من اصحاب المذاهب على حرمة التعصب وتصويب الصلاة في المذهب ، ومعنى الصلاة أي^(١) الثبات على ما ظهر للمجتهد من الدليل ، وليس ذلك الا للمجتهد نفسه او لمن هو من اهل النظر ممن اخذ بقوله

والتعصب هو الميل مع الهوى لاجل نصرة المذهب ومعاملة الامام الآخر ومقلديه بما يخطط عنهم . وقد نص في جواهر الفتاوى وغيرها من كتب اصحابنا ان الامام الشافعي رحمه الله تعالى لم يكن له تعصب على ائمتنا رحمهم الله تعالى .

(١) لفظ « أي » لاحاجة اليه . فلعله سبق قلم من الناسخ أو المؤلف

فصل

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقتدي بعضهم ببعض ، وكذا التابعون لهم ، - وفيهم المجتهدون - ولم ينزل عن احد من السلف رحمهم الله تعالى انه كان لا يرى الاقتداء بين مخالف قوله في بعض المسائل ولو في خصوص الطهارة والصلاة ، بل نأى يقتدي بعضهم ببعض ، وربما اعتقد بعضهم ولاية بعض ، حتى ان الشافعي رضي الله عنه بعث يطلب قيس الامام أحمد بن حنبل من بغداد يستشفي به في مدة مرضه بغسله وشرب مائه - كما رأيت مثبتا في مناب احمد رضي الله عنه - وقد روي ذلك بالعكس^(١) وكذلك كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يعامل بعضهم بعضاً ، كما يعلم ذلك من سيرهم واحوالهم

ولا يانفت الى ما قد تمسك به من لا معرفة عنده بان الاختلاف بينهم لم يكن بينهم بهذه الصفة التي عليها المذاهب الآن ، لانا قد قررنا ان ذلك لا يمنع ، لأن الكل كانوا في طلب الحق على حد متساو ، واجتهاد كل واحد منهم يحتمل الخطأ كغيره بعد تسليم بلوغهم درجة الاجتهاد ، وان تفاوتوا فيه .

(١) في طبقات الشافعية الكبرى لابن أبي شيبة أن الشافعي أرسل الى أحمد كنيابا من مصر ، هو بغداد مع الربيع يذكر له فيه ان النبي (ص) أمره ان يكتب اليه « لك ستمتحن وتدعى الى الفول بخلق القرآن فلا تجيبهم فيرفع الله لك علما الى يوم القيامة » وان أحمد أعطى الربيع قريصة بشار : « وأن الشافعي قال للربيع لما عاد : ليس تفجرك به ولكن به وارفع الى الماء لا تبرك به . فهذا أصل الحكاية وبعض الناس يتصرفون فيها . والسند الذي ذكره السبكي لا يصح ، ولكنهم يقبلون مثله في المناقب

فَإِنْ قُلْتُ : قد نقل الامام حافظ الدين النسفي صاحب الكنز والكافي في مصنفه عن المشايخ المتقدمين : انا اذا سئنا عما ذهبنا اليه في الفروع نجيب بأن مذهبنا اليه صواب محتمل الخطأ ، وما ذهب اليه الغير خطأ محتمل الصواب . انتهى بمعناه ، وان لم يكن بلفظه . وهذا يوجب امتناع المقلد من اتباع امام يرى مخالفة قول امامه لكونه خطأ ، وما قلد فيه صواب عنده .

ثُمَّ : المراد من هذا تخصيص (أن) مذهب اليه المتنا هو صواب عندهم مع احتمال الخطأ ، اذ كل مجتهد قد يصيب وقد يخطئ في نفس الامر . واما بالنظر اليما فهو مصيب في اجتهاده ، وهو معنى ما روي ان كل مجتهد مصيب ، فليس معناه ان الحق يتعدد .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْ ارَادَ الْكَلَامُ^(١) أَنْ لَمْ يَجْتَهِدِ الْحَكَمُ ظَنًّا لَا قَطْعًا بِأَنْ اجْتَهِدَ غَيْرَهُ خَطِئَ . واما نفس المجتهد المخالف فهو مصيب في العمل باجتهاد نفسه لا يخطئ في ذلك ، وان كان محكوما بخطأ اجتهاده عند غيره ، لانه مأمور باجتهاد نفسه كما لا يخفى .

قال الامام نضر الاسلام علي بن محمد البزدوي في شرح الجامع الصغير في مسألة التحري بانقبة في الليلة المفزعة : وهذا نص من اصحابنا على انهم لم يقولوا : كل مجتهد مصيب . خلافا للمعتزلة ، فان من نسب ذلك اليهم فقد تقول عليهم . هذا لفظ نضر الاسلام رحمة الله عليه .

قُلْتُ وقد ذهب بعضهم الى ان الحق يتمدد في المسئلة ، وهو ما أدى

(١) المنار : كانت هذه الجملة الى الاربعة الاسماء موضوعات في الفصل السابق قبل قوله « وأما أنت » الخ ولا معنى لها هناك ولا مرجع لضميري يكون وأراد .

اليه اجتهاد كل مجتهد فيها ، فقد جعل الله تبارك وتعالى حكم المسئلة ما أدى اليه اجتهاد كل مجتهد . ولكن لا نقول به ، بل معناه انه مصيب في اجتهاده ثم العمل به ، والحق عند الله واحد ، ولكن لما ظهر اهم بالدليل حكم من الاحكام وجب عليهم اتباع الدليل ، ومن ضرورة وجوب الاتباع التصويب ، والا فالشرع لا يأمر باتباع الخطأ . ثم من ضرورة تصويب قولهم تخطئة قول مخالفهم مع احتمال الاصابة من مخالفهم ، لان المجتهد لم يحصل له الا الظن لا القطع بذلك ، ولهذا لو حكم بشيء من القطعيات في العقائد يجزم بالاصابة وتخطئة المخالف ، كما ذكره النسفي في تلك المسئلة في المصنفى ايضا .

فَالْحَاصِلُ ان المراد من اثبتنا ومن اخذ بقولهم من اهل النظر - كشايخ المذهب الكبار المتقدمين ، كالشيخ ابي الحسن الكرخي والامام ابي جعفر الطحاوي ، والمتأخرين مثل شمس الأئمة الحلواني وتلميذه السرخسي ونفر الاسلام البزدوي وامثالهم من النظار في القرن الخامس ، والامام قاضي خان وخسرويه صاحب الهداية ، واضرابهما من اهل الانظار ذوي القدر الخطير في القرن السادس - لو سئلوا لكان جوابهم ما ذكره . ويرشد الى ذلك تعبيره بقوله « لو سئلنا » وقوله « عما ذهبنا » الى آخره . ولم يقل : لو سئل المقلد . فهذا الجواب مقدر من جانب الأئمة انفسهم فيما ذهبوا اليه ، وليس المراد ان يكلف كل مقلد ان يعتقد ذلك فيما قلده فيه ، اذ ذلك تقليد فيما لا يحتاج اليه ، وهو ممنوع ، كما افدتك من قبل ان التقليد انما يسوغ بقدر الضرورة ، وهو محتاج الى العمل ، فلا بد من التقليد في كيفية حصوله ، واما اعتقاد صحة ما قلده

فيه ولا يدري^(١) بطلان كل ما عداه فليس مكلفا .
فإن قلت : بل هو مكلف ، والألزم إذا التكليف مع اعتقاد
عدم صحتها .

قلت : لا يلزم ذلك إلا لو اعتقد عدم صحة ما قلده فيه ، ونحن لا نقول
به ، بل هو على الصواب ظاهرا حيث فعل ما عليه ، وهو الأخذ بقول
مجتهد ، وأما تخطئة من اخذ بخلاف قول مقلده فما هو مكلف بها .
وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَلَا يَسُوغُ لِحَنَفِيٍّ أَوْ شَافِعِيٍّ وَجَدَ فِي الْمَسْجِدِ إِمَامًا
عَلَى خِلَافِ مَذْهَبِهِ إِمْدَانٌ كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَرْكُ الْإِقْتِدَاءِ بِهِ ،
نَظَرًا إِلَى عَدَمِ صَحَّةِ صَلَاتِهِ عَلَى مَقْتَضَى مَذْهَبِ إِمَامِهِ^(٢) .

فصل

يؤيد ما ذكرته ما نقله التقي الشهني في شرح المختصر والشيخ
عثمان الزيلعي وصاحب البحر الرائق وغيرهم عن الامام الجليل أبي بكر
الرازي رحمه الله من صحة الاقتداء بإمام رجع ولم يتوضأ ، وهذا يشعر
بالاكْتِفَاءِ بِاعْتِقَادِ الْإِمَامِ نَفْسَهُ فِي صَحَّةِ صَلَاتِهِ ، وَلَا عِبْرَةَ حِينَئِذٍ بِفَسَادِهَا
فِي اعْتِقَادِ الْمُقْتَدِي ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ النَّسْفِيُّ أَيْضًا ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْمَقْصُودُ
رَوَايَتُهُ وَأَنَّ اعْتِمَادَ خِلَافِهِ رَوَايَةً عِنْدَنَا . وَهُوَ الَّذِي أَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَعَلَيْهِ

(١) المنار : كذا في الأصل ولعل في الكلام حذفًا والمراد ظاهر . أي : وأما
اعتقاد صحة ما قلده فيه ولا يدري مادليه ، وبطلان كل ما عداه فليس بما يكلفه .
{٢} تقييده بأهل السنة فيه بحث فقد أجازوا الاقتداء بالفاسق . ولو في الاعتقاد
كالمتدع ولكن مع الكراهة وهذا مما يَحْتَاقُ بِهِ كَوْنُهُمْ أَهْلَ الْجَمَاعَةِ أَيْ يَجْمَعُونَ كَلِمَةَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَفْرُقُونَهَا

يتمشى ما ذهبنا اليه في هذه الوريقات .

بل أزيد وأقول : والذي يقتضيه النظر — فيما ذهبنا اليه — لا ينبغي تخصيص عقيدة الامام بالاعتبار في الصحة ، بل يقول : يكفي حصول الصحة على قول مجتهد — واء في ذلك مطابقة عقيدة الامام والمأموم او غير مطابقة ، كمثل شافعي من فرجه وصلي ناسيا اما ما واقتدى الحنفي بشافعي ثم نسي ودخل في الصلاة ، والحنفي كان عابسا به وهو ذاكر له ، فنقول : له ان يقتدي به لانه في حاله بد المس ، وهو مترضى في اعتقاد الحنفي المقتدي فيكفي ذلك .

وقد قال المحقق في فتح القدير في مثل هذه الصورة : ان الاكثر على الصحة خلافا للهندواني وغيره ، ففي هذه الصورة قد اعتبرنا اعتقاد الحنفي المتقدم ، واكتفينا بصحتها في عقيدته ، وصححنا الاقتداء ، كما انه في مسألة اقتداء الحنفي بالامام الذي رجع ولم يتوضأ اكتفينا بصحتها في عقيدة الامام الراجح ، وصححنا الاقتداء به ، وهو الذي نقلوه عن الامام الرازي .

وقد ذكر الشيخ الامام المحقق كمال الدين بن الهمام في شرحه على الهداية عن شيخه الامام سراج الدين الشهير بقاري الهداية انه كان يعتقد قول ابي بكر الرازي ، وانه انكر مرة ان يكون فساد الصلاة بذلك مرويا عن المتقدمين انتهى .

ورأيت في رسالة لبعض الفضلاء ، ان بعض الفضلاء كانوا يرجعون قول ابي بكر الرازي بناء على قوة دليله ووضوح بيانه ، وهو ان شرط صحة صلاة المأموم صحة صلاة الامام في نفسها ، وصلاة كل

مكاف انما تصح في نفسها إماما ومأموما باعتبار رأيه ومذهبه، لا على مذهب الغير، إذ كل مجتهد مطاع في حكمه، ومجزي عن عمله الذي رآه ومثاب عليه، وان لم يصب الحق، فالحنفي لا يجزم بفساد صلاة مجتهد خرج منه الدم وهو يرى انه غير ناقض، وان قطع بفسادها من حنفي ابتلي به - على رأيه - .
قوله : لا يجزم . وقوله : وان قطع . لا يخفى انه لا جزم ولا قطع في الظنيات، فالصواب ان يقال : لا يحكم . او لا يقول بفسادها . وكذا ان يقول : وان حكم - أو - وان قال بفسادها، بدل قوله : وان قطع . قال جامعها .
وان قطع بفسادها من حنفي ابتلي به بناء على رأيه ومذهبه - الى آخر ما ذكره مما تركت ذكره قصد الاختصار على ما هو المقصود منه .

وكذلك ايضا اجاب عنه الشهني في شرح المختصر وغيره من المصنفين في مسألة صحة اقتداء مقلد أبي حنيفة في الوتر بمن يرى عدم وجوبه، بانه لا يجب عليه اعتقاد الوجوب . يدل أيضا على ما ارشدتك اليه من ان التقليد انما هو بقدر الحاجة، واعتقاد الوجوب في عمل لم يجمعوا على وجوبه لا يجب، بل ربما لا يسوغ كما سيأتي قريبا . فلذلك نقول : المقلد محتاج الى ايقاع ما كلف به بطريقة لا غير . فتنبه ! فقد نقل صاحب البحر الرائق - وهو خاتمة المتأخرين مولانا العلامة ابن نجيم رحمه الله تعالى في (البحر الرائق شرح كنز الدقائق) عن (شرح منية المصلي) انه صرح بعض مشايخنا بانه لا ينوي في الوتر انه واجب الاختلاف في وجوبه، ونقل هو ايضا عن المحيط والبدائع انه ينوي صلاة الوتر والعيد فقط، انتهى . وهذا نص فيما اشرت اليه .

فصل

قد استفاض عند فضلاء العصر منع التلفيق في النقييد ، وذلك بأن يعمل - مثلاً - في بعض أعمال الطهارة والصلاة ، أو أحدهما بمذهب امام ، وفي بعض العبادات بمذهب امام آخر . ولم اجد على امتناع ذلك بهائياً ، بل قد اشار الى عدم منعه المحقق في التحرير ، وأنه لم يرد ما يمنع ، ونقل منع التلفيق عن بعض المتأخرين . فان شارح تحريره العلامة ابن امير حاج : القائل بالمنع العلامة القرافي رحمه الله تعالى .

قلت : والقرافي رجل من فضلاء الأصوليين من المالكية ، ولا عايننا ان نأخذ بقوله ، خصوصاً وقد وجدت عن بعض أئمتنا ما يدل على جوازهم ، بل على وقوعه ، وهو ما نقل في البرازية ان من علماء خوارزم من اصحابنا من اختار عدم فساد الصلاة بالاطار في القراءة فيها أخذاً بمذهب الامام الشافعي رحمه الله : فتبيل له : مذهبهم في غير الفاتحة^(١) . فقال : اخترت من مذهبهم الاطلاق ، وتركت القيد^(٢) . لما تقرر في كلام محمد^(٣) رحمه الله تعالى : ان المجتهد يتبع الدليل لا القائل . حتى صرح القضاء بصحة النكاح بعبارة النساء على الغائب ، انتهى . نقله عنهما العلامة خاتمة المتأخرين ابن نجيم في بعض رسائله في الوقف . فانظر كيف لفق اخذاً بمذهبهم بأن الفاتحة ليست بركن فلا يضر نقصان بعضها

(١) أي ذلك مذهبهم في غير الفاتحة (٢) سينقل المصنف قريباً قول الخوارزمي في هذا السياق « وتركه القيد في غير محله » - أي الشافعي - فهل هو عين هذه العبارة ووقعت هنا محرفة ؟ أم سقطت من الكلام هنا ؟ (٣) سيميد العبارة بلفظ « من كلام محمد »

فيما اخطأ فيه ، اعني خطأ فاعشا كمن قال : اياك نعبد واياك نستعين . نسبته
 اللسان خطأ . فان الفاتحة نقصت كلمة نعبد فلم تجز صلاته على مذهب
 الامام الشافعي رحمه الله ما لم يعد قراءة نعبد ، فاذا اعادها صحت صلاته
 ولم تفسد عنده بهذا الخطأ ، لأن عنده الكلام الخطأ لا يفسد اذا كان قليلا ،
 وعندنا هو مفسد ، فاذا اعادها على الصحة لا يفيد لأن الصلاة قد فسدت .
 هذا وقد قال بعدم الفساد عندنا بعض المشايخ ان اعادها على الصحة
 كما نقله الزاهدي ، ولكن ظاهر ما في البرازية من بعض علماء خوارزم
 انه لا تفسد ولو لم يعد على الصحة ، وان اخذه بمذهب الشافعي في عدم
 الفساد بالخطأ ، وهو عين التاميق .

فان قلت : ان ذلك البعض من علماء خوارزم لعله انما قال بذلك
 اجتهادا بدليل قوله : ان المجتهد يتبع الدليل لا القائل . قلت : يمنع من
 ذلك قوله : اخذا بمذهب الشافعي ، فان المتبادر من ذلك انه قلده في
 ذلك . ومعنى قوله حينئذ : لما تقرر من كلام محمد - الى آخره - يعني
 ان المجتهد كما يتبع ما دل عليه الدليل باجتهاد لا باتباع من قال بمثل ما اداه
 اليه اجتهاده ، فكذلك المقلد انما يلزمه خصوص ما قلده فيه ، لا اتباع ذلك
 المجتهد الذي قلده في جميع ما قال به ، وخصوص ما قلت فيه انما هو عدم
 الفساد بالخطأ في القراءة مطلقا ، سواء كان ذلك في الفاتحة او غيرها ،
 وذلك هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعن سائر الائمة
 المجتهدين . وفساد الصلاة بوقوع الخطأ في الفاتحة عنده ليس لخصوص
 كونه في الفاتحة ، بل لفوات بعض الفاتحة عنده في الصلاة ، ولهذا لو
 أتى بما اخطأ فيه منها على الصحة فانه لا يقول بفساد صلاته حينئذ .

والخوارزمي لم يقلده في ركنية الفاتحة ، بل قلده في عدم الفساد بالخطأ في القراءة - اعني الشافعي رحمه الله تعالى يقول باطلاقه ، وقول القائل «له مذهبه في غير الفاتحة» غير صحيح ، - كما تقدم بيانه - وكذلك قول الخوارزمي له ، وتركه القيد واقع في غير محله ، لانه لم يقيده الشافعي بغير الفاتحة ، بل خرج ذلك من الخوارزمي لامشاكلة في الجواب لمن نسب اليه القيد ، اي الى الشافعي ، وذلك إما جهل من ذلك القائل بمذهب الشافعي ، او توسع في العبارة وتسامح ، لانه لما كان الشافعي يقول بالفساد بوقوع الخطأ في الفاتحة اذا لم يعد على الصحة ، فكأن غير الفاتحة صار كالقيد لا طلاق الجواز ، وليس قييدا حقيقة - كما بينته في اول الكلام فافهم - .
والحاصل انه لم يثبت من كل وجه كون الخوارزمي قال بذلك الاجتهاد ، ولو فرضنا ثبوت ذلك فما ضرنا ذلك فيما قصدنا اليه من جواز التلقيق ، فكما انه لو حصل التلقيق بالاجتهاد حكمنا بالصحة ، فكذلك اذا حصل التلقيق بالتقليد حكمنا بالصحة ، لان الاجتهاد اصل في العمل والتقليد فرع . التكليف في الاصل انما هو بالاجتهاد عند عدم النص ، فان عجز عن ذلك الاجتهاد نزل الى التقليد ، فني كل موضع قلنا بالصحة مع الاجتهاد نقول بها مع التقليد عند العجز عنه من غير زيادة امر آخر ، وما زاد على ذلك فهو قول مخترع لا يقوم به دليل مرضي ، ولا تنهض به حجة .

وما يزعمه من منع التلقيق من ان كلاما من المجتهدين اللذين قلدهما - مثلاً - يقول بطلان صلاته المفققة - مثلاً - او سئل عنها بانفرادها ، فغالطة مدفوعة بما لا يسع هذا المحل بيانه .

واجمال ذلك انه انما يقول له : انها باطلة ان كنت اخذت في ذلك الامر الذي حكمت اذا بطلانه من اجله بمذهبي . واما ان كنت قلدت فيه غيري فلا احكم ببطلانها حينئذ في حقك ان كنت متمسكا بقول مجتهد . وكذلك يقول له الآخر والآخر والآخر ، فبطل اطلاق قولهم : يمنع التلقيق بان كلام من المجتهدين حاكم ببطلان صلاته مثلاً ، بل يقيد الحكم منه ببطلانها بما اذا كان متمسكا فيها بمذهبه فيما يرى ذلك المجتهد بطلانها بسبب فعله او تركه ، لا ان قلده غيره فيه ، فافهم ما فيه ، فتندفع تلك المغالطة التي حكم من حكم بمنع التلقيق بسببها . فان ايدت وقلت : لا بل المجتهد يطلق القول ببطلانها على رأيه . فنقول : لا يليق هذا الابطال بما اذا قلده مجتهدا غيره في ذلك الامر الذي ابطالها بسببه ، كما لا يليق ابطاله بنقض قول ذلك المجتهد المصحح لها مع وجود ذلك الامر الذي ابطالها بسببه ذلك المجتهد الآخر ، فسلمت له صلاته — اي المقلد — بتقليده لها كل امر من امورها مجتهدا يرى صحة ذلك ، فصار حكم المجتهد المبطّل في مصروفه عنه بتقليده من يرى الصحة بذلك الامر ، وبذلك ينصرف عنه حكم كل المجتهدين ، ويبطلانها بيان قول المانع فيما اذا قلده المكلف ابا حنيفة رضي الله عنه في ان المس غير ناقض مثلاً ، وقلد الشافعي رحمه الله تعالى في الاكتفاء بمسح بعض شعرات من الرأس لا تبلغ الرابع ، او مقدار ثلاثة اصابع باعتبار الرواية الاخرى في مذهب ابي حنيفة رحمه الله عليه في المقدار المفروض في مسح الرأس ، فان المانع يقول : ان ابا حنيفة والشافعي حاكمان ببطلان صلاته ، فابو حنيفة لتقد مسح المقدار المفروض عنده ، والشافعي لوجود المس ، فهي غير جائزة عندهما .

اقول : وجوابه ما بيناه بأن هذه مغالطة ، وإطلاق في محل تقييد ، بل الحكم بطلانها عند كل منهما مقيد بما اذا كان آخذاً في ذلك الامر الذي حكم من حكم بطلانها بسببه بمذهب المبتطل - كما تقدم بيانه قريباً - فافهم والله اعلم بالصواب .

الا هم لو ذهب مجتهد الى ان المقروض من الرأس في المسح مقدار ما قال به الشافعي ، والى ان المس غير ناقض ، والى ان الدلك والمواالة في الوضوء لا يلزمان ، لم يسوغ اذائع له حينئذ اجتهاده ؟ " فبكذلك عليه ان يسوغ للمقلد تقليده في كل واحد من المذكورات لمجتهد قال بذلك . كما لا يخفى ، فان تأبى متأبٍ عن تلقي هذا البيان بالقبول لم يجد صحته ووضوحه فأقرعه بما تقدم قريباً من عدم لحوق الإبطال من المجتهد بالمقلد لغيره فيما أبطله بسببه ، وان صادف حكمه عنه بذلك .

ثم رجع ونقول : وكذلك مسألة النكاح . فانه لا يصح بعبارة النساء على الغائب ، وعندنا الحكم بالعكس في المسئلتين ، فاذا حكم بصحته بعد وقوعه بعبارة النساء على الغائب فقد لفق ، ومع هذا فتدحكوا بصحة هذا الحكم الملق من المذهبيين . وكذلك مسألة الامام أبي يوسف رحمه الله تعالى ما صلى بالناس الجمعة فاخبر بوجود فأرة في ماء الحمام الذي كان اغتسل منه للجمعة . فتال : تأخذ بقول اخواننا من اهل المدينة « اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً » قال في المحيط البرهاني والفتاوي الظهيرية

(١) قوله لم يسوغ الخ جواب لو . ومعنى النفي باطل لأن مانع التلفيق لا يمنع المجتهد من القول بهذه المسائل ، ولا يصح انعنى الا اذا جعلت الجملة للاستفهام ولا تبعث على المصنف لضعفه في العربية ، والا فالعبارة محرفة

وغيرها من كتاب النكاح مستشهدا بها في مسألة من مسائل النكاح سيأتي ذكرها : للحنفي ان يعمل فيها بنير مذهبه .

اقول : فهذا ابو يوسف رحمه الله امام المذهب وكبيره المجتهد الكامل قد قلد عند الضرورة ولم يكن ذلك مذهبا له ، بل مذهبه تنجس الماء القليل وان لم يتغير بوقوع ما ينجسه فيه ، ولا شك ان الظاهر انه فعل الطهارة وصلى الصلاة على مقتضى مذهبه وانما قلد في خصوص الماء فتمد حصل التاميق منه ، وهو اوفى حجة لنا ، ويستناد منه ايضا انه يقلد اذا احتاج ، اذ هو الظاهر من فعله هنا ، وان كان نقل في جواهر الفتاوى عن الحاوي من كتبنا : ان ابا يوسف رحمه الله بقي على هذا المذهب ستة اشهر ، ثم رجع الى مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى في المسئلة . فانه يحتمل انه ظهر له بالدليل بعد التقليد صحة ما ذهب اليه غيره ممن قلده في المسئلة خصوصا ، ولغنى نقل المحيط والظهيرية « ولم يكن ذلك مذهبا له بل يدل على وقوعه تقليدا »

وهذه المسئلة وهي : هل للمجتهد ان يقلد مجتهدا في مسألة فيها خلاف ؟ المشهور انه ليس له ذلك ، وروي عن الامام محمد رحمه الله جواز تقليد العالم للأعلم ، والفقيه للأفقه ، وفرع ابي يوسف هذا يوافقه . ثم رأيت في أصول الامام شمس الأئمة ابي بكر بن محمد بن احمد بن ابي سهل السرخسي رحمه الله تعالى — وهو صاحب — المبسوط ما نصه :

على اصل ابي حنيفة رحمه الله تعالى — اذا كان عند مجتهد ان من يخالفه

في الرأي اعلم بطريق الاجتهاد فانه مقدم عليه في العلم فانه يدع رأيه لرأي

من عرف زيادة قوة في اجتهاده — الى ان قال — : وعلى قول ابي

يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى « لا يدع المجتهد في زماننا رأيه لرأي من هو مقدم عليه في الاجتهاد من اهل عصره » الى آخر ما ذكره . فافاد عن محمد خلاف ما رأته عنه ، فلعل ان له في المسئلة روايتين ، ونقل صاحب الفتاوى الصيرفية عن فوائد تجنيس الملتقط : اشترى الامام الشافعي رحمه الله تعالى الباقلاء من منادى السكك ، فاكل واكلوا وصلوا بعد ما حاق وعلى ثوبه شعر كثير ، فقليل له في ذلك ، فقال : حين ابتلينا انحططنا الى مذهب اهل العراق . وهو يفهم بظاهره انه قلد في ذلك .

فقد تلخص من المنقول عن الائمة ان التلقيق ^(١) من مسألي ابي يوسف وبعض علماء خوارزم ، ومسئلة صحة الحكم على الغائب بصحة النكاح بعد وقوعه - كما سبق في المسئلة التي ذكروها - واستثناسي بمقالة المحقق في التحرير ، وما على الانسان ان يختار الاسهل في العمل . ثم وجدت شيخ الاسلام خاتمة الائمة المتأخرين مولانا العلامة زين الدين ابن نجيم صرح في رسالة الفها في بيع الوقف على وجه الاستبدال - بان ما وقع في آخر التحرير من منع التلقيق فاما عزاه الى بعض المتأخرين وليس هذا المذهب . انتهى . فحمدت الله تبارك وتعالى على موافقة ما ادعيته لما نص عليه مولانا العلامة ابن نجيم .

(للرسالة بقية)

{١} كذا والمعنى مأخوذ من مسألي ابي يوسف الخ

الصهيونية

(تنقل هذا الفصل من جزء نوفمبر سنة ١٩١٣ لمجلة الهلال المفيدة لاطلاع من لم يطلع عليه من قرائنا في هذه الايام التي كثر فيها الخوض في هذه المسألة)

تاريخها وأعمالها

الصهيونية دعوة اجتماعية سياسية انتشرت في الامة الاسرائيلية باواخر القرن الماضي وكثر تحدث الناس فيها بالاعوام الاخيرة . وقد همنا امرها على الخصوص في اثناء رحلتنا بفلسطين . ولا بد لنا في بحثنا عن احوال تلك البلاد الاجتماعية والاقتصادية من الاشارة الى هذه الدعوة وتأثيرها الشديد في تلك الاحوال . فرأينا ان نأني على خلاصة تاريخها وحقيقة غرضها لزيادة الايضاح فنقول .

موضوعها

قد تقدم في كلامنا عن تاريخ فلسطين في الهلال الماضي كيف تشتت اليهود في انحاء العالم بعد ان جاهدوا في الدفاع عن اورشليم دفاع الاسود . وقد مضى عليهم في هذه المهجرة نحو ١٩ قرنا وهم يندبون وطنهم ودولتهم وهياكلهم . ولا سيما هيكل سليمان الباقية آثاره في القدس الى الآن كما سنبينه مصورا في رحلتنا . وقد حاولوا استرداد ذلك الوطن عبثا ونظموا الاشعار في رثائه . ولا يزالون الى اليوم يبيكون ذلك المجد الذاهب كل اسبوع عند احجار يعتقدون انها من بقايا هيكل سليمان وقد حاول اليهود المهاجرون السعي في استرجاع ذلك الوطن غير مرة باساليب مختلفة آخرها الحركة الصهيونية التي نحن في صدها

ولا بد لكل دعوة اجتماعية او سياسية من غرض ترمي اليه وغرض الصهيونية « جمع الشعب الاسرائيلي في فلسطين وجعلها وطنا خاصا به » وهي مبنية من الوجهة الدينية على آيات جاءت في سفر ارميا الفصل ٣٠ عدد ١٠ حيث يقول « لا تخف يا عبدي يعقوب يقول الرب ولا تفزع يا اسرائيل فاني اخلصك من الغربة وذريتك من ارض جلاهم فيرجع يعقوب ويستقر في الراحة والخصب ولا يرعبه احد » وفي حزقيال (ص ٣٩ عدد ٢٨) « فيعلمون اني انا الرب الههم باجلاتي اياهم الى الامم ثم جمعي

اياهم الى ارضهم بحيث لا أبقى هناك منهم احداً من بعد » وفي عاموس قول صريح (ص ١٤:٩) « واردة شعبي اسرائيل فيبنون المدن الخربة ويسكنونها ويفرسون كروما يشربون من خمرها وينشثون جنات يأكلون من ثمرها واغرسهم على ارضهم فلا يقتلون فيها بعد من ارضهم التي اعطيتها لهم »

وهناك نبوات أخرى بهذا المعنى او نحوه في زكريا واشعيا وميخا وغيرها . في ما عندهم من الاعتقاد بالمسيح الذي سيأتي ويجمع بني اسرائيل حوله ويزحف على القدس ويعيد العبادة للهياكل وغير ذلك مما جاء في التلمود

على ان هذه الاقوال وامثالها لا تكفي لاجماع الامة على العمل بها ان لم يتوقع اصحابها نقما اقتصاديا او سياسيا من ورائها او ان يدفعهم للعمل جوع او اضطهاد او ظلم . وكم من اعتقاد يعتقد الناس ولا يجتمعون للعمل به لعجزهم عن ذلك او لعدم الاضطرار اليه ؟ وانما يجتمعون للعمل في ما يرون لهم فيه مصلحة حقيقية . ويتذرعون الى الاجتماع غالبا باسباب دينية يتوكلون عليها ويؤولونها الى ما يساعدهم على ذلك القيام ولا بد في مثل هذه الحال من محرك يبعث على النهوض . وقد بعث اليهود على هذه الحركة اراكان : الاول تمكن الروح الملية من نفوسهم على اثر الارتقاء الاجتماعي والعلمي في العالم المتقدم . فان شيوع الحرية الشخصية ولد في نفوس الامم عصبية عنصرية غلبت على الجامعات الاخرى . وبهذه العصبية يطلب الجرا التخلص من النسا ويحاول البلقانيون الخروج من سلطة تركيا . والبلقانيون انفسهم يتحاربون الآن باسم العنصرية مع انهم من مذهب واحد واقليم واحد . والامر الثاني مبالغة الامم النصرانية في امتنان اليهود باسم الانتسميتزم (Antisemitism) ومعنى اللفظة « مقاومة الساميين » لكنهم يريدون بهم اليهود خاصة . قال ذلك طبعا الى اجتماع كلمة اليهود باوربا وفيهم طائفة حسنة من اصحاب الاموال ورجال السياسة والعلم وأهل الهممة والنشاط فآخذوا يبحثون في الدفاع عن امهم . وآنسوا في انفسهم المقدرة على العمل بتلك الآيات فوجهوا عنايتهم اليها ، فأخذ كتابهم يحرضون قومهم على الاستعمار في فلسطين للتخلص من اضطهاد الامم لهم . وقال بعضهم « اذا لم يكن ابتياح فلسطين ممكنا فلنطلب وطننا في مكان آخر على وجه هذه البسيطة »

ونشط آخرون لاستنصار الجمعيات الخيرية الاسرائيلية كجمعية الاتحاد الاسرائيلي على القيام بهذا العمل سنة ١٨٦٣ ولكن هذه الجمعية غرضها الرئيسي تهذيب الشبيبة اليهودية . وحاول غيرهم استنهاض جمعية اليهود الانكليزية في لندن وجميعهم في برلين فترتب

على ذلك تأسيس الجمعية العمومية الفلسطينية وجمعية الاستعمار الفلسطيني . لكن الدعوة لم تكن نضجت بعد فلم تأت هذه المساعي ثمرة . فوجهوا انتباههم الى وادي الفرات لعله يصح ان يكون مهجرا لهم . وبذل السياسي اولفانت الانكليزي جهده في نيل امتياز خط حديدي في ذلك الوادي ليسكن فيه مهاجري اليهود من روسيا . واقترح انشاء مهجر يهودي في فلسطين بنواحي السلط على ان تتألف جمعية رأس مالها عشرة ملايين فرنك تبتاع مليون فدان يستثمرها يهود بولندا ورومانيا والاناطول . فلم يأذن لهم السلطان - وقدس على ذلك سائر مساعيهم في هذا السبيل

لكن روح الصهيونية اخذت تتمكن من قلوب اليهود . وهم يزدادون تمسكا بالعنصرية كلما زاد مقاومتهم شدة . فكثرت الجمعيات التي تألفت لهذه الغاية . واول جمعية افلحت في استثمار ارض فلسطينية نشأت سنة ١٨٧٩ ولما التأم المؤتمر الاسرائيلي سنة ١٨٨٤ للنظر في احوال المستعمرين والاخذ بناصرهم حضره مندوبون عن خمسين جمعية فازداد القوم نشاطا وبلغت الحركة اشدها سنة ١٨٩٤ واوشكوا ان يبلغوا غايتهم لكن العثمانيين انتبهوا لاغراضهم فخلوا بينهم وبين ما يريدون . ولم يستقر عملهم على قواعد متينة الا بعد ظهور الدكتور تيودور هرتسل صاحب الدعوة الصهيونية

وهو رجل نمساوي شديد الغيرة على العنصر الاسرائيلي عالي الهمة قوي الحجة كتب وهو في باريس سنة ١٨٩٥ كتابا في استعمار اليهود سماه « الوطن الاسرائيلي » لم يزعم انه يستهض به الهمم او يستثير العزائم بل قال انه كتبه لنفسه ولا يقف بعض اصدقائه على آرائه . ولكن الكتاب مالبت ان طبع في فينا بالنمساوية حتى نقل الى فرنسا وفرنساوية والانكليزية والعبرانية واعيد طبعه مرارا وراج رواجا عظيما . وحرك الهمم فوق ما كان يتوقع الناس منه . وقد عارضه كثيرون لكن المجاري الاجتماعية اقتضت ظهور ثمره لان فكرة استعمار اليهود لفلسطين كانت قد نضجت واستعدت لها الاذهان وناقت اليها النفوس

وخلاصة آراء هرتسل في ذلك الكتاب « ان اعداء الساميين آخذون في الازدياد ولا يستطيع اليهود مقاومتهم لتشتت شملهم في الارض فهم في حاجة الى الاجتماع في وطن خاص بهم » فاقترح انشاء شركة يهودية اقتصادية رأس مالها ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه مركزها لندن . وان تتألف جمعية سياسية يهودية تدبر اعمال هذه الشركة وتشير عليها بما ينبغي عمله . واقترح للقيام بذلك ابتياع فلسطين او الارجتين على ان

ينتقل اليها اليهود انتقالا منتظما . ثم عدل هرتسل رأيه هذا فحصر طلبه باستعمار فلسطين دون سواها لعلهم ان الناس لا يساقون بمثل الشعائر الدينية واليهود هجروا فلسطين وقلوبهم في هيكل سليمان

ولم تمض سنة على نشر آراء هرتسل حتى اقبلت الجمعيات على الاخذ بها. واول من فعل ذلك جمعية اليهود والنمساوية فوق بضعة آلاف منهم سنة ١٨٩٦ على خطاب يطلبون فيه تأسيس جمعية يهودية في لندن ، غير من أخذ برأيه وتعصب له من الناشئة المتألمين من مقاومة اليهود . على ان طائفة كبيرة من الحاخامين في روسيا والمانيا والنمسا وانكثرا عارضوه في بادئ الرأي لانه لم يعتبر الوجهة الدينية من المسألة كما ينبغي . ولان أتباعه اكثرهم من الشبان المتهورين (١) واهموهم بكل فيسح . وكان المسيحيون أشد عطفًا على الصهيونية من اولئك الحاخامين فنصروها بأقلامهم والسنتهم ومن جملة العقبات التي قامت في طريق الصهيونية مسألة التعليم لان الحاخامين اعتبروا نشر العلوم العصرية من قبيل الخروج عن الآداب الدينية . واشاعوا ان الصهيونية من آلات الكفر . فلما انعقد المؤتمر الثاني رأى هرتسل من الحكمة مسألة رجال الدين فاعترف ان الصهيونية تشمل السمي في احياء شعائر الدين فضلا عن الاقتصاد والسياسة

اعمال الصهيونية ووسائلها

قد يستغرب القارئ نجاح هذه الدعوة في هذه المدة القصيرة . لكنه اذا علم الغرض والوسيلة هان عليه ذلك . دعا هرتسل الشعب اليهودي من انحاء العالم المتمدن الى مؤتمر اجتمع في باسل سنة ١٨٩٧ حضره نيف ومئتا عضو بعضهم يمثلون جماعات . وكانت الازهان متأهبة لقبول الدعوة فلم يكتفوا باعلانها - وهي ايجاد وطن شرعي للشعب الاسرائيلي في فلسطين - بل بحثوا في الوسائل المؤدية الى نشرها وتأيدوها فقرروا لذلك ثلاث وسائل من ارقى الوسائل المؤدية الى النجاح وهي :

(١) احياء آداب العبرانية ونشرها

(٢) انشاء مدارس لتعليم اللغة العبرانية

(٣) انشاء مالية مشتركة لليهود

واخذوا بعد انقضاء هذا المؤتمر في تأييد هذه القرارات بنشر الكتب والقاء

(١) املاها المتهورين كما يقتضيه السياق

الخطب في اللغات العبرانية والألمانية والفرنسية والانكليزية والعربية . وشكوا عمدة للاستعمار الاسرائيلي . فلما انعقد المؤتمر الثاني في فينا ثم في بازل سنة ١٨٩٨ ظهر في التقارير التي تليت في ذلك الاجتماع ان الجمعيات الصهيونية القائمة بذلك العمل تضاعفت كثيرا واصبح عددها ١٥٠ جمعية . فاخذ اعداؤها يتقربون منها وآمن بمبادئها كثيرون من رجال الدين . وتقرر في هذا المؤتمر تعيين جمعية خاصة بالاستعمار غرضها توسيع نطاقه وان تكون اللغة العبرانية هي لغة اليهود حينها وجدوا وقس على ذلك ما جرى في المؤتمرات التالية . فانعقد المؤتمر الثالث في بازل ايضا وكانت إيجاته اكثرها في نيل امتياز من السلطان عبد الحميد لم يسفر عن نتيجة ، وبلغ عدد الجمعيات الروسية فقط ٨٧٧ جمعية . وعدد المنتظمين في عضوية الجمعية ٢٥٠٠٠٠ نفس . وانعقد المؤتمر الرابع في لندن سنة ١٩٠٠ والخامس في بازل سنة ١٩٠١ وفي هذا المؤتمر تقرر عقد مؤتمر عمومي كل سنتين . غير المؤتمرات الفرعية في اثناء السنتين . وقرروا انشاء مكاتب المطالعة ومدارس وتأليف دائرة معارف عبرانية . وانعقد المؤتمر السادس في بازل سنة ١٩٠٣ وتقرر فيه ارسال لجنة الى اوغندة تبحث في هل تصلح تلك البلاد للاستعمار . وقرر تخصيص ٢٠٠٠٠٠ جنيه لشراء ارض في فلسطين وسوريا . وفي السنة التالية ١٩٠٤ توفي الدكتور هرتسل صاحب هذه الدعوة فاتخبوا مكانه الدكتور نوردو رئيسا . وعرضت انكلترا في ذلك العام على الصهيونيين ارضا في شرقي افريقيا الانكليزية على سكة حديد اوغندة بين نيروبي وماو لاجل انشاء مستعمرة يهودية مستقلة باحكامها تحت رعاية الدولة الانكليزية . فعيّنت لجنة للبحث فقررت ان البقعة ضيقة لا تكفي فرفضوها . وقس على ذلك سائر مؤتمرات الصهيونية وآخرها المؤتمر الحادي عشر الذي انعقد هذا في العام فينا برئاسة الموسيو وانسن وقد جاء فيه ان الصهيونية سائرة على قدم النجاح وان سلامتها مرتبطة بسلامة الدولة العثمانية لان المسألة اليهودية والمسألة العربية متفتتان . وقرر اشياء اخرى اهمها انشاء جامعة في اورشليم لتعليم العلوم العالية باللغة العبرانية وفي جملتها اللغات الشرقية والفلسفة القديمة والحديثة . غير المؤتمرات الفرعية التي كانت تعقد في انحاء العالم المتمدن ومنها مؤتمر عقد في زمارين من اعمال فلسطين حضره ٥٠ عضواً وشرط للدخول في الجمعية خمسة غروش يدفعها الطالب . وقسموا فلسطين من حيث الصهيونية الى ست مناطق وتقرر تأليف جمعيات وفروع للاخذ بناصرها . ومن قرارات المؤتمر السابع من حيث العمل في فلسطين السعي في التنقيب عن

الاثار وترويج الزراعة والصناعة وتحسين سائر الاحوال الاقتصادية وترقية الحياة الاجتماعية اليهودية وغير ذلك . وبلغت الجمعيات الصهيونية الآن الوفا عديدة ترجع في اعمالها الى قرارات المؤتمرات العامة

والجمعية مصارف مالية لترويج اغراضها منها «المصرف اليهودي الاستعماري» وغرضه سياسي . وهو اهم ادوات الجمعية في موضوعها الاساسي . والغرض منه «تنشيط الاستعمار الاسرائيلي في فلسطين وسوريا وسائر انحاء تركيا وفي جزيرة سينا وقبرص» . وهو بنك مساهمة عدد المساهمين فيه نحو ١٣٥٠٠٠ وله شعبة في يافا باسم الشركة الانكليزية الفلسطينية لها فروع في اكثر مدائن فلسطين . وزاد رأس ماله على ١٢٠٠٠٠ جنيه . والبنك اليهودي المالي والغرض منه جمع رأس مال يكون ملك الصهيونية يستخدم لاقتناء الارضين في فلسطين . واشترطوا ان رأس ماله لا يمس حتى يبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه . وقد زاد الآن على ١٢٠٠٠٠ جنيه

غير ما انشأته الجمعية من وسائل التعليم والتهديب كالمسكاتب والمدارس والجمعيات الادبية والصحية للرجال والنساء وعززوا شأن المرأة واعطوها حق التصويت والانتخاب لعضوية المؤتمر ، فالقت الجمعيات النسائية الادبية والتهديبية والاجتماعية وناهيك بما انشأوه من الصحف الكبرى لخدمة اغراض الجمعية في روسيا والنمسا والمانيا وايطاليا وانكلترا ومصر وبلغاريا وغيرها . وانتشرت الدعوة الصهيونية بذلك في انحاء العالم المتمدن الى الصين واليابان وتركستان وفيليبين فضلا عن ممالك اوربا واميركا وغيرها . واصبح انصارها يعدون بالملايين . وهي مؤلفة من احزاب وفرق تتناقش وتبحث سعيها في المصلحة العامة وتأييد الغرض الاصلي المراد بها . فهي اشبه بدولة ديموقراطية منها بجمعية سياسية اجتماعية . وقد اتخذت احسن الوسائل المؤدية الى تقوية البدن وتوسيع العقل وتأييد المبدأ فافلحت مساعيها . وانشأت في فلسطين مستعمرات يهودية في اطيب ارضها واكثر من المدارس والمزارع والجمعيات والمكاتب والمصارف والمعامل الصحية والطبية . واهم تلك المساعي من الوجهة الاجتماعية احياء اللغة العبرانية وآديها مما سنا في على امثلة منه في الكلام عن احوال فلسطين الاقتصادية والاجتماعية من رحلتنا لهذا العام .

(١) المنار ليعتبر بهذه المهمة العالية من كان له قلب يشعر وعقل يفكر ولتعلم من سيرة هؤلاء اليهود كيف تحيا الامم بعد موتها وتعمز بعد ذلها ، وليحث في افواه اليائسين التراب قبل ان يحثي على اجسادهم لعنة الله عليهم أجمعين

تقريظ المطبوعات الجديدة*

أعيان البيان . من صبح القرن الثالث عشر الهجري الى اليوم

كتاب خاص بتاريخ الآداب العربية في هذا العصر ، وتراجم نوايع الادباء والشعراء تأليف حسن افندي السندوبي . طبع بمطبعة الجالية بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ و ١٩١٤ مالية صفحاته ٤٣٢ بقطع المنار بحرف متوسط الحجم على ورق جيد ثمنه ١٠ قروش خلا اجرة البريد ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

اندفع كتاب العربية في هذه السنين الاخيرة الى تدوين آداب اللغة العربية وتاريخها فكتب جرجي بك زيدان والشيخ احمد الاسكندري ومصطفى افندي صادق الرافعي وغيرهم . وألقى أشهر علماء الادب بمصر الشيخ محمد المهدي استاذ هذا الفن في الجامعة المصرية ومدرسة القضاء الشرعي دروسا في الجامعة المصرية وغيرها في الموضوع تبلغ أسفاراً ، وأنجحت نفوس الاساتذة والطلبة الى استخراج جواهر هذا الفن من قواميس جهايزة العربية واساطينها . فتسابق المؤلفون والمدرسون في هذا المضمار

وكان مؤلف هذا الكتاب حسن افندي السندوبي يراقب هذه الحركة وضم الى مطالعة كتب الأدب القديمة مطالعة هذه المكتوبات الحديثة وأعد العدة الى تأليف كتاب في ركن من أركان الموضوع لم يطرقه المعاصرون وهو تراجم أشهر ادباء هذا القرن والذي قبله فأنبتها ذا كراً مميزات المترجم فؤلفاته فنبذا من آثاره القلمية نثراً ونظماً

وقد جعل كتابه هدية لمليك البلاد اعزه الله وصدره بمقدمة شعرية تاريخية اجمل فيها تطورات الادب العربي في ست عشرة صفحة أوجز فيها واختصر فالكتاب مفيد وليس له في بابيه نظير من المؤلفات العصرية وأني لارجو ان اوفق الى مطالعته لاعطيه حقه من التقريظ والتقد

﴿ ديوان المازني ﴾

الجزء الاول منه نظم ابراهيم عبد القادر المازني طبع بمطبعة البسفور صفحاته ١٥٧ بقطع رسالته التوحيد بحرف كبير ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

صدر المازني ديوانه بمقدمة عنوانها « الطبع والتقليد في الشعر المصري » من انشاء

﴿ كتب تقاريف هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

عباس محمود العقاد ابداع فيها وان يكن قد جار في بعض احكامه الا انه تسكلم على سير الادب كلام ذي ذوق وتطرق الى اسلوب الشاعر (المازني) بالنظم على اوزان لم تكن مسبقة سيرا مع العصر وفسكا لقيود اخنى عليها الدهر

هذا وقد جرى بعض كتاب العصر على سنة سيئة تنافي سيرتهم الاولى وطريقة آباؤهم المثلى وهي ترك مكتوباتهم بتراء جذماء لا بسملة فيها ولا حمدلة، وعلى هذه السنة جرى شاعرنا المازني وكاتب المقدمة . على ان كتبة الفرنجة الذين يكتبون بالعربية قلما يدعون كتبهم غفلا ، فكان على كتابنا احد امرين اما السير على سنن الاولين واما تقليد المعاصرين تقليدا اعمى

هذا وان المازني قد طرق عدة مواضع اجاد النظم فيها وان شعره يشعر بان هلال ادبه سيكون بدرا .

(فتاة النيل) مجلة نسائية علمية تاريخية أدبية ضخمة تصدرها في مصر الفاضلة سارة الميمنية في أول كل شهر عربي قيمة اشتراكها في مصر والسودان ٥٠ قرشا وفي الخارج ١٥ فرنكا صفحاتها ٤٠ مطبوعة على ورق جيد

للفاضلة سارة الميمنية مباحث يعرفها قراء العربية بما كانت تنشره في الصحف السيارة باسم (فتاة النيل) وقد رحب القطر المصري بمجلتها « فتاة النيل » لتسد فراغا في عالم الادب يصدر هذه المجلة فنحث التلميذات والمعلمات على قراءتها كما نحث أرباب العائلات على ذلك

(الرشديات) مجلة تاريخية أدبية شهرية لصاحبها زكريا أحمد رشدي تصدر في مدينة الاسكندرية قيمة اشتراكها السنوي في مصر ٣٠ قرشا وفي الخارج ١٢ فرنكا صفحاتها ٣٢ صدرتها العددان الاول في غرة شعبان والثاني في غرة رمضان سنة ١٣٣١ ولم نر من أعدادها بعد ذلك شيئا فأتى لها الحياة ودوام الانتشار لأنها ذات مواضع مفيدة

(البشير) صحيفة تخدم العرب والعربية والملة تصدر في كل شهر عربي مرتين في فيلمينغ « صومترا » لمنشئها محمد بن هاشم بن طاهر ذات اربع صفحات أو خمس قيمة اشتراكها في هولنده ومستعمراتها ثلاث رويات هولندية

من أجل الخدمات التي قام بها السيد محمد بن طاهر بن هاشم للدين والعرب والعربية هذه الجريدة وهو يكتبها باللغة العربية ولغة البلاد فهي عامل من عوامل الرقي هناك ويمكن الحصول عليها بواسطة ادارة ومكتبة المنار بمصر

(دروس الديانة والتهديب) الجزء الاول منه طبعة ثانية سنة ١٩١٤ صفحاته ٤٥ بالقطع الصغير والجزء الثاني منه تحت الطبع ويطلب من مكتبة المنار بمصر (مقرر السنة الاولى لتلاميذ المكاتب منه) - مواضع معرفته الله، والرسول، رسالة سيدنا محمد (ص) سيدنا آدم، سيدنا نوح، نجات سيدنا ابراهيم من النار، سيدنا يوسف واخوته، اجتماع يوسف مع ابيه واخوته، سيدنا موسى والعصا، هجرة سيدنا محمد الى المدينة، نواقض الوضوء، الاشياء اللازمة لسكل صلاة، كيفية الصلوات الخمس. (مقرر السنة الثانية لتلاميذ المكاتب أيضا) سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولادته، أعماله، أخلاقه قبل الرسالة، هجرته الى المدينة، مقابلة أهل المدينة له، انتشار الدين الاسلامي بعد الهجرة، الاسلام بعد فتح مكة، وفاته (ص) قواعد الاسلام الخمس، الشهادتان، الصلاة وأوقاتها، شروط صحتها، مبطلات الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، الأخلاق الفاضلة المأخوذة من القرآن الكريم الخ (كتاب المطالعة السهلة) الجزآن الثاني والثالث مقرران للفرقين الثالثة والرابعة من المكاتب طبع طبعة ثانية سنة ١٩١٤ منقحا على حسب ما رآته نظارة المعارف صفحاته ٦٩ يطلب من مكتبة المنار بمصر ومن المؤلفين وهو مجموعة حكايات ومحدثات ونبد علمية واجتماعية واخلاقية وادارية الى غير ذلك

(دروس الحساب) هو كتاب على اسلوب سهل الجزء الاول منه للفرقة الاولى والثاني للثانية من تلاميذ المكاتب وهكذا الى الرابع هذه الكتب الثلاثة تأليف الاستاذين العالمين الشيخ مصطفى العناني المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية والشيخ عطية الاشقر مساعد مفتش بنظارة المعارف العمومية، وناهيك بكتب يضعها للتعليم من اشتغل فيه عدة سنين في مدارس متفرقة، فاحر بهذه الكتب ان تنتشر في الآفاق العربية وان تستعملها الحكومة العثمانية في مدارسها، على اني لم اطلع بعد على جميع الاجزاء وبما رأيت كفاية

{عظة الناشئين} كتاب اخلاق وآداب واجتماع تأليف الشيخ مصطفى الفلايبي استاذ اللغة العربية في المكتب السلطاني في بيروت طبع في مطبعة الثبات في بيروت سنة ١٣٣١ صفحاته ١٦٠ بالقطع الصغير ويطلب من المكتبة الاهلية في بيروت

الكتاب مجموعة ما كان يكتبه صديقنا الاستاذ الفلايبي في جريدة المنيد وقد جعله هدية لروح فقيه الادب، وريحانة نابتة العرب، فؤاد اقندي خنتس احد

صاحبي المفيد . ولا حاجة بي الى مدح الكتاب باكثر من انه من انشاء من عرفه جمهور قراء العربية بعلمه وفضله وتحريره النفع فيما يكتب وثمنه خمسة قروش (الفرائد) هو مختار ما كتبه الشيخ محمد مصطفى الهياوي في الأدب والاخلاق والاجتماع ونشره في الجرائد طبع على ورق جيد طبعا نظيفا بمطبعة ابي الهول بمصر سنة ١٣٣١ صفحاته ١٨٩ بقطع رسالة التوحيد ، يطلب من مكتبة المنار وثمنه خمسة قروش فصول الكتاب شتى ومعظمها شكاية من الدهر وبنية وايهم الاول فكأنما تفيض فيه من روح المعري وتسربل برداء ابن الهبارية

كتاب المؤتمر العربي الاول

المنعقد في باريس من ١٣ رجب سنة ١٣٣١ الى ١٨ منه

صدورته اللجنة العليا لحزب الامر كزية في مصر مزينا بالصور مفتتحا بمقدمتين (احدهاها لمنشي* هذه المجلة والثانية لجامعة محب الدين الخطيب) عن فكرة المؤتمر ونتيجته وتاريخ الحركة العربية ويتخللها صورة الاتفاق الذي تم بين المؤتمر ومندوب جمعية الاتحاد والترقي . وفيه محاضر جلسات المؤتمر الاربع وما دار فيها من المناقشات، وفيه خطب: السيد الزهرراوي ، العريسي ، مطران ، دياب ، طباره ، عمرون ، مكرزل ، بهيم ، دباس ، غانم . وفيه ١٨ رسالة بريدية وبرقية من ٤٢٠ جمعية وجماعة وشخص في تأييد المؤتمر . وفي آخره قصيدة مهداة من فؤاد الخطيب للمؤتمر ، ثم بيان حزب الامر كزية ومظاهرتة السلمية برفع برقيات الاحتجاج الى العدارة بطلب الامر كزية وقد وقع في ٢٣٤ صفحة كبيرة وطبع على ورق جيد ، ثمنه ٨ قروش مصرية واجرة البريد قرشان ويطلب من مكتبة المنار بمصر

فالكتاب اجتماعي سياسي اداري يمثل شعور الامة بمحاجيات الحياة والارتقاء فيها ، وضرورة الاثثار بين اولي الامر ، ومداولات اصحاب العقول الراجحة والافكار الثاقبة ، ويجلي سر تطور الامم وانتقالها في الاجتماع والسياسة من طور الى طور ويشخص بالاجمال امراض الاجتماع في المملكة العثمانية وشعوبها المتعددة المتباينة ، ويصف انجع دواء يحفظ حياتها ويشد عضدها ، لتقف في صف الاحياء الامامة فتناضل عن حوزتها ، وتحفظ بقيتها ، وتدافع عن ملكها وملكها ، فاجدر بكل من يقرأ العربية ان يطلع على هذا الكتاب وخصوصا العثمانيين حاكمهم ومحكومهم ، عربهم وعجمهم ، فانه الصق بهم من غيرهم ، وجميع ابحاثه تدور على محور مصلحتهم

﴿ مستقبل الدولة العثمانية وطلاب الإصلاح من العرب ﴾

كنا نسمع ونقرأ منذ وعينا أن لكل دولة من الدول الأوروبية مطمعا في ولاية أو قطر من المملكة العثمانية . سمعنا كثيرا أن مملكة طرابلس الغرب ستكون لاطالية . وقرأنا في تاريخ الافغان للسيد جمال الدين ان انكلترة لم تروها مياه النمس والكنج ففغرت فاما لتجرع مياه النيل ونهر جيحون (يعني الاستيلاء على مصر وبلاد الافغان لأن نهر جيحون على التخم الشمالي الشرقي من تلك المملكة) كتب السيد هذا بمصر في عهد اسماعيل باشا . وقد احتلت انكلترة مصر وإيطالية طرابلس . فصدق ما كان يقال

وكنا ولا نزال نسمع ونقرأ أن فرنسا ترى أن سورية لها ، وان انكلترة ترى ان البصرة وبغداد وجميع سواحل جزيرة العرب لها - والداخلية تتبع السواحل بالطبع - كما صرنا نسمع ان لألمانية قلب الأناطول الى العراق . ولروسية شمال الأناطول الى الآستانة - على الخلاف في الغاية اتدخل في المغيا أم لا ؟ . فما يؤمننا ان يحل بهذه البلاد ما حل بما قبلها ؟ ولا سيما بعد ان رأينا ما حل بولايات مكدونية - ونحن ننشد في أمثالنا :

من حلقت لحية جاره فليسكب الماء على لحيته

ان جميع من نعرف من عقلائنا في خوف ووجل من قرب تلك الساعة، والعرب منهم موقنون بأن الدولة ان قدرت على ايجاد اسطول يحمي سواحل البلاد التركية القريبة من الآستانة وجزائرها من اليونان أو البلقان، فلن تقدر به عن حماية سواحل سورية من فرنسا ولا سواحل العراق أو اليمن والحجاز من انكلترة، فما حظ بلادهم من الاسطول الذي يذلون لتأسيسه الاعانات الاختيارية وغير الاختيارية ؟ هذا الخوف على البلاد هو الذي حمل بعض أهل الغيرة على تأسيس حزب اللامركزية ، وكان المحرك لهم على ذلك صوت رسمي سمعوه من باريس تذكر فيه فرنسا حقها في سورية ... وكان أول سعيهم الفزع الى صاحب الدولة رؤف باشا المعتمد (القومسيير) العثماني بمصر ومكاشفته بخوفهم على سورية أن تغير عليها فرنسا كما أغارت ايطالية على طرابلس ، وبكونهم ألفوا من أنفسهم لجنة للسمي الى الدفاع

سورية ، وطلبوا منه ان يكتب الى الباب العالي بذلك وبما يطلبون من المساعدة على الاستعداد للدفاع الوطني عن البلاد . ولكن المعتمد لم يجيبهم الى طلبهم ، ولا يزال القرار الذي كتبوه بذلك وما كتبوه في مسألة تنفيذه محفوظا عندهم

سُمع بعد ذلك الصوت الفرنسي صوت ألماني من برلين معارض له ، فاطمان القوم بعض الاطه ثنائان الموقوت ، وقويت في نفوسهم فكرة وحبوب الاستعداد للدفاع الوطني - أو المالي كما يسميه الترك - ووجوب قضاء شبان كل قطر خدمة العسكرية في قطرهم لأجل ذلك ، وعقدوا عدة اجتماعات للمذاكرة في ذلك استطردوا فيها من مسألة الدفاع ومسألة المال الذي يتوقف عليه كل شيء الى الجزم بوجوب ترقية كل قطر بأهله ، وتوقف ذلك على الادارة اللامركزية ، فوضعوا برنامج حزب اللامركزية ، رجاء ان يقنعوا به جميع الامة العثمانية ، لا العرب خاصة وفي أثناء ذلك قامت ضجة في بيروت كان من أثرها تأسيس الجمعية الاصلاحية باذن والي الولاية ، وكان من غرضها ان اتفق المسلمين والنصارى على الاصلاح هو الذي يسد ذريعة الاعتداء الاجنبي على البلاد ، ثم قامت ضجة أخرى في العراق وتآلفت جمعية اصلاحية عراقية في البصرة

تلا ذلك صوت عربي من باريس يدعو الى عقد مؤتمر سوري عربي يكون أهم مقاصده مقاومة الاحتلال الاجنبي للبلاد . وكان من أمر انعقاده ما هو معروف ، ولم يكن المؤتمر ولا الجمعية الاصلاحية البيروتية ولا العراقية ولا حزب اللامركزية سببا لمداخلة اجنبية قولية ولا فعلية ، لأن غرض أربابها دفع التدخل الاجنبي ، والمقدمات السلبية لا تنتج نتيجة موجبة

قام المنافقون للحكومة طلاب الدراهم والوظائف والمناصب يلعنون طلاب الاصلاح ، زاعمين ان طلبهم له في تلك الاوقات يخرج الحكومة ويكون ذريعة لافتيات الاجانب عليها ، ولم ير أحدا منهم شتم الارمن ولا لعنهم على استغاثتهم بأعدى أعداء الدولة من الاجانب ونيلمهم ما طلبوا بسعيها !! وقد كذبهم الحق الواقع ولا يزالون يهذون بزعمهم ان طلب الاصلاح على قاعدة اللامركزية يفضي الى اضعاف البلاد واستيلاء الدول عليها . ومنهم من ينحس حزب اللامركزية بهذا الطعن لاعتقاد

ان جيميني بيروت والبصرة قد انحلتا. والمنافق الذي يكتب مالا يعتقد لأجل ارضاء من ينتفع منهم لا يستحي ان يحول الشيء الى ضده بالسفسطة والتزوير
نرى طالب اللامركزية موقنين بأنهم لا يعرفون طريقة لبقاء الدولة وحفظ البلاد ثم عمرائها الا ما يطلبونه ، ونرى حججهم ناهضة يدعن لها المنصفون من غيرهم ، وهم يطلبون من كل ذي رأي ان يقنعهم بطريقة يمكن بها حفظ البلاد العربية من استيلاء الدول الطامعة فيها عليها ، ولما يجدوا مقنعا

كنت مرة في دار المعتمد العثماني (القومسييرية) بمصر أتسكلم في شؤون الدولة مع اسماعيل حقي بك القائم بأعمال المعتمد الآن ، فجاءنا فؤاد بك سليم (قنصل الدولة الجنرال في سلايك الآن) ودخل معنا في الحديث ، فانتقد فؤاد بك ما كان من عقد المؤتمر العربي بباريس والمطالبة بالاصلاح في وقت الحرب بمثل ما كان ينتقده به الممارضون المعتدلون . فقلت له كان هذا يقال ويمد محل نظر وبحث في الوقت الذي انتقد فيه المؤتمر اذ كان سيثو الظن وسيثو القصد يقولون انه يمكن ان يفضي الى اتماب الدولة أو ايقاعها في مشكلة سياسية ، وكان القائمون بالعمل يدفعون هذا ليقينهم بحسن نيتهم واحتياطهم في عملهم ، ثم أيدهم الحق الواقع فانتقضت الحرب وانقضى المؤتمر ولم يكن شيء من عمل طالب الاصلاح متمبلا للدولة في شيء ، وقد قبلوا كل ما عرضه على المؤتمر مندوب جمعية الاتحاد والترقي . فدل ذلك على حسن نيتهم ، وبرائتهم من المشاغبة ومن المطالب البعيدة عن المقول حتى عند الاتحاديين . وانتقدت انا بعض أعمال الاتحاديين بما عز الجواب المقنع عنه . ثم انتقلنا الى المسألة الكبرى

قل فؤاد بك : إن ما مضى فات خطأ كان أو صوابا فما الرأي الآن لسلامة الدولة واعلاء شأنها الذي يجب على الجميع السعي له ؟

قلت ان لي في ذلك آراء أشرت اليها في المنار غير مرة ولو علمت ان رجال الدولة يقبلونها وينفذونها لفصلتها لهم تفصيلا ، وأهمها مسألة سلامة الدولة ، فأنا أرى أن ما توجهت اليه الدولة من اقتراض عشرات الملايين من أوروبية لأجل سد عجز ميزانيتها والقيام بمشروعاتها سيفضي الى أكبر الاخطار ، وان نظارتني الحرية

والبحرية مهما عملنا لا نستطيع الدولة ان تحمي بهما سواحل سورية والحجاز واليمن والعراق ، ولا أن تحول دون اختلال كل دولة من الدول لما تطمع فيه

قال : انا نوافقك على هذا فما المخرج منه ؟

قلت لم يبق لنا وسيلة فيما أرى الا مسألة الدفاع الملى ، لأن الدول الكبرى التي نخافها لا تحارب بلاداً لأجل البطش والانتقام والتخريب كما كان يفعل الملوك في التاريخ القديم ، ولا كما يفعل وحوش البلقان ، وإنما تفعل هذه الدول كل ما تفعله لأجل الكسب ، فمتى كان أهل البلاد مسلحين مستعدين للدفاع عن بلادهم اذا احتلها الاجنبي تمتنع الدول عن الاعتداء عليهم ، وان كانت ترى انها لا تعجز عنهم ، لأن معاداة الاهالي وتخريب بلادهم ، يحول دون الانتفاع منها ومنهم . . الخ فوافقتي فؤاد بك وكذا اسماعيل بك على ما قلت في هذه المسألة وفي غيرها مما لا حاجة الى ذكره

وجملة القول ان طلاب الادارة الامر كزية انما يطلبونها لأنهم يعتقدون أنها هي المنجية لدولتهم ولبلادهم من الخطر الاجنبي ، وان البلاد لا تعمر الا بها ، وليس في مطالبهم شيء يمنع ان تكون مقاليد القوة البرية والبحرية والسياسية للدولة وان تكون في يد العاصمة .

ولما وعدتهم جمعية الاتحاد المتصرفة في الدولة باجابتهم الى بعض مطالبهم رضوا وصبروا وانتظروا . وقد مرت السنة على انتظارهم ولم يحدثوا شيئاً داخلياً ، ولا توسطوا الا جانب في شيء من مطالبهم ، وهذه جرائد الشرق والغرب تصخ مسامعهم بنخب اتفاق الدولة مع الدول الكبرى على جميع سواحل البلاد العربية ، وباعطائهم الامتيازات فيها ، وبارهاق الولايات كلها بالديون الفاحشة - وتلك طرق الدول وسلاحها في الفتح السلمي - فبزدادون خوفا ورعباً من سوء العاقبة وخطر المستقبل . أفليس من سنة الله في غرائز البشر وفطرتهم ومما توجبه عليهم - أديانهم وشرائعهم ، ومما تطالبهم به حقوق أممتهم وبلادهم ، - ان يبحثوا عن المأمن من الخوف ، والموئل من الفرع ، والمنجاة من الخطر ؟؟ أو ليس من مقتضى الفطرة والشريعة أن يطلب الانسان لنفسه فوق تجنب الملكية ، عيشة راضية وحالة حسنة عزيزة ؟

عقدت جمعية الاتحاد الاتفاق بين مندوبها (مدحت بك شكري) ومندوب حزب اللامركزية في المؤتمر العربي (السيد الزهراوي) وصدقت حكومتها على بعض ما وقع عليه الاتفاق وصدرت به الارادة السلطانية. ثم عينت الحكومة السيد الزهراوي عضوا في مجلس الاعيان فقبل ذلك ليكون مطلعا ومساعدة على تنفيذ الاصلاح الموعود به قولا وكتابة. فلم يستفد حزب اللامركزية من ذلك الا لوم كثير من الاصدقاء وذم كثير من غير الاصدقاء، واتهامه بأنه يسعى للمناصب والوظائف خلافا للمهود والوعود. وقد احتمل الحزب كل هذا لتكون له الحجة على الأمة اذا نفذت الحكومة الاصلاح، والحجة على الحكومة اذا لم تنفذه، وهو لا حجة عليه مطلقا الحزب لم يقل انه لا يقبل الوظائف ولكنه فعل، فلم يدخل احد من اعضائه في خدمة الحكومة. وقد بينا قضية السيد الزهراوي من قبل، ونزيده بيانا

الرجل ثقة مقبول الرواية عند الحزب. وقد كتب الى الحزب انه آتس من الحكومة عزما على الاصلاح المطلوب وأنها تريد ان تعتمد على الثقات المخلصين من العرب وتستعين بهم على اصلاح بلادهم، وانها تكون معذورة في قبول المناهقين، اذا تجنبتها فئة المصلحين الصادقين. ولما تكررت هذه الكتابة منه رغب اليه رئيس الحزب وغيره من اصدقائه بأن يزور مصر قبل افتتاح المجلس ويوقف إخوانه على حقيقة ما رآه، ويفسر لهم ما أشكل عليهم من أعمال الحكومة (كثيرة) إمام البن علي السيد الادريسي وتسلح ابن الرشيد إمام ابن سعود وغير ذلك مع قدرتها على الاصلاح بين الجميع والاستفادة منهم) فأجاب الدعوة، وتكرم بالزيارة، وأكد بلسانه مضمون ما كان يكتبه بقله، من ان الدولة تريد إصلاح بلاد العرب ولكنها لا تقدر على تنفيذ ذلك الا بالتدريج، ووعد بأن يراجع أصحاب الشأن في المسائل التي لم يقف على حقيقتها كسألة جزيرة العرب وأمرائها، ويوقف إخوانه على ما يقف عليه منها

والخلاصة ان طلاب الاصلاح اللامركزي في مصر وغيرها من الاقطار لا يزالون في خوف وجل على بلادهم ودولتهم، ولم يسمعوا قولا ولا رأوا فعلا يفيد الاطمئنان. فالاقوال مضطربة، والافعال مشبهة

لانتكر ان الوزارة الحاضرة قد هبت للعمل هيبة شديدة ، ووثبت في سياستها وثبة بعيدة ، وأظهر أفرادها من الهمة والذكاء والجرأة ، مالا نعرف له نظيرا في تاريخ هذه الدولة ، فأقدموا على اقراض عشرات الملايين من أوروپة ، واعطاء حكوماتها وشركاتها الامتيازات الكثيرة ، والمساعدة على إزالة التنازع والخلاف الذي بين الدول على منافع بلادها ، ونفوذهم الاقتصادي والسياسي فيها ، وتمييد السبيل للصهيونيين ، لاستعمار مملكة فلسطين ، والشروع في تقوية الاسطول ، وفتح المدارس الكثيرة في الاستانة والأناطول ، وايجاد مشروعات الصناعة والزراعة الحديثة في البلاد التركية ، واجابة الارمن الى مطالبوا لبلادهم ، ووعد العرب بالتمفضل عليهم ببعض مطالبهم . وارضاء بعض الاذكياء الظاهرين منهم بالوظائف . وتفننت في جمع الاعانات من الامة بأسماء مختلفة ، وأساليب متعددة ، من وطنية ودينية جائزة وغير جائزة ، كل ذلك من مظاهر الذكاء والهمة والاقدام ، ولكن طلاب الاصلاح ازدادوا به خوفا على البلاد لما نجدد من زيادة حقوق الاجانب فيها وديونهم عليها . مع الجزم بأن كل ما شرع فيه من وسائل القوة ، لا يجعل الدولة كفوًا لدولة من هذه الدول الطامعة ، فكيف والدول لا تعمل الا بمجتمعة متفقة ؟ ولا هو وسيلة لعمران المملكة ، واتحاد عناصرها المختلفة .

وانما الاصلاح الذي يعقلونه هو ان تكون قوة كل قطر فيه . وعمرانه بأيدي أهله ، وان تجتنب الديون الاجنبية بقدر الطاقة ، ويكون حظ البلاد التي تحمل هذا الدين مقسوما بينها بنسبة ما تحمله منه . وان توجه العناية والهمة والذكاء والاقدام الى استثمار الامة بمساعدة الدولة الخيرات البلاد . فهذه البنابيع الكثيرة اذيت البترول في العراق وغيره (مثلا) لا تحتاج الى نفقات كثيرة ، ولا الى علوم وفنون كثيرة ، وهي ثروة ستضاعف على ممر السنين لأنها ستحل محل الفحم الحجري في السفن الحربية وغيرها . فلماذا تمنحها الدولة للاجانب دون الاهالي ؟ ولماذا لا تخصص من هذه الملايين التي تقترضها جزوا قليلا لتعليم مئات من شبان الامة ما يازم من الفنون لاستخراجها ؟ وقصارى القول ان طلاب الاصلاح لا يرجعون عن شيء من مطالبهم ، بشتم بعض السفهاء لهم ، وانما يرجعون عما تقوم الحجة على ضرره ، ويساعدون الدولة على كل ما يقوم عندهم الدليل على نفعه ، وهكذا شأن الخنصين ، والعاقبة للمتقين

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

✽ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ✽

مصر سلع جمادى الآخرة ١٣٣٢ هـ ق ٧ الربيع الثالث ١٢٩٢ هـ ش ٢٤ مايو ١٩١٤

فَتَاوُ الْمَيِّتَانِ

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع عامة الناس، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمذالك ان يرمن الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قد منّا متأخر السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبتنا غير مشترك لمثل هذا، ولان مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(تلقين الميت)

(ص ١٤) من صاحب الامضاء في - كلتن - جاوه

حضرة امام المرشدين وقدة العلماء المصلحين . من يتلقى سؤال كل سائل ماهوف بالقبول والرضا . الاستاذ العلامة مرشد الامة ورشيدها سيدي محمد رشيد رضا . ابقاء الله للمسلمين يداوي كل مرض كان عارضا آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - ارجو من فضلكم اجابة السؤال الآتي على صفحات المنار الاغر - ما قول سيدي فيما شاع في ناحيتنا الجاوية من قراءة التلقين في حاشية البرماوي على شرح ابن قاسم وهو قوله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) الخ بعد تمام الدفن . وهو مشتمل على آيات قرآنية على خلاف اسباب نزولها، ومعان غير متناسبة، وبعضهم زاد على ما في البرماوي زيادات كثيرة ومناسبات لا تليق بالحال «كقل متاع الدنيا قليل» الخ وهي متعلقة بالاحياء لا بالاموات فهل هو على هذا النظم مأثور ام لا ؟ فان قلتم نعم انه مأثور أو انه مجموع من متفرقات، أنورة، فأرجو من سعة علمكم وكرم انسانيتم ان تشرحوه لنا شرحا وافيا حتى لا نخفى معانيه على أمثالنا من القاصرين . وان قلتم لا، فقد اشكل علينا ان البرماوي يقول ويسن تلقينه بعد الدفن وتسوية القبر فيجلاس عند رأسه انسان ويقول بسم الله الرحمن الرحيم كل شيء هالك الا وجهه الخ والبرماوي من علماء المسلمين فكيف يسوغ له ان يقول بالسنية ما لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء هم ادلاء الامة ومرشدوهم الى سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ؟ فكيف يرشدون بما لم يرشدوهم نبيهم صلى الله عليه وسلم، ويخترعونه بمقام ورأيهم ؟ وكيف يجوز لنا أن نلقن موتانا بما لم يرد عن نبينا صلى الله عليه وسلم ومبنى التلقين على التعبد لا بحال للرأي فيه ؟ أفيدونا بيانا شافيا لانا قليلو الاطلاع ، فانا لم نجد سجماته في الآيات القرآنية ولا في الاحاديث النبوية والسلام

الداعي : الحاج موسى عبد الصمد

(ج) ما ذكره البرماوي ليس بسنة ، ولم يرد فيه حديث يثبت السنية ولا الاستحباب ، بل لم يرد في التلقين حديث صحيح ولا حسن ، وإنما ورد فيه حديث واحد ضعيف لم يخرج به أصحاب الصحاح ولا السنن ، بل رواه الضعاف والمناكير والموضوعات وغيرها لأجل تدوينها ، على أن الاعتماد في مسألة الاحتجاج على أسانيدنا ومتونها ، وقد اختلفت الفاظهم فيه بعض الاختلاف ، وهو حديث أبي أمامة رضي الله عنه . رواه ابن عساکر وابن النجار والطبراني والديلمي ، وهاك رواياتهم رموزا فيها اليهم ، من سنن الاقوال ، من كنز العمال ، وهي ثلاث :

١- «إذا مات الرجل فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فيقل: يا فلان ابن فلانة! فإنه سيعلم، فيقل يا فلان ابن فلانة! فإنه سيستوي قاعدا، فيقل يا فلان ابن فلانة! فإنه سيقول له أرشدني رحمك الله، فيقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. وإن منكرًا ونكيرًا عند ذلك كل واحد يأخذ بيد صاحبه ويقول: قم ما تصنع عند رجل لقن حجته؟ فيكون الله حجيجهما دونه (كر عن أبي أمامة)

٢- «إذا مات أحد من اخوانكم فثرتم عليه التراب فليقم رجل منكم عند رأسه ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولكن لا يجيب. ثم ليقل يا فلان ابن فلانة، فإنه يستوي جالسًا، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يقول أرشدنا رحمك الله، ولكن لا تشعرون. ثم ليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأنت رضىت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام دينًا وبالقرآن إمامًا. فإنه إذا فعل ذلك أخذ منكر ونكير أحدهما بيد صاحبه ثم يقول له: اخرج بنا من عذر هذا، ما تصنع به فقد لقن حجته؟ ولكن الله عز وجل حجته دونهم. قال رجل يارسول الله فإن لم أعرف أمه؟ قال انسبه الى حواء (طب. كر الديلمي. عن أبي أمامة)

٣- «يا أبا أمامة: ألا ادلكم على كلمات هي خير للميت من الدنيا وما فيها وما غابت عليه الشمس وطلعت؟ إذا مات أخوك المؤمن وفرغتم من دفنه فليقم أحدكم عند قبره ثم ليقل يا فلان ابن فلانة! والذي نفس محمد بيده أنه يستوي قاعدا، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة: فيقول أرشدني الى ما عندك يرحمك الله (١) فيقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا. شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وقد كنت رضىت بالله ربا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيا، فيقوم منكر فيأخذ بيد نكير فيقول قم بنا ما يقعدنا عند

(١) لمن يذكر النداء في هذه الرواية الامرتين ، ولعله الافة من النساخ

هذا وقد لقن حجته ؟ ويكون الله حجيجهما دونه . قيل : ان كنت لا احفظ اسم أمه ؟ قال فانسيه الى حواء (ابن النجار عن أبي امامة)

واورده في سنن الافعال معزوا الى ابن عساكر بهذا اللفظ : عن سعيد الأموي قال شهدت أبا امامة وهو في النزع فقال لي : يا سعيد اذا مات فافعلوا بي كما أمرنا رسول الله (ص) قال لنا رسول الله (ص) « اذا مات احد من إخوانكم فسوونم عليه التراب » الخ ما تقدم

فانت ترى أنه ليس في شيء من ألفاظ هذا الحديث شيء من تلك الآيات ، ولا تلك السجعات ، ولهذا سكت بعض الفقهاء عن مسألة التلقين وقال بعضهم باستحبابه بناء على تساهلهم في العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال ، وقد أدخل هذا التساهل بدعا كثيرة في الاسلام ، كما حققه الامام الشاطبي في الاعتصام ، وحسبك منه ما نقله عنه في هذه الايام ، من اثبات بدعية الدعاء بعد الصلاة من الجماعة مع الامام . حتى الادعية والاذكار الماثورة عنه عليه الصلاة والسلام ، فان ما ثبت عمله على الانفراد ، لا يجوز فيه التزام الاجتماع ، والمدققون من الفقهاء لم يزيّدوا على ما ورد في حديث أبي امامة

قال النووي : هذا التلقين استحبه جماعات من اصحابنا منهم القاضي حسين وصاحب التمهة والشيخ نصر المقدسي في كتابه التهذيب وغيرهم . ونقله القاضي حسين عن الاصحاب مطلقا . والحديث الوارد فيه ضعيف ولكن احاديث الفضائل يتسامح فيها عند أهل العلم من الحديثين وغيرهم . وقد اعتضد هذا الحديث بشواهد من الاحاديث الصحيحة كحديث « اسألوا الله له التثبيت » ووصية عمرو بن العاصي اه المراد منه أقول أن حديث الدعاء للعبت بالثبوت لا يعضد شرعية التلقين التي يراد بها منع السؤال الذي ثبت الدعاء بالثبوت لاجله ورجاء السداد فيه ، ولو كان التلقين بحول دون السؤال لكان تلقينه خيرا من الدعاء له . وكذلك وصية عمرو لا تمضده ، فانه أوصى بان يقيموا عند قبره قدر ما ينحر جزور ويفرق لهمها ، لاجل أن يستأنس بهم ، يعني ان روحه تشمر بوجودهم فتستأنس بهم في ذلك الوقت الذي هو أول العهد بذلك العالم وحيث يتمتعن الداخل فيه . فمسائل التشريع لا تبنى على مثل هذا . وأنت ترى فيما نقله الشاطبي عن الامام مالك اصلا راسخا من أصول الشريعة وهو ان ما تركه النبي (ص) والصحابة (رض) مع وجود سببه وداعيته فتركهم إياه لإجماع على انه غير مشروع ولا جائز في الدين - أي في العبادات دون العادات -

وقد ذهب بعضهم الى تقوية الحديث بعمل أهل الشام به من المهر الاول في زمن من يقتدى به . قال في شرح الافناع من كتب الحنابلة بعد ذكر المتن استحباب الاكثر للتلقين وذكر الحديث وضعفه ما نصه : وقال الاثرم قلت لابي عبد الله (أي الامام أحمد) هذا الذي يصنعون اذا دفن الميت يقف الرجل ويقول : يا فلان ابن فلانة اذكر ما فارقت عليه - شهادة أن لا إله الا الله - فقال ما رأيت احدا نقل هذا الا أهل الشام حين مات أبو المغيرة ، جاء إنسان فقال ذلك . وكان أبو المغيرة يروي فيه عن أبي بكر بن مريم عن اشياخهم أنهم كانوا يفعلونه اه

أقول أبو بكر بن أبي مريم ضعيف وقد احتاط عقابه . وأما أبو المغيرة فهو عبد القدوس بن الحجاج الحمصي روى عنه أحمد والبخاري في غير الصحيح وأصحاب السنن وهو ثقة وقال النسائي لا بأس به . وقد ذكر التلقين أبو عبد الله ابن القيم في سياق الاستدلال على سماع الموتى بعد الدفن . قال وقد سئل عنه الامام أحمد فاستحسنه واحتج عليه بالعمل . ويروي فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة . - فذكر الحديث وقواه باتصال العمل به في سائر الامصار والاعصار من غير انكار . ثم ذكر حكايات مناسبة لمعنى التلقين

أقول لو أن ابن القيم رحمه الله تعالى اراد تحقيق هذه المسألة في حد ذاتها لكتب غير هذا ، ولكنه أوردها في سياق يريد تقويته بسرد الدلائل الكثيرة كمادته فجاء كلامه فيه موضعا للنظر والنقد . فاما جواب الامام أحمد عنه للأثرم فلا يدل على استحسانه ولا على تقويته بالعمل به ، اذ لم ينقل العمل به الا عن أهل الشام من رواية أبي بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ، فيدل لفظ الامام أحمد على ان التلقين في عصره من القرن الثالث لم يكن معروفا الا عن أهل الشام ، فسقط بهذا قول ابن القيم باتصال العمل به في سائر الامصار والاعصار والحق أن العمل لا يعد حجة الا اذا كان مستفيضا عن أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين فما حدث بعد ذلك فلا قيمة لشيوعه وكثرة العمل به ، فيكم من بدعة عمت الاقطار والامصار ، يقيم الحجج على بطلانها وقبحها مثل ابن القيم واستاذه ابن تيمية من انصار السنة .

وجملة القول ان التلقين لم يثبت بكتاب الله ولا بسنة رسوله ولا قال احد من المحققين انه سنة ، بل قال بعض الفقهاء باستحبابه للتساهل في العمل بالحديث الضعيف والاستئناس له بما يناسبه . والبرماوي ليس قدوة ، وكفى كتب أمثاله وكتب من هم اعلم منه من البدع ، فلا ينبغي لاحد ان يثق الا بما يصرح المحققون بثبوت نقله عن النبي وجمهور السلف ، دون ما يذكر غفلا

فصل^{*}

وكذلك مسألة التحرير ايضا - وهي التي عبر عنها بعضهم بقوله :
« لا تقليد بعد العمل » - فيها نظر . وهو ان هذه العبارة لها معنيان (احدهما)
انه اذا عمل وصادف الصحة على مذهب امام ولم يكن عالما بذلك ، والحال
انه على مقتضى مذهبه بطل ذلك العمل ، فهل له ان يقول : اخذت بمذهب
من يرى صحة ذلك ، ام لا ؟ فعلى ما ذكر ليس له ذلك على تقدير تفسير
العبارة بهذا المعنى . اقول : وفرع ابو يوسف المنقول في مسألة الفأرة
يرده ، اذ هو عين التقليد بعد انتهاء العمل ، وهو الذي اذهب اليه واقول
به ، بل قد اختار عالم قطر اليمن في زمانه الامام العلامة الفقيه عبد الرحمن
ابن زياد الشافعي في فتاويه - ان العامي اذا وافق فعله مذهب امام من
الائمة الذين يجوز تقليدهم صحيح وان لم يقلده ، توسعة على العباد ، واختلاف
الائمة رحمة . وقال المحقق ابن حجر : لا يكون صحيحاً الا ان قلد ذلك
القائل بالصحة ، لأن تقليده لامام من الأئمة المذكورين التزم متابعته في
الاحكام كلها ، فلا يجوز في خلاف ذلك الا بتقليد صحيح .

وقد ذكر بعض أولياء الله تعالى الصالحين انه كشف له ان الله
لا يعذب من عمل في المسئلة بقول امام مجتهد من الذين يجوز تقليدهم ،
وهم الآن الأئمة الاربعة المدونة مذاهبهم ، والمحرة اصول وفروع
مسائلهم ؛ أما المجتهدون السابقون فلا ، للجهل بضوابط الاحكام عندهم ،

(*) تابع لما نشر في ص ٣٦٨ ج ٥

لفقد التدوين، لتطاول السنين. كذا رأيت ما حكته في بعض المجاميع.

قلت: وفي تخصيص الائمة الاربعة كلام لايسع في هذا المحل بيانه
ثم رأيت في البحر الرائق شرح الكنز للعلامة ابن نجيم في باب
قضاء الفوائت عند قوله: ويسقط بضيق الوقت والنسيان، مانضه:
وان كان عاميا ليس له مذهب معين فمذهبه فتوى مفتية - كما صرحوا
به - فان أفتاه حنفي اعاد العصر والمغرب، وان أفتاه شافعي فلا يعدهما
ولا عبرة برأيه؛ وان لم يستفت أحدًا وصادف الصحة على مذهب مجتهد
أجزأه، ولا إعادة عليه إنتهى. وهذا موافق لما اختاره عالم قطر اليمن
في زمانه وفقهه العلامة عبد الرحمن بن زياد الشافعي رحمه الله تعالى.

والمعنى الثاني انه ليس للانسان اذا عمل في مسألة بمذهب ان يعمل
بخلافه فيها ثانيا، وهذا أيضا مدفوع من وجوه (الاول) انه لم يقم عليه
دليل الا لزوم صورة التلاعب، وذلك لا يلزم الا لو قصد به ذلك، أو
دلت عليه قرائن احوال، أو مكلف ضاق به الحال فالتجأ الى الاخذ في
واقعة كان عمل فيها مرة بقول امام فوقعت له مرة ثانية، فاراد الاخذ
فيها في المرة الثانية بقول امام آخر، لدفع ضرورة أبلأته الى ذلك
- والغرض صحيح - فلا ينسب الى التلاعب، وقد صرح وثبت عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه رجع عن قوله في مسألة كان حكم فيها بحكم،
ثم تكررت فتبدل نظره فيها فحكم بخلافه، وقال: تلك على ما قضينا
وهذه على ما نقضي.

فان قلت: انه مجتهد وهذا حال المجتهد انه يجب عليه الرجوع الى
ما سنيح له من الدليل بخلاف المقلد. قلت: مهلا يا اخي! فان المقلد لم

(المنار - ج ٦ م ١٧) التقليد الباطل بعد العمل - ما تقض ذلك العمل ٤١٩

يظهر له بالدليل صحة ما قلده فيه أولا كما ظهر للمجتهد ، وهنا مجتهد آخر قائل بخلافه فهو احرى بتجويز الانتقال له .

ثم ظهر لي بعد مدة من تسطيري هذه الاسطر ظهوراً بينا منكشفاً لا ريب فيه - ان مرادهم من قولهم : لا تقليد بعد العمل . انه اذا عمل مرة في مسألة بمذهب في طلاق أو عتاق أو غيرهما واعتقده وأمضاه ، ففارق الزوجة مثلاً واجتنبها وعاملها معاملة من حرمت عليه ، واعتقد البينونة بينه وبينها بما جرى منه من اللفظ مثلاً ، فليس له ان يرجع عن ذلك ويبطل ما أمضاه ويعود اليها بتقليده ثانياً اماماً غير الامام الاول الذي قلده فيها ، حيث كان الثاني يرى خلاف ما رآه الامام الاول ، فهذا معنى قولهم « ليس له التقليد بعد العمل ولا يرجع عما قلده فيه وعمل به » ونحو ذلك من العبارات ، فاما اذا وقعت تلك الواقعة مرة ثانية مع امرأة اخرى أو مع زوجها بنكاح جديد ، فله الاخذ بقول امام آخر ، ولا مانع منه - كما سيأتي قريباً -

على انه قد نقل العلامة ابن امير الحاج الحلبي الحنفي تلميذ المحقق ابن الهمام عن الزركشي من أئمة الشافعية في شرح التحرير - ان في كلام بعض الأئمة ما يقتضي جريان الخلاف في جواز التقليد بعد العمل أيضاً وان منعه ليس باتفاق فاعلمه . وقد نقل صاحب الفتاوى الصرفية عن الظهيرية والنسفية والنصاب - واللفظ من الظهيرية - انه سئل شيخ الاسلام عطاء بن حمزة السندي ، عن الصغيرة اذا زوجها ابوها من صغير وقبل ابوه وكبر الصغير وبينهما غيبة منقطعة وقد كان التزويج بشهادة الفسقة : فهل يجوز للقاضي ان يبعث الى شافعي المذهب ليبطل

هذا النكاح بينهما بهذا السبب ؟ قال : نعم . وللحنفي أن يفعل ذلك بنفسه أيضاً اخذاً بمذهب الخصم ، وإن لم يكن ذلك مذهبه . انتهى .
ثم اورد في المحيط والظهيرية مسألة أبي يوسف في الفأرة عقبها مستشهداً فاعلم ذلك . وكذا مولانا خاتمة المتأخرين العلامة ابن نجيم رحمه الله في البحر الرائق في مسألة اليمين المضافة عن البرازية عن أصحابنا أنه لو استفتى فقيها عدلاً فاقى ببطلان اليمين : هل له العمل بفتواه وامسأكها؟ وروى أوسع من هذا وهو انه لو افتاه مفت بالحل ، ثم افتاه آخر بالحرمة بعد ما عمل بفتوى الاول ، فانه يعمل بفتوى الثاني في حق امرأة أخرى لا في حق الاولى ، أي في هذه المرأة التي مضت - كما نهيتك عليه قريباً - وانظره فقد صرح بجواز العمل بخلاف ما عمل للعامي ، وإنما منع من ان يفتي به المفتي لئلا ينسب الى الغرض والتشهي والتلاعب ، ولئلا ينسب العلماء الى التناقض من جهة العوام ، فافهم^(١) . هذا ما قام عندي في وجه ذلك ، ورأيت في عبارة بعضهم تعليله « بكيلا يتطرق به الى هدم مذهب أصحابنا » أو نحو ذلك من العبارة والله أعلم .

واعلم أن من المسائل ما يقع التصريح بها من بعض المتأخرين رحمة الله عليهم أجمعين - وخصوصاً في الاصول التي ألفها المتأخرون - وليست

(١) هذا التعليل ضعيف وأضعف منه ما يذكره بعده عن بعضهم . وله تعليل آخر أقوى منهما وهو ان تقليده الثاني يجب ان لا يبطل عمله بالتقليد الأول بعد التزامه لأنه تناقض في حقة . ولا يباح لأحد ان يلتزم التناقض ويعمل به وهو لا يتحقق الا في الموضوع الواحد والمسألة الواحدة كالطلاق والعق الذي أمضاه بالفعل . ومثله المجتهد اذا تغير رأيه في المسألة بعد إمضاها لا ينقض اجتهاده الثاني ما أمضاه بالأول

بمرضية ، بل ربما يقع التصريح بخلافها من المتقدمين ، ويوجد من هذا النوع في كتاب التحرير الذي ألفه المحقق وجمع فيه من مقالات المتأخرين من فضلاء عصره فمن قبلهم بقليل حتى من كلام أرباب المذاهب غير مذهبنا ، فلا علينا ان نأخذ بما ظهر لنا صواب خلافه ^(١) ان أنعم الله علينا بحصول ضرب من النظر يمكن الوقف به على الصواب . هذا ونحن مع ذلك بحمد الله تعالى لانخرج عن درجة التقليد لآماننا الاعظم ابي حنيفة رحمة الله عليه ، ونحن مقلدون له ولكبار أصحابه ومن بعدهم من كبار أئمتنا كشمس الأئمة واضرابه ^(٢) . وأما ما يبحثه ويقرره المتأخرون من أهل التاسع والعاشر ^(٣) من فضلاء المذهب فلنا النظر فيه ان أمكن ، وعلينا التمسك بما هو منقول عن المتقدمين وخصوصاً اذا انتهض متمسكاً لنا فيما نرتضيه . والله الموفق الى الصواب وبه الاعتصام .

فصل

ومما ينشأ من الجهل والتعصب تفويت فرض من فروض الله تعالى مع امكان اقامته على رأي مبتدئ جليل ، بل على رأي جمع من المجتهدين ، وذلك (ان) جهالة التعصبين يمتنعون ويمنعون من جمع الصلاتين في السفر التي ذهب الى جوازها الامام الشافعي وغيره من صدر الاسلام رحمة الله عليهم ، ويؤدي ذلك الى تفويت الغرض رأساً ، وذلك انهم

(١) يوشك ان يكون قد سقط بعض الكلم من هذا السياق (٢) يريد بتقليدهم العمل بأصولهم والسير على طريقتهم في الفهم والعمل (٣) أي أهل القرنين التاسع والعاشر والمصنف من أهل القرن الحادي عشر . فهو يعد أهل ذينك القرنين كأهل قرنه لغلبة التقليد المحض عليهم وبعدهم عن الاستقلال والاجتهاد حتى في المذهب

لما يعزمون على السير عند الزوال مثلاً فيصلون الظهر^(١) لأول وقتها ويمتنعون من جمع العصر إليها ، فيركبون ويسرون بناء على أنهم ينزلون قبل المغرب آخر وقت العصر فيدركونها ، والحال أنهم قد لا يتهيأ لهم النزول إلا مع المغرب أو الغروب بحيث لا يتسع الوقت إلى الطهارة والصلاة^(٢) وخصوصاً في حق من تتعسر الطهارة عليه فتفوتهم الفرصة ، وقد كانوا يمكنهم اداؤها في المنزل^(٣) بمجموعة جمع تقديم إلى الظهر على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله عليه ، وعلى مذهب غيره ممن جوز الجمع لأجل السفر ، فيمتنعون عن ذلك ويرضون بتفويتها ، ولا بفعلها^(٤) على مذهب مجتهد يجوز لهم أو عليهم يجب اتباعه ، والحال ما قرر ، لأن تحصيل الفرض من وجه مقدم على تفويته من كل وجه ، وما هذا إلا محض التعصب والجهل . وقد (ذكر) الإمام الأجل ظهير الدين الكبير المرغيناني عن استاذة السيد الإمام أبي شجاع رحمه الله تعالى : انه سئل شمس الأئمة الحلواني عن كسالى بخارى أنهم يصلون الفجر والشمس طالعة : فهل تمنعهم من ذلك ؟ فقال : لا يمتنعون ، لأنهم لو منعوا يتركونها أصلاً ظاهراً . (أي مما يظهر من حالهم) ولو صلوها تجوز عند أصحاب الحديث ، ولا شك ان الأداء الجائز عند البعض أولى^(٥) من الترك أصلاً . هذا جواب الحلواني ، وناهيك به اذ هو شيخ المذهب في عصره تخرج به الفحول النظار من ائمتنا كشمس الأئمة السرخسي ونفر الاسلام

(١) كان الظاهر ان يقول : وذلك أنهم عند ما يعزمون على السفر بعد الزوال يصلون الظهر الخ (٢) الصواب للطهارة والصلاة : يقال اتسع لكذا لا إلى كذا (٣) لعل أصله « في المنزل الاول » أي من منازل السفر (٤) لعل أصله « ولا يرضون بفعلها » الخ (٥) لعل الأصل « وهو أولى من الترك »

البرزدوي صاحب المبسوطين واضرابهم من رؤساء المذهب الذين هم قدماء الدهر، وعظماء ما وراء النهر .

هذا مع أن الجاهل المتعصب الغبي يكفيه إيقاعها بمجموعة مع الظاهر تقليد الامام^(١) الشافعي وغيره، ثم ان اراد الاحتياط وادرك في الوقت فسحة اعادها على مذهبه أو قضاها بعد المغرب احتياطاً ان لم تطعه نفسه في ادائها بمجموعة مع الظاهر، والله أعلم والموفق لأرب غيره وهو حسبي ونعم الوكيل .

قال جامعها محمد عبد العظيم المكي الحنفي غفران الله تبارك وتعالى له ولوالديه ولسائر المسلمين : ثم بعد تسطير هذه الاسطر ظفرت في اثناء المطالعة بعدة من النقول تؤيد ما ذكرته بهذه الرسالة وتشهد له لم انشط لإلحاقها . ثم رأيت كلاماً للإمام الكبير المجتهد في العلوم رأس الفقهاء والمحدثين الشهير بابن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى فاحببت تعليقه في ذيل هذه الرسالة وهو مؤيد لما اشرنا اليه مطابق الى جميع^(٢) ما اوردته فيها، فالحاصل وان كان في كلامي زيادة أيضاح وبيان فهو لا يخالفه بل يعضده ويؤيده . ولفظ ما رايته :

« سئل الامام العلامة شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى عن أهل المذاهب الاربعة : هل يصح اقتداء بعضهم ببعض في الصلوات المفروضة وغيرها أم لا ؟ وهل قال احد من السلف انه لا يصلي بعض المسلمين

(١) لا بد ان يكون الاصل : بتقليد الامام - أو - تقليداً للامام الخ

(٢) الصواب « لجميع »

٤٢٤ صلاة الصحابة والائمة بعضهم خاف بعض على اختلافهم (المنار- ج ٦ م ١٧)

خلف بعض اذا اختلفت مذاهبهم أم لا ؟ وهل قائل ذلك مبتدع أم لا ؟
واذا فعل الامام ما يعتقد ان صلاته صحيحة والمأموم يعتقد خلاف ذلك
مثل ان يكون الامام تقياً او رعفاً او احتجماً او لمس النساء بشهوة او
مس ذكره او قهقهه في صلاته أو أكل مامسته النار أو أكل لحم الابل
وصلى ولم يتوضأ ، وهو لا يعتقد وجوب الوضوء من ذلك ، أو كان
الامام لا يقرأ البسملة أو لم يتشهد التشهد الاخير أو لم يسلم من الصلاة
والمأموم يعتقد وجوب ذلك - : فهل تصح صلاة المأموم والحالة هذه ؟
افتونا مأجورين ولكم الثواب .

«أجاب رحمه الله تعالى : الحمد لله رب العالمين . نعم تجوز صلاة المسلمين
بعضهم خلف بعض كما كان الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن بعدهم
من الائمة الاربعة رضوان الله عليهم أجمعين يصلي بعضهم خلف بعض
مع تنازعهم في هذه المسائل المذكورة وغيرها ، ولم يقل أحد من السلف
الصالح رحمهم الله تعالى : انه لا يصلي بعضهم خلف بعض . ومن انكر
ذلك فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف الامة
وائمتها ؛ وكان الصحابة والتابعون ومن بعدهم منهم من يقرأ البسملة
ومنهم من لا يقرأها ومنهم من يجهر بها ومنهم من لا يجهر بها ، وكان منهم
من يقنت في الفجر ومنهم من لا يقنت ، ومنهم من يتوضأ من الحجامة
والرعاف والقيء ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومنهم من يتوضأ من
لمس النساء بشهوة ومس الذكر ومنهم من لا يتوضأ من جميع ذلك ، ومنهم
من يتوضأ مما مسته النار ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومنهم من يتوضأ
من أكل لحوم الابل ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومع هذا كان بعضهم

(المنار ج ٦ م ١٧) لا يجب التمييز في أعمال الصلاة بين مفروض ومسنون ٤٢٥

يصلي خلف بعض مثل ما كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين يصلون خلف الائمة المرتبة من المالكية وغيرهم وان كانوا لا يقرؤن البسملة لا سرا ولا جهرا . وصلى الرشيد إماما وكان قد احتجهم فصلى الامام ابو يوسف خلفه ولم يعد صلاته ، وكان أفتاه الامام مالك بانه لا وضوء عليه ، وكان الامام أحمد ابن حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامة ، فقليل له في ذلك اذا كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ يصلي خلفه ؟ فقال كيف لا أصلي خلف مالك وسعيد بن المسيب^(١)

وفي الجملة فهذه المسائل لها صورتان (احدهما) ان لا يعرف المأموم ان امامه فعل ما يبطل الصلاة ، فهذا يصلي خلفه باتفاق السلف والائمة الاربعة وغيرهم ، وليس في هذا خلاف متقدم ، وانما خالف بعض المتعصبين من المتأخرين فزعموا ان الصلاة خلف الحنفي لا تصح وان أتى بالواجبات — قل — لانه اذاها وهو لا يعتقد وجوبها . وقائل هذا القول الى ان يستتاب كما يستتاب أهل البدع احوج منه الى ان يعتقد بخلافه^(٢) ، فانه ما زال المسلمون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه رضي الله عنهم يصلي بعضهم ببعض ، وأكثر الائمة لا يميزون بين المسنون والمفروض بل يصلون الصلوات الشرعية ، ولو كان العلم بهذا واجبا لبطلت صلاة أكثر المسلمين ولم يمكن الاحتياط ، فان كثيرا

(١) كأن سقط من هذه العبارة كلمات أوققرات من نسختنا فأتممناها من أصل فتاوى ابن تيمية ، وفي الاصل تقديم سعيد بن المسيب على مالك لأنه اعلم التابعين
(٢) هذا نص الفتوى وعبارة نسختنا « الى ان يعتقد بطلانها »

من هذا فيه نزاع وادلة ذلك خفية ، وأكثر ما يمكن المتقدمين ان يحتاطوا من الخلاف ، وهو لا يجزم باحد القولين وان كان الجزم باحدهما واجبا ، فأكثر الخلق لا يمكنهم الجزم بذلك ، وهذا القائل ليس معه الا تقليد بعض الفقهاء ، ولو طولب بادلة شرعية تدل على صحة قول امامه دون غيره لعجز عن ذلك ، ولهذا لا يعتد بنقل مثل هذا فانه ليس من أهل الاجتهاد .

(والصورة الثانية) ان يتيقن المأموم ان الامام فعل مالا يسوغ عنده ، مثل ان يمس ذكره أو يمس النساء بشهوة ، أو يحتجم ، أو يتقأ ثم يصلي بلا وضوء . فهذه الصورة فيها نزاع مشهور ، فاحد القولين : لا تصح صلاة المأموم لانه يعتقد بطلان صلاة امامه — كما قال ذلك جماعة من اصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى — والقول الثاني : تصح صلاة المأموم ، وهو قول جمهور السلف وهو مذهب مالك رحمه الله ، واحد قولي الشافعي وأحمد ، بل وأبي حنيفة ، وأكثر نصوص الامام أحمد على هذا ، وهذا هو الصواب ، لما ثبت في الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يصلون بكم فان أصابوا فلكم ولهم وان أخطؤا فلكم وعليهم » فقد بين صلى الله عليه وسلم ان خطأ الامام لا يتعدى الى المأموم ، ولأن المأموم يعتقد ان ما فعله سائغ له ، وأنه لا اثم عليه فيما فعل فانه مجتهد ، أو مقلد مجتهد ، وهو يعلم ان هذا قد غفر الله له خطأه ، فهو يعتقد صحة صلاته ، وأنه لا يأثم اذا لم يعدها ، بل لو حكم حاكم بمثل هذا لم يجز له نقض حكمه ، بل كان يتفذه ، واذا كان الامام قد فعل باجتهاده — ولا يكلف الله نفسا الا وسعها — والمأموم قد فعل ما يجب

عليه كانت صلاة كل منهما صحيحة، وكان كل منهما قد أدى ما يجب عليه؛ وقد حصلت موافقة الامام في الافعال الظاهرة .

وقول القائل: «ان المأموم يعتقد بطلان صلاة الامام» خطأ منه لأن المأموم يعتقد ان الامام قد فعل ما وجب عليه، وان الله قد غفر له ما اخطأ فيه، وانه لا تبطل صلاته لاجل ذلك؛ ولو أخطأ الامام والمأموم فسلم الامام خطأ واعتقد المأموم جواز متابعتة فسلم كما سلم المسلمون خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم من ركعتين سهوا مع علمهم بانه انما صلى ركعتين، وكما لو صلى خمسا سهوا فصلاوا خلفه سهوا مع علمهم بانه صلى خمسا لا اعتقادهم جواز ذلك فانه تصح صلاة المأموم في هذه الحالة، فكيف اذا كان المخطئ هو الامام وحده؟ وقد اتفقوا كلهم على ان الامام لو سلم خطأ لا تبطل صلاة المأموم اذا لم يتابعه، فدل ذلك على أن ما فعله الامام خطأ لا يلزم فيه بطلان صلاة المأموم والله أعلم .

انتهى بلفظه فانظره فانه مطابق ومؤيد لما ذكرته في هذه الرسالة والله الحمد على موافقة من مضى من كبار الأئمة .

وكثيرا ما أختار شيئا الا فأجد من قد سبقني الى اختياره الفحول من الرجال من الأئمة ^(١) أو أستشكل شيئا فأجد استشكله منقولا عن كبار المتقدمين، وكذلك اذا ابدت قولا لم يكن وقف من رأى كلامي على

(١) كلمة « الا » وكلمة « من » قبل الأئمة زائدتان . أي كثيرا ما أختار شيئا فأجد الذين قد سبقوني الى اختياره هم الفحول من الرجال والأئمة . وسبب موافقة المصنف في كثير من المسائل لهؤلاء عدم التعصب للمذهب وحب الانصاف . ولو عني بالتفسير والحديث كما عني بالقبه الحنفى مع زيادة اتقان للعربية لكان مجتهد مستقلا تمام الاستقلال

نقله فيقع منهم موقع الانكار ويحملهم الجهل والتعصب على رده ثم اجده منقولاً بعد ذلك بعينه أو بما يوافقه عن السلف فمن بعدهم من كبار الأئمة؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، بل ربما افعل أموراً من الأمور العادية فيستغربه الناس ويتعجبون من صدوره مني، وربما عيب علي، بل ربما أنسب به عند بعض الجهال إلى سخافة العقل ثم اجده أو مثله محكياً عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أو عن التابعين أو عن بعض الخلفاء أو السلاطين الكبار المجمع على اصابة فعلهم وجلالتهم، والحمد لله رب العالمين ثم خلص لي تلخيصاً شافياً شافعي زمانه السيد الجليل عمر بن عبد الرحيم البصري المكي رحمه الله تعالى، ومن خطه الكريم نقلت مانصه: « قال الامام الرافعي في^(١) وان كانت صلاته صحيحة

في اعتقاد الامام دون المأموم أو بالعكس، فان كان الاختلاف في الفروع كما اذا مس الحنفي فرجه وصلى، أو ترك الاعتدال أو قرأ غير الفاتحة: ففي صحة اقتداء الشافعي به وجهان (أحدهما) يصح؛ وبه قل القفال لان خطاه غير مقطوع به (والثاني) - وبه قال الشيخ ابو حامد: لا يصح لفسادها عند المأموم - فأشبهه ما لو اختلف اجتهاد رجلين في القبلة لا يقتدي احدهما بالآخر، وهو اظهر عند الاكثرين انتهى.

قال الامام الزركشي في الخادم ما حاصله: وخلاصة مارجحه ونقله عن الاكثرين غير مسلم فانما تعرض له طائفة كالبرزنجي والرويانى في الحلية والبغوي وصاحب الكافي والغزالي في فتاويه، ولم يذكر المسئلة طائفة

(١) يياض في الاصل والذي سقط اسم الكتاب ولعله « الشرح الكبير » للوجيز ولا يبعد ان يكون مما سقط اسم الباب او البحث

كالماوري والدارمي والشيخ في المذهب والتنبية ، وكلام الشيخ أبي حامد فيها محتمل فانه قال : لو اقتدى به وهو يحتمل الكراهة وعليها جرى الروياني في البحر، ولم يصح عن القاضي أبي الطيب شيء، بل حكى عن الدارمي الجواز، وعن أبي اسحاق المنع، والقائلون به لم يقفوا للشافعي على نص، بل قالوا : إنه قياس مذهبه في المختلفين في القبلة والاواني . وهذا ممنوع نقلا وتوجيها . (أما) النقل، فان المنصوص للشافعي - ما نقله القفال - الصحة، ومما يشهد للصحة ما حكاه الحاملي في المجموع قال : قال الشافعي رحمه الله تعالى في الامالي : واذا دخل الرجل بلدا فنوى ان يقيم أربعين يوما، وكان يرى جواز القصر حينئذ، ومعه رجل يعتقد عدم جوازه، فيكره له ان يقدمه ويصلي خلفه لانه يعتقد ان صلاته المقصورة لا تجوز، فان قدمه وصلي خلفه جاز لانه محكوم بصحة صلاته في حقه . هكذا حكاه القاضي أبو الطيب عن الامالي .

ولو كانت العبرة باعتقاد المأموم لكان اقتداؤه به باطلا لان عند المأموم ان نية القصر لا تنقد معها الصلاة . ومع ذلك صحح الشافعي الاقتداء به اعتبارا باعتقاد الامام، وهذا النص ذكره الامام الزبيدي أيضاً في باب صلاة المسافر في شرح المذهب، ووقع في بعض نسخ شرح المذهب هكذا «والمختار والظاهر قول القفال» فلم تزل الأئمة المختلفون في الفروع يصلي بعضهم خلف بعض ويشهد له تصحيحهم ان الماء الذي توضع منه الحنفي وغيره - ممن لا يرى وجوب النية - مستعمل وان لم ينو على الاصح، وهذا هو الصواب الذي ينبغي ان تكون الفتوى عليه، وقد كان الامام الشافعي رحمه الله تعالى يصلي خلف أئمة المدينة ومصر،

٤٣٠ الخلاف في العبرة برأي الامام او المأموم خاص بالمجتهدين (المار ج ٦ م ١٧)

وكانوا لا يسمون ؛ ولم ينقل عنه الامتناع عن الاقتداء بهم ، وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه آثم بمنى مع عثمان رضي الله عنه مع انكاره عليه ذلك ؛ فقليل له في ذلك ، فقال : الخلاف شرفته .

وأما توجيه المانعين بقولهم : « ان المأموم يعتقد بطلان صلاة الامام » فردود ؛ فانها مسألة اجتهاد واعتقاد ، والخطأ فيها لا يسوغ كما في غيرها من المسائل الاجتهادية ، كالحكم بصحة حكمه وامتناع نقضه بشرطه وأما قياسهم على المجتهدين في القبلة أو في الاواني فيصرف بان الامام والمأموم فيها يعتقدان فساد صلاة من صلى بطهارة من اداء نجس ، أو صلى الى غير القبلة ، بخلاف المأموم في اقتدائه بتارك الفاتحة فانه لا يعتقد بطلان صلاته مع تركها ، لانه مستند لاجتهاد من جملة عقيدة المأموم التي يدين بها ربه اعتقاد صحته ؛ وبان المجتهد لو بان له في مسئلتى الاواني والقبلة ان الامر على خلاف ظنه يقينا لزمته الاعادة ، بخلاف المجتهد في الفروع لو عثر على نص جلي مخالف لاجتهاده السابق ، لا تلزمه اعادة ما صلاه بالاجتهاد السابق ؛ وسر ذلك ان الاجتهاد الاول مستند الى امر عادي وقرائن تشير ^(١) الظن اكتفى بها الشارع تخفيفا على الامة ، فان تحقق الخطأ فيها رجع الى الاصل وتبين عدم صلاحيتها لمن ظن بها ، بخلاف الاجتهاد الثاني فانه مستند الى امر شرعي أوجب الشارع عليه اتباعه ، فلم يقع عمله السابق على خلاف حكم الله تبارك وتعالى ؛ وان فرض وصرح النص الثاني المعثور عليه بحيث افاد اليقين أو ما قاربه من

(١) سقط من هنا كلام والمعنى ان الاجتهاد الأول مبني على قرائن ظنية لا هي علم ولا شرع وانما اجازها الشرع للضرورة

(المنار - ج ٦ م ١٧) العوام لامذهب لهم وانتسابهم للمذاهب عصبية ٤٣١

الظن القوي؛ وأيضاً الاجتهاد الاول يمكن التوصل^(١) الى القطع بالخطأ فيه بخلاف الثاني

وممن اختار ذلك من المتأخرين صاحب الذخائر وأفرد المسئلة بتصنيف سماه « بيان المشروع في الاقتداء بالمخالفين في الفروع » وقال ابن أبي الدم في باب الجنائز من شرح الوسيط : لعل الاصح الصحة مطلقا ، واقام الدليل على الجواز من وجوه ، ثم نبه على أمر حسن فقال : وهذا الخلاف كله في المجتهدين ، وأما عوام الناس فليسوا مقصودين في الخلاف فانهم لا مذهب لهم يعولون عليه ، وانما فرضهم التقليد عند نزول المنازعة فمن أفتاهم من أهل الفتوى وجب عليهم قبول قوله؛ وانتسابهم الى المذاهب عصبية، ومعناه ارتضى ان يعمل في عبادته وكل احواله بقول امام انتسب اليه ، فهو لاء يصح قدوة كل منهم باي امام كان من غير تفصيل .

وتقل عن الامام أحمد بن حنبل : رحمه الله تعالى أنه كان يرى الوضوء من الدم الكثير فليل له : اذا كان الامام لا يتوضأ من ذلك أتصلي خلفه ؟ فقال : سبحان الله تعالى ! أقول إنه لا يصلي خلف سعيد ابن المسيب ومالك رضي الله عنهما ؟

وكان القاضي أبو عصام العاصري الحنفي مارا في باب مسجد القفال والمؤذن يؤذن المغرب فنزل عن دابته ودخل المسجد ، فلما رآه القفال أمر المؤذن أن يثني في الاقامة ، وقدم القاضي أبا عصام فتقدم وصلى

(١) لعل الاصل « يمكن التوصل به »

وجهر بالبسملة ، وأم بشعار الشافعية في صلاته ، وكان ذلك منهما تهوينا
لأمر الخلاف في الفروع . وقال القاضي الحسين في تعليقه : والمختار
أن كل مجتهد مصيب ، إلا أن أحدهم أصاب الحق عند الله والباقيون
أصابوا الحق عند أنفسهم . وقال ابن السمعاني : قال علماؤنا : من أخطأ
كان مخطئاً للحق عند الله مصيباً في حق عمل نفسه ، حتى إن عمل نفسه
يقع صحيحاً عند الله شرعاً كأنه أصاب الحق عند الله . وقد حكى الامام
الشافعي رحمة الله عليه الاجماع على أن كل مجتهد اداه اجتهاده الى أمر
فهو حكم الله تعالى في حقه ولا يشرع له العمل بغيره حينئذ ، فمن صلى
بحكم اجتهاده فصلاته صحيحة عنده وعند من يخالفه في المسئلة لا اعتقاده
ان ذلك حكم الله تعالى عنده ، وصلاته صحيحة لا تيانه بها على الوجه
المأمور به حينئذ ، فكيف يمنع الاقتداء به مع الحكم بصحة صلاته
في نفسه ؟ انتهى مع تلخيص وتحرير . واقتضى نسخه الى هنا انتهى
مارأيت بخط المذكور دامت افادته ، وقد أرسل به الي في ذيل نسخة
من هذه الرسالة بعد اصرار نظرد الله عيد عليها ، وهذا بحمد الله تعالى
أيضاً مؤيد لما أشرت اليه ، واعتمدت فيها عليه ، والله الموفق الى الصواب .

قال جامعها ومؤلفها محمد بن عبد العظيم المكي الحنفي بن المقدسي
الميروز الملا فروخ بن عبد المحسن الرومي الموروي حفظه الله تعالى في
نفسه واولاده وجميع نعم الله تعالى عليه ، واحياه حياة طيبة سالمة من
الاسواء فيما وصل ويصل من منة الله اليه ، بعد ان علم بانه مر عليه
مطالعة وتصحيحاً وتمة في يوم الجمعة الثانية من شوال سنة اثنتين وخمسين
والف من الهجرة النبوية ، والحمد لله على ذلك ، وصلى الله على نبيه كذلك .

فصل

(الابتداع بالتشدد في الدين . والتزام ما لم يرد وتتبع آثار الصالحين)
من كتاب الاعتصام للامام الشاطبي

ثبت بمضمون هذه الفصول المتقدمة آنفا ان الحرج منفي عن الدين
جملة وتفصيلا ، - وان كان قد ثبت ايضا في الاصول الفقهية على
وجه من البرهان ابلغ - فلنبن عليه فنقول :

قد فهم قوم من اصول " الساف الصالح واهل الاقطاع الى الله ممن
ثبتت ولايتهم انهم كانوا يشددون على انفسهم ، ويلزمون غيرهم الشدة
ايضا والتزام الحرج ؛ ديدنا في سلوك طريق الآخرة . وعدوا من لم
يدخل تحت هذا الالتزام مقصرا مطرودا ومحروما . وربما فهموا ذلك
من بعض الاطلاقات الشرعية ، فرشحوا بذلك ما التزموه ، فافضى الأمر
بهم الى الخروج عن السنة الى البدعة الحقيقية او الاضافية .

فن ذلك ان يكون للمكلف طريقان في سلوكه للآخرة ، احدهما
سهل والآخر صعب ، وكلاهما في التوصل الى المطلوب على حد واحد ؛
فيأخذ بعض المتشددين بالطريق الاصعب الذي يشق على المكلف مثله ،
ويترك الطريق الاسهل بناء على التشديد على النفس ، كالذي يجحد للطهارة
ماءين سخن وبارد فيتحرى البارد الشاق استعماله ، ويترك الآخر .
فهذا لم يعط النفس حقها الذي طلبه الشارع منه . وخالف دليل رفع
الحرج من غير معنى زائد ؛ فالشارع لم يرض بشرعية مثله ، وقد قال تعالى

(١) كلمة « أصول » لا يظهر لها معنى ههنا ولعلها لمحوال

٤٣٤ احتمال المكراه في سبيل الحق مشروع لا اكتسابها وقصدها (المنار-ج ٦ م ١٧)

(ولا تقتلوا انفسكم ، ان الله كان بكم رحيمًا) فصار متبعًا لهواه ؛ ولا حجة له في قوله عليه السلام « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ اسباغ الوضوء عند الكراهيات » - الحديث . من حيث كان الاسباغ مع كراهية النفس سببًا لمحو الخطايا ورفع الدرجات ، ففيه دليل على ان للانسان ان يسعى في تحصيل هذا الاجر باكراه النفس ، ولا يكون الا بتجري إدخال الكراهية عليها . لانا نقول : لا دليل في الحديث على ما قاتم ، وانما فيه ان الاسباغ مع وجود الكراهية ، ففيه امر زائد ، كالرجل يجمد ماء باردا في زمان الشتاء ولا يجده سخنا فلا يمنعه شدة برده عن كمال الاسباغ .

واما القصد الى الكراهية فليس في الحديث ما يقتضيه ، بل في الأدلة المتقدمة ما يدل على انه مرفوع عن العباد ، ولو سلم ان الحديث يقتضيه لكانت ادلة رفع الحرج تمارضه ، وهي قطعية وخبر الواحد ظني ، فلا تعارض بينهما للاتفاق على تقديم النظمي . ومثل الحديث قول الله تعالى (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة) - الآية . ومن ذلك الاقتصار من المأكل على اخشنه وافظعه لمجرد التشديد لا لغرض سواه ، فهو من النمط المذكور فوقه ، لان الشرع لم يقصد الى تعذيب النفس في التكليف ؛ وهو ايضا مخالف لقوله عليه السلام « ان لنفسك عليك حتما » وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل الطيب اذا وجدده ، وكان يحب الحلواء والعسل ، ويعجبه لحم الذراع ، ويستعذب له الماء . فإين التشديد من هذا ؟

ولا يدخل الاستعمال المباح في قوله تعالى (أذهبتم طياتكم في

حياتكم الدنيا) لان المراد به الاسراف الخارج عن حد المباح ، بدليل ما تقدم . فإذا الاقتصار على البشيع في الأكل من غير عذر تنقطع ، وقدمر ما فيه في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية .

ومن ذلك الاقتصار في الملبس على الخشن من غير ضرورة ، فانه من قبيل التشديد والتنقطع المذموم . وفيه ايضا من قصد الشهرة ما فيه . وقد روي عن الربيع بن زياد الحارثي انه قال لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه : أعد بي على اخي عاصم . قل : ما باله ؟ قل : لبس العباء يريد النسك . فقال علي رضي الله عنه : علي به . فأتى به مؤتزا بعباءة مرتديا بالآخرى ، شعث الرأس والمحية ، فعبس في وجهه وقال : ويحك ! أما استحييت من أهلك ؟ أما رحمت ولدك ؟ ترى الله أباح لك الطيبات وهو يكره ان تنال منها شيئا ؟ بل انت اهون على الله من ذلك ، اما سمعت الله يقول في كتابه (والارض وضعها للانام - الى قوله - يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ؟ أفترى الله أباح هذا لعباده الا ليتدلوه ^(١) ويحمدوا الله عليه فيثيبهم عليه ؟ وان ابتذالك نعم الله بالفعل خير منه بالقول . قال عاصم : فما بالك في خشونة مأكلك وخشونة ملبسك ؟ قال : ويحك ! ان الله فرض على أئمة الحق ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس . فتأملوا كيف لم يطالب الله العباد بترك المذوذات ! وانما طالبهم

(١) الابتذال ضد الصون ، وما يستعمل يبتذل ، فالمراد استعمال النعم والطيبات والانتفاع بها . ويستعمل الابتذال في لازمه وهو الامتهان والاحتقار ، وليس بمراد هنا .

بالشكر عليها اذا تناولوها ، فالمتحري للامتناع من تناول ما اباحه الله من غير موجب شرعي مفتات على الشارع^(١) وكل ما جاء عن المتقدمين من الامتناع عن بعض المتناولات من هذه الجهة وانما^(٢) امتنعوا منه لعارض شرعي يشهد الدليل باعتباره ، كالامتناع من التوسع لضيق الحال في اليد ، أو لأن المتناول ذريعة الى ما يكره أو يمنع ، أو لأن في المتناول جهة تفتن اليه التارك ولم يفتن اليه غيره ممن علم بامتناعه . وقضايا المتأخرين لا تعارض الادلة بتجردها ، لاحتمالها في نفسها . وهذه المسئلة المذكورة على وجهها في كتاب الموافقات .

ومن ذلك الاقتصار في الافعال والاحوال على ما يخالف محبة النفوس ، وحملها على ذلك في كل شيء من غير استثناء ؛ فهو مع قبيل التشديد . الا ترى أن الشارع اباح اشياء مما فيه قضاء نهمة النفس وتمتعها واستلذاذها ؛ فلو كانت مخالفتها برأ الشرع ، ولندب الناس الى تركه فلم يكن مباحا ، بل مندوب الترك او مكروه الفعل .

وايضاً فان الله تعالى وضع في الامور المتناولة ايجاباً او ندباً اشياء من المستلذات الحاملة على تناول تلك الامور ، لتكون تلك اللذات كالحادي الى القيام بتلك الامور ، كما جعل في الأوامر اذا امتثلت وفي النواهي اذا اجتنبت اجوراً منتظرة ، ولو شاء لم يفعل ؛ وجعل في الاوامر اذا تركت والنواهي اذا ارتكبت جزاء على خلاف الاول ، ليكون جميع ذلك منهضاً لعزائم المكافين في الامتثال ، حتي انه وضع لاهل الامتثال

(١) يقال افتأت على فلان افتئاً وافئات افتئاً . اذا تصرف بشيء من شؤونه بدون إذنه ولا رضاه (٢) اصل الاصل « فاما » والجملة خبر قوله « وكل » ما جاء عن المتقدمين » ويحتمل ان يكون خبر المبتدأ قوله « من الجهة »

الناثرين على المباينة^(١) في انفس التكالييف انواعا من اللذات العاجلة ،
والانوار الشارحة للصدور ، ما لا يدله من لذات الدنيا شيء ، حتى يكون
سببا لاستلذاذ الطاعة والفرار اليها وتفضيلها على غيرها ، فيخف على
العامل العمل ، حتى يتحمل منه . ألم يكن قادرا قبل على تحمله الا بالمشقة
المنهي عنها ، فاذا سقطت سقط النهي .

بل تأملوا كيف وضع للأطعمة على اختلافها لذات مختلفات
الالوان ، وللأشربة كذلك ، ولأقاع الموضوع سببا لاكتساب العيال -
وهو أشد تعباً عن النفس - لذة على من لذة المطعم والمشرب ، الى غير
ذلك من الامور الخارجة عن نفس المتناول ، كوضع القبول في الارض
وترفع المنازل ، والتقدم على سائر الناس في الامور العظام ، وهي ايضا
تقتضي لذات تستصغر في جنبها لذات الدنيا

واذا كان كذلك ، فاین هذا الموضع الكريم ، من الرب اللطيف
الخبير ؟ فمن يأتي متعبدا بزعمه بخلاف ماوضع الشارع له من الرفق
والتيسير والاسباب الموصلة الى محبته ، فيأخذ بالاشق والاصعب ،
ويجعله هو السلم الموصل والطريق الاخص ؟ : هل هذا كله الا غاية
في الجهالة ، وتلف في تيه الضلالة ؟ عافانا الله من ذلك بفضله .

فاذا سمعتم بحكاية تقتضي تشديدا على هذا السبيل ، أو يظهر منها
تنطع أو تكلف ، فإما ان يكون صاحبها ممن يعتبر كالساف الصالح ،
او من غيرهم ممن لا يعرف ولا ثبت اعتباره عند اهل الحل والعقد من
العلماء ، فان كان الاول فلا بد أن يكون على خلاف ماظهر لبادي

(١) لعل اصله : السائرین أو الناثرین على المتابعة

الرأي - كما تقدم - وان كان الثاني فلا حجة فيه ، وانما الحجة في المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذه خمسة في التشديد في سلوك طريق الآخرة يقاس عليها ما سواها .

فصل

قد يكون اصل العمل مشروعاً ولكنه يصير جاريًا مجرى البدعة من باب الذرائع ، ولكن على غير الوجه الذي فرغنا من ذكره . وبيان ان العمل يكون مندوباً اليه - مثلاً - فيعمل به العامل في خاصة نفسه على وضعه الاول من الندية ؛ فلو اقتصر العامل على هذا المقدار لم يكن به بأس ، ويجري مجراه اذا دام عليه في خاصيته ، غير مظهر له دائماً ، بل اذا اظهره لم يظهره على حكم الملتزمات من السنن الرواتب والفرائض اللوازم ، فهذا صحيح لا اشكال فيه . واصله ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إخفاء النوافل والعمل بها في البيوت ، وقوله « افضل الصلاة صلاتكم في بيوتكم الا المكتوبة » فاقصر في الاظهار على المكتوبات - كما ترى - وان كان ذلك في مسجده عليه السلام او في المسجد الحرام او في مسجد بيت المقدس ؛ حتى قالوا : ان النافلة في البيت افضل منها في احد هذه المساجد الثلاثة بما اقتضاه ظاهر الحديث . وجرى مجرى الفرائض في الاظهار السنن كالعيدين والخسوف والاستسقاء وشبه ذلك ؛ فبقى ما سوى ذلك حكمه الاخفاء ؛ ومن هنا ثابر السلف الصالح رضي الله عنهم على اخفاء الاعمال فيما استطاعوا او خف عاينهم اقتداء بالحديث وبفعليته عليه السلام ؛ لأنه القدوة والاسوة .

ومع ذلك فلم يثبت فيها اذا عمل بها في البيوت دائماً ان يقام جماعة في المساجد البتة، ما عدا رمضان - حسبما تقدم - ولا في البيوت دائماً، وان وقع ذلك في الزمان الاول في الفرط^(١) كقيام ابن عباس رضي الله عنهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما بات عند خالته ميمونة، وما ثبت من قوله عليه السلام « قوموا فلا أصلي لكم » وما في الموطأ من صلاة يرفا^(٢) مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الضحى، فمن فعله في بيته وقتاً ما فلا حرج، ونص العلماء على جواز ذلك بهذا القيد المذكور، وان كان الجواز قد وقع في المدونة مطلقاً - فما ذكره تقييده له، واظن ابن حبيب نقل^(٣) عن مالك مقيداً، فاذا اجتمع في النافلة أن تلتزم التزام السنن الرواتب إما دائماً وإما في اوقات محدودة وعلى وجه محدود، واقیمت في الجماعة في المساجد التي تقام فيها الفرائض، او المواضع التي تقام فيها السنن الرواتب، فذلك اتباع^(٤). والدليل عليه انه لم يأت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه ولا عن التابعين ظم باحسان فعل هذا المجموع هكذا مجموعاً، وان اتى مطلقاً من غير تلك التقييدات. فالتقييد في المطلقات التي لم يثبت بدليل الشرع تقييدها رأي في التشريع؛ فكيف اذا عارضه الدليل، وهو الامر باخفاء النوافل مثلاً؟

(١) كذا ولا يظهر لهذه الكلمة هنا معنى. والمثل الذي ذكره ثابت في الصحيح هو ان ابن عباس أراد ان يعرف صلاة النبي (ص) في الليل فبات عند خالته ميمونة في ليلتها، فلما قام النبي (ص) من الليل قام معه واقتدى به فصلى إحدى عشرة ركعة فهي قيامه ووتره (٢) كذا في الاصل (٣) لعله « ثقله » أو ثقل ذلك (٤) كذا. وصوابه « ابتداء » ان لا تصح تسميته اتباعاً الا بشمل بعيد

ووجه دخول الابتداع هنا ان كل ما واظب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من النوافل واظهره في الجماعات فهو سنة ؛ فالعمل بالنافلة التي ليست بسنة على طريق العمل بالسنة ، إخراج للنافلة عن مكانها المخصوص بها شرعاً . ثم يازم من ذلك اعتقاد العوام فيها ومن لا علم عنده انها سنة . وهذا فساد عظيم ، لأن اعتقاد ما ليس بسنة والعمل بها على حد العمل بالسنة نحو من تبديل الشريعة ؛ كما لو اعتقد في الفرض انه ليس بفرض ، او بما ليس بفرض انه فرض ، ثم عمل على وفق اعتقاده فانه فاسد ، فهب العمل في الاصل صحيحاً فاخرجه عن بابه اعتقاداً وعملاً من باب إفساد الاحكام الشرعية . ومن هنا ظهر عذر الساف الصالح في تركهم سننا قصداً لئلا يعتقد الجاهل أنها من الفرائض كالاضحية وغيرها . — كما تقدم ذلك —

ولأجله ايضاً نهى اكثرهم على اتباع الآثار ، كما خرج الطحاوي وابن وضاح وغيرهما عن معروز بن سريد الاسدي قال : وافيت الموسم مع امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما انصرفنا الى المدينة انصرفت معه ، فلما صلى لنا صلاة الغداة قرأ فيها (ألم تركيف فعل ربك) و (لا يلاف قريش) ثم رأى ناساً يذهبون مذهباً ، فقال : اين يذهب هؤلاء ؟ قالوا يأتون مسجداً هاهنا صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : انما هلك من كان قبلكم بهذا ، يتبعون آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعاً ، من ادركته الصلاة في شيء من هذه المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصل فيها والا فلا يتعمدها . وقال ابن وضاح : سمعت عيسى بن يونس مفتي أهل طرسوس

يقول : أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويج تحتها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقطعها لان الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها يخاف عليهم الفتنة .

قال ابن وضاح : وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك الآثار للنبي صلى الله عليه وسلم ماعدا قباء وحده - وقال - وسمعتهم يذكرون ان سفيان دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها ، وكذلك فعل غيره أيضا ممن يقتدى به ؛ وقدم وكيع أيضا مسجد بيت المقدس فلم يعد فعل سفيان - قال ابن وضاح - فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين ، فقد قال بعض من مضى : كم من امر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرا عند من مضى ؟ .

وقد كان مالك يكره كل بدعة وان كانت في خير . وجميع هذا ذريعة لئلا يتخذ سنة ما ليس بسنة ، أو يعد مشروعا ما ليس معروفا . وقد كان مالك يكره المجيء الى بيت المقدس خيفة ان يتخذ ذلك سنة ؛ وكان يكره مجيء قبور الشهداء ، ويكره مجيء قباء خوفا من ذلك ، مع ما جاء في الآثار من الترغيب فيه . ولكن لما خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه .

وقال ابن كنانة واشهب : سمعنا مالكا يقول : لما اتاه سعد ابن ابي وقاص قال : وددت ان رجلي تكسرت وأني لم أفعل .

وسئل ابن كنانة عن الآثار التي تركوا بالمدينة فقال : اثبت ما في ذلك

عندنا قباء ، إلا ان مالكا كان يكره مجيئها خوفا ان يتخذ سنة .
وقال سعيد بن حسبان : كنت اقرأ على ابن نافع ، فلما مررت
بحديث التوسعة ليلة عاشوراء قال لي : حرق عليه ^(١) قلت : ولم ذلك
يا ابا محمد ؟ قال خوفا من ان يتخذ سنة .

فهذه امور جائزة او مندوب اليها ، ولكنهم كرهوا فعلها خوفا من
البدعة ؛ لان اتخاذها سنة انما هو بأن يواظب الناس عليها مظهرين لها ؛
وهذا شأن السنة ؛ واذا جرت مجرى السنن صارت من البدع بلا شك .
فان قيل : كيف صارت هذه الاشياء من البدع الاضافية ؛ والظاهر
منها انها بدع حقيقية ، لأن تلك الاشياء اذا عمل بها على اعتقاد أنها سنة
فهي حقيقية ، اذ لم يضعها صاحب السنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
على هذا لم توجه ^(٢) فصارت مثل ما اذا صلى الظهر على انها غير واجبة
واعتقدها عبادة فانها بدعة من غير اشكال ؛ هذا اذا نظرنا اليها بما لها ،
واذا نظرنا اليها أولا فهي مشروعة من غير نسبة الى بدعة اصلا .

فالجواب ان السؤال صحيح ، الا ان لوضعها أولا نظرين (احدهما)
من حيث هي مشروعة فلا كلام فيها . و (الثاني) من حيث صارت
كالسبب الموضوع لاعتقاد البدعة ، أو للعمل بها على غير السنة ، فهي من

(١) لعلمها حقوق بالواو . يقال حقوق عليه الكلام اذا خلطه وأفسده عليه بحيث
لا يفهم ، او لا يقرأ اذا كان مكتوبا . وهو من الحواقة اي الكناسه التي يختلط
بها ما يكنس بعضه ببعض . يقال حاق الدار بالحوقة : كنسها . ومما حفظته من
صبيان المكتب اذ كنا نتعلم الخط « حقوق » عليه أي السطر (مثلا) أي رجه
او جعل حوله خطا ليعلم انه غير مقصود . وهو استعمال عربي . وأما حرق عليه بالراء
فلا يظهر له معنى هنا الا اذا كانوا استعملوا التحريق بمعنى برد المعدن بالمبرد في حك
الحروف المكتوبة بمبراة القلم ولم أره (٢) لعله « على هذا الوجه »

هذا^(١) غير مشروعة ؛ لأن وضع الاسباب للشارع لا المكلف ، والشارع لم يضع الصلاة في مسجد قباء أو بيت المقدس — مثلا — سببا لان تتخذ سنة ؛ فوضع المكلف لها كذلك رأي غير مستند الى الشرع ، فكان ابتداعا .

وهذا معنى كونها بدعة اضافية . أما اذا استقر السبب وظهر عنه مسببه الذي هو اعتقاد العمل سنة والعمل على وفقه ، فذلك بدعة حقيقية لا اضافية ؛ ولهذا الاصل أمثلة كثيرة وقعت الاشارة اليها في اثناء الكلام ، فلا معنى للتكرار .

واذا ثبت في الامور المشروعة أنها قد تعد بدعا بالاضافة ، فما ظنك بالبدع الحقيقية ؟ فانها قد تجتمع فيها ان تكون حقيقية واطرافية معا ، لكن من جهتين ؛ فاذا بدعة « اصبح والله الحمد » في نداء الصبح ظاهرة . ثم لما عمل بها في المساجد والجماعات مواظبا عليها لا ترك كما لا ترك الواجبات وما اشبهها ، كان تشريعا اوليا يلزمه ان يعتقد فيها الوجوب او السنة ، وهذا ابتداع ثان اضافي ؛ ثم اذا اعتقد فيها ثانيا السنة او الفرضية صارت بدعة من ثلاثة اوجه . ومثله يلزم في كل بدعة اظهرت والتزمت ، واما اذا خفيت واختص بها صاحبها فالامر عليه اخف ؛ فيا لله ويا للمسلمين ! ما ذا يحني المبتدع على نفسه مما لا يكون في حسابه ؟ وقانا الله شرور انفسنا بفضله .

(١) لعل الاصل « من هذا القبيل » أو « من هذا الوجه » وكتب في الاصل « فهي من هذه البدعة غير شرعية » ووضع فوق كلمة « البدعة » علامة الترميز

فصل

من تمام ما قبله

وذلك انه وقعت نازلة : أمام مسجد ترك ما عليه الناس بالاندلس من الدعاء للناس بآثار الصلوات بالهيئة الاجتماعية على الدوام - وهو ايضا معهود في اكثر البلاد ، فان الامام اذا سلم من الصلاة يدعو للناس ويؤمن الحاضرون - وزعم التارك ان تركه بناء منه على انه لم يكن من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا فعل الأئمة بعده ، حسبما نقله العلماء في دواوينهم عن السلف والفقهاء . أما أنه لم يكن من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهر ، لان حاله عليه السلام في ادبار الصلوات مكتوبات او نوافل - كانت بين امرين : إما ان يذكر الله تعالى ذكرا هو في العرف غير دعاء ، فليس للجماعة منه حظ ، الا ان يقولوا مثل قوله او نحوا من قوله كما في غير ادبار الصلوات ، كما جاء انه كان يقول في دبر كل صلاة « لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما اعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وقوله « اللهم انت السلام ومنك السلام ، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام » وقوله « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » الآية ، ونحو ذلك . فانما كان يقوله في خاصة نفسه كسائر الاذكار ، فمن قال مثل قوله فحسن ؛ ولا يمكن في هذا كله هيئة اجتماع .

وان كان دعاء فعمامة ما جاء من دعائه عليه السلام بعد الصلاة مما سمع منه انما كان يخص به نفسه دون الحاضرين ، كما في الترمذي عن

علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قام الى الصلاة المكتوبة رفع يديه - الحديث الى قوله : ويقول عند انصرافه من الصلاة « اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ، انت إلهي لا إله الا انت » حسن صحيح . وفي رواية ابي داود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة قال « اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما انت اعلم به مني ، انت المقدم وانت المؤخر لا إله الا انت » .

وخرج ابو داود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة « اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك ، اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان العباد كلهم اخوة ، اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلني مخلصا لك واهلي في كل ساعة في الدنيا والآخرة ، يا ذا الجلال والاكرام اسمع واستجب ، الله اكبر الله اكبر ، الله نور السموات والارض ، الله اكبر الله اكبر ، حسبي الله ونعم الوكيل » .
ولأبي داود في رواية^(١) « رب اعني ولا تعن علي ، وانصرني ولا تنصر علي ، وأمكن لي ولا تمكّن علي ، واهدني ويسر الهداي الي ، وانصرني على من بغى علي » - الى آخر الحديث .

وفي النسائي انه عليه السلام كان يقول في دبر الفجر اذا صلى « اللهم اني اسألك علما نافعا ، وعملا متقبلا ، ورزقا طيبا » . وعن بعض الانصار قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر الصلاة « اللهم اغفر لي وتب عليّ انك انت التواب الغفور » حتى يبلغ مائة مرة .

(١) حذف لفظ رواية من نسختنا

وفي رواية ان هذه الصلاة كانت صلاة الضحى .

فتأملوا سياق هذه الادعية كلها مساق تخصيص نفسه بها دون الناس ، فيكون مثل هذا حجة لفعل الناس اليوم ؟ الا ان يقال : قد جاء الدعاء للناس في مواطن ، كما في الخطبة التي استسقى فيها ، ونحو ذلك . فيقال : نعم ، فإين التزام ذلك جهراً للحاضرين في دبر كل صلاة ؟

ثم نقول : ان العلماء يقولون في مثل الدعاء والذكر الوارد على اثر الصلاة : انه مستحب لا سنة ولا واجب . وهو دليل على امرين (احدهما) ان هذه الادعية لم تكن منه عليه السلام على الدوام . (والثاني) انه لم يكن يجهر بها دائماً ولا يظهرها للناس في غير مواطن التعليم ؛ اذ لو كانت على الدوام وعلى الاظهار لكانت سنة ، ولم يسع العلماء ان يقولوا فيها بغير السنة ؛ اذ خاصيته — حسباً ذكره — الدوام والاظهار في مجامع الناس . ولا يقال : لو كان دعاؤه عليه السلام سرا لم يؤخذ عنه . لانا نقول : من كانت عادته الاسرار فلا بد أن يظهر منه ، او يظهر منه ولو مرة ، اما ^(١) بحكم العادة بقصد التنبيه على التشريع .

فان قيل : ظواهر الاحاديث تدل على الدوام بقول الرواة « كان يفعل » فانه يدل على الدوام كقولهم « كان حاتم يكرم الضيفان » . قلنا : ليس كذلك ، بل يطلق على الدوام وعلى الكثير والتكرار على الجملة ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان اذا اراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة . وروت أيضاً انه كان

(١) يظهر ان في العبارة تحريفاً وحذفاً . ولعل الاصل « فلا بد ان يظهر منه إما بحكم العادة وإما بقصد التنبيه على التشريع »

عليه السلام ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء ، بل قد يأتي في بعض الاحاديث « كان يفعل فيما لم يفعله الاصرة واحدة » نص عليه اهل الحديث . ولو كان يداوم ^(١) المداومة التامة للحق بالسنن كالوتر وغيره ؛ ولو سلم : فإين هيئة الاجتماع ؟

فقد حصل ان الدعاء بهيئة الاجتماع دائماً لم يكن من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما لم يكن من قوله ولا إقراره .

وروي البخاري من حديث أم سلمة انه صلى الله عليه وسلم كان يمكث اذا سلم يسيراً . قال ابن شهاب : حتى ينصرف الناس فيما نرى . وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها : كان اذا سلم لم يقعد الا مقدار ما يقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام . تباركت يا ذا الجلال والاكرام » . واما فعل الأئمة بعده فقد تقل الفقهاء من حديث أنس في غير كتب الصحيح : صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان اذا سلم يقوم . وصليت خلف ابي بكر رضي الله عنه فكان اذا سلم وثب كأنه على رصفة (يعني الحجر المحمي) ونقل ابن يونس الصقلي عن ابن وهب عن خارجة انه كان يعيب على الأئمة قعودهم بعد السلام ، وقال : انما كانت الأئمة ساعة تسلم تقوم . وقال ابن عمر : جلوسه بدعة . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لأن يجلس على الرصيف خير له من ذلك . وقال مالك في المدونة : اذا سلم فليقم ولا يقعد الا ان يكون في سفر او في فناءه .

(١) اي على ما ذكر من الادعية والاذكار . ويوشك ان يكون قد سقط من النسخ ما يدل على ذلك . والمداومة والاجتماع لا تكون الا لشعائر الدين وانما ثبت الشعائر بعمل الرسول

وعدّ الفقهاء اسراع القيام ساعة يسلم من فضائل الصلاة، ووجهوا ذلك بأن جلوسه هنالك يدخل عليه فيه كبر وترفع على الجماعة، وانفراده بموضع عنهم يرى به الداخلة انه امامهم ؛ واما انفراده به حال الصلاة فضروري . قل بعض شيوخنا الذين استفدنا منهم : واذا كان هذا في انفراده في الموضع، فكيف بما انضاف اليه من تقدمه امامهم في التوسل به بالدعاء والرغبة وتأمينهم على دعائه جهراً ؟ - قل - ولو كان هذا حسناً لفعله النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم، ولم ينقل أحد من العلماء مع تواترهم على نقل جميع أموره، حتى : هل كان ينصرف من الصلاة عن اليمين أو عن الشمال ؟ .

وقد نقل ابن بطال عن علماء السلف انكار ذلك والتشديد فيه على من فعله بما فيه كفاية .

هذا ما نقله الشيخ بعد أن جعل الدعاء باثر الصلاة بهيئة الاجتماع دائماً بدعة قبيحة ، واستدل على عدم ذلك في الزمان الاول ، بسرعة القيام والانصراف لأنه مناف للدعاء لهم وتأمينهم على دعائه ؛ بخلاف الذكر ودعاء الانسان لنفسه ، فان الانصراف وذهاب الانسان لحاجته غير مناف لهما . فبلغت الكاثنة بعض شيوخ العصر فردى على ذلك الامام ردّاً امرع فيه على خلاف ما عليه الراسخون، وبلغ من الرد - على زعمه - الى أقصى غاية ما قدر عليه، واستدل بامور اذا تأملها الفطن عرف ما فيها ، كالامر بالدعاء إثر الصلاة قرآناً وسنة ، وهو - كما تقدم - لا دليل فيه ، ثم ضم الى ذلك جواز الدعاء بهيئة الاجتماع في الجملة الا في ادبار الصلوات ، ولا دليل فيه أيضاً - كما تقدم - لاختلاف المتأصلين .

وأما في التفصيل فزعم انه مازال معمولاً به في جميع اقطار الارض
أو في جلها من الأئمة في مساجد الجماعات من غير نكير الا نكير ابي
عبد الله ؛ ثم اخذ في ذمه . وهذا النقل تهور بلا شك ؛ لانه نقل إجماع
يجب على الناظر فيه والمحتج به قبل التزام عهده ان يبحث عنه بحث
اصل عن الاجماع ، لأنه لا بد من النقل عن جميع المجتهدين من هذه الأمة
من اول زمان الصحابة رضي الله عنهم الى الآن . هذا أمر مقطوع
به . ولا خلاف انه لا اعتبار باجماع العوام وان ادعوا الامامة .

وقوله «من غير نكير» تجوز ، بل مازال الانكار عليهم من الأئمة ؛
فقد نقل الطرطوشي عن مالك في ذلك اشياء تخدم المسئلة ، فحصل انكار
مالك لها في زمانه ، وانكار الامام الطرطوشي في زمانه ، واتبع هذا
اصحابه وهذا اصحابه ؛

ثم القرافي قد عدّ ذلك من البدع المكروهة على مذهب مالك ،
وسامه ولم ينكره عليه أهل زمانه — فيما نعلمه — مع زعمه ان من البدع
ما هو حسن ؛

ثم الشيوخ الذين كانوا بالاندلس حين دخلتها هذه البدعة — حسبما
يذكر بحول الله — قد انكروها ، وكان من معتقدهم في ذلك أنه مذهب
مالك . وكان الزاهد ابو عبد الله بن مجاهد وتلميذه ابو عمران الميرتلي
رحمهما الله ملتزمين لتركيها ، حتى اتفق للشيخ ابي عبد الله في ذلك
ماسند كره ان شاء الله .

قال بعض شيوخنا راداً على بعض من نصر هذا العمل : فانا قد

شاهدنا العمل الأئمة^(١) الفقهاء الصالحاء المتبعين للسنة المتحفظين بأمور دينهم يفعلون ذلك أئمة ومأمومين ، ولم نر من ترك ذلك إلا من شذ في احواله . - فقال - وأما احتجاج منكر ذلك بأن هذا لم يزل الناس يفعلونه فلم يأت بشيء ؛ لأن الناس الذين يقتدى بهم ثبت أنهم لم يكونوا يفعلونه . قال - ولما كانت البدع والمخالفات وتواطأ الناس عليها صار الجاهل يقول : لو كان هذا منكرا لما فعله الناس . ثم حكى اثر الموطأ « ما اعرف شيئا مما ادركت عليه الناس الا النداء بالصلاة » - قال - فاذا كان هذا في عهد التابعين يقول : كثرت الاحداث فكيف بزماننا ؛ ثم هذا الاجماع لو ثبت لزم منه محذور ، لأنه مخالف لما نقل عن الأولين من تركه ؛ فصار نسخ اجماع باجماع ، وهذا محال في الاصول .

وأیضا فلا تكون مخالفة المتأخرين لاجماع المتقدمين على سنة حجة على تلك السنة ابدأ ؛ فما اشبه هذه المسئلة بما حكى عن ابي علي بشاذان^(٢) بسند يرفعه الى ابي عبد الله ابن اسحاق الجعفري ، قال : كان عبد الله بن الحسن - يعني ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم - يكثر الجلوس الى ربيعة ، فتذاكروا يوما ، فقال رجل كان في المجلس : ليس العمل هذا^(٣) فقال عبد الله : رأيت ان كثير الجهال حتى يكونوا هم الحكم ، أفهم الحجة على السنة ؟ فقال ربيعة : اشهد ان هذا كلام ابناء الانبياء . انتهى .

(١) لعله « من الأئمة » (٢) شاذان لقب رجلين من رواة الحديث احدهما الاسود بن عامر أبو عبد الرحمن الشامي نزيل بغداد مات سنة ٢٠٨ وثنانيهما عبد العزيز بن عثمان بن جبلة مات سنة ٢٢١ وظاهر ان في عبارة نسختنا تحريفا
(٣) لعل الاصل « ليس العمل على هذا » أي الذي تقولونه

الا اني اقول : ارأيت ان كثير المقلدون ثم أحدثوا بأرائهم فحكموا بها ، افهم الحجة على السنة ولا كرامة ؟

ثم عضد ما ادعاء بأشياء من جملتها « قوله » : ومن امثال الناس « أخطى مع الناس ولا تصب وحدك » أي ان خطأهم هو الصواب ، وصوابك هو الخطأ . — قال — ومعنى ما جاء في حديث « عليك بالجماعة فانما يأكل القاصية » ^(١) فجعل تارك الدعاء على الكيفية المذكورة مخالفاً للاجماع - كما ترى - وحض على اتباع الناس وترك المخالفة لقوله عليه السلام « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم » وكل ذلك مبني على الاجماع الذي ذكرنا ^(٢) ان الجماعة هم جماعة الناس كيف كانوا . وسيأتي معنى الجماعة المذكورة في حديث الفرق ، وانها المتبعة للسنة وان كانت رجلاً واحداً في العالم . قال بعض الحنابلة : لا تبعاً بما يعرض من المسائل ويدعى فيها الصحة بمجرد التهويل ، أو بدعوى ان لا خلاف في ذلك . وقائل ذلك لا يعلم احداً قال فيها بالصحة فضلاً عن نفي الخلاف فيها ، وليس الحكم فيها من الجليات التي لا يقدر المخالف ^(٣) — قل — وفي مثل هذه المسائل قل الامام أحمد بن حنبل : من ادعى الاجماع فهو كاذب وانما هذه دعوى كثير وابن عليه يريدون ان يبطلوا السنن بذلك . يعني أحمد ان المتكلمين في الفقه على أهل البدع اذا ناظرتهم بالسنن والآثار قالوا : هذا خلاف الاجماع . وذلك القول الذي يخالف ذلك الحديث لا يحفظونه الا عن

(١) لفظ الحديث « ... فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » (٣) كذا في نسختنا ، والظاهر ان الناسخ قد اسقط كلاماً من هذا الموضع واقل ما يفهم به الكلام ان يقال « وان الجماعة » الخ (٣) كذا في نسختنا ، ولعله : لا يعذر المخالف بجهله

بعض فقهاء المدينة أو فقهاء الكوفة - مثلاً - فيدعون الاجماع من قلة معرفتهم باقاويل العلماء، واجترأهم على رد السنن والآراء، حتى كان بعضهم تسرد عليه الاحاديث الصحيحة في خيار المجلس ونحوه من الاحكام فلا يجد لها معتصماً الا ان يقول: هذا لم يقل به احد من العلماء؛ وهو لا يعرف الا بأبا حنيفة أو مالكا، لم يقولوا بذلك، ولو كان له علم لرأى من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن قال بذلك خلقاً كثيراً.

ففي هذا الكلام ارشاد لمعنى ما نحن فيه، وانه لا ينبغي ان ينقل حكم شرعي عن أحد من أهل العلم الا بعد تحققه والتثبت، لانه مخبر عن حكم الله؛ فإياكم والتساهل فانه مظنة الخروج عن الطريق الواضح الى البنيات. ثم عدّ من المفسد في مخالفة الجمهور انه يرميهم بالتجهيل والتضليل؛ وهذا دعوى من خالفه فيما قال، وعلى تسليمها، فليست بمفسدة على فرض اتباع السنة، وقد جاء عن السلف الحض على العمل بالحق، وعدم الاستيحاش من قلة أهله.

وأيضاً فمن شنع على المبتدع بلفظ الابتداع فاطلق العبادة بالنسبة الى المجتمعين يوم عرفة بعد العصر للدعاء في غير عرفة - الى نظائرها - فتشنيعه حق كما يقوله بالنسبة الى بشر المريسي ومعبد الجهني وفلان وفلان؛ ولا يدخل بذلك - ان شاء الله - في حديث «من قال: هلك الناس - فهو أهلكهم» لان المراد ان يقول ذلك ترفعا على الناس واستحقاراً، واما ان قاله تحزناً وتحسراً فلا بأس. قال بعضهم: ونحن نرجو ان نخرج على ذلك - ان شاء الله - فالاستدلال به ليس على وجهه.

وعدّ من المفسد الخوف من فساد نيته بما يدخل عليه من العجب

(المنار-ج ١٧م ١٧) ترك السنة المهجورة خوف الرمي بالبدعة وإدارة العامة ٤٥٤

والشهرة المنهي عنها ، فكأنه يقول : اترك اتباع السنة في زمان الغربة خوف الشهرة ودخول العجب . وهذا شديد من القول وهو معارض بمثله ؛ فان انتصابه لا يكون داعيا للناس باثر صلواتهم دائما مظنة لفساد نيته بما يدخل عليه من العجب والشهرة ؛ وهو تعليل القرافي ، وهو اولى في طريق الاتباع ، فصار تركه للدعاء لهم مقرونا بالاقتداء ، بخلاف الداعي فانه في غير طريق من تقدم ؛ فهو اقرب الى فساد النية .

وعد منها ما يظن به من القول برأي اهل البدع القائلين بان الدعاء غير نافع ؛ وهذا كالذي قبله لانه يقول للناس : اتركوا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في ترك الدعاء بهيئة الاجتماع بعد الصلوات لثلاث يظن بك ^(١) الابتداء . وهذا كما ترى .

قال ابن العربي : ولقد كان شيخنا ابو بكر الفهري يرفع يديه عند الركوع وعند رفع الرأس منه ، وهو مذهب مالك والشافعي ، وتفعله الشيعة - قال - فحضر عندي يوما في محرس ابي الشعراء بالشعر موضع تدريسي عند صلاة الظهر ، ودخل المسجد من المحرس المذكور ، فتقدم الى الصف الاول وانا في مؤخره على طاقت البحر ، أتسم الريح من شدة الحر ، ومعي في صف واحد ابو ثمنة رئيس البحر وقائده في نفر من اصحابه ينتظر الصلاة ، ويتطالع على مراكب المنار ؛ فلما رفع الشيخ الفهري يديه في الركوع وفي رفع الرأس منه ، قل ابو ثمنة واصحابه : الاترى الى هذا المشرقي كيف دخل مسجدنا ؟ قوموا اليه فاقتلوه وارموا به في البحر فلا

(١) المناسب لقوله « اتركوا » ان يقول هنا « بكم » ويعبر عن هذا المعنى بعبارة اخرى فيقال : ابتدعوا بالفعل لثلاث يظن باطلا انكم ابتدعتم . او اتركوا السنة بالفعل ، لثلاث تهموا بتركها بسوء الظن

٤٥٤ اتفاق أئمة المساجد في الدعاء بهيئة الاجتماع لأحجة فيه (المنار- ج ٦ م ١٧)

يراكم أحد . فطارقاني من بين جوانحي ، وقلت : سبحان الله ! - هذا الطرطوشي فقيه الوقت . فقالوا لي : ولم يرفع يديه ؛ فقلت كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ، وهو مذهب مالك في رواية أهل المدينة عنه ، وجعلت أسكتهم واسكنهم حتى فرغ من صلاته ، وقتت معه إلى المسكن من المحرس ؛ ورأى تغير وجهي فانكره ، وسألني فأعلمته فضحك ، وقال : من أين لي أن اقتل على سنة ؛ فقلت له : ويحك لك هذا ؛ فانك بين قوم أن قت بها قاموا عليك ، وربما ذهب دمك . فقال : دع هذا الكلام وخذ في غيره . فتأملوا في هذه القصة ففيها الشفاء ، إذ لا مفسدة في الدنيا توازي مفسدة إماتة النفس ، وقد حصلت النسبة إلى البدعة ، ولكن الطرطوشي رحمه الله يرى ذلك شيئاً^(١) فكلامه للاتباع^(٢) أولى من كلام هذا الراد ، إذ ينبغي في العلم ما ينبغيها .

وأيضاً فلو اعتبر ما قال لزم اعتباره بمثله في كل من أنكر الدعاء بهيئة الاجتماع يوم عرفة في غير عرفة ، ومنهم نافع مولى ابن عمر ومالك والليث وعطاء وغيرهم من السلف ؛ ولما كان ذلك غير لازم فمسألتنا كذلك ثم ختم هذا الاستدلال الاجتماعي بقوله وقد اجتمع أئمة الاسلام في مساجد الجماعات في هذه الاغصان في جميع الاقطار على الدعاء اذبار الصلاة ، فيشبه ان يدخل ذلك مدخل حجة اجتماعية عصرية

فان اراد الدعاء على هيئة الاجتماع دائماً لا يترك كما يفعل بالسنن - وهي مسألتنا المفروضة - فقد تقدم ما فيه . (انتهى الفصل والبحث طويل)

(١) كذا في نسختنا ، والسياق يقتضي النفي أي كان لا يرى ذلك شيئاً - والظاهر ان تكون العبارة : لم ير ذلك شيئاً . (٢) لعله بالاتباع

﴿ حظر الشحاذة والسؤال والذل لغير الله ﴾

فصل من فصول كتاب (مدارج السالكين . بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) للامام المحقق ابن القيم . ذكره في بحث منزلة الرضاء بالله ومن الله ، فخر المسألة به تحريرا كما دته ، قال أجزل الله ثوابه :

(فصل) والمسئلة في الاصل حرام ، وانما أبيحت للحاجة والضرورة ، لانها ظلم في حق الربوبية وظلم في حق المسئول ، وظلم في حق السائل

(أما الاول) فلانه بذل سؤاله وفقره وذه واستعطاءه لغير الله ، وذلك نوع عبودية ، فوضع المسألة في غير موضعها وانزلها بغير اهائها ، وظلم توحيدده وخلاصه وفقره الى الله وتوكله عليه ورضاءه بقسمه ، واستغنى بسؤال الناس عن مسئلة رب الناس ، وذلك كله يهضم من التوحيد ويطفى نوره ويضعف قوته

(واما ظلمه) المسئول فلانه سأله ما ليس له عنده ، فأوجب له بسؤاله عليه حقا لم يكن له عليه ، وعرضه لمشقة البذل أو اوم المنع ، فان اعطاه اعطاه على كراهة ، وان منعه منعه على استحياء واغماض . هذا اذا سأله ما ليس عليه ، واما اذا سأله حقا هو له عنده ، لم يدخل في ذلك ، ولم يظلمه بسؤاله .

(واما ظلمه لنفسه) فانه اراق ماء وجهه ، وذل لغير خالقه ، وأنزل نفسه ادنى المنزلتين ، ورضي لها بأبجس الحالتين ، ورضي باسقاط شرف نفسه وعزة تعففه وراحة قناعته ، وباع صبره ورضاءه وتوكله وقنعه بما قسم له واستغناءه عن الناس بسؤالهم ، وهذا عين ظلمه لنفسه ، إذ وضعها في غير موضعها ، وأخل شرفها ، ووضع قدرها ، واذهب عزها ، وصغرها وحقرها ، ورضي ان تكون نفسه تحت نفس المسئول ، ويده تحت يده ، ولولا الضرورة لم يبح ذلك في الشرع . وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في

٤٥٦ الأحاديث في النهي عن سؤال الناس ما في أيديهم (المنار- ج ١٧م ٦)

وجهه مزة لحم « وفي صحيح مسلم عن (١) أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل الناس أموالهم تكثرا ، فإنما يسأل جمرا ، فليستقل أو ليستكثر » وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطب على ظهره خير له من ان يأتي رجلا فيسأله ، أعطاه أو منعه » وفي صحيح مسلم عنه أيضا قول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيصدق به ، ويستغني به عن الناس ، خير له من ان يسأل رجلا ، أعطاه أو منعه ذلك أن (٢) اليد العليا خير (٣) من اليد السفلى وابدأ بمن تعول - زاد الامام أحمد - ولأن يأخذ ترابا فيجعل في فيه خيرا من ان يجعل في فيه ما حرم الله عليه » وفي صحيح البخاري عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها (٤) وجهه ، خير له من ان يسأل الناس اعطوه أو منعه » وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فاعطاهم . حتى نفد ما عنده ، فقال لهم حين انفق كل شيء بيده « ما يكون عندي من خير فلن ادخره عنكم ، ومن يستعفف (٥) يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر » وعن عبد الله بن عمر (٦) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ، وذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة (٧) « اليد العليا خير من اليد السفلى ، فاليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة » رواه البخاري ومسلم .

(١) في الحجازية « عنه أيضا » وهو الحديث الآتي « لان يغدو أحدكم » الخ
 حذف منها حديثان (٢) في نسختنا والبغدادية « بان » وفي الحجازية « فان »
 (٣) في البغدادية « افضل » (٤) حذف من الحجازية اسم الجلالة (٥) في غير الحجازية « يستعفف » (٦) وفي غيرها « ابن عامر » وهو غلط (٧) وفي غيرها « والمسئلة »

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ، ثم سأله فأعطاني ثم قال « يا حكيم ! ان هذا المال خضيرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف (١) نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى » قال حكيم فقلت : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ احدا بعدك شيئا حتى افارق الدنيا . وكان ابو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا الى العطاء فيأبى ان يقبله منه ، ثم ان عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى ان يقبل منه شيئا ، فقال عمر : اني اشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم اني اعرض عليه حقه من هذا الفىء ، فيأبى ان يأخذه . فلم يرزأ حكيم احدا من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي . متفق على صحته .

وعن الشعبي قال حدثني كاتب المغيرة بن شعبة ، قال كتب معاوية الى المغيرة ابن شعبة ان اكتب الى شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب اليه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله كره ليكم ثلاثا . قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » رواه البخاري ومسلم . وعن معاوية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تلهفوا في المسئلة ، فوالله لا يسألني احد منكم شيئا فتخرج له مسأله مني شيئا وانا له كاره فيبارك له فيما اعطيته » - وفي لفظ - انما انا خازن ، فمن اعطيته عن طيب نفس يبارك له فيه ، ومن اعطيته عن مسئلة وشره كان كالذي يأكل ولا يشبع » رواه مسلم .

وعن ابي مسلم الخولاني قال حدثني الحبيب الامين - اما هو فحبيب الي واما هو عندي فأمين - عوف ابن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسعة او ثمانية او سبعة فقال « ألا تبأيعون رسول الله ؟ » صلى الله عليه وسلم - وكنا حديث عهد ببذعة - فقلنا قد بايعناك يا رسول الله . قال « ألا تبأيعون رسول الله ؟ » فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال . - الا

(١) في البغدادية « بإشراف » والرواية بالمعجمة . ومعنى الاشراف التطلع الى الشيء بحرص

تبايعون رسول الله ؟ - قال فبسطنا ايدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلى م نبايعك ؟ - قال . أنت تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات (١) الخمس وتطيعوا الله - وأمر كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئاً « فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يتأوله إياه . رواه مسلم .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان المسئلة ككد يكمد بها الرجل وجهه إلا أن يسأل الرجل سلطاناً أو في امر لا بد منه » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وفي مسند الإمام أحمد عن زيد بن عتبة الفزاري ، قال دخلت على الحجاج ابن يوسف الثقفي فقلت : أصلح الله الأمير ، ألا أحدثك حديثاً سمعته من سمرة ابن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال بلى ، قال سمعته يقول « المسائل ككد يكمد بها الرجل وجهه ، فمن شاء ابقى على وجهه ومن شاء ترك ، إلا أن يسأل رجل ذا سلطان ، أو يسأل في امر لا بد منه »

وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يتقبلني بواحدة اتقبل (٢) له بالجنة - قلت انا . قال - لا تسأل الناس شيئاً » فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه ، حتى ينزل هو فيتأوله . رواه الإمام أحمد وأهل السنن . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى ، أما يموت عاجل أو غنى عاجل » رواه أبو داود والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح (٣)

وعن سهل بن الحنظلية قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عينة بن حصن والاقرع بن حابس فسألاه فأمرهما بما سألا ، وأمر معاوية فكتب لهم بما سألا ، فأما الاقرع فأخذ كتابه فلفه في عمامته وانطلق ، وأما عينة فأخذ كتابه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتابيه ، فقال : يا محمد أراني حاملاً الى قومي كتاباً .

(١) في البغدادية « وتطيعوا الصلوات » (٢) كان نص نسختنا « واتقبل »

(٣) حذف من البغدادية - لفظ حسن -

لا أدري ما فيه كصحيفة المتناس ، فأخبر معاوية بقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وعنده (١) ما يغنيه فإنما يستكثر من النار - وفي لفظ آخر - من جرحهم » قالوا : يا رسول الله ! وما يغنيه ؟ - وفي لفظ - وما الغنى الذي لا تنبغي معه المسألة ؟ قال - قدر ما يغديه ويعشيه - وفي لفظ - أنت يكون له شبع يوم وإيلة » رواه أبو داود والامام احمد .

وعن أبي الفراس (٢) قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أسأل يا رسول الله ؟ قال « لا ، وأن كنت سائلا لا بد فسل (٣) الصالحين » رواه النسائي .

وعن قبيصة بن مخارق الهلالي ، قال : تحملت حمالة فأنبت النبي صلى الله عليه وسلم أسأله فقال « أقم حتى تأتينا الصدقة فأنمر لك بها » قال ثم قال - يا قبيصة إن المسئلة لا تحمل إلا لاحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحملت له المسئلة حتى يصيدها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحملت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش ، - أو قال - سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة ، حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة فحملت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال - سدادا من عيش ، فما سواهن من المسئلة يا قبيصة سحنا يأكلها صاحبها سحنا » رواه مسلم .

وعن عائذ بن عمرو أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله فأعطاه ، فلما وضع رجله على أسكفة الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو يعلمون ما في المسئلة ما مشى احد إلى احد يسأله شيئا » رواه النسائي .

وعن مالك بن نضلة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الايدي ثلاثة - بيد الله العليا ، وبيد المعطي التي تليها ، وبيد السائل السفلى ، فأعط الفضل ولا

(١) في البغدادية « وله » بدل « وعنده » (٢) في البغدادية « وعند ابن الفراس أن الفراس » والصواب « وعن ابن الفراسي أن الفراسي » . وفي الإصالة أن البخاري سماه فراسا . وأطاق عليه غيره لفظ الفراسي . فقل هو اسم وقيل نسب والاسم مجهول ، وعزى الحديث الى ابن ماجه وابن حبان ، أقول : وهو في أبي داود أيضا (٣) وفيها « فاسأل »

تعمد من نفسك » رواه الامام احمد وأبو داود .

وعن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من سأل مسألة وهو غني كانت شينا في وجهه يوم القيامة » رواه الامام احمد . وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث والذي نفس محمد بيده ان كنت لحالفا عليهن : لا ينقص مال من صدقة ، فتصدقوا ، ولا يعمفو عبد عن مظلمة يبتغي بها وجه الله ألا رفعه الله بها ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » رواه الامام احمد .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : سرحني أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله . فأثبته فقعدت - قال - فاستقبلني فقال « من استغنى اغناه الله ، ومن استعفف اعفاه الله ، ومن استكفى كفاه الله ، ومن سأل وله قيمة أوقية فأقد الحنف » فقلت ناقتي هي خير من أوقية ، ولم أسأله . رواه الامام احمد وأبو داود (١) . وعن خالد بن عدي الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه من أخيه معروف من غير اشراف ولا مسألة فليقبله ولا يرده . فانما هو رزق ساقه الله اليه » رواه الامام احمد .

(١) هذا الحديث لم يخرج أبو داود وإنما أخرج حديثه المتفق عليه في سؤال الانصار وتقدم في ص ١٣٠ وأما هذا الحديث فعزاه الحافظ في الفتح الى النسائي . وامل هذا من سهو النساخ لا المصنف ، اذ رأيت في هذه الاحاديث اغلاطا كثيرة صححتها على الاصول

تشریف امير البلاد

مدرسة دار الدعوة والارشاد

ان عناية مولانا عزيز مصر العباس (أيده الله تعالى) برفع منار العلم والعرفان ، مما سارت به الركبان ، وعرف فضله فيه الثقلان ، وقد أدرك حفظه الله بنور بصيرته الثاقب ، أن التعليم الذي شيد لمعاهده أركانها ، وأقام من مدارسه بنيانها ، لا تصلح به حال الامة الا اذا قرن بالتربية العملية ، وتهذيب الاخلاق في المدارس الداخلية ، ولما وقف على مشروع مدرسة دار الدعوة والارشاد ، ورأى قواعد نظامها قائمة على هذا الاساس ، أظهر ميله الشريف اليها ، واستحسنه لطريقتها ، وقد أراد في هذه الايام أن يظهر للامة ميله اليها ، وعنايته السامية بها ، تشجيعاً للقاتنين بأمر المدرسة على عملهم ، وارشاداً لمحبي الخير الى شد أزرم ، فأظهر لناظر المدرسة عزمه الشريف على زيارتها في ضحوة يوم الاثنين (٢ جمادى الآخرة) وأنه يحب أن يراها كما هي من غير زينة ولا كلفة ، ولم يأذن لي بدعوة أحد الى استقباله فيها ، الا من حضر من أعضاء جماعتها . وكان ذلك اليوم قد ضرب موعداً لاجتماع مجلس النظار في الساعة العاشرة صباحاً ، وموعد خروج الامير من قصر القبة رأس الساعة التاسعة . فكان اجتهاد رجال التشريفات انه يشرف قصر عابدين أولاً ثم يؤم المدرسة منه ، وان مدة مكثه في المدرسة تكون من عشر دقائق الى ١٥ دقيقة

ولما تشرفت يوم السبت الماضي بتهنئته بعيد مولده السعيد في

المقابلة العامة تفضل باجلاسي بجانبه وقال لي عند الانصراف انه سيخرج من قصر القبة على رأس الساعة التاسعة ويقصد المدرسة توتاً ، فاستبشرت حينئذ بأن مدة تشریفه ستكون طويلة

وفي ضحوة ذلك اليوم الميمون جاء المدرسة صاحب العزة محمد بك فهمي التشریفاتي الاول فتعهد المدرسة والطريق الموصل اليها ، وكان قد تعهد الطريق غيره من رجال المعية السنية وكذا مهندس السيارات ، ثم جاءت فصيلة من العسكر المصري ووقفت عند طريق المدرسة الخاص لاداء السلام العسكري لسموه

ولما كان تمام الساعة التاسعة جاء نبأ المسرة بلسان المسرة (التلفون) من قصر القبة بأن الركاب العالي قد تحرك ، وكان قد جاء المدرسة لاستقبال سموه صاحب الفضيلة السيد عبد الحميد البكري رئيس جماعة الدعوة والارشاد ، وكل من الاستاذ الشيخ محمد المهدي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي والاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار المدرس بمدرسة البوليس وأصحاب العزة محمود بك سالم ومحمود بك صادق ومحمد بك لبيب البتانوني وعبد الله بك فائق والطبيب محمد توفيق افندي صدقي من أعضاء جماعة الدعوة والارشاد ، وشقيقي السيد صالح رضا ، تخف الجميع مع محمد بك فهمي الى باب حديقة المدرسة ، ووقفنا خارجه ، وبعد ربع ساعة من ثبأ المسرة وصل سموه الى المدرسة في سيارة كهربائية تسابق البرق ، فصافح المستقبليين كما هو دأبه الشريف ، وكان مع سموه رئيس حجاب معيته السنية ، وجاء أيضاً صاحب السعادة علي باشا ذوالفقار محافظ العاصمة وحده ليكون في خدمته مدة زيارته للمدرسة

ثم دخل سموه المدرسة فكان أول شيء رآه وتعااهده فيها مسجدها في الطبقة الاولى منها . ثم صعد الى الطبقة الثانية فشرف حجرة الناظر أولا ، ثم حجرة المعلمين . فقدمت له المعلمين واحداً بعد واحد ، فكان يسأل كل واحد عن العلم الذي يدرسه وعن عدد دروسه . ثم دخل حجرة السنة التمهيدية ، فينت لسموه أجناس الطلبة بالاشارة اليهم فكان يسأل : أين كانوا قبل الانتساب الى المدرسة ، وعن درجة فهم الاعاجم منهم للعربية ونطقهم بها . فاستأذنته بسماع إلقاء طالب هندي لبعض محفوظه من الشعر العربي فأذن . فقام الطالب عبد الله خدايار وأنشد بلسان فصيح أبيات أبي تمام التي أولها

يا صاحبيّ تقصيا نظريكما تريا وجوه الروض كيف تصوّر

تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقرر

فأعجبه إنشاده وإلقاؤه وفصاحة لسانه . ثم عرضت على مسامع سموه ان بعض الطلبة قد نظموا على ضيق الوقت شيئاً من الشعر ترحيباً بتشريفه : فهل يأذن بإنشاد شيء منها ؟ فأذن فأنشدوا ما سيذكر بعد ، وهو واقف يسمع ، وقد جبر قلوب المنشدين بإشارة الرضا والاستحسان . ثم مر سموه من وسطهم متفرساً فيهم ، ودخل حجرة السنة الاولى ، فاستأذن الطالب الاول فيها وهو محمد أبو زيد وأنشد هذين البيتين :

شرفت دار المرشدين ياملي كما نورت أضواءه لمن سلك

عباسنا في رفع شأن شعبه لم يأل جهداً فهو خير من ملك

وكان بعض الطلبة من هذه الفرقة قد نظموا شيئاً من الشعر أيضاً فلم

أر من الذوق استئذان سموه بانشاده .

ثم انه حفظه الله تعالى سألني عن جميع الدروس التي يتلقونها ؛ وأمر أن يسألهم معلم اللغة الانكليزية أمامه بعض الاسئلة ، وأن يطلعه على خطوطهم وترجمتهم ففعل ، ونطق حفظه الله تعالى بكلمات من الحكمة في منافع لغات العلم الاوربية وحاجة طلاب هذه المدرسة اليها في هذا العصر . ثم عاد الى حجرة ناظر المدرسة فاستأذنته بالقاء بعض ما يحتاج القاب من واجب الشكر والدعاء ، فأذن فألقيت ما سيدكر بعد ، وهو حفظه الله واقف والجميع وقوف في خدمته ، فتكرم بكلمة القبول المؤذنة بتواضعه المعهود ، وأظهر استحسانه لكل مارأى . ووعد بأن يزور المدرسة في كل سنة . ودعا الله تعالى بأن يراها تزداد تقدما وارتقاء في كل عام . فشكرت له هذا بما يليق بالمقام ، وأطلعته على دفاتر ذات جداول وضعناها في هذا العام لتكون سجلات لتاريخ الطلبة في تربيتهم وتعليمهم ، تحصى فيها درجات الامتحانات المختلفة ، وأنواع المخالفات والعقاب عليها ، وغير ذلك ، فأظهر استحسانه لها .

ثم انه نزل الى الطبقة الاولى فتفقد حجرات النوم والطعام ، والمتوضأ والحمام ، فأعجبه كل ذلك . وعلم برؤية ذلك اننا جددنا عمارة في المدرسة لم تكن ، فسأل عن ذلك فذكرت لسموه ما جددناه فيها . وسأل عن اجارتها وأجرتها وكم بقي لنا من مدتها ، فأجبتة عن ذلك ، وقد كرر عبارات استحسان المكان في بنائه وموقعه ، فذكر ذلك في بدء الدخول وعند ارادة الخروج

وبعد أن أتم بحثه وتفتيشه بدقة يعجز عن مثلها أمهر المفتشين خرج

مشيعا بالقلوب والاجسام . حتى اذا ما بلغ باب حديقة المدرسة ودع المشيعين وودعوه بتقيل يده الكريمة . وأراد أن يمشي في الشمس الى الشارع العام ، فلما رأى أننا نريد المشي في خدمته ركب سيارته . وأمر سعادة محافظ العاصمة بالركوب معه . وانصرف والالسنه تلهج بحمده والدعاء له . وكانت الساعة بلغت ١٠ وه دقائق .

وعلى أثر ذلك تألف وفد من رئيس الجماعة والشيخ محمد المهدي والشيخ عبدالوهاب النجار وكاتب هذه السطور (ناظر المدرسة) لاداء واجب الشكر الى سموه ، فجتنا قصر عابدين ، فأبلغنا رجال التشريفات أن موعد انعقاد مجلس النظر قد حان ، فلا وقت لمقابلة سموه الآن . فاكثفينا بكتابة أسمائنا في الدفتر كما هي العادة المتبعة

ثم ان كاتب هذه السطور أمّ قصر عابدين مرة أخرى في أصيل ذلك اليوم فتكرم الجناب العالي بمقابلته مقابلة خاصة ، فأديت ما يجب من الشكر بلساني ولسان اخواني ، وتفضل أيده الله تعالى بإبداء سروره من زيارة المدرسه ورضاه عنها ، وبيعض الاوامر الارشادية المتعلقة بها وبما تبرع به لها ، فخرجت حامداً شاكراً داعياً . أما ما تبرع به لها فهو خمسمائة جنيه مصري . وما يرجي من عنايته وبره فوق ذلك ، أدام الله توفيقه وتأيده ، آمين .

كلمة الدعاء والشكر

التي وجهها الى سمو أمير البلاد، ناظر مدرسة دار الدعوة والارشاد^(١)
وهو واقف بين يديه في حجرته من المدرسة

مولانا العزيز العظيم !

ليس في طاقتنا ولا في طاقة الامة أن نقوم بما يجب لك من
الاجلال والتكريم، بتشريفك هذا العهد الاسلامي من معاهد التربية
والتعليم، ولكن لسان كل منا يردد قول ابو بصيري :

ماله حيلة سوى حيلة العا جز إما توسل أو دعاء

فنقول : أعز الله بك أيها العزيز الاسلام، ورفع بهمتك منار العلم
والعرفان، واحيا بهديك السنة، وجدد بعنايتك مجد الامة .

نحمد الله تعالى اسماءه ثم نحمدك، ونشكره جل ثناؤه ثم نشكرك،
ولو كبر عن الثناء محسن لكبرت يا مولاي عن الحمد، ولو جل عن
شكر الصنيعة منعم لجلت صنائعك عن الشكر .

فانت أنت الذي انفرت دون أمراء المسلمين، بالجمع بين المدنية
الصحيحة واقامة شعائر الدين . ففي أوروبا تراحم بمنكبك مناكب أعظم
الملوك، وفي حرم الله ورسوله يزاحمك بمنكبه البدوي والصعلوك .

وأنت أنت الذي أفضت المال والنظام على معاهد العلم الدينية، ولم
تنس من فيضك مدارس الفنون الدنيوية، ولم ترض بما رفعت من شأن
الازهر حتى أنشأت أزهرًا ثانيًا في مدينة الاسكندرية، كما نفخت

(١) نشر في هذا وما قبله في الجرائد اليومية المشهورة عقب تشريف الامير ثم
نشرته هذا النص في الجرائد فإني أقلت وجهها ناظر المدرسة ولم أقل وجهتها

روح الثقة في جسم الجامعة المصرية ، باعانتك المالية وعنايتك المعنوية .
وأنت أنت الذي رقيت بعلمك وعملك الزراعة ، وجددت في
قطرك السعيد أعمال الصناعة ، ووسعت بهديك دائرة التجارة .
تفعل كل هذا بحق ، بما آتاك الله من الهمة العلية ، وتجري فيه على
عرق ، بالورثة المحمدية العلوية .

فأنت أنت الذي لله مفعلا وأنت أنت الذي لله ما صنعا
وأنت أنت الذي لله ما وصلا وأنت أنت الذي لله ما قطعنا
ولكن : هل رضيت نفسك الكبيرة بكل هذا ووقفت همتك
العلية عنده ؟ كلا ، انك أيدك الله بروح منه قد توجهت الى ما وراءه من
الاصلاح الاجتماعي والسياسي ، والاصلاح الديني الروحي
أما الاول : فقد أشهدت الشرق والغرب - وكفى بالخالفين شاهدي
عدل - على انك تريد أن تشاركك أمتك في سلطتك الذاتية ، وتجعل
حكومتك حكومة نياية ، ولا تزال تمهد لذلك السبيل ، وتمتزج مع الامة
من كل قبيل ، وهذه رحلتك الميمونة المباركة التي أزمعتها . آية بينة على
احيائك سنة الراشدين في احترام الامة ومعاشرتها ، ومحبتها والتعجب
اليها ^(١)

وأما الثاني : فهو عنايتك بأمر هذه المدرسة ورغبتك في نجاحها ، على

(١) كنت بدأت في صبيحة يوم تشریف الامير بكتابة كلمة الدعاء والشكر
لاجل ان ترسل الى الصحف بنصها ولكنني كتبت قليلا منها وشغلتني استقبال
من حضر وتعاهد نظام المدرسة عن اتمامها كتابة فأتممتها ارتجالا ، ولما نشرتها في
الجرائد قال لي غير واحد ممن كان حاضرا ان ما قلته في هذه الرحلة كان اوسع
مما كتب وابلغ عبارة وأحسن تأثيرا

علم منك بأنها تقوم في الاسلام بخدمة لا يغني غيرها غناءها ، من حيث انها رباط لتربية الاخلاق والاداب الاسلامية ، على ما كان عليه السلف الصالح وقدماء الصوفية ؛ ومعهد لتعليم العلوم الدينية ، وما يحتاج اليه المرشدون والدعاة من العلوم الكونية والعقلية ؛ وان الغرض منها احياء دعوة الاسلام والدفاع عنه بحسب ما تقتضيه حال العصر ، وارشاد عامة المسلمين الى ما يصلح به أمر دينهم ودنياهم ، ويحارون به غيرهم ويعيشون عيشة الوفاق مع من عداهم .

وان ارتباط جماعة الدعوة والارشاد بمشيخة الطرق الصوفية . مما يمهّد السبيل للمرشدين الذين يخرجون في هذه المدرسة لاصلاح شؤون العامة ، لان أكثر العامة تنتمي الى طرق الصوفية ، فاذا انبت المرشدون المستعدون بالتأثير بالوعظ والخطابة في هؤلاء الناس ، وعهدت اليهم المشيخة الصوفية بارشادهم وتعليمهم . فالمرجو بحسب سنة الله تعالى في تأثير الدين في النفوس أن يصلح حالهم في أقرب وقت ، وبذلك تقل الجرائم والجنايات ، والتعديات على الزرع والبهائم والناس ، بعد ان أعيا الحكومة أمرها ، وحارت في الوسائل التي تقللها . فعنايتك يا مولانا بهذه المدرسة ستكون عهد اصلاح جديد للامة والبلاد . ان شاء الله تعالى

هذا . ولولا أن أشق على مولاي باطالة الوقوف لا طلت القول بحمده وشكره ، وشرح ما أعتقد من الخير والنفع للامة بعنايته وبره . ولكنني أكتفي بما في القلب ، وما في القلب كثير .

القصائد والمقاطيع التي انشدها الطلاب

على مسامع مولانا الامير

القصيدة الاولى لمحمد افندي الشريقي اللاذقي من الطلاب المستمعين في القسم الخارجي الذين يختلفون الى المدرسة في هذا العام ، وهو حسن الالقاء والانشاد ، وكنت اشرت اليه بعد انشاد ابيات من الغزل أن يختصر منه ، تفاديا من طول وقوف مولانا العزيز على قدميه ، فأشار أعزه الله وإشارته أمر مطاع ، وحكم لا يقرن الا بالتنفيذ والاتباع ، بأن يتم الطالب إنشاده قائمه ، وهذا نص قصيدته :

بلا بل الروض بالتغريد تطربنا	وبالنواح حمام الروض يشجينا
وما أحلى نسيات الصبا سحرا	رسائل الحب نهديها وتهدينا
والطل يحنو على الأزهار يلثمها	حسبته والها بالحب مفتونا
وقفت أرنو إلى الأزهار مبتسما	لله يازهر ما أحلى تدانينا
وقفت والقلب لا يدري محبته	أعشق الورد أم يهوى الرياحينا
حتى إذا ما بدت والغصن قامتها	مليكة الروض عن بعد تحيينا
شعرت أن الهوى قد دب في كبدي	يا وجد رفقا بأكباد المحيينا
رنت اليّ بطرف زانه حور	فالوجه يجذبنا والطرف يرمينا
راقت ورقا فلما جثتها ولها	قطفت من خدها ورداً ونسرينا

دع الخيال خيال الشعر ما خطر	بنت الحقيقة تجلى في مغانينا
ما ذاك الروض عندي غير مدرسة	وما أزهرها الا المريدينا
وما مليكة ذاك الروض باسمه	الا مثال حياة العلم تحيينا
حياة مدرسة نقضي مراحلها	والدرس رائدنا والجد حاديننا
تنير أذهاننا تعلي مداركنا	فلا يلد لنا الا تأخيننا

كم قربت بيننا سقيا لعاملها
حياة مدرسة قلبي بها وله
حياة مدرسة تذكى قرائحنا
نبغي الحقائق مها عز مطلبها

وأشرق النور وانجابت ليالينا
سلوت في حبها الغزلان والعينا
نظل من بعدها غُرًا ميامينا
نقدس العقل والوجدان والدينا

*

أرى بأفق العلا نورا يجللنا
نور الأمير الذي قد عم نائله
فاسجع حمام الحمى واطرب بلامل
إني أرى مصر في أيام دولته
والنيل يجري فراتا في كناته
مولاي اني عشقت العلم من صغره
وأنت خير أمير شاد معهده
لذا سكنت فؤادي دون ما عجب
هذا فؤادي باخلاص أقدمه

لله نور أضاء اليوم نادينا
وغيث نعمائه أروى مغائنا
واهتف لعباسنا وأحمد خديونا
بغدادنا وأرى العباس هارونا
وما وردناه الا راح يروينا
ولا أزال بحب العلم مفتونا
وقام للعلم والتحصيل يدعونا
وكنت أفضل من أحياء مانينا
على وفائي الى مولاي عربونا

ثم أنشد الطالب الشيخ أحمد كمال الغزي الطالب الداخلي في القسم التمهيدي هذه القصيدة وجعل عنوانها (الترحيب)

أهلا بمن طلعت شمس سعوده
أهلا بمن نال المعالي والذي
أهلا بمن ملك النفوس وساسها
أهلا بعباس الذي لولاه ما
فلأنت للاسلام أقوى ساعد

وفعله تاج لكل زمان
سهر الدجى لمصالح الأوطان
بالحزم فائقات مع الأبدان
نشرت علينا راية العرفان
يسعى الى الاصلاح والعمران

وأقمت صرح العلم والأدب الذي
وأريتنا كيف الصعود الى العلى
لو تعرف الأبطال فعملك بالوغي
أو يشهدونك في المكارم والندى
ولقد نرى ملك البلاد كأنه
مولاي ان المسلمين كما ترى
والدين أنت نصيره وحفاظه
وانهض فدار الرشيد تعل شانه
فمنارها للشرق أعظم مصلح
قائم دعائها وشيد ذكرها
لازلت عز المسلمين وكهفهم

أخنت عليه نوائب الحدثان
وعظمت حتى لا يرى لك ثان
علموا بأنك فارس الميدان
شهدوا بأنك نخبه الأزمان
ملك بدا في صورة الانسان
ما بين مظلوم وبين مهان
فارفع دعائه على الأديان
تهدي القلوب بساطع البرهان
يحيي النفوس بمحكم القرآن
فهي السبيل الى هدى الانسان
ماغرد القمري في الافنان

ثم أنشد الطالب الداخلي في ذلك القسم الشيخ عبد السميع البطل هذه الآيات

أهذا كوكب أم ضوء صبح
وذا ملك كريم أم ملك
هو العباس مولي كل خير
ملك القطر انا قد بسطنا
فتحن غراسكم نحيا اذا ما
اترضى ان يكون لكل دين
ولا يدعو الى الاسلام داع
اعباس هداة الناس أموا
فأنت المرتجى لسداد أمر

أم القمر المنير أم الأمير
أم العباس يعلوه السرور
وطل عطائه بحر غزير
اليك يدا الى الجدوى تشير
سقاه ماء جودكم المنير
دعاة في ممالكنا تسير
ولا يبدي حقائقه بشير
علاك وملء قلبهم سرور
وأنت لدينا نعم النصير

مصائب مصر والشام

رجال العلم وحملات الاقلام

اكبر مصائب البلاد موت العلماء والادباء والكتاب الذين يغذون العقول ويزكون النفوس بالتعليم والتصنيف ونشر العلوم والآداب . وقد رزئت الديار المصرية والسورية في هذه الايام بوفاة اربعة كهول من اشهر رجالهما في علوم الدين والدنيا واللغة ، يعدون من عوامل التحول والاطلاق الاجتماعي في الامة العربية . وهم احمد فتحي باشا زغلول المصري والشيخ حسن المدور والشيخ محي الدين الخياط البيروتيان - والشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي

١ - احمد فتحي باشا زغلول

في آخر يوم من الشهر الماضي شيعت مصر جنازة نابغة العرب فيها صديقنا احمد فتحي باشا زغلول ، وشعر كل ذي بصيرة فيها بأنها فقدت رجلا لا خلف له في مواهبه ومزاياه

ولد الفقيه لليلتين او ثلاث خلت من شهر رمضان ١٢٧٩ (الموافق اول شهر الشتاء الثاني سنة ١٢٤١ هجرية شمسية - ٢٢ فبراير ١٨٦٣ م) والده من بيت كريم ينتمي الى بعض قبائل العرب التي استوطنت القطر المصري ، ووالدته من بيت كريم يسمى بيت بركات وهما من قرية من قرى مديرية الغربية اسمها (إبيان) وكان والده سماه (فتح الله صبري) ثم غير اسمه ناظر المعارف فسماه باسمه (احمد) لما ظهر له من نجاحه ، ولقبه بفتححي للإشارة الى اسمه الأول . وتلقى التعليم الابتدائي والوسط في مدارس الحكومة بمصر والاسكندرية ، واختار له ناظر المعارف ان يتلقى التعليم العالي في فرنسا ، فكان في مدارس التعليم كلها آية الذكاء والاجتهاد . ولما عاد من اوروبا دخل في خدمة الحكومة في النيابة والقضاء حتى صار رئيسا لمحكمة مصر الاهلية ثم وكيلا لنظارة الحقاينة ، ونال مانال من رتب الحكومة واوسمتها العالية ، وكان العارفون يجزمون بأن ترقيه دون استحقاقه واستعداده . فهل هذا هو احمد فتحي باشا زغلول ؟

تعلم في مدارس مصر واوربة ألوف ، عاش اكثرهم ومات كما يعيش ويموت الملايين من الجهلة والمعمولين ، وتقلب كثيرون منهم في مناصب الحكومة واعمالها . وما كل واحد منهم يستحق ان يترجم في الصحف ويخلد اسمه في دواوين التاريخ ، اللهم الا توارى المناقنين الذين يعظمون كل صاحب منصب او ثروة وان لم يكن

له اثر يذكرك ، او منقبة تؤثر ، الا جمع المال واقتناء العقار ، والتعالي على الناس ولو بالظلم والافساد .

احمد فتحي زغلول ذلك الرجل الذي شهد له كل ذي علم وفهم في مصر بانه بذ الاقران ، وكان المجلي من حلبة المدنية في كل ميدان ، لم يجمع مالا ، ولم يتأثر عقارا ، ولم يترك درهما ولا دينارا ، وانما كان هو ذلك الرجل بما آناه الله من الذكاء واللوعة ، والعقل والروية ، والهمة العلية ، وما تربى عليه من ملسكة الاستقلال ، وما اكتسبه من العلوم وما احسنه من الاعمال .

خلق احمد فتحي زغلول كبير الاستعداد ، آناه الله فؤاداً ذكياً ، وذهناً لودعياً ، والأذكاء في أمتنا العربية كثيرون ، فان كان حظ هذا الرجل من الذكاء عظيماً فكم من عظيم الذكاء اطفأت التربية السوءى والبيئة الفاسدة نور ذكائه ، وهدمت ما بنته الفطرة من قوة استعداده ؛ وكم من ذكي وجهت القدوة السوءى ذكائه الى ما يضره او يضر أمته كلها ، وقد اتفق لهذا الذكي اللودعي ان نبت في بيئة خاصة ، مثل فيها امام عينيه من اول العهد بالتمييز إمام الاصلاح في هذا الزمان ، ومن حوله من المريدين والاخوان ، الذين لم يكن لهم سمر ولا حوار ، الا في شؤون التربية والاصلاح ، فكان يرى منذ عهد التعليم الابتدائي الاستاذ الامام متجلياً في فضائله وحكمته ، والشيخ عبد الكريم سلمان متجلياً بأدبه وفصنته ، واخوه (سعداً) معتصماً باستقلاله وحقته ، مع أتراب لهم من مريدي السيد جمال الدين حكيم الاسلام ، وخليفته الاستاذ الامام ، وكل في فلك العلم والحكمة يسبحون ، وحول قطب الاصلاح وتجديد حياة الامة يدورون ، فلقح استعداد احمد فتحي بفكرة العمل والسعي لتجديد حياة الامة ، وصحب الاستاذ الامام بعد عودته من أوربة ودخوله في اعمال الحكومة كاخيه الاكبر (سعد باشا) حجة المرید الصادق ، والمرشد الكامل ، فاستفاد من تلك الافكار السامية ، والمقاصد العلية ، والفصاحة الخلابة ، والبلاغة الجذابة ، ما شاء الله ان يستفيد . وكان زيتته صافياً يكاد يخفي ولو لم تسمه نار ، فاتصل بذلك القبس المتألق فشتعل نورا على نور .

أروي عن فقيدها النبغة كلمتين في أستاذنا الامام رحمهما الله تعالى . الاولى سمعتها منه في أول مجلس لقيته فيه : زار الفقيد طرابلس الشام بصحبة الاستاذ ايام كنت اطلب العلم فيهم ، فكنت مدة مكثهما في طرابلس ملازماً لهما من الصباح الى وقت النوم . لاني كنت اضلعت على ما صدر من جريدة (العروة الوثقى)

فعثقت السيد جمال الدين مدير سياستها، والشيخ محمد عبده رئيس تحريرها، وصرت مريدا لهما بالغيب. وقد جئت الدار التي ناما فيها ليلة قدما فقبل لي انهما ذهبا الى حمام عز الدين، جئت الحمام فألقيت بعض العلماء والوجهاء قعودا في خارج الحمام ينتظرون مع الفقيد، والاستاذ في الداخل، فترجمني الشيخ خير الدين الميقاتي من علماء طرابلس للفقيد، وكان مما قاله: انه اكتب الكتاب عندما وهو لا يرى لنفسه استاذ في الكتابة الا الاستاذ الشيخ محمد عبده على انه لم يره. فقال الفقيد: كلنا ليس لنا استاذ في الكتابة غير الاستاذ. واحسب انه فسر ذلك بان التمايز في الكتابة انما هو بالافكار واساليب التصرف في الكلام، وأن كل من يقرأ ما كتبه الشيخ او يسمع كلامه يجد فيه القدوة المثلى والمادة الغزيرة في ذلك. ولم احفظ من كلامه بنصه وقتئذ الا تلك الكلمة

واما الكلمة الثانية فقد قالها منذ ثلاث سنين اذ كنا نتذاكر في داره ببعض المسائل الاجتماعية، فذكرنا كلمة من حكم الاستاذ في ذلك فسرتها الحوادث فقال: ان كثيرا من كلام الشيخ لم يظهر لنا معناد المراد الا بعد مونه. وقد كان يقول الكلمة فنظن اننا فهمناها ثم يظهر لنا بعد عدة سنين اننا لم نكن فهمنا بعد غوره فيها، حتى كشفه طول البحث وسعة الاختبار. اه بالمعنى

تلك البيئة الاصلاحية هي التي جعلت من استعداد احمد فتحي زغلول خطيبا مفوها، كما جعلته كاتباً قديراً، فكان في مصر ثاني الاستاذ الامام في فصاحة لسانه، والزام النصيح في اكثر كلامه، اما الاستاذ فقد كتب الشيخ ابراهيم اليازجي في ترجمته، - وناهيك بنقده ودقته - ان كلامه الذي كان يلقيه في مجالسه العادية كابلغ ما يكتبه المترسلون المتأفقون. أقول: وناهيك به قدوة صالحة، ومربيا للملكة.

تلك البيئة الطيبة والقدوة الصالحة هي التي لقحت ذلك الذهن الوقاد بلباق الاستقلال، الذي به تظهر ثمرات العلوم عند القيام بالاعمال، فكان مضطاعا بالعمل بما تعلم، وكان علمه ملكة ثابتة، وصفة راسخة، وشجرة مثمرة، واكثر المتعلمين منا مقلدون، يودعون العلم بوداع المدرسة، وما عرفنا رجلا مثله كانت الحكومة تشعر بحاجتها الى علمه، وترجع اليه حتى في القوانين والاعمال التي لا تتعلق بعمله، فهو واضع اللائحة الاصلاحية للمحاكم الشرعية، وهو واضع قانون اصلاح الازهر، وناهيك بهما، وبما يتوقف عليه وضعهما، وقد اشتهر انه كان في نظارة الحقانية الركن الركين، لوضع جميع الانظمة واللوائح والقوانين. لم تشغل الفقيد خدمة الحكومة التي كان يتقنها من كل وجه، عن خدمة الامة بالعلم والعمل، فقد كان عضوا عاملا في الجمعية الخيرية الاسلامية، وألف

وترجم عدة كتب يبتغي بها الاصلاح والنهوض بالامة ، دون الكسب والثروة ، وكان اول ما اخرجته للغة العربية من تفائس مصنفات الافرنج (كتاب أصول الشرائع) لبنتام ، وهو كتاب جليل في فلسفة القوانين وعلاها ومداركها ، يعجز عن ترجمته من لم يكن راسخا في علوم القوانين والفلسفة ، وسعة الاطلاع في علم اللغة ، ولو كان العلم في الامة حيا لاعيد طبع هذا الكتاب مرارا .

وكان آخر كتاب ألفه في القضاء (شرح القانون المدني المصري) شرحه شرح العالم المجتهد المستقل ، وتصرف في تدسيقه وترتيبه تصرف المصلح المنقح ، وغير في هذه الترجمة كثيرا من الاصطلاحات القضائية المترجمة عن اللغة الفرنسية ترجمة غير صحيحة ، فأعجبت الحكومة وجمهور رجال القضاء بهذا الشرح ، واعترفوا بشدة الحاجة اليه ، وكان هو الباعث على احتفالهم بالشارح ذلك الاحتفال الذي نوهنا به في وقته وله في هذه المباحث القضائية كتاب حافل سماه (المحاماة) وقد بين في هذا الكتاب تاريخ المحاماة عند الامم القديمة بالاجمال وعند الامم الغربية بالتفصيل ومنه الكلام في نظامها عند هذه الامم ، والمؤتمر الذي عقد لها ، ثم افاض القول في المحاماة في مصر ، وبيان حال المحاكم المصرية وتاريخها وتأسيس الحكومة المصرية ودخولها في سلك النظام الاوربي ، وأطال الكلام على القضاء فيها ، وبعد استيفاء كل ما أراده من الكلام على المحاماة وأهلها من التاريخ والنظام والقوانين والآداب وما يناسب ذلك ختم الكتاب بملاحقات في قوانين مصرية سابقة ولوائح وأوامر رسمية مصرية متممة للموضوع . فكانت صفحات الكتاب ٤٣٤ و صفحات الذيل ٢١٠ وله رسالة قضائية في التزوير مفيدة في بابها

وله ترجمة كتاب (الاسلام - خواطر وسوانح) للكونت هنري دي كاستري الفرنسي ، في رد مفتريات الصليبيين وأشباههم على الاسلام ، فقد كان هذا الكونت واسع الاطلاع في كتب المسلمين ، ونقل في هذا الكتاب من مطاعن الافرنج في الاسلام ما لم يخطر على بال مسلم في الدنيا ، وردّها واثني على الاسلام خير الثناء . وقد ترجم هذا الكتاب وطبعه في اواخر سنة ١٣١٥ وهي التي صدر فيها المنار ، وقرظناه في العدد الحادي عشر من السنة الاولى ، وشرنا مقدمته للترجمة العربية التي نقل الفقيه فيها نبذة من المنار . وكان غرضه من ترجمة هذا الكتاب الدفاع عن الاسلام وبيان محاسنه وتنبيه المسلمين الى ذلك

وأما الكتب التي ترجمها لغرض التجدد العلمي والمدني في مصر وسائر الامة

العربية فهي كتاب (سر تقدم الانكليز السكسونيين) في الطريقة المثلى للتربية والتعليم ، لعالم فرنسي اسمه (آدمون ديولان) وكتاب (روح الاجتماع) وكتاب (تطور الامم) كلاهما للفيلسوف الفرنسي الكبير (غوستاف لوبون) فكان غرضه من هذه الكتب بث فكرة التربية الاستقلالية والتعليم العملي في الامة ، واعتماد الافراد على انفسهم لاعلى حكوماتهم {١} وتبنيها الى اسباب التحول والانتقال في الامم والشعوب ، وكونه لا يحصل الا بالتدرج البطيء ، وتذكرها بالآفات والعمل الكامنة في التطورات الاجتماعية الحديثة في الافرج ، كالاشتراكية والاحزاب والجمعيات السياسية والاقتصادية وغيرها . ولغوستاف لوبون مذهب خاص في هذه المباحث يخالفه في كثير من آرائه بعض علماءهم . والناظر المستقل لا يقلد أحدا من المختلفين ، وانما يمحس المسائل ويتبع قوة الحجة والدليل

ويقال انه كان بدأ بترجمة كتاب مدينة العرب أو حضارة العرب لغوستاف لوبون أيضا ، وكان الاستاذ الامام حضه على ترجمته . وآخر ما أخرجه قلمه للناس ترجمة رسالة سياسية في سوء حال الدولة العثمانية وشدة حاجتها الى تغيير وضعها ونظامها ، وهي الامير مصطفى فاضل باشا زعيم الاحرار الاول في الآستانة خاطب بها السلطان عبد العزيز ، ورسالة أخرى في قواعد وفذلكات اجتماعية لغوستاف لوبون جعلها كالمذكرات والعمارين لما فصله في كتبه الاجتماعية . فترجمها الفقيه بالعربية ومماها (جوامع الكلم)

وقصارى القول في صفة الرجل الاجتماعية والسياسية انه حجة على كفاءة العربي وقدرته على العلم والعمل بالنظام الاوربي كآرقي الاوربيين ، لانه ركن في العمل بذلك . وأما صفاته الشخصية فقد كان حسن المعاشرة ، حلو المفاكة ، نزيه النفس واللسان ، يقدر على إرضاء كل جليس بغير دهان ، لا يمل جلوسه جده ، ولا يعبث بوقاره هزله ، وقلما تربى في اوروبا شاب مثله في عفته وصيافته ، والاعتصام من استخفاف حرية الفسق لشرة الصبا وخفته . وكان دقيق النظام في كل شيء متأنقا جدا في زيه ومعيشته بلا تكلف ، ولا اضاءة وقت في العبث . وأما رأيه في الاصلاح والتجديد فهو ان يبني ولا يهدم ، لان الامة اذا وجدت البناء الجديد اصلح لها ، تركت المباني العتيقة تسقط

(١) كتبت في منار اول المحرم سنة ١٣١٧ مقالة عنوانها (الامتياز على النفس) فقل لي وقتئذ : اني استعملت هذه الكلمة في ترجمة كتاب (سر تقدم الانكليز) الذي يطبع الآن واراك سبقتني الى استعمالها ، ثم كثر استعمال هذه الكلمة بانتشار ذلك الكتاب لا بمقتالي

من تلقاء نفسها ، فلم يكن يدعو الى ترك الامادات الضارة ويشنع على أنصارها ، لذلك لم يطمئن الناس في رأيه ومذهبه كما طعنوا في صديقه قاسم بك أمين ، بل لم يكن الجمهور يرفون ان له رأيا يرمي اليه في الانقلاب الاجتماعي . فان فهم بعض اذكياء الحزب الوطني ان ما شرحه كتاب روح الاجتماع من امر اندفاع الجماعات بغير عقل ولا شعور ينطبق على حزبهم ، فهل كان يسهل عليهم ان يطمئنا بوطنية مترجم الكتاب ويمدون خصلها لهم ؟

هذا وان الفقيد قد كان ميالا الى الاصلاح الديني ، معتقدا انه شطر أو شطر للاصلاح المدني والسياسي ، وقد كان أخبرني في أوائل العهد بإنشاء المنار ان ابراهيم باشا فؤاد ناظر الحقانية مغتبط بالمنار ويرى وجوب تعميم نشره بين المسلمين . وأنه هو قد سر بذلك وتواعد مع الناظر باتخاذ وسيلة لذلك يوزع بها ألوف من النسخ على طلاب العلم وفقراء القراء بثمان قليل . ثم لم أراجعه ولا كلمت ابراهيم باشا في ذلك عندما كنت ألقاه وأسمع منه الثناء على المنار . ولاها وفقا لشيء مما تحدثنا به .

ولما توفي شيخنا الاستاذ الامام تذكروا أصدقاؤه ومريدوه في عمل شيء يذكر به ، فاقترحت ان تنشأ باسمه مدرسة كلية يجمع بها بين التربية الدينية الصحيحة وتعليم العلوم الدينية والدينية على طريقته التي كان يسعى لها سعيها باصلاح الازهر ، فقبلوا الاقتراح بكل ارتياح ، وانتخبوا في دار سعد باشا زغلول لجنة لوضع نظام المدرسة مؤلفة من حسن باشا عاصم والفقيد وصاحب هذه المجلة ، فكان الفقيد مهما بهذا ، وذاكر به لورد كرومر - كما تقتضي المصلحة - فظهر اللورد له الاستحسان . ووعد به بأن يحضر له نظام وبرنامج مدرسة عليكرة الاسلامية الهندية للاقتباس منه واستحسن ان يبدأ بالعمل صغيرا ليكبر بالتدريج . ويملم الذين يقرؤن المنار منذ سنين ان الذي حال دون إنشاء هذه المدرسة هو ظهور مشروع مدرسة الجامعة المصرية ونوط أمرها بسعد باشا زغلول وقاسم بك أمين . وكان سعد باشا هو الركن الركين لمشروعنا فتركه للجامعة وما كان يمكن ان يشتغل به وبمشروع الجامعة معا

ولما عزم على السفر الى الاستانة منذ أربع سنين لاجل مشروع الدعوة والارشاد اهتم بذلك الفقيد اهتماما عظيما ، وجاءني ليلة من ليالي رمضان الذي سافرت فيه واقترح ان تتكلم في المشروع منفردين ، فاقفلنا باب الدار ، وظللنا نتحدث في المشروع الى ما بعد نصف الليل ، فلما شرحت له وسائله ومقاصده سر به وبالع في استحسانه ، ووعد بأن يساعد الجمعية التي تؤسس له هناك بقدر الطاقة . وعهد الي

بأن أتعاهده بالكتابة من الآسنانة ، فكانت الكتابة بيننا متصلة في ذلك ، ولم أر
أحداً من أصدقائي بمصر اهتم بذلك بدخض اهتمامه رحمه الله تعالى
كان سبب موته مرض ألمّ بدماغه ، سببه كثرة تفكيره واشتغاله ، ولا غرو فقد
كانت قوة ذلك الدماغ اعظم من مادته ، وعمله فوق استطاعته ، وذلك منتهى أكثر
الرجال الذين همهم أكبر من قوتهم ، تنسى حقولهم حقوق ابدانهم ، فيجنون على
امتهم بجنايتهم على انفسهم ، اذ ينزعهم القدر منها ، أقدر ما كانوا على خدمتها ، فمنهم من
يفتضّر في سن الشباب ، ومنهم من ياتي بمصرعه عند الاكتهال ، وبلوغ قواه كلها
مستوى السكال ، كمن فقدنا اليوم ، ومن فقدنا بالامس ، ورحمهم الله تعالى .

محاربة متعصبي القبط وغيرهم للمنار

في يوم السبت في ٢١ جمادى الآخرة دعانا بالمسرة (التلفون) رئيس النظار حسين
رشدي باشا الى داره فوافيناه فيها فاذا هو في سرير النوم لانحراف صحته ، واذا بجانبه
جريدة مصر القبطية ، فأطلعنا عليها ، وسألنا عما تنسبه الى المنار من الطعن المعلم عليه
بالخبر الأحمر فيها ، وملخصه أنه يجعل النصراني كلهم وثنيين وان طعنه يكاد يضرم
نار الثورة في البلاد ؟؟ فلما قرأت ما فيها قلت للرئيس : يعطوفة الرئيس ! انت قاض
قبل كل شيء ، وقد اشتهرت في حياتك القضائية بالاستقلال ، ومن مقتضى ذلك ان تقرأ
الطعن الذي تشير اليه جريدة مصر ، قبل ان تحكم في المسألة بشيء . هذه العبارة التي تشير
اليها جريدة مصر اوردها المنار كعنوان لموضوع كتاب في سياق تهر بظله . هذا الكتاب
اسمه « نشوء فكرة الله » مؤلفه انكليزي ، وخلصه بالعربية سلامة افندي موسى القبطي ،
وطبعه بمطبعة يوسف افندي الخازن الماروني السوري ، محرر جريدة الوطن القبطية ،
وقرظته الجرائد والمجلات السورية والقبطية والاسلامية ، ولم يعب المترجم والناشر احد
منها بانه عاب النصرانية وكاد يضرم نار الثورة في البلاد ! ولكن لما قرظت مجلة
المنار الاسلامية وذكرت ان ملخصه اثبات كون الديانة النصرانية وثنية الاصل
- وقيدتها بالحاضرة تبرئة للمسيحية الصحيحة التي كان عليها المسيح عليه السلام
وحواريه رضي الله عنهم - صار ذلك اكبر الجرائم المحركة للثورات والفتن ، واستحق
صاحب المنار النقي من مصر ، واستحققت الحكومة هذا الانذار من جريدة مصر
- اذ فيها : ان من انذر فقد اعذر - بعد الاقتراح على الحكومة ان بان تعاقب
صاحب المنار بمثل ما عاقبت به عبد العزيز شاويش عدو القبط من سجن ونفي .
ثم اعطيت للرئيس نسخة المنار فلما قرأ التقرير فيها ضحك مستغربا كتابة

جريدة مصر . ثم ذكرت له ان المنار لما كان هو المجلة الاسلامية الوحيدة التي اخذت على نفسها الدفاع عن الاسلام في هذه البلاد الحرة التي ينشر المبشرون فيها الصحف والرسائل الكثيرة في الطعن في الاسلام والقرآن والنبي (ص) وجب علينا شرعا ان نرد عليها اعتداءها ولو بما هو دونه ، اذ لا يسمح لنا ديننا أن نطعن في سيدنا عيسى ولا في اصل دينه وكتابه . فأنا لا أترك مدافعة المبشرين الا اذا كانت الحكومة تريد منع حرية المسلمين في دينهم وتجعل الحرية للنصارى وحدهم . فقال الرئيس كلا ان الحكومة لا تسلبك حرية الدفاع عن الاسلام ولا كن توصيك بالاعتدال والتزام خطة الدفاع . قلت انني أعني بالدفاع انهم البادئون واننا نجزئهم بما دون عملهم ، وانهم اذا تركوا الكلام في ديننا تركنا الكلام في دينهم ، وانني مستعد لتقديم جدول للحكومة بالشواهد من كتب المبشرين ورسائلهم على ما فيها من الطعن الفاحش في الاسلام الخ ...

كان ما أطلعني عليه الرئيس اول ما اطلعت عليه من المطاعن الكثيرة التي وجهتها الي والى المنار جريدة مصر ، وكنت اسمع بها ، ولا احاول الاطلاع على شيء منها . ثم جاءني احد الاصدقاء بعدد من منها فاذا في احدهما مانصه تحت عنوان (صاحب المنار) « اتصل بنا ان ولاية الامر قد اهتموا بما كتبناه عن الشيخ صاحب المنار وطعنه الطعن الجارح في الدين المسيحي واهله فاستدعاه عطوفة رئيس النظار الى منزله وحذره من الكتابة في مثل هذه المواضيع المهيجة وانذره بتعطيل مجلته ان عاد الى تلك الكتابات . فعسى ان يكون هذا الانذار مانعا من الوقوع في المصائب التي يريد صاحب المنار جلبها على البلاد واهلها . » ؟؟

دع كذب جريدة مصر على رئيس الحكومة في هذا العدد وانتظر ما كتبت في الآخر : كنت كتبت مقالة في الرد على جريدة (دوكير) التي تصدر بمصر باللغة الفرنسية اذ نشرت مقالة تنكر فيها على المنار ما كتبه في النصرانية يظهر انها لا احد السوريين ، يثبت فيها طريقة المنار في الجمع بين الاسلام والمدنية الصحيحة والتأليف بين المسلمين وغيرهم ، والصحف الفرنسية التي شهدت له بذلك ، وكون رده على دعاة النصرانية لا ينافي ذلك . وارسلت المقالة الى المؤيد فلم ينشرها الا بعد زهاء شهر من ارسالها اليه . وقد هاج نشرها جريدة مصر فكتبت مقالة في اليوم التالي لنشر المقالة في المؤيد (وهو ٢٧ جمادى الآخرة) استفرغت فيها ما في قلب صاحبها ومحررها من السباب والشتائم والحققد والضعيفة على صاحب المنار ، فظهر من فحوى ذلك سر من الاسرار ، وهو سبب حملة جريدة مصر علينا في هذا الشهر ، مع ان المنار يرد على المبشرين من بضع عشرة سنة . وهالك ، فضح السر منها : « ولكن هذا الرجل المسكين لم يعد يعطف أحد عليه . فالوطنيون يكرهونه

لانه يعاكس مبادئهم . والانكليز ييغضونه لانه عدو مدنيتهم . وعلماء المسلمين يكرهونه لانه غير واقف على اسرار الدين . وقد ادركت الحكومة سوء طويته وستوقفه عند حده عن قريب .

« اننا اذا اغتفرنا لهذا الرجل كل سيئاته وتغاضينا عن مدرسته التي لا تدري الغرض منها . فانه لا يرضينا منه تداخله في ما لا يعنيه وشرحه للدين المسيحي نرحا يخالف ما يعتقده اهل . وطعنه ذاك الطعن الاليم في المدنية الاوربية ، ووضعه لقناصل والمبشرين والمومسات والقوادين في مستو واحد .

لذلك كله نرى من واجباتنا الوطنية ان نلاحق هذا الرجل ونعمل جهد استطاعتنا لمحاربته كما تحارب الحكومات الامراض المعدية ولو تسلح برضا بعض ولاية الأمر عنه وشد جريدة مثل المؤيد لأزره بقولها عنه : « ان صاحب المنار مهضوم الجانب وفي حاجة الى الدفاع عن نفسه ودينه » اه بحروفه

(المنار) ظهر لنا من هذا التصريح الذي لا يحتمل التأويل ان سبب انفجار بركان التعصب على صاحب المنار في جريدة مصر هو تشریف مولانا الامير عزيز مصر مدرسة دار الدعوة والارشاد ، وما تضمنته هذه الزيارة من اعلان ثقته بالمدرسة وعطفه السامي على ناظرها صاحب المنار ، ولذلك عرضت جريدة مصر بذكر المدرسة وقالت انها تغاضت عنها ، على كونها لا تدري الغرض منها !! كأنه يجب على كل مسلم يعمل للاسلام عملا ان يوقف جريدة مصر على غرضه من عمله ! ؟ تقول جريدة مصر في صاحب المنار ان المصريين والانكليز ييغضونه وإن الحكومة قد ادركت سوء طويته وستوقفه عند حده عن قريب : أثبتت جريدة مصر كل هذا ، فكان ينتظر من مديرها ومحرريها انصار الديانة المسيحية بزعمهم ان يجد صاحب المنار من قلوبهم عطفة او نفحة من الرحمة المسيحية المبني اساسها على محبة الاعداء ومباركة اللاعنين !! ولكنهم لم يزدادوا الا قسوة وحقداء عليه ، فبعد الجزم بجميع ما ذكر قالوا ان الواجب عليهم أن يعملوا جهد استطاعتهم لمحاربته ولو تسلح برضا بعض اولياء الامور عنه ؟ فاذا كان الانكليز ورجال الحكومة غاضبين عليه . فمن تعني ببعض اولياء الامور المتسلح برضاهم عنه ؟؟

ثم ماذا تريد جريدة مصر بالمخاربة الجديدة التي توعدتنا بها ، بعد ما كان من تهيجها المبشرين وغيرهم من رجال النصرانية علينا ، وبعد هذه السباب والشتائم وبعد انذار الحكومة بخطر الثورة اذا لم تنكل بصاحب المنار ؟ وهل بعد هذا من حرب تقدر عليه جريدة ؟ نعم بلغني ممن يعاشر بعض محرري جريدة مصر أنهم يعنون بهذه المخاربة الاستعانة بنفوذ المبشرين في انكثرة على اقناع حكومة لندرة نفسها بوجوب إلغاء المنار والتنكيل بصاحبه وإقفال مدرسة دار الدعوة والارشاد . — الى هذا الحد وصلت ثقة متعصبي القبط بكيدهم للمسلمين ، فاعتبروا يا أولي الابصار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

الملك

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « متارا » كثار الطريق

مصر سلخ رجب ١٣٣٢ هـ ق ٦ الصيف الاول ١٢٩٢ هـ ش ٢٣ يونيو ١٩١٤

فَتَاوَى الْمُنْتَابِ

التتجنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع طامة الناس، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قد منما تاخر السبب كعاجة الناس الى بيان موضوعه وربما احيانا غير مشترك لمثل هذا، ولان مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(السكروته والحرير)

(س ١٥) من صاحب الامضاء الرمزي بدمياط

صاحب الفضيلة حضرة الاستاذ المرشد والامام المصلح السيد محمد رشيد رضا

سدد الله ووقته

ما قولكم يا فضيلة الاستاذ في هذه الثياب المعروفة بمصر التي تسمى بالسكروته وما حكم لبسها مع اختلاف الناس فيها هي حرير أم من نبات ؟ فبعضهم يقول انها من حرير الدودة المحرم . وبعضهم يقول انها ألياف نباتية تنبت بارض الهند كالتيلى والكتان . واختلف الناس في شأنها كثيرا . وقد اصبح الناس يلبسونها كثيرا وخصوصا علماء الدين فلا تجد واحدا منهم الا وهو يقتني منها ثوبا او اثوابا، بل ربما يديم لبسها طول الصيف ويفتى الناس بحلها . بناء على انها نباتية، ويقول ذلك ويقرره بجرأة غريبة ، وقد وقع الناس الآن في شأنها كثيرا في بلدة دمياط، واهتموا بهذا الموضوع اهتماما ذا بال، فترجو فضيلتكم اجابتنا بما ترونه في ذلك منطبقا على دين الله ، وما تعلمونه عن حقيقة مادة السكروته هذه، مع ذكر مسألة الحرير وتحريمه في الدين وحكمة التحريم، ورأيكم الخاص في ذلك . فان الخلاف فيه قديم بين الجمهور وقليل من السلف والخلف واقبلوا مزيد الاحترام (م . ل)

(ج) من اعتقد من الرجال ان النسيج المسمى بالسكروته حرير حرم عليه لبسه، ومن لم يعتقد ذلك لم يحرم عليه . والمتبادر من التسمية ان السكروته غير الحرير . وقد سألت تاجرا مسلما سوريا يتجر بهذا الصنف في (شنغاي) من واني الصين فقال ان الذي يعلمه هو ان السكروته من نسج دود غير دود الحرير، اي فلهذا وضع لها

اسم غير اسم الحرير . وتفارق الحرير في اخص صفاته وهي النعومة . ولا يمكن ان يقال ان جميع ما تنسجه الحشرات حرير ، فقد كان نسج العنكبوت معروفا عند العرب ولم يسمه احد حريرا . وبلغنا أن الإفرنج يتخذون منه قفايز وغيرها .

والحكمة في تحريم السنة لبس الحرير الخالص على الرجال هي كونه مبالغة في الترف والنعيم المضعفين للرجولية ، والمفسدين لبأس الأمة . وكان ولا يزال عند أكثر الأمم من خصائص النساء . ومثل هذه العلة ورد النهي في السنة عن لبس المعصفر والمزعفر اذ كان من زينة النساء خاصة . فما نعلم من حكمة تحريم الحرير لا يوجد في السكروته . نعم ان الرقيق من السكروته اذا كوي بالمسكوة يكون له لمعان كالحرير ، ولكن من نسيج القطن والكتان مثل ذلك . فالظاهر لنا ان لبس السكروته غير محرم . والله اعلم واحكم

تكرار الفدية بتأخير قضاء الصيام

(س ١٦) من نوح ابن الحاج عبد القادر القاهري السندي
ما قولكم ايها العلماء الاعلام وائمة الاسلام في قول المنهاج في كتاب الصيام :
«والأصح تكرره بتكرر السنين» ما المراد بتكرر السنين؟ هل هو تأخير قضاء رمضان
او أكثر الى رمضان آخر؟ أم تأخير قضاء رمضان الواحد الى رمضان فصاعدا؟ فان
قلتم بالثاني فما المراد بقول الشرقاوي في حاشيته على شرح التحرير: قوله « الى رمضان
آخر » بالتوين مصروفا لانه نكرة اذ المراد به غير معين ، بدليل وصفه بالنكرة وهي
« آخر » وزالت منه احدى العلتين وهي العلمية . وبقاء الألف والنون الزائدتين
لا يقتضي منعه من الصرف اهـ وما المراد بقول السيد الفاضل المصطفى الذهبي في
تقريبهما على على هامش تلك الحاشية : قوله رمضان آخر هو مصروف لانه غير
معين ، انظر ما الفرق بينه والاول؟ وغاية ما يقال الاول مقصود منه الشهر الذي يستقبله
المدرک بعينه بخلاف الثاني فانه يتناول ما بعده لا الى نهاية ، فتكرر الكفارة بكل
رمضان يأتي بعد الاول فهل يكفي هذا في منع الصرف حرره اهـ وما المراد بقول
السيد علوي ابن السيد احمد سقاف في حاشيته على فتح المعين : قوله « لكل سنة »

(المنار - ج ٧ م ١٧) التقليد والمذاهب ووحدة المسلمين ٥٠١

اي لصوم كل يوم من رمضان كالسنة ، وبه قال مالك واحمد اه وقد قال العلامة الدسوقي المالكي في حاشيته على شرح المختصر ما نصه : فاذا كان عليه يومان من رمضان ومضى عليه ثلاث رمضانات او اكثر فانه انما يلزمه مدان . افيدونا بالمسطور جزاكم الخير رب غفور .

(ج) مراد المنهاج : « والأصح تكرره بتكرر السنين » أن من أخر قضاء ما فاتته من رمضان واحد الى رمضانين فأكثر يطعم عن الرمضانين من مكينين لكل مسكين مد - وعن ثلاث رمضانات ثلاث مساكين وهلم جرا ، ولا يمكن ان يكون معناه من أخر قضاء يومين فأكثر من رمضانين فأكثر الى رمضان آخر لزمه عن كل يوم مد . لأن هذا لغو من القول للاستغناء عنه بما قبله وهو قوله « ومن أخر قضاء رمضان مع امكانه حتى دخل رمضان آخر لزمه مع القضاء لكل يوم مد » ولأنه لا خلاف فيه حينئذ فلا يكون لوصفه بالأصح معنى ، اذ مقابل الأصح - وهو الصحيح - انه لا يتكرر . فهل يمكن ان يكون المراد بعدم التكرار على الصحيح ان من أخر قضاء يومين من رمضانين الى رمضان آخر لا تجب عليه فديتان ؟ لا لا . واذا تبين الحق فمن إضاعة الوقت البحث في كلام من لم يعرفه والاهتمام بفهم المراد منه . على ان بحث الشرقاوي والذهبي في العلة النحوية لصرف رمضان لا ينافي هذا ، ولا حاجة الى العناية والبحث فيما جاء به السقاف ، ولا الرجوع الى عبارة الدسوقي المالكي فانه ليس تفسيرا لعبارة المنهاج ولا يتفق مع مذهب الشافعي . فالعنى واضح والمذهب معروف .

(التقليد والمذاهب وجمع المسلمين على الكتاب والسنة)

(س ١٧) من صاحب الامضاء المصري في (السودان)

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ منار الدين الحق السيد محمد رشيد رضا ادامہ الله حاميا لدينه .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سيدي ارفع سوالي هذا ولي عظيم الأمل في اني سأحصل على الجواب الشافي الذي يريح ضميري واغلب المسلمين . نرى اختلافا كثيرا بين الأئمة المجتهدين

رضوان الله عليهم في مسائل عديدة ، الا انا نعتقد فيهم مثابون ومصيدون في ذلك ، لما نعلم من اعذارهم في مثل هذا ، كبلوغ احدهم الدليل وعدم بلوغه للآخر ، او بلوغه وعدم صحته . فهم مثابون ومصيدون من حيث تحريمهم الحق ، لا من حيث اصابتهم لحقيقة الحكم ، اذ يستحيل ان يكونوا كلهم مصيدين مع هذا الاختلاف ، والا فيكون هذا حكما صريحا على ان في الشرع تناقضا وحاشاه من ذلك . اذا علمنا ان هذا هو سبب اختلافهم واقوالهم بين ايدينا فلماذا نختلف نحن ايضا ويتبع كل فريق منا مذهباً ؟ وهل يتعين على المسلمين في هذه الحالة ان يستخلصوا الأدلة الصحيحة الثابتة ويتركوا ما عداها وقد علموا عذر الأئمة في ذلك ؟ والا فان المقلد لا يسلم من ان يكون متبعاً لإمامه فيما أخطأ فيه او على الأقل فيما كان مذهباً او مرجوحاً . وهل يصح ان يلتمس له عذراً من قلده مع خلوه عنه ؟ وهل الخطاب بالكتاب والسنة عام لكل اناس أو مختص بالأئمة الاربعة فقط ؟ واذا كان الخطاب عاماً فما عذر من عدل عنهما الى سواهما ؟ وان قيل ان الاستدلال بالكتاب والسنة لا يتأتى الا للعلماء وهم الأقلون ، فهل يتحتم على هؤلاء العلماء ارشاد العامة الى السبيل القيم مبينة لهم الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله تاركيين هذه الاختلافات القديمة التي لا تخلو من ضرر وقد اصبحت ذلك يسورا ؟ . رجائي الاجابة على هذه على صفحات مناركم الأغرى ، مبينين السبيل الحق في ذلك ، أثابكم الله وادامكم نوارا يستضاء به ، تفضلوا بقبول احتراماتي

محسوبكم سليمان حلمي

(ج) قد سبق للمنار بيان هذه المسائل كلها مرارا ، وأول ما كتبناه فيها (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع . ثم جمعت في كتاب على حديثها . ثم وقفنا على مناظرة في بحث الاجتهاد والتقليد للمحقق ابن القيم نشرناها في المجلدين السادس والسابع . وتكرر ذلك في التفسير والفتاوى ، ومما ورد في باب الفتوى اجوبة المسائل الباريسية التي سئل عنها أحمد باشا زكي في باريس فارسلها اليها . وقد طبعت في ذيل كتاب محاورات المصلح والمقلد . فاذا لم يتيسر للسائل مراجعة هذه المسائل في مواضعها المتفرقة من مجلدات المنار فليكتف بقراءة كتاب محاورات المصلح والمقلد وذيله ، ثم اذا بقي عنده او تجدد لديه بعض

الاسئلة في ذلك فليسأل عنها . ونزيده هنا فائدة ينبغي ان يفكر فيها بعد ان يقرأ في اواخر ذلك الكتاب ما قرره المصلح في مسألة وحدة الأمة . وهي ان هذه الوحدة الدينية قد توجهت اليها نفوس عقلاء المسلمين من جميع المذاهب في جميع الاقطار . وانه لا يرجى حصولها في وقت قريب الا اذا ايد الاصلاح الديني دولة او ايمارة اسلامية . على ان الأمة لا بد ان تنبذ كل خلاف ، وتصير الى الوحدة ولو بعد جيل او اجيال .

﴿ الخلاعة في التمثيل ﴾

(س ١٨) من صاحب الامضاء في يروت

سلام على امامنا السيد الرشيد ايده الله

وبعد فلا يخفي ان مولانا السيد كان افتى في المنار من استفتاءه من دمشق في امر التمثيل الروائي بانه جائز اذا لم يكن فيه خلاعة . ونظر الاستاذ ذلك الجواز بكتب الأدب واللغة التي هي روايات خيالية ، وعلمية لا عملية كالملتمات . ولما كان الداعي مختلفا هو و بعض العلماء في تلك الخلاعة اتفقنا على ان استفتي سيادة الاستاذ في بيان وجهها . فسر الداعي تلك الخلاعة بما يتخياه الفساق ويحصل في المراقص لافي الروايات التي يمثل فيها النساء مع الرجال ، وهي روايات ادب وعلم وصدق وعدل . وفسر ذلك البعض الخلاعة بحال تلك النساء الممثلات . فانهن يكن كاشفات الرأس والوجه واليدين حتى مافوق المرفقين واعلى الصدر . مع المعانقة الجزئية بين العاشق والمعشوقة وتقبيل جبهتها حسب ما يقتضي التمثيل . ويمكن ايضا لابسات الفخر الثياب مع زينة الحلي . فذكرت لهذا المفسران هذه الحال لا تكون الا لجرد التمثيل في تظهر تيجتها من حيث التوفيق بين العاشقين او الحكم عليهما حسب مقتضى امرهما كما هو من فوائد التمثيل التي تحدث عظة او خلقا في نفس الراي .

ثم اتني ذكرت لذلك العالم انه يسوغ أن يقاس ما فسرنا انا على الحديث الصحيح الذي فيه ان عائشة رضي الله عنها كانت تنظر مع النبي صلى الله عليه وسلم الى الرجال وهم يلعبون . فلما اورد هذا الحديث على الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو يحرم نظر الاجنبية الى الاجنبي . اجاب ان نظرها انما هو اللعب نفسه ولم يكن مقصودا به النظر المجرد الى الرجال . فقال لي ذلك العالم ان ذلك كان في

زمن غير زمتنا المعروفة احواله . فاجبته بان تخيل الفسق يكون أمه على من يتخيله .
فهذا خلافتنا رفعته الى مولاي الاجل كي يحكم بيننا بالحق . فللرجو الجواب في الجزء
الآتي من المنار اعز الله به الاسلام وناصريه والحمد لله اولا وآخرا .

بيروت : الأرباء ٢٤ رجب سنة ١٣٣٢ الداعي : راجب القباني

(ج) ان الخلاعة التي ينبغي ان تكون مانعة من رؤية تمثيل القصص هي
ما كان ذريعة للفسق وفساد الأخلاق . فانه ليس لأحد ان يحرم شيئا غير ما حرم
الله ورسوله بالنص او اقتضاء النص وهو سد الذرائع . فمن يخاف ان يغريه هذا
التمثيل في بعض القصص بفعل محرم وجب عليه اجتنابه . ومن لا يخاف على نفسه
ذلك تباح له رؤيته . واذا غلب فيه كونه ذريعة لمحرم يصح اطلاق القول بتحريمه .
ولم يثبت هذا . بل المعروف ان من يحضرون هذا العمل يكون جل همهم مراقبة
الاعمال كرواية عائشة للعب الحبش ، وان يعرفوا الوقائع وعاقبتها ومآلها . وقلم سمعنا
أن احدا منهم يحفل بغير ذلك . فان وجد من افتن في بعض البلاد بامرأة ممثلة فلا
يصح ان يجعل نفس التمثيل ذريعة لذلك على الاطلاق . اذ ثبت في كل زمن ان
بعض الناس يفتنون ببعض الحسان في الطرق او المعابد . اما النساء التي يمثلن في بعض
القصص مكشوفات الرؤوس والسواعد فلسن — كما يعهد في هذه الاقطار — بمسلمات
ولا يكلفن من فروع الشريعة ما تكلفه المسلمات . وقد جرى عرف أهل ملتهن
على اسقاط حرمة الستر فلا يعدونه فضيلة بل نقصا . وهن يمشين في الأسواق والشوارع
حاسرات كما يكن في معاهد التمثيل . ولا فرق بين رؤيتهن في الأسواق ورؤيتهن
في تلك المعاهد ولا بين الاختلاف الى الأسواق وهن فيها والاختلاف الى تلك المعاهد
وهن فيها . والعبرة في ضرر ما يمثل من حيث الخلاعة والتهتك وغيره بموضوع القصة .
فاذا كان موضوعها اعمالا منكورة بحيث يكون تأثيرها سيئا ضارا ، فلا وجه للتردد
في حظر ما كان كذلك ومنعه ان امكن والا فالاعتناع من رؤيته . واما ما كان
موضوعه حسنا مرغبا في الفضيلة ، منفرا عن الرذيلة ، اومبينا لعواقب ظلم الحكام ،
واستبدادهم في الاحكام . ومرشدا للأمة الى ازالة انظلم ، وأطر الظالمين على الحق ،
ومجرثا لها على مقاومة العدوان والبغي — فهو الذي يعده الحكماء من مربيات
الأمم ، ومهذبات الاخلاق ، وينظمونه في سلك اساليب التربية العملية

نموذج آخر من مدارج السالكين

من بحث تغير الاخلاق وعدمه في ضرب مثل للانتفاع بكل خلق وكل غريزة وعدم محاولة تغييرها

فصل

نافع جدا عظيم النفع للسالك بوصله عن قريب ، ويسير باخلاقه التي لا يمكنه ازالتها ، فان اصعب ما على الطبيعة الانسانية تغير الاخلاق التي طبعت عليها ، وأصحاب الرياضات الصعبة والمجاهدات الشاقة انما عملوا عليها ولم يظفر اكثرهم بتبديلها ، لكن النفس اشتغلت بتلك الرياضات عن ظهور سلطانها ، فاذا جاء سلطان تلك الاخلاق وبرز كسر جيوش الرياضة وشتها واستولى على مملكة الطبع . وهذا فصل يصل به السالك مع تلك الاخلاق ولا يحتاج الى علاجها وازالتها ، ويكون سيره أقوى وأجل واسرع من سير العامل على ازالتها .

ونقدم قبل هذا مثلا نضربه مطابقا لما نريده وهو : نهر جار في صبيه ومنحدره ، ومنته الى تغريق ارض وعمران ودور ، وأصحابها يعلمون انه لا ينتهي حتى يخرب دورهم ويتلف أراضيهم واموالهم ، فانقسموا ثلاث فرق : فرقة صرفت قواها وقوى أعمالها الى سكره وحبسه وايقافه فلم تصنع هذه الفرقة كبير أمر ، فانه يوشك ان يجتمع ثم يحمل على السكر فيكون لإفساده وتخريبه أعظم . وفرقة رأت هذه الحالة وعلمت انه لا يغني عنها شيئا فقالت : لا خلاص من محذوره الا بقطعه من أصل ينبوع ، فرامت قطعه من أصله فتعذر عليها ذلك غاية التعذر ، وأبت الطبيعة النهرية ذلك اشد الالباء ، فهم دائماً في قطع ينبوع ، وكلما سدوه من موضع نبع من موضع ، فاشتغل هؤلاء بشأن هذا النهر عن الزراعات والعمارات وغرس الاشجار . فجاءت فرقة ثالثة خالفت رأي الفرقتين وعلموا أنهم قد ضاعت عليهم كثير من مصالحهم فاخذوا في صرف ذلك النهر عن مجراه المنتهي الى خراب العمران ، وصرفوه الى موضع ينتفعون بوصوله اليه ولا يتضررون به ، فصرفوه الى ارض قابلة للنبات وسقوها به ، فانبتت انواع العشب والكلأ والثمار المختلفة الاصناف ، فكانت هذه الفرقة هم أصوب الفرق في شأن هذا النهر :

فاذا تبين هذا المثل فالله سبحانه اقتضت حكمته ان ركب الانسان بل سائر الحيوان على طبيعة محمولة على قوتين غضبية وشهوانية وهي الارادية ، وهاتان القوتان هما الحاملتان لاخلالق النفس وصفاتها ، وهما مركوزتان في جملة كل حيوان ، فبقوة الشهوة والارادة يجذب المنافع الى نفسه ، وبقوة الغضب يدفع المضار عنها ، فاذا استعمل الشهوة في طلب ما يحتاج اليه تولد منها الحرص ، واذا استعمل الغضب في دفع المضرة عن نفسه تولد منه القوة والعزة ، فاذا عجز عن ذلك المضار أورثه قوة الحقد ، وان اعجزه وصول ما يحتاج اليه ورأى غيره مستبدا به أورثه الحسد . فان ظفر به أورثته شدة شهوته وارادته خلق البخل والشح ، وان اشتد حرصه وشهوته على الشيء ولم يمكنه تحصيله الا بالقوة الغضبية فاستعملها فيه اورثه ذلك العدوان والبني والظلم ، ومنه يتولد الكبر والفخر والخيلاء ، فانها اخلاق متولدة من بين قوتي الشهوة والغضب ، وتزوج احدهما بصاحبه .

فاذا تبين هذا فالنهر مثال هاتين القوتين ، وهو منصب في جدول الطبيعة ومجراها الى دور القلب وعمرانه وحواصله بذهابها ويتلفها ولا بد ، فالنفوس الجاهلة الظالمة تركته ومجراه فخر ديار الايمان وقلع آثاره وهدم عمرانه ، وانبت موضعها كل شجرة خبيثة من حنظل وضريع وشوك وزقوم ، وهو الذي يأكله أهل النار يوم القيامة يوم المعاد ، واما النفوس الزكية الفاضلة فانها رأت ما يؤول اليه امر هذا النهر فافترقوا ثلاث فرق ، فاحباب الرياضات والمجاهدات والخلوات والتمرينات راموا قطعه من ينبوعه فابت ذلك حكمة الله تعالى وما طبع عليه الجملة البشرية ، ولم تنقد لهم الطبيعة ، فاشتد القتال ودام الحرب وحمى الوطيس وصارت الحرب دولا وسجالا ، وهؤلاء صرفوا قواهم الى مجاهدة النفس على ازالة تلك الصفات .

وفرقة اعرضوا عنها وشغلوا نفوسهم بالاعمال ولم يحيبوا دواعي تلك الصفات مع تخليتهم اياها على مجراها ، لكن لم يكتفوا بنهرها من إفساد عمرانهم بل اشتغلوا بتحسين العمران واحكام بنائه واساسه ، ورأوا ان ذلك النهر لا بد ان يصل اليه فاذا وصل الى بناء محكم لم يهدمه بل يأخذ عنه يمينا وشمالا ، فهؤلاء صرفوا قوة عزيمتهم وارادتهم في العمارة واحكام البناء ، وأولئك صرفوها في قطع المادة الفاسدة من اصلها خوفا من هدم البناء . وسألت يوما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه المسألة وقطع الآفات والاشتغال بتنقية الطريق وتنظيفها ، فقال لي جملة كلامه : النفس مثل الباطوس (وهو جب القذر) كما نبشته ظهر وخرج

ولكن ان أمكنك ان تسقف عليه وتعبره وتجوزه فافعل ، ولا تشتغل بنبشه فانك ان تصل الى قراره ، وكلما نبشت شيئا ظهر غيره ، فقامت : سألت عن هذه المسألة بعض الشيوخ فقال لي : مثال آفات النفس مثال الحيات والعقارب التي في طريق المسافر فان اقبل على تفتيش الطريق عنها والاشتغال بقتلها انقطع ولم يمكنه السفر قط . ولكن لتكن همتك المسير والاعراض عنها وعدم الالتفات اليها . فاذا عرض لك فيها ما يعوقك عن المسير فاقتله ثم امض على سيرك . فاستحسن شيخ الاسلام ذلك جدا ، واثني على قائله .

اذا تبين هذا فهذه الفرقة الثالثة رأت ان هذه الصفات ما خلقت سدى ولا عبثا ، وانما بمنزلة ماء يسقى به الورد والشوك والثمار والخطب ، وانما صوان واصداف لجواهر منطوية عليها دوما فما خاف منه أولئك هو نفس سبب الفلاح والظفر ، فأروا أن الكبر نهر يسقى به العلو والفخر والبطر والظلم والعدوان ، ويسقى به علو الهمة والانفة والحمية والمراغمة لاعداء الله وقهرهم والعلو عليهم ، وهذه درة في صدفته ، فصرفوا مجراه الى هذا الغراس واستخرجوا هذه الدرة من صدفته وابقوه على حاله في نفوسهم ، لكن استعملوه حيث يكون استعماله انفع ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ابا دجانة يتبختر بين الصفتين فقال « انها لمشية يبغيها الله الا في مثل هذا الموضع » فانظر كيف خلى مجرى هذه الصفة وهذا الخلق يجري في احسن مواضعه ، وفي الحديث الآخر واظنه في المسند « ان من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغيها الله ، فالخيلاء التي يحبها الله اختيال الرجل في الحرب وعند الصدقة » فانظر كيف صارت الصفة المذمومة عبودية ، وكيف استحال القاطع موصلا . فصاحب الرياضات والعامل بطريق الرياضات والمجاهدات والخلوات ، هيهات هيهات ، انما يقع ذلك في الآفات والشبهات والضلالات ، فان تزكية النفوس مسلم الى الرسل ، وانما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم اياها ، وجعلها على ايديهم دعوة وتعلما وبيانا وارشادا ، لا خلقا ولا إلهاما ، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الامم ، قال الله تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم - الى قوله - لفي ضلال مبين) وقال تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذا كروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) وتزكية النفوس أصعب من علاج الابدان واشد ، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجنى بها الرسل ، فهو كالمرضى الذي يعالج نفسه برأيه ، وأين رأيه من معرفة الطبيب ؟ فالرسل اطباء القلوب فلا سبيل الى تزكيتها وصلاحها الا من طريقهم وعلى ايديهم ، وبمحض الاتقياد والتسليم لهم ، والله المستعان .

الدين والتدين . والالحاد والتعطيل

التدين غريزة فطرية ، والدين حاجة من حاجات البشر الطبيعية ، والالحاد والتعطيل إما تنقص في الفطرة . كما يولد بعض الناس مخدوجا بنقص حاسة من حواسه ، او تشوه عضو من اعضاءه ، واما تصرف سيئ في الفطرة ، وجناية على الطبيعة . وقد خلق الله الانسان في هذه الأرض واعطاه فيها سلطان التصرف فيها وفي نفسه . واسجد له من فيها من ملائكته ، الذين هم كالملكات والقوى في تدبير الأمر ، واقامة النظام في الخلق ، فهو بهذا التصرف فيها يفسد فيها ويسفك الدماء ، كما يصلح ويعمر وينفع الناس : يجني على نفسه فيحملها فوق طاقتها ، ويعرضها للأمراض التي لا قبل له بها ، ويجني على غيره بالعدوان والبغي ، واهلاك الحرث والنسل . فلا غرو اذا جنى على الدين ، بشبهة دليل او بغير دليل .

كان السواد الأعظم من الناس متدينا ، ولا يزال السواد الأعظم من الناس متدينا ، وسيبقى السواد الأعظم من الناس متدينا . ولكنهم يتصرفون في اديانهم ، كما يتصرفون في انفسهم وابدانهم ، وسيظلون زمنا طويلا في اضطراب ومخض ، بين رفع وخفض ، وابرار وتقض ، حتى تزول العصبية الدينية ، وتسقط الرياسات المذهبية ، ويكون الدين لله ، لا للخلفاء والاشياخ ، ولا للرهبان والأجبار ، ويكون للانسان الحرية فيه والاستقلال ، فيتفق أكثر المختلفين ، ويجتمع أكثر المتفرقين ، فتتقشع السحب عن دين الفطرة ، ويدخلون في السلم كافة

كان الناس متدينين ، وكان يكون في كل جيل منهم في كل عصر اناس من المعطلين ، وافراد من الملحددين ، كما يوجد فيهم العمي الذين لا يبصرون . والصم الذين لا يسمعون ، والبكم الذين لا ينطقون . (٤٥ : ٣٣ وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا الا الدهر . وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) هذه حكاية القرآن عن بعض جاهلية العرب . وحكى مثله عن قوم نوح أقدم من أثر تاريخهم من الامم . ولكن بعض ملاحدة عصرنا يظنون لجهلهم بالتاريخ ان هذا الشذوذ خاص بالفلاسفة ، واصحاب الافكار الراقية ، ولهذا الامتياز الوهمي

صار بعض الغوغاء يكفر بالتقليد ، لينتظم في سلك الفلاسفة الجديد . ويتفقت من قيد التكليف

نعم يوجد من اهل النظر من حجبه نظريات الفلسفة ، ومسائلها وتعليقاتها المسلمة ، عن الدين وجوهره ، وما كان من حسن اثره ؛ فطفقوا يتذفون بتلك النظريات والمسلمات ، ظواهر الدين وتقاليده المحدثات ، وخيل اليهم انهم فازوا بقصب الرهان ، وأبرهوا جيوش الأوهام بسيف البرهان . وما ذلك الا وهم يناطح وهما ، هذا يسميه هدى وذلك يدعوه علما ، ولو كانت تلك النظريات علما يقينيا لما تنازعت فيها الافكار ، واختلفت باختلاف الأجيال والأعصار ، فان فلسفة هذا الزمان ، قد تقضت معظم فلسفة اليونان ، وينقض بعضها بعضا في كل عام . واما علم اليقين ، فلا شيء منه بمناقض لهداية الدين ، وان تقض بعض تواريخ الكتب المقدسة في بعض الاديان ، وبعض عقائدها المخترعة التي ما انزل الله بها من سلطان . وحاشا دين القرآن ، الذي كفل حفظه الرحمن ، فلم تؤثر فيه تأويلات المتكلمين ، ولا تعليقات المتفقيين ، دع اباطيل أهل الزيغ او الزندقة ، كالباطنية والمتفلسفة . ان في الفلاسفة متدينين ، كما ان فيهم ماديين ، وكذلك اصحاب العقول الكبيرة من العلماء والقواد والسياسيين . فتولستوي الفيلسوف الروسي كان متدينا . والبرنس بسمارك كان متدينا ، وإمام الاطباء باستور كان متدينا ، وان اكبر قائد حربي في فرنسة اليوم متدين . كما كان ابن سينا والفارابي والغزالي وابن رشد من فلاسفة المسلمين متدينين . وأمثالهم كثيرون في كل أمة

نعم ان دين امثال هؤلاء قدي يخالف في أصوله وفروعه دين العوام المقلدين ، لان لعلومهم وفلسفتهم طريقا خاصا في فهمهم الدين ، والعامي المقلد تابع لمن يلقيه ، ولليئة التي يعيش فيها كل منهم تأثير في فهم ما يتلقنه . فاذا كان العالم المستقل يخطئ فهم حقيقة الدين في قليل من المسائل ، فالجاهل المقلد اجدر بالخطأ في فهم الاكثر منها . يغتر كثير من مقلدة الاحاد في أمتنا بمن اشتهر من ملاحدة علماء الأفرنج ، غافلين عن الاعتبار بحال المتدينين منهم ، وما كل من طعن في الكنيسة واهلها من علماء الأفرنج كافر بالله ورسوله ، بل هؤلاء دين غير دين الكنيسة ، وتكفير الكنيسة

لهم كتكفير بعض المتكلمين والصوفية لابن سينا وامثاله. فمن متديني الافرنج المقلدون، ومنهم العقليون والموحدون. ولعل دين السواد الاعظم من المتعلمين المذهبيين منهم كدين (مدام كلابر): عجزت فرنسية ذات علم وادب، من بيت في ليون محترم، جاورتنا مرة في الدار، فرأيتها لا تذهب الى الكنيسة في ايام الاحاد، فسألتها: ما بالك لا تذهين الى الكنيسة؟ الست متدينة؟ قالت: انا مؤمنة بالله وأصلي له في بيتي، وما فضل الكنيسة على البيت؟ انها لا فضل لها الا ان فيها رجالا يأكلون اموالنا... قلت: اتدينين بعقيدة التثليث؟ قالت لا اعرف التثليث، اعرف ان الرب واحد. قلت وما قولين في السيد المسيح عليه السلام؟ قالت «مثل نبي» فهذه حال اهل التعليم العالي في التوم. دع السواد الاعظم من العامة، وكثيرا ممن يعدون من الخاصة، الذين يتسكون بمذاهبهم التقليدية، لا يثنيهم عنها انكار العقليين ولا غيره

أفلا ينظرون من وراء ذلك كله - جهلهم ام عرفهم - الى ما يبذله الافرنج من ملايين الجنيهات لجمعياتهم الدينية لأجل نشر دينهم في الخائفين، وتعميمه في المشرقين والمغربين؟ يقول بعضهم بغير علم: ان الغرض من ذلك سياسي لا ديني. كذبوا، وحكموا بما لم يعلموا، ان تلك الملايين يبذلها الشعب الذي لا يعرف السياسة. ولا ننكر ان اهل السياسة يستفيدون من سعي المبشرين، فاذا كانت حكومة روسيا تستفيد بسياستها من تنصير دعاة الارثوذكسية لمسلمي بلادها، وانكلترا تستفيد من تنصير دعاة البروتستانتية لمن ينصرون من اهل الهند والسودان، فاي فائدة سياسية لأمر يرك في بث دعاة النصرانية في بلاد العرب والترك والفرس والهند وسائر الأقطار؟

تأملت في حال ملاحدة هذا العصر، فما رأيت اشد عمية، وابعد غواية، واضل سبيلا، وافسد قبيلا، من ملاحدة المسلمين الجغرافيين.

ما رأيت احدا منهم صاحب دعوة سياسية في أمته قد ثبت عنده ان الاسلام يعارضها، ويحول دون التحول السياسي والاجتماعي الذي يراد بها، فهو ينفر من الاسلام وينفر عنه لأجلها، كيف وهم يعترفون تبعاً لحكام الافرنج بان الدين اقوى

عوامل السياسة ولا سيما دين الاسلام ، كما صرح بذلك علماء الاجتماع ما رأيت احدا منهم صاحب مذهب فلسفي أدبي ثبت عنده أن حكمة الاسلام تناقضه ، وإن صلاح الأمة لا يكون الا به ، فهو يلجج بالاعتراض على الاسلام ، لانه عقبة في طريق ما يحاول من الاصلاح . كيف وان الترية عند أئمتهم - أكثر الافرنج لاتزال قائمة على اساس آداب الدين ؟

ما رأيت احدا منهم عني بفقہ القرآن وصحيح السنة ، وما كان عليه سلف الأمة ، ثم عرضت له شبه قوية على صحة تلك الهداية فهو يريد التفصي منها ، وقد خاتته البيّنات والدلائل المزيّلة لها . كيف ونحن نعلم ان أكثرهم لم يقرأ تفسير سورة من السور ، ولا يميز بين الصحيح والموضوع من الآثار ؟ وان من له إلمام بشيء من علم الدين ، قلما يعرف الا بعض القشور من هذه التقاليد ، فهو يهزأ بالدين لأجل خرافة او بدعة ، يحسب انها عقيدة ثابتة اوسنة .

ألا انهم على ما هم عليه من جهل بحقيقة الاسلام ، وقصور عن النهوض بدعوة الى الاصلاح ، يطلقون لسانهم العنان ، فيجمع بهم في كل ميدان . فمنهم من يتشدد بالسياسة ، ومنهم من يتفهب بالمقابلة بين القانون والشرعية ، ومنهم من يهذر بالأخلاق والآداب ، ومنهم من يهذي بالاعتراض على العبادات ، يتخذون الكلام في ذلك هزوا ولعبا ، وفاقه يتلذذون بها تلذذا ، في زمن قل فيه العليم بأسرار الدين ، والبصير بحكم التشريع ، الذي يفرق بين الأصول الثابتة بالدليل ، والنصوص التي لا تحتمل التأويل . وبين الفروع المستنبطة بالاجتهاد ، والظواهر التي لم يتعين منها المراد . على ان الأرض لا تخلو من قائم لله بحجته ، ومن مفصح للشرع عن حكمته ، ولكن هؤلاء بمعزل عن الحجة واهلها ، هي مجهولة لهم فهم لا يطلبونها ، ثقيلة عليهم فاذا تليت عليهم آياتها لا يسمعونها . الا من كان سليم الفطرة ، قريب العهد بهذه الهجرة . وطالما تأذّنهم المنار ، بما يذهب بالتعلات والاعذار ، من الاستعداد لإزالة كل شبهة ، والتصدي لكشف كل غمة .

ياسبحان الله ! أتبيح السياسة لبسرك أعظم رجال أوربة في القرن الماضي - وهو كما قال جمهوري بالطبع - ان يكون على دين يناقض طبعه فيجعله عبدا لملك

بروسية ، لأنه يقول له ان سلطة الملوك من الله ؟ - ولا تبيح لهؤلاء المتشدين منا ان يكونوا على دين سبق كتابه الى وضع اعظم اساس للحكم الذاتي بقوله (وامرهم شورى بينهم) ؟ واقام على هذا الاساس اركان المصالح المرسله ، وجعل رفع المفسدة مقدما على جلب المصلحة ؛ - الى غير ذلك من الاركان الثابتة ، ثم قس على هؤلاء المتشدين ، أمثالهم من المتفهبين والهاذين والهاذرين .

وان تعجب فعجب خوضهم في مسائل الاخلاق والآداب ، فقد انقلبت عقولهم فيها شر الاقلاب ، حتى صار فيهم من يعد العفة والغيرة والرحمة من الرذائل ، وأضدادها من الفضائل ، بناء على قاعدة الانتخاب الطبيعي التي تغري القوي بالضعيف ، وتبيح له ان يعجل بسلب حياته ويستأثر دونه بزوجه وماله ، ولعل واحدهم لا يرجع عن هذه الغواية الا اذا مسه الضر ، وعرضه ناب الفقر ، وتصدى اخوانه في الكفر لا زهاق روحه ، وتعدى أخذانه في الاحاد على عرض زوجه ، ومنعوها من خدمته ومواساته . بناء على قاعدتهم في كون الحق في ذلك للقوي القادر على الانتاج ، والقيام بشؤون الاجتماع !

ألا إن من بلغ هذه الغاية من ارتكاس الفطرة ، وانتكاس الفكرة ، فصار يرى الحقائق بغير صورها ، ويزن الاشياء بغير ميزانها ، فلا طمع في هدايته ، ولا رجاء في مناظرته ، أولئك الذين ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، يجادلونك في الحق بعد ما تبين ، ويمارونك في البديهي وقد تبين .

واما اكثر المخدوعين ، بأوهام هؤلاء المبطلين ، فهم مستعدون لقبول الدليل ، والاهتداء الى سواء السبيل ، اذا تداركهم العلماء والراسخون ، وتعاهدتهم الحكماء الربانيون ، ولكن قل العلماء القادرون على كشف الابهات ، وكثير المشتهون ، فالاصلاح موقوف على تكثير سواد المصلحين الجامعين بين علوم الدنيا والدين ، مع استقلال الفكر ، ونزكية النفس ، ولا يكون هذا الا تربية وتعليم ، على صراط الحق المستقيم . فقل للذين هم على الدين يغارون ، : مثل هذا فليعمل العاملون . فسارعوا اليه ان كنتم صادقين ، . وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين .

فصل^(*)

﴿ الابتداع بالتشدد في الدين . والتزام ما لم يرد وتتبع آثار الصالحين ﴾
من كتاب الاعتصام للشاطبي

ثم اتى بأخذ آخر من الاستدلال على صحة ما زعم ، وهو أن الدعاء على ذلك الوجه لم يرد في الشرع نهي عنه مع وجود الترغيب فيه على الجملة ، ووجود العمل به . فان صح أن السلف لم يعملوا به ، فالترك ليس بموجب لحكم في المتروك الا جواز الترك وانتفاء المارج خاصة ، لا تحريم ولا كراهية .

وجميع ما قاله مشكل على قواعد العلم وخصوصا في العبادات - التي هي مسألتنا - اذ ليس لأحد من خلق الله ان يخترع في الشريعة من رأيه امرا لا يوجد عليه منها دليل ، لانه عين البدعة ، وهذا كذلك ، اذ لا دليل فيها على اتخاذ الدعاء جهرا للحاضرين في آثار الصلوات دائما ، على حد ما نقام ، بحيث يعد الخارج عنه خارجا عن جماعة أهل الاسلام متجزا ومتميزا^(١) - الى سائر ما ذكر ، وكل ما لا يدل عليه دليل^(٢) فهو البدعة والى هذا^(٣) فان ذلك الكلام يوم ان اتباع المتأخرين المتقلدين خير من اتباع الصالحين من السلف ، ولو كان في احد جائزين ، فكيف اذا كان في امرين احدهما متيقن انه صحيح والآخر مشكوك فيه ؟ فيتبع

(*) تابع لما نشر في ص ٤٣٣ ج ٦

(١) كذا في الاصل (٢) سقط لفظ دليل من الاصل (٣) لعله : وعلى هذا

المشكوك في صحته ، ويترك ما لا مزية في صحته ولو اعا من يتبعه ^(١)
ثم اطلاقه القول بان الترك لا يوجب حكما في المتروك الا جواز
الترك ، غير جار على أصول الشرع الثابتة . فنقول إن هنا أصلا لهذه
المسئلة لعل الله ينفع به من أنصف من نفسه : وذلك ان سكوت الشارع
عن الحكم في مسئلة ما او تركه لا أثر ما على ضريين .
(احدهما) ان يسكت عنه أو يتركه لأنه لا داعية له نقتضيه ، ولا
موجب يقرر لاجله ، ولا وقع سبب تقريره ، كالنوازل الحادثة بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم ، فانها لم تكن موجودة ثم سكت عنها مع وجودها ،
وانما حدثت بعد ذلك ، فاحتاج أهل الشريعة الى النظر فيها واجراءها على
ما تبين في الكليات التي كمل بها الدين ، وإلى هذا الضرب يرجع جميع
ما نظر فيه السلف الصالح مما لم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الخصوص مما هو معقول المعنى ، كتمسكين الصناعات ، ومسئلة الحرام ،
والجد مع الاخوة ، وعول الفرائض . ومنه جمع المصحف ، ثم تدوين
الشرائع ، وما أشبه ذلك مما لم يحتج في زمانه عليه السلام الى تقريره
للتقديم ^(٢) كلياته التي تستنبط منها ، اذا لم تقع اسباب الحكم فيها ولا الفتوى
منه عليه السلام ، فلم يذكر لها حكم مخصوص .

فهذا الضرب اذا حدثت اسبابه فلا بد من النظر فيه واجراءه على
أصوله ان كان من العاديات ، أو من العبادات التي لا يمكن الاقتصار فيها
على ما سمع ، كمسائل السهو والنسيان في اجراء العبادات . ولا اشكال

(١) كذا في الاصل (٢) كذا في الاصل وهو محرف . ولعل في الكلام
حذفاً أيضاً والمعنى المراد ظاهر ، وهو ان ما لم يحتج الى تقريره في عصر النبوة
من جزئيات الاحكام قد وجد في الشريعة من القواعد الكلية ما دخل به ويسمونه تنبسط هو

في هذا الضرب ، لان أصول الشرع عقيدة ، واسباب تلك الاحكام لم تكن في زمان الوحي ، فالكسوت عنها على الخصوص ليس بحكم يقتضي جواز الترك أو غير ذلك ، بل اذا عرضت النوازل روجع بها اصولها فوجدت فيها ، ولا يجدها من ليس بمجتهد ، وانما يجدها المجتهدون الموصوفون في علم أصول الفقه .

(والضرب الثاني) أن يسكت الشارع عن الحكم الخاص أو يترك امرا ما من الأمور ، وموجبه المقتضي له قائم ، وسببه في زمان الوحي وفيما بعده موجود ثابت ، الا انه لم يحدد فيه امر زائد على ما كان من الحكم العام في امثاله ولا ينقص منه ، لانه لما كان المعنى الموجب لشرعية الحكم العقلي الخاص موجودا ثم لم يشرع ولا ينه على السبطا^(١) كان صريحا في ان الزائد على ما ثبت هناك بدعة زائدة ومخالفة لقصد الشارع ، اذ فهم من قصده الوقوف عند ما دونهما لا الزيادة عليه ولا النقصان منه ولذلك مثال فيما نقل عن مالك بن أنس في سماع اشهب وابن نافع هو غاية فيما نحن فيه ، وذلك ان مذهبه في سجود الشكر الكراهية وانه ليس بمشروع وعليه بني كلامه . قال في العتبية : وسئل مالك عن الرجل يأتيه الامر يحبه فيسجد لله عز وجل شكرا ؟ فقال : لا يفعل هذا مما مضى من امر الناس . قيل له : ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه - فيما يذكرون - سجد يوم اليامة شكرا لله . أفسمعت ذلك ؟ قال : ما سمعت ذلك ، وانا أرى ان قد كذبوا على أبي بكر . وهذا من الضلال ان يسمع المرء الشيء فيقول : هذا لم تسمعه مني . قد فتح الله على رسول الله صلى

(١) كذا والمعنى ولم ينه على قاعدة لاستنباطه منها

الله عليه وسلم وعلى المسلمين بعده . أفسمعت ان احدا منهم فعل مثل هذا ؟ اذ ، ما قد كان في الناس وجري على أيديهم سمع عنهم فيه شيء ، فعليك بذلك فانه لو كان لذكر ، لانه من أمر الناس الذي قد كان فيهم ، فهل سمعت ان احدا منهم سجد ؟ فهذا اجماع . واذا جاءك امر لا نعرفه فدعه - تمام الرواية - وقد احتوت على فرض سؤال والجواب بما تقدم .

وتقرير السؤال ان يقال في البدعة - مثلاً - : انها فعل سكت الشارع عن حكمه في الفعل والترك ، فلم يحكم عليه بحكم على الخصوص ، فالأصل جواز فعله ، كما أن الأصل جواز تركه ، اذ هو معنى الجائز ، فان كان له أصل جملي فاحرى ان يجوز فعله ، حتى يقوم الدليل على منعه أو كراهته ، واذا كان كذلك ، فليس هنا مخالفة لقصد الشارع ، ولا ثم دليل خالفه هذا النظر ، بل حقيقة مانحن فيه انه أمر مسكوت عنه عند الشارع ، والسكوت عند الشارع لا يقتضي مخالفة ولا موافقة ، ولا يعين الشارع قصدا مادون ضده وخلافه ، واذا ثبت هذا فالعمل به ليس بمخالف اذ لم يثبت في الشريعة نهى عنه .

وتقرير الجواب : معنى ما ذكره مالك رحمه الله ، وهو أن التشديد عن حكم الفعل أو الترك هنا اذا وجد المعنى المقتضي له اجماع من كل ساكت على أن لازائد على ما كان . اذ لو كان ذلك لائقا شرعا أو سائما لفعلوه ، فهم كانوا احق بادراكه والسبق الى العمل به ، وذلك اذا نظرنا الى المصلحة ، فانه لا يخلو إما أن يكون في هذه الأحداث مصلحة أولا . والثاني لا يقول به أحد . والاول إما ان تكون تلك المصلحة الحادثة أكد

من المصلحة الموجودة في زمان التكليف أولاً ، ولا يمكن ان يكون ^(١) مع كون المحدثه زيادة تكليف ، ونقضه ^(٢) عن المكلف اخرى بالأزمنة المتأخرة ، لما يعلم من قصور الهم واستيلاء الكسل ، ولأنه خلاف بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ، ورفع الحرج عن الأمة ، وذلك في تكليف العبادات ، لان العادات أمر آخر - كما سيأتي - وقد مر منه ^(٣) فلم يبق الا ان تكون المصلحة الظاهرة الآن مساوية للمصلحة الموجودة في زمان التشريع أو أضعف منها ، وعند ذلك تصير هذه الاحداث عبثاً أو استدراكاً على الشارع ، لان تلك المصلحة الموجودة في زمان التشريع ان حصلت للأولين من غير هذا الاحداث اذا عبث ^(٤) إذ لا يصح أن يحصل للأولين دون الآخرين ؛ فقد صارت هذه الزيادة تشريعاً بعد الشارع بسبب الآخرين ما فات للأولين ^(٥) فلم يكمل الدين إذا دونها ، ومعاذ الله من هذا المأخذ .

وقد ظهر من العادات الجارية فيما نحن فيه ان ترك الاولين لأمر ما من غير أن يعينوا فيه وجهها مع احتمالها في الأدلة الجمالية ووجود المظنة ، دليل على ان ذلك الأمر لا يعمل به ، وانه اجماع منهم على تركه .

(١) انظر اسم أن يكون وخبره ؛ الظاهر انه قد سقط من النسخ . والمعنى الذي يقتضيه السياق ويتعين مما يأتي هو بقي كون المصلحة الحادثة أكد ، لانه يقول انها مساوية أو أضعف . فلعل أصل الكلام : « ولا يمكن ان يكون أكد » وقوله مع كون المحدثه الخ تعليل للنفي (٢) كذا ولعل الأصل قصه بالصاد المهملة ، أي نقص التكليف وتخفيفه

(٣) كذا ولعل الأصل « وقد مر شيء منه » أو ما هو بمعنى هذا
(٤) لعل الأصل « فني اذا عبث » (٥) لعل الأصل « بسبب للآخرين ما فات الأولين »

قال ابن رشد في شرح مسألة العتبية : الوجه في ذلك انه لم يره مما شرع في الدين - يعني سجود الشكر - فرضاً ولا نفلاً ، اذ لم يأمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فعله ، ولا أجمع المسلمون على اختيار فعله ؛ والشرائع لا تثبت الا من احد هذه الامور - قل - واستدلالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ولا المسلمون بعده ، « بان ذلك لو كان لنقل » صحيح ، اذ لا يصح ان تتوفر الدواعي على ترك نقل شريعة من شرائع الدين ، وقد أمروا بالتبليغ - قال - وهذا أصل من الاصول ، وعليه يأتي اسقاط الزكاة من الخضر والبقول مع وجود سبب الزكاة فيها ، لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم « فيما سقت السماء والعيون والبعل العشر ، وفيما سقي بالنضح نصف العشر » لا نازلنا ترك نقل اخذ النبي صلى الله عليه وسلم الزكاة منها كالسنة القائمة في ان لا زكاة فيها ؛ فكذلك نزل ترك نقل السجود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشكر كالسنة القائمة في ان لا سجود فيه . ثم حكى خلاف الشافعي والكلام عليه ؛ والمقصود من المسئلة توجيه مالك لها من حيث انها بدعة ، لا توجيه انها بدعة على الاطلاق .

وعلى هذا النحو جرى بعضهم في تحريم نكاح المحلل ، وانه بدعة منكورة ، من حيث وجد في زمانه عليه السلام المعنى المقتضي للتخفيف والترخيص للزوجين باجازه التحليل ليتراجعا كما كانا أول مرة ، وانه لما لم يشرع ذلك مع حرص امرأة رفاة على رجوعها اليه دل على أن التحليل ليس بمشروع لها ولا لغيرها . وهو أصل صحيح اذا اعتبر وضع به ما نحن بصددده ، لأن التزام الدعاء بآثار الصلوات جهراً للحاضرين

في مساجد الجماعات لو كان صحيحاً شرعاً أو جائزاً لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى بذلك أن يفعله .

وقد علل المنكر هذا الموضع بعلة تقتضي المشروعية ، وبني على فرض أنه لم يأت ما يخالفه وإن الأصل الجواز في كل مسكوت عنه .

أما أن الأصل الجواز فيمتنع ، لأن طائفة من العلماء يذهبون إلى أن الأشياء قبل وجود الشرع على المنع دون الإباحة ؛ فما الدليل على ما قال من الجواز ؟ وإن سلمنا له ما قال : فهل هو على الإطلاق أم لا ؟ أما في العاديات فمسلم ، ولا نسلم أن مانحن فيه من العاديات ، بل من العباديات ، ولا يصح أن يقال فيما فيه تعبد : أنه مختلف فيه على قولين - : هل هو على المنع ؟ أم هو على الإباحة ؟ بل هو امر زائد على المنع ، لأن التعبديات إنما وضعوا للشارع^(١) فلا يقال في صلاة سادسة - مثلاً - : إنها على الإباحة ، فلمكلف وضعها - على أحد القولين - ليتعبد بها لله . لأنه باطل باطلاق ، وهو أصل كل مبتدع يريد أن يستدرك على الشارع . ولو سلم أنه من قبيل العاديات أو من قبيل ما يعقل معناه ، فلا يصح العمل به أيضاً ، لأن ترك العمل به من النبي صلى الله عليه وسلم في جميع عمره ، وترك السلف الصالح له على توالي أزمانهم ، قد تقدم أنه نص في الترك واجماع من كل من ترك ، لأن عمل الاجماع كنصه - كما أشار إليه مالك في كلامه - .

وأيضاً فما يعلل له لا يصح التعليل به ، وقد أتى الرادّ بأوجه منه (أحدها) أن الدعاء بتلك الهيئة ليظهر وجه التشريع في الدعاء ، وأنه

(١) أعلاه « إنما وضعها للشارع »

بآثار الصلوات مطلوب . ومآقاله يقتضي ان يكون سنة بسبب الدوام والاظهار في الجماعات والمساجد ؛ وليس بسنة اتفاقا منا ومنه ؛ فانقلب اذا وجه التشريع .

وايضاً فان اظهر التشريع كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم والى ، فكانت الكيفية المتكلم فيها أولى للاظهار ، ولما لم يفعله عليه السلام دل على الترك مع وجود المعنى المقتضي ، فلا يمكن بعد زمانه في تلك الكيفية الا الترك .

(والثاني) ان الامام يجمعهم على الدعاء ليكون باجتماعهم اقرب الى الاجابة . وهذه العلة كانت في زمانه عليه السلام ، لانه لا يكون احد اسرع اجابة لدعائه منه ؛ اذ كان محاب الدعوة بلا اشكال ، بخلاف غيره وان عظم قدره في الدين فلا يبلغ رتبته ، فهو كان احق بان يزيدهم الدعاء لهم خمس مرات في اليوم والليلة زيادة الى دعائهم لانفسهم .
وايضاً فان قصد الاجتماع على الدعاء لا يكون بعد زمانه ابلغ في البركة من اجتماع يكون فيه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واصحابه ، فكانوا بالتنبيه لهذه المنقبة أولى .

(والثالث) قصد التعليم للدعاء ليأخذوا من دعائه ما يدعون به لانفسهم لئلا يدعوا بما لا يجوز عقلاً أو شرعاً . وهذا التعليل لا ينهض ، فان النبي صلى الله عليه وسلم كان المعلم الاول ، ومنه تلقينا الفاظ الأدعية ومعانيها ؛ وقد كان من العرب من يجهل قدر الربوبية فيقول :

رب العباد مالنا ومالك انزل علينا الغيث لا اباك

وقال الآخر :

لا همّ أن كنت الذي بعدي ولم تغرك الأمور بعدي
وقال الآخر :

أبني لبتي لا احبكم وجد الآله بكم كما اجد
وهي الفاظ يفتقر اصحابها الى التعليم ، وكانوا أقرب عهد بجاهلية
تعامل الاصنام معاملة الرب الواحد سبحانه ، ولا تنزهه كما يليق بجلاله ؛
فلم يشرع لهم دعاء بهيئة الاجتماع في آثار الصلوات دائماً ليعلمهم أو يعينهم
على التعلم اذا صلوا معه ، بل علم في مجالس التعليم ، ودعا لنفسه إثر الصلاة
حين بداله ذلك ، ولم يلتفت اذ ذاك الى النظر للجماعة ، وهو كان أولى
اخلق بذلك .

(والرابع) ان في الاجتماع على الدعاء تعاوناً على البر والتقوى ، وهو
مأمور به . وهذا الاحتجاج ضعيف . فان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي
انزل عليه (وتعاونوا على البر والتقوى) وكذلك فعل . ولو كان الاجتماع
للدعاء اثر الصلاة جهراً للحاضرين من باب البر والتقوى لكان أول
سابق اليه ، لكنه لم يفعله أصلاً ولا احد بعده حتى حدث ما حدث .
فدل على انه ليس على ذلك الوجه بر ولا تقوى .

(والخامس) ان عامة الناس لا علم لهم باللسان العربي ، فربما لحن
فيكون اللحن سبب عدم الاجابة . وحكى عن الاصمعي في ذلك
حكاية شعرية لا فقهية . وهذا الاحتجاج الى اللعب أقرب منه الى الجد ،
وأقرب مافيه ان احداً من العلماء لا يشترط في الدعاء ان لا يلحن كما يشترط

الخلاص وصدق التوجيه^(١) وعزم المسئلة، وغير ذلك من الشروط .
وتعلم اللسان العربي لاصلاح الالفاظ في الدعاء - وان كان الامام اعرف
به - هو كسائر ما يحتاج اليه الانسان من أمر دينه ؛ فان كان الدعاء
مستجبا فالقراءة واجبة، والفقه في الصلاة كذلك ؛ فان كان تعليم الدعاء إثر
الصلاة مطلوبا ، فتعليم فقه الصلاة أكد ؛ فكان من حقه ان يجعل ذلك
من وظائف آثار الصلاة .

فان قيل بموجبه في المحرف المتعارف . فهذه القاعدة تجتث أصله ؛ لأن
السلف الصالح كانوا أحق بالسبق الى فضله لجميع ما ذكر فيه من الفوائد ،
ولذلك قال مالك فيها : أتري الناس اليوم كانوا ارغب في الخير ممن مضى ؟
وهو اشارة الى الاصل المذكور ، وهو أن المعنى المقتضي للاحداث -
وهو الرغبة في الخير - كان أتم في السلف الصالح وهم لم يفعلوه ، فدل
على انه لا يفعل .

وأما ما ذكر من آداب الدعاء فكله مما لا يتعين له إثر الصلاة ؛
بدليل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم منها جملة كافية ولم يعلم منها
شيئا إثر الصلاة ، ولا تركهم دون تعليم ليأخذوا ذلك منه في آخر الصلاة ،
أو ليستغنوا بدعائه عن تعليم ذلك ؛ ومع ان الحاضرين للدعاء لا يحصل
لهم من الامام في ذلك كبير شيء ، وان حصل فلمن كان قريبا منه دون
من بعد .

(١) أي توجيه القلب الى الله تعالى المأخوذ من قوله (وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض) ويحتمل ان تكون (التوجه) الذي هو مطاوع التوجيه

فصل

ثم استدلل المستنصر بالقياس فقال : وان صح ان السلف لم يعملوا به ، فقد عمل السلف بما لم يعمل به من قبلهم مما هو خير - ثم قال بعد : قد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه « تحدث للناس اقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور » فكذلك تحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما أحدثوا من الفتور .

وهذا الاستدلال غير جار على الاصول : (أما أولاً) فانه في مقابلة النص ، وهو ما أشار اليه مالك في مسألة العتبية ، فذلك من باب فساد الاعتبار . (وأما ثانياً) فانه قياس على نص لم يثبت بعد من طريق مرضي ، وهذا ليس كذلك . (وأما ثالثاً) فان كلام عمر بن عبد العزيز فرع اجتهادي جاء عن رجل مجتهد يمكن أن يخطئ فيه كما يمكن أن يصيب ، وانما حقيقة الاصل أن يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أهل الاجماع ، وهذا ليس عن واحد منهما . (وأما رابعاً) فانه قياس بغير معنى جامع أو بمعنى جامع طردي^(١) ؛ ولكن الكلام فيه سيأتي - إن شاء الله - في الفرق بين المصالح المرسلة والبدع .

وقوله « ان السلف عملوا بما لم يعمل به من قبلهم » حاش لله ان يكونوا ممن يدخل تحت هذه الترجمة . وقوله « مما هو خير » أما بالنسبة الى السلف فما عملوا خيراً ، وأما فرعه المقيس فكونه خيراً دعوى ، لأن كون الشيء خيراً أو شراً لا يثبت الا بالشرع ، أو لأن الدعاء على تلك الهيئة غير خير شرعاً .

وأما قياسه على قوله «تحدث للناس أقضية» فما تقدم^(١) وفيه أمر آخر، وهو التصريح بأن إحداث العبادات جائز قياساً على قول عمر، وإنما كلام عمر بعد تسليم القياس عليه في معنى عادي يختلف فيه مناط الحكم الثابت فيما تقدم، كتضمن الصناعات، أو الظنة في توجيه الإيمان، دون مجرد الدعاوى، فيقول: إن الأولين توجهت عليهم بعض الأحكام لصحة الأمانة والديانة والفضيلة؛ فلما حدثت اضدادها اختلف المناسبات فوجب اختلاف الحكم، وهو حكم رادع أهل الباطل عن باطلهم؛ فإثر هذا المعنى ظاهر مناسب بخلاف ما نحن فيه، فإنه على الضد من ذلك؛ ألا ترى أن الناس إذا وقع فيهم الفتور عن الفرائض فضلا عن النوافل - وهي ماهي من القلة والسهولة - فما ظنك بهم إذا زيد عليهم أشياء أخرى يرغبون فيها، ويرخصون^(٢) على استعمالها؛ فلا شك أن الوظائف تتكاثر حتى يؤدي إلى أعظم من الكسل الأول، وإلى ترك الجميع. فإن حدث للعامل بالبدعة هو في بدعته، أو لمن شاعبه فيها، فلا بد من كسله مما هو أولى^(٣)

فنحن نعلم أن ساهر ليلة النصف من شعبان لتلك الصلاة المحدث لا يأتيه الصبح إلا وهو نائم أو في غاية الكسل فيخل بصلاة الصبح،

(١) كذا والظاهر أنه سقط منه شيء. ولعل أصله «فما تقدم نعلم بطلانه»

(٢) كذا والترخيص هنا غير مناسب ولا يتعدى إلى فعل الأصل «ويخصون»

(٣) ظاهر أن في هذه العبارة غلطا. والمعنى المفهوم من السياق أن صاحب البدعة إذا كان يعرض له الكسل في بدعته ولمن شاعبه عليها، فلا بد من عرض الكسل له في غيرها من الأعمال بالأولى. لأن نظرية البدعة أنها بجدها تحدث نشاطا بعد الفتور كما تقدم

وكذلك سائر المحدثات ، فصارت هذه الزيادة عائدة على ما هو أولى منها بالإبطال أو الإخلال ؛ وقد مر أن ما من بدعة تحدث إلا ويموت من السنة ما هو خير منها .

وأيضاً فإن هذا القياس مخالف لأصل شرعي ، وهو طلب النبي صلى الله عليه وسلم بالسهولة والرفق والتيسير وعدم التشديد . وزيادة وظيفة لم تشرع فتظهر ويعمل بها دائماً في مواطن السنن ، فهو تشديد بلا شك . وإن سلمنا ما قال ، فقد وجد كل مبتدع من العامة السبيل إلى أحداث البدع ، وأخذ هذا الكلام بيده حجة وبرهانا على صحة ما يحدثه كأننا ما كان ؛ وهو مرمى بعيد .



ثم استدل على جواز الدعاء إثر الصلاة في الجملة ، ونقل في ذلك عن مالك وغيره أنواعاً من الكلام ، وليس محل النزاع^(١) بل جعل الأدلة شاملة لتلك الكيفية المذكورة . وعقب ذلك بقوله : وقد تظاهرت الأحاديث والآثار وعمل الناس وكلام العلماء على هذا المعنى ، كما قد ظهر — قال — ومن المعلوم أنه عليه السلام كان الامام في الصلوات ، وأنه لم يكن ليخص نفسه بتلك الدعوات ، إذ قد جاء في سنته « لا يحل لرجل أن يؤم قوماً إلا بأذنهم ، ولا يخص نفسه بدعوة دونهم ، فإن فعل فقد خانهم » . فتأملوا يا أولي الألباب ! فإن عامة النصوص فيما سمع من ادعيته في أدبار الصلوات إنما كان دعاء لنفسه ؛ وهذا الكلام يقول فيه : إنه لم يكن ليخص نفسه بالدعاء دون الجماعة ؛ وهذا تناقض . ومن الله نسأل التوفيق .

(١) لفظ محل منصوب خبر ليس ، أي وليس هذا محل النزاع

وانما حمل الناس الحديث على دعاء الامام في نفس الصلاة من السجود وغيره ، لا فيما حمّله عليه هذا المتأول . ولما لم يصح العمل بذلك الحديث عند مالك اجاز للامام ان يخص نفسه بالدعاء دون المأمومين . ذكره في النوادر . ولما اعترضه ثقل العلماء وكلام السلف مما تقدم ذكره ، أخذ يتأول ويوجه كلامهم على طريقته المرتكبة^(١) ووقع له في كلام على غير تأمل لا يسلم ظاهره من التناقض والتدافع لوضوح أمره ، وكذلك في تأويل الاحاديث التي نقلها ، لكن تركت هنا استيفاء الكلام عليها لطوله ، وقد ذكرته في غير هذا الموضع والحمد لله على ذلك

فصل

* (بحث جليل في كون المشتبهات تدخل في البدع الاضافية) *

من كتاب الاعتصام للامام الشاطبي ، قال رحمه الله تعالى :

ويمكن ان يدخل في البدعة الاضافية كل عمل اشتبه أمره فلم يتبين أهو بدعة فينهي عنه ؟ أم غير بدعة فيعمل به ؟ فانا اذا اعتبرناه بالاحكام الشرعية وجدناه من المشتبهات التي قد ندبنا الى تركها حذرا من الوقوع في المحذور ؛ والمحذور هنا هو العمل بالبدعة ؛ فاذا العامل به لا يقطع انه عمل ببدعة ، كما انه لا يقطع انه عمل بسنة ؛ فصار من جهة هذا التردد غير عامل ببدعة حقيقية ، ولا يقال أيضا : انه خارج عن العمل بها جملة . وبيان ذلك ان النهي الوارد في المشتبهات انما هو حماية ان يقع في ذلك المنوع الواقع فيه الاشتباه ؛ فاذا اختلطت الميتة بالذكية نهيناه عن الاقدام ، فان أقدم امكن عندنا ان يكون آكلا للميتة في الاشتباه ؛

(١) كذا وامله « المرتكبة »

(المنار-ج ١٧م ١٧) تعارض الادلة على المجتهد كتعارض الاقوال على المقلد ٥٢٧

فالنهي الاخف اذا منصرف نحو الميتة في الاشتباه ، كما انصرف اليها النهي الأشد في التحقق .

وكذلك اختلاط الرضعة بالاجنبية : النهي في الاشتباه منصرف الى الرضعة كما انصرف اليها في التحقق ، وكذلك سائر المشتبهات انما ينصرف نهي الاقدام على المشتبه الى خصوص الممنوع المشتبه ؛ فاذا الفعل الدائر بين كونه سنة أو بدعة اذا نهي عنه في باب الاشتباه نهي عن البدعة في الجملة ؛ فمن أقدم على منهي عنه في باب البدعة لأنه محتمل ان يكون بدعة في نفس الأمر ، فصار من هذا الوجه كالعامل بالبدعة المنهي عنها — وقد مر أن البدعة الاضافية هي الواقعة ذات وجهين — فلذلك قيل : ان هذا القسم من قبيل البدع الاضافية . ولهذا النوع أمثلة .

(أحدها) اذا تعارضت الادلة على المجتهد في ان العمل الفلاني مشروع يتعبد به ، أو غير مشروع فلا يتعبد به ، ولم يتبين له جمع بين الدليلين ، أو إسقاط احدهما بنسخ أو ترجيح أو غيرهما — فقد ثبت في الاصول ان فرضه التوقف ، فلو عمل بمقتضى دليل التشريع من غير مرجح لكان عاملا بمتشابه ، لا مكان صحة الدليل بعدم المشروعية ، فالصواب الوقوف عن الحكم رأسا ، وهو الفرض في حقه .

(والثاني) اذا تعارضت الاقوال على المقلد في المسئلة بعينها ؛ فقال بعض العلماء بكون العمل بدعة . وقال بعضهم : ليس بدعة . ولم يتبين له الأرجح من العالمين بأعلمية أو غيرها ؛ فحقه الوقوف والسؤال عنها حتى يتبين له الأرجح فيميل الى تقليده دون الآخر ، فان أقدم على تقليد احدهما من غير مرجح كان حكمه حكم المجتهد اذا أقدم على العمل باحد

الدليلين من غير ترجيح ، فالمثالان في المعنى واحد .

(والثالث) انه ثبت في الصحاح عن الصحابة رضي الله عنهم انهم يتبركون^(١) بأشياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ففي البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فأتي بوضوء فتوضأ ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به ، الحديث . وفيه : كان اذا توضأ يقتتلون على وضوئه . وعن المسور رضي الله عنه في حديث الحديبية « وما انتخم النبي صلى الله عليه وسلم بخامة الا وضعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده » وخرج غيره من ذلك كثيرا في التبرك بشعره وثوبه وغيرها ؛ حتى انه مس باصبعه احدهم بيده فلم يحلق ذلك الشعر الذي مسه عليه السلام حتى مات و بالغ بعضهم في ذلك حتى شرب دم حجامته ؛ — الى اشياء لهذا^(٢) كثيرة . فالظاهر في مثل هذا النوع ان يكون مشروعا في حق من ثبتت ولايته واتباعه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان يتبرك بفضله وضوئه ، ويتدلك بنخامته ، ويستشفى بآثاره كلها ، ويرجي نحو مما كان في آثار المتبوع الاصل^(٣) صلى الله عليه وسلم^(٤) .

إلا أنه عارضنا في ذلك أصل مقطوع به في متنته ، مشكل في تنزيله ؛ وهو أن الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه السلام لم يقع من احد منهم شيء من ذلك بالنسبة الى من خلفه ، اذ لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم بعده في الامة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ فهو كان

(١) لعل الاصل : كانوا يتبركون (٢) لعله : كهذا (٣) يظهر ان هذه الجملة محرفة

(٤) قد استفاض انه (ص) كان ينهى عن الغلو في تعظيمه

خليفته ، ولم يفعل به شيء من ذلك ، ولا عمر رضي الله عنهما ، وهو كان أفضل الأمة بعده ، ثم كذلك عثمان ثم علي ، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة ؛ ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف ان متبركا تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها ؛ بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الأشياء .
وبقي النظر في وجه ترك ما تركوا منه ، ويحتمل وجهين :

(أحدهما) ان يعتقدوا فيه الاختصاص وان مرتبة النبوة يسع فيها ذلك كله ، للقطع بوجود ما التمسوا من البركة والخير ؛ لانه عليه السلام كان نورا كله في ظاهره وباطنه ، فمن التمس منه نورا وجدته على أي جهة التمس ؛ بخلاف غيره من الأمة - وان حصل له من نور الاقتداء به والاهتداء بهديه ما شاء الله - لا يبلغ مبلغه على حال توازيه في مرتبته ، ولا تقاربه ؛ فصار هذا النوع مختصا به كاختصاصه بشكاح ما زاد على الأربع ، واحلال بضع الواهبة نفسها له ، وعدم وجوب القسم على الزوجات^(١) وشبه ذلك ؛ فعلى هذا المأخذ : لا يصح لمن بعده الاقتداء به في التبرك على أحد تلك الوجوه ونحوها ؛ ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة ، كما كان الاقتداء به في الزيادة على أربع نسوة بدعة .

(الثاني) ان لا يعتقدوا الاختصاص ولكنهم تركوا ذلك من باب الذرائع خوفا من ان يجعل ذلك سنة - كما تقدم ذكره في اتباع الآثار -

لعل أصله : وعدم وجوب القسم عليه للزوجات

والنهي عن ذلك ؛ أو لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حد، بل تتجاوز فيه الحدود ، وتبالغ بجهلها في التماس البركة ، حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج عن الحد ، فربما اعتقد في المتبرك به ما ليس فيه ؛ وهذا التبرك هو أصل العبادة ، ولا جله قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي ببيع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بل هو كان أصل عبادة الاوثان في الامم الخالية — حسبما ذكره أهل السير — تخاف عمر رضي الله عنه ان يتماذى الحال في الصلاة الى تلك الشجرة حتى تعبد من دون الله ؛ فكذلك يتفق عند التوغل في التعظيم .

ولقد حكى الفرغاني مذيّل تاريخ الطبري عن الحلاج ان اصحابه بالغوا في التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرته ، حتى ادعوا فيه الآلهية . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ولأن الولاية وان ظهر لها في الظاهر آثار فقد يخفى أمرها ، لانها في الحقيقة راجعة الى أمر باطن لا يعلمه الا الله ، فربما ادعيت الولاية لمن ليس بولي ، او ادعاها هو لنفسه ، أو أظهر خارقة من خوارق العادات هي من باب الشعوذة لا من باب الكرامة ، أو من باب^(١) أو الخواص أو غير ذلك ؛ والجمهور لا يعرف الفرق بين الكرامة والسحر ، فيعظمون من ليس بمعظم ، ويقتدون بمن لا قدوة فيه — وهو الضلال البعيد — الى غير ذلك من المفاسد . فتركوا العمل بما تقدم — وان كان له أصل — لما يلزم عليه من الفساد في الدين

(١) يياض في الاصل ، ولعل الساقط لفظ « السحر » فانه يذكره قريبا

وقد يظهر بأول وهلة ان هذا الوجه الثاني ارجح، لما ثبت في الاصول العلمية ان كل قرينة أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم فإن لأئمة انموذجا منها، ما لم يدل دليل على الاختصاص.

الا ان الوجه الاول أيضاً راجح من جهة أخرى، وهو إطباقهم على عدم التبرك، اذ لو كان اعتقادهم التشريع لعمل به بعضهم بعده، أو عملوا به ولو في بعض الاحوال، إما وقوفاً مع اصل المشروعية، وإما بناء على اعتقاد انتفاء العلة الموجبة للامتناع.

وقد خرج ابن وهب في جماعة من حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب؛ قال: حدثني رجل من الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ أو تنخم ابتدر من حوله من المسلمين وضوءه ونخامته فشربه ومسحوا به جلودهم، فلما رأهم يصنعون ذلك سألهم «لم تفعلون هذا؟ قالوا: نلتمس الطهور والبركة بذلك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان منكم يحب ان يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث، وليؤد الأمانة ولا يؤذ جاره» فان صح هذا النقل فهو مشعر بان الاولى تركه^(١) وان يتحرى ما هو الآكد والاخرى من وظائف التكليف؛

(١) قد يقال: ان هذا يدل على الانكار وكراهة النبي (ص) لهذا الفعل، ويؤيده ما ثبت من مجموع سيرته من كراهة الغلو فيه واطرائه، وحببه للتواضع ومساواة الناس بنفسه في المعاملات كلها، الا ما خصه الله به، حتى انه طلب ان يقتص منه من لعله آذاه - وهو القائد والمربي الذي جعله الله اولى بالمؤمنين من انفسهم - ولم يعرف من الاحوال التي تبركوا فيها بفضل وضوئه وبيصاقه الا يوم الحديبية. وظهر له يومئذ حكمة، فان مندوب المشركين في صلح الحديبية لما حدثهم بما رأى من ذلك هابوا النبي (ص) وخافوا فتسال المسلمون ففعل المسلمون قعودوا هذا لهذا

ولا يلزم الانسان في خاصة نفسه ؛ ولم يثبت من ذلك كله الا ما كان من قبيل الرقية وما يتبعها، أو دعاء الرجل لغيره على وجه سيأتي بحول الله .
فقد صارت المسئلة من اصلها دائرة بين أمرين : ان تكون مشروعة ، قدخلت تحت حكم التشابه والله أعلم .^(١)

فصل

ومن البدع الإضافية التي تقرب من الحقيقية ان يكون أصل العبادة مشروعاً إلا انها تخرج عن أصل شرعيتها بغير دليل ، توهماً انها باقية على أصلها تحت مقتضى الدليل ؛ وذلك بأن يقيد إطلاقها بالرأي ، أو يطلق تقييدها ، وبالجملّة فتخرج عن حدها الذي حد لها .

ومثال ذلك ان يقال : ان الصوم في الجملة مندوب اليه لم يخصه الشارع بوقت دون وقت ، ولا حذفيه زماناً دون زمان ، ما عدا ما نهى عن صيامه على الخصوص كالعيدين ، ونذب اليه على الخصوص كعرفة وعاشوراء بقول ؛ فاذا خص منه يوماً من الجمعة بعينه ، أو أياماً من الشهر بأعيانها - لا من جهة ما عينه الشارع - فان ذلك ظاهر بأنه من جهة اختيار المكلف ، كيوم الاربعاء مثلاً في الجمعة ، والسابع والثامن في الشهر ، وما أشبه ذلك ؛ بحيث لا يقصد بذلك وجهاً بعينه مما لا ينثني عنه . فاذا قيل له : لم خصصت تلك الايام دون غيرها ؛ لم يكن له بذلك حجة غير التصميم ، أو يقول : ان الشيخ الفلاني مات فيه أو ما أشبه ذلك ؛ فلا شك انه رأي محض بغير دليل ، ضاهى به تخصيص الشارع أياماً بأعيانها

(١) ينظر أين الامر الثاني ؟ ولعل الساقط « او تكون غير مشروعة »

دون غيرها . فصار التخصيص من المكلف بدعة ، إذ هي تشريع بغير مستند

ومن ذلك تخصيص الايام الفاضلة بأنواع من العبادات التي لم تشرع لها تخصيصاً ، كتخصيص اليوم الفلاني بكذا وكذا من الركعات ، أو بصدقة كذا وكذا ، أو الليلة الفلانية بقيام كذا وكذا ركعة ، أو بحتم القرآن فيها أو ما أشبه ذلك ^(١) فان ذلك التخصيص والعمل به اذا لم يكن بحكم الوفاق أو بقصد يقصد ومثله أهل العقل والفراغ والنشاط ، كان تشريعاً زائداً

لا حجة له في أن يقول : ان هذا الزمان ثبت فضله على غيره فيحسن فيه إيقاع العبادات . لانا نقول : هذا الحسن هل ثبت له أصل أم لا ؟ فان ثبت فمسألتنا ^(٢) كما ثبت الفضل في قيام ليالي رمضان وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام الاثنين والخميس فان لم يثبت فما مستندك فيه - والعقل لا يحسن ولا يقبح ، ولا شرع يستند اليه ؟ فلم يبق الا انه ابتداء في التخصيص ، كاحداث الخطب وتحري ختم القرآن في بعض ليالي رمضان . اهـ

(١) ومنه صلاة الرغائب وصلاة ليلة النصف من شعبان ، ومنه تخصيص أيام معينة لزيارة القبور والصدقة عندها كاول جمعة من رجب . كل ذلك من البدع والتشريع الذي لم يأذن به الله . وقد يتصل بالبدعة الواحدة بدع ومعاص أخرى توجب تركها - ولو لم تكن بدعة - لسد ذريعة هذه المفاسد (٢) أي فهو مسألتنا

الجنسيات في المملكة العثمانية

الجنس في عرف اهل السياسة كالصنف في عرف علماء المنطق ، فيطلق على الأجيال التي تفصل بينها الفصول العامة (كالنسب واللغة) وهما اقدم روابط الجنسية؛ وليهما الدين والوطن الأرضي والسياسي . ولم يوجد دين من الأديان ألف بين شعوب وقبائل مختلفة في جميع روابط الجنسية وجعلها أمة واحدة وجنسا واحدا الا الدين الاسلامي وقد بينا هذا مرارا فلا نعيده الآن . ولما كان اتحاد الأمة لا يتم الا بوحدة لغتها كان من مقاصد الاسلام جعل لغة القرآن لغة لجميع المسلمين ، وعلى هذا جرى المسلمون في خير القرون بالعمل ، فصارت العربية لغة المسلمين في المشرق والمغرب من القرن الأول . وقد زال من نفوس المسلمين الشعور بالغيرية الجنسية زمنا طويلا ، حتى أحياء الفرس والترك كما بينا من قبل .

ان العصبية الجنسية في هذا العصر قد دخلت في طور سياسي جديد ، وكان العرب آخر الأجناس شعورا بها ، لأن سوادهم الأعظم مسلمون لا يكادون يشعرون بغير الجنسية الدينية . ولكن الاستانة بسياسة حكومتها وإدارتها بعد الدستور وسياسة جرائدها قد كونت هذا الشعور وجعلته حيا ناميا ، فصدقت كلمتي المحفوظة: « ان العرب يعجزون بأنفسهم ، عن تكوين جنسية عربية سياسية لهم ، ولا يقدر على ذلك الا الآستانة وحدها » ولما رأينا بوادر هذا الأمر وكنا نعلم ان التحولات الاجتماعية السريعة تكون دائما محفوفة بالاحطار - سعينا لتدارك الخطر في الآستانة نفسها ، ومقالاتنا الست التي نشرناها هنالك تحت عنوان (العرب والترك) لا تزال محفوظة تشهد لنا بأننا سعينا الى الوحدة بين العنصرين جد السعي . وبيننا من الحجب على ذلك ما لم يبينه أحد ، ولكن ذلك كله لم يفد ، ولماذا ؟

ان من المقاصد الأساسية لجمعية الاتحاد والترقي احياء الجنسية التركية وتقويتها لتوجد منها أمة تركية كأهم أوربة في مدينتها ، ودولة تركية كدول أوربة في عزتها وحضارتها ، وكانوا يظنون انهم يستطيعون بقوة الدولة أن يتركوا جميع الأجناس العثمانية في البلاد الخضرية القابلة للعمران ، ويجعلوا سائر البلاد مستعمرات ليس لها

من الحقوق ما لساأر العثمانيين . ولهذا كانوا يجدون في تقوية الجنسية التركية ونشر اللغة التركية ، ويعاقبون من يقتدي بهم في ذلك من غير الترك أشد العقاب

دار الفلك دورته ، فثبت للاتحاديين ضرر هذه التجربة - محاولة تترك شعوب المملكة - ، وكان من نتائجها المشؤومة الفتنة اللبنانية ، فالحرب اللبنانية العثمانية ، فرجعوا عن فكرة تعميم تترك الشعوب كلها الى الاكتفاء بتترك الضعيف منها ، اما بقلة العدد كاللار والشركس ، واما بقلة العلم وعدم تدوين اللغة كالأكراد ، واما بالخضرة في اللغة كالعرب المتصلين بالترك بالقرب من الاناضول ، ثم بتقوية اللغة التركية في جميع البلاد العثمانية ، وجعل الارتقاء في الحكومة والعلوم والمدنية موقوفا عليها . وترتب على هذا ترك الضغط السابق على المستيقظين من الشعوب الكبيرة ، اذ كانت الجرائد تحاكم وتقفل اذا ذكرت اسم جنسها ، والاعتصام بجبل لقتها ، والتذكير بمجد سلفها ، حتى ان المجلس العسكري العرفي في بيروت حاكم مدير جريدة المفيد وعده مجرما وحكم بمنع صدور الجريدة بذنب غريب جدا في هذا الباب ، وهو كلمة (ياقوم) وردت في قصيدة ، نشرت في تلك الجريدة !! قرر رئيس المجلس واعضاؤه من الترك ان كلمة (ياقوم) معناها عنصر العرب ، فذكرها تفريق بين العناصر العثمانية ، وهو من اعظم الجنايات !! . [كما مر] ذلك بأن الترك يستعملون كلمة « قوم » بمعنى الجنس والجيل من الناس الذي يعبرون عنه بالعنصر . ولم يلتفت المجلس لاحتجاج المتهم بأن القصيدة المنشورة في جريدته عربية ولفظ القوم في اللغة العربية معناه الجماعة من الناس ، كما هو منصوص في المعاجم ، قيل يشمل الرجال والنساء ، وقيل هو خاص بالرجال ... وان الشعراء يستعملونه الآن بمعنى (ياناس)

كانت جمعية الاتحاد والترقي قد صرحت بتصريحها نشرته جريدتها (طنين) بالرجوع عن فكرة « تترك العناصر » وكان ذلك مدارة لم يصدق العمل . ولكنها في العهد الأخير عقدت اتفاقا مع (جمعية الشبيبة العربية) التي يمثلها (المنتدى الادبي) في الاستانة ، واشهروا هذا الاتفاق بالاحتفالات والمآدب ، وجعلوه وسيلة وذريعة للاتفاق بين جمعية الاتحاد والترقي والمؤتمر العربي الذي انعقد في

باريس . وصار زعماء الجمعية من وزراء الحكومة يزورون المنتدى الادبي ويحضرون بعض احتفالاته ، وتمثيل القصة العربية التي يمثلها اعضاؤه كل سنة ، وقد احتفل اعضاء المنتدى في هذا العام بذكرى المولد النبوي الشريف فحضر احتفالهم فيه طلعت بك ناظر الداخلية وجمال باشا ناظر البحرية (الآن) وخطب طلعت بك بالتركية باستمسالك الترك بالعرب ، وانهم اذا فروا منهم يتبعونهم ويلتزمونهم ، فاهتزت لهذه الخطبة اسلاك البرق في العالم ، ووعد الزعيم الكبير في خطبته هذه بأن يخطب في احتفال مولد العام القابل بالعربية . هذا بعد ان كان اعضاء المنتدى الادبي لا يسمون انفسهم جمعية خوفا من اقبال الحكومة الاتحادية لاناديهم ، ومحاکمتهم على ذلك في المجلس العسكري العرفي . فأين هذا من تسقط هذا المجلس لبعض اعضاء المنتدى بتسميتهم جمعية ليعترف بعضهم بذلك فيحكم المجلس فيهم حكمه ؟ وقع هذا التسقط في تحقيق المجلس مع المتهمين في حادثة الاعتداء على صاحب جريدة (إقدام) التركية الشهيرة ، عقب نشر مقالة أهين بها العرب ، وكان المنتدى الادبي لم يتجاوز السنة الأولى من عمره .

علم من هذا ان السياسة الجديدة التي ظهر بها الاتحاديون في العاصمة هي ان العصبية الجنسية نافعة او ضرورية لترقي كل جنس ، وانه يمكن الجمع بينها وبين الوحدة العثمانية ، ولا سيما الوحدة بين العرب والترك من العثمانيين . وانه يجب على كل جنس ان يرقى نفسه من غير ان يضر غيره او يحول دون الوحدة العثمانية . وقد سر جمهور المتعلمين من العرب بهذه السياسة الجديدة ، وهم لا يشترطون لاعتقاد اخلاص الاتحاديين للعرب فيها الا اطلاق الحرية لجرائدهم وجماعاتهم وافرادهم كما اطلقوها للترك ، ومساواة الحكومة بينهما في التربية والتعليم والمساعدة على الاعمال . ولكن الترك في هذا الطور الجديد قد ألفوا عدة جمعيات تركية محضة ، وقاموا بعدة مشروعات تركية خالصة ، وألفوا عدة كتب ورسائل في النهضة التركية والرابطة الجنسية البحتة ، وصار شغل جرائدهم الشاغل وجوب انشاء أمة تركية محضة ودولة تركية محضة وكان كلام بعضهم في هذا ان الدولة تركية لا عثمانية ، وان العثمانية وهم من الاوهام . ولم يفعل العرب شيئا يذكر من ذلك . نعم ان بعضهم

يتكلم او يكتب في الجرائد كتابة تعد ضئيلة نحيلة اذا قيست بما يكتبه الترك . ولم أر لأحد منهم مصنفًا خاصًا في هذا الموضوع الا رسالة لأحد أدباء بيروت من آل الفاخوري . ونشر بعض الغلاة منشورات تهيبج وثورة وقالوا فيها ان لهم جمعية ، وانا لا اصدق ذلك

الجنسية والاسلام وحزب اللامركزية

بعد هذا كله قام من كتاب العرب كاتب من طائفة لها دين لا يتفق مع دين الاسلام في اصوله ولا فروعه (١) فكتب كتابا جعل نفسه فيه اشد اسلاما من جميع علماء الاسلام ، واشد عصبية تركية من غلاة الترك انفسهم ، واشد اتحادية من زعماء جمعية الاتحاد والترقي ووزرائها ، إذ قام يجاهد فيه الجنسية العربية وحدها ، ويجعلها هادمة للاسلام الذي يغار عليه بزعمه ما لا يغار عليه الذين افنوا اعمارهم في القيام به علما وعملا ودعوة ودفاعا . ويلصق تهمة هذه الجناية على الاسلام بحزب اللامركزية وحده . على ان حزب اللامركزية عثماني محض ليس في برنامجه ولا في بياناته كلمة واحدة تدعو الى الجنسية العربية ، او تنفر من الجنسية التركية ، وانما هو يدعو جميع العثمانيين الى مطالبة الحكومة بالادارة اللامركزية ، بالطرق المشروعة القانونية ، نعم ان فكرته قد انتشرت في العرب لأن المؤسسين له من العرب ، ولم يقدروا على نشر دعوتهم في غير الشعب العربي . وذلك الكاتب المنحي عليهم يقول : ان دعوتهم لم يحفل بها احد يذكر ، ولم يستجب لها الا عدد لا يقدم ولا يؤخر . فلماذا غني اذا بتأليف كتاب خاص في التشنيع عليهم ؟

ما رأيت مثالا لإطالة هذا الكاتب القدح في حزب اللامركزية - بدعوى الجناية على الاسلام بتقوية الجنسية العربية وجعلها هي واللامركزية التي تراد لاجلها اسرع ما يمحو الاسلام ويوقع المملكة في ايدي الاجانب . ! ! - الا

(١) دين هذه الطائفة سري ومن المعروف عنهم جواز مشايعة غير اهل دينهم على سبيل التقية . ولهذا صرح بعض الفقهاء بعدم الاعتداد باظهار احد منهم للاسلام . واما انا فأرى صحة اسلام من تدل القرائن على صدقه ، كمن يصرح على مسمع من اهل ملته بالخروج منهم وبتخطئتهم في دينهم مع التزام الاسلام بالعمل .

ما اطل به كاتب امريكاني في التشنيع على جمعية ابطال المسكرات في امريكة . ذلك بان هذه الجمعية سلكت اخيرا السبيل القانوني الموصل الى غرضها الشريف ، وهو السعي لانتخاب اعضائها ومشايعها لمجلس النواب . وقد فازوا في بعض الولايات فوزا عظيما ، فانبرى لمحاربتهم تجار المسكرات ، الذين يربحون منها الملايين من الريالات ، وكان اغرب حربهم القلمية ، مقالات لأحد الكتاب عنوانها (الحرية الشخصية) مترك هذا الكاتب شيئا اهتدى اليه باطلاعه وذكائه في مدح الحرية الشخصية الا وقاله ، وجعل ابطال المسكرات مزيلا له ، كأنه الذي يهدم الحكومات الدستورية ، ويوقع العالم في الفوضى والهمجية !! فكثير من كلامه حق أريد به باطل ، ومنه ما هو باطل أريد به باطل ، وهكذا فعل كاتبنا العربي . ونقول في كل منها : انه يمكن تفنيد مقالاته ، ودحض شبهاته ، بمقالات اصح منها دليلا ، واقوم قيلا ، واوسع تفصيلا . ولكن الرد على ما يكتب اتباعا للهوى ، وارتياذا للمناصب إضاعة للوقت ، وسبب للتمادي في الباطل والغو .

قد يظن هذا الكاتب ويظن من تقرب اليهم بما كتب ، ممن لا يحبون ان تقوم للعرب قائمة ، ولا تستيقظ لهم عين نائمة ، ان مثل هذه الكتابة تقنع السواد الاعظم من مسلمي العرب بأن لا يجيبوا دعوة لمن يدعونهم الى إحياء لغتهم ، والى قيامهم بعمران بلادهم ، والاستئثار بخيراتهم دون الصهيونيين والاجانب ، الذين تقذفهم بهم الحكومة المركزية من كل جانب ، بما تعطيهم من امتياز ، وما تمكن لهم من امتلاك البلاد ، وان ينبذوا هؤلاء الدعاة الى الاصلاح بنذ الزوى ، اعتقادا بصدق ذلك الكاتب في زعمه أن هذا يمت الاسلام ويزيل هداية السنة والقرآن ! وان هذا هو الذي يرمي اليه زعماء اللامركزية ، بدعوتهم الى احياء الجنسية العربية . وسيعلم الظانون كذب ظنهم ، وان هذه الكتابة لا تخدع عامة العرب فضلا عن خاصتهم ، بل تكون سببا لقوة نهضة العرب ، واساءة الظن بمصادر هذه الخدع .

كنا عزمنا على ترك الكتابة في هذه المسائل ، ثم بدا لنا بعد هذه الخلابة والخدعة ، ان نبين للامة والتاريخ لباب الحقيقة ، وان ننشر نموذجا من كلام دعاة الجنسية التركية والعربية . لأجل المقارنة بينهما ، وليعرف اعتدال حزب اللامركزية

بين غلاتها ، ومنه يظهر ان تخصيصه باللوم والتعنيف ، ليس نصرا للدين الخفيف ، اذ الدين لا يحيا الا بحياة لغته ، وارتقاء أمة ، واننا نبدأ بنموذج من كتاب (قوم جديد) لأنه جاء الدعوة الى الجنسية التركية من طريق الدين ، بما فيه اكبر عبرة للمعتبرين ، من التحريف والتبديل ، والتحريم والتحليل والتكفير بمحض الرأي والهوى ، وجعل الدين كله كالمحصور في بذل المال والنفس لحكومة الاستانة الاتحادية

نموذج من كتاب (قوم جديد)

(مترجم عن النسخة التركية المطبوعة في الاستانة)

جاء في الصفحة ١٤ من هذا الكتاب :

يجب تعطيل المساجد والتكايا الموجودة في الاستانة ماعدا الجوامع التي بناها السلاطين . وتخصيص نفقاتها الى الشؤون الحربية والعسكرية كما ورد في الآيات الكريمة والاعمال النبوية .

وفي الصفحة ١٥ :

ورد منذ مدة في احدى الجرائد السياسية انه من الضروري الاهتمام بتعميم تعلم اللغة العربية لتفهم الامة على الاقل الخطب التي تلقى ايام الجمع في المساجد . وهذا الكلام يدل على البلاهة اذ بدلا من تعلم جميع الاتراك اللغة العربية تلقى الخطبة باللغة التركية ، وهل هناك امر اسهل من هذا ؟ لاسيما وان ترجمة الحديث والخطب والقرآن جائز في مذهب الامام الاعظم (١) . ان النبي لم يبعث الى العرب فقط لذلك أصبحت ترجمة القرآن الى اللغات الاخرى فرضا من الفروض (٢) (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)

نعم ان القرآن الذي نزل على سيدنا محمد المأمور بدعوة العالم جميعا الى الاسلام نزل باللغة العربية ولكن لا يستدل من هذا ان كل قوم دعوا الى الاسلام يكونون مضطرين الى تعلم اللغة العربية

وفي الصفحة ٢٥

وهذا اكرر ما قلته آنفاً من أن أكثر الناس يستثنى منهم الفقير المعدم والاعرج والاعور ومنهم المشايخ الذين يدعون انهم ورثة الانبياء والمدرسون والمفتون والقضاة

(١) كذب الكاتب في هذه الدعوى (٢) جعل الكاتب الجاهل نفسه شارحا . وقد اتفق شيخ الاسلام في الاستانة بعدم جواز ترجمة القرآن

مشايخ الطورق والدرأويش والتجار والصناع، والحاصل جميع الناس أصبحوا في حكم القرآن المجيد مرتدين ومن زمرة المنافقين ومن ثم وجب قتالهم، لانهم تعمدوا ترك الجهاد بالمال والنفس الثابت بوجود آلاف من الآيات البينات (وأورد هنا اثنتين منها) الاولى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين... الخ) والثانية (فرح الخلفون... الخ) قال: ويتوقف تجديد ايمان هؤلاء اولاً على الاشتراك بدنا بالحرب وثانياً على اعطاء نصف ما يمتلكونه الى دار الخلافة الاسلامية اذا كانوا من اصحاب الغنى والاموال ليتسنى لرجال الاسلام الانتقام من الكفار الفجار، ونزع البلاد التي انتزعوها من ايديهم، واعادة ذكر كلمة «الله» في مساجدنا وجوامعنا، واذا لم يفعلوا هكذا (أي اذا لم يدفعوا نصف ما يمتلكونه للدولة) فلا يقبل منهم تجديد الايمان فيحشرون وهم مرتدون وكفرة، ويلحقون بأهل جهنم. وهذا لا بد منه ولو قرؤا في اليوم مئة الف مرة «آمنت بالله...» ولو صلوا الليل والنهار ولو كانوا من الذين صلوا وراء النبي، ولو حجوا الى بيت الله الحرام مئة الف مرة، ولو كانوا بدرجة الامام الاعظم من العلم او بدرجة الفوت عبد القادر الكيلاني من الفطية.

وفي (ص ٢٧)

ان بعض المشايخ والحفاظ والحجاج في الاستانة وكثيرين ممن يتبعونهم وكلم-م من الذين يجرؤن على ارتكاب انواع المنكرات اشتغلوا بالكتب كالحمد التي تحمل التوراة فتركوا الجهاد، والبعض منهم فسروا الآيات والاحاديث حسب ما تقتضيه منافعهم، وللحصول على غرض دنيوي. فلعنة الله على أمثال هؤلاء الحفاظ الذين يقرؤن القرآن بالدراهم وعلى المنافقين الذين تسلطوا بالاشتراك مع اعداء الدين على فرقة الاتحاد والترقي التي هي في الحقيقة الفرقة المحاربة والساعية لاتحاد الاسلام، والمجاهدة في سبيل تشييد قوى الاسلام، وبالنتيجة لعنة الله على الذين كانوا سبباً لدوس الملايين من المسلمين تحت اقدام اعداء الاسلام، وعلى اولئك الذين سلكوا طرق الدسائس والتفيل والتزوير لمنع الذين كانوا يريدون ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله، لعنة الله عليهم وعلى آلهم واقوالهم وعلى تأليفاتهم ومصنفاتهم واعتقاداتهم أجمعين

وفي (ص ٣١) يفسر آية (فرح الخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله) بما يأتي: ان الذين ثبتوا في الصوم والصلاة والحج اعرضوا اليوم عن الجهاد المفروض مالا وبدنا وأصبحوا خلاف رسول الله فهؤلاء من المنافقين

ان البروغرام القديم البالي الفاسد يعرف به بقاء الدين بالصوم والصلاة والحج .
والحقيقة ليست كذلك بل هو حسب البروغرام الجديد بالجهاد مالا وبدناً . وهذا
ثابت ايضاً بهذه الآية : (وان ترضى عنك اليهود ولا النصارى ...) فيفهم من هذه
الآية صراحة ان المسلمين الموجودين تحت حماية ملوك النصارى ليسوا مسلمين بحق
لان ملوكهم النصارى راضون عنهم ويضمونهم في صف اممهم ، على ان الملل النصرانية
لا ترضى عنهم الا بعد ان يرددوا الى دينهم الباطل .

وفي (ص ٣٢)

اذا رضي الكافر يفض الربح ، وكذلك اذا غضب الرحمن رضي الكافر .
يعني اذا رضي كافر تمام الرضا عن مسلم فهذا المسلم يكون على كل حال موضوع قهر
الرحمن وغضبه مثل المسلمين الساكنين في البلاد المسيحية . وبالعكس كل كافر يفاضب
ويعادي مسلماً يكون موضوع رضاء الرحمن وحبه مثل خلفاء المسلمين من الأتراك .

وفي (ص ٣٣)

يفسر هذه الآية (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) بما يأتي :
يفهم من هذه الآية الجلية ان دين المسلمين الموجودين تحت التبعية أو الحماية
الروسية والانكليزية والفرسوية لا يتم ولا يعدون من المسلمين ماداموا لا يشتركون
في الجهاد المفروض وما داموا محرومين من اعانة الاستانة مالا وبدناً .

وفي (ص ٣٦)

ان من لا يشترك من رعايا الدولة الاسلامية العثمانية الثابتة خلافتها بالنص القاطع (١)
من العرب أو التتار أو الألبان أو أبناء مكة واليمن ، والحاصل جميع الأقوام المختلفة
اذا لم يشتركوا مالا وبدناً ونقداً بالجهاد الذي هو أعظم العبادات في صفوف حضرات
عبد الرحيم وجمال ورضا وشكري وبكرو جاويد ورؤف وانور وعزت وطلعت وأمثالهم
من أبناء الترك الذين هم أولياء الله صلى الله تعالى عليهم وعلى آلهم وأصحابهم وقدس
الله أسرارهم ، يكونون في صف المرتدين عن الدين والمعتقين طوعاً لدين الصليب
الباطل . ومن هذا القليل الأثراؤد ، فانهم ارتدوا عن الاسلام - إما لاستعمالهم السلاح
ضد الجنود الاسلامية مشتركين مع الكفار الفجار في ذلك ، أو لإضعاف قوة الجيش
الاسلامي بفرارهم من ساحات القتال ، فسيبوا بذلك انهم الاسلام وأصبحوا من
الكفرة الفجرة ، ومن هذا القليل أيضاً المصريون والهنود والبخاريون والتتار

(١) مذهب اهل السنة ان خلافة الراشدين لم تنبت بالنص بل باجتهاد الصحابة

الروسيون وسكان قاص وتونس والجزائر وأهل الحجاز واليمن فانهم لم يمدوا الخلافة الإسلامية بالنقد ، ولم يكتف قسم من العثمانيين الاثراك بذلك بل انهم اتفقوا مع قوزميدي وبوشو والبطركخانه الرومية واعانوا دين الصليب ، واعلنوا العصيان سماعاً وطوعاً على الاسلام ، واقاموا الدنيا على أهل الايمان .

وفي (ص ٣٩)

ان القوم العتيق (أي القدماء الذين لا يتبعون كتابه هذا) يتركون الاوامر الالهية الاصلية التي تعد بالآلوف وينسكون بالصوم والصلاة والحج والزكاة وكلمة الشهادة فقط ، ويتخذون كتب البركوي والحلي والشافعي والكنز ومنية المصلي والمالكي والحنبلي دستور العمل في أعمالهم وحركاتهم ، مع ان هذه الكتب مملوءة بالتناقض والشفاق والمنافرة (كذا) والاختلافات الكثيرة ، فالعمل بما فيها غير جائز

وفي (ص ٥٢)

أما القوم الجديد (ويريد بهم من مدحهم في كتابه من الترك الانحاديين ومن يسير على طريقهم وطريقه) فانهم لا يبالون بمثل هذه الحرافات القديمة بل انهم استخرجوا من الاحكام القرآنية والحديثية الاركان الدينية الآتية : (١)

١ - العقل

٢ - كلمة الشهادة

٣ - الاخلاق الحسنة

٤ - الجهاد مالا وبدناً والحرب .

٥ - السعي لاعداد لوازم الحرب بالانحاد والاتفاق تحت راية الخلافة المعظمة

العثمانية .

وفي (ص ٥٦ - ٥٧)

يجب ان تقرأ الخطب أيام الجمع والاعياد باللغة التركية ثم تقرر خطبة كل جمعة بتلقين من الحكومة تتضمن الاحوال السياسية ، ويجب أيضاً ان تفضل الامور السياسية في بعض الاحوال على الامور الشرعية حتى ولو لم تكن منطبقة على الاحكام الشرعية !! فتعطل مؤقتاً الامور الشرعية . ويوجد جواز شرعي للعمل هكذا بدليل وضع النبي توقيعاً على عهدة الصلح في وقعة الحديبية مجرداً من القاب ونعوت النبوة حسب طلب

(١) اي ليس في دين (القوم الجديد) صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج فهم لا يمتثلون الى المسلمين لاكل اموالهم ومشاركتهم في حقوقهم الا بعدم انكار الشهادتين . وعلى هذا كثير من ملاحدة العصر ومناقضيه كما قال المؤلف

كفار قريش ، وكما تقتضيه الاحوال ويوجبه الزمان . وكذلك الآيات النسخة والمنسوخة هي من مقتضيات السياسة .

وفي (ص ٦٠)

وعليه فان الهنود الذين هم تحت حماية النصارى من الانكليز لو كانوا من اصحاب الاخلاق الحسنة فانهم لاريب محرومون من العقل ولو كانوا عقلاء لما رضوا بالذلة تحت حكم دولة ظالمة شريرة تسلك دين الصليب

(وفي ص ٦٣)

وبهذه الصورة سيخرج المسلمون المحكومون بالنصارى من دينهم بالتدريج ويندبحون بدين حكامهم . وسبب ذلك عدم ارتباط هؤلاء المسلمين مالا وبدنا بالخلافة الاسلامية

(وفي ص ٧٠ - ٧١)

كثير من المسلمين حتى من علمائهم ومشايخهم اثبتوا في الحرب البلقانية الحاضرة انهم ارتدوا عن دينهم لانهم ائتملوا { عبر بلفظ الائتلاف في الاصل } مع البطريركخانه لاجل الدراهم والمنافع ، ومن هذا القبيل أيضاً الضباط والجنود والمعممون الذين فروا من ساحات القتال ، فهؤلاء ليسوا مسلمين بل هم منافقون ومرتدون عن دينهم . أما المسلمون الحقيقيون فهم الذين حاربوا في حرب طرابلس الغرب وحرب البلقان تحت امرة انور ورضا واسعد وجاويد ورؤف صلى الله تعالى عليهم ، وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقي المقدسة ، الذين لم يولوا ظهورهم الى العدو بل داوموا في جهادهم في سبيل الله ، فهؤلاء هم المسلمون الحقيقيون . وقد كان عدد الذين ينتمون الى جمعية الاتحاد والترقي في هذه الحرب لا يتجاوز مئة الف . اما الباقون فانهم كانوا من المرتدين المنتمين الى الائتلاف (أي حزب الائتلاف) والبطريركخانات.

وفي ص ٧٦

يفسر آية (انما انا بشر مثلكم) - الحرب يننا وبينهم سجل ينالون منا وتال منهم - أفئن مات ٠٠٠٠ الخ فيقول : انا بشر مثلكم فلا تستبعدوا موتي ، ان الانتصار في الحرب يتوقف على التجهيزات العسكرية ٠٠٠٠

وفي ص ٨٩

ما هذا الجهل ؟ وما هذه الغفلة التي استولت عليكم ايها الناس ؟ تعلقون اسماء

٥٤٤ دعوة الترك الى رفع ساستهم على أئمة الدين من العرب (المنار - ج ٧ ص ١٧)

خلفاء العرب على جدران جوامعكم (١) وتتركون اسماء خلفاء الترك الذين قدسهم الاحاديث النبوية ولا تكتفون بذلك بل ينزل الخطيب قدمه واحدة عند ما يذكر اسماء الخلفاء الترك تزيلا لمقامهم وتذليلا ثم تزيدون ركعتين يوم الجمعة باسم « آخر ظهر » فكل هذا مبتدع ومحدث للحط بشأنكم سياسة .

انكم ايها الاتراك قوم مقدسون ومبجلون ومع ذلك قدسون عبد القادر الكيلاني والشيخ البدوي والشيخ الفلاني وتدعون ان الله وملائكته حق الموكلين منهم بعذاب القبر منكر ونكير يتكلمون باللغة العربية وتقولون دائما « أوله شام وآخره شام » وتسمون دائما لتعقيل ابناء الترك بأنه سيخرج من العرب مهدي . والحاصل تشتغلون منذ سبعمائة سنة بثل هذه الحرافات ، فنفشون العالم ومحتقرون بذلك ابناء العثمانية التعجباء الذين ما قتلوا مجاهدين في سبيل الله للدفاع عن الاسلام ويدفعون عنه تعرض الكفار الفجار له ، فكل ما ذكرته موضوع بصورة خصوصية ومقصود بالذات لتحقيركم والحط من منزلتكم

أما سمعتم الآية (والعاديات ضبحا) فان الله قدس هذه الآية للجيش التركية نفيل هذه الجيوش هي اشرف واقدس اضعاف مضاعفة من شرافة وقداسة رؤساء واشراف الشعوب الاخرى الذين قدسوهم وتحرموهم . (٢)

(المنار) هذا نموذج من كتاب (قوم جديد) الذي صنف لاقناع الترك بما يجب ان يكونوا عليه في هذا العصر . ولا شك في كون جميع علماء الدين من الترك كفيرهم ينكرون هذه الضلالات المودعة في هذا الكتاب ويعلمون ان هذه الجراءة على تحريف القرآن واتخاذ الاسلام هزوا ولعبا ، وهدم اركانه ، وتكفير اهله ، والكذب على الله ، رسوله ، المراد به تقوية الجنسية التركية - كله كفر وضلال . ولكن الملاحظة الذين ليس لهم من الاسلام الا اللقب الرسمي او الجغرافي يرضون بهذا ويفشون به جهلة العامة من الترك فما للمنكر على حزب الامر كزية تقوية الجنسية العربية باسم الاسلام ، لا يؤلف كتابا في الرد على هؤلاء الزالة المحرفين للقرآن . الهادمين للاسلام؟؟

(١) جرت عادة اخواننا الترك بأن يعلقوا في قباب مساجدهم الواحا فيها اسماء الخلفاء الاربعة (رض) وسبغى الرسول (ص) (٢) اي كخلفاء الراشدين وأئمة آل البيت الطاهرين عند العرب

* نموذج من إنشاء طلبة دار الدعوة والارشاد *

اقترحنا الموضوع الآتي على طلبة السنة الأولى لاختبار انشائهم وآرائهم في هذه المسألة ، فاخترنا ان ننشر ما كتبه بعضهم كما كتبوه مع تصحيح بعض الغلط في الهامش ، وهو :

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطالب يس ابراهيم

لم ير التاريخ من لدن آدم الى ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كالا سلام في معاملته وعدله ، ولم ينقل الينا أثر يدل على أن الاسلام عامل مخالف فيه بالقسوة ؛ بل تواترت الآثار والشواهد الدالة على عدله ، وانه ماجاء الالهداية البشر لما فيه صلاحهم في الحال وصلاحهم في المال ، وأنه رحمة للناس كافة (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وإن اهم ما يستشرف منه على عدل الاسلام في معاشره مخالفه النظر في نصوص الدين ، فانه الميزان الذي يبين العدل من الجور ويفصل بين الضغط والحرية ؛ تأمل تر أن الاسلام قد بلغ حدا من القوة لا يقاومه صاد ، ولا يحركه مزحزح ، ومع ذلك ينادي الاسلام (لا اكراه في الدين)

فلو ان الاسلام فيه شائبة من ظلم لحمل الناس على الدخول فيه كرها أيام استكمال القوة في عزه وشبابه ، كما يفعل اهل الأديان الأخرى في العصر الحاضر والقرون الخالية ، على ان السابقين معذورون ، فانهم ما وصلوا الى درجة من العلم والحضارة تحمّلهم على الالتجاء الى العدل ، بخلاف اهل هذا الجيل فلا عذر لهم مع صياحهم بصوت العدل ، ولا يخفى على احد ما يفعلونه بالناس من حملهم على دينهم وسلب اموالهم وجعلهم خدما وعبيدا ، إما بالظلم البين ، او الجور المستتر ؛ وهو ما يسميه الاستاذ بالسياسة اللينة . فوركك أما تشعر الآن بأن الاسلام دين الرحمة والعدالة في القرون المظلمة خير من جميع الاديان وقوانين السياسة في عصر العلم والحضارة ؟

ان الاسلام لم يضغط على معاشريه ، ولم يحملهم على المعاملة بأحكامه ، بل جعل

لهم الحرية التامة في وضع احكامهم، وجعل عقوبة لمن يتعرض لهم بالاذى من المسلمين، هكذا كان الاسلام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وايام الخلفاء بعده. ومما يروى أن يهوديا جاء الى سيدنا عمر بن الخطاب شاكيا سيدنا عليا رضي الله عنهما من اجل دين ادعاه عليه ولما كان الخليفة يحكم بينهما رأى ان امير^(١) جالسا قال « قم فساو خصمك » فبا لله ما هذا العدل والانصاف بين يهودي ومسلم لدى امير المسلمين ؟

مانشأ هذا العدل الامن نور الاسلام وسماحته . ولا يتوهم أحد ان القتال الذي وقع بين المسلمين ومعاشرهم ومن ساعدهم ينافي العدل ما دام يعلم ان الذنب على المعتدي ، وان البادى اظلم ، فمعلوم ان المسلمين ما آذوا أحدا ولم يكن غرضهم الا ايصال هذا النور الى القلوب، وكل ما وقع منهم انما هو دفاع عن انفسهم بأمر من الله تعالى بعد التعدي عليهم (فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين، فان انتهوا فان الله غفور رحيم)

وان الاسلام لم ينه معتقيه عن موالاته من خالفهم ، ولم يمنعهم من مواساتهم الا اذا كانوا يقاتلونهم ويعادونهم، والقرآن اعظم دليل على ذلك (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الفاسقون) اترك بعد سماع هذه الآيات تشعر بان الاسلام ليس دين العدل والرحمة اذا ازلت عن بصرك عشاء العصبية ؟

فلو نظرت نظرة الانصاف ما وسعت الا التسليم بان آداب الاسلام في معاشره المخالفين احسن الآداب ، وكما عفا صلى الله عليه وسلم عن مذنب واحسن الى مسيء ؟ وان التاريخ يدلنا على انه كان يتحمل اذى الاعداء ، ودائما يتبع أثر السلم ولو بالحكم الشاق ، ألا تراه مع كثرة تطلعه الى مكة، وشدة شوقه الى الكعبة ، وحنينه الى حجر أبيه ابراهيم، كيف قبل ان يرجع ، مع وفرة القوة وامكان الوصول، وقساوة الشروط، التي منها أنه اذا ارتد احد من شيعته يقبلونه، واذا اسلم أحد منهم

(١) هذا غلط والمراد انه رأى عليا كرم الله وجهه

لا يقبله - على ما يقول التاريخ - وقد ترك زيارة البيت في هذا العام^(١). هكذا كان الاسلام ولم يزل في تسامحه وعدله بين أهليه ومعاشره .

ومن أدب الاسلام انه لم يسمح للمؤمنين أن يساعدوا الذين آمنوا ولم يهاجروا على من كان بينهم وبينهم ميثاق^(٢) (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، والله بما تعملون بصير)

ولعمري ما انتشر الاسلام على ما ترى الا بحسن آدابه وعدله في المعاملة. فان العدل يجمع القلوب، وبالأداب الحسنة تملك الازمة، ولا رأي للقائلين بالضغط والغلظة. والقول الفصل في هذا قول الله تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك) فان الله تعالى اعلم بقلوب عباده، خبير بما يوحدهم ويجمع كلمتهم، وقد انزل القرآن وضمنه ما يكفل ذلك ان قام به اهله . ولوتصفحت القرآن آية آية لا تجده يأمر بالغلظة على من التزم حده. وانما قل (ادفع بالتي هي احسن) وقال (فبما رحمة من الله لنت لهم) الخ

وقد اجمع عقلاء الاجتماع^(٣) على ان اللين خير من الشدة. مهما كانت القوة، وانه ما أثر هذا التأثير رجل واحد الا باعطاء الحرية وانتشار العدل ومخاطبته العقول، ويخيل لي بل ربما كان اقرب الى الحقيقة ان الذي يحتاج الى استعمال الشدة والقوة والغلظة هو من يدعو الى شيء باطل، فان العقول بطبعها تنفر عنه. فان اخذ اصحاب الباطل وسائل القسوة والضغط ربما امكن ان يخضعوا بعض الناس في الظاهر زمانا، ولا يلبث ان يحصل رد الفعل ويرجع الناس الى فطرتهم، وان الاسلام ما جاء بشيء يناقض الفطرة فكان مقبولا بمجرد وصوله الى الآذان الصاغية. ولذلك قال الله تعالى (ان عليك الا البلاغ) فلو ان المسلمين قاموا بما اوجب الله عليهم وبلغوا هذا الدين الى الناس كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح وتدبره الناس لدخلوا في دين الله افواجا

(١) المنار: يشير الكاتب الى صلح الحديبية ولكنه قصر في البيان واختار الاختصار الخلل (٢) أي من المشركين (٣) الظاهر انه كان يريد ان يقول « علماء الاجتماع » فسبق القلم

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطالب محي الدين رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك ربي ما احكمك ، واحكم شرعك ونبيك ، لقد صببت الآداب والفضائل كلها في كتابك الحكيم ، واجريتها على لسان خاتم المرسلين ، فبأي لسان نحمدك ونمجدك ؟ وبأي عمل نشكرك على آلائك واحساناتك ؟ فشكرا لك من عبد ضعيف ، وصلاة وسلاما على نبيك الأمين .

الاسلام وما ادراك ما الاسلام ؟ الاسلام هو ذلك الدين الذي سوى بين الأمير والحقير (بل لا حقير عنده) أما بلغك خبر الأمير العادل «عمر بن الخطاب» مع ذلك الأمير الغساني جيلة بن الایهم الذي وطئ الاعرابي وصفعه^(١) على قفاه ؟ هل قبل منه عمر أن يجعل بينهما درجات متفاوتات ؟ كلا ! ثم كلا ! ولذلك فر الغساني هاربا الى القسطنطينية ولا تسأل عما حل به من الندم بعد ذلك ، فشعره يشهد على ندمه العظيم هذا ما كان من عمر في قضية الأمير الغساني والصعلوك العربي ، وانظر الى ما كان منه مع ابن عمرو بن العاص حينما ساط القبطي الذي سبقه (ولا تنس فضل ابيه الفاتح وانه كان صغير السن قد يهفو) فقد كتب الى ابيه : يا عمرو منذكم استعبدتم^(٢) الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا ؟

ما هذا بعدل انسان ، انما هو من هدى القرآن ، نعم هذا هو سبيل الاسلام وأمرائه ، وليس بعجيب ان قلنا ان التاريخ لم ير أعذل منه . ولعلك تذكر أن عليا (وهو صهر الرسول وابن عمه) تحاكم مع يهودي امام قاض مسلم^(٣) فكناه القاضي ونادى الآخر يا يهودي ! فغضب علي من القاضي وقال له : ما كان لك ان

(١) الصواب : وطئ الاعرابي ذيله فصفعه الخ (٢) الرواية المشهورة « منذكم تعبدتم الناس » الخ وان عمر استقدم عمرًا مع ولده الى المدينة وأمر القبطي ان يضرب ابنه كما ضربه وقال له « اضرب ابن الاكرمين » اذ كان ابن عمرو لما ضرب القبطي يقول : انا ابن الاكرمين . (٣) انما تحاكم الى عمر بن الخطاب فخطب عمر اليهودي باسمه ، لا بنسبته الى قومه

تفعل هذا في موقف القضاء بل كان يجب أن تسميني وتسميه .
خير الأمور التسامح في محله وقد جرت الشريعة الإسلامية على هذه الفضيلة
وحشت عليها في مواضع شتى . وكمن موقف لأمراء الإسلام وعلمائه أسرع التاريخ
إليه فاقتنصه وحلى به جيده العاطل ، فالشريعة تنادي أهلها أن : خالقوا الناس
بخلق حسن . (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) « من غشنا فليس منا »
(يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام
لست مؤثما تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة، كذلك كنتم من قبل »
الآية . (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى) . (واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) .

ولو أردنا تتبع ما ورد في الشريعة من الآي والحكم الواردة بخصوص المخالفين
لنا فقط لما أمكننا في هذا الموقع ، غير أننا نعلم بالجملة من تاريخ السلف الصالح ومما
اقتبسناه وأرشدنا إلى تدبره من قرآن وحديث ، أن الدين الإسلامي خير دين
قد أخرج للناس يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحترم المصالح العامة والخاصة،
ولا يأمر إلا بكل خير وصالح لمعتقيه والمستظلين برأيه البيضاء، حتى يجعل الجميع
في هناء ، يرفلون في حلل السعادة وطيب العيشة الراضية :

لا تظن أن الإسلام احتقر أهل الذمة واهتضم حقوقهم . كلا ! بل هو مع ذلك
لم يرغمهم على الدين به وهو خير دين (لا إكراه في الدين) فالدين قد جعل لهم
أحكاما ترضيهم، فعقد لذلك الفقهاء الأبواب والفصول ، وكلها مستمدة من الدين
القويم، فقد جعلهم أحرارا ، وإي حرية أكبر من حرية ذلك اليهودي الذي أخذ
بتلايب النبي صلى الله عليه وسلم يجذبه إليه ويصيح به . فهم عمر باستلال السيف
فناداه النبي : دعه فإنه له حقا (١)

(١) الرواية أن اليهودي أراد اختبار خلق النبي (ص) فاشترى منه تمرا إلى
أجل وأعطاه الثمن وجاء يطالبه بالتمر قبل الأجل يومين ، فأخذ بمجامع قميصه
وردائه ونظر إليه بوجه غليظ وقال : ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فوالله إنكم يا بني عبد
المطلب مطل . فوبخه وهدده عمر فقال له النبي (ص) بهدوء « أما وهو كنا =

هذه الواقعة التي وقعت من ابي المسلمين محمد (ص) تعطينا درساً اجتماعياً كبير الأهمية عظيم المنفعة . وتعظم منزلة الدين في نفوسنا ، ولعلنا نقوم فنحيا كي سلفنا الصالح ونسير على نهجه اتقويم فنعود أمة حية ، وليس بعجيب على التاريخ أن يعيد نفسه ؛ ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لهذا بدون إثارة الغبار على من خالفنا ، كما نسأله أن يهدي مخالفينا ويجعلنا أمة صالحة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

إنشاء الطالب عبد الرحمن عاصم

اقتضت حكمة الله تعالى بأن يرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، بدين الفطرة السليمة والعقل الصحيح ، ليكون الناس أمة واحدة تجمعهم جامعة الدين على كلمة الاخلاص لله وحده ، والشهادة لبيده محمد (ص) بالرسالة ، فجاء صلى الله عليه وسلم بمبشر وناذير ، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، جاء كما قال (ص) ليتم مكارم الاخلاق ، جاء بالآداب السامية والاخلاق الشريفة ، من بعد ما أعد الله تعالى لقبولها نفوساً زكية وأرواحاً طاهرة ، فتقبلتها بقبول حسن ، وأثبتتها نباتاً حسناً ، فكان الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، لما يرون من السعادة في لباسها . وقد سمعت عن كاتب فرنسي ترجم رواية عربية وكتب لها مقدمة قال فيها ما معناه — إن من سوء حظ فرنسا أن صادمت العرب [ويريد المسلمين] . ومنعتهم من استعمار بلادها ، لأنها لو تركتهم يعمرّون البلاد لسبقت فرنسا الأمم الى المدنية والحضارة بسنين عديدة ^(١) هذي شهادة رجل بعيد عن الآداب الاسلامية — والفضل ما شهدت به الأعداء — ^(٢) يقول الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون

= احوج الى غير هذا منك يا عمر : تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التقاضي ، اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعاً مكان ما رعته » فأسلم اليهودي لذلك . رواه الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي . (١) الصواب لسبقت الأمم الاوربية بعدة قرون . والرواية التي اشار اليها هي رواية العباسة أخت الرشيد لجرى بك زيدان (٢) لإيراد هذا المثل من حجة على الكاتب

عن المنكر) وبين طريقة الدعوة واسلوبها بقوله سبحانه (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي احسن) فيهدي الآية امرنا الله تعالى بأن ندعو ونخاطب مخالفينا ومعانديننا باللين واللفظ، ونحاجهم بالتى هي احسن، حتى نستميلهم الى الاسلام ليكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

والآثار التاريخية التى تدل على تسامح المسلمين مع مخالفينهم كثيرة منها أن يهوديا لقي النبي (ص) وطالبه بدين له ثم امسك بثوبه وهزه ، وصفح عنه الرسول (ص) الصفح الجميل . ومن آداب الاسلام فى معاملة المخالفين أن الرسول (ص) كان غانما فى غزوة من غزواته نعماء كثيرة وجاءه احد كبار المشركين وراها ترى فأعجب بها فوهبه اياها الرسول (ص) فأسلم المشرك لما رأى من سماحة النبي (ص) وكرم اخلاقه . ومن آداب الاسلام فى معايشة المخالفين أن ابن فاتح مصر كان يتسابق مع المتسابقين فسبقه قبلي فأخذته العزة فلطمه ، ووصل الخبر لصاحب العدل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني ، فكتب الى ابن العاص يعاتبه على هذا ويرجره قال (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد وضعتم أمهاتهم احراراً)^(١) ومن ذلك ما يحكى عن جبلة بن الايهم أنه كان يطوف فى البيت مسبلاً إزاره ومر به فزاري فوطئ الأزار فسقط عن منكبي جبلة فلطمه جبلة لطمه فشكا الفزاري جبلة لسيدنا عمر (رض) فأمر عمر بأخذ حق الفزاري من جبلة - وكان من كبار العرب - فقال جبلة يا عمر أئساويني بهذا الرجل وانا ابن الايهم ؟ فقال عمر (رض) الاسلام قد ساوى بينكما . الخ

ومن آداب الاسلام التسوية فى الحقوق بين الناس . ومن ذلك ما روي فى رسالة سيدنا عمر بن الخطاب الى عبد الله بن قيس فى القضاء^(٢) (سو بين الناس فى عدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك) هذا وان من ينظر فى جميع الأديان التى عليها الناس فلا يجد ديناً كالدين الاسلامي فى آدابه فى معايشة المخالفين ومعاملتهم . فقد روي عن نبي الرحمة محمد (ص) انه

(١) بينا الصواب من الرواية فى هامش النبذة التى قبل هذه (٢) كتاب عمر فى القضاء هذا كتبه الى ابي موسى الاشعري (رض)

قال في الذميين ما معناه (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) (١) وقد عرفنا التاريخ ذلك فانهم بقوا في اوطانهم يقيمون شعائر دينهم آمنين على انفسهم متمتعين بالرفاهية والنعيم . كل ما اتيت به من حسن معاشرة المسلمين للمخالفين ومن المساهلة في معاملتهم انما هو اثر من آثار الدين الاسلامي الذي جاء به محمد (ص) نورا وهدى ومزكيا ، جاء الناس بسلام من عند ربهم ليكونوا به آمنين ، جاء مسهلا لا معسرا ، مبشرا لا منفرا ، ليجمع الناس على صفاء واخلاص يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه ، بل (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)

اذا تبين لنا ما جاء به الاسلام من حسن المعاشرة ، واللين في المعاملة ، فلا يضيرنا قول جاحد . ولا يهمننا صوت مفسد ، اذ ليس من كل الاصوات تجب الهية . بل تقول لأولئك المنكرين لهذه الفضائل (لكم دينكم ولي دين) كيف لو لاء الناس يقولون على دين الله ما لا يعلمون ، ويزعمون أن الاسلام شديد في معاملاته ، والله يقول (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهي عن افحشاء المنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)

آداب الاسلام في معاشرة المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطالب عبد العزيز العتيقي

الدين الاسلامي دين الرحمة والعدل ، دين الحكمة والعقل ، دين الاحسان والفضل ، دين يأمر بالاحسان لجميع البشر ، دين يأمر بالرفقة بالحيوان فضلا عن الانسان ، يظهر ذلك في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله ، وما جرى عليه الخلفاء الراشدون وجميع السلف الصالح من بعده

أجل نظرة في سيرته الطاهرة تجدها حافلة بالمواعظ مشحونة بالوصايا بالحث على الاحسان لجميع الخلق كقوله (ص) « اخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله » وقوله « في كل ذي كبد حري صدقه » (٢) « ما هذه الرحمة والحنان ! ما هذه الشفقة

(١) الحديث ورد في المهاجرين ، واستعمل العلماء العبارة في حقوق الذميين

(٢) الحديث « في كل ذات كبد حري اجر »

والاحسان ! ما هذه الرأفة التي لم تقصر على بني البشر بل عمت كل من اتصف بالحياة .
 الله اكبر ان دين محمد وكتابه أقوى واقوم قیلا
 لاتذكرا لكتب السماوية^(١) عنده طلع الصباح فأطفئ القنديلا
 أدر بصرک في أفعاله (ص) تجد انه كان يقابل السيئة بالحسنة . اضرب لك
 مثالا صغيرا تقيس عليه ما لم تعلم . كان احد اليهود يؤذيه (ص) ويضع الاقدار
 في طريقه اذا خرج الى المصلى ، فلما مرض ذلك اليهودي فقده (ص) بفقد ما كان
 يضع فسأل عنه (ص) فقبل انه مريض فذهب (ص) لزيارته . فلما رأى ذلك اليهودي
 فعله وحفاوته به مع علمه انه يعلم ما كان يصنع في اذيه ، قال اشهد ان لا إله الا الله ،
 وان محمدا عبده ورسوله . فيا حبذا لو جرى المسلمون على هذه القاعدة في معاملة
 مخالفينهم في الدين ، اخوانهم في الوطن والبشرية . فوالله لو جروا على هذه القاعدة
 لدخل الناس في دينهم افواجا .

من راجع القرآن الشريف وجد نصوصه الكريمة في كيفية الدعوة تدور على
 محور الحكمة والعقل والاحسان والفضل . قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة
 والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) وامتن تعالى على نبيه (ص) بقوله (فبما
 رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقال تعالى
 (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال (ولا تجادلوا اهل الكتاب
 الا بالتي هي احسن)

نرجع الى النظر فيما جرى عليه السلف الصالح في ذلك اي في معاملة مخالفينهم
 في الدين ، نجد أنهم جعلوا لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، لا فرق بين المسلم وغيره في
 الحقوق . انظر الى ما قاله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لعمر بن العاص فاتح مصر
 حينما تسابق ابنه مع ابن القبطي فسبقه فلطمه ابن عمرو واقتخر عليه بآبائه ، فلما بلغ
 ذلك عمر رضي الله عنه ارسل اليه يهدده ويقول له : « متى استعبدتم الناس يا عمرو وقد
 ولدتهم أمهاتهم احرارا » وحكم عليه بان يرضي القبطي او يقتص منه^(٢) . وقصة اليهودية

(١) الصواب : السوائف (٢) تقدم الصواب في الرواية

٥٥٤ هدي الاسلام في معاشره المخالفين في الدين وغيره (المنار - ج ٧ م ١٧)

صاحبة البيت الذي كان في المسجد مشهورة، بل نرى من تسامحهم انهم قد أرقوهم (٩) الى اعلى المراتب فأتخذوا منهم الكتاب وغيرهم، وقد اتخذ الحرس في المدينة المنورة في يوم من الايام من النصارى . ومن راجع تاريخ الدولة العباسية في عنفوان التمدن الاسلامي رأى أن للذميين من ذلك حظا وافرا، فقد أرقوهم (٩) الى اعلى المناصب فصار منهم الاطباء والندماء للملوك وغيرهم. هذه المعاملة تمثل لنا عدالة الدين الاسلامي وتسامحه وآدابه الراقية

فعلى رجال الدعوة والارشاد الذين قد اخذوا على عواتقهم هذه الامانة وعاهدوا الله عليها - وهي ارشاد المسلمين الى اوامر دينهم ودعوة غيرهم اليه - أن يظهروه في ثوبه الحقيقي ، وان يجعلوا نصوص الكتاب والسنة وأعمال النبي « ص » والسلف الصالح امام اعينهم ليسيروا عليها ، وليفطنوا لمقاصد الدين التي جاء اليها ، وهي اصلاح نفوس البشر وتحليتها بالفضائل ، وتطهيرها من الرذائل ؛ لتكون اهلا لجوار الله تعالى في الآخرة ، واصلاح حال المجتمع الانساني في هذه الدار التي قدر له ان يعيش فيها برهة من الزمن . وليعلموا الناس أن الله قد جعلهم شعوبا وقبائل للتعارف والتعاون (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقوله (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وان الله غني عن العالمين .

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملاتهم

انشاء الطالب محمد أبوزيد

قال الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبوهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) من فقه حكمة الاسلام ووقف على مقاصده وما يرمي اليه، عرف أن المراد منه اتمام الفطرة البشرية بما يصلح به شأن الانسان في حياته الاولى ، ويتال به الرضوان الاكبر في حياته الأخرى (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) ولما كان حسن المعاشرة والمعاملة من اعظم ما يكون في النفس الملكات الفاضلة ، ويقوي الصلة بين الافراد والامم، كان مما امتاز به ذلك الدين العناية بشأنها ، والحث عليها ، غير ناظر الى ما يكون عليه المعاشر او المعامل من المخالفة - وليست المخالفة قاصرة على الدينية فقط بل يدخل فيها الجنسية واللغوية وغيرها

ولقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فلم يتجاوز امر ربه في دعوة مخالفتي دينه بالحكمة والموعظة الحسنة (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) حتى كان من تمام رفته في مخاطبته ما حكاه عنه ربه (وانا اياكم اعلى هدى اوفي ضلال مبين) ولم يترك التلطف في معاملاتهم حتى جعل لمن دخل في حوزته واطمان من جهته الامان من كل ما يشينه، وحافظ على حقوقه كما يحافظ على جميع المسلمين . وسار من بعده من اهل العدل على قوله (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) حتى لقد شغل كثير منهم مراكر في الحكومات الاسلامية المتقدمة وغير ذلك مما يشهد به التاريخ

هذا وان الاسلام بريء مما يرميه به اعداؤه من التعصبات الدينية - على زعمهم - نظرا لما قرره في اصوله المبينة على الدليل والبرهان « قد تبين الرشد من الغي » كما وانه (؟) قد قضى على الجنسيات والامتيازات بغير ما فيه التقى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) فما اعظمه من دين سوى بين الطبقات بعده ، فاقذ الناس من العبودية القديمة ، وما اعرفه بحقوق الانسان ! قرر الفضيلة برتبتيها - العدل والاحسان - فقبض له بالاولى ليكون مرفوع الرأس آمنا من الذل (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وخيره في الثانية ليدوق حلاوة فضله ويشعر بلذة احسانه (فمن عفا واصلح فاجره على الله)

فوالله ما وجد للبشر دين أرحم على الانسان منه ، ولا عرف ضمير المخالفين معاملة أوفى من معاملته ، دين يقول كتابه (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) جدير بان يسود بمتبعيه

دين يقول نبيه « سلم على من عرفت ومن لم تعرف » « خالق الناس بخلق حسن » حقيق بان يسعد من دخل في حظيرته . دين يقول كتابه (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ويقول نبيه « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » لا يسع كل مجرد عن الاغراض بعيد عن الهوى الا ان يقر بفضله ، ويخر ساجدا لآياته

دين قد شهد لنفسه بما أحدثه في العصور الخالية من الانقلاب المدهش، وافر له اعداؤه - والفضل ما شهدت به الاعداء - بان التاريخ لم يرا اكثر عدلا ولا احسن معاملة من اهل الله ، لاشك في تسامحه ، ولا ريب في كونه دين الاصلاح العام لجميع البشر

مصائب مصر والشام . برجال العلم وحملات الاقلام

٢ - الشيخ حسن المدور

هو من بيت معروف في بيروت . اشتغل من اول نشأته بطلب العلوم العربية والشرعية ، وصحب الاستاذ الامام ايام هجرته في بيروت وتلقى عنه ، فاستنار عقله ، واشرب حب الاصلاح في قلبه ، ولكنه كان يداري الجامدين ، ويخاف شر المستبدين ، فلماذا لم ينهض بالدعوة الى الاصلاح ، ولم يقيم بمظاهرة الظاهرين بها في زمن الاستبداد . على انه كان يدرس ويفيد الطلاب باعتداله ورويته ، وقد رغب الي منذ سنتين ان ارسل اليه ما طبع من (تفسير القرآن الحكيم) ليقرأه درسا في الجامع الكبير ، فلم ابادر في ارساله اليه ، فكنت في ذلك مخطئا ، وما كنت التمسه لنفسي من العذر في التأخير كان ضعيفا .

وكان الفقيه كريم الاخلاق ، حسن المعاشرة ، واسع الحلم ، شديد الاحتياط في أموره ، فوجود فقيه مثله في بيروت كان ضروريا ، اذ كان رحمه الله تعالى وسطا بين تشديد الجامدين ، وشذوذ المتساهلين المفرطين ، فهو من الافراد الذين لا تستغني أمتنا الاسلامية في قطر ولا مصر عن واحد أو آحاد منهم في هذا العصر - عصر التحول والاثقال . وقد كان مسلمو بيروت مستفيدين من هذه المزية من مزاياه وان لم يعرفها له الجمهور منهم .

وقد صار في العهد الاخير أمينا للفتوى في بيروت فكان خير عون وظهير لمفتيها لهذا العهد صديقنا الشيخ مصطفى نجا . ويسوءنا اننا لا نعرف من ترجمة هذا الصديق شيئا كثيرا نثبتته في ترجمته ، ليكون ذكرا باقيا له ، فنحن نعلم انه كان يفيد طلاب العلم والمستفتين بعلمه وعقله وأدبه . ولا ندري أكتب شيئا من الكتب والرسائل المفيدة ام لا . وقد خسرت بيروت بفقده خسارة لا عوض لها الآن عنها ، لضعف الاشتغال بالعلوم الدينية فيها . وهو قد دخل في العقد السادس من عشرات سني عمره ، وكان جيد الصحة فعرض له المرض أياما معدودات انتهت بإجله ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة

٣ - الشيخ محي الدين الخياط

ولد بمدينة صيدا في رجب سنة ١٢٩٢ فكانت وفاته في أواخر السنة القمرية لمتممة للاربعين : وراينا في بعض جرائد بيروت التي أبنته ان والده من السلالة العلوية ، وانه لرغبته عن التفاخر بالانساب لم يكن يعرف عنه كلمة تدل على ذلك ، وان أمه ألبانية الاصل ، وكانت كريمة الخلق ذكية الفؤاد ، فهي التي تولت تربيته

وعنيت بتعليمه . وقد تعلم التعليم الابتدائي في مدرسة لجمعية المقاصد الخيرية في بيروت ، وتلقى بعض علوم الأدب والدين عن الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي والشيخ يوسف الاسير البيروتي اللذين انتهت اليهما رئاسة العلوم العربية والشرعية في بيروت . ثم كان جل تحصيله بمجده واجتهاده في المطالعة والمراجعة والتعليم ، وعني بالكتابة المصرية ونظم الشعر فكان في الرعيل الأول من فرسانها في وطنه . وعلم في بعض المدارس ، وحرر في عدة جرائد ، وألف عدة كتب قرظها المنار في ازمته نشرها ، حتى صار اشهر شبان النهضة الاسلامية في بيروت

لقيته في بيروت قبل هجرتي الى مصر ، فاذا هو شاب يتدفق غيرة على الامة وشعورا بسوء حالها ، وشدة حاجتها الى الاصلاح ومجاعة الامم الحية . ولما أنشأت المنار جعلته وكيلا له في بيروت وما يتصل بها ، فقبل ذلك بالارتياح ، وكان مغتبطا بالمنار اشد الغبطة ، على ما كان في ذلك من الخطر والتعرض لاذي الحكومة الحميدية . ولكنه عهد بعد ذلك بتوزيعه وجمع مال اشتراكه لصاحب له من ذوي المطامع الدنيئة وفاسدي الاخلاق ، فغشنا به - غير متعمد - عدة سنين سامحه الله وعفا عنه . كان الفقيد صاحب همة عالية ، وحب للاستقلال الفكري والحرية ، وميل شديد للسياسة ، ولو أتيح له ان يعيش في بلاد حرة يعمل يستقل به لظهر من استعداداته ما كان كامنا ، ولصار من اشهر كتاب العصر المصلحين . ولكنه كان ضعيف الثقة باستقلال نفسه في العمل ، فلم يتجرأ على الهجرة ولا على النهوض بعمل مستقل غير مضمون الربح ، ولهذا باع قلمه لاصحاب الجرائد بالاجرة مراعيًا مشاربهم ومذاهب سياستهم فيها ، فكان لا يؤلف كتابا الا بعد ان يتعاقد مع رجل يطبعه على نفقته ، ويكون ملكا لطابعه من دونه ، وكان الباعث له على ذلك الحاجة الى المال ، وحب التعجل بربح قطعي بلا نفقة ولا انتظار ، وكان من لوازم هذه الطريقة من الكسب بالقلم اختيار ما يروج عند الطابعين وسرعة التأليف ، فالوقوف به عند حد في استطاعة المؤلف ما هو اعلى منه . ولولاها لم يحصر جل ما كتبه في كتب التعليم الابتدائي ، فانه لم يؤلف الا كتب دروس التاريخ الاسلامي والعربية والفقه والمطالعة للمدارس الابتدائية . وعلق على ديواني ابي تمام وابن المعتز تفسيراً اعرييهما سلك فيه مسلك الاختصار المخل ، وواقعه الاستعجال في كثير من الغلط ، على أنه كان من أحرص كتاب العصر على ضبط اللغة وصحة العبارة ، والثقة مما يضبطه بدقة المراجعة . فكان بضاهي الشيخ ابراهيم اليازجي في هذا . وكان يعرف اللغة التركية ، وترجم عنها قصة (الوطن) لنا مق كمال بك الشهير . وكان يرجى من خدمته للغة العربية ما هو اعظم من ذلك ، ولكن كان من سوء حظ الامة العربية ان فقدته عند ما بلغ اشده واستوى ، وقوي في اتقان خدمة الامل والرجاء . عرضت له حمى وهو في عنفوان

قوة ، فقضت في اسبوع واحد على حياته ، فحسرت بفقده الامة العربية قلما سيالا ، وذهنا جوالا ، وهمة لا تعرف ملالا ولا كلالا .

٤ - الشيخ محمد جمال الدين القاسمي

هو علامة الشام ، ونادرة الايام ، والمجدد لعلوم الاسلام ، محيي السنة بالعمل والتعليم ، والتهذيب والتأليف ، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف ، والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن ، الفقيه الاصولي ، المفسر المحدث ، الاديب المتفنن ، التقى الاواب ، الحليم الاواه ، العفيف الزيه ، صاحب التصانيف الممتعة ، والاجاث المقتنة ، صديقنا الصفي ، وخلصنا الوفي ، واخونا الروحي ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، واحسن عزاءنا عنه .

نشأ الفقيد في بيت من بيوت العلم والدين في دمشق الشام ، ولد سنة ثلاث وثمانين ومئتين والف . وتلقى مبادئ العلوم العربية والشرعية عن والده الشيخ سعيد بن الشيخ قاسم الملقب بالخالق . والقاسمي نسبة الى الشيخ قاسم هذا . والديه علوية يتصل نسبها بنسب الشيخ ابراهيم الدسوقي الشهير . وقد غني الفقيد في آخر عمره باثبات هذا النسب ، وكتب له شجرة ، وجاء مصر في العام الماضي لشؤون تتعلق بذلك . فسررنا ببقائه ، وجددنا ما لا تخلقه الايام من عهود اخائه . وكتبنا له كما أحب كلمات على نسبه . وقد صار بعض تلاميذه واصحابه يطلقون عليه لقب « السيد » بعد تحرير هذا النسب ، بناء على القول بعموم شرف الاسباط . ولكن العرف الذي عليه أكثر المسلمين على خلاف هذا القول . والكثيرون من أهل سورية يطلقون لقب « السيد » على من ليس له لقب علمي ولا رسمي ، ولعل ذلك من نزغات الامويين ، في هضم حقوق العلويين . والشيخ غني عن هذا اللقب ، الذي لا يفهم المراد منه أحد .

وقد تلقى العلوم المتداولة في الشام عن الشيخ بكري العطار اشهر علمائها وفقهاء الشافعية فيها ، وكان يحضر مجالس الاستاذ الكبير الشيخ عبد الرزاق البيطار بمجدد مذهب السلف في الشام ، وقد استفاد من علمه وعقيدته الاثرية وهديه واخلاقه المرضية ، ما لم يستفده من غيره . وصحب الاستاذ المعن المكنى الشيخ طاهراً الجزائري ، فاستفاد من صحبته علماً بحال العصر ، ومعرفة بنوادر الكتب وغرائب المسائل ، وصحب العالم المستقل الشيخ سليم البخاري ، وأترابا من خيرة شبان العصر المدنين كرفيق بك العظم ومحمد افندي كرد علي وغيرها وجماعتهم . فكان لصحبة هؤلاء الشيوخ والشبان ، وهم خير من انبتت الشام في هذا الزمان ، تأثير عظيم في حياته العلمية ، من حيث فتحت لاستعداده الفطري ، واستقلاله الوهي ، ابواب البحث والتحقيق ،

وعدم الوقوف عند المسلمات من التقاليد ، ونبهته الى حاجة الامة الى الاصلاح المدني كحاجتها الى الاصلاح الديني . وجاء مصر مع الاستاذ البيطار ، على عهد الاستاذ الامام ، فاغبطا ببلقائه واغبط ببلقائهما ، وصارت المكاتبة بعد ذلك متصلة بينه وبينهما وإنما كان جمال الدين ذلك الرجل بجوهر نفسه ، وقوة استعدادة ، وكم من طالب علم سمع مثل ما سمع ، ولقي من الشيوخ والشبان مثل من لقي ، فأنكر كل ما خالف - وعلى كل من خالف - ما عرف وألف . ولم يهده ذلك الى طلب علم جديد ، ولا الى مراجعة النظر واستشارة الدليل . فالحق ان الافراد الذين امتازوا في هذا العصر من أمتنا بالعلم الصحيح والتصدي للاصلاح ، انما امتازوا اولا بقوة الاستعداد ، والميل الفطري الى الاستقلال ، ثم سلوك النظر والاستدلال ، فمن كان هكذا تفعه لقاء اهل الاختصاص ، والاطلاع على احسن الكتب والسفار ، فيكون في ذلك كالتحفة في الروض ، تحني من ناضر الازهار ويانع الثمار اطيب ما فيها .

رغبت بعض المدرسين ، في قراءة كتاب احياء علوم الدين ، فقلب اوراقه كلها او بعضها ، فلم يقع اختياره على شيء يقرأه منها ، الا بعض حكايات الصالحين ، وبعض الآثار في فضائل الاعمال . فهو لم يستفد من علم الغزالي مسألة ما ، ولم يعقل من خصائص الكتاب شيئا . ذلك بان هم ذلك المدرس كان محصورا فيما رأى عليه أمثاله ، وهو انتقاء ما يرضي الناس ويلذ لهم ، ولا يذكرهم بشيء من جهلهم ، ولا يكشف لهم الستار عن شيء من عيوبهم ، ولا ينذرهم سوء اقامة افراطهم وتقریطهم . نعم ان كل فرد من أولئك الافراد القلائل الذين نعدهم في هذا العصر من المصلحين - وصديقنا المترجم منهم - لم يكن امتيازهم الا بصفاء جوهرهم وقوة استعدادهم الفطري للاستقلال والكمال . مع التوفيق للطلب والاشتغال ، واتفاق لقاء بعض أصحاب المزاي من الرجال ، ذلك بأنه ليس في أمتنا مربون ، ولا معلمون مصلحون ، لا في البيوت ولا في المدارس ، ولو وجد فينا كثير من القادرين على التربية الصحيحة والتعليم الاستقلالي ، لوجد في كل بلد - لافي كل قطر فقط - كثير من أمثال القاسمي .

ظهر الشيخ جمال الدين في الشام على حين فترة من العلماء ، فقد كان من ادرك من كبار شيوخها آخر الذين عنوا بدراسة الكتب المعهودة التي يطلق على مدارسها لقب (علماء) على ان العلم الصحيح - وهو العلم الاستقلالي المبني على الدليل - كان قد حجر عليه وحكم بحريمه من عدة قرون ، فلم يكن أحد يشم ريحه ولا يشم وميضه الا قليلا ، وصار الناس كالخفافيش لا يفتحون في هذا النور عينا ، ولا يحيلون في شعاعه فكرا . . . ظهر الفقيد وفي دمشق الشام أفراد ورثوا عن آباءهم واجدادهم عمائم العلماء والقابهم والرواتب التي كانوا يأخذونها من اوقاف المسلمين

ولم يرثوا عنهم من العلم بتلك الكتب شيئا . فاتهم العلم ولم يفتهم صرف الاوقات كلها في استنباط الحيل للتمتع بجاهه ومجده ، تبعا للتمتع بالقابه وأزيائه ونقده ، فكان من اكبر الخطوب عليهم ان يروا في الشام عالما يتصدى للتدريس والتصنيف ، ويبين حاجة البلاد الى الاصلاح والتجديد . فاذا تصدى لذلك أحد يكدون له المكاييد ، وينصبون له الحبائل ، ويغفونه الفتنة ، ويجعلونه في موقف الظنة ، فيسعون به الى الحكم ، انصار كل منافق ، ويهيجون عليه العوام ، اتباع كل ناعق . فاذا يعمل العالم المصلح بينهم ؟

اذا كان عمل القاسمي الاصلاح وتجديد علوم الدين صغيرا في نفسه ، فهو كبير جدا في بلاده و بين قومه ، فما القول فيه اذا كان عمله كبيرا في الواقع ، وقد عظم المطلوب وقل المساعد ؟

كان رحمه الله تعالى يقرأ الدروس العربية والشرعية للطلبة وللعمامة ، ويخطب في المسجد خطبة الجمعة ، ويصنف الرسائل والأسفار الممتعة ، ويصحح ما يرى نشره نافعا من كتب المتقدمين ، ويشرح المختصر ويختصر المطول منها ، ويسعى في طبعها ونشرها ، ويث روح الاستقلال والاستدلال في ذلك كله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي احسن . وكم سعى فيه وكاد له أولئك المعمون الجامدون فأنجاء الله منهم ، وان اكبر الكبائر التي يتهمون بها كل من يدعو مثله الى العلم والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، هي محاولة هدم الدين بفتح باب الاجتهاد والاستدلال ، وما يستلزمة ذلك بزعمهم من تحقير الأئمة ، ومن اتبعهم من علماء الأمة !! وقد اتهم مرة بذلك مع بعض اصدقائه وعقد لهم مجلس في المحكمة الشرعية وسألهم القاضي عن تلك التهمة ، واخذ الفقيه من دونهم الى دار الشرطة ، وحبس فيها بضع ساعات .

كان له رحمه الله تعالى دروع سابغات من اخلاقه وسيرته ، تقيه بغى أعداء العلم والاصلاح من حساده ، اذ كان نزه اللسان ، بعيدا عن المراء والجدال ، متجنبيا للازراء بغيره ، والتعريض بغميزة خصمه او مدح نفسه ، غير مزاحم لوارثي العمائم على الخطام ، ولا مسابق لهم الى ابواب الحكم ، - الى ما كان عليه من العبادة ، والعفة والاستقامة .

(للترجمة بقية)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

الملك
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيسمعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

مصر سلخ شعبان ١٣٣٢ هـ ق ٢ الصيف الثاني ١٢٩٢ هـ ش ٢٤ يوليو ١٩١٤

فَتَاوَى الْمُنَارِ

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع طامة الناس، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قدمنا متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبتنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى، فان تذكره

(وجوب تعلم العربية على كل مسلم)

(١٩ س) من صاحب الامضاء بمصر

السيد الامام صاحب المنار

قرأنا في أعداد سابقة من مجلتكم المنار أدلة وجوب تعلم اللغة العربية على كل مسلم وأشرتم في بعض الاجزاء الى ان الامام الشافعي (رح) قال بذلك . ثم قرأنا في الجزء السابع من المجلد ١٧ قول عبيد الله صاحب «قوم جديد» باستغناء المسلمين عن تعلم العربية . فترجو أن تنشروا قول الامام الشافعي بذلك الجأماً لذلك الدجال واطمئنا لقوم يؤمنون ؟

مستفيد

يقرأ المنار

(ج) جاء في رسالة الامام الشافعي التي هي أول رسالة كتبت في أصول الفقه برواية الربيع بن سليمان المرادي ما نصه :

(قال الشافعي) رضي الله عنه والقرآن يدل على أن ليس في كتاب الله شيء الا بلسان العرب ، ووجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه تقليدا له وتركاً للمسألة له عن حجته ومسألة غيره ممن خالفه ، وبالتقليد أغفل من أغفل منهم والله يغفر لنا ولهم . ولعل من قال: ان في القرآن غير لسان العرب، وقبل ذلك منه ذهب الى أن من القرآن خاصا يجهل بعضه بعض العرب ، ولسان العرب أوسع الالسننة مذهبا وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبي ، ولكنه لا يذهب

منه شيء على عامتها ، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه ، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه ، لا نعلم رجلا جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء ، فاذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن ، واذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها ، ثم كان مذهب عليه منها موجودا عند غيره ، وهم في العلم طبقات ، منهم الجامع لا أكثره وان ذهب عليه بعضه ، ومنهم الجامع لاقل مما جمع غيره ، وليس قليل مذهب من السنن على من جمع أكثرها دليلا على أن لا يطلب علمه عند غير أهل طبقة من أهل العلم ، بل يطلب عند نظرائه ما ذهب عليه حتى يوثق على جميع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبي هو وأمي ، فينفرد جملة العلماء بجمعها ، وهم درجات فيما وعوا منها . وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها لا يذهب منه شيء عليها ، ولا يطلب عند غيرها ولا يعلمه الا من قبله عنها ، ولا يشركها فيه الا من اتبعها في تعلمه منها ، ومن قبله منها فهو من أهل لسانها ، وانما صار غيرهم من غير أهل بتركه ، فاذا صار اليه صار من أهل ، وعلم أكثر اللسان في أكثر العرب أعم من علم أكثر السنن في أكثر العلماء

فان قال قائل : فقد نجد من العجم من ينطق بالشيء من لسان العرب ؛ فذلك يحتمل ما وصفت من تعلمه منهم ، فان لم يكن ممن تعلمه منهم فلا يوجد ينطق الا بالقليل منه ، ومن نطق بقليل منه فهو تبع للعرب فيه ، ولا ينكر اذا كان اللفظ قبل تعلمه أو نطق به موضوعا أن يوافق لسان العجم أو بعضها قليل من لسان العرب ، كما ياتفق ^(١) القليل من السنة العجم المتباينة في أكثر كلامها ، مع تنائي ديارها واختلاف لسانها ، وبعد الاواصر ^(٢) بينها وبين من وافقت بعض لسانها منها

فان قال قائل : ما الحجة في أن كتاب الله محض بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره ؟ فالحجة فيه كتاب الله ، قال الله تبارك وتعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) فان قال قائل : فان الرسل قبل محمد صلى الله تعالى عليه

(١) قوله ياتفق هو مضارع بمعنى يتفق لكن لم تدغم فيه فاء الافتعال بل قلبت حرقا لنا من - نس الحركة قبلها وهي لغة أهل الحجاز يقولون : ايتفق ياتفق فهو موثق ولغة غيرهم الادغام (٢) الاواصر جمع أصرة وهي الرحم والقراية

وسلم كانوا يرسلون الى قومهم خاصة وأن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى الناس كافة ، قيل : فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ، ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه أو ما أطاقوه منه ، ويحتمل أن يكون بعث بألسنتهم ، فإن قال قائل : فهل من دليل على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون ألسنة العجم ؟ (قال الشافعي) رحمه الله تعالى : فالدلالة على ذلك بينة في كتاب الله عز وجل في غير موضع ؛ فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهم بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون بعضهم تبعا لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع . وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا يجوز — والله تعالى أعلم — أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد ؛ بل كل لسان تبع لسانه ، وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه . وقد بين الله تعالى ذلك في غير آية من كتابه . قال الله عز ذكره (وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين) وقال (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) وقال (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها) وقال تعالى (حم ، والكتاب المبين ، انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها . ثم أكد ذلك بأن نفى عنه جل وعز كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه فقال تبارك وتعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقال (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته ، أأعجمي وعربي ؟) .

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى : وعرفنا قدر نعمه بما خصنا به من مكانه فقال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه) الآية — وقال (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) الآية ، وكان مما عرف الله تعالى نبيه عليه السلام من انعامه عليه ان قال (وانه لذكر لك ولقومك) فخص قومه بالذكر معه بكتابه

وقال (وأنذر عشيرتك الاقربين) وقال (لتنذر أم القرى ومن حولها) وأم القرى مكة وهي بلده وبلد قومه ، فجعلهم في كتابه خاصة وأدخلهم مع المنذرين عامة ، وقضى أن ينذروا بلسانهم العربي لسان قومه منهم خاصة . فعلى كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله تعالى وينطق بالذكر فيما اقتضى عليه من التكبير وامر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك . وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيرا له ، كما عليه ان يتعلم الصلاة والذكر فيها ، ويأتي البيت وما أمر باتيائه . ويتوجه لما وجه له ويكون تبعا فيما اقتضى عليه وندب اليه لا متبوعا

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى وانما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيرهم لانه لا يعلم من ايضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها ، ومن علمها انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها ، فكان تنبيه العامة على ان القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين ، والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه ، أو ادراك نافلة خير لا يدعها الا من سفه نفسه وترك موضع حظه ، فكان يجمع بين النصيحة لهم قايما بايضاح حق ، وكان القيام بالحق ونصيحة المسلمين طاعة لله . وطاعة الله جامعة للخير

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى : أخبرنا سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة قال سمعت جرير بن عبد الله يقول : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على النصيح لكل مسلم . وأخبرنا سفيان بن عيينة عن سهيل ابن أبي صالح عن عطاء بن يزيد الليثي عن تميم الداري ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة — قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال — لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم » اه المراد منه

فصل*)

اذا ثبت هذا انتقلنا منه الى معنى آخر :

وهو أن المحرم ينقسم في الشرع الى ماهو صغير والى ماهو كبير -
حسبما تبين في علم الاصول الدينية - فكذلك يقال في البدع المحرمة
إنها تنقسم الى الصغيرة والكبيرة اعتبارا بتفاوت درجاتها - كما تقدم -
وهذا على القول بأن المعاصي تنقسم الى الصغيرة والكبيرة . ولقد اختلفوا
في الفرق بينهما على أوجه ، وجميع ما قالوه لعله لا يوفي بذلك المقصود على
الكمال . فلنترك التفريع عليه .

وأقرب وجه يلتمس لهذا المطلب ما تقرر في كتاب الموافقات ان
الكباثر منحصرة في الاخلال بالضروريات المعتبرة في كل ملة ، وهي
الدين والنفس والنسل والعقل والمال . وكل مانص عليه راجع اليها ،
وما لم ينص عليه جرى في الاعتبار والنظر مجراها ، وهو الذي يجمع
اشتات ما ذكره العلماء وما لم يذكره مما هو في معناه ؛

فكذلك نقول في كباثر البدع : ما أخل منها بأصل من هذه
الضروريات فهو كبيرة ، وما لا فهي صغيرة . وقد تقدمت لذلك أمثلة
أول الباب . فكما انحصرت كباثر المعاصي أحسن انحصار --- حسبما أشير
اليه في ذلك الكتاب - كذلك تنحصر كباثر البدع أيضاً ؛ وعند ذلك
يعترض في المسئلة إشكال عظيم على أهل البدع يعسر التخلص عنه في
اثبات الصغائر فيها . وذلك ان جميع البدع راجعة الى الاخلال بالدين

(*) تابع لما نقل من كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي

إما أصلاً وإما فرعاً، لأنها إنما أحدثت لتلحق بالمشروع زيادة فيه أو نقصاناً منه أو تغييراً لقوافيه، أو ما يرجع إلى ذلك؛ وليس ذلك بمختص بالعبادات دون العادات، إن قلنا بدخولها في العادات، بل تعم الجميع.

وإذا كانت بكليتها إخلالاً بالدين فهي إذا إخلال بأول الضروريات وهو الدين، وقد أثبت الحديث الصحيح أن كل بدعة ضلالة، وقال في الفرق «كلها في النار إلا واحدة» وهذا وعيد أيضاً للجميع على التفصيل. هذا وإن تفاوت مراتبها في الإخلال بالدين فليس ذلك يخرجها عن أن تكون كباثر، كما أن القواعد الخمس أركان الدين وهي متفاوتة في الترتيب، فليس الإخلال بالشهادتين كالإخلال بالصلاة، ولا الإخلال بالصلاة كالإخلال بالزكاة، ولا الإخلال بالزكاة كالإخلال برمضان، وكذلك سائرهما مع الإخلال؛ فكل منها كبيرة. فقد آل النظر إلى أن كل بدعة كبيرة ويحجب عنه بأن هذا النظر يدل على ما ذكر، ففي النظر ما يدل من جهة أخرى على اثبات الصغيرة من أوجه:

(أحدها) أنا نقول: الإخلال بضرورة النفس كبيرة بلا إشكال، ولكنها على مراتب أدناها لا يسمى كبيرة؛ فالقتل كبيرة وقطع الأعضاء من غير أجهاز كبيرة دونها، وقطع عضو واحد كبيرة دونها، وهلم جرا إلى أن تنتهي إلى اللطمة؛ ثم إلى أقل خدش يتصور، فلا يصح أن يقال في مثله كبيرة، كما قال العلماء في السرقة: إنها كبيرة، لأنها إخلال بضرورة المال. فإن كانت السرقة في لقمة أو تطفيف بحجة فقد عدّوه من الصغار. وهذا في ضرورة الدين أيضاً.

فقد جاء في بعض الأحاديث عن حذيفة رضي الله عنه قال: «أول

ما تفقدون من دينكم الامانة ، وآخر ما تفقدون الصلاة ، ولتنقضن عرى
الايان عروة عروة ، وليصلين نساء وهن حيض - ثم قال - حتى تبقى
فرقتان من فرق كثيرة تقول احداهما : ما بال الصلوات الخمس ؟ لقد ضل
من كان قبلنا ، انما قال الله « أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل »
لا تصلن الا ثلاثا . وتقول أخرى : انا لنؤمن بالله ايمان الملائكة ، ما فينا
كافر . حق على الله ان يحشرهما مع الدجال « وهذا الاثر - وان لم تلزم
عهدة صحته - مثال من أمثلة المسئلة .

فقد نبه على ان في آخر الزمان من يرى أن الصلوات المفروضة
ثلاث لا خمس ، وبين ان من النساء من يصلين وهن حيض ، كانه يعني
بسبب التعمق وطلب الاحتياط بالوساوس الخارج عن السنة . فهذه
مرتبة دون الاولى

وحكى ابن حزم ان بعض الناس زعم ان الظهر خمس ركعات لا اربع
ركعات ، ثم وقع في العتبية ، قال ابن القاسم : وسمعت مالكا يقول : أول
من أحدث الاعتماد في الصلاة حتى لا يحرك رجله رجل قد عرف
وسمي الا أنني لا أحب ان اذكره ، وقد كان مساء (أي يساء الثناء عليه)
قال - قد عيب ذلك عليه ، وهذا مكروه من الفعل . قالوا «ومساء» أي
يساء الثناء عليه . قال ابن رشد : جائز عند مالك ان يروح الرجل قدميه
في الصلاة ، قاله في المدونة . وانما كره ان يقرنها حتى لا يعتمد على
احداها دون الاخرى ، لان ذلك ليس من حدود الصلاة ، اذ لم يأت
ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من السلف والصحابة
الراضين ، وهو من محدثات الامور . انتهى .

فمثل هذا - ان كان يعده فاعله من محاسن الصلاة وان لم يأت به أثر - فيقال في مثله : إنه من كبائر البدع . كما يقال ذلك في الركعة الخامسة في الظهر ونحوها ، بل انما يعد مثله من صفات البدع ان سلمنا ان لفظ الكراهية فيه ما يراد به التنزيه ، وإذا ثبت ذلك في بعض الامثلة في قاعدة الدين ، فمثله يتصور في سائر البدع المختلفة المراتب ، فالصفات في البدع ثابتة كما أنها في المعاصي ثابتة .

(والثاني) ان البدع تنقسم الى ماهي كلية في الشريعة والى جزئية ، ومعنى ذلك ان يكون الخلل الواقع بسبب البدعة كلياً في الشريعة ، كبدعة التحسين والتقبيح العقليين ، وبدعة انكار الاخبار السنية اقتصاراً على القرآن ، وبدعة الخوارج في قولهم : لا حكم الا الله . وما أشبه ذلك من البدع التي لا تختص فرعاً من فروع الشريعة دون فرع ، بل تجدها تنتظم الا ينحصر من الفروع الجزئية ، أو يكون الخلل الواقع جزئياً انما يأتي في بعض الفروع دون بعض ، كبدعة التشويت بالصلاة - الذي قال فيه مالك : التشويب ضلال . - وبدعة الاذان والاقامة في العيدين ، وبدعة الاعتماد في الصلاة على احدي الرجلين ، وما أشبه ذلك . فهذا القسم لا تعدى فيه البدعة محايها ، ولا تنتظم تحتها غيرها حتى تكون اصلاً لها .

فالقسم الاول اذا عدّ من الكبائر اتضح مغزاه وأمكن ان يكون منحصرًا داخلاً تحت عموم الثنتين والسبعين فرقة ، ويكون الوعيد الآتي في الكتاب والسنة مخصوصاً به لا عاماً فيه وفي غيره ، ويكون ماعداً ذلك من قبيل اللهم المرجو فيه العفو ، الذي لا ينحصر الى ذلك اعداد ، فلا قطع على أن جميعها من قبيل واحد ، وقد ظهر وجه انقسامها .

(والثالث) ان المعاصي قد ثبت انقسامها الى الصغائر والكبائر، ولا شك ان البدع من جملة المعاصي - على مقتضى الادلة المتقدمة - ونوع من أنواعها ، فاقضى اطلاق التقسيم أن البدع تنقسم أيضاً ، ولا يخصص وجوها (؟) بتعميم الدخول في الكبائر ، لأن ذلك تخصيص من غير مخصص ، ولو كان ذلك معتبراً لاستثنى من تقدم من العلماء القائلين بالتقسيم قسم البدع ، فكانوا ينصون على ان المعاصي ما عدا البدع تنقسم الى الصغائر والكبائر ، الا أنهم لم يلتفتوا الى الاستثناء وأطلقوا القول بالانقسام ، فظهر أنه شامل لجميع أنواعها .

فان قيل : إن ذلك التفاوت لادليل فيه على اثبات الصغيرة مطلقاً ، وانما يدل ذلك على أنها تفاضل ، فمنها ثقیل وأثقل ، ومنها خفيف وأخف ؛ والخفة هل تنتهي الى حد تعد البدعة فيه من قبيل اللعم ؟ هذا فيه نظر ؛ وقد ظهر معنى الكبيرة والصغيرة في المعاصي غير البدع ؛ وأما في البدع فثبت لها أمران : أحدهما انها مضادة للشارع ومراغمة له ، حيث نصب المبتدع نفسه نصب المستدرك على الشريعة ، لانه نصب المكتفي بما حدّ له .

والثاني أن كل بدعة - وان قلت - تشريع زائد أو ناقص ، أو تغيير للأصل الصحيح ؛ وكل ذلك قد يكون على الأفراد ، وقد يكون ملحوقاً بما هو مشروع ، فيكون قادحاً في المشروع . ولو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامداً لكفر ، اذ الزيادة والنقصان فيها أو التغيير قل أو كثر كفر ، فلا فرق بين ما قل منه وما كثر . فمن فعل مثل ذلك بتأويل فاسد أو برأي غلط رآه ، أو ألحقه بالمشروع ، اذا لم نكفره لم يكن في

حكمه فرق بين ما قل منه وما كثر ، لان الجميع جناية لا تحملها الشريعة بقليل ولا بكثير .

ويعضد هذا النظر عموم الادلة في ذم البدع من غير استثناء ، فالفرق بين بدعة جزئية وبدعة كلية ، وقد حصل الجواب عن السؤال الاول والثاني .

وأما الثالث فلا حجة فيه لان قوله عليه السلام « كل بدعة ضلالة » وما تقدم من كلام السلف يدل على عموم الذم فيها . وظهر أنها مع المعاصي لا تنقسم ذلك الانقسام ، بل إنما ينقسم ما سواها من المعاصي . واعتبر بما تقدم ذكره في الباب الثاني يتبين لك عدم الفرق فيها . وأقرب منها عبارة تناسب هذا التقرير أن يقال : كل بدعة كبيرة عظيمة بالاضافة الى مجاوزة حدود الله بالتشريع ، الا أنها وان عظمت لما ذكرناه ، فاذا نسب بعضها الى بعض تفاوتت رتبها فيكون منها صغار وكبار ؛ أما باعتبار ان بعضها أشد عقابا من بعض ، فالأشد عقابا أكبر مما دونه ، وأما باعتبار فوت المطلوب في المفسدة ؛ فكما انقسمت الطاعة باتباع السنة الى الفاضل والأفضل ، لانقسام مصالحها الى الكامل والاكمل ، انقسمت البدع لانقسام مفسدها الى الرذل والارذل ، والصغر والكبر ، من باب النسب والاضافات ؛ فقد يكون الشيء كبيرا في نفسه لكنه صغير بالنسبة الى ما هو أكبر منه .

وهذه العبارة قد سبق اليها امام الحرمين لكن في انقسام المعاصي الى الكبائر والصغائر فقال : المرضي عندنا أن كل ذنب كبيرة وعظيم بالاضافة الى مخالفة الله ، ولذلك يقال : معصية الله أكبر من معصية العباد .

قولا مطلقاً ، الا أنها وان عظمت لما ذكرناه ، فاذا نسب بعضها الى بعض تفاوتت رتبها . ثم ذكر معنى ما تقدم ؛ ولم يوافق غيري على ما قال ، وان كان له وجه في النظر وقعت الإشارة اليه في كتاب الموافقات . ولكن الظاهر يأتى ذلك - حسبما ذكره غيره من العلماء - . والظواهر في البدع لا تأتى كلام الامام اذا نزل عليها - حسبما تقدم - فصار اعتقاد الصغائر فيها يكاد يكون من التشابهات ، كما صار اعتقاد نفي الكراهية التنزيه عنها من الواضحات .

فليتأمل هذا الموضع أشد التأمل ويعط من الانصاف حقه ، ولا ينظر الى خفة الأمر في البدعة بالنسبة الى صورتها وان دقت ، بل ينظر الى مصادمتها للشريعة ورميها لها بالنقص والاستدراك ، وأنها لم تكمل بعد حتى يوضع فيها ، بخلاف سائر المعاصي فانها لا تعود على الشريعة بتقص ولا غش من جانبها ، بل صاحب المعصية متصل منها مقر لله بمخالفته لحكمها .

وحاصل المعصية أنها مخالفة في فعل المكلف لما يعتد صحته من الشريعة ؛ والبدعة حاصلها مخالفة في اعتقاد كمال الشريعة ، ولذلك قال مالك بن أنس : من احدث في هذه الامة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لان الله يقول « اليوم أكملت لكم دينكم » الى آخر الحكاية . وقد تقدمت .

ومثلها جوابه لمن اراد أن يحرم من المدينة وقال : أي فتنة فيها ؟ إنما هي أميال أزيدها . فقال : وأي فتنة أعظم من أن تظن أنك فعلت فعلاً قصر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم - الى آخر الحكاية ، وقد تقدمت

أيضاً . فإذا يصح أن يكون في البدع ما هو صغيرة .
فالجواب أن ذلك يصح بطريقة يظهر ان شاء الله أنها تحقيق في
تشقيق هذه المسئلة ؛

وذلك أن صاحب البدعة يتصور أن يكون عالماً بكونها بدعة وأن
يكون غير عالم بذلك . وغير العالم بكونها بدعة على ضربين ، وهما المجتهد
في استنباطها وتشريعها والمقلد له فيها . وعلى كل تقدير فالتأويل يصاحبه
فيها ولا يفارقه إذا حكمنا له بحكم أهل الاسلام ، لأنه مصادم للشارع
مراغم للشرع بالزيادة فيه أو النقصان منه أو التحريف له ؛ فلا بد له من
تأويل كقوله « هي بدعة ولكنها مستحسنة » أو يقول « إنها بدعة ولكنني
رأيت فلانا الفاضل يعمل بها » أو يقربها ولكنه يفعلها لحظ عاجل ،
كفاعل الذنب لقضاء حظه العاجل خوفاً على حظه ، أو فراراً من خوف
على حظه ، أو فراراً من الاعتراض عليه في اتباع السنة ، كما هو الشأن اليوم
في كثير ممن يشار اليه ، وما أشبه ذلك .

وأما غير العالم وهو الواضع لها ، فانه لا يمكن ان يعتقدها بدعة ،
بل هي عنده مما يلحق بالمشروعات ، كقول من جعل يوم الاثنين يصام
لأنه يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل الثاني عشر من ربيع الاول
ملحقاً بأيام الاعياد لانه عليه السلام ولد فيه ، وكن عدّ السماع والغناء مما
يتقرب به الى الله بناء على أنه يجلب الاحوال السنية ، أو رغب في الدعاء
بهيئة الاجتماع في ادبار الصلوات دائماً بناء على ما جاء في ذلك حالة الوحدة ،
أو زاد في الشريعة احاديث مكذوبة لينصر في زعمه سنة محمد صلى الله عليه

وسلم . فلما قيل له : إنك تكذب عليه . وقد قال « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » قال : لم أكذب عليه وإنما كذبت له . أو نقص منها تأويلاً عليها لقوله تعالى في ذم الكفار (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ! وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَفْنَى مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا) فاسقط اعتبار الأحاديث المنقولة بالآحاد لذلك ولما أشبهه ، لأن خبر الواحد ظني ؛ فهذا كله من قبيل التأويل . وأما المقلد فكذلك أيضاً لأنه يقول : فلان المقتدى به يعمل بهذا

العمل ويتني (؛) كاتخاذ الغناء جزءاً من أجزاء طريقة التصوف بناء منهم على أن شيوخ التصوف قد سمعوه وتواجدوا عليه ، ومنهم من مات بسببه ، وكنتمزيق الثياب عند التواجد بالرقص وسواه لأنهم قد فعلوه ، وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتهين إلى التصوف ،

وربما احتجوا على بدعهم بالجنيـد والبسطامي والشبلي وغيرهم فيما صح عندهم أو لم يصح ، ويتركون أن يحتجوا بسنة الله ورسوله وهي التي لا شائبة فيها إذا نقلها العدول وفسرها أهلها المكبون على فهمها وتعلمها . ولكنهم مع ذلك لا يقرون بالخلاف للسنة بحتاً ، بل يدخلون تحت اذيال التأويل ، إذ لا يرضي منتم إلى الاسلام بإبداء صفحة الخلاف للسنة أصلاً . وإذا كان كذلك فقول مالك : من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم خان الرسالة . وقوله لمن أراد أن يحرم من المدينة : أي فتنة أعظم من أن تظن أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إلى آخر الحكاية - إنها الزام للنخـصم على عادة أهل النظر ، كأنه يقول : يلزمك في هذا القول كذا .

لا أنه يقول قصدت اليه قصداً ، لأنه لا يقصد الى ذلك مسلم ، ولازم المذهب : هل هو مذهب أم لا ؟ هي مسألة مختلف فيها بين أهل الاصول ، والذي كان يقول به شيوخنا البجائيون والمغربيون ويرون أنه رأي المحققين أيضاً : ان لازم المذهب ليس بمذهب ، فلذلك اذا قرر على الخصم أنكره غاية الانكار^(١) فاذا اعتبار ذلك المعنى على التحقيق لا ينهض ، وعند ذلك تستوي البدعة مع المعصية صفائر وكبائر ، فكذلك البدع . ثم أن البدع على ضربين : كلية وجزئية ، فأما الكلية فهي السارية فيما لا ينحصر من فروع الشريعة ، ومثالها بدع الفرق الثلاث والسبعين فانها مختصة بالكليات منها دون الجزئيات ، حسبما يتعين^(٢) بعد ان شاء الله .

وأما الجزئية فهي الواقعة في الفروع الجزئية ، ولا يتحقق دخول هذا الضرب من البدع تحت الوعيد بالنار ، وإن دخلت تحت الوصف بالضلال ، كما لا يحتقق ذلك في سرقة لقمة أو التطفيف بحبة ، وإن كان داخل تحت وصف السرقة ، بل المتحقق دخول عظامها وكلياتها كالنصاب في السرقة ، فلا تكون تلك الأدلة واضحة الشمول لها ، ألا ترى أن خواص البدع غير ظاهرة في أهل البدع الجزئية غالباً ؛ كالفرقة والخروج عن الجماعة ، وإنما تقع الجزئيات في الغالب كالزلة والقلته ، ولذلك لا يكون اتباع الهوى فيها مع حصول التأويل في فرد من افراد الفروع ، ولا المفسدة الحاصلة بالجزئية كالمفسدة الحاصلة بالكلية ، فعلى هذا اذا اجتمع في البدعة

(١) ما كل لازم للمذهب ينكره صاحبه لو عرض عليه ولذلك جعل بعضهم الانكار شرطاً لكون لازم المذهب ليس بمذهب وهذا التفصيل هو التحقيق

(٢) لعله يتبين

وصفان - كونها جزئية وكونها بالتأويل - صح أن تكون صغيرة، والله أعلم.
ومثاله مسألة من نذر أن يصوم قائماً لا يجلس، وضاحياً لا يستظل،
ومن حرم على نفسه شيئاً مما أحل الله من النوم أو لذيق الطعام، أو النساء
أو الأكل بالنهار، وما أشبه ذلك مما تقدم ذكره أو يأتي؛ غير أن
الكلية والجزئية قد تكون ظاهرة وقد تكون خفية، كما أن التأويل قد
يقرب مأخذه وقد يبعد؛ فيقع الإشكال في كثير من أمثلة هذا الفصل،
فيعد كبيرة ما هو من الصغائر وبالعكس، فيوكل النظر فيه إلى الاجتهاد اهـ

فصل

وإذا قلنا: إن من البدع ما يكون صغيرة. فذلك بشروط (أحدها)
أن لا يداوم عليها؛ فإن الصغيرة من المعاصي لمن داوم عليها تكبر بالنسبة
إليه، لأن ذلك ناشئ عن الاصرار عليها، والاصرار على الصغيرة يصيرها
كبيرة، ولذلك قالوا: لا صغيرة مع اصرار، ولا كبيرة مع استغفار.
فكذلك البدعة من غير فرق؛ إلا أن المعاصي من شأنها في الواقع أنها
قد يصير عليها، وقد لا يصير عليها، وعلى ذلك ينبغي طرح الشهادة وسخطة
الشاهد بها أو عدمه، بخلاف البدعة فإن شأنها في الواقع المداومة والحرص
على أن لا تزال من موضعها، وأن تقوم على تاركها القيامة، وتنطلق
عليه أسنة الملامة، ويرمى بالتسفيه والتجهيل، وينبذ بالتبديع والتضليل،
ضد ما كان عليه سلف هذه الامة، والمقتدى بهم من الائمة؛ والدليل
على ذلك الاعتبار والنقل، فإن أهل البدع كان من شأنهم القيام بالنكير
على أهل السنة إن كان لهم عصبية، أو لصقوا بسلطان تجري أحكامه في

الناس وتنفذ أوامره في الاقطار . ومن طالع سير المتقدمين وجد من ذلك ما لا يخفى .

وأما النقل فما ذكره السلف من أن البدعة اذا أحدثت لا تزيد الا مضيا ، وليست كذلك المعاصي ، فقد يتوب صاحبها وينيب الى الله ؛ بل قد جاء ما يشد ذلك في حديث الفرق ، حيث جاء في بعض الروايات « تتجارى بهم تلك الالهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه » ومن هنا جزم السلف بان المبتدع لا توبة له منها — حسبما تقدم — .

(والشرط الثاني) أن لا يدعو اليها ، فان البدعة قد تكون صغيرة بالاضافة ، ثم يدعو مبتدعها الى القول بها والعمل على مقتضاها فيكون إثم ذلك كله عليه ، فانه الذي أثارها ، وسبب كثرة وقوعها والعمل بها ، فان الحديث الصحيح قد أثبت ان كل من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا ؛ والصغيرة مع الكبيرة انما تفاوتها بحسب كثرة الاثم وقلته ، فربما تساوي الصغيرة من هذا الوجه الكبيرة أو تربى عليها ؛

فمن حق المبتدع اذا ابتلي بالبدعة ان يقتصر على نفسه ، ولا يحمل مع وزره وزر غيره ، وفي هذا الوجه قد يتعذر الخروج ، فان المعصية فيما بين العبد وربه يرجو فيها من التوبة والغفران ما يتعذر عليه مع الدعاء اليها ، وقد مر في باب ذم البدع . وباقي الكلام في المسئلة سيأتي ان شاء الله .

(والشرط الثالث) ان لا تفعل في المواضع التي هي مجتمعات الناس ، أو المواضع التي تقام فيها السنن ، وتظهر فيها اعلام الشريعة . فاما اظهارها في

المجتمعات ممن يقتدى به أو ممن به ^(١) الظن فذلك من أضر الأشياء على سنة الاسلام ، فانها لا تعدو أمرين : اما ان يقتدى بصاحبها فيها ، فان العوام اتباع كل ناعق ، لاسيما البدع التي وكل الشيطان بتحسينها للناس ، والتي للنفوس في تحسينها هوى ، واذا اقتدى بصاحب البدعة الصغيرة كبرت بالنسبة اليه ، لان كل من دعا الى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ، فعلى حسب كثرة الأتباع يعظم عليه الوزر ؛

وهذا بعينه موجود في صفات المعاصي ؛ فان العالم مثلاً اذا أظهر المعصية - وان صغرت - سهل على الناس ارتكابها ، فان الجاهل يقول : لو كان هذا الفعل كما قال من أنه ذنب لم يرتكبه ، وانما ارتكبه لأمر علمه دوننا . فكذلك البدعة اذا أظهرها العالم المقتدى فيها لا محالة ، فانها في مظنة التقرب في ظن الجاهل ، لان العالم يفعلها على ذلك الوجه ، بل البدعة أشد في هذا المعنى ، اذ الذنب قد لا يتبع عليه ، بخلاف البدعة فلا يتحاشى أحد عن اتباعه الا من كان عالماً بانها بدعة مذمومة ، فحينئذ يصير في درجة الذنب ، فاذا كانت كذلك صارت كبيرة بلا شك ، فان كان داعياً اليها فهو أشد ، وان كان الاظهار باعثاً على اتباع ، فبالدعاء يصير ادعى اليه . وقد روي عن الحسن أن رجلاً من بني اسرائيل ابتدع بدعة فدعا الناس اليها فاتبع ، وأنه لما عرف ذنبه عمد الى ترقوته فنقبها فادخل فيها حلقة ثم جعل فيها سلسلة ثم أوثقها في شجرة فجعل يكي ويبيع الى ربه ، فأوحى الله الى نبي تلك الامة ان لا توبة له قد غفر له الذي أصاب . فكيف بمن ضل فصار من أهل النار ؟ .

(١) لعل الاصل « بمن يحسن به الظن »

وأما اتخاذها في المواضع التي تقام فيها السنن فهو كالدعاء اليها بالتصريح ، لأن عمل اظهار الشرائع الاسلامية^(١) توهم ان كل ما أظهر فيها فهو من الشعائر ، فكان المظهر لها يقول : هذه سنة فاتبعوها .

قال أبو مصعب : قدم علينا ابن مهدي فصرخ ووضع رداءه بين يدي الصف ، فلما سلم الامام رمقه الناس بإبصارهم ورمقوا مالكا — وكان قد صلى خلف الامام — فلما سلم قل : من هاهنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان . فقال : خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه . فحبس ، فقيل له : انه ابن مهدي ، فوجه اليه وقال له : ما خفت الله واتقيته ان وضعت ثوبك بين يديك في الصف ، وشغلت المصلين بالنظر اليه ، وأحدثت في مسجدنا شيئا ما كذا نعرفه ؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من احدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه ان لا يفعل ذلك ابدا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في غيره . وفي رواية عن ابن مهدي قال : فقلت للحرسيين : تذهبان بي الى أبي عبد الله ؟ قالا ان شئت ، فذهبا اليه . فقال : يا عبد الرحمن ! تصلي مستلبا ؟ فقلت يا أبا عبد الله إنه كان يوما حارا — كما رأيت — فتقل ردائي علي . فقال : الله ما أردت بذلك الطعن على من مضى والخلاف عليه ، قلت : الله^(٢) . قال خليه .

وحكى ابن وضاح قال ثوب المؤذن بالمدينة في زمان مالك ، فارسل اليه مالك فجاءه ، فقال له مالك : ما هذا الذي تفعل ؟ فقال : أردت أن

(١) هذا قسم حذف أداته . لقنه القسم فخلف على ما لقنه فكانه قال له : قل والله ما أردت بهذا الطعن الخ فقال : والله . أي ما أردت ذلك (٢) كذا ولعل فيها تحريفا وسقطا والمراد ظاهر من القرينة

يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا . فقال له مالك : لا تفعل ، لا تحدث في بلدنا شيئاً لم يكن فيه ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا البلد عشر سنين وأبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا هذا ، فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه ؛ فكف المؤذن عن ذلك وأقام زماناً ، ثم انه تنحى في المنارة عند طلوع الفجر ، فأرسل اليه مالك فقال له : ما الذي تفعل ؟ قال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر . فقال له : ألم انهك ان لا تحدث عندنا ما لم يكن ؟ فقال : إنما نهيتني عن التشويب . فقال له لا تفعل . فكف زماناً . ثم جعل يضرب الابواب ، فأرسل اليه مالك فقال : ما هذا الذي تفعل ؟ فقال : أردت ان يعرف الناس طلوع الفجر . فقال له مالك : لا تفعل ، لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه .

قال ابن وضاح : وكان مالك يكره التشويب — قال — وإنما احدث هذا بالعراق . قيل لابن وضاح : فهل كان يعمل به بمكة أو المدينة أو مصر أو غيرها من الامصار ؟ فقال : ما سمعت الا عند بعض الكوفيين والاباضيين .

فتأمل كيف منع مالك من احداث أمر يخف شأنه عند الناظر فيه ببادي الرأي وجعله أمراً محدثاً ، وقد قال في التشويب : إنه ضلال . وهو بين ، لأن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، ولم يسامح المؤذن في التنحى ولا في ضرب الابواب ، لأن ذلك جدير بان يتخذ سنة ، كما منع من وضع رداء عبد الرحمن ابن مهدي خوف أن يكون حدثاً محدثاً .

وقد أحدث بالمغرب المتسمى بالمهدي تشويباً عند طلوع الفجر وهو قولهم « أصبح لله الحمد » اشعاراً بان الفجر قد طلع ، لإلزام الطاعة ،

ولحضور الجماعة ، وللغدو لكل ما يؤمرون به . فيخصه هؤلاء المتأخرون تشويها بالصلاة كالأذان . ونقل أيضاً الى أهل المغرب الحزب المحدث بالاسكندرية ، وهو المعتاد في جوامع الاندلس وغيرها ، فصار ذلك كله سنة في المساجد الى الآن ، فانا لله وانا اليه راجعون .

وقد فسر التشويب الذي اشار اليه مالك بان المؤذن كان اذا اذن فابطأ الناس قال بين الأذان والاقامة : قد قامت الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح . وهذا نظير قولهم عندنا : الصلاة — رحمكم الله . وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه دخل مسجدا اراد ان يصلي فيه ، فتوَّب المؤذن ، فخرج عبد الله بن عمر من المسجد ، وقال : اخرج بنا ^(١) من عند هذا المبتدع . ولم يصل فيه . قال ابن رشد : وهذا نحو مما كان يفعل عندنا بجامع قرطبة من ان يفرد المؤذن بعد اذانه قبل الفجر النداء عند الفجر بقوله : حي على الصلاة . ثم ترك — قال — وقيل : انما عني بذلك قول المؤذن في اذانه : حي على خير العمل . لانها كلمة زادها في الاذان من خالف السنة من الشيعة . ووقع في المجموعة ان من سمع التشويب وهو في المسجد خرج عنه كفعل ابن عمر رضي الله عنهما .

وفي المسئلة كلام المقصود منه التشويب المكروه الذي قال فيه مالك إنه ضلال . والكلام يدل على التشديد في الامور المحدثه ان تكون في مواضع الجماعة أو في المواطن التي تقام فيها السنن ، والمحافظة على المشروعات أشد المحافظة ؛ لانها اذا اقيمت هنالك اخذها الناس وعملوا بها ، فكان

(١) يظهر انه كان معه صاحب قال له ذلك . وهل كان في كلام المصنف تصريح بذلك سقط من النسخين ام لا ؟ الله اعلم

وزر ذلك عائداً على الفاعل أولاً ، فيكثر وزره ويعظم خطر بدعته .
(والشرط الرابع) ان لا يستصغرها ولا يستحقرها - وان فرضناها صغيرة - فان ذلك استهانة بها ، والاستهانة بالذنب أعظم من الذنب ؛ فكان ذلك سبباً لعظم ما هو صغير . وذلك ان الذنب له نظران : -
(نظر) من جهة رتبته في الشرط ، ونظر من جهة مخالفة الرب العظيم به ؛ فاما النظر الاول فمن ذلك الوجه يعد صغيراً اذا فهمنا من الشرع انه صغير ، لانا نضعه حيث وضعه الشرع ؛ وأما الاخر فهو راجع الى اعتقادنا في العمل به حيث نستحرم جهة الرب سبحانه بالمخالفة ، والذي كان يجب في حقنا ان نستعظم ذلك جداً ، اذ لافرق في التحقيق بين المواجهتين -
المواجهة بالكبيرة والمواجهة بالصغيرة .

والمعصية من حيث هي معصية لا يفارقها النظران في الواقع أصلاً ، لأن تصورهما موقوف عليهما ، فالاستعظام لوقوعها مع كونها يعتقد فيها انها صغيرة لا يتنافيان ، لانهما اعتباران من جهتين : فالعاصي وان تعد المعصية لم يقصد بتعمده الاستهانة بالجانب العليّ الرباني ، وانما قصد اتباع شهوته مثلاً فيما جعله الشارع صغيراً أو كبيراً ، فيقع الاثم على حسبه ، كما ان البدعة لم يقصد بها صاحبها منازعة الشارع ولا التهاون بالشرع ، وانما قصد الجري على مقتضاه ، لكن بتأويل زاده ورجحه على غيره ، بخلاف ما اذا تهاون بصغرها في الشرع ، فانه انما تهاون بمخالفة الملك الحق ، لان النهي حاصل ومخالفته حاصلة ، والتهاون بها عظيم ؛ ولذلك يقال : لا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى عظمة من واجهته بها .

وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع «أي يوم هذا؟» - قالوا: يوم الحج الاكبر. قال - فان دماءكم واموالكم واعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، لا يجني جان الا على نفسه، ألا لا يجني جان على ولده ولا مولود على والده، ألا وان الشيطان قد يئس ألا يعبد في بلدكم هذا أبدا، ولا تكون له طاعة فيما يحتقرون من أعمالكم فسيرضى به»^(١) فقلوله عليه السلام «فسيرضى به» دليل على عظم الخطب فيما يستحق.

وهذا الشرط مما اعتبره الغزالي في هذا المقام، فانه ذكر في الاحياء ان مما تعظم به الصغيرة ان يستصغرها - قال - فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله، وكلما استصغره كبر عند الله. ثم بين ذلك وبسطه.

فاذا تحصلت هذه الشروط، فاذا ذاك يرجى ان تكون صغيرتها صغيرة، فان تخلف بشرط منها أو أكثر صارت كبيرة، أو خيف ان تصير كبيرة، كما ان المعاصي كذلك، والله أعلم.

*

(١) كذا في نسخة الكتاب. ولا أذكر لاحد روايته بهذا اللفظ. وفي حديث عمرو بن الاحوص عند أصحاب السنن ما عدا ابا داود «ألا ان الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبدا، ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحقرون من أعمالكم فيرضى بها»

ترجمة الامام الشاطبي

من كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج^(١)

هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ابو اسحاق الشهير بالشاطبي . الامام العلامة ، المحقق القدوة ، الحافظ الجليل المجتهد ، كان أصولياً مفسراً ، فقيها محدثاً ، لغوياً بيانياً ، نظاراً كُتبتاً ، ورعاً صالحاً ، زاهداً سنياً ، اماماً مطلقاً ، ببحاثاً مدققاً ، جدلياً بارعاً في العلوم ، من افراد العلماء المحققين الاثبات ، واكابر الأئمة المتفنين الثقات ، له القدم الراسخ والامامة العظمى في الفنون - فقها وأصولاً ، وتفسيراً وحديثاً ، وعربية وغيرها - مع التحري والتحقيق ، له استنباطات جليلة ، ودقائق منيفة ، وفوائد لطيفة ، وابحاث شريفة ، وقواعد محررة محققة ، على قدم راسخ من الصلاح والعفة والتحري والورع ، حريصاً على اتباع السنة ، بجانب البدع والشبهة ، ساعياً في ذلك مع تثبت تام ، منحرفاً عن كل ما ينحو للبدع واهلها ، وقع له في ذلك امور مع جماعة من شيوخه وغيرهم في مسائل .

وله تأليف جليلة ، مشتملة على ابحاث نفيسة ، وانتقادات وتحقيقات شريفة . قال الامام الحفيد ابن مرزوق في حقه : انه الشيخ الاستاذ الفقيه الامام المحقق العلامة الصالح ، ابو اسحاق . انتهى ، وناهيك بهذه التحلية من مثل هذا الامام ، وانما يعرف الفضل لأهله اهله .

اخذ العربية وغيرها عن أئمة ، منهم الامام المفتوح عليه في فنها ما لا مقطع فيه لسواه ، بحتاً ، وحفظاً ، وتوجيهاً ، ابن الفخار الألييري . لازمه الى ان مات ، والامام الشريف رئيس العلوم اللسانية ، ابو القاسم السبتي ، شارح مقصورة حازم ، والامام المحقق اعلم اهل وقته ، الشريف ابو عبد الله التلمساني ، والامام علامة وقته باجماع ، ابو عبد الله المقرئ ، وقطب الدائرة ، شيخ الجلة ، الامير الشهير ، ابو سعيد ابن لب ، والامام الجليل ، الرحلة الخطيب ، ابن مرزوق الجد ، والعلامة المحقق

(١) تأليف أحمد بن أحمد بن عمر اقيت المعروف بابا التكروري ثم التنبكي

المولود سنة ٩٦٣ والتوفي سنة ١٠٣٢

المدرس الاصولي ، ابو علي منصور بن محمد الزواوي ، والعلامة المفسر المؤلف ابو عبد الله البلسني ، والحاج العلامة الرحلة الخطيب ابو جعفر الشقوري . ومن اجتمع معه ، واستفاد منه ، العالم الحافظ الفقيه ، ابو العباس القباب ، والمفتي المحدث ابو عبد الله الحفار ، وغيرهم .

اجتهد وبرع ، وفاق الاكابر ، والتحق بكبار الأئمة في العلوم ، وبالغ في التحقيق ، وتكلم مع كثير من الأئمة في مشكلات المسائل من شيوخه وغيرهم ، كالقباب ، وقاضي الجماعة الفشتالي ، والامام ابن عرفة ، والولي الكبير ابي عبد الله بن عباد . وجرى له معهم ابحاث ومراجعات ، اجلت عن ظهوره فيها ، وقوة عارضته وامامته ، منها مسألة مراعاة الخلاف في المذهب ^(١) فيها له بحث عظيم ، مع الامامين القباب وابن عرفة . وله ابحاث جليلة في التصوف وغيره . وبالجملة فقد دره في العلوم فوق ما يذكر ، وتحليته في التحقيق فوق ما يشهر .

الف تواليف نفيسة ، اشتملت على تحريرات للقواعد ، وتحقيقات لمهمات الفوائد . منها شرحه الجليل على الخلاصة في النحو ، في اسفار أربعة كبار ، لم يؤلف عليها مثله بحثا وتحقيقا فيما اعلم . وكتاب (المواقفات) في أصول الفقه سماه « عنوان التعريف باصول التكليف » كتاب جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل على امامته ، وبعد شأوه في العلوم ، سيما علم الاصول . قال الامام الحفيد بن مرزوق : كتاب المواقفات المذكور ، من انبل الكتب ، وهو في سفرين . وتأليف كبير نفيس في الحوادث والبدع في سفر في غاية الاجادة ، سماه (الاعتصام) وكتاب (المجالس) شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري . فيه من الفوائد والتحقيقات ، ما لا يعلمه الا الله . وكتاب (الافادات والانشادات) في (كراسين فيه طرف وتحف ، وملح ادبيات وانشادات . وله ايضا كتاب (عنوان الاتفاق ، في علم الاشتقاق) وكتاب (اصول النحو) ، وقد ذكرهما معا في شرح الألفية . ورأيت في موضع آخر انه اتلف الاول في حياته وان الثاني اتلف ايضا . وله غيرها ، وفتاوي كثيرة

ومن شعره لما ابتلي بالبدع :

(١) اشار الى هذه المسألة في المقدمة الثالثة عشرة من كتاب المواقفات

بليت يا قوم والبلوى منوعة بمن اداريه حتى كاد يردني

دفع المصرة لا جلبا لمصلحة فحسبي الله في عقلي وفي ديني

انشدها تلميذه الامام ابو يحيى بن عاصم له مشافهة .

اخذ عنه جماعة من الأئمة كالامامين العلامتين ، ابي يحيى بن عاصم الشهير ،
واخيه القاضي المؤلف ابي بكر بن عاصم ، والشيخ ابي عبد الله البياني ، وغيرهم .
وتوفي يوم الثلاثاء ثامن شعبان سنة تسعين وسبعمائة ولم اقف على مولده رحمه الله .
(فائدة) وكان صاحب الترجمة ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس ،
عند ضعفهم وحاجتهم ، لضعف بيت المال عن القيام بمصالح الناس ، كما وقع
للشيخ المألقي في كتاب الورع . قال : توظيف الخراج على المسلمين من المصالح المرسله ،
ولا شك عندنا في جوازه ، وظهور مصلحته في بلاد الاندلس في زماننا الآن .
لكثرة الحاجة لما يأخذه العدو من المسلمين ، سوى ما يحتاج اليه الناس ، وضعف
بيت المال الآن عنه ، فهذا يقطع بجوازه الآن في الأندلس ، وانما النظر في القدر
المحتاج اليه من ذلك ، وذلك موكل الى الامام ، ثم قال اثناء كلامه : ولعلك تقول
كما قال القائل لمن اجاز شرب العصير بعد كثرة طبخه وصار رُبًّا : احلتها
والله يا عمر . يعني هذا القائل احلت الخمر بالاستجرار الى نقص الطبخ ، حتى تحل
الخمر بمقالك ، فاني اقول - كما قال عمر رضي الله عنه : والله لا احل شيئا حرمه الله ،
ولا احرم شيئا احله ، وان الحق احق ان يتبع ، (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)
وكان خراج بناء السور في بعض مواضع الاندلس في زمانه موظفا على
اهل الموضع ، فسئل عنه امام الوقت في الفتيا بالاندلس الاستاذ الشهير ابو سعيد
ابن لب ، فأفتى انه لا يجوز ولا يسوغ ، واقتى صاحب الترجمة بسوغه ،
مستندا فيه الى المصلحة المرسله ، معتمدا في ذلك الى قيام المصلحة ، التي ان لم
يتم بها الناس فيعطونها من عندهم ضاعت . وقد تكلم على المسئلة الامام الغزالي
في كتابه ، فاستوفى . ووقع لابن الفراء في ذلك مع سلطان وقته وفقهائه كلام
مشهور ، لا نطيل به .

وكتب جوابا لبعض اصحابه في دفع الوسواس العارض في الطهارة وغيرها

« وصلني جوابكم فيما تدفعون به الوسواس ، فهذا امر عظيم في نفسه ، وانفع شيء فيه المشافهة ، واقرب ما اجد الآن ، ان تنظروا من اخوانكم من تدلون عليه وترضون دينه ، ويعمل بصلب الفقه ، ولا يكون فيه وسوسة ، فتجعلونه امامكم على شرط أن لا تخالفوه ، وان اعتقدتم ان الفقه عندكم بخلافه ، فاذا فعلتموه رجوت لكم النفع ، وان تواظبوا على قول « اللهم اجعل لي نفسا مطمئنة توقن ببقائك ، وتقتنع بعطائك ، وترضى بقضائك ، وتخشاك حق خشيتك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » فانه نافع للوسواس ، كما رأيت في بعض المنقولات .

وكان يقول : لا يحصل الوثوق والتحقيق بشأن الرواية في الأكيال المنقولة بالأسانيد ، واختبرت ذلك فوجدت الأكيال مختلفة ، متباينة الاختلاف ، وهي ذوات روايات ، فالكيل الشرعي تقريبا منقول عن شيوخ المذهب ، يدركه كل احد ، حفنة من البر أو غيره بكتلتا اليدين مجتمعين ، من ذوي يدين متوسطتين ، بين الصغري والكبرى ، فالصاع منها اربع حفنات ، جربته فوجدته صحيحا . فهذا الذي ينبغي ان يعول عليه ، لانه مبني على اصل التقريب الشرعي ، والتدقيقات في الامور غير مطلوبة شرعا ، لانها تنطع وتكلف ، فهذا ما عندي .

ومن كلامه : اما من تعسف وطلب المحتملات ، والغلبة بالمشكلات ، واعرض عن الواضحات ، فيخاف عليه التشبه بمن ذمه الله في قوله (فاما الذين في قلوبهم زيغ) الآية .

وكان لا يأخذ الفقه الا من كتب الاقدمين ، ولا يرى لأحد ان ينظر في هذه الكتب المتأخرة ، كما قرره في مقدمة كتابه المواقفات وترد عليه الكتب في ذلك ، من بعض اصحابه ، فيوقع له : واما ما ذكرتم من عدم اعتمادي على التأليف المتأخرة ، فليس ذلك مني محض رأي ، ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين كابن بشير ، وابن شاس ، وابن الحاجب ، ومن بعدهم ، ولان بعض من لقيته من العلماء بالفقه ، اوصاني بالتعالي عن كتب المتأخرين ، واتى بعبارة خشنة ولكنها محض النصيحة ، والتساهل في النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله . ومثله ما اذا عمل الناس بقول ضعيف ، وتقل عن بعض

الأصحاب ، لا تجوز مخالفته ، وذلك مشعر بالتساهل جدا ، ونص ذلك القول لا يوجد لاحد من العلماء فيما اعلم .

والعبارة الخشنة التي اشار اليها ، كان ينقلها عن صاحبه ابي العباس القسّاب انه كان يقول في ابن بشيرو ابن شاس : افسدوا الفقه . وكان يقول : شأني عدم الاعتماد على التقاييد المتأخرة . اما للجهل بمؤلفيها او لتأخر ازمتهم جدا ، فلذلك لا اعرف كثيرا منها ولا اقتنيتها ، وعمدتي كتب الأقدمين المشاهير . ولتقتصر على هذا القدر من بعض فوائده .

الجنسيات في المملكة العثمانية

٢

بينا في المقالة الاولى من هذا البحث ان الحكومة العثمانية الاتحادية تركت في طورها الاخير عقاب من يلهج بالعرب والعربية من اصحاب الجرائد العربية وغيرهم ، وان العرب لم يغفلوا في إحياء الجنسية العربية كما غلت الجمعيات والجرائد التركية ، التي جاهرت بالدعوة الى كل شيء في الدولة تركيا . بالقول والفعل ، وهجر اسم «العثمانية» ولم نسمع لاحد من كتاب الترك صوتا في انكار هذا الغلو والانتصار للجامعتين الاسلامية والعثمانية على التركية الا لعلي بك كمال ، فقد كتب في جريدة (بيام) ردا على أولئك الغلاة بين فيه ان الحياة التركية ، لا تقوم الا بالجامعة العثمانية السياسية ، وان المجاهرة بمحصر كل شيء في الترك والتركية يبعث العرب والکرد وغيرهم من العناصر العثمانية الى مثل هذه الدعوة فلا يبقى للترك شيء . واشتدت المناظرة بينه وبين (اقچورا) وغيره من غلاة الجنسية التركية حتى انتهت الى السباب والشتم وكان ممساكتبه (اقچورا) في (تورك يوردي) بالاستانة في اوائل ربيع الآخر من هذا العام ما ترجمته باختصار والاجمال :

«يجب ان نعلم الى الحقائق فنقررها . ما العثمانية ؟ ولماذا لا تقول التركية ؟ أليست العثمانية نسبة الى عثمان التركي ؟ ان الحقيقة تغلب الخيال ، ومن المحال العقلي ان تظل هذه العناصر المتباينة مرتبطة بعضها ببعض وراء ستار وهمي ، وتحت اسم خلق بال !

« يجب علينا ما دام في استطاعتنا الحياة ان نعهد الى الجيش والاسطول والعلوم والآداب والشرائع والقوانين وكل شيء فنصبغه بالصبغة التركية المحضة (ليت شعري هل تدخل الشريعة الاسلامية في هذه الشرائع التي عناها ام هم في غنى عنها لان الله تعالى يقول « إنا انزلناه حكما عربيا » ؟)

« يجب ان نعلم اننا من أمة ظهر فيها قواد اعظم من نابليون . وعظماء اشهر من يوليوس قيصر ، وشعراء اكبر من هينغو . وان في استطاعتنا ان نفعل ما يفعله الجرمان والسكسونيون لحياة قومهم ، فلا ينبغي ان نظل مقيدين بالآوهام والخرافات الماضية »

وقد انهزم علي كمال بك امام حملات الغلاة واضطر الى مجاراتهم . وانا لنرى اشد كتاب العرب لهجا بالعربية لا يعدون غلاة بالنسبة الى الكتاب المعتدلين من الترك بل يعدون مقصرين ، وان جماعة حزب اللامركزية لم يجعلوا مسألة الجنسية العربية من موضوع حزبهم ، الا اذا كانت المحافظة على اللغة العربية بين اهلها يعد دعوة الى الجنسية العربية . ولهذا انكرنا على ذلك الكاتب العربي رميهم بالعصبية الجنسية التي ذمها ذما اسلاميا ، وجعلها هادمة للاسلام كأن الاسلام الذي دخل فيه يموت بحياة لغته العربية ، ويحيا باللغة التركية !

استدللنا بتخصيص الحزب بهذا الذم و بسكوته عن غلاة العصبية التركية ، على انه لم يكتب ما كتب الا تزلقا وتقافا ، وجعل اسم الدين الاسلامي شبكة لصيد المال والجاه . ولو أنكر على أولئك الغلاة والمعتدلين في العصبية الجنسية ، واتبع هواه باضافة اللامركزيين اليهم ، واشراكه معهم ، لما اعتقدنا فيه كل هذا الاعتقاد سلكت الجماعات العربية كلها مسلك الاعتدال فيما تطلبه لامتها من الدولة وفيما تنصح به للامة ، الا ما عرض لجماعة البصرة ، فقد كان في بعض كلامها شيء من الشدة ، ثم كان زعيمها السيد طالب بك النقيب ساعد الحكومة وعضدها في عقد الوفاق بينها وبين الامير عبد العزيز بن سعود أمير نجد ، وفي غير ذلك مما عهدته اليه من خدمتها في تلك البلاد ، وقد تبرع هو ووجهاء البصرة للاسطول وغير الاسطول بمبالغ قلما رأت مثلها الدولة من بلد آخر . على انها لم تحيهم الى شيء مما طلبوه من الاصلاح . فكان ذلك دليلا على ان أشد العرب في ولايات الدولة شكيمة ، وأقوام عصبية ، لا يني ولا يقصر في خدمتها ، اذا هي أظهرت الثقة به ، وعهدت اليه بعمل عمله .

الجنسية اللبنانية

نعم ان بعض الجرائد والجمعيات اللبنانية ، قد غلت في الدعوة الى الانسلاخ من كل صفة عثمانية ، والاستقلال بجنسية لبنانية لا عربية . فلبنان يتمتع باستقلال داخلي لا يشاركه في مثله جبل من الجبال ، ولا سهل من السهول ، ولا ولاية ولا مملكة في الارض ، حتى قال الدكتور يعقوب صروف - وهو من يفتخر لبنان بمكانه من العلم والفلسفة ومعرفة شؤون العالم - : إن كل تغيير يطرأ على نظام لبنان يكون شراً ، اذ لاخير مما هو عليه . ولكن كثيراً من اللبنانيين لا ينظرون الى هذه النعمة بالعين التي ينظر بها هذا العالم الخبير ، فتري صراخ شكواهم قد ملا فضاء امريكة الشمالية والجنوبية ومصر ، وتقلت الجرائد صدها الى كل قطر يوجد فيه لبنانيون أو سوريون . فمنهم من يدعو الى الاستقلال التام ، ومنهم من يدعو الى احتلال فرنسا للبلاد . ولهم عدة جمعيات سياسية يشترك فيها ألوف منهم في الوطن وفي ديار الهجرة من مصر الى أوربة وامريكة وغيرها من الممالك .

وقد قرأنا كثيراً من مقالاتهم وقصائدهم وانشيدهم الاستقلالية فرأيناهم يفخرون فيها بعراقة هذا الجبل في الاستقلال ، وامتناعه على الفاتحين من جميع الامم والاجيال ، أي فهم لا يطلبون الآن ، الا الاستقلال الذي كانوا متمتعين به في كل زمان . وقد جددوا لانفسهم علماً وطوايع بريد ، ومنهم من يختار الاستقلال تحت حماية فرنسا والاستقلال بعلمها . وقد عرف أهل الخافقين ما كان من مبالغة أهل الجبل في الجفاوة بضباط الاسطول الفرنسي والمظاهرات الولائية لهم عند ما زاروا بطرك الموارنة وبعض البلاد منذ اشهر ، اذ كان الاسطول في مياه بيروت . وبلي ذلك ما كان لمسيو جورج ييكو قنصل فرنسا عند ما زار لبنان مصاحباً لمسيو مورسي بارس اخداً أعضاء مجلس النواب الفرنسي . وهذا النوع من الاحتفالات والمظاهرات قد تكرر ، وتكررت الوعود من فرنسا بأمانة الجبل ما يريد .

لسنا نريد الاستقصاء التاريخي في هذه المسائل فنفصل القول فيه ، ولا الانتقاد على الغلو والشذوذ الذي كان يتخلل ذلك مما لا يعهد له نظير للاجانب في مملكة من الممالك ، فنتبع من ذلك ما قيل وما كتب ، وما انتقده بعض المسلمين في جرائد بيروت على ذلك وما رد به اللبنانيون على هؤلاء . وانما نريد أن نبين بالاجمال ان اللبنانيين منهم المعتدلون فيما يتقنون من الدولة وما يطلبون لبلادهم ، ومنهم الغلاة . وأن ذلك الكاتب العربي المدافع عن الجامعة العثمانية أو الجامعة الاسلامية ، المعادي للجنسية العربية والموضعية (كالبناية) لم يكتب كلمة في انتقاد هؤلاء الغلاة من

أبناء وطنه ، وأن منهم مؤسسو حزب اللامركزية ، الذين لم يدخلوا حزبهم في باب مباحث المسألة الجنسية .

واننا ثبت ما قلناه عن اللبنانيين أولاً بنشر ما جاء في جريدة الهدى التي تصدر في نيويورك من مطالب جمعية النهضة اللبنانية التي يرأسها مدير تلك الجريدة وهذا نصه :

من مبادئ النهضة اللبنانية ومنازعتها

« لكل امرئ من دهره ما تعودا » وما تعودناه ان نصون الوعد فلا نخلفه ، والعهد فلا نخفّره ، وان نكث الناكثون ، وعيث العابثون ، مستأثرين بايام ، نرجو ان تنقضي على سلام ، فلا يلثم فيها احد ، بما يحيثه من الفيش والفند .
أرسلنا في « الاغراض من سياحتنا » كلمة ، وترسل الآن في بعض مبادئ النهضة اللبنانية أخرى نحن دون احد من الناس المسئولون عنها .
كنا في رحلتنا نبشر بهذه المبادئ بلساننا ، ونحن الآن نبشر بها بقلمنا ، الى ان تعود الخطابة ، فتنب عن الكتابة .

اللبنانيون مظلومون وظالمون - مظلومون لان السلطة ضعيفة ضاغطة وجائرة ، وظالمون لانهم وهم تحت الضغط والجور يتنابدون ويتطاحنون مؤثرين الخصوصيات على العموميات . فيجب على خدمتهم - ونحن منهم - التجرد في النصيح لهم ، والدعوة الى ما فيه صلاحهم ونجاحهم ، ووضع مبادئ يقوم عليها حزبهم السياسي الاكبر المدعو « النهضة اللبنانية » .

قد يقوم من اللبنانيين انفسهم من يناكر ويصادر ، ويشاكس ويعاكس ، ولكن لبنانية المناوئين هؤلاء غير صحيحة ، لقيامها على التعصب والحزب والذكية والفوية .
والحق ظافر ، والاخلاص ظاهر .

من مبادئ النهضة اللبنانية

١ جمع اللبنانيين بدين الوطنية الشامل الكامل الفاضل « وتمزيق الانجيل الطائفية اسلم انجيل المسيح » وما يقال عن الانجيل يقال عن القرآن والتلمود وكل كتاب مقدس عند اهله . إلا ان ذلك لا يعني الكفر ولا التعطيل ، فليعبد الناس إلههم في كنيستهم وكنيسهم وجامعهم وخلوتهم وتحت افياء الشجر وظلال الصخور اذا شاءوا وانما فليجتمعوا (?) بدين الوطنية الواحد وهم المفلحون .

٢ استقلال المهاجرين « بنهضتهم اللبنانية » ما زال الاصلاح لا يتم الا عن طريق الهجرة وعلى هم المهاجرين . الا ان هذا الاستقلال لا يعني الانفصال ، بل

توحيد قوة الله عاجرين ما بين القطبين وجعلهم قوة واحدة تسعى للإصلاح سعيًا مجردًا صادقًا، إلى أن ينفلت المتخلفون من قيود الوظائف، ويكشفوا عنهم غيوم السفاسف، التي لا يزال حتى في المهجر أثر مجلوب (?)

٣ - طلب أمير اجنبي من دول أوروبا الست الضامنة استقلال لبنان تكون غايته غايتنا ومصلحته مصلحتنا، واعتنا لغته ولغة اولاده، فلا يكون دخيلا لا يشعر بشعورنا، ولا يهتم وهو المرجع الأكبر في الجبل أن يتعلم لغة الناس فيه ليكون حكمه معقولا وقضاؤه مقبولا - أمير اجنبي يكون لنا ما كان مثله لرومانيا وبلغاريا واليونان وألبانيا ولا تعود تهمه « المدة » تنقضي وينقضي الاهتمام بعد الابتداء بها بإيام - الشعب الخامل الغافل يرضى بحاكمه وقاضيه دخيلا اعجميا لا يشعر معه ولا يفهم لغته ليقضي بالعدل، ولا يهتم إلا تناول المرتب وربما الرشوة (?) مباشرة وبواسطة، وتفريق الناس لاتخاذ الاحزاب منهم. وقد يكون وضعيا قبل أن يصير حاكما بلقب كبير ومرتب كبير وتغطرس كبير وعمل صغير.

٤ - ارجاع لواء لبنان إليه فإن لكل شعب على شيء من الاستقلال راية او علما او لواء الا لبنان الذي كان منذ بدء التاريخ على كثير من الاستقلال حتى وقوع حوادثه الاخيرة التي زعم انه نال بعدها حكما ذاتيا لا نرى له اثرا

٥ « تمديد لبنان بعد تقلصه » أي إعادة حدوده الاولى والطبيعية إليه ما بين نهري القاسمية والعاصي. ومعنى ذلك أن تكون حدوده كما كانت على عهد امرائه الاصلاء من القاسمية إلى جبل الشيخ إلى لبنان الشرقي إلى حمص فالنهر الكبير وهي حدود تتناول بيروت وطرابلس وصيدا والسهول المحيطة به - اللبنانيون لا يطلبون التوسع بهذه المطالب بل إعادة الحدود التي انتزعها المنتزعون اليهم

٦ إعادة الجمارك والبريد والبرق إلى لبنان لأن الدولة « ضمنتها من لبنان ضمانا » ولكنها لم تنقيد بشروط الضمان ولم تدفع إلى لبنان ما هو من حقوقه ولكل صاحب ملك حق باستعادة ملكه الذي لا يدفع الضامن ضمانه او المستأجر اجرتة، فضلا عن أن اللبنانيين لم يطلبوا المرافىء لتكون بغير جمارك، ولا البريد ليظل عمال الاتراك عابثين ومتلاعبين به و باقدس اسراره وغير حافلين بغير سرقة الحوالات المالية حتى من الكتب المضمونة وبمصادرة الصحافة الحرة لئلا يستفيق الشعب من غفلته

٧ جعل كل قدم تتكسر عليها امواج البحر المتوسط من شواطئ لبنان مرقأ له اذا شاء اللبنانيون عدم الاكتفاء بجونة والنبي يونس .

٨ اطلاق حرية الفكر والخطابة والكتابة وانشاء الجمعيات اذ لا يوجد في نظام لبنان ما يحول دون ذلك « لولا انتصاب التماثيل الشعبية المحركة بزنا برك (?) الما رب

والمفاسد في مجلس ادارة لبنان » - ان مجلس ادارة لبنان هو المجلس المشترع في الاصل ويجب ان يكون الاكفاء دون سواهم فيه لا ان يجاز القمار ، الذي هو على كل شعب متمدن عار ، لجرد ان اعضاء مجلس الادارة مقمرون ... - ان حرية الصحافة ضرورية للبنان الا اذا رضي مجلس الادارة بان يكون خائنا متلاعبا خوفا من الانتقاد وعملا بالاستبداد ولكن كم يطول هذا الوقت ... - يجب ان يكون لبنان في الشرق مثل سويسرا في أوروبا فهل تحرك « التماثيل » لبقاء آثار وطنية لا آثار عار واقدار !!!

٩ اقامة مندوب في أوروبا يمثل اللبنانيين ويطالب بحقوقهم ولا يكون له اهتمام بغير مفاوضة الدول الضامنة استقلال لبنان ومفاوضة وزاراتها الخارجية بكل ما يحتاج اليه الجبل

١٠ اقامة « رقيب » على الحكومة اللبنانية في نفس لبنان يناصر الاكفاء المخلصين للوطن ويصادر الادبيات الخونة فيه وينشئ الفروع للنهضة في كل قضاء ومديرية وبلدة ويكون الحزب من ورائه يشد أزره وأزر كل مندوب أمين .

١١ ما زالت اكثرية المهاجرين من اللبنانيين فيجب (?) ان يكون القناصل في كل مهجر من المهاجرين اللبنانيين او يستغنى عنهم وتفاوض قناصل الدول الضامنة في امر حماية اللبنانيين ومصالحهم .

١٢ انشاء مدارس عمومية في لبنان تعلم فيها لغة البلاد قبل سائر اللغات وتنصرف فيها الهمم الى تعليم الصناعة والتجارة والزراعة والتعدين وغير ذلك مما يحتاج اليه اللبنانيون ويجب ان يوضع للبنان تاريخ صادق وخريطة صحيحة لمدارسه العمومية . والهدى الذي يقترح هذا الاقتراح يقوم بنفقات الطبع فلا نفل نتعلم تواريخ الامم الغربية وحدودها ونجهل تاريخنا وحدود بلادنا

١٣ وضع قانون عام للنهضة اللبنانية لا يجوز لاي فرع منها الزيادة عليه او الحذف منه الا في الترتيبات المحلية التي لا علاقة لها بالمبادئ ويجب ان يكون المركز الرئيسي للولايات المتحدة وكندا والمكسيك وجزائر الهند الغربية وبعض الجمهوريات اللاتينية واحدا في نيويورك اما في سائر المهاجرين فيجب ان يكون النظام واحدا باستقلال كل بلاد بنهضتها وفروعها بشرط التقيد « النظام الواحد » والاشتراك في العمل الواحد على حد ما هي الولايات من « مركز الاتحاد » او لمقاطعات من العاصمة (??)

١٤ اصدار كتاب كل عام من اقلام ادياء النهضة اللبنانية في كل بقعة من العالم تكون مواضيعه الاصلاح والتربية والسياسة والاجتماع والتعليم بفروعه وغير ذلك

مما تدعو اليه الحاجة ويجب ان تكون اسماء الاعضاء وبيان الدخل والخرج في آخر هذا الكتاب مع قانون النهضة المعدل .

١٥ تعديل قانون النهضة اللبنانية عند التثام كل مؤتمر تعقده يكون مؤلفا من نواب كل فرع مستقل او مرتبط في مدينة متوسطة وموافقة للجميع وقبل انتهاء مدة المتصرف بسنة (??)

١٦ من حق كل مشترك في النهضة اللبنانية التصويت لمرشحي المركز الرئيسي مباشرة لمن كان غير منضم الى فرع او بواسطة الفرع الذي يكون منه ويعلم الترشيح مقدما

١٧ للمرأة الحقوق الوطنية بالانضمام الى النهضة اللبنانية وبانشاء الفروع لها او بالاقتابات عموما (?)

١٨ السعي مع الممولين لانشاء الشركات على اختلافها لا تكون النهضة فيها الا منشطة (?) وتكون كل شركة مستقلة بادارتها ونظامها - الشعب الذي لا يتحد في الشركات لا يستطيع الاتحاد في غيرها وبكل اسف نقول انه لا يكون ارتقى كثيرا .

١٩ العدول عن التبرعات للمشاريع المدعوة في الوطن عمومية وهي خصوصية لم يتم منها حتى الآن مشروع واحد على ما نعلم بعد جمع عشرات ألوف الدولارات ولا سيما ان (?) فضل المهاجرين غير معترف به واذا كان من اعتراف فبتفوق عليهم (?) وبذكر واجب لا تدري مصدره قبل الاعتراف المخلص بالمساواة (?) - المهاجرون ساعدوا كل مشروع وهمي في الوطن منذ ثلاثة عقود من السنين ولم يساعدهم لمتخلفون بشيء حتى في اصلاح البلاد فمن العدل ان يعدلوا عن الاستئثار الى الخدمة الوطنية المتساوية وامام المهاجرين واجبات كثيرة من الضروري القيام بها - يجب العدول عن التبرعات الى ان يتم المشروع الوطني على الاقل

٢٠ تكافل المهاجرين والمتخلفين في كل ما يعود على الوطن بالاصلاح والرقى

٢١ الاهتمام بالجندية اللبنانية اهتماما تنظر فيه النهضة

٢٢ بذل العناية التامة لانجاح قلم المهاجرة وصون اموال واعراض المهاجرين الجدد

٢٣ اذا كان المهاجرون مطالبين بالاموال الاميرية وسائر الضرائب فمن الواجب ان يكون لهم رأي في حكومتهم واعمالها واقتاناتها .

٢٤ عضو مجلس الادارة « شيخ مشرع » او « سناتور » فمن العار على البلاد ان يكون غير متعلم ولا مهذب ان لم يكن متشرعا

٢٥ ترمي النهضة اللبنانية الى انشاء مدرسة داخلية في امريكا الشمالية لاحيا اللغة العربية و بهاء الوطنية ولتنشئة الصغار على المبادئ القويمة واهم ما ترمي اليه حمل مدارس الوطن على تعديل نظمها فلا ينفق التلميذ ربع عمره قاتلا ويخرج بعد هذه الخسارة غافلا

٢٦ جعل لبنان مصيفا جميلا وتقا بالآداب والاخلاق مثله بالمناظر والماء والهواء (?)
٢٧ تحويل افكار المهاجرين عن اقامة الدور والقصور — الا ما كان ضروريا — الى انشاء المعامل والعناية بالزراعة والصناعة واستثارة دفائن كنوز لبنان
٢٨ تعليم الاقتصاد على انواعه وترويج المصنوعات والمستغلات الوطنية
٢٩ حثّول اعضاء النهضة اللبنانية دون الخلافات الطائفية والقومية والبلدية والفصل بين المختلفين منهم في محاكم النهضة الخصوصية الا اذا عز التوفيق
٣٠ انشاء جريدة رسمية مساهمة في كل بلاد فيها مركز رئيسي للنهضة وانشاء مجلة نسائية عند الحاجة والمقدرة

٣١ الاهتمام بالغرف التجارية الضرورية للمهاجرين
٣٢ السعي لاقامة رؤساء اساقفة في المهاجر للطوائف النائلة امتيازات في الوطن لصون الشرف ومنع الاستئثار اسوة بالطوائف الممتازة في اوربا
٣٣ مساعدة نوابغ اعضاء النهضة او نوابغ ابنائهم
٣٤ عدم مساعدة الكنائس الا اذا كان لها مدارس في الوطن والمهجر
٣٥ التفاهم مع رؤساء الاديان لخدمة الشعب وافادته بتنفيذ غاية الواقفين من الاوقاف دون تعرض لاي حق راهن لهم
٣٦ يجب اقامة وكلاء للنهضة حيث لا يوجد فروع او حيث يكون انشاء الفروع مبددا لا موحدا

٣٧ مرتب الدخول دولار واحد في السنة يجب ايصاله الى المركز الرئيسي من كل عضو في النهضة الا اذا شاء العضو التبرع. اما الفروع فلها ان تتفاهم مع الاعضاء على طرائق القيام بالنفقات المحلية (?)

٣٨ ينتخب نائب الرئيس وامناء الصندوق والمديرون من التجار اما الرئيس فيجب ان يكون غير تاجر صونا لحقوق مصالح سائر التجار

٣٩ لا يقبل الاممي — الذي لا يحسن القراءة — عضوا الا في السنين الخمس بعد اعداد القانون الاساسي ولا يقبل غير المستقيم على الاطلاق

٤٠ يجب ترغيب الشبان في تعليم الصناعات والفنون استعدادا لخدمة الوطن بما يكونون تعلموه

٤١ يعتبر مفشي اسرار الجمعية « خائنا » ويطرد بعد المحاكمة

٤٢ لا يقبل عضو في النهضة كل (?) من يكون منتظما في سلك جمعية في مبادئها ما يخالف مبادئ النهضة اللبنانية

٤٣ للجمعية شارة وكلمة تعارف وقوانين تعرف من النظام العمومي بعد طبعه

٤٤ تسعى النهضة اللبنانية لاهياء ذكر النوايح في العلم والوطنية من رجال ولساء بطبع نتائج قرائحهم واقامة تماثيل للعظماء منهم

٤٥ من مساعي النهضة اللبنانية انشاء المتاحف الوطنية وصون كنوز الحفريات والعاديات وحفظ كل ما يهتم القوم الراقي (?) بحفظه

٤٦ يجب ان يكون لنا « جمعية علماء » تبذل منتهى العناية باحياء اللغة والفنون الجميلة ومنها تتفرع فروع العلوم والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك

هذا اهم ما مر في خاطرنا من المبادئ والمنازع التي تقبل المسؤولية عليها دون احد من الناس ولنا في اكثر هذه البنود كلام تبسط فيه ونرجو ان يكون عند صادقي الوطنية مقبولا

الا اننا لاندعي بان ما جئنا به يجب ان يعتبر فصل الخطاب وانما اردنا ان نوقف الشعب على الاهم من مرامي هذا الحزب الا كبر المدعو نهضة لبنانية وهو حزب لم يظهر مثله حتى يومنا هذا في العالم العربي ولا الضوى تحت لواء اي جمعية عربية العدد المنضوي تحت لوائه

في كل مصر وقطر انصار لهذا الحزب لا نعلن اسماء جميعهم لحوائل سياسية ونؤكّد للبنانيين اننا بعد سنة واحدة نصبح ٢٥ الفا في المهاجر وحدها فمن كان مؤمنا بكتاب اللبنانية الشريف فليحمل لواءه بالاخلاص خفاقا، وينشر تعاليمه بالوطنية نطاقا، والفوز للمجاهدين اهـ

(المنار) نشرنا هذه المقالة بحروفها ووضعنا بجانب بعض المفردات والجل علامة (?) للإشارة الى ما فيها من خطأ أو ضعف لفظي او معنوي (ولولا ان استحسننا انشاء الكاتب لما أشرنا الى ذلك) . ويظهر منها ان هذه الجمعية سياسية علمية اقتصادية ادبية خيرية سرية جهرية . وفي هذه المواد المنشورة تعارض وتهافت ، يعني بعضها بملكة مستقلة ، كما بني بعضها على تابعة مبهمه . ولعل رئيس النهضة البارع يصححها ويرتبها بعد اعادة النظر فيها . ولا نسأله عن القوة التي يؤسس المهاجرون بها هذا الملك العظيم

ولنزد ما تقدم بيانا بنقل النبعة التالية من جريدة ابي الهول التي تصدر في البرازيل وهي :

أنا لبناني

ليقرأها اللبنانيون بتعني !!

لا تصبح الامة امة حقيقية ولا يستتب لها كيان الا متى نمت في صدور اغليتها عاطفة حب الوطن ، وكان هذا الحب مؤسسا على معرفة تاريخها ، وما التاريخ الا قطعة من قلب الامة ، وما أبناء هذا الجيل الا أحفاد أجيال اذا تناسيناها مسحنا نفوسنا وانكرنا الاصول التي انما نحن لها فروع

ولقد اثبت المدققون ان قوة الشعوب الحقيقية قائمة في ايمانها الوطني ، وعرف العالم باجمعه ان العثماني قد غلب في الحرب البلقانية لانه فاقد هذا الايمان ، وان الامم البلقانية لم تنتصر ذلك الانتصار الباهر الا لامتلاكها القوة الادبية علاوة على قواها الحرية

ومن الثابت ان السرب مثلا قد انتصروا لانهم بأجمعهم - من القائد الكبير الى الجندي الصغير - كانوا قد رسموا في قلوبهم وأدمغتهم تذكارات تاريخهم القديم الذي طمست به سنوات الحكم العثماني عليهم

وفي سنة ١٩٠٧ تشكلت لجنة نيايية سرية لفحص حالة استعداد الجيش العامة ، وارادت اللجنة ان تعلم مقدار معرفة الجنود تاريخ بلادهم فوقعت القرعة على فرقة من الفرق المقيمة في اقصى ارجاء سوريا فالتقت على كل من الجنود الاسئلة العشرة التالية :

ما ذا تعرف عن كرايفتش ما ركوا ؟ وعن ميلوش او بليتش ؟

عن الامير لازار ؟ وعن الامبراطور دوشان ؟

عن موقعة قوصوه ؟ وعن كاراجورجس ؟

عن الامير ميلوش وما هو اسم الملك الحالي ؟

واسم ولي العهد وهل يوجد سريون خارج سوريا ؟

فأيدت الاجوبة ان مائة في المائة من الجنود يعرفون ان « كرايفتش ماركو » ملك سوريا وبطل التاريخ الوطني كان آخر حماة استقلال سوريا ضد الاتراك

ومائة في المائة يعرفون ان السربي « ميلوش او بليتش » قتل السلطان مراد

في موقعة قوصوه سنة ١٣٨٩

(المنار - ج ٨ م ١٧) تأسي اللبنانيين بالسريين في السعي للاستقلال ٦٢٥

ومائة في المائة يعرفون ابن الأمير « لازار » قاد الجيش السري في معركة قوصوة وقتل فيها

وثمانون في المائة يعرفون ابن الامبراطور « دوشان » المتوفى سنة ١٣٥٥ كان اعظم ملوك سوريا القديمة

ومائة في المائة يعرفون ابن الامبراطورية السرية قد شقطت في موقعة قوصوة واثنتان وستون في المائة يعرفون ان « كراجورجس » كان زعيم الثورة الاولى السرية ضد الاتراك سنة ١٨٠٤ - ١٨١٣

وتسعة وخمسون في المائة يعرفون ابن الأمير « ميلوش » قاد الثورة الثانية التي ولدت منها سوريا الحالية سنة ١٨١٥

واثنان واربعون في المائة يعرفون اسم الملك الحالي

وثلاثة وعشرون في المائة يعرفون اسم ولي العهد

وثمانية وتسعون في المائة اجابوا انه يوجد سريون كثيرون خارج سوريا فهذه النتائج تثبت بوضوح ان الشعب السري باجمعه كان - ساعة شهر الحرب على تركيا - متشربا تذكارات تاريخه الوطني البعيدة والقريبة ومعتقدا بان امنية سوريا الحالية قائمة بتوسيع حدودها لامتلاك الاراضي المغتصبة وجعل سوريا كافية لضم جميع السريين

في هذه التذكارات كمنت قوة سوريا الحقيقية . وبهذه التذكارات انتقمت للتاريخ وانتصرت على تركيا



لم اروكل هذه المقدمات لاحداث القراء عن سوريا والسريين . ولكنها امثلة للام التي تريد ان تكون ونحيا !

نحن معاشر اللبنانيين لانحلم بمحاربة تركيا او الثورة عليها . ولكن الاوان قد آن لنسعى في تعزيز جامعتنا القومية وتأليف أمة يعرفها العالم المتمدن وبالامة اللبنانية ، . ومن اجل ذلك يجب ان نبدأ باعتناق الايمان الوطني وان تؤسس هذا الايمان على تذكارات تاريخنا البعيدة والقريبة

لقد انتهكت مذابح الستين قوانا الوطنية ولكن نصف جيل خلا كاف لتجديد الدم اللبناني

نوألقت اليوم لجنة لبنانية واختارت بضعة قرى من قرى لبنان واخذت تطرح على ابنائها الاسئلة التالية :

من هم اجداد اللبنانيين ؟ هل فقد لبنان يوما استقلاله ؟
 من هو أعظم أمير لبناني ؟ من اخرج محمد علي من سوريا ؟
 ماهي حدود لبنان الاصلية ؟ ماهي المسئلة اللبنانية ؟
 مارأيك بمذابح الستين ؟ ما الفرق بين المسيحي والدرزي ؟
 من هو احسن متصرف واسوا متصرف حكم لبنان ؟
 بماذا يجب ان يحلم اللبناني اليوم ؟

لوألقت هذه اللجنة وسألت هذه الاسئلة واجاب مائة في المائة ان اجداد اللبنانيين هم الفينيقيون غزاة البحر وتجاره واساتذة اليونان وممدونو قسم من افريقيا الشمالية وايطاليا وفرنسا واسبانيا

ومائة في المائة : ان لبنان لم يخضع يوما لدولة من الدول التي اجتاحت سوريا خضوعاً تاماً وانه لا يستطيع الحياة إلا مستقلاً

وثمانون في المائة بان أعظم أمير لبناني هو الامير نعر الدين المعني الثاني الذي أوصل حدود لبنان في الجيل السابع عشر من اطراف حلب الى اوئل فلسطين ولقبه سلطان تركيا « بسلطان البر » - يليه الامير الشهابي الكبير الذي نريد نقل رفاة من الاستانة الى لبنان احياء للروح الوطنية

ومائة في المائة بان سيوف اللبنانيين كانت العامل الاول في اخراج محمد علي باشا المصري واعادة سوريا الى تركيا في اوائل الجيل الاخير

ومائة في المائة أيضاً بان حدود لبنان الاصلية التي اغتصبها الدولة تمتد من اعالي طرابلس الى صيدا ومن ساحل البحر المتوسط وفيه بيروت الى اطراف الشام وفيها سهل البقاع وجبل انطيلبنان المعروف بجبل حرمون او جبل الشيخ

ومائة في المائة بان المسئلة اللبنانية مشكلة بين الدولة ولبنان لا تحل الا باستعادة لبنان حدوده المعتصبة وحقوقه في الكمرك والبريد - وان هذه المسئلة يجب ان يطرحها المجلس الاداري امام محكمة أوروبا التي تحمينا ولنا بها علاقة منذ بضعة اجيال بتقديم دعوى الديون التي لنا في ذمة الدولة

وثمانون في المائة بان مذابح الستين التي كان للمأموري الدولة اليد الاولى في اثارها وصمة على جبين لبنان يجب ان يمحوها بنزع التعصب الديني وابداله بالتعصب الوطني

ومائة في المائة بان الدرزي أخ للمسيحي في الوطنية، للاول ماللثاني وعليه ما عليه وان أحسن متصرف جاء قبل المتصرف الحالي هو داود باشا الارمني الذي سعى

في تحسين شؤون الجبل وتوسيع اراضيهِ ، واسوأ متصرف هم كل المتصرفين الذين سبقوا متصرفنا الحالي

وان على اللبناني ان يحلم اليوم باستعادة الامارة اللبنانية ، ويساعد جمعيات المجاهدين المخلصة ليعود المهاجرون الى بلادهم ، وتعود الى لبنان حياته ومعها العز والفخار . . . في ذلك اليوم . . . في ذلك اليوم يصبح اللبنانيون أمة حقيقة ويستطيع اللبناني ان يسمي جبله وطناً ، وان ينادي على رؤوس الملا بكل مباهاة وافتخار : « انا لبناني ! » « انا لبناني ! ! ! »

(المنار) : لولا هذه النقط التي أبهم بها الكاتب النتيجة ، لقال القارئ ان النتيجة جاءت أصغر من المقدمات ، لامتبعة أخس المقدمات كما يقول علماء المنطق . والجمال واسع امام من يريد انتقاد ما كتب الكاتب ، واهم ما يهيم دعاة النهضة العربية من ذلك جعل البلاد السورية أو طائناً متعددة ، ومن فروع ذلك جعل هذا الكاتب اللبنانيين كلهم فينيقيين - على مذهب عبيد الله التركي الذي زعم ان نصارى سورية ليسوا عرباً - وهذا خطأ مبين ، فان كثيراً من سكان الجبل يعرفون انهم من سلالة العرب ، ومنهم أمراؤه كبني معن وبني شهاب الذين يفخر الكتاب بكبيريهما الامير نحر الدين والامير بشير ، وبني رسلان وغيرهم من الدروز . والباقون من سلاسل العرب والفينيقيين وغيرهم . ولكنهم صاروا كلهم عرباً بتوحيد لغتهم ، وانما الجنسية باللغة فكثير من الاسبانيين من سلالة العرب ولكنهم لا يعدون الآن عرباً

يظهر مما اشترنا ومما لم ننشر مما يكتبه غلاة الدعوة اللبنانية انهم يحنون أنفسهم بما ليس في طاقتهم ، يحنون أنفسهم بأن يكونوا دولة قوية مستقلة تمام الاستقلال ، منفصلة عن جدتهم الامة العربية وأمهم سورية نفسها ، لا عن الدولة العثمانية فقط . ولا يكون مثل هذا الشعب حربي قوي ، ولذلك يكثر أصحاب دعوة هذا الاستقلال من ذكر قوة الجبل وامتناعه عن الفاتحين ، وانتصاره على المصريين ، واخراجهم جيش محمد علي الكبير من سورية وردّها الى الدولة ، والاسترسال في المبالغات التي ليس من موضوعنا البحث فيها . ولنسلم لهم حديثهم عن ماضيهم ، فانه لا يمنعنا من الجزم بأنهم لا يستطيعون ان يأخذوا بقوتهم شبراً من أرض الدولة ولا درهما من خزينتها ، وانما مسألتهم أوربية مفتاحها بيد الدول الكبرى ، فاذا هن اتفقن على إعطاء الجبل شيئاً فهو الذي يرجي ان يأخذه ، واذا لم يتفقن فقراسة وحدها لا تستطيع ان تعمل للجبل شيئاً . واذا استطاعت الدولة ان ترضي الدول بالتغاء امتياز لبنان فانها تلغيه ، وخلاف فرنسا وحدها لا يحول دون ذلك . فمن يعرف هذه الحقائق يجزم بأن مؤسسي جمعية (الاتحاد اللبناني) في مصر ارسخ قدما في السياسة من سائر اللبنانيين . وان وراء ذلك كله سياسة مثلى لو قدروها قدرها ، ولم تحجبهم آمالهم بفرنسة وغيرها عنها ! !

مصاب مصر والشام برجال العلم وحلة الاقلام

٤ - الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (تمة ترجمته)

تصانيفه ورسائله

كان أثابه الله سيال القلم سيال الفريجة ، سريع الذاكرة سريع المراجعة ، وقد كتب كثيرا من الكتب والرسائل تصنيفا وشرحا واختصارا لبعض المطولات ، أحصاها لنا بعض تلاميذه فزادت على السبعين ، وهو العقد الذي تعبر به العرب من الكثرة . وهذه أسماؤها مرتبة على حروف المعجم :

- (١) الاستثناس ، في تصحيح أنكحة الناس . طبع في دمشق سنة ١٣٣٢
- (٢) الانوار القدسية ، على متن الشمسية في المنطق ، كتب عليها الى آخر قسم التصورات (٣) ايضاح الفطرة ، في أهل الفترة (٤) الارتفاق ، بمسائل الطلاق (٥) ازالة الاوهام ، بما يستشكل من ترك سيدنا عمر لكتابة الكتاب الذي هم به عليه الصلاة والسلام (٦) افادة من صحاح ، في تفسير سورة والضحى (٧) اعلام الجاحد ، عن قتل الجماعة المتماثلة بالواحد (٨) الاقوال المروية ، في من حلف بالطلاق الثلاث في قضية (٩) الاوراد الماثورة - مطبوع في دمشق (١٠) الاجوبة المرضية - مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٦ (١١) اصلاح المساجد ، من البدع والعوائد
- (١٢) بذل الهمم ، لموعظة أهل وادي المعجم (١٣) بديع المكنون ، في أهم مسائل الفنون (١٤) بيت القصيد ، في ديوان الامام الوالد السعيد (١٥) بحث في جمع القراءات المتعارف

(١٦) تعطير المشام ، في مآثر دمشق الشام (١٧) تعليقات على حصول المأمول لصديق حسن خان (١٨) تنوير اللب ، في معرفة القلب (١٩) تاريخ الجهمية والمعزلة . نشر في مجلة المنار وطبع في مطبعتها سنة ١٣٣١ (٢٠) تنبيه الطالب ، الى معرفة الفرض والواجب - طبع في مصر سنة ١٣٢٦

- (٢١) ثمرة التسارع ، الى الحب في الله وعدم التقاطع
- (٢٢) الجواب السني ، عن سؤال السيد أحمد الحسني (٢٣) الجوهر الصاف ، في ثقافة الاشراف (٢٤) جواب المسألة الحورانية (٢٥) جوامع الآداب ، في أخلاق الانجباب (٢٦) جدول في مخارج الحروف وصفاتها (٢٧) جواب الشيخ السناني في مسألة العقل والنقل - نشر في مجلة المنار
- (٢٨) حسن السبك ، في الرحلة لوعظ قضاء البنك (٢٩) حياة البخاري .

طبع في صيدا سنة ١٣٣٠ (٣٠) حاشية على الروضة الندية
(٣١) درء الموهوم ، من دعوى جواز المرور بين يدي المأموم (٣٢) دلائل
التوحيد . مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٦ « ٣٣ » ديوان خطب مطبوع في دمشق
سنة ١٣٢٥ .

« ٣٤ » رفع المناقضات ، بين ما يزيد في العمر وبين المقدرات « ٣٥ » رسالة
في الشاي والقهوة والدخان . مطبوعة في بيروت سنة ١٣٢٣ « ٣٦ » رسالة في أوامر
من مشايخ الاسلام بالحكم بغير المذهب الحنفي . مطبوعة بعد نشرها في مجلة المنار
سنة ١٣٢١ « ٣٧ » رسالة في المسح على الجوربين مطبوعة في بيروت سنة ١٣٢٢
« ٣٨ » رسالة في المسح على الرجلين .

« ٣٩ » زوال الغشاء ، عن وقت العشاء « ٤٠ » زبدة الاخبار ، عن أولاد
الكفار « ٤١ » السطوات ، في الرد على منع العشاء قبل الصلوات

« ٤٢ » شمس الجمال ، على منتخب كنز العمال « ٤٣ » الشذرة البهية في حل
ألفاظ نحوية . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٢ « ٤٤ » شذرة من السيرة المحمدية .
مطبوعة مطبعة المنار في مصر سنة ١٣٣١ « ٤٥ » شرح لفظة العجلان . مطبوعة في مصر
سنة ١٣٢٦ « ٤٦ » شرح مجموعة أربع رسائل في الاصول . مطبوعة في بيروت سنة
١٣٢٤ « ٤٧ » شرح مجموعة أربع رسائل في الاصول أيضا . مطبوعة في دمشق
سنة ١٣٢٣ « ٤٨ » شرح مجموعة ثلاث رسائل في أصول التفسير وأصول الفقه .
مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢١ « ٤٩ » شرح مختصر المستصفي لابن رشيقي .

« ٥٠ » الطائر الميمون ، في حل لغز الكنز المدفون . مطبوع مرتين سنة
١٣١٦ وسنة ٢٢ « ٥١ » طراز الخلعة ، فيما نقل من قول الرمي : وأقسام الاسم تسعة
« ٥٢ » الطالع المسعود ، على تفسير أبي السعود (لم يتم) « ٥٣ » الطالع السعيد ، في
مهمات الاسانيد

« ٥٤ » العقود المنظمة في ذكرى مولد النبي (ص) وأخلاقه العظيمة ، ومحاسن
شريعته القوية « ٥٥ » غنيمة الهمة ، على كشف الغمة « ٥٦ » فصل الكلام ،
في حقيقة عود الروح الى الميت حين الكلام « ٥٧ » الفضل المبين ، على عقد
الجواهر الثمين ، ويعرف بشرح الاربعين العجلونية « ٥٨ » فتاوى الاشراف ،
في العمل بالتلغراف . مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٩ « ٥٩ » قواعد التحديث ،
من فن مصطلح الحديث

٦٠ الكواكب السيارة ، في مدح الفوارة ٦١ كتاب الفتوى في الاسلام .
مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٩ . (٦٢) كتاب ارشاد الخلق ، الى العمل بخبر البرق .

طبع بدمشق سنة ١٣٢٩ ، ٦٣ كتاب الاسراء والمعراج . طبع بدمشق سنة ١٣٣١
 ٦٤ كتاب شرف الاسباط . طبع بدمشق ٦٥ كتاب (شرح العقائد) وهو كتاب
 كبير كتب الفقيد منه نحواً من مائتي صفحة ولم يتم ٦٦ الف والنشر ، في طبقات
 المدرسين تحت قبة النسر ٦٧ لزوم المراتب ، في الادب مع الامام الراتب
 ٦٨ المسند الاحمد ، على مسند الامام احمد ٦٩ منتخب التوسلات . مطبوع
 في دمشق سنة ١٣٠١ ، ٧٠ ، مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن . طبع
 بدمشق سنة ٣٢٨ ٧١ ، ميزان الجرح والتعديل طبع في مصر سنة ١٣٣٠
 ٧٢ موعظة المؤمنين ، من احياء علوم الدين . طبع بمصر سنة ١٣٠١ ، ٧٣ محاسن
 التأويل (وهو التفسير العظيم الذي يقع في اثني عشر مجلداً مع مقدمته التي كتبت
 في مجلد حافل

٧٤ النفحة الرحمانية ، على متن الميدانية . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٢
 ٧٥ نقد النصائح الكافية . طبع بدمشق سنة ١٣٢٨
 ٧٦ هداية الالباب ، لتفسير آية « وطعام الذين أوتوا الكتاب » ٧٧ الوعظ
 المطلوب من « قوت القلوب » ٨٧ وفاء الحبيب وحده ، في ايضاح جهة الوحدة
 (المسوقة في الفناري) ٧٩ ينايع العرفان ، في مسائل الارواح بعد مفارقة الابدان
 اقول: ان بعض ما ذكرنا رسائل صغيرة مؤلفة من كراسة او كراستين او
 كراسات قليلة ، له او لغيره ، وبعض ما ذكرنا من الشروح عبارة عن تعليقات
 لا يصح ان تسمى شرحاً ، وقد كتب الي في العام الماضي ان له كتاباً في العبادات
 مقتبساً من كتب المذاهب مع بيان حكمة التشريع . كان اخذه منه الشيخ احمد طباره
 ليطبعه في مطبعته ببيروت ولم يعده اليه ، وعلمت مما كتب الي انه من اهم كتبه ،
 وكنت وعدت بتأليف كتاب في ذلك فسبقتني رحمه الله اليه ، فتمنيت لو يطبع لأستغني
 به . ولعل هذا الكتاب وتفسيره الحافل هما اكبر مظاهر علمه واصلاحه ، على ان
 له رسائل مختصرات ، لاتغني عنها المطولات

سيقول كثير من الناس: إنك عدت القاسمي من رجال الاصلاح ، وان أسماء
 كثير من هذه الكتب التي صنفها أو شرحها تدل على انها ليست من الاصلاح
 في ورد ولا صدر ، ولا تشتمل على عين منه ولا أثر ، فكيف يضيع العالم المصلح
 وقته في شرح لغز ، أو ما يعد أبعد عن الاصلاح من اللغز ؟

ويمكنني أن أقول : ان الرجل كان من خيار مصلحي المسلمين في هذا العصر وان لم يدخل كل ما كتبه في باب الاصلاح الذي يفهمه قراء المنار ، فمضى الاصلاح ومفهومه واسع ، وهو يختلف باختلاف الزمان والمكان ، والسن والعشراء والاقربان ، والتلاميذ والمريدين ، وغيرهم من المخاطبين ؛ والمصلح لا يخلق مصلحا بالفعل ، بل يخلق كغيره لا يعلم شيئا ؛ ويكون الاستعداد للاصلاح فيه كامنا ، ثم تظهره التربية والتعليم ، وما يتجدد المرة بعد المرة له من العبرة والتأثير . فهل يطلب ممن عاش خمسين ، ترك فيها من هذه الكتب والرسائل نحو من سبعين ، ان يكون جميع ما كتبه او شرحه اصلاحاً في الدنيا والدين ، مرضيا عند الكهول المجربين ، والشيوخ المحنكين ؟

طريقته في الاصلاح

حسب من نشأ وتعلم وتربى في أرض التعصب للتقليد ، والجمود على العادات والخرافات ، تحت سماء الاستبداد ، والحجر على الالسنه والاقلام ، — ولم تكن هذه المفاصد في الاستانة أشد منها في الشام — ان يكون بسلامة فطرته ، وعناية الله به ، مثل الشيخ جمال الدين القاسمي في استقلاله ، ونزاهته واعتداله ، ونظافة عقله وقلمه ولسانه ، وجراته على مجاهدة الجمود والتقليد ، والجمع في احياء علوم اللغة والدين بين الطريف والتليد .

أما طريقته في الاصلاح وغايته منه فلم يكن فيهما على خطة مقررة من اول النشأة ، وانما كونهما الحاجة بقدر استعداد البيئته : فتح الرجل عينيه فرأى أطلال العلم في بلده دارسة ، وأعلامه طامسة ، وقد كانت مهاجرا يرحل الطلاب اليها ، فأصبحت مهجورة يرحل عنها . فكان الاصلاح الضروري فيها إيجاد نشء جديد من طلبة العلم يعلمون تعليما صالحا يرجي أن يحياه وبهم العلم ، وقد كان سبب اختيار الشيخ لقراءة بعض الكتب ولكتابة بعض الشروح والتعليق على بعضها ، هو الضرورة أو الحاجة الى تدريسها ، لا كونها صالحة في نفسها ، او محاولته اصلاح التعليم بها . مثال ذلك ما كتبه على شرح الفناري ومتن الشمسية في المنطق ، كان مما لا بد منه ، لان طلبة العلم كانوا يمتحنون بهما لاجل اعفائهم من الخدمة العسكرية . وتقيس مالم نعرف عنده فيه — كقراءة كتاب جمع الجوامع وشرح بعض المتون — على ما عرفنا عنده فيه

كثرت الشمسية وشرح الفناري، وكلاهما لا يصلحان للتدريس، في رأي العارفين بطرق
اصلاح التعليم. ولو كان الشيخ في مصر لقلنا ان عذره في قراءة جمع الجوامع اعتماد
الجامع الازهر عليه في الامتحان ونيل شهادة العالمية

لعلنا لو اطلعنا على جميع ما كتبه لظهر لنا من عذره مالا يظهر لنا الآن . أو
ننتقد منها مالا نطن الآن انه متقصد ، وحسب الرجل ان يكون مصلحا في سيرته
ومجموع أعماله

قد اطلعنا على كتاب دلائل التوحيد وبعض الرسائل من مؤلفاته المطبوعة ،
وقرطنا بعضها في المنار وبيننا مزيها فيه . ويمكننا أن نستنبط منها ومن مذاكراتنا
القصيرة له مانعه للقارئ من مزاياه ومزاياها

(١) ان القاسمي درس فنون اللغة العربية والعلوم الشرعية على الطريقة المألوفة
في مدارس المسلمين منذ قرون ، وتلقى تلك الكتب التي اختارها المتأخرون
للتدريس ، ورأى حاجة أهل البلاد الى بعض تلك الكتب لاجل امتحان الاعفاء
من العسكرية ، وان المشتغلين بالعلم منهم يظنون أن العالم لا يكون عالما حقيقة الا
بتحصيل كذا وكذا منها (كجمع الجوامع وكتب السعد التفتازاني) فكانت هذه
الامور الثلاثة أسبابا لمحافظة على بعض ذلك التليد

(٢) انه كان يرى ان ما يثبت بالدليل النقلي في النقليات والعقلي في العقليات
وبالتجربة في المخرجات لا تتلقاه بالقبول هذه الامة التي جمدت على التقليد، وبعد عهد
جمهورها بالحجة والدليل ، الا اذا أيد بنقل عن بعض العلماء السابقين ، ولا سيما اذا
كان من المشهورين ، فكان يرى هذا ركنا من أركان الاصلاح في التدريس
والتأليف لاجل اقناع المستدلين والمقلدين معا، ونحن نجري على هذا في المنار والتفسير احيانا
(٣) انه كان يتحرى مذهب السلف في الدين وينصره في دروسه ومصنفاته

وما مذهب السلف الا العمل بالكتاب والسنة ، بلا زيادة ولا نقصان ، على الوجه
الذي كانوا يفهمونه في الصدر الاول . وقد اتهم — كما اتهم غيره من المستقلين —
بأنه احدث مذهباً جديداً في الاسلام ، ولما كانت حادثة السعاية التي أشرنا اليها ،
وذكرنا انه حبس فيها ، لفظ حساده بهذه المسألة فقال يرد عليهم :

زعم الناس بأنني مذهبي يدعى الجمالي
 واليه حينما أف تي الوري أعزومقالي
 لا وعمر الحق اني سلفي الاتحصال
 مذهبي ما في كتا ب الله ربي المتعالي
 ثم ما صبح من الاخ بار لا قيل وقال
 أقتني الحق ولا أر ضي بأراء الرجال
 وأرى التقايد جهلا وعمى في كل حال

وقال ايضا في هذا المعنى :

أقول كما قال الأئمة قبلنا صحيح حديث المصطفى هو مذهبي
 ألبس ثوب القيل والقال باليا ولا أتحملي بالرداء المذهب

(٤) كان يتحرى في المسائل الخلافية الاعتدال والانصاف ، واتباع ما يقوم عليه الدليل من غير تشنيع على المخالف ولا تحامل . وكان لحرصه على الوفاق وجمع كلمة المسلمين يجتهد في استنباط حجة كل فريق من اصحاب المذاهب ، وتقريب احدهما من الآخر ، باظهار حجته أو شبهته ، وحكاية ما يعارض الخصم به . ومن كانت هذه طريقته فكثيرا ما يغضب الخصمين معاً . فاتهمه كل منهما بالتشيع للآخر . ثم اذا كان احدهما مصيباً والآخر مخطئاً يتعذر على محب الاعتدال في الحكم بينهما ان يرضى باستحداث مذهب ثالث يجعله وسطاً بينهما ، اذ ليس بين الحق والباطل وسط ، وانما يكون الحق وسطاً بين باطلين ، او أباطيل ترجع كثرتها الى نوعين — الزيادة على الحق او النقص منه . وقد اتهم الفقيد بعض السلفيين بأنه مخالف مذهب السلف في رسالته (تاريخ الجهمية والمعتزلة) التي نشرناها في المنار ، على شدة حرصه عليه وتحريره اياه ، وانتقدها بعض الشيعة كما يأتي . واتهمه بعض المستقلين بعثرة اخرى في رسالته (تقد النصائح الكافية) وهي ان حب الاعتدال وتقريب احد الخصمين من الآخر اخرجه عن الاعتدال في بعض المسائل ، ولكن بقصد الاصلاح وههنا مسألتان (أحدهما) أن المستقل في علمه وحكمه حق الاستقلال يتحرى

ما يظهر له أنه الحق فيقوله ويحكم به وإن أغضب جميع الناس عليه . وقصارى ما يستبيحه من ارضاء الناس أو استماتهم التلطف في القول ، وتزيين الحق الذي ثبت عنده بحلي البيان وحله ، دون ابرازه لم عاري الجسد عاطل الجيد

(الثانية) ان الاصلاح بين الرجلين أو القبيلين من الناس فضيلة حث عليها الشرع وعرف حسنهما العقل ، وقد أيسح فيها الكذب عند الضرورة عملاً بقاعدة « ارتكاب أخف الضررين » فبالاولى يباح فيها التماس العذر لكل خصم فيما خالف فيه الآخر ، وتوجيه ما قام عنده من الحجة أو شبه الحجة . وهذه الطريقة في الاصلاح أقرب الطرق لارضاء المعتدلين من أهل المذاهب المختلفة ، وأما الغلاة في التعصب لمذاهبهم فلا يرضيهم الا موافقتهم واتباعهم .

أما العمل بهاتين المسألتين واعطاء كل واحدة منهما حقها فهو عسر جداً ، فإن المستقل جد الاستقلال اذا تصدى للتوفيق بين الخصمين التعصبيين يفضيها جميعاً وإنما يمكن أن يرضى المستقل من كل فريق أو المستعد للاستقلال ، اذا أوتي الحكمة وفصل الخطاب ومن الآيات على ذلك أن رسالة (تاريخ الجهمية والمعتزلة) لم يكتب أحد في هذا العصر كتابة أعدل منها في التأليف بين فرق المسلمين الكبرى — وهم أهل السنة الأثرية والاشاعرة والمعتزلة والشيعة والخوارج — وقد كتب بعض علماء الشيعة رداً عليها قبل اتمام نشرها ، وهل يرضى شيعي بتعديل بعض الخوارج والرواية في الصحيحين عنهما ؟ وانكر بعض أهل السنة الأثريين بعض المسائل فيها كما تقدم . فأين هذه من تلك الرسالة التي كتبها أحد علماء الشيعة للتوفيق بين الامة بزعمه او دعواه الظاهرة فكانت عبارة عن دعوة أهل السنة الى التشيع بتخطئتهم وتصويب الشيعة في جميع مسائل الخلاف ١١

أخلاقه وشمائله

كان من اكمل ما رأيت في أخلاقه وآدابه وشمائله : كان أبيض اللون نحيف الجسم ربة القد ، أقرب الى القصر منه الى الطول ، غضيب الطرف ، كثير الاطراق ، خافض الصوت ، ثقيل السمع ، خفيف الروح ، دائم التبسم وكان تقياً ناسكاً واسع الحلم ، سليم القلب ، نزيه النفس واللسان والقلم ، برا بالاهل ، وفياً للاخوان ، يأخذ ما صفاً ويدع ما كدر ، عائلاً غنياً قالما

لا يطيبه طمع مدنس اذا استمال طمع او اطي
وقد بينا ما كان لا اخلاقه الكريمة من حسن الامر، والوقاية من كيد الجامدين
والحاسدين، والاعانة على الاصلاح

ومن حسن وفائه انه لم يقطع مراسلتنا ولا مراسلة الاستاذ الامام في ابان ثقل
وطأة الاستبداد الحميدي، اذ كانت مراسلتنا تعد من الجنائيات السياسية التي تعاقب
الحكومة صاحبها أشد العقاب، ولكنه ترك التصريح بثقل شيء عنا كما يعلم من
كتابه (دلائل التوحيد) وصرح لنا بذلك

وقد عبرنا عن بعض ما وجدناه من الحزن لفقده بكتاب وجهناه الى أهله، وكان
من يعرف ما بيننا من الاخاء يعزينا عنه كما يعزى الاخوة في النسب. وما بيننا من
أخوة النسب الروحي، أعلى من النسب الجسدي، على أن نسب امه يتصل بنسبنا أيضا
وحسبي أن أدون من تلك التعازي ما كتبه الي صديقي وصديقه علامة العراق
ورحلة أهل الافاق، السيد محمود شكري الالوسي الشهير. وقد كتبت اليه مثل الذي
كتبه الي يباعث القلب، ولكنه سبق كدأبه في سبق الى كل فضل. وهذا
ما كتبه بعد الالقاب، وفاتحة الخطاب:

« أما بعد فقد نعت الينا صحف البلاد الشامية وفاة العلامة السيد جمال الدين
القاسمي قدس الله روحه الزكية، فأمض ذلك الخبر قلبي وأفض لي، وجرح فؤادي
وطرد رقادي. وأحدث لي حزناً ملازماً، وألماً دائماً، وأورثني قلقاً واخزاً.
وانزعاجاً حافزاً. وحيث كان المشار اليه من أعزة أحبابكم، وخلص أصفياثكم،
مع ما كان عليه من الفضل الوافر، والادب الباهر، والورع الظاهر، والنسب
الظاهر، والذب عن الشرع المبين، وقوه الايمان واليقين، ومناضلة الحاشدين
والملاحدين، وانه حسبما اعترف له الموافق والمخالف

أحياه الله الشريعة والهدى وأقام فيه شعائر الاسلام
حكم على أهل العقول يشها منعوتة الاوضاع والاحكام
ويريك في ألفاظه وكلامه سحر العقول وحيرة الافهام

فاني اعزيك على فقده، وتوسده للحدود، ومفارقته لهذه الدنيا العدارة الخائنة
المكارة، فان نعيمها زائل، وكوكب سعدا آفل، فلا اوجع الله لك قلباً، ولا كدر
لك خاطراً ولا لباً، وللإسلام من طلعتكم الغراء، سلوان عمن مضى من الفضلاء،
واعا يحل الرزء اذا قل العوض، ويكبر المصائب اذا عدم الخلف. فاما اذا كنت
الباقى، وغيرك الماضى، وصرت الموحود، وسوالك المفقود، فالتأدحة خفيفة الوقع، مروءة
الصدق ويد الدهر فيما نال قصيرة، ومنته فيما ترك كبيرة. هذا مع أسفى عليه كل الاسف،
وتصاعد أنفاسي بمزيد اللهف، وقد جرت عليه من العيون عيون، فانا لله وإنا اليه

راجعون . نسأله تعالى ان يديمكم ركن الاسلام ، ومرجعا للخاص والعام ، ويصونكم من طوارق الليالي والايام ، تذكرة للسلف الاعلام » اه
وأقول ان مما يعزيني ويعزي هذا الاخ الكريم . والمصلح العظيم ، الذي لا استحق بعض ثنائه ، ولا ينسيني نقصي كمال اطرائه ان أخانا الفقيه قد ربي وعلم افرادا من اخوته وغيرهم يرجي ان يقفوا اثره ، ويتلو تلوه ، وان كان نسيج وحده فتبقي بهم ديار الشام . أهلة ان شاء الله بالعلماء الاعلام . على مدى السنين والايام .

(٥ - جرجي بك زيدان)

قضى الله - ولا راد لقضائه - ان لا تفرغ من رثاء وترجمة رجال العلم الذين فجعت بهم الأمة العربية في هذه السنة في مصر والشام ، الا وقد رزى القطران بفجعة أخرى ، فقد فاجأت المنية في التاسعة والعشرين من هذا الشهر جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال ، وأحد أركان النهضة العربية الحديثة ، فاجاته كهلا قد بلغ اشده واستوى ، حسن الصحة تام القوى - وقد أتم في هذه الليلة تصحيح آخر كراسة من آخر جزء من أجزاء السنة الثانية والعشرين للهلال ، وآخر كراسة من كتاب تاريخ العرب . وتنفس الصعداء من تعب ليلة شعر بأنه ألقى عن عاتقه في أولها تسب عشرة أشهر ، ثم ألقى نفسه على سريره ليبدأ فيها باستراحة شهرين كاملين ، ففاضت نفسه فاذا هو قد ألقى عنها تعب ربع قرن في الجهاد العقلي كان هو القاضي على مادة ذلك الدماغ الذي يشبه معملا من معامل السكرباء ، في السرعة والنور والحرارة والضياء ، والمقوض لدعائم تلك الحياة الحميدة ، حياة الجد والعمل والعفة والاستقامة . فاذا كان الجهاد العقلي قد صرع احمد فتحي باشا زغلول والاستاذ القاسمي بعد مرض طويل أو قصير ، فقد صرع جرجي بك زيدان من غير مرض ولا شكوى فقدت الأمة العربية بهذا الرجل ركنا من أركان نهضتها الحديثة في العلم والأدب ، بعد أن نضج علمه ، واتسعت معارفه ، وكملت تجاربه ، وصار أقدر على اتقان خدمتها ، ومساعدة نهضتها .

نشأ الرجل عصاميا ، فقد ولد في أواخر سنة ١٨٦١ م من أبوين فقيرين اميين ، ولكن يظهر انه كان له في الأرومة العربية عرق راسخ ، فقد بحث عن أصل بيتهم - وكان يسمى بيت مطر - فأنتهى به البحث الى ترجيح كونه من عرب حوران ، وكان يظن انه كثر الروم الارثوذكس في سورية من بني غسان .

تلقى مبادي القراءة والكتابة في بعض مكاتب بيروت الابتدائية . وكان يشتغل مع والده في مهنته لاجل المعاش ، ولكن استعداده للعلم وعشقه للمدارس كانت قويا جدا ، فكان يختلف الى بعض المدارس الليلية ، يتعلم فيها اللغة الانكليزية . ويبحث عن رجال العلم والأدب ويتقرب اليهم ، وانتظم مع طائفة من خيارهم في سلك جمعية شمس البر الادبية ، فازداد حبا للعلم ورغبة في طلبه ،

وكان بعض من آتس فيه الاستعداد من أهل العلم يقرأ له دروسا خاصة يستعد بها لدخول القسم الطبي من المدرسة الكلية الأمريكية الشهيرة ببيروت ، وبعد تحصيل قليل أدى الامتحان ودخل المدرسة فكان يتعلم فنون الصيدلة ويؤدي بعض الخدمة لاجل المعاش ، ولكنه ترك المدرسة في أثناء السنة الثانية لما كان عرض فيها من الاختلال الداخلي المعروف . وقصد بعد ذلك الديار المصرية ليم دروسه في مدرسة القصر العيني فلم يتح له ذلك ، بل دخل في طور العمل والكسب

ان كثيراً من النابغين لم يقيموا في المدارس زمنا طويلا ، ومن الثابت بالاختبار ان طول الإقامة في المدارس تضعف ملكة الاستقلال ، فيخرج الطالب بعده مقلدا جامدا على ما أطال درسه ومزاولته . فان كانت سعة العلم لا تحصل الا في الوقت الواسع ، فالواجب ان يكون أطول زمن التحصيل خارج المدرسة لا داخلها ، وفي أثناء العمل بالعلم ، لا في أثناء تلقي نظرياته ومصطلحاته . ورب ذكي أو مجتهد يحصل من مسائل العلم في سنة ما لا يحصله غيره في سنين كثيرة . وما تحصيل المدرسة الا دلالة على طريق العمل بالعلم ، فمن يطلب العلم فيها لاجل الاستعانة به على العمل بعد الخروج منها ، فربما يكفيه القليل من العلم ، فيجعله أهلا للعمل الذي لا يكمل العلم الا به . واما من يطلب العلم لاجل نيل شهادة مدرسية يتوسل بها الى رزق لا يتوقف على دوام الاشتغال به والارتقاء فيه ، فهجرته الى ما هاجر اليه ، فهو يحصل ورقة الشهادة ، ولكنه قلما يكون عالما عاملا بعلمه مرتقيا فيه . وناهيك اذا كان طلبه للعلم بارادة ولي أمره ، لا بارادته الذاتية ورغبته .

أما فقيدنا اليوم فقد كانت نفسه العصامية هي الحافزة لهمة والباعثة له على طلب العلم ، وكان يقصد من العلم ان يعمل به فيفيد مالا وجاها يكون به في مقدمة امته لاني ساقها . ولذلك حصل بجده وقوة ارادته في الزمن القليل ، ما يمكنه من العمل الذي عجز عن مثله من هم أكثر منه تحصيل ، وأوسع في العلوم والفنون عرفانا . وأما اذا اتفق لمثل صاحب هذه الهمة والارادة تحصيل المقدمات تامة من أول النشأة ، فان عمله يكون أقوم ، وسيره فيه يكون اسرع وأتم .

اشتغل الفقيد عقب هجرته الى مصر بالتحرير في جريدة يومية اسمها الزمان نحو من سنة ، ثم سافر مع الحملة النيلية الانكليزية الى السودان مترجما في قلم الخبرات ، وشهد بعض وقائع الحرب في السودان ، ومكث هنالك عشرة أشهر ، ثم عاد وسافر الى سورية فاشتغل فيها مدة بدراسة اللغتين العبرانية والسريانية . ثم الى بلاد الانكلز . ثم عاد الى مصر فندبه أصحاب المقتطف الى مساعدتهم في ادارته فتولاها سنة واشهرا ، ثم استقال منها وانصرف بكل همته الى التأليف فألف تاريخ الماسونية ومختصر التاريخ العام وتاريخ مصر الحديث . ثم تولى ادارة

التعلم بالمدرسة العبيدية سنتين

وفي أواخر سنة ١٨٩٢ ميلادية أنشأ مجلة الهلال ، وجعل جل عنايته فيها بالتاريخ والاختبار العلمية ، وجعل لها ذيلا من القصص (الروايات) الغرامية المزوجة بتاريخ الاسلام ، فظهر من خطته فيما ينشئ وينقل أنه من أقدر من اشتغل بالصحف الغربية والتأليف في هذا العصر ، أو أقدرهم على جذب جمهور القراء الى ما يكتب ، بمحاولة جعل ما يكتبه لذيذا سهل الفهم ، كالطعام اللذيذ سهل الهضم ، وكان يختار في كل وقت ما يناسبه ، وفي كل حال ما يلائمه ، فاذا أملت ملمة ، أو حدثت حادثة مهمة - كالحروب ومشاكل الدول وموت الملوك والكبراء - يادر الى كتابة ما يتعلق بذلك من مباحث التاريخ القديم والحديث ، مزينا له بما يتعلق به من الصور والرسوم .

وكان سلما نزيه القلم ، يتقي كل ما يثير غضب أصحاب المذاهب الدينية ، والاحزاب السياسية ، ولكنه لم يسلم مع ذلك من اتهام بعض سيئي الظن من المسلمين والنصارى ، فقد اتهمه بعض الاولين بتعمد الظن في الاسلام بقرية يفتريها ، أو دسيسة يدسها ، وكانوا يستدلون على ذلك ببعض الاغلاط التي وقع فيها ، أو تصوير بعض المسائل بغير الصورة التي يعرفونها ، لفهمها بغير الصفة التي يفهمونها ، ورد عليه بعض هؤلاء في المؤيد . وطالما رددت على بعضهم مبرئا له من سوء القصد ، لما لي فيه من حسن الظن . وأشارت الى ذلك في المنار غير مرة .

وقد حدثني ان بعض سيئي الظن من النصارى قد اتهمه بضد ما يتهمه به بعض المسلمين : انهم يهملون بمصالحة المسلمين ومحاباتهم ، ومدح الاسلام والمسلمين تقربا اليهم ، لاجل الكسب منهم . ولا يسلم من السنة الناس أحد ، كيف وقد كفروا بالواحد الاحد ، الفرد الصمد ، سبحانه وتعالى

نعم انه قد ظهر منه بعد الانقلاب العثماني نزعة جديدة ، تقدمتها نزعة عدت احياء لمذهب الشعوية : ذلك بأنه زار الاستانة ولقي فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي ، ثم عاد متشعبا بالنهضة التركية ، مستنكرا مجازاة العرب لاختوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية ، مستصوبا خطة الاتحاديين الاولى من تترك العناصر وادغام العرب في الترك . وقد كتب في الهلال ما يشعر بهذه النزعة ، فهاج ما كتبه جماعات فتیان العرب في الاستانة وسورية ، وكادوا يحملون عليه في الصحف ردا واحتجاجا ، ولكن حالت دون ذلك معارضة مسموعة مقبولة

وأما النزعة التي سبقت هذه النزعة ، فهي مطاعن للفقيد في العرب أودعها في تاريخ التمدن الاسلامي فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها . وزادهم التفاتا اليها ترجمة جريدة (إقدام) التركية لتاريخ التمدن الاسلامي ونشره فيها بالتتابع . فتشاور كثير من

الشبان المتعلمين في الرد على هذا التاريخ ولم يظهر منهم شيء . ثم اتفق أن انبرى للرد عليه في هذه المسألة الاستاذ الشهير الشيخ شبلي النعماني من أشهر علماء الهند وأوسعهم اطلاعا في التاريخ . وكتب الينا هذا الاستاذ الكبير وهو صديقنا وصديق فقيدنا المردود عليه يخبرنا بما شرع فيه من الرد ، ويقترح علينا أن ننشر رده في المنار ، ولما كنا نعهد من الفقيد تلقي الانتقاد عليه بسعة الصدر ، بل عهدنا منه مطالبة الكتاب بهذا الانتقاد - ونعلم ان الاستاذ الشيخ شبلي النعماني صديقه - ونرى ان تمحيص هذه المسألة اصبح ضروريا - بادرننا الى نشر الرد من غير أن نقرأه ، بل نشر في أثناء رحلتنا الهندية ، ثم قرأناه بعد عودتنا من الهند وعمان والعراق وسورية فأيناه فوق ما كنا نظن من شدة الرد ، ورمي الفقيد بسوء القصد . وكنا علمنا من المنتقد عند لقائه في الهند أنه كان يرى بعض الغلط في تاريخ التمدن الاسلامي وغيره من مؤلفات صاحبه فيحمله على الخطأ أو سوء الفهم ، ولكنه لما قرأ مجموع طعنه في العرب جزم بأنه صادر عن سوء قصد . فهذا سبب شدة حملته عليه ، على ما كان من موادته له . وقد كتبنا مقدمة لانتقاد الشيخ شبلي اذ طبع على حديثه بينا فيها ذلك ، واننا لو اطلعنا على ما فيه من الشدة قبل نشره ، لراجعنا الكاتب فيه واستأذناه بحذف الطعن الشخصي منه ، وقد نشرنا تلك المقدمة في المنار تعزيزا لدفاعنا السابق بالقلم واللسان ، عن رجل عددناه صديقا لنا ، وعضوا نافعا في أمتنا ، على اننا لم نسلم مع ذلك من سوء ظنه فينا :

ثقلت وطأة رد الشيخ شبلي النعماني على الفقيد لشدة ، ولأنه كان يمدد من أصدقائه ، واثني عليه غير مرة في هلاله ، فلم يصدق أولا انه هو المنتقد ، واتهمنا بذلك ، وكتب الى الشيخ شبلي كتابا ذكر فيه ذلك ، راجيا ان يكتب اليه متصلا منه ليبين ذلك في الهلال ، ويظهر ان النقد لصاحب المنار ! ! وقد اطلعني الاستاذ الشيخ شبلي على كتابه ذاك في (لكةنو) أيام كنت فيها ، ورأيت متعجبا منه ، فكان عجيبي أشد من عجبه . وقد ذكرت للفقيد ذلك معاتبا ، فكان حتي عليه في سوء ظنه بي ، أكبر من حقه علي في نشر النقد - وقد نشر في غيبي . وقد اتفق لي مثل هذا مع كاتب سوري آخر ، كانت حقوق الصحبة بيني وبينه أقوى منها بيني وبين جرجي بك زيدان ، وكنت أثني عليه للاستاذ الامام واستميله لمساعدته ، فكتب الى الاستاذ كتابا يطعن بي فيه ، ويتهمني بتفجير الاستاذ عنه ، والظعن فيه عنده ، فتعجب الاستاذ من أمري وأمره !!

أما مؤلفاته فهي مطبوعة مشهورة وهالك أسماؤها :

١ التاريخ العام

٢ تاريخ مصر الحديث - جزآن

- ٣ » التمدن الاسلامي . خمسة أجزاء
- ٤ » الغرب قبل الاسلام . جزء واحد
- ٥ » الماسونية العام »
- ٦ » اليونان والرومان » صغير
- ٧ » انكلترا » لم نره
- ٨ » اللغة العربية »
- ٩ » آداب اللغة العربية - ٤ أجزاء
- ١٠ الفلسفة اللغوية . جزء صغير
- ١١ الساب العرب القدماء »
- ١٢ علم الفراسة الحديث »
- ١٣ طبقات الامم »
- ١٤ عجائب الخلق »

(١٥ - ٣٦ قصص (روايات) منها ١٨ قصة تتعلق بتاريخ الاسلام وثلاث تتعلق بتاريخ مصر ، وواحدة غرامية محضه .

وأما أخلاقه وشمائله فقد كان أديب النفس ، نزيه اللسان والقلم ، بشوش الوجه معتصما بحبوة الجد ، متزها عن اللغو والعبث ، محبا للنظام ، حفيا بالأهل ، وصولا للرحم ، محبا للقريب

ورأى فيه أن عقله كان اكبر من علمه ، ومن فضل عقله على علمه حسن اختيار ما كان يكتب ، وحسن ترتيبه وتبويبه ، فقد كان في هذا وهو من ثمرات العقل أبرع منه في تحرير المباحث وتنقيحها ، وتمحيص الحقائق بالقول الفصل فيها . وسبب ما انتقد وما ينتقد من الغلط على كتبه بحق ، هو أنه كان يقدم على الكتابة في مباحث لم تسبق له دراستها ، معتمدا على مراجعتها من مظانها عند الحاجة اليها ، ومن كان يكتب المقالة في يوم أو ايام أو ساعة أو ساعات ، لاجل أن تنشر في مجلة شهرية ، ويؤلف الكتاب في عدة أشهر لانه وعد بنشره في وقت معين من السنة ، قلما يستطيع أن يجمع بين المواد وتنسيقها وترتيبها ، وبين تمحيص الحقائق فيها وتحريرها . ولعمري الانصاف انه ليقول من يستطيع كتابة تلك الكتب في مثل الزمن الذي كتبها فيها مصنفها ، وهل يوحد في أمتنا كثير من أمثال من فقدته اليوم ؟ وقد ترك للامة ما يعزى عنها - تلك المصنفات الجامعة بين الفائدة واللذة ، ونجمله النجيب أميل زيدان الذي أحسن تعليمه وتربيته . وقد رأى قراء الهلال من آثار قلمه فيه ، ما يبشر باستمرار بزوغه عليهم ما داموا مقبلين عليه موازين له ،

ولا غرو ان يحذو الفق حذو والده ،

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

الملك

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

مصر سلخ رمضان ١٣٣٢ هـ ق ١ الصيف الثالث ١٢٩٢ هـ ش ٢٣ أغسطس ١٩١٤

فَتَكُنْ مِنَ الْمُنْشَرِّفِينَ

افتتحنا هذا الباب لأجابه أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع عامة الناس ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرزأ إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وأننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالباً وربما قد منأنا أخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولأن معنى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكره مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لأخفائه

تفسير له (معقبات من بين يديه ومن خلفه) ﴿

(س ٢٠) من صاحب الامضاء في بركة السبع (مصر)

فضيلة الاستاذ ! السلام عليكم ورحمة الله

لي الشرف الرفيع والقدح المعلى بمثل مسطورى بين يديكم ، واثني وان لم احظ من الاستاذ بالمعرفة الشخصية فقد عرفني به آدابه الجملة ، وهداني اليه منار علمه العزيز ، ومشكاة فضيله العيم ، ولا غرو بعد اذا رفعت هذا اليكم مستفتياً عن الآتي :
جا ، في كتاب « الاسلام دين الفطرة » الاستاذ المفضل « الشيخ عبد العزيز شاويش » تنديد على بعض مفسري الزمن الغابر

نرى فضيلته قد ذهب مذهبا غير الذي ذهب اليه المفسرون كالجلايين والنسفي وغيرهما . ولقد جاء في كلامه المنشور على « ص ٣٣ و ٣٤ » من الكتاب المشار اليه في تفسير الآية التالية ما لا يتفق مع السابقين :

« عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » الآية . فسر الأوائل المعقبات بالملائكة تتعقب على العبد ليل نهار ، ورووا في ذلك حديثا عن كنانة العدوي قال : دخل عثمان بن عفان على رسول الله فقال اخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ قال « ملك على يمينك على حسناتك وهو امين على الذي على الشمال وملك كان من بين يديك ومن خلفك يقول الله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) وملك قابض على ناصيتك

فاذا تواضعت لله رفعك ، واذا تجبرت على الله قصصك ، وملكك على شفقتك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام ، وملكك على فيك لا يدع الحية تدخل اليه . وملكك على يمينك . فهو لاء عشرة املاك على كل آدمي ينزلون وملائكة النهار فهو لاء عشرون ملكا على كل آدمي وابليس بالنهار وولده بالليل « اه وفسر الشيخ شاوئش المستخفي بالليل والسارب بالنهار فقال انهما المتخذان لها وحرسا وجلالوزة الخ وهنا يتضح من سياق كلامه أنه جحد وجود ملائكة تحفظ العبد وصفوة القول انني حيال هذه التفاسير المتضاربة وتلك الآراء المتباينة كريشة في مهب الرياح

بيد أن ثقتي بكم واعتمادي على علو كعبكم في العلوم الدينية سيدنيان مني الغرض ويقصيان عني الريب

وها أنا (ذا) على أحر من الجمر ، حتى يرد على القول الفصل ، وما هو شفاء للصدور . ورجائي أن تشمل الاجابة الاسئلة الآتية :

- (١) أي الطرفين أصاب وما وجه أصابته وأيهما الجدير بالاتباع ؟
- (٢) لم لا يعود الضمير في قوله تعالى « له معقبات » على من ذكر اسم الله كقول المفسرين ولم لا أثر لذلك في الآية أصلا كراي فضيلة الشيخ شاوئش ؟
- (٣) ما هو تفكيك نظام الآية الذي جاء به المفسرون وكيف قطعوا الحال من صاحبها وفرقوا بين الاجزاء التي تتألف منها ؟

(٤) كذب الشيخ شاوئش الحديث ، وبأي وجه يحتمل تكذيبه له مع أن راويه البخاري وهو كما تعلم من رؤوس الرواة وأصحابها سنداً ؟

محمد السيد الجارحي

(ج) اختلف مفسرو السلف في المعقبات هنا فأخذ الشيخ عبد العزيز شاوئش بما أعجبه وشنع على من قالوا بغيره ، وما كان ينبغي له ذلك . وقد ذكر الحديث المرفوع فيه - وانما لم نطلع على ما كتبه ويظهر مما كتبه السائل انه رد الحديث من غير أن يبني رده على علته فيه وطعن في سنده ، وأن عبارته توهم أن ما اعتمدته في تفسير المعقبات مما استنبطته قريحته الوقادة وكان دليلا على تفضيل الأواخر على

الأوائل ! وقد عهدنا منه في مجلته ردّ الأحاديث الصحيحة المتفق عليها إذا لم يعجبه معناها . وحديث كنانة العدوي في تفسير المعقبات ليس في الصحيحين ، وقد عزاه في الدر المنثور إلى ابن جرير ، وخرجه ابن جرير في تفسيره بسند ضعيف قال « حدثني المثنى قال حدثنا عبد السلام بن صالح القشيري قال ثنا علي بن حرب عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي » وذكره . وعبد السلام بن صالح اختلفوا فيه فقالوا انه يروى المناكير واتهمه بعضهم بالوضع ، ولكن انكر الحافظ قول العقيلي فيه انه كذاب . وفي غيره من رجال السند مقال لا محل لبسطه . ولو صح هذا السند عند ابن جرير لما رجح عليه غيره . وقد روى عن ابن عباس انه قال في تفسير المعقبات : يعني ولي السلطان يكون عليه الحراس يحفظونه من بين يديه ومن خلفه الخ كذا في الدر المنثور . وفي تفسيره بسنده عنه قال : ذكر ملكا من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس . وفي رواية أخرى له عنه قال : يعني ولي الشيطان يكون عليه الحرس . وروى أيضا عن عكرمة انه قال في اصحاب المعقبات : هو هؤلاء الامراء . وقال في رواية أخرى انه قال في المعقبات : الموابك من بين يديه ومن خلفه . قال ابن جرير بعد ما روى القولين في المعقبات عن ابن عباس وعن غيره :

« وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال : الهاء في قوله (له معقبات) [راجع الى] مَنْ التي في قوله (ومن هو مستخف بالليل) وان المعقبات من بين يديه ومن خلفه هي حرسه وجلالته — كما قال ذلك من ذكرنا قوله . وانما قلنا ان ذلك أولى التأويلين بالصواب لأن قوله (له معقبات) أقرب إلى قوله (ومن هو مستخف بالليل) منه الى قوله (عالم الغيب) فهي لقربها منه أولى بأن تكون مَنْ ذكره « فيها » وان يكون المعنى بذلك ، هذا مع دلالة قول الله (واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) على انهم هم المعنيون بذلك . وذلك انه جل ثناؤه ذكر قوما أهل معصية له وأهل ريبة يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار ، ويمتنعون من عند أنفسهم بحرس يحرسهم ومنعة تمنعهم من أهل طاعته ان يحولوا

(المنار - ج ٩) (٨٣) (المجلد السابع عشر)

بينهم وبين ما يأتون من معصية الله ؛ ثم أخبر أن الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءاً لم ينفعهم حرسهم ولا يدفعهم عنهم حفظهم » اهـ ما قاله وهو الذي نختاره
 أما حديث أبي هريرة في الصحيحين والنسائي فهذا نصه : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر . ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؛ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » ورواه البزار بلفظ « ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم - ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » الخ . فأنت ترى انه لم يرد تفسيراً للآية
 ولا أدري أ كذب عبد العزيز شاوئش هذا الحديث وأنكر أن يكون في الملائكة حفظة يتعاقبون في المكلفين ؟ أم أنكر أن يكون ذلك هو المراد من الآية ؟ ظاهر عبارة السؤال الأول ، ولا يبعد ذلك على هذا الرجل فقد عهد منه مثله ، ولا عبرة بقوله ، فلا هو من أهل العلم بالحديث رواية ولا دراية ، ولا بغير الحديث من علوم الدين ، ولكن له مشاركة في الفنون العربية وبعض العلوم العصرية ، فتصدى بذلك للتشبه بالمصلحين ، الذين يجمعون بين الدين والعقل ، فتجراً على رد الأحاديث الصحيحة بغير علم . وقوله هو المردود ، وحديث الرسول (ص) هو المقبول . ولعل ما ذكرناه يعني عن بقية مباحث السؤال اللفظية غير الواضحة

(السبي والرق في التوراة والانجيل)

(س ٢١) من صاحب الامضاء في البكوت

حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأغر

نرجو من فضلكم تبين حكم السبي في الشرائع القديمة هل هو مشروع فيها أم لا ؟ وهل له ذكر في هذه الاناجيل وهذه التوراة الوجودية في أيدي الناس اليوم إثباتاً أو نفياً أم لا ؟ وما هو أحسن جواب للمعترضين به على الدين الاسلامي بدعوى انه من الحمجية أو انه ينافي الانسانية أو ما أشبه ذلك من العبارات

وكيل المنار

سليمان العدساني

(ج) يؤخذ من أسفار العهد القديم التي يسمونها التوراة ان السبي والرق كان مشروعا على عهد الانبياء السابقين ابراهيم (ص) فمن بعده (راجع سفر التكوين ١٤ : ١٤) وان شريعة موسى تقضي بأن يستأصل الاسرائيليون الامم التي يغلبونها في الارض المقدسة التي أعطوها فلا يبقوا من أهلها صغيرا ولا كبيرا ، وان يسبوا من غلبوهم في غير تلك الارض . وللسبايا والعبيد والإماء من العبرانيين وغيرهم أحكام متفرقة في سفر الخروج وسفر اللاويين وسفر التثنية . ومنها انه شرع لهم تحرير العبراني دون الغريب ، وكذلك يجب الرقي بالبراني منهم دون غيره

ومن نصوص سفر اللاويين في ذلك ما جاء في الفصل الخامس عشر منه وهو مما ذكره من كلام الرب لموسى بعد توصية الاسرائيلي بأخيه اذا بيع له لفقره قال « ٤٤ وأما عبيدك وإماءك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم - منهم تقتنون عبيدا وإماء ٤٥ وأيضا من المستوطنين النازلين عنكم ، منهم تقتنون ومن عشائركم الذين عندهم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكا لكم ٤٦ وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم الى الدهر . وأما اخوتكم بنو اسرائيل فلا يتسلط عليهم أحد بعنف »

والظاهر من هذه العبارة انه لا يجوز عتق العبد الغريب عندهم ، واما العبراني فيعتق سنة اليوبيل عندهم الا اذا احب هو ان يبقى رقيقا ، فعند ذلك تثقب اذنه ويبقى عبدا الى الأبد ، وكان لاستعباد العبراني عندهم ثلاثة أسباب : الفقر ، والسرقة اذا لم يجد السارق قيمة المسروق ، وبيع الوالد بنته لتكون سرية ، فاذا تم للصهيونيين ما يريدون من امتلاك فلسطين واقاموا شريعتهم فيها فاتهم يستأصلون أهلها ويستعبدون جميع من يتقدرون على استعباده من جيرانهم الى الأبد . ولا يرضون ان يكون لأحد معهم حق ولا ملك ، دع الملك الذي صرح سفر التثنية فيه بأنه لا يحل الاسرائيلي ان يجعل عليه ملكا اجنبيا ليس هو اخاه (راجع ١٧ : ١٤ و ١٥)

وفي الفصل العشرين من سفر التثنية ما نصه « ١٠ حين تقرب من مدينة لسكي يحاربها استدعها الى الصلح ١١ فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب

الموجود فيها يكون لك للتسخير والسبي ويستبدلك ١٢ وان لم تسالك بل عملت معك حربا فحاصرها ١٣ واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ١٤ وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا ، واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك فلا تستبق منها نسمة ما »

تأملوا تأملوا أيها المنصفون ما أشد ظلم الذين ينتقدون الاسلام وهم يدعون الايمان بالتوراة ! فالقرآن يأمر المسلمين اذا آمنوا في مقاتليهم ، وظهرت لهم الغلبة عليهم ، ان يكفوا عن القتل ، ويكتفوا بالاسر ، ثم شرع لهم في الاسرى ان يمنوا عليهم بالعتق فضلا وإحسانا ، أو يفادوهم ان احتاجوا الى ذلك ، كما قال (٤٧ : ٤) - حتى اذا انخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) واذا تزوج الاسرائيلي امرأة من السبايا يشرع له ان يكرمها لاذلاله لها . كما في الفصل الحادي والعشرون من سفر التثنية ، وهذا التكريم هو ان يتركها لنفسها اذا لم يسر بها ولا يبيعها ولا يسرقها .

أما الانجيل فقد أقر الاسرائيليين على الرق كما أقر الرومان ولم يأمر السادة بالعتق ولا بالرفق ، بل أوصى العبيد بالخضوع والطاعة بغير شرط ولا قيد . ومن وصايا بطرس في رسالته الاولى « أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هبة للسادة ليس للصالحين المترفين فقط بل للعنفاء أيضا » الخ ومن وصايا بولس في رسالته الى أهل أفسس « ٦ : ٥ أيها العبيد اطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم للمسيح » وفي رسالته الى أهل كولوسي « ٣ : ٢٢ أيها العبيد اطيعوا في كل شيء سادتكم حسب الجسد »

وقد شرحنا في عدة مجلدات من المنار عدل الاسلام ورحمته وحكمته في تخفيف وطأة الرق التي كانت عند جميع الامم والملل وتمهيد السبيل الى تحريره ، فهو لم يوجب الاسترقاق كما كان يوجب بعض الملل ، ولكنه أباحه لأن المصلحة قد تقتضيه حتى لمصلحة السبايا ، اذ كانت طبيعة العمران ولا تزال في بعض البلاد على غير

ماهي عليه الآن في ممالك الحضارة . فاذا قتل رجال قبيلة وبقي نساؤهم وأطفالهم ما كانوا يجدون من يكفلهم وينفق عليهم ، ففي مثل هذه الحال قد يكون الاسترقاق خيرا لهم ، اذا كان كاسترقاق الاسلام يهدي الى اطعام الارقا ، مما يأكل منه السادة وإلباسهم كما يلبسون ، وعدم تكليفهم مالا يطيقون ، وعدم اهانتهم حتى بالتعبير عنهم بلقب العبد والامة . وناهيك بما شرعه من الاسباب الموجبة لإعتاقهم . وقد فصلنا ذلك في مواضع من مجلدات المنار كما قلنا آنفا فراجع الفهارس تجد ذلك مفصلا ، وتجد حجة الاسلام قائمة على جميع الخلق ولا سيما اليهود والنصارى منهم

أقوال علماء القرن الثالث الاثبات

في عقيدة السلف واثبات الصفات

لما ظهرت بدعة الجهمية في إنكار صفات الله عز وجل وتأويل ماورد منها في الكتاب والسنة هب حقظة الدين وحملته من التابعين ومن بعدهم للرد عليهم ، وتقنيد تأويلاتهم ، والاستمسك بعروة النقل ، حذرا من تحريفها بنظريات العقل ، التي نخدع بها بعض القاصرين ، توهمنا منها من قطيعات البراهين ، وانذا ننقل من كتاب العلو للذهبي (الذي يطبع في مطبعة المنار) بعض أقوال الأئمة المتبوعين ، الذين يجهل أقوالهم من يجلبهم من المعاصرين . ولكن الذهبي ينقل في هذا الكتاب ما صح وما لم يصح ، ويشير الى ضعف الرواية الضعيفة أو نكارتها غالبا ، على ان من غلاة الأتريين من يقبل كل ما روي في ذلك . قال :

﴿ طبقة الشافعي واحمد رضي الله عنهما ﴾

روى شيخ الاسلام أبو الحسن الهكاري والحافظ أبو محمد المقدسي باسنادهم الى أبي ثور وأبي شعيب ، كلاهما عن الامام محمد بن ادريس الشافعي ناصر الحديث رحمه الله قال: القول في السنة التي انا عليها ، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما — اقرار بشهادة ان لا إله

الا الله، وأن محمدا رسول الله، وإن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء. وذكر سائر الاعتقاد. وبإسناد لا يعرفه عن الحسين بن هشام البلدي قال: هذه وصية الشافعي — أنه يشهد أن لا إله إلا الله — فذكر الوصية بطولها وفيها: القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة عيانا، ويسمعون كلامه، وأنه تعالى فوق العرش. إسنادهما واه.

قال الحاكم سمعت الأصم يقول، سمعت الربيع، سمعت الشافعي وقد روى حديثا فقال له رجل: تأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: إذا رويت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب

(ابن خزيمة وعدة)

سمعت يونس يقول قال الشافعي: لا يقال للأصل لم ولا كيف. أبو ثور وغيره: قالوا سمعنا الشافعي يقول: ما ارتدى أحد بالكلام فافح. وقال الربيع سمعت الشافعي يقول: المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن. وعن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول: لله تعالى أسماء وصفات لا يسم أحدا قامت عليه الحجة ردها. قال ابن أبي حاتم سمعت الربيع بن سليمان، يقول سمعت الشافعي يقول: من حلف باسم من أسماء الله فحنت فعليه الكفارة، لأن اسم الله غير مخلوق، ومن حلف بالكعبة وبالصفاء والمروة فليس عليه كفارة لأنها مخلوقة

(قلت) تواتر عن الشافعي ذم الكلام وأهله، وكان شديد الاتباع للآثار في الأصول والفروع — مات في رجب سنة أربع ومائتين بمصر

كهلا ، عاش أربعاً وخمسين سنة

(القعني ذاك الامام)

قال بنان بن أحمد : كنا عند القعني رحمه الله فسمع رجلاً من الجهمية يقول (الرحمن على العرش استوى) فقال القعني : من لا يوقن ان الرحمن على العرش استوى كما يقَرُّ في قلوب العامة فهو جهمي . اخرجهما عبد العزيز القعيطي في تصانيفه . والمراد بالعامة عامة أهل العلم ، كما بيناه في ترجمة يزيد بن هارون امام أهل واسط . ولقد كان القعني من أئمة الهدى ، حتى لقد تنال فيه بعض الحفاظ وفضله على مالك الامام . توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين عن بضع وثمانين سنة ، وهو أكبر شيخ لمسلم مطلقاً

(عفان احد اعلام السنة)

قال ابن أبي حاتم : ثنا يحيى بن زكرياء بن عيسى حدثني يحيى ابن أبي بكر السمنسار ، سمعت عفان بن مسلم بعد ما جاء من دار اسحاق بن ابراهيم لما امتحنه في القرآن فقال : انه كتب الي ان ادرّ أرزاقك ان اجبت الي خلق القرآن . فقلت : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يريدون ان يبدلوا كلام الله - لا إله الا هو الحي القيوم - قل هو الله احد) أمخلوق هذا ؟ ادركت شعبة وحماد بن سلمة وأصحاب الحسن يقولون : القرآن كلام الله ليس مخلوقاً . قال : اذاً يقطع أرزاقك . قلت : (وفي السماء رزقكم وما توعدون) قيل كان رزقه في الشهر ألف درهم فترك ذلك لله عز وجل . توفي سنة تسع عشرة ومائتين

«(عاصم بن علي شيخ البخاري)»

روينا عن عاصم بن علي بن عاصم الواسطي قال : ناظرت جها فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء ربا . قلت : كان عاصم حافظاً من أوعية العلم صادقاً ، حمل عن شعبة وابن أبي ذئب وخلق . ذكر الخطيب في ترجمته أن المعتصم وجه من يحزر مجلس عاصم هنذا في رحبة جامع الرصافة ، وكان يجلس على سطح الرحبة ويجلس الناس في الرحبة وما يليها ، فجمعهم مرة حتى قال أربع عشر مرة « ثنا اثبت بن سعد » والناس لا يسمعون لكثرتهم . وكان المستعلي هارون يركب نخلة يستلي عليها ، فحزروا الجهم فكان عشرين ومائة ألف . وقال يحيى ابن معين : عاصم بن علي سيد المسلمين . قلت : مات مع المعيني في سنة (أي سنة ٢٢١)

﴿الحيدري﴾

أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن المعدل أنبا عبد الله بن أحمد الفقيه سنة سبع عشرة وستائة أنبا سعد الله بن نصر أنبا أبو منصور الخياط أنبا عبد الغفار بن محمد أنبا أبو علي الصواف أنبا بشر بن موسى الحيدري قال : أصول السنة عندنا ... فذكر أشياء ، ثم قال : وما نطق به القرآن والحديث . مثل (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم) ومثل قوله (والسماوات مطويات بيمينه) وما أشبه هذا من القرآن والحديث ، لا يزيد فيه ولا تنقص ، ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ، ونقول (الرحمن على العرش استوى) ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي .

كان العلامة أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الاسدي الحيدري

(المنار - ج ٩ م ١٧) كلام يحيى النيسابوري وهشام الرازي في الاستواء ٦٦٥

مفتي أهل مكة وعالمهم بعد شيخه سفيان بن عيينة ، حدث عنه البخاري والكبار . مات سنة تسع عشرة ومائتين

• (عالم المشرق يحيى بن يحيى النيسابوري) •

قال ابن منده : أنبأ محمد بن يعقوب الشيباني ثنا محمد بن عمرو بن النضر ثنا يحيى بن يحيى قال : كنت عند مالك فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله ! (الرجل على العرش استوى) فأطرق ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . قال ابن أبي حاتم سمعت مسلم بن الحجاج : سمعت يحيى بن يحيى يقول : من زعم أن من القرآن من أوله إلى آخره آية منه مخلوقة فهو كافر . كان يحيى بن يحيى إليه المنتهى في الاتقان والورع والجلالة بنيسابور ، قل ان ترى العيون مثله . حمل عن مالك وخارجة بن مصعب والكبار ، ومات سنة ست وعشرين ومائتين

• (عالم الري هشام بن عبيد الله الرازي) •

قال ابن أبي حاتم : ثنا علي بن الحسن بن يزيد السلمي سمعت أبي يقول : سمعت هشام بن عبيد الله الرازي - وحبس رجلا في التجهم فجاء به إليه ليمتحنه - فقال له : أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه ؟ فقال : لا أدري ما بائن من خلقه - فقال ردوه فإنه لم يتب بعد .

كان هشام بن عبد الله من أئمة الفقه على مذهب أبي حنيفة ، تفقه على محمد بن الحسن ، كان ذا جلالة عجيبة وحرمة عظيمة يبلده ، توفي سنة

احدى وعشرين ومائتين

ابن أبي حاتم : حدثنا أبو هرون محمد بن خلف الجزار : سمعت هشام ابن عبيد الله يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق . قال له رجل : أليس الله تعالى يقول (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) ؟ فقال محدث الينا وليس عند الله بمحدث . قلت لانه من علمه وعلمه قديم فعلم عباده منه . قال تعالى (الرحمن علم القرآن) فالمقري يلقي الختمة مائة نفس ومائتين فيحفظونه وهو لا ينفصل عنه منه شيء ، كسراج أوقدت منه سرجاً ولم يتغير

هو فقيه المدينة عبد الملك بن الماجشون

قال ابن أبي حاتم : ثنا يحيى بن زكريا بن عيسى ثنا هرون بن موسى الفروي قال : ما سمعت الكلام في القرآن الا سنة تسع ومائتين - جاء نقر الى عبد الملك بن الماجشون وكلموه فانكر ذلك عليهم ، فكان في بعض ما كلمهم به أن قال (قل هو الله أحد) أهذا مخلوق ؟ ثم قال : لو أخذت بشرا المريسي لضربت عنقه .

كان عبد الملك من أجل تلامذة مالك ، وكان أوه عبد العزيز بن الماجشون يفتي مع مالك في دولة المهدي ، توفي عبد الملك في سنة أربع عشرة ومائتين

(المنار) سنن طائفة أخرى من نقول هذا الكتاب ، ونبين ان مذهب السلف هو الموافق للعقل السليم دون مذهب الجهمية .

الظامة الصغرى أو الحرب الكبرى

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ .
أَنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (سورة الانعام ٦ : ٦٦)

« ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » ، وانه ليغنى أن رآه اعتز واستعلى ،
وان مدّ الطغيان لآلى جزر ، وان غناه لآلى فقر ، وان البغي مصرعه وخيم ، وإن
علو الجبارين لآلى هبوط ذميم

كانت المسألة الشرقية فزاعة أوربة اذا فزعت من سوء العواقب ، ومشأمتها
اذا تطيرت من امارات النوائب ، وكانت ترى ان مشكلتها أعقد من ذنب الضب ،
وأن حلها أعسر من تربع الدائرة ؛ وقد أندرها داهية ساستها ، (البرنس بسمارك)
بأن شرارة واحدة من نار حرب بلقانية تكفي لإحراق ممالك أوربة كلها ، ولكنهم
تماروا بالنذر ، وغرهم ما كانوا يسمونه التوازن الأوربي بين وفاق مثلث وحلاف
مثلث . وألفت دولة الروسية بين المختلفين من الدول البلقانية ، فجعلت البلغار واليونان
والصرب والجبل الاسود إلبا واحدا على الدولة العثمانية . بعد أن أغارت ايطالية على
مملكة كبيرة من ممالكها وهي طرابلس الغرب وبرقة .

ثم سمحت الدول الكبرى كلها للبلقانيين بقتال الدولة العثمانية ؛ ولكنهم
صرحن بأنهم لا يسمحون بتغيير مآ في خريته البلقان ، لأن التنازع على تلك الارض
مثار البغي والعدوان ، فاشتعلت نيران الحرب ، وظهر البلقانيون فيها من القسوة
والوحشية والفظائع والفواحش مالا مزيد عليه ، ولم ينبض في قلوب رجال الدول
الكبرى عرق من عروق الرأفة والرحمة ، ولا احتج أحد منهم على تلك المذابح
والفظائع بكلمة ، وانما كان همهم محصورا في حصر الحرب في البلقان ، ومنع شررها
ان يصل الى ممالكهم الكبار

ثم شرع البلقانيون في قسمة ما استولوا عليه من البلاد العثمانية ، فسمحت لهم الدول بذلك متناسية وعدوها بعدم السماح . فوقع بينهم التنازع والتقاطع ، وحل الخلاف محل الخلاف ، ولم يرضهم ما حكم به في القسمة موثمر السفراء ، فأوقدوا نار القتال بينهم ، وتقضوا ما أبرمته الدول لهم . ثم دخلت رومانية في الامر معهم ، وضربت من الغنيمة بسهم ، وكانت القسمة ضئلى ، غبن بها البلغار ، وكان القدح الملقى لليونان ، واعتزت الصرب أي اعتزاز . وكانت النمسة مسعر نار الفتنة بينهم ، لتأمن مغبة اعتزاز الروسية بهم .

وقعت الواقعة ، وفتح باب المسألة الشرقية ، وسول الغرور للدول الكبرى عملها ، وظنت ان ساستها قدروا بدهائهم على حصر نيرانها في مواقدها ، ومنع شررها ان يتعدى الى ماحولها ، وأن أوربة المملوءة من البارود والديناميت ، أمنت أن تصيبها الشرارة التي أنذرها بسمرك فيعمها الحريق . ونسوا عدل الله انعام ، في جميع الأمم والأقوام ، وانه يعاقب المقر للشر كمجترحه ، ويجزي الساعي بالخير كفاعله ، (وبدا لهم من الله ما لم يظنوا يحسبون)

غمر الصرب ما أوتيت من نصر ، ومن سعة في الملك ؛ ومن عود الصربيين العثمانيين اليها ، فطمعت في صرب النمسيين وفيما يسكنونه من البلاد أيضا ، فزادت جمعياتها السرية الساعية الى ذلك جرأة وإقداما ، حتى اغتال بعض الفدائيين منهم ولي عهد النمسة وقرينته (في ٢٨ يونيو الماضي) في مدينة (بوسنه سراي) عاصمة البوسنه عند زيارتهما لها . وقد ثبت لدى حكومة النمسة والمجر ان هذه الجناية كانت آثر مكيدة دبرت في (بلغراد) عاصمة الصرب . وان بعض الضباط وعمال الحكومة من الصربيين هم الذين اعطوا الجناة ما كان معهم من السلاح والقذائف النارية ، وكلهم من جمعية صربية ثورية . فأرسلت حكومة النمسة والمجر بلاغ تهديد وانداز لحكومة الصرب مشتمل على ما يرهقها ويذلها

فما كلفتها اياه تصريحاً أو ضمناً أن تعترف باشتراك بعض ضباطها وموظفيها في جناية قتل ولي العهد وزوجه ، وتبرأ من عملهم وتصريح بالأسف لوقوعه — وان تنشر الاعتراف والبراءة في جريدتها الرسمية وجريدتها العسكرية ، — وان تبرأ من

أعمال الجمعيات الصربية المحرصة على عداوة النمسة — وان تحمل جمعية (نارونا) أو (ابرانا) — وان تضبط جميع المطبوعات الصربية المشتعلة على التحريض على النمسة والتنفير منها لهذه الجمعية وغيرها — وان تعزل جميع الضباط والمستخدمين الذين تثبت لدى حكومة النمسة تهمة تحريضهم على عداوتها — وان تعاقب الشركاء في جناية اغتيال ولي العهد من الصربيين المقيمين في بلادهم ، ومنهم بعض الضباط والموظفين المعينين باسمائهم — ومنها ان تحذف من كتب التعليم كل ما يعد دعوة الى معاداة النمسة ، وتعزل المعلمين الذين يثون هذه الدعوة — ومنها ان تمنع تهريب السلاح والمواد المفرقة الى ما وراء الحدود — ومنها ان تقبل من تنديهم حكومة النمسة لمساعدة حكومة الصرب على تنفيذ هذه الاقتراحات

كتب إنذار النمسة في ٢٣ يوليو الماضي ، وكلفت الصرب ان تجيب عنه في مدة ٤٨ ساعة . أما الصرب فلم تقبل مطالب النمسة ، وبلغت الدول الانذار وطلبت منها التوسط في الأمر ، وأما الدول فقد اختلف رأيهن — فروسية عدت بلاغ النمسة وسيلة منها الى قتال الصرب وإذلالها ، وصرحت بأنها لاتسكت على ذلك ، وبأدبرت الى مذاكرة فرنسا وانكلترة ومطالبتهما بالاتحاد معها على الحرب والقتال ، فأسرعت فرنسا الى وعدها بالقيام بجميع عهودها التي تفرضها عليها المحالفة . ولكن انكلترة ترددت في الامر ، ولم تعد بالمساعدة على الحرب ، وطفقت تخاطب سفراءها بلسان البرق ، مجتهدة في رفق الفتق . وأما ألمانيا فقد أظهرت العطف على حليفها ، وارتأت وجوب حصر الخلاف بين النمسة والصرب دون سواهما ، حتى لا يتعدى لهيب النار الى أوربة كلها ، وتبادل عاهل الألمان وقصر الروس البرقيات في وجوب صيانة السلم في أوربة ، وصرح الأول للثاني بأن ذلك موقوف على عدم تصدي روسية للاستعداد للحرب . ولكن روسية بادرت الى تعبئة جيشها تعبئة عامة ، وبلغ ناظر خارجيتها سفير انكلترة ان عند حكومته براهين قاطعة على ان ألمانيا تستعد برا وبحرا لمهاجمتها . فروسية بدأت بالتعبئة جهرا ، متهمة ألمانيا بأنها تستعد سرا ، وأنها لاتدعها تسبقها في الاستعداد

والمبادر مما دار بين الدول في هذه المسألة أن ما كانوا يقولونه ويكتبونه كان

له ظهر وبطن ، والظاهر منه أن انكلترة وفرنسة كانتا حريصتين على منع الحرب الأوربية ، ولكن روسية وألمانية لم تدعا لهن طريقا يسلكانه لذلك . ففي ٢١ يوليو قر قرار الروسية على التعبئة العامة رسميا ، وألمانية وفرنسة امرتا بذلك في أول أغسطس . وأعلنت ألمانية الحرب على روسية في ٢ منه بناء على اجتياز بعض الجنود الروسية للحدود ، وتباينت^(١) سائر الدول الكبرى على الحرب ماعدا إيطالية فانها لزمت الحياد

نعم ان وراء الاسباب الرسمية للحرب أسبابا أخرى تقدمتها ترجع الى أصل واحد في السياسة ، وهو تعارض الدول الكبرى في المصالح والمنافع والسيادة والعظمة في الأرض ، فروسية ترمي الى ان تكون ذات السيادة العليا بضم عصبية الشعوب السلافية في البلقان والنمسة اليها ، والتوسل بذلك الى النفوذ من زقاني الآستانة (البوسفور والدردينيل) الى البحر الأبيض المتوسط ، الذي هو بين أوربة وآسية وأفريقية بمنزلة القلب من جسد الانسان .

وألمانية تود أن تكون ذات السيادة العليا في أوربة كلها بل في العالم كله ، بالجمع بين القوتين البرية والبحرية ، على أكل ما يصل اليه ارتقاء العلوم الطبيعية ، والفنون والآلة وكانت انكلترة قد سبقت الدول كلها بالقوة البحرية التي جعلت لها السيادة العليا في الاستعمار ، فهي ترى انه يجب عليها أن تحافظ على ما آتاه الله بمجدها وتديرها ، فكانت كلما رأت ألمانية أنشأت بارجة حربية تنشي بارجتين مثلها ، لأنها إذا لم تفعل ذلك لاتلبث أن تسلبها ألمانية ملكها

وأما فرنسة فهي على ما كان لها من السبق في الفنون والأعمال الحربية ، من برية وبحرية ، لم تكن هذا في العهد الذي عظمت فيه المباراة بين انكلترة وألمانية ، مجتهدة في الاستعداد للحرب الاوربية بحسب ما تخولها ثروتها ومعارفها ، بل اكتفت من العظمة بتوسيع مساحة مستعمراتها ، بالاستيلاء على مملكة المغرب الأقصى بعد إضعافها ، بإيقاع القتن والحروب الداخلية فيها . وانصرفت الى التمتع بسعة الثروة ونعمة الحضارة ، واكتفت من اتقاء زحف ألمانية عليها بتحسين حدودها ، وبمحاربة

(١) التنازع بالمشاة التحتية بمعنى التنازع بالموحدة الا أنه خاص بالشر

روسية ثم مودة انكلترة لها ، فكانت تمتد روسية بالقناطير المقنطرة من الذهب ، وتغريها بما يوافق هواها من الاستعداد للحرب ، وتوغر صدرها ، وتستثير دفين حقدتها ، وتستخرج كمين ضفتها ، على النمسة وألمانية معا . وكان من سياستها أن تعطى روسية المال الذي تقتضي الحال انفاقه على الاستعداد الحربي مباراة لألمانية — فتستفيد بذلك فائدتين — استغلال المال بدلا من اضاعته في زيادة أهبة الحرب ، وإعداد جند غريب للدفاع عن فرنسة بدلا من تعريض معظم شبانها للقتل ، مع مامنيث به من قلة النسل ، — ولكن انكلترة حملتها بعد الاتفاق معها على تعزيز قوتها البحرية ، كما حمايت هي روسية على زيادة العناية بجميع المعدات الحربية .

بذلك كله اصبحت هذه الدول العريقة في العلم والصناعة ، والثروة والحضارة ، تنفق مئآت الملايين مما تمصه من ثروة البشر وثمرات كسبهم . على الاستعداد لإراقة دمائهم ، وتدمير حضارتهم ، وكلها مشتركة في هذا الوزر الكبير ، ومصرة على هذا الخنت العظيم ، الذي لا باعث له الا الطمع في الكسب ، وحب العلو في الارض ، وان كانت تمويه بدعوى تأييد السلم بالاستعداد للحرب ، وعدم استعمال هذا السلاح في غير المتوحشين ، الذين تريد تهذيبهم بالمدنية والدين !!

وانما تراهم يخلصون ألمانية أو عاقلها غليوم الثاني بمزيد الدم ، ويرمونه بتعمد اغراق أوربة في بحر من الدم ، لأن أمتة قد صارت بسعيه أشد ام الارض عناية بالفنون والاعمال العسكرية ، واستعدادا للحروب البرية والبحرية ، حتى اضطرت سائر الدول اضطارا لمجاراتها في ذلك ، فاذا كانت ألمانية لم ترض من الدول التي سبقتها الى الاستعمار بمساواتهن لها في حرية التجارة والكسب في بلادهن ومستعمراتهن ، ولا بما بذتهن به من التماء التسبي في تجارتها وصناعتها فقامت تستعد لسلبهن مافي أيديهن ، أو الاستلاء عليهن ، — فكيف يرضين بأن يعرضن ملكهن للضياع والخضوع لقوة الشعب الجرمانى العسكرية القاهرة ؟

هذه حجة الام الاوربية على ألمانية التي ارادت ان تعامل الدول التي جاراتها أو سبقتها بالحضارة ، بمثل ما عاملن به الام التي غلب عليها الجهل والبداءة ، وهي السيادة بقوة العلم والصناعة . على ان الجرائد المصرية الرئيسة كاللقطم والاهرام نقلت

٦٧٣ اندفاع امم أوربة كلها للحرب وافساد العمران (المنار - ج ١ م ١٧)

لنا عن لندن وباريس وبترسبرج ان جميع الشعوب تلقت نبأ اعلان الحرب بالسروور والابتهاج ، واهتاف في الشوارع والاسواق ، بل استثنوا الشعب الالماني فزعموا أنه كاره للحرب ، مسوق اليها بتأثير العاهل غليوم الثاني والحزب العسكري . فان صح قولهم هذا — ولن يصح — فهو فضيلة لهذا الشعب على سائر الشعوب الاوربية . ولكنهم ارادوا ان يهونوا امره ، ويبالغوا في ذم عاهله ، فمدحوه بغير قصد ، وسيرجعون عن هذا المدح

حسبنا هذه الجملة الوجيزة من بيان أسباب هذه الحرب ومقدماتها ، ونختتم المقال بعبارة المؤمنين بالله فيها ، فنقول ان هذه الحرب تربية من الله تعالى للبشر الذين بغي أقويائهم على ضعفائهم ، ولم يشكروا نعم الله عليهم بتسخير الطبيعة لهم ، وتمكينهم بسعة العلم بسننه فيها ، من جميع أنواع الانتفاع بها ، بل كفروا بهذه النعم بالبني في الارض ، واستعلاء بعضهم على بعض ، حتى انهم حقروا أخاهم الإنسان الذي لم يصل الى درجتهم في العلم ، فجعلوه — وقد كرمه الله — أدنى منزلة من الحيوانات العجم ، فلو أنهم رأوا قطعا من الانعام أو أسرابا من الطير ، يفتك بعضها ببعض ، وتسرف في الظلم والعدوان ، كما فعل جيرانهم في البلقان ، لحالوا بينها ، ومنعوها من التماذي في ظلمها

أما وقد فعلوا ما فعلوا ، ورضوا بما رضوا ، وجعلوا جل همهم الاستعداد لسفك الدماء ودك صروح العمران — فلا بد أن ينتقم الله تعالى منهم لكفرهم بنعمته ، ويزلزل قواهم بما استعلوا وبغوا به على الضعفاء من خلقه ، وكذلك فعل — فقد جعل الآلات الحربية التي بها يتحكمون وبالا عليهم ، وعذابا يأتيهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، فتفتك بهم مناظيدهم وطياراتهم ، وبوارجهم وغواصاتهم ، والغامهم وبنادقهم ومدافعهم ، وتقني من جموعهم ، أكثر مما أفنوا من اخوانهم البشر بأيديهم ، أو بمساعدتهم وإقرارهم . وأذاق بعضهم بأس بعض ، فجعل محالفاتهم واتفاقاتهم وبالا عليهم ، وسببا لتعميم الانتقام بهم . فصدق قول الله الذي صدرنا به الكلام عليهم . وسيصدق وعده أيضا بجعل العاقبة للمتقين ، الذين يحررون الشعوب المظلومة من استعباد الظالمين ، وإنما يرحم الله الراحين ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء »

الباب السابع^{*}

من كتاب الاعتصام

﴿ في الابتداع : هل يدخل في الامور العادية أم يختص بالامور العبادية ؟ ﴾
قد تقدم في حد البدعة ما يقتضي الخلاف فيه : هل يدخل في الامور العادية أم لا ؟ اما العبادية فلا اشكال في دخوله فيها ، وهي عامة الباب ؛ اذ الامور العبادية إما اعمال قلبية وامور اعتقادية ، وإما اعمال جوارح من قول أو فعل ، وكلا القسمين قد دخل فيه الابتداع كمذهب القدرية والمرجئة ، والخوارج والمعتزلة ، وكذلك مذهب الاباحية واختراع العبادات على غير مثال سابق ولا أصل مرجوع اليه ؛
واما العادية فاقضى النظر وقوع الخلاف فيها وامثلتها ظاهرة مما تقدم في تقسيم البدع ، كالكوس والمحدثه من الظالم ، وتقديم الجهمال على العلماء في الولايات العلمية ، وتولية المناصب الشريفة من ليس لها باهل بطريق الوراثة ، واقامة صور الأئمة وولاية الأمور والقضاة ، واتخاذ المناخل وغسل اليد بالاشنان ، ولبس الطيالس ، وتوسيع الاكمام ، واشباه ذلك من الامور التي لم تكن في الزمن الفاضل والسلف الصالح ، فانها أمور جرت في الناس وكثر العمل بها ، وشاعت وذاعت فلحقت بالبدع ، وصارت كالعبادات المخترعة الجارية في الامة ؛ وهذا من الادلة الدالة على ما قلنا ، واليه مال القرافي وشيخه ابن عبد السلام ، وذهب اليه بعض السلف.

(*) تابع لما نشر في ص ٥٩٣

فروى ابو نعيم الحافظ عن محمد بن أسلم انه ولد له ولد - قال محمد ابن القاسم الطوسي - فقال : اشتر لي كبشين عظيمين . ودفع اليّ دراهم ، فاشترت له واعطاني عشرة أخرى ، وقال لي : اشتر بها دقيقا ولا تنخله واخبزه - قال - فتخلت الدقيق وخبزته ثم جثت به ، فقال : نخلت هذا ؛ واعطاني عشرة أخرى وقال : اشتر به دقيقا ولا تنخله واخبزه . فخبزته وحملته اليه ، فقال لي : يا ابا عبد الله ! العقيقة سنة ، ونخل الدقيق بدعة ، ولا ينبغي ان يكون في السنة بدعة ، ولم أحب ان يكون ذلك الخبز في يتي بعد ان كان بدعة . ومحمد بن أسلم هذا هو الذي فسر به الحديث اسحاق بن راهويه حيث سئل عن السواد الاعظم في قوله عليه السلام « عليكم بالسواد الاعظم » فقال : محمد واصحابه . حسبا يأتي - ان شاء الله - في موضعه من هذا الكتاب .

وأیضا فان تصور في العبادات، وقوع الابتداع وقع في العادات ، لانه لا فرق بينهما . فالامور المشروعة تارة تكون عبادية وتارة عادية ، فكلاهما مشروع من قبل الشارع ؛ فكما تقع المخالفة بالابتداع في احدهما تقع في الآخر .

ووجه ثالث وهو أن الشرع جاء بالوعد بأشياء تكون في آخر الزمان هي خارجة عن سنته ، فتدخل فيما تقدم تمثيله ، لانها من جنس واحد .

ففي الصحيح عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انكم سترون بعدي اثرة وأمورا تنكرونها - قال فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال - ادوا اليهم حقهم وسلوا حقمكم » وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من كره من اميره

شيئا فليصبر» وفي رواية «من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر عليه، فانه من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية»

وفي الصحيح ايضا «اذا أسند الامر الى غير اهله فانتظروا الساعة». وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يتقارب الزمان، ويقبض العلم، ويلقى الشح»^(١) وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - قال: يا رسول الله ايما هو؟ قال - القتل القتل». وعن ابي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «ان بين يدي لأياما^(٢) ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج» والهرج القتل.

وعن حذيفة رضي الله عنه. قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين، رأيت أحدهما وأنا انتظر الآخر - حدثنا ان الامامة نزلت في جدر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة. وحدثنا عن رفعها ثم قال «ينام (الرجل) النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الولث^(٣) ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى اثرها مثل اثر المحل، كجمر دحرجته على رجلك فنقص قراه ينتثر وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد احد يؤدي الامانة. فيقال: ان في بني فلان رجلا امينا. ويقال للرجل: ما اعقله، وما اظرفه، وما اجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان» الحديث.

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة،

(١) في رواية احمد والشيخين هنا زيادة «ويظهر الجهل» (٢) لعله: بين يدي الساعة، وروي بلفظ «ان من ورائكم أياما» الخ رواه الترمذي وابن ماجه عنه (٣) الولث بقية الماء او النيذ او المعجين في الاناء والقليل من المطر

دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم انه رسول، وحتى يقبض العلم - ثم قال - وحتى يتناول الناس في البنيان، الى آخر الحديث.

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تخرج في آخر الزمان احداث الاسنان، سفهاء الاحلام، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقولون من قول خير البرية، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية»

ومن حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال «بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا فيبيع دينه بعرض الدنيا» وفسر ذلك الحسن قال: يصبح محرما لدم اخيه وعرضه وماله، ويمسي مستحلاله. كانه تأوله على الحديث الآخر «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» والله اعلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا ويشرب الخمر، ويكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون للخمسين امرأة قيم واحد»

ومن غريب حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء - قيل وما هي يا رسول الله؟ قال - اذا صار المغنم دولا، والامانة مغنما، والزكاة مغرما، واطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبر صديقه وجفا اباه، وارتفعت الاصوات في المساجد، وكان زعيم القوم ارضاهم، واكرم

الرجل مخافة شره ، وشربت الخمر ، ولبس الحرير ، واتخذت القيان والمعازف ، ولعن آخر هذه الامة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء ، وزلزلة وخسفا ، او مسخا وقذفا »

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه قريب من هذا وفيه « ساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم ارضهم » وفيه « ظهرت القيان والمعازف » وفي آخره « فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع »

فهذه الاحاديث وأمثالها مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم انه يكون في هذه الامة بعده إنما هو في الحقيقة تبديل الاعمال التي كانوا أحق بالعمل بها ، فلما عوضوا منها غيرها ، وفشا فيها كانه من المعمول به تشريعا ، كان من جملة الحوادث الطارئة على نحو ما بين في العبادات .

والذين ذهبوا الى أنه مختص بالعبادات لا يسلّمون جميع^(١) الاولون . أما ما تقدم عن القرافي وشيخه فقد مر الجواب عنه ، فانها معاصي في الجملة ، ومخالفات للمشروع ، كالمكوس والمظالم ، وتقديم الجهال على العلماء ، وغير ذلك ؛ والمباح منها كالمناخل إن فرض مباحا - كما قالوا - فانما إباحته بدليل شرعي فلا ابتداء فيه ، وان فرض مكروها - كما أشار اليه محمد بن أسلم - فوجه الكراهية عنده كونها عدت من المحدثات ، اذ في الاثر : أول ما أحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل - أو كما قال - فاخذ بظاهره من أخذ به كمحمد بن أسلم . وظاهره ان ذلك من ناحية

(١) كذا ولا بد ان يكون قد سقط من هنا كلام . ولعل أصله : لا يسلّمون جميع ما قاله الاولون . او جميع ما ذهب اليه الاولون

السرف والتنعيم الذي أشار الى كراهيته قوله تعالى (اذهبتكم طبيباتكم في حياتكم الدنيا) الآية ^(١) لا من جهة انه بدعة ؛

وقولهم : كما يتصور ذلك في العبادات يتصور في العادات - مسلم ؛

وليس كلامنا في الجواز العقلي ، وانما الكلام في الوقوع ، وفيه النزاع .

وأما ما احتجوا به من الاحاديث فليس فيها على المسئلة دليل

واحد ، اذ لم ينص على أنها بدع أو محدثات أو ما يشير الى ذلك المعنى ؛

وأيضاً ان عدوا كل محدث العادات بدعة ، فليعدوا جميع ما لم يكن فيهم

من المآكل والمشرب والملابس والمسائل النازلة التي لاعهد بها في الزمان

الاول بدعا ، وهذا شنيع ؛ فان من العوائد ما تختلف بحسب الازمان

والامكنة والاسم ، فيكون كل من خالف العرب الذين ادركوا الصحابة

واعتادوا مثل عوائدهم غير متبعين لهم . هذا من المستنكر جدا ؛ نعم

لابد من المحافظة في العوائد المختلفة على الحدود الشرعية والقوانين الجارية

على مقتضى الكتاب والسنة ؛

وأيضاً فقد يكون التزام ^(٢) الواحد والحالة الواحدة أو العادة

الواحدة تعباً ومشقة لاختلاف الاخلاق والازمنة والبقاع والاحوال ؛

والشريعة تآبى التضييق والخرج فيما دل الشرع على جوازه ولم يكن ثم

معارض . وانما جعل الشارع ما تقدم في الاحاديث المذكورة من فساد

الزمان واشراط الساعة لظهورها وخشها بالنسبة الى متقدم الزمان ،

(١) لعل ابن اسلم يخص كراهة الدقيق المنخول بما كان اداء لسنة كالعقيقة ليفعلها

كما كانوا يفعلونها (٢) يياض بالاصل لعل مكانه « الزي »

فان الخير كان أظهر، والشر كان أخفى وأقل، بخلاف آخر الزمان فان الامر فيه على العكس، والشرف فيه أظهر والخير أخفى.

وأما كون تلك الاشياء بدعا فغير مفهوم على الطريقتين في حد البدعة فراجع النظر فيها تجده كذلك.

والصواب في المسئلة طريقة أخرى وهي تجمع شتات النظرين، وتحقق المقصود في الطريقتين، وهو الذي بني عليه ترجمة هذا الباب، فلنفرده في فصل على حدته والله الموفق للصواب.

فصل

افعال المكلفين بحسب النظر الشرعي فيها على ضربين: احدهما ان تكون من قبيل التعبدات، والثاني أن تكون من قبيل العادات. فاما الاول فلا نظر فيه هاهنا.

وأما الثاني - وهو العادي - فظاهر النقل عن السلف الاولين ان المسئلة تختلف فيها، فمنهم من يرشد كلامه الى ان العاديات كالعباديات، فكما انا مأمورون في العبادات بان لا نحدث فيها، فكذلك العاديات - وهو ظاهر كلام محمد بن أسلم، حيث كره في سنة العقيقة مخالفة من قبله في أمر عادي، وهو استعمال المناخل، مع العلم بانه معقول المعنى؛ نظرا منه - والله أعلم - الى ان الأمر باتباع الاولين على العموم غلب عليه جهة التعبد. ويظهر أيضا من كلام من قال: أول ما أحدث الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل. ويحكى عن الربيع بن أبي راشد أنه قال: لو لا اني أخاف من كان قبلي لكانت الجبابة مسكني الى

ان أموت . والسكنى ^(١) عادي بلا إشكال . وعلى هذا الترتيب يكون قسم العاديات داخلا في قسم العباديات ؛ فدخول الابتداع فيه ظاهر . والاكترون على خلاف هذا ، عليه نبني الكلام فنقول :

ثبت في الاصول الشرعية أنه لا بد في كل عادي من شائبة التعبد ، لأن ما لم يعقل معناه على التفصيل من المأمورة أو المنهي عنه فهو المراد بالتعبد ، وما عقل معناه وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادي ؛ فالطهارات والصلوات والصيام والحج كلها تعبدية ، والبيع والنكاح والشراء والطلاق والاجارات والجنايات كلها عادي ، لان أحكامها معقولة المعنى ، ولا بد فيها من التعبد ، اذ هي مقيدة بامور شرعية لاخيرة للمكلف فيها ، كانت اقتضاء أو تخيرا ، فان التخيير في التعبدات إلزام ، كما ان الاقتضاء إلزام — حسبما تقرر برهانه في كتاب الموافقات — واذا كان كذلك فقد ظهر اشتراك القسمين في معنى التعبد ، فان جاء الابتداع في الامور العادية من ذلك الوجه ، صح دخوله في العاديات كالعباديات ، والا فلا .

وهذه هي النكته التي يدور عليها حكم الباب ويتبين ذلك بالامثلة ، فما أتى به القرافي ^(٢) وضع المكوس في معاملات الناس ، فلا يخلو هذا الوضع المحرم أن يكون على قصد حجب التصرفات وقتا ما ، أو في حالة ما ، لنيل حطام الدنيا ، على هيئة غصب الغاصب ، وسرقة السارق ، وقطع القاطع للطريق ، وما أشبه ذلك . أو يكون على قصد وضعه على الناس

(١) ربما سقط من هنا كلمة « أمر » (٢) لعله سقط من هنا كلمة « من جواز » أو « في مسألة »

(المنار - ج ١٧م ١٧) تقديم الجاهل على العلماء في المناصب وجعلها ارثا ٦٨١

كالدين الموضوع والامر المحتوم عليهم دائما ، أو في أوقات محدودة ، على
كيفيات مضروبة ، بحيث تضاهي المشروع الدائم الذي يحمل عليه
العامّة ، ويؤخذون به وتوجه على الممتنع منه العقوبة ، كما في أخذ زكاة
المواشي والحرث وما أشبه ذلك .

فاما الثاني فظاهر انه بدعة ، اذ هو تشريع زائد ، إلزام للمكلفين
يضاهي إلزامهم الزكاة المفروضة ، والديات المضروبة . والغرامات المحكوم
بها في اموال الغصاب والمتعدين بل صار في حقهم كالعبادات المفروضة ،
واللوازم المحتومة ؛ أو ما أشبه ذلك ، فمن هذه الجهة يصير بدعة بلاشك ،
لانه شرع مستدرك ، وسن في التكليف مهيغ ، فتصير المكوس على هذا
الفرض لها نظران : نظر من جهة كونها محرمة على الفاعل ان يفعلها
كسائر أنواع الظلم ، ونظر من جهة كونها اختراعا لتشريع يؤخذ به
الناس الى الموت كما يؤخذون بسائر التكاليف ، فاجتمع فيها نهيان :
نهى عن المعصية ، ونهى عن البدعة ؛ وليس ذلك موجودا في البدع في
القسم الاول ، وانما يوجد به النهي من جهة كونها تشريعا موضوعا على
الناس أمر وجوب أو ندب ، اذ ليس فيه جهة أخرى يكون بها معصية ،
بل نفس التشريع هو نفس المنوع ؛

وكذلك تقديم الجاهل على العلماء ، وتولية المناصب الشريفة من

لا يصلح^(١) بطريق التوريث ، هو من قبيل ما تقدم ، فان جعل الجاهل
في موضع العالم حتى يصير مفتيا في الدين ، ومعمولا بقوله في الاموال

(١) اي لا يصلح لها

(المنار - ج ٩) (٨٦) (المجلد السابع عشر)

٦٨٢ اباحة بعض المحرمات للأئمة والحكام. زخرفة المساجد (المنار- ج ٩ م ١٧)

والدماء والابضاع وغيرها ، محرم^(١) في الدين . وكون ذلك يتخذ ديدنا حتى يصير الابن مستحقا لرتبة الاب - وان لم يبلغ رتبة الاب في ذلك المنصب - بطريق الوراثة أو غير ذلك ؛ بحيث يشيع هذا العمل ويترد ويرده الناس كالشرع الذي لا يخالف بدعة^(٢) بلا اشكال ، زيادة الى القول بالرأي غير الجاري على العلم ، وهو بدعة أو سبب البدعة كما سيأتي تفسيره ان شاء الله ، وهو الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فاستلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وانما ضلوا واصلوا لانهم افتوا بالرأي إذ ليس عندهم علم .

وأما اقامة صور الأئمة والقضاة وولاية الامر على خلاف ما كان عليه السلف ، فقد تقدم أن البدعة لا تتصور هنا ، وذلك صحيح ؛ فان تكلف أحد فيها ذلك فيبعد جدا ، وذلك بفرض أن يعتقد في ذلك العمل انه مما يطلب به الأئمة على الخصوص تشريعا خارجا عن قبيل المصالح المرسلة ، بحيث يعد من الدين الذي يدين به هؤلاء المطلوبون به ؛ أو يكون ذلك مما يعد خاصا بالأئمة دون غيرهم ، كما يزعم بعضهم أن خاتم الذهب جائز لذوي السلطان ، أو يقول : ان الحرير جائز لهم لبسه دون غيرهم ، وهذا أقرب من الاول في تصور البدعة في حق هذا القسم .

ويشبهه على قرب زخرفة المساجد ، اذ كثير من الناس يعتقد أنها من قبيل ترفيع بيوت الله ، وكذلك تعليق الثريات الخطيرة الاثمان ،

(١) قوله « محرم » خبر قوله « فان جعل الجاهل » (٢) « بدعة » خبر قوله « وكون ذلك »

حتى يعد الاتفاق في ذلك اتفاقاً في سبيل الله ؛ وكذلك اذا اعتقد في زخارف الملوك واقامة صورهم انها من جملة ترفيع الاسلام واظهار معالمه وشعائره ، أو قصد ذلك في فعله أولاً بأنه ترفيع للاسلام لما لم يأذن الله به ؛ وليس ما حكاه القرافي عن معاوية من قبيل هذه الزخارف ، بل من قبيل المعتاد في اللباس والاحتياط في الحجاب مخافة من انخرق خرق يتسع فلا يرفع - هذا ان صح ما قال ، والا فلا يعول على نقل المؤرخين ومن لا يعتبر من المؤلفين ، وأخرى أن ينبني عليه حكم^(١)

وأما مسألة المناخل فقد مر ما فيها ، والمعتاد فيها انه لا يلحقها أحد بالدين ولا بتدبير الدنيا بحيث لا ينفك عنه كالتشريع فلا نطول به ؛ وعلى ذلك الترتيب ينظر فيما قاله ابن عبد السلام من غير فرق ؛ فتبين مجال البدعة في العاديات من مجال غيرها ، وقد تقدم أيضاً فيها كلام فراجع ان احتجت اليه .



وأما وجه النظر في أمثلة الوجه الثالث من أوجه دخول الابتداع في العاديات على ما أريد تحقيقه ؛ فنقول : ان مدار تلك الاحاديث على بضع عشرة خصلة ، يمكن ردها الى أصول هي كلها أو غالبها بدع ؛ وهي قلة العلم وظهور الجهل ، والشح ، وقبض الامانة ، وتحليل الدماء والزنا والحرير والغناء والربا والخمر ، وكون المغنم دولاً ، والزكاة مغرمًا ، وارتفاع الاصوات في المساجد ، وتقديم الاحداث ، ولعن آخر الامة أولها ، وخروج الدجالين ، ومفارقة الجماعة .

(١) لعل الاصل « وأخرى الا ينبني عليه حكم »

أما قلة العلم وظهور الجهل فبسبب التفقه للدنيا ؛ وهذا إخبار بمقدمة أنتجتها الفتيا بغير علم - حسبما جاء في الحديث الصحيح « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس » الى آخره - وذلك ان الناس لا بد لهم من قائد يقودهم في الدين بجرأئهم ، والا وقع الهرج وفسد النظام ، فيضطرون الى الخروج الى من انتصب لهم منصب الهداية ، وهو الذي يسمونه عالماً ، فلا بد أن يحملهم على رأيه في الدين ، لان الفرض انه جاهل ، فيضلهم عن الصراط المستقيم ، كما انه ضال ؛ وهذا عين الابتداع ، لانه التشريع بغير أصل من كتاب ولا سنة. ودل هذا الحديث على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل العلماء ، وانما يؤتون من قبل انه اذا مات علماءهم أفتى من ليس بعالم فتؤتى الناس من قبله ؛ وسيأتي لهذا المعنى بسط أوسع من هذا ان شاء الله .

*

وأما الشح فانه مقدمة لبدعة الاحتيال على تحليل الحرام ؛ وذلك ان الناس يشحون بأموالهم فلا يسمحون بتصرفها في مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم ، كالا حسان بالصدقات والهبات والمواساة والايثار على النفس . ويليه أنواع القرض الجائر ؛ ويليه التجاوز في المعاملات بإِِ نظر المعسر ، وبالا سقاط كما قال (وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) ، وهذا كان شأن من تقدم من السلف الصالح . ثم نقص الاحسان بالوجوه الأول فتسامح الناس بالقرض ؛ ثم نقص ذلك حتى صار الموسر لا يسمح بما في يديه فيضطر المعسر الى أن يدخل في المعاملات التي ظاهرها الجواز وباطنها المنع ، كالربا والسلف الذي يجر النفع فيجعل بيعاً في الظاهر ،

ويجري في الناس شرعاً شائعاً ، ويدين به العامة ، وينصبون هذه المعاملات متاجر . وأصلها الشح بالاموال وحب الزخارف الدنيوية والشهوات العاجلة . فاذا كان كذلك فالحري أن يصير ذلك ابتداءً في الدين ، وأن يجعل من أشراط الساعة .

فان قيل : هذا انتجاع من مكان بعيد ، وتكلف لا دليل عليه . فالجواب : انه لولا ان ذلك مفهوم من الشرع لما قيل به ، فقد روى أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة ، واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أنزل الله بهم بلاءً فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم » ورواه أبو داود أيضاً وقال فيه « اذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم »

فتأمل كيف قرن التبايع بالعينة بضنة الناس ، فأشعر بأن التبايع بالعينة يكون عن الشح بالاموال . وهو معقول في نفسه ، فان الرجل لا يتبايع أبداً هذا التبايع وهو يجد من يسلفه أو من يعينه في حاجته ، الا أن يكون سفيهاً لا عقل له . ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه أبو داود أيضاً

عن علي رضي الله عنه قال : « سيأتي على الناس زمان عضوض بعض

الموسر على ما في يديه ، ولم يؤمر بذلك . قال الله تعالى (وما أنفقتم من

شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وينشد شرار خلق الله ، يبايعون

كل مضطر . ألا ان بيع المضطر حرام ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه

٦٨٦ كتاب في الحيل الدينية . تكفير واضعه ومن رضي به (المنار - ج ٩ م ١٧)

ولا يخونه ؛ ان كان عندك خير فعُدْ به على أخيك ، ولا تزده هلاكاً الى هلاكه ،

وهذه الاحاديث الثلاثة — وان كانت أساسيتها ليست هناك —
مما يعضد بعضه بعضاً ؛ وهو خبر حق في نفسه يشهد له الواقع . قل
بعضهم : عامة العينة انما تقع من رجل يضطر الى نفقة يضمن عليه المוסر
بالقرض الا أن يربحه في المائة ما أحب ، فيبيعها ثمن المائة بضعفها أو نحو
ذلك ؛ ففسر بيع المضطر ببيع العينة . وبيع العينة انما هو العين بأكثر منها
الى أجل — حسبما هو مبسوط في الفقهيات — فقد صار الشئ اذا سبباً
في دخول هذه المفاسد في البيوع .

فان قيل : كلامنا في البدعة لا في فساد المعصية ، لان هذه الاشياء
بيوع فاسدة فصارت من باب آخر لا كلام لنا فيه .

فالجواب : ان مدخل البدعة هاهنا من باب الاحتيال الذي أجازته
بعض الناس ، فقد عده العلماء من البدع المحدثات ، حتى قال ابن المبارك
في كتاب وضع في الحيل : من وضع هذا فهو كافر ، ومن سمع به فرضي
به فهو كافر ، ومن حمله من كورة الى كورة فهو كافر ، ومن كان عنده
فرضي به فهو كافر . وذلك انه وقع فيه الاحتيالات بأشياء منكورة ، حتى
احتال على فراق الزوجة زوجها بأن ترتد .

وقال اسحق بن راهويه عن سفيان بن عبد الملك : ان ابن المبارك
قال في قصة بنت أبي روح حيث أمرت بالارتداد ، وذلك في أيام أبي
غشان . فذكر شيئاً ، ثم قال ابن المبارك وهو مغضب : أحدثوا في

الاسلام، ومن كان أمر بهذا فهو كافر، ومن كان هذا الكتاب عنده أو في بيته ليأمر به أو صوبه ولم يأمر به فهو كافر - ثم قال ابن مبارك : - ما أرى الشيطان يحسن مثل هذا، ثم جاء هؤلاء فأفادها منهم فأشاعها حينئذ، وكان لحسنها^(١) ولم يجد من يعضيها فيهم، حتى جاء هؤلاء.

وانما وضع هذا الكتاب وأمثاله ليكون حجة على زعمهم في أن يحتالوا للحرام حتى يصير حلالا، وللا واجب حتى يكون غير واجب. وما أشبه ذلك من الامور الخارجة عن نظام الدين، كما أجازوا نكاح المحلل، وهو احتيال على رد المطلقة ثلاثا لمن طلقها، وأجازوا اسقاط فرض الزكاة بالهيئة المستعارة، وأشبه ذلك. فقد ظهر وجه الاشارة في الاحاديث المتقدمة المذكور فيها الشح، وانها تتضمن ابتداء كما تتضمن معاصي جملة.

*

وأما قبض الامانة فعبارة عن شياع الخيانة، وهي من سمات أهل النفاق، ولكن يوجد في الناس بعض انواعها تشريعاً، وحكيت عن قوم ممن ينتمي الى العلم، كما حكيت عن كثير من الامراء، فان أهل الحيل المشار اليهم إنما بنوا في بيع العينة على اخفاء ما لو أظهروه لكان البيع فاسداً، فاخفوه لتظهر صحته، فان بيعه الثوب بمائة وخمسين الى أجل^(٢) لكنها أظهرت وساطة الثوب، وأنه هو المبيع والمشتري، وليس كذلك؛ بدليل الواقع.

وكذلك يهب ماله عند رأس الحول قائلًا بلسان حاله ومقاله :

(١) لعل الاصل « ولو كان يحسنها لم يجد » الخ (٢) أين خبر « ان » ؟

أنا غير محتاج الى هذا المال وأنت احوج اليه مني . ثم يهبه ، فاذا جاء الحول الآخر قال الموهوب له اللواهب مثل المقالة الاولى ، والجميع في الحالين ، بل في الحولين في تصريف المال سواء ؛ أليس هذا خلاف الامانة ؟ والتكليف من أصله أمانة فيما بين العبد وربّه ، فالعمل بخلافه خيانة .

ومن ذلك أن بعض الناس كان يحقر الزينة ويرد^(١) من الكذب ، ومعنى الزينة التدليس بالعيوب ، وهذا خلاف الامانة والنصح لكل مسلم . وأيضاً فإن كثيراً من الامراء يحتاجون اموال الناس اعتقاداً منهم أنها لهم دون المسلمين . ومنهم من يعتقد نوعاً من ذلك في الغنائم المأخوذة عنوة من الكفار ، فيجعلونها في بيت المال ، ويحرمون الغانمين من حظوظهم منها تأويلاً على الشريعة بالمقول . فوجه البدعة هاهنا ظاهر . وقد تقدم التنبيه على ذلك في تمثيل البدع الداخلة في الضروريات في الباب قبل هذا — . ويدخل تحت هذا النمط كون الغنائم تصير دولاً . وقوله « سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها — ثم قال — أدوا اليهم حقهم وسلوا الله حقكم » .

*

(لها بقية)

الأدب . وكلام الصوفية فيه^(*)

فصل

وأما الادب مع الرسول صلى الله عليه وسلم فاقترآن مملوء به ، فرأس الادب معه كمال التسليم له والالتقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، دون ان يحمله معارضة خيال باطل بسميه معقولا ، أو يحمله شبهة أو شكاً ، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم ، فيوحده بالتحكيم والتسليم والالتقياد والاذعان ، كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإيابة والتوكل ، فهما توحيدان لانبجاة للعبد من عذاب الله الا بهما - توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول ، فلا يحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره ، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وامامه ، وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه ، فان أذنوا له نقذه وقبل خبره ، وإلا فان طلب السلامة أعرض عن أمره وخبره وفوضه اليهم ، والا حرفة عن مواضعه ، وسعى تحريفه تأويله وحمله فقال : تؤوله ونحمله . فلأن يلقي العبد ربه بكل ذنب على الاطلاق ما خلا الشرك بالله خير له من ان يلتقي بهذه الحال

ولقد خاطبت يوما بعض أكابر هؤلاء فقلت له : سألتك بالله لو قدر ان الرسول صلى الله عليه وسلم حي بين أظهرنا وقد واجهنا بكلامه وبخطابه - أكان فرضا علينا ان تتبعه من غير ان نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه ؟ أم لا تتبعه حتى نعرض ماسمناه منه على آراء الناس وعقولهم ؟ فقال : بل كان الفرض المبادرة الى الامثال من غير التفات الى سواه . فقلت : فما الذي نسخ هذا الفرض عنا ؟ وبأي شيء نسخ ؟ فوضع أصبعه على فيه وبقي باهتا متحيرا وما نطق بكلمة

هذا أدب الخواص معه ، لا مخالفة أمره والشرك به ، ورفع الاصوات وازعاج الاعضاء بالصلاة عليه والتسليم ، وعزل كلامه عن اليقين ، وان يستفاد منه معرفة الله او يتلقى منه احكامه . بل المعول في باب معرفة الله على العقول المنهكة المتحيرة

(*) نموذج من كتاب مدارج السالكين للإمام العارف الحق ابن قيم الجوزية . وقد اطلعت في بحث الادب مع الله تعالى ثم قال

المتناقضة ، وفي الاحكام على تقليد الرجال وآرائها . والقرآن والسنة انما نقرأهما تبركا ، لا انا نتلقى منهما أصول الدين ولا فروعه . ومن طلب ذلك ورامه عاديناه وسمينا في قطع دابره واستئصال شأفته (بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون * حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون * لانجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون * قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكبون * مستكبرين به سامرا تهجرون * أفلم يدبروا القول ؟ أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ؟ * أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ؟ أم يقولون به جنة ؟ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون * ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن ، بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون * أم تسألهم خراجا ؟ فخراج ربك خير وهو خير الرازقين * وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم * وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كيون)

والناصح لنفسه العامل على نجاتها ، يتدبر هذه الآيات حق تدبرها ، ويتأملها حق تأملها ، وينزلها على الواقع يرى العجب ، ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا « فالحديث لك واسمعي يا جارة » والله المستعان

ومن الادب مع الرسول صلى الله عليه وسلم ان لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا اذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن ، كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) وهذا باق الى يوم القيامة ولم ينسخ . فالتقدم بين يدي سنته بمد وفاته ، كالتقدم بين يديه في حياته ، لا فرق بينهما عند ذي عقل سليم . قال مجاهد رحمه الله : لا تقتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه . وقال الضحاك لا تقضوا أمرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابو عبيدة : تقول العرب لا تقدم بين يدي الامام وبين يدي الاب . أي لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه ، وقال غيره : لا تأمروا حتى يأمر ولا تنهوا حتى ينهي .

ومن الادب معه أن لا ترفع الاصوات فوق صوته فانه سبب لحبوط الاعمال ، فما الظن برفع الآراء ونتائج الافكار على سنته وما جاء به ؟ ترى ذلك موجبا لقبول الاعمال ، ورفع الصوت فوق صوته موجب لحبوطها ؟

ومن الادب معه أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره قال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وفيه قولان للمفسرين (أحدهما) انكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا ، بل قولوا : يا رسول الله ! يا بني الله ! فعلى هذا المصدر مضاف الى المفعول ، أي دعاءكم الرسول . (الثاني) ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا ان شاء أجاب وان شاء ترك ، بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ، ولم يسمعكم التخلف عنها ألبتة . فعلى هذا المصدر مضاف الى الفاعل ، أي دعاءه اياكم

ومن الادب معه انهم اذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط لم يذهب أحد مذهباً في حاجته حتى يستأذنه ، كما قال تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله اذا كانوا على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) فاذا كان هذا مذهباً مقيداً بحاجة عارضه لم يوسع لهم فيه الا باذنه ، فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين أصوله وفروعه دقيقة وجليلة ؟ هل يشرع الذهاب اليه بدون استئذانه ؟ (فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون)

ومن الادب معه ان لا يستشكل قوله بل تستشكل الآراء لقوله ، ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسه وتلقى (١) لنصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته تخيال يسميه أصحابه معقولا ، نعم هو مجهول ، وعن الصواب معزول . ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد ، فكل هذا من قلة الادب معه صلى الله عليه وسلم ، وهو عين الجرأة

فصل

وأما الادب مع الخلق فهو معاملة لهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم ، فلكل مرتبة أدب ، والمراتب فيها أدب خاص ، فمع الوالدين أدب خاص ، وللأب منهما أدب هو أخص به ، ومع العالم أدب آخر ، ومع السلطان أدب يليق به ، وله مع الاقران أدب يليق بهم ، ومع الاجانب أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي انسه ،

ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهل بيته .
 ولكل حال أدب - فلا كل آداب وللشرب آداب ، ولركوب والدخول
 والخروج والسفر والاقامة والنوم آداب ، وللبول آداب ، والكلام آداب ، وللسكوت
 والاستماع آداب .

وأدب المرء عنوان سمادته وفلاحه ، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره ، فما
 استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الادب
 فانظر الى الادب مع الوالدین كيف نجى صاحبه من حبس الفارحين اطبقت عليهم
 الصخرة ، والاخلال به مع الام تأويلا واقبالا على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم
 صومعته ، وضرب الناس له ورميه بالفاحشة ، وتأمل أحوال كل شقي ومفترو ومدبر
 كيف نجد قلة الادب هو الذي ساقه الى الحرمان ، وانظر قلة أدب عوف مع خالد
 كيف حرمه السلب بعد ان برد يديه ، وانظر أدب الصديق رضي الله عنه مع النبي
 صلى الله عليه وسلم في الصلاة ان يتقدم بين يديه فقال : ما كان ينبغي لابن ابي
 قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف أورثه مقامه والامامة
 بالامة بعده ، فكان ذلك التأخر الى خلفه ، - وقد أوما اليه ان اثبت مكانك -
 جمزا لا سعيا الى قدام ، بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق
 المعطي . والله اعلم

فصل

قال صاحب المنازل ﴿ الادب حفظ الحدين الغلو والجفاء بمعرفة ضرر العدوان ﴾
 هذا من احسن الحدود . فان الانحراف الى احد طرفي الغلو والجفاء هو قلة الادب ،
 والادب الوقوف في الوسط بين الطرفين ، فلا يقصر بمحدود الشرع عن تمامها
 ولا يتجاوز بها ما جعلت حدودا له ، فكلاهما عدوان والله لا يحب المعتدين ، والعدوان
 هو سوء الادب . وقال بعض السلف : دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه ، فاضاعة
 الادب بالجفاء كن لم يكمل اعضاء الوضوء ولم يوف الصلاة آدابها التي سنّها رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وفعلها ، وهي قريب من مئة ادب ما بين واجب ومستحب .

واضعته بالغلو كالوسوسة في عقد النية ورفع الصوت بها، والجهر بالاذكار والدعوات التي شرعت سرا، وتطويل ما السنة تخفيفه وحذفه، كالشهاد الاول والسلام الذي حذفه سنة. وزيادة التطويل على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على ما يظنه سراق الصلاة والتقارون لها ويشتهونه، فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليأمر بأمر ويخالفه، وقد صانه الله من ذلك. وكان يأمرهم بالتخفيف ويؤمهم بالصفات، ويأمرهم بالتخفيف وتقام صلاة الظهر فيذهب الذهاب الى البقيع فيقضي حاجته ويأتي أهله ويتوضأ ويدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى. فهذا هو التخفيف الذي أمر به، لا تقرأ الصلاة وسرقها، فان ذلك اختصار بل اقتصار على ما يقع عليه الاسم ويسمى به مصليا. وهو كأكمل المضطر في المحمصة ما يسد به ريقه، فليته شبع على القول الآخر. وهو كجائع قدم اليه طعام لذيذ جدا فأكل كل منه اكلة أو اثنين فإذا بغنيان عنه؟ ولكن لو أحس بجوعه لما قام عن الطعام حتى يشبع منه وهو يقدر على ذلك، لكن القلب شبعان من شيء آخر.

ومثال هذا التوسط في حق الانبياء عليهم السلام ان لا يغلو فيهم كما غلت النصراني في المسيح، ولا يجفوا عنهم كما جفت فيهم اليهود، فالنصارى عبدوهم، واليهود قتلوهم وكذبوهم، والامة الوسط آمنوا بهم وعزروهم ونصروهم واتبعوا ما جاؤا به.

ومثال ذلك في حقوق الخلق ان لا يفرط في القيام بحقوقهم، ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله او عن تكميلها او عن مصلحة دينه وقلبه، وان لا يجفوا عنها حتى يعطلها بالكلية، فان الطرفين من العدوان الضار، وعلى هذا الحد، لحقيقة الادب هو العدل، والله اعلم

فصل

قال ﴿وهو على ثلاث درجات، الدرجة الاولى منع الخوف ان يتعدى الى اليأس﴾ (١) وحبس الرجاء ان يخرج الى الامن، وضبط السرور ان يضاهي الجراءة ﴿

يريد انه لا يدع الخوف يبغي به الى حد يوقعه في القنوط والبأس من رحمة الله ، فان هذا خوف مذموم . وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : حد الخوف ما حجزك عن معاصي الله فما زاد على ذلك فهو غير محتاج اليه . وهذا الخوف الموقف في الاياس اناءة أدب على رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه وجهل بها . وأما حبس الرجاء ان يخرج الى الامن . فهو ان لا يبلغ به الرجاء الى حد يأمن معه العقوبة ، فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون . وهذا اغراق في الطرف الآخر ، بل حد الرجاء ما طيب لك العبادة ، وحملك على السير ، فهو بمنزلة الرياح التي تسير السفينة ، فاذا انقطعت وقفت السفينة ، واذا زادت ألقتها الى المهالك ، واذا كانت بقدر أوصلت الى البغية .

واما ضبط السرور ان يخرج الى مشابهة الجراءة . فلا يقدر عليه الا الاقوياء . ارباب العزائم الذين لا تستفزهم السراء فتغلب شكرهم ، ولا تضعفهم الفراء فتغلب صبرهم ، كما قيل :

لا تغلب السراء منهم شكرهم كلا ولا الفراء صبر الصابر

والنفس قرينة الشيطان ومصاحبة وتشبهه في صفاته ، ومواهب الرب تبارك وتعالى تنزل على القلب والروح ، فالنفس تسرق السمع ، فاذا نزلت على القلب تلك المواهب وثبت لتأخذ قسطها منها وتصيره ، من عدتها وحواصلها ، فالمسترسل معها الجاهل بها يدعها تستوفي ذلك ، فينسا هو في موهبة للقلب والروح وعدة وقوة له ، اذ صار ذلك كله من حاصل النفس وآلتها وعددها ، فصالت به وطغت لآلتها رأت غناها به ، والانسان يظن ان رآه استغنى بالمال ، فكيف بما هو أعظم خطرا وأجل قدرا من المال ، بما لا نسبة بينهما من علم أو حال أو معرفة أو كشف ؟ فاذا صار ذلك من حاصلها انحرف العبد به - ولا بد - الى طرف مذموم من جرأة او شطع او ادلال ونحو ذلك ، والله كم هبنا من قتيل وسليب وجريح يقول : من اين أتيت ؟ ومن اين ذهبت ؟ ومن اين اصببت ؟ واقل ما يعاقب به من الحرمان بذلك أن يفاق عنه باب المزيد ، ولهذا العارفون وأرباب البصائر اذا نالوا شيئا من ذلك انحرفوا الى طرف الذل والانكسار ومطالبة عيوب النفس ، واستدعوا حارس الخوف ،

وحافظوا على الرباط بإلزامه الثغر بين القلب وبين النفس ، ونظروا الى أقرب الخلق من الله وأكرمهم عليه وادناهم منه وسيلة واعظمهم عنده جاها ، وقد دخل مكة يوم الفتح وذقنه تمس قربوس سرجه انخفاضا وانكسارا وتواضعا لربه تعالى في مثل تلك الحال التي عادة النفوس البشرية فيها ان يملكها سرورها وفرحها بالنصر والظفر والتأييد ويرفعها الى عنان السماء ، فالرجل من صان فتحه ونصيبه من الله ، وواراه عن استراق نفسه وبخل عليها به ، والمأجزم من جاد لها به ، فياله من جود ما أقبحه وسماحة ما أسفه صاحبها ! والله المستعان .

فصل

قال (الدرجة الثانية الخروج من الخوف الى ميدان القبض ، والصمود) (١)

عن الرجاء الى ميدان البسط ، ثم الترقى عن (٢) السرور الى ميدان المشاهدة (٣) ذكر في الدرجة الاولى كيف يحفظ الحدين المقامات حتى لا يتعدى الى ظو أوجقاء ، وذلك سوء أدب ، فذكر منع الخوف ان يخرج به الى اليأس (٣) والرجاء ان يخرج به الى الامن ، والسرور ان يخرج به الى الجرأة . ثم ذكر في هذه الدرجة أدب الترقى من هذه الثلاثة الى ما يحفظه (٤) عليها ولا يضيعها بالكلية ، كما ان في الدرجة الاولى لا يبالغ به بل يكون خروجه من الخوف الى القبض ، يعني لا يزال الخوف بالكلية ، فان قبضه لا يؤيسه ولا يقنطه ولا يحمله على مخالفة ولا بطالة ، وكذلك رجاءه لا يقعد به عن ميدان البسط ، بل يكون بين القبض والبسط ، وهذه حال الكمال ، وهي السير بين القبض والبسط ، وسروره لا يقعد (٥) به عن ترقيه الى ميدان مشاهدته ، بل يرقى بسروره الى المشاهدة ، ويرجع من رجائه الى البسط ، ومن خوفه الى القبض . ومقصوده ان ينتقل من اشباح هذه الاحوال الى ارواحها ، فان الخوف شبح والقبض روحه ، والرجاء شبح والبسط روحه ،

(١) في ب « والصمود » (٢) وفيها « من » (٣) وفيها « الا يأس » (٤) كتب في هامش ن « لعله يحفظها » وكان يجب ان يزيد كلمة « عليه » (٥) ب « يقصد »

والسرور شبح والمشاهدة روحه ، فيكون حفظه (١) من هذه الثلاثة ارواحها وحقائقها ، لاصورها ورسومها .

فصل

قال في الدرجة الثالثة معرفة الادب ، ثم الفناء (٢) عن التأديب بتأديب الحق ، ثم الخلاص من شهود اعباء الادب في قوله « معرفة الادب » يعني لا بد من الاطلاع على حقيقته في كل درجة ، وإنما يكون ذلك في الدرجة الثالثة ، فانه يشرف منها على الادب في الدرجتين الاولين ، فاذا عرفه وصار له حالا فانه ينبغي له ان يفنى عنه ، بان يغلب عليه شهود من اقامه فيه فينسب اليه تعالى دون نفسه ، ويفنى عن رؤية نفسه وقيامها بالادب بشهود الفضل لمن اقامه فيه ومته ، فهذا هو الفناء عن التأديب بتأديب الحق . قوله « ثم الخلاص من شهود اعباء الادب » يعني انه يفنى عن مشاهدة الادب بالكلية لاستغراقه في شهود الحقيقة في حضرة الجمع التي غيبته عن الادب ، فتناؤه عن الادب فيها هو الادب حقيقة ، فيستريح حينئذ من كلفة حمل اعباء الادب وأثقاله ، لان استغراقه في شهود الحقيقة لم يبق عليه شيئا من اعباء الادب . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) ن « حفظه » (٢) في نسخة المتن « الفنى »

البروغرام الصهيوني السياسي

﴿ بقلم الزعيم الصهيوني اوسيشكن ﴾

شرعت جريدة فلسطين بترجمة هذا الكتاب بالعربية ونشره تباعا فيها ، فرأينا ان تنقل بعض فصوله عنها بمناسبة ما نشرناه في الاجزاء الماضية عن الجنسية في البلاد العثمانية ، ولما فيها من العبر

الفصل الاول

ان المساعي التي بذلها الشعب الاسرائيلي للخلاص من منفاه بعد ان مضى عليه فيه نحو الف عام ، قد تحولت منذ ٢٥ سنة من حالة التفكير والسكون الى حالة الحركة والعمل ، وذلك لاعادة حياته السياسية الحرة في بلاد اجداده

ولقد كان ملاقاه اليهود من المذابح وما قاسوه من الاضطهادات في غربي روسيا من اكبر البواعث على اخراج هذه المجهودات من حيز الفكر الى حيز العمل . ومن يتبع تلك المساعي يجد انها كانت تتغير وتتطور تبعا للظروف ومجارية لما كان يضعه الزعماء من البروغرامات والخطط . فجميعيات «عجة صهيون» و«الصهيونية الروحية» و«الصهيونية السياسية» لم تكن الا وسائط مختلفة وطرقا متعددة ترمي جميعها الى غاية واحدة وتوصل الى غرض واحد

— الصهيونية السياسية —

كل امة تسعى وراء كيان سياسي مستقل حر يجب عليها توصلا لغايتها هذه ان تراعي ثلاث حالات ضرورية : حالة الشعب — وحالة

البلاد - وحالة الظروف الخارجية

١ حالة الشعب : من الشروط الاولى لكل امة تسمى وراء الاستقلال السياسي والاقتصادي والادبي ان يكون شعبها على شيء من الاستعداد لذلك، كأن يكون ذا شعور قومي راق، وجميعات قوية منظمة، ورؤس اموال كبيرة عمومية، وصبر على احتمال المصاعب، واهم من ذلك كله ان يكون مستعدا دائما لتضحية مصالحه الخاضرة امام الصالح العام المستقبل . فاذا كانت هذه الشروط جميعها لا توجد في الشعب ولم تبذل المساعي اللازمة لا يجادها فيه، استحال على الامة ان تنشئ لنفسها مركزا سياسيا حرا

٢ حالة البلاد : اما حالة البلاد أو الارض التي تريد الامة ان تستقل بها استقلالا سياسيا فيجب ان تكون ملكا لها بالفعل من الوجهتين الاقتصادية والعقلية، اعني ان تكون جميع قوى تلك الارض الحيوية في يد شعبها، وان كانت الارض نفسها تحت سيادة غيره اسما . وان يكون للشعب بها علاقة روحية، وتكون تربتها مشبعة من دمه وعرق جبينه، والا كانت غير صالحة للاستقلال

٣ حالة الظروف الخارجية : ثم لو فرضنا ان الشعب كان جامعا لكل شروط الاستقلال وكانت حالة البلاد موافقة له، فاستقلاله فيها وعلان حكمه عليها، لا يتيسر ان له الا اذا ساعدته الظروف الخارجية أيضا، لارتباط مصالح جميع الشعوب بعضها ببعض وإن تشعبت الطرق المؤدية اليها . ولذلك كان لا بد في كل حركة قومية من بروغرام سياسي تتمشى عليه لاجتناب ما ربما يقف في طريقها من العثرات، واقناع الحكام والمحكومين

باخلاص تلك الحركة وما ينجم عنها من القوائد ، مع السعي في الوقت نفسه باستمالة الرأي العام الاجنبي ، واستخدام احسن ما فيه من القوى العقلية والانسانية لمنفعة تلك الحركة ، والا اصابها الفشل

الفصل الثاني

ان احسن بروغرام يجب السير عليه في كل حركة قومية تتطلب الخلاص والاستقلال هو العمل لها من الجهات الثلاث المذكورة. وبهذه الطريقة فقط تتقدم وتتقوى من يوم الى يوم ومن سنة الى اخرى . فيصلح حال الشعب ويسهل عليه امتلاك البلاد ، وتصبح الظروف الخارجية ملائمة له ، وتكون جميع القوى التي تملكها الامة قد استخدمت لفائدة تلك الحركة . فينما تسمى جماعة مثلاً لتكثير رؤوس الاموال واقعام خزائن الشعب منها ، تكون غيرها ساعية وراء تعليم العامة وانماء مداركها وشعورها ، وبينما تكون جماعة ترود البلاد وتدرس حالتها ، تأتي اخرى لاستثمارها واستعمارها ، وبينما يقوم البعض بشرح رغبات الامة وغاياتها امام الشعوب الاجنبية ، يسمى آخرون بالتعارف مع الملوك والوزراء وما يترتب على ذلك من الامور السياسية. لان على مجموع هذه الاعمال المتفرقة التي يقوم بها الافراد والجماعات في جهات متعددة وفي وقت واحد يتوقف نمو الحركة ونجاحها .

وبالعكس فان النتيجة تكون عقيمة أو قليلة الفائدة^(١) اذا حصر المسعى

(١) هذه عبارة تستعملها الجرائد على انها منطقية وما هي بمنطقية، ولكنها فاسدة . فالنتيجة لا تكون عقيمة وانما تسمى المقدمات التي ليس لها نتيجة صحيحة مقدمات عقيمة أي غير منتجة ، ولفظ العكس مستعمل في غير محله ايضاً . والمراد من الكلام ان نتيجة ما يأمن السعي يكون ضد نتيجة ما تقدم

في جهة واحدة ، وبقيت قوى كثيرة مهملة بدون عمل . ومن المحتمل أيضاً ان يكون هذا العمل الناقص ذا نتائج محزنة في المستقبل ، لان اقل عارض يطرأ عليه يوقف مجراه فيفقد العملة نشاطهم ومراكزهم ، ونقع عامة الشعب في أزمة شديدة ، وتصبح الحركة في طور حرج جداء ، وفي ذلك من الاضرار مالا يحصى على احد .

أما اذا كان العمل مشتركاً وفي جهات متعددة فخبوط جزء منه في جهة يعادله نجاح جزء آخر في جهة اخرى . وهكذا تبقى الحركة سائرة سيراً طبيعياً مطرداً

لنتصور الآن ان الظروف الخارجية كانت موافقة لرغبات امة ما ، تريد ان تجد تاريخها وحياتها الاستقلالية في أرض ما ، ووافقت الحكومات والشعوب جميعها على رغبتها هذه ، ولم تجد مانعاً خارجياً يقف في سبيلها ، ولكن شعبها كان من جهته قليل الثقة بقواه الخاصة قليل الاستعداد لبلوغ الغاية التي ترمي اليها ، لا جمعيات منظمة لديه ، ولا اموال عمومية تساعد على اغتنام الفرص المهمة واستخدامها ، فماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة حينئذ ان تلك الفرصة المهمة التي سنحت تفوت ، وربما لانمود في عدة قرون . ومثل هذه الفرص عرضت مرتين لليهود عند ما طردوا من اسبانيا في ايام الدوق جوزيف دي نكسوس فلم يستخدموها .

ثم لو تصورنا عكس ذلك ورأينا الشعب مستعداً للحياة الاستقلالية ولديه جميع الوسائط اللازمة وكانت البلاد في قبضة يده فعلاً ولكن الظروف الخارجية كانت لا تساعد ولا تسمح له بالحصول على بغيته ، إما

لانه لم يتم بهاء واما لانها لم تكن على استعداد تام لقبول فكرته ، فاذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة اذ ذاك ان الشعب يضطر الى ان يبقى تحت العبودية والنير في انتظار ايام احسن . ومثل هذه الحالة تنطبق الآن تماماً على حالة ارمينيا العثمانية التي وان كان استقلالها امر لا بد منه ، الا ان ذلك يطول مادامت الظروف الخارجية غير موافقة له .

على انا اذا وجدنا لما تقدم مثالا صعب علينا جدا ان نجد في التاريخ العام كله من اوله الى آخره حالة مفاجئة اسوأ من حالة شعب ذكي متعلم راق كالشعب اليهودي هبّ لجمع شتات قواه وتنظيم رؤس أمواله ، وشعر بوجوب استمالة شعوب وحكام العالم أجمع لمساعدته والاخذ بيده ، فوجد بعد كل هذا العناء ان البلاد التي ينشدها وهي غاية امانيه ومطمح انظاره ومرمى مساعيه التاريخية بين ايدي شعب آخر يضارعه اجتهاداً ولا يقل عنه في مداركه الاقتصادية . ولذلك فاني^(١) اشعر بوجل شديد وترقب اعصابي عندما أتصور ان الشعب الاسرائيلي ربما وجد نفسه في مثل هذه الحالة يوماً ما اذا ظلت مساعي بعض زعمائه منصرفة الى جهة واحدة . وحينئذ قل : السلام على تاريخه المملوء بالآلام والاضطهادات وعلى امازيه وموضوع احلامه وآماله ، وقل : السلام على مستقبله الذي أضرب به جهل الزعماء ، اكثر من مساعي الاعداء

(١) يكثر مثل هذا التعبير في الجرائد وكتابة بعض المتأخرين - أعني الجمع بين لام التعليل وفاء السببية بهذه الصفة - وقد يكون المقام لاحدهما فقط . والاستعمال الفصيح في الجمع بينهما ان يقال . فلذلك اشعر بوجل شديد . فان حثيج الى التأكيد قيل : فاني لذلك اشعر بوجل الخ

الفصل الثالث

ان سبب قلة نجاح الحركة الصهيونية في الخمس وعشرين سنة الاخيرة يرجع معظمه الى النقص في العمل -جمعية «محنة صهيون» لم تهتم في بحر عشر سنوات في غير امر البلاد وحالة الارض فقط، فلم تفكر في اعداد الشعب لها وانماء مداكه العقلية، ولا بانشاء رموس اموال عمومية، ولم تعرف ان تحول هذه الحركة الى حركة رسمية سياسية، ولم تجرب ان تستميل اليها الدول الاجنبية، بل اكتفت بان تظهر في مظهر المحسن بانشاء بضم مستعمرات تعيش من مال الاحسان، ولذلك انتهت هذه المدة الاولى من تاريخ الصهيونية بازمة سنة ١٨٩١

على ان المدة الثانية التي تلت تلك الازمة وهي مدة انتشار الصهيونية الروحية لم تكن باسعد حظاً من الاولى، فقد أهمل فيها امر البلاد كما أهمل في التي قبلها امر الظروف الخارجية. وبعد خمس سنين انصرفت في اثناها جميع المساعي الى التعليم الداخلي وتنبيه الشعور العقلي فقط، نبغ عدد قليل جُلُّهُ من الخياليين، فلم يجدوا لما تعلموه فائدة محسوسة أو عملاً مادياً، وبقي مجموع الامة جامداً، وأصبحت الحركة الصهيونية مهددة بالموت - الى ان عقد المؤتمر الاول فابتدأت به المدة الثالثة وهي عصر الصهيونية الذهبي، فبعثت الحركة من مرقدتها ودبت في الامة روح جديدة، لانها وجدت في المؤتمر ضالتها، ووافقت قراراته هوى في نفسها.

ان جميع الصهيونيين الحقيقيين اصحاب الوجدان ومفكري الامة رأوا في بروغرام مؤتمر (بال) الاول ادغام البراغرمات السابقة باخرى جديدة حوت صفوة ما تقرر، وخلاصة رغبات الامة، ولا سيما في تصريحه جلياً على

(المنار-ج ٩ م ١٧) غاية الصهيونية تأسيس دولة في فلسطين وامتلاكها ٧٠٣

مسمع من العالم أجمع، باننا نجاهد لانشاء حكومة يهودية في فلسطين، وانه لا بد لنا لنصل الى هذه الغاية من اربعة امور :

١ - امتلاك فلسطين اقتصاديا وادبيا

٢ - تنظيم قوى الشعب وانشاء رؤوس اموال عامة له

٣ - انماء الشعور القومي في الشعب وترقيته

٤ - السعي بكل طرق السياسية لجعل جميع الظروف الخارجية موافقة لنا. وفي الحقيقة ان الشجاعة الاديبة التي اظهرها هذا المؤتمر في اعلان حقوق الامة الاسرائيلية على فلسطين، والخطة الجلية الصريحة التي رسمها لبلوغ هذه الغاية، والقوة المعنوية التي تجلت من خلال ابجائه، - كان فعلا في الشعب اليهودي فعل المعجزات. فانه تنبه من سباته العميق، وفي كل محل بلغت اليه اخبار المؤتمر عقدت الاجتماعات، وألقيت الخطب، فأسست الجمعيات، وتآلفت الشركات. ومنذ ذلك الحين اخذ العمل يتقدم بسرعة وبجد واجتهاد عظيمين، فاشتد ساعد الجمعية الصهيونية وانشأت صندوق المال المالي، وانضمت لها قوى سياسية خارجية، وظهر لنا من نتيجة مقابلات الملوك والوزراء بان حركتها ستنتهي وتتقوى على مرّ الايام

غير ان القريب من مركز ادارة هذه الحركة والواقف على مآجرياتنا، يلاحظ في الحال ان الخطأ العظيم الذي كانت الصهيونية تتألم منه في مدتها الاولى والثانية - واعني به قيادة الحركة من جهة واحدة فقط وتوحيد المساعي وصرفها وراء نقطة واحدة من نقط البروغرام - مازال يرتكب حتى الآن، وذلك بسعينا وراء العمل السياسي فقط لاجتناب العقبات الخارجية

اما الجهات الاخرى فلم يلتفت اليها بل اُهملت بالسكينة
فالامر الاول من بروغرام مؤتمر (بال) وهو امتلاك « فلسطين »
اقتصاديا وادبيا كان من نتيجة قلة الاهتمام به ان اللجنة التي عينها المؤتمر
للنظر في المسائل الاستعمارية لم تعمل شيئاً، لانه لم يدخل صندوقها شيء
من المال، ووجد مديرو هذه الحركة في فلسطين انفسهم بعد ست سنوات
انهم لم يتقدموا خطوة الى الامام، بل ظلوا في ذات النقطة التي ابتدأوا منها
ثم ان الآداب الاسرائيلية لم تتقدم أيضاً تقدماً محسوساً، وكانت
مسألة البحث في احيائها تبدو في كل مؤتمر كشبح مرعب . والدليل على
ذلك النجاح البطيء الذي صادفته اللغة العبرانية في السبع السنوات الاخيرة
مع انها من اكبر العوامل على تنبيه الشعور القومي

الفصل الرابع

ظهر مما تقدم ان ادارة العمل من جهة واحدة لا يمكن ان تأتي
بالفائدة المقصودة ، ففي الوقت الذي كانت فيه مساعي الرؤساء جميعها
منصرفة الى العمل السياسي ، كان بقية الاعضاء يطلبون بالحاح شغلا عمليا
آخر، ولكن هذا الشغل لم يكن موجرداً ، والعمل السياسي كما لا يخفى
لا يصلح له الا رجال مخصوصون ، وهكذا اُهملت نفسها التي عليها مدار
الحركة، ولم يلتفت الى حفظ المواصلات معها، وارسال قوى جديدة اليها،
كما انه لم يهتم احد للاعمال العقابية وتنبيه الشعور القومي، وجل ما عمل اذ
ذلك كان منحصراً في جمع المال والقاء الخطب، - الى ان جاء المؤتمر الرابع.
وهذا بدلا من ان يكون صهيونيا أي ان يهتم بقيادة الحركة في الطريق

السويّ اقترح وضع بروغرام خلاصته : انشاء جمعيات للتعاون وجمعيات خيرية وجمعيات اسعاف لإطعام الجياع وصندوق للتسليف . فجعل للحركة الصهيونية دخلا في كل شيء حتى في جمعيات رجال المطافى الحرة ، فكانت النتيجة ان العزائم انحلت وشر الناس بأن هذه الاعمال لاتصل بهم الى الغاية

ثم حدث ما هو انكى من ذلك فقد استقر في الازهان أن الصهيونية السياسية رغم ما بذلته من المساعي واستفادته من وعد الحكومات بمعاضدتها ، هي عاجزة عن تغيير طرق معيشة الشعب اليهودي واصلاح احواله وتحسين معاملته ودفع الحيف عنه في اكثر البلاد التي يقطنها ، ولذلك كان كل عمل الصهيونية في نظر الامة الاسرائيلية لا يساوي شيئا . وقد اصاب الناس في هذا الاعتقاد لان امورهم الاقتصادية كانت تزداد سوءا من يوم الى يوم ، والمهاجرين ينادرون بلادم بالالوف ، والحرائق والمذابح والاضطهادات يتلو بعضها بعضا ، والافواه تردد باصوات عالية قائلة : اعطونا عملا ، نريد شغلا . فلم يجدوا من الصهيونية ما يحقق آمالهم فيها . ومما زاد في العطين بلة على اُرد ذلك قيام عثرة جسيمة في طريق سياستنا اضطررتها في سنتها السابعة ان توقف عملها مدة من الزمن فوقفت الحركة من جميع الجهات .

على ان وقوف دولاب الحركة هذا لم يكن ليضرها بمقدار ما اضرت بها فكرة بعضهم في استثمار اوغندا . وهي اعظم غلطة ارتكبت في مدة الخمس وعشرين سنة الماضية من تاريخ الصهيونية ، لان الانظار تحوات

اذ ذاك الى هذه الوجهة . وانشقت الحركة الى قسمين، وانتشبت الحرب بين الاخوة وتمزق العمل فكان من نتيجة ذلك حدوث ازمة هائلة . وبعد ان كان الصهيوونيون قبل المؤتمر السادس اقوياء - لا في سياستهم او في اموالهم او في جمعياتهم فقط بل في اتحادهم ووحدة مبدئهم - جاءت هذه الفكرة فهدمت ذلك الاتحاد الى سنين كثيرة، وزادت عليه فقضت بما احدثته من التأثير السيء على زعيمنا الاكبر هرتسل العظيم منشئ المؤتمرات، وذلك عندما رأى صروح عمله تنهار واتعابه تذهب أدراج الرياح . ان الامة الاسرائيلية تجتاز الآن زمناً مخيفاً فقد اصبحت لا قائد لها ولا بروجرام ، واصبح افرادها لا ثقة للواحد منهم بالآخر ، والكل يجهل ما تؤدي اليه هذه الحالة . ومن يعلم ماذا يضر لها المؤتمر السابع ، وهل هو يجري على خطة المؤتمر السادس ويتم ما ابتدأ به من هدم جميع ما اشتغلنا فيه مدة ٢٥ سنة ؟ او هو يستخرج من اليأس قوة عظيمة فيسعى للتكفير عن تلك الزلة الهائلة التي ارتكبها المؤتمر السادس فيضع خطة جديدة لادارة العمل .

اني اريد ان اعتقد أنه سيختار الخطة الثانية لان السبيل الموصل اليها سهل هين، وهو الرجوع الي بروجرام مؤتمر بال بجملته ومافيه من الصراحة .

الفصل الخامس

ان النقطة الاساسية في بروجرام مؤتمر بال هي انشاء وطن سياسي حرّ مستقل للشعب الاسرائيلي في فلسطين . ويفهم من هذا بوضوح ان

الغاية الوحيدة من الحركة الصهيونية هي انشاء بلاد سياسية حرة مستقلة لليهود في فلسطين؛ لا ايجاد ملجأ او مركز روحي لهم، وقد ذكرت فلسطين ولم يذكر غيرها لان كل سمي يرمي الى بلاد غير فلسطين ليس هو من الصهيونية في شيء، واحر بالقائمين به ان لا يستظلوا بالعلم الصهيوني لنشر فكرتهم . ولذلك اصبح من واجب المؤتمر السابع ان يهدم ما وضعه اولئك المنافقون المتظاهرون بالصهيونية، ويزيد على بروغرام المؤتمر الاول كلمة واحدة لها معنى كبير وهي كلمة « فقط » أي « في فلسطين فقط » ويحتاط بمادة اخري يضيفها الى القوانين الاساسية الصهيونية تضمن لمجموعها عدم التنقيح والتغير فيها

وهناك أيضاً اشياء اخرى يجب على المؤتمر تقريرها . منها ان يصادق على طرق العمل التي وردت في المواد الاربع المذكورة في بروغرام مؤتمر بال . وان لا ينقص حرفاً منها ولا يزيد عليها شيئاً من شأنه ان يصرف الاذهان الى طرق أخرى كانشاء ملاجئ أو مستعمرات خيرية، فاذا عمل ذلك سهل عليه انهاض الحركة من كبوتها والقبض على ازمته والسير بها في اقوم طريق . وهانحن اولاء نأتي الآن على شرح تلك المواد الاربع من بروغرام مؤتمر بال لا كما وردت بالترتيب ولكن بحسب درجاتها في الاهمية وما يترآى لنا من سهولة تناولها . (له بقية)

[المنار]

لولم ينشر من هذا الكتاب الصهيوني الا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم عبرة وبياناً لمقاصد هؤلاء الصهيونيين . وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها أن الصهيونيين اذا تم لهم ما يريدون فانهم لا يقعون

« في أرض الميعاد » التي يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا . وليست أرض الميعاد أو فلسطين عندهم ما نسميه نحن الآن فلسطين فقط ، بل هي في عرفهم وتحديد كتبهم الدينية تمتد الى سورية حتى «النهر الكبير» أي نهر الفرات . فهذه بلاد لا يجوز عندهم أن يقيم فيها أحد غير الاسرائيليين . وفي سفر (تثنية الاشتراع) ان الرب أمرهم عند دخولهم فيها بعد خروجهم من مصر على يد موسى (ص) أن لا يستبقوا من أهلها نسمة متا . - والنص في ذلك تجده في باب الفتاوى - .

نعم انهم لا يبيدون الآن من فيها من غير اليهود بالسيف والنار كما فعل اسلافهم من قبل ، بل يبيدونهم بقوتي الكيد والمال ، وهما قوتان لهذا الشعب الصغير ترهبهما كبرى الأمم والدول ، حتى ان دولة الروسية القوية القاهرة انشأت تستميل في هذه الايام يهود بلادها على قتلهم لثلاثا يحدثوا فيها أحداثا وقتنا داخلية تزلزل أقدامها في هذه الحرب التي تقتضي مصلحة الدول المحاربة فيها أن لا يكون لها شاغل داخلي يشغلها . فماذا عسى أن يفعل العرب أصحاب فلسطين من أسباب المحافظة على وطنهم وأملاكهم فيه على قدر أوقهم جهل السواد الأعظم منهم بكنته الخطر وكنته قوة مزاحمهم ، وعلى جهلهم أيضا بالقوة أنفسهم وبطريق الانتفاع بها ؟

لا أقول إنه لا يمكن أن يعملوا ولكن أقول لا بد من الروية والحزم وقوة الاجتماع ، ولا بد من المسارعة الى تنظيم وسائل الدفاع ، وليعلموا انه لا يكاد يوجد شعب من شعوب الأرض غافل عن قوته واستعداده كالشعب العربي . قوته واستعداده كامنان فيه كمن النار في حجر الصوان تحت الثلج ، فمن ذا الذي يزيل أو يذيب الثلج عن هذا الحجر الصلد ، وأين مقدحة الحديد التي تقدح النار من هذا الزند ؟ ستجيب عن هذين السؤالين الايام ، فان الجواب عنهما احداث وافعال لا أحاديث ولا كلام .

باب المراسلة والمناظرة

(تمثيل القصص)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة الرشيد المرشد ، شائد منار السنة ، مولانا السيد محمد رشيد رضا ،
أيده الله وأيد ثمرات مسعاه آمين

السلام عليكم ورحمة الله . إني أحمد اليكم الله الأمر بالتواصي بالحق ، وأصلي وأسلم
على صفوة الخلق ، وآله وصحبه ألسنة الصدق

(أما بعد) فقد رأيت لفضيلتكم في الجزء السابع من المجلد السابع عشر من
مناركم الاغر فتوى في حل التمثيل وحضوره علّل فيها الحل بأنه لانص على حرمة
وليس ذريعة لفساد حتى يحرم سدا للذرائع ، فلا يحرم الا على من يغريه بمحرم ، مالم
يكن موضوعه منكراً بحيث يكون موضوع القصة الممثلة عملاً محظوراً فيحرم اذاً ،
ولا عبرة بوجود نساء في موضعه كاشفات الروس والسواعد اذ الغالب أن يكن
كافرات غير مخاطبات بالفروع ، وأن يكون الناظر لمقصود التمثيل فقط ، على أنهم
كثيراً ما يُرَيْنَ في الطرق على تلك الصفة فلا فرق بين رؤيتهن كذلك فيها
ونظرهن بهذه الصفة في موضع التمثيل . هذا معنى ما جاء في جوابكم . وفيه أن كون
التمثيل لانص على حرمة يرد بأن حضور النساء كاشفات على مامر مبديات زينة
المبالغ في التأنق فيها جزء من التمثيل الغرامي وذلك محرم بنص (قل للمؤمنين يغضوا
عن أبصارهم) (ولا يبدن زينتهم) الآية . والنصوص المانعة من حضور المنكر
والتسبب فيه . وعدم كونه ذريعة لفساد يرد بأننا نعلم بالسبر أن الاكثر يتهاقون جداً
على التمثيل الغرامي لالشيء سوى وجود أولئك النساء ، بدليل أنهم لا يعتنون كذلك
بما لا يحضره ، ونسمع الكثير يسألون عن حال الممثلات من حيث نحو الجمال قبل
السمي الى التمثيل ، حتى لقد اتخذ هذا الضرب من التمثيل وسيلة لحض التكسب
به كثير من فاسدي الاخلاق الذين لا يعقل أن يقصدوا تهذيب غيرهم ، وسمعا

كثيرا غب مفارقة التمثيل يلهجون بوصف جمال الممثلات ورونق زينتهن ورخامة أصواتهن ، وأنبأنا بعض من حضروا ذلك التمثيل ثم تابوا لما رأوا من سبي أثره بأن من الحضور من كان مستصحباً نظارة تجعل الممثلة كأنها الى جنبه ، وهذا مما يؤكده سوء أثر نظرهن ، وبالفحش هذا المنبئ في سوء آثار حضور التمثيل المذكور وأنه لا يكاد يسلم من ذلك أحد مما كان ورعاً ، على أنه يحضره كثير ممن لا عناية لهم بالاخلاق ، ولا وازع يزعمهم عن الاسترسال في مطلق الشهوات ، فيخرجون وقد استفحل الداء في نفوسهم ، واستولت الاضطرابات على قلوبهم ، وكون الكفار غير مخاطبين بالفروع مختلف فيه ومعتد الشافعية والمالكية الخطاب لدخولهم في عموم الوعيد ولاية (ماسلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين) الخ ولئن سلم جواز السفر للكافرات لم يسلم جواز حضور مكائهن حال السفر مع نظرهن ، للامر بنقض البصر وتحريم النظر لغير الوجه والكف بالسنة دون فرق بين مؤمنة وكافرة . وهو مقتضى حكمة تحريم النظر ، وهو كونه بريد الزنا - كما ورد - بل سمي في الصحيح زنا العين ، وقد أطلتم في بعض أبحاث المنار القول في مفسد النظر بما يعلم به أن مفسدته تغلب مصلحة التمثيل الغرامي - ان كانت -

أما كون الناظر انما يلاحظ مقصود التمثيل ، فخلافاً ما عهدنا في كثير . نعم من الناس من هو كذلك ولكن قليل ما هم . وأما التسوية بين نظر السافرات في مواضع التمثيل ونظرهن في الطرق فقد يرد بأن الماشي في الطريق غير مستقر في موضع فتصادفه منهن من تصادفه بدون قصد أو به ، مع شدة الحاجة الى المشي فيه ، ومع كون اللاتي فيه لا يتأقنن في الزينة تأتق الممثلات اللاتي يخترن من أجل الطبقات ، ويعددن من الزينة ما تجلب به الرجال للتمثيل ويبالغن في ترخيم أصواتهن عند قراءة الاشعار الغرامية التي قد تحدث وحدها في النفس آرا سيئاً ، فما الظن اذا حدث من نسوة على هذه الصفات بهذا الترخيم على مرأى من الرجال الذين جبلوا على شدة الميل الى مثل ذلك ؟ فهذا كله يقتضي أن مفسدة مثل هذا التمثيل غالبية ، على أن لنا عما يقصد منه من الاعتبار والتهديب غنى بأداب ديننا التي جاء بها القرآن والآثار وحكم العارفين ، فما بالتنا تفرغ في طلب العفلة الى هذا الامر الذي

ضره أضعاف نفعه ؟ اني لأعتقد أن لتمثيل القصص الغرامية الحظ الاوفر في افساد أخلاق المصريين والمصريات ، الذين عرف بالاستقراء فرط شغفهم بالشهوات ، وتكالبهم على الزخارف وان كانت محظورات ، وعدم مبالاتهم بالتهتك . ولذا كنت اود أن تفسحوا في مناركم الاغر مكاناً لانتقاد ذلك التمثيل والتغير منه جدا مادام على غير صفة شرعية . والآن أرجو ابانة رأيكم بعدما ذكرتم لكم ما عندي ليستبين الحق اتم استبانة لازتم عضدا للحق والحقيقة ؟ (محمد زهران)

[المنار] ان ما ذكره اخونا الكاتب من وصف التمثيل خاص بتمثيل القصص الغرامية المعهود بمصر ، وهو مبني على السماع والمبالغة في دعوى براعة جمال الممثلات ورخامة أصواتهن واقتتان الرجال بهن . وكلام المنار السابق في التمثيل المطلق . ومنه ما يقوم به الرجال وحدهم وما يقوم به نساء لسن من مظنة الفتنة في شيء . واذا ثبت ان التمثيل الذائع هنا مصدر للفتنة ، ولذريعة للمفسدة ، فهو مما جزمنا بتحريمه في كلامنا السابق ، ومن الغريب جعله آية نهي المؤمنين عن ابداء زينتهن نصا على وجوب ذلك على الكوافر بمعنى مطالبتهن به كالمسلمات ، وجعل هذا مذهبا للشافعية ! وانما المذهب ان الكفار يعاقبون على ترك فروع الشريعة في الآخرة بدليل آية المدثر التي ذكرها . بل قال «لعموم الخطاب» وانما الخطاب في الآية للمؤمنات ، وفي الرسالة مسائل أخرى قابلة للبحث والنقد ولا حاجة الى ذلك ، وحسبنا ان نقول ان حكم هذا التمثيل منوط بما فيه من المصلحة أو المفسدة والثاني هو الذي يحظر دون الأول

(المعازف - آلات اللهو)

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الامتاز الاوحد رافع منار الدين وحامي حوزته السيد محمد رشيد رضا الحسيني أتيجح الله تعالى مساعيه وأكثر في المسلمين من أمثاله السلام عليكم ورحمة الله . اني أحمد اليكم الله الذي وفقكم لاجل الخدمات الاسلامية ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسائر القائمين بنصرة

الشرعية المحمدية

(أما بعد) فقد كنت منذ بدء اشتغالي بالعلم شديد التعطش الى معرفة الحق في مسألة آلات الملاهي فكنت أراجعها في كل كتاب يسر لي من كتب المقلدين والمستقلين فلا يشفى لي غليل ، حتى أتيت لي مراجعتها في نيل الاوطار مرارا فكاد يثلج صدري بتحقيق ذلك العالم الرباني ، وكنت أقرأ في المنار الاسمي اجوبة اسئلة في هذا الشأن فحيل استيفاء البحث على اول اجزاء المجلد التاسع وتاليه فيشتد بشغفي لاقتنائها حتى تيسر ذلك ، فأمتعت الفكر بمطالعة المبحث فيها فاذا حاصل ما زدتموه على الشوكاني في نيل الاوطار ان رجحت ادلة الاباحة على ادلة الحظر بموافقها للبراءة الاصلية ومقتضى الفطرة وسماحة الدين وكونها صحيحة دون ادلة الحظر . وقولكم : ان ادلة الحظر تحظر المعازف والدف - منها قطعا - اي فتكون معارضة لاحاديث جواز الدف . فتقدم هذه لما مر - وقولكم : ان غناء النساء الثابت جوازه في الصحيح اشد الملاهي تأثيرا في النفس . أي فغيره أولى بالجواز - وقولكم عقب نقل كلام الشوكاني : ومعلوم ان نذر الحرام او المكروه لا ينعقد ، وذا يبطل دعوى الشوكاني نهوض ادلة المانعين شبهة على المنع - وقولكم في حاشيتي صفحتي ٤٦ و ٤٧ من الجزء الاول بعد نقل كلام الشوكاني في رد الحافظ ابن حجر على ابن حزم في دعواه اقتطاع حديث المعازف الذي في الصحيحين مانصه : ومنه تعلم ان الحافظ ابن حجر والشوكاني يعترفان بأنه لم يصح من الاحاديث الواردة في حظر آلات اللها الا الحديث الاول مما اوردنا . - وزيادات أخرى أوردتها في بحث القياس الفقهي في السماع وفي خلاصة البحث

أما ترجيح ادلة الجواز لموافقها لاصل الاباحة وللمقتضى الفطرة ويسر الشريعة فاما يصح لو تعارضت ادلة الجواز وادلة المنع ، ولا تعارض ، اذ القاعدة الاصولية تقتضي تخصيص احاديث تحريم المعازف بغير ما صح في الاحاديث جوازه من الدف والغناء كما هو الشأن في تخالف العام والخاص ، واذا لم يحرم الشافعية ما ذكر من الدف والغناء حيث أمنت الفتنة بالثاني ، وخص المالكية جواز الدف في النكاح او كل سرور وقوفاً مع ظاهر الوارد . وارى هذا قريباً واحوط

واما الترجيح بصحة ادلة الجواز وضعف مقابلها ففيه انكم اعترقتم تبعاً للحافظين بصحة حديث البخاري في المعازف ، وهو كاف في اثبات المنع غير انه يخص بأحاديث الدف والغناء كما مر ، وبذا علم ما في قولكم ان ادلة المنع تحظر المعازف والدف منها

واما كون غناء النساء اشد الملاهي تأثيرا في النفس فغير مسلم على العموم ، اذ ليس غناء كل امرأة اشد تأثيرا من كل لهُو آخر ، بل كثيرا ما يكون صوت العود مثلاً اشد تأثيرا من غناء بعض النساء

على أنه بعد صحة الحديث بتحريم المعازف المراد بها غير الغناء والدف بدليل الاحاديث الاخرى لا مساغ لهذا اذ لا يجوز إلغاء حديث صحيح لمجرد توهم مخالفته لمقتضى اقياس الاولوي على ما في حديث آخر ، لانه لا وثوق لنا بأن عليّة جوازها في هذا الحديث هي ما فهمناه ، اذ لا مانع من كون العلة شيئاً آخر لم يبلغه ادراكنا ، فلماذا لا نجمع بين الادلة ما امكن ونعمل بجميعها امثالاً لما أمرنا به من الاخذ بكل ما أتناه به الرسول (ص) ؟

وأما كون الامر بضرب الدف لمن نذره يدل دلالة واضحة على جواز الملاهي لعدم انعقاد نذر المنهي عنه — ففيه أن اذا انما يدل جلياً على جواز ضرب الدف فقط فيخصص بذلك وبأحاديث الغناء حديث منع المعازف كما سبق فيبقى باقيها على المنع ، فكيف يقال: ان الامر المذكور قد منع نهوض أدلة المنع شبهة

وأما كون اقتصار الحافظ على رد تضعيف حديث البخاري في المعازف يدل على أنه يرى ضعف سائر الباب ففيه انه قد يكون سكوته عن بيان حالها لعدم علمه به لالعله بضعفها

وبعد فاني أرى ان ما استنتجته الشوكاني من كلامه الطويل من ان المقام مقام شبهة فقط لا يصلح نتيجة لبحثه فانه ثقل أجوبة المجوزين عن حديث البخاري المعلق وردها ، فعلم منه أن الحديث حجة للمانعين ، وقد قال في خلال البحث ان الاحاديث ينهض مجموعها حجة لتعاضدها ، فقد نصر المانعين بحجتين سالمهما . وما احتج به للمجوزين من نحو عموم (ويحل لهم الطيبات) يرد بتخصيصه بتينك الحجتين

(المنار - ج ٩) (٩٠) (المجلد السابع عشر)

وبعد دلالة السنة على المنع لا مبالغ لمقاس فتحي ولا غيره الا قياس مع وجود دليل من كتاب أو سنة . فصفوة بحث الشوكاني نصره المانعين وترجيح التحريم ، لا مجرد ان المقام مقام شبهة

نعم قد يقال ان لفظ المعارف جمع محلي بآل وهو للعموم بمعنى استحلال المعارف استحلال جميعها حتى نحو الغناء المهيج على محرم فيكفي في تحقق معنى الحديث تحريم مثل ذلك ويكون هذا جمعاً مقبولا بين الأدلة يتفق مع القياس الفقهي ومع الامور التي رجحت بها أدلة الجواز

وقد يرد كون مجموع أحاديث الحظر غير الاول ينهض حجة بأن تعدد الاحاديث الضعيفة انما يقتضي بلوغ درجة الحسن اذا كان الضعف لنحو سوء حفظ الراوي لا لفسقه أو اتهمه بكذب والاول غير متحقق هنا فلا جزم بالحسن . ولو ان الشوكاني ذكر هذين النقيضين لانتج بحثه ما ذكره من أن الموضوع موضوع شبهة فخلاصة بحث الفقير هو مارآه الشوكاني أخيراً من الاشتباه لا مارأيتموه . وقد أطلعت فضيلتكم عليه كي تروه أو تردوه . ولي وطيد الامل ان تعيروا ذلك عناية تامة احقاقاً للحق ، وازالة للثام الشبهة عن وجهه ، لا برحمتي علما للمهتدين ، ونبراساً للمستضيئين

محمد زهران

خادم العلم الشريف بيندر المحمودية (بحيرة)
وأحد مشتركى المنار الاغر

[المنار]

يؤخذ من لسان العرب وغيره من المعاجم ان العزف يطلق في اللغة على اللهو وعلى اللعب وعلى بعض الاصوات كالغناء والنواح والرعد والريج ، وصوت الرمل اذا هبت بها الريح ، وقيل ان هذا هو الذي كانت العرب تطلق كلمة « عزيف الجن » على ما يسمع منه في الليل . ويطلق بكثرة على الدف أو صوته . والعزيف الصوت . قال في اللسان : عزف يعزف عزفا لها . والمعارف الملاهي ، واحدها معزف ومعزفة . وعزف الرجل يعزف اذا أقام في الاكل والشرب . وقيل واحد المعارف عزفة على غير قياس ، ونظيره ملامح ومشابه في جمع شبهة ولمحة ؛ والملاعب التي يضرب بها

يقولون للواحد والجمع معازف رواية عن العرب . فاذا افرد المعزف ضرب من الطنابير ويتخذها أهل اليمن . وغيرهم يجعل العود معزفا . وعزف الدف صوته . وفي حديث عمر انه من بعزف دف فقال ما هذا ؟ قالوا ختان ، فسكت . العزف اللعب بالمعازف وهي الدفوف وغيرها مما يضرب به .. وكل لعب عزف اه المراد

فمن تأمل هذه المعاني يعلم انها هي التي كانت تراد من العزف والمعازف في عصر النبي (ص) ولم يصح نص بتحريم شيء منها ، وكان اشهر آلات الملاهي في ذلك العصر الدف — وقد ثبت في السنن العملية والتولية إباحته واستحبابه في بعض الاوقات كالعرس . وسائر آلات اللهو التي لم تكن في ذلك العصر معروفة أو مشهورة يصح إطلاق لفظ المعازف عليها كما يصح إطلاق لفظ الخمر على المسكرات التي حدثت بعد عصر الوحي وان لم تكن تخطر هذه ولا تلك في بال من كان يطلق اللفظ قبل وجودها . ولو جاء في الكتاب أو السنة نص صريح في تحريم المعازف لكان أول ما يتبادر الى فهم الصحابة منه تحريم ما كان ذائعا في عصرهم منه كالدف . ثم يلحق به غير الذائع وغير المعروف عندهم بعموم اللفظ اذا كان الوضع اللغوي يساعد على ذلك ، أو بطريق القياس اذا التحدت العلة .

وقد علمنا من عبارة لسان العرب ان تسمية العود معزفا ليس متفقا عليها . ولو كان المشهور من المعازف التي كانت في عصره (ص) محرما لورد النص عليه في الكتاب أو السنة المشهورة لتوفر الدواعي على نقل ذلك واشتهاره ، ولم يصح حديث مشهور ولا دون المشهور في التنصيص على تحريم شيء منها ، بل صح ما يدل على الإباحة كما يعلم اخونا الباحث المتقّد . واشتهر عن بعض كبار الصحابة والتابعين وأئمة الحديث كرواة الصحيحين والسنن أنهم كانوا يديحون الغناء والاوزار لا الدفوف فقط . وكان جمهور هؤلاء من أهل المدينة الذين هم أجدر الناس بمعرفة السنن المتبعة في عصر النبي (ص)

أما الحديث الذي هو موضوع البحث والسؤال فليس نصا ولا ظاهرا في إنشاء حكم تحريم المعازف ولا خبرا بمعنى إنشاء ذلك . وإنما هو حديث آحادي في الإخبار عن شيء يقع في المستقبل ، كالأحاديث في اشرط الساعة واماراتها الواردة

في سياق الكلام عن الساعة ، أو في مناسبات أخرى : كحديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد — قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، على رؤوسهن كأسنة البُخْت ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » فهذا الحديث ليس إنشأً لتحريم حمل السياط التي تشبه أذناب البقر (وهي التي نسميها الكراييج) وضرب الناس بها ، ولا لتحريم كل وصف من أوصاف النساء التي فيه . ولكنه يدل ضمنا على أن كلا من الصنفين يتلبس بمحرم يستحق به عذاب الله تعالى . أن لم يكن في جزئيات ما وصف به ففي جملة ما مجموعها . ولا بد أن يكون لتلك المحرمات أدلة تدل عليها من شرع الله تعالى في غير هذا الحديث .

فأنا أفهم حديث المعازف الذي تتكلم فيه — كما أفهم هذا الحديث : أفهم أن حديث أبي هريرة يبين حال رجال من الظلمة يحملون نوعا من السياط يضربون بها الناس بغير حق ، لأنهم أنشؤا لأنفسهم شريعة في عقاب المذنبين اليهم بذلك . فحمل السياط التي تشبه أذناب البقر ليس محرما اذ لا دليل على تحريمه ، وضرب الناس بها إذا كان في إقامة حد الله تعالى على الوجه المشروع ليس محرما أيضا . ولكن ضرب الكراييج الذي كان معهودا بمصر محرم شرعا لأنه من الظلم البين ، وحرمة معلومة من الدين بالضرورة . وكذلك النساء الكاسيات العاريات بما يلبسن من الشفوف التي تحكي ما تحتها من البدن ، لا دليل في الشريعة على تحريم هذا منهن إذا فعلته أمام أزواجهن فقط ، ولك أن تقول مثل هذا في سائر أوصافهن في الحديث . ولكن وجد في هذا العصر نساء يبرزن بهذه الصفات مع الأجانب ، وقد فسدن وافسدن بذلك كثيرا من الناس ، فكل أفعالهن هذه محرمة بلا ريب . وعلى هذا النحو ومثل هذا الفهم أفهم حديث أبي عامر أو أبي مالك « ليكون قوم من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » معناه سيوجد من أمتي قوم يغلب عليهم الجهل بالدين أو التأويل للنصوص حتى توافق أهواءهم ، فيقعون في الحرام معتقدين بالجهل أو بالتأويل أنه حلال ، كاستحلهم الفروج بالمحلل من

الطلاق الثلاث ، وبالتسري بالحرائر اللواتي يبيعن آباؤهن أو يختطفن من بلادهن ، وكذلك يستحلون لبس الحرير الذي هو منتهى الزينة التي لا تليق إلا بالنساء باعتقاد ان المحرم منه ما كان حريرا خالصا ، وما يلبسونه مشوبا بقطن أو كتان - مثلا - ويستحلون الخمر التي يستحدثونها بدعوى ان المحرم لذاته منها ما كان من عصير العنب ، ولا يحرم من غيره الا القدر المسكر الذي لا يميز شارب به السماء من الارض - مثلا - ويستحلون المعازف المستحدثة على الوجه الذي بين في رواية الحديث الأخرى « يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات » والمراد بالمغنيات هنا القيان المشار اليهن في حديث علي وأبي هريرة عند الترمذي في الخصال الخمس عشرة التي يترتب عليها نزول البلاء بهذه الامة قبل الساعة ومنها « وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر » فالمراد من ذلك شيء لم يكن في زمنه (ص) مع العلم بأن كل هذه المفردات كانت موجودة ، وهو ما استحدثه بعض الفساق من الجمع بين العزف والغناء وشرب الخمر ، ويدل عليه قول بعض علماء اللغة في تفسير القينة وهو ان المراد بها الجارية البيضاء التي تغني للرجال في مجلس الشرب . فاقتران المعازف بالقيان وشرب الخمر هو الخبر عنه بأنه من أسباب حلول البلاء وان لم يذكر ذلك في كل رواية للحديث - وهو حديث واحد لا يعرف المراد منه الا بعد معرفته كله - وكثيرا ما يكون الاختصار على بعض ألفاظ الحديث سببا لجهل المراد منه . ومثله في هذا الحديث « وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه » فإطاعة المرأة وإدناء الصديق ليس منكرًا في الدين وانما كان أنكر باعتبار اقترانه بعقوق الأم وإقصاء الأب . أو فهم منه ان اطاعة المرأة وإدناء الصديق في اتباع الهوى والمنكرات .

وجملة القول إني أفهم الحديث الذي نحن بصدد البحث فيه كما أفهم أمثاله مما ورد في أنباء المستقبل التي أخبر بها النبي (ص) فأجزم بأنها ليست تشريعا وانما هي أخبار بأشياء ستحدث بعده فما دل منها على تحريم شيء عرف في شرعه دليل تحريمه فالأمر فيه ظاهر من هذه الجهة ، وما دل على تحريم شيء لا يعرف فيه دليل على تحريمه فلا بد ان يكون ما أخبر به (ص) سيقع على وجه محرم ، وان يكون غنى به وقوعه على ذلك الوجه ، كحديث الرجال الذين بأيديهم سياط

كأذناب البقر الخ وغيره .

فهذه الأحاديث لا يقع التعارض والترجيح بينها وبين نصوص الكتاب والسنة في التحليل والتحرير كما فعل الباحث إذ جعل السنن العملية والقولية التي صحت في إباحة المعازف والغناء مخصصة لعموم لفظ المعازف في حديث « ليكون أناس من أمتي » كأنه هو الأصل في تحرير ما ذكر ، وكأن النبي (ص) أراد بما سمعه وما أجازاه وأقره أو ندب إليه من سماع الدفوف والغناء في الوقائع المختلفة تخصيص ذلك العموم ، وجعل ما كان يقع في عصره من عزف الناس وسماعهم بسائق الفطرة استثناء من ذلك الأصل التشريعي العام ! ولا يفهم هذا الفهم ويقول هذا القول ذو ملكة عربية إلا إذا حصر نظره في تحكيم قواعد أصول الفقه في أمرين أحدهما لفظ يدل على حرمة المعازف مطلقا وثانيهما لفظ أو عمل يدل على إباحة بعضها . فهو يعد الأول بمعنى « حرمت عليكم المعازف » أو « اجتنبوا المعازف » أما إذا نظر في أسلوب الحديث وسياقه الذي يبناه وقارنه بأمثاله من الأحاديث فإنه يجزم بما جزمنا به . ويعلم أن تحرير الشيء ابتداء وجعله حكما شرعيا لا يكون بمثل تلك العبارة ، وناهيك بشيء من مقتضى الفطرة عهد من الناس في كل زمان ومكان . فلو أراد الشارع تحرير مثله لحرمه بنص صريح يبلغه جمهور الأمة ، وتتوفر الدواعي على نقله بالتواتر أو الاستفاضة

فلم مما شرحنا أن هذا الحديث لم يقصد به تحرير ما ذكر وإنما قصارى ما يدل عليه أنه سيوجد قوم يسرفون في ذلك اسرافا مقترنا بالفساد ، وبمنكرات قبيحة محرمة بنص الكتاب ، كسرب الخمر وتهتك القيان ، وأنهم يستحلون ذلك بعد معازفهم الإفسادية من قبيل المعازف التي أباحها الشرع لترويح النفس في بعض الأحيان ، أو السرور بنعمة الله في أيام الأعياد والأعراس وقدم المسافرين ، من غير أن يقترب بها منكز من المنكرات المحرمة في الدين ، كما يستحلون بعض الخمر بعدتها من قبيل الببذ المباح الذي هو تقيع نحو التمر والزبيب في الماء الذي لم يختص فيصير مسكرا . وما شدد من شدد من الفقهاء في إطلاق تحرير السماع إلا لمثل هذه المفاسد التي فتن بها المغرمون به حتى صارت من لوازمه عندهم . وما

أنكر عليهم من أنكر من المحدثين والفقهاء والصوفية إلا تعميم التحريم ، وتكلف الاستدلال عليه بالآيات والاحاديث ، ولم يسلم لهم دليل مما استدلوا به . كما يعلم من الكتب المؤلفة في إباحته ومن مثل نيل الاوطار والاحياء وشرحه

والقول الفصل ان الاصل في العزف والمعارف (ومنه الغناء واللعب) الحل .
وانه ورد في السنة ما يؤيد هذا الاصل كلعب الحبشة في المسجد وغناء الجواري وسماع الدف والاذن به ، وان الحرمة تعرض لبعض ذلك ، كما يعرض لبعضها الاستحباب ، ولا يبعد ان تصل معارف الحرب الى درجة الوجوب اذا كانت الحرب شرعية ، فقد ثبت بالتجارب المتعددة المفيدة للقطع أن معارف الحرب التي يسمونها « موسيقى » تنشط المقاتلين وتحفز همهم وتزيد في ثباتهم وإقدامهم وجراتهم ، وتزيل الشعور بالتعب والمشقة أو تخففه عنهم ، كما يفعل الهداء بالابل . فاذا كان الثبات والاقدام من الواجبات بنص قوله تعالى (فاثبتوا) وبعموم الادلة الاخرى ، فقد تكون المعارف في بعض الاحيان داخلية في قاعدة « ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب »

هذا وان من أصول دين الفطرة ، والشريعة السمحة ، الثابتة بالنصوص القطعية ، والمعلومة من الدين بالضرورة ، - أصل اليسر وتقي الحرج ، وعدم تحريم شيء على الناس الا لضرره ، ورفع الإصر والاغلال عن الأمم التي كانت قبله ، حتى ان النبي (ص) علل أمره للحبشة باللعب في مسجده باظهار هذه المزية في الاسلام أفندم هذه الاصول الثابتة ، والقواعد الراسخة ، ونستنبط من حديث آحادي روي بالمعنى في سياق الاخبار عن المستقبل ، وذكر بعض الرواة من ألفاظه وقبوده ما لم يذكره غيره ، - أن الأصل في آيات الله ان تكون محرمة في الاسلام وان وجدت يباعث الفطرة عند جميع الامم ، ولم تحرمها قبله الاديان الالهية في ملة من الملل ، ثم نفرع عن هذا الاصل أن إباحة كل آلة منها تحتاج الى نص من الشارع بخصص ذلك الاصل العام ، ان لم يمكن تأويله وتطبيقه عليه كما فعل المشددون ؟ كلا ان الامر بالعكس كما تقدم ، ولا سبيل الى تحريم شيء من ذلك بخصوصه ، وانما نجزم بحرمة ما فيه مفسدة ظاهرة من سماع الفساق وعزفهم الذي نراه في عصرنا مصداقا للحديث ، وبهذا الشرح نستغني عن بيان رأينا في سائر مباحث هذه الرسالة

باب الاخبار والاراء

(الحرب الاوربية . والدولة العثمانية)

كان أخوف ما نخاف على دولتنا قبل هذه الحرب اتفاق الدول الكبرى على تقسيم بلادها الى مناطق نفوذ اقتصادي، يتبعه النفوذ السياسي، فتمهد كل منهن السبل في منطقتها، للاستيلاء التام عليها، وتنتظر الفرص لاعلان امتلاكها، وكنا قد رأينا بوادر هذا الاتفاق، ومنها الاتفاق، مع فرنسا على منافعها في سورية ومع انكلترا على العراق. بازاء مالا لمانية من الحقوق بامتياز سكة الحديد بين الاستانة وبغداد.

أما وقد وقع بين تلك الدول ما كانت تتمخض به حوادث الاعصار وتشخص لرؤية أهواله لأبصار، فقد سئحت لها فرصة لم شعنها، وتوفير ثورتها، وجمع كلمة شعوبها، واعداد وسائل الدفاع الوطني في بلادها. وازالة ما للاجانب من النفوذ والامتياز فيها، مع حفظ حقوقهم، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم، بحيث تكون مستقلة في داخليتها حق الاستقلال، ولا تكون دون الجبل الاسود والبلغار واليونان، وما شرعت فيه من الاستعداد العسكري وتمبئة الجيش المنظم يجب أن تراعي فيه الاقتصاد. وتجعله وسيلة للاستفادة من الحياض، ولا شك ان الامة كلها تشد أزرها في ذلك « وعند الشدائد تذهب الاحقاد »

هذا ما نراه وما يراه كل من نعرف من العقلاء الذين ذاكرناهم في هذه المسألة من عرب وترك وغيرهما. وانا لنعلم مع ذلك ان بين الحكومة الاتحادية والدولة الألمانية اتفاقا سريا قبل الحرب، والظاهر ان الثانية جعلته ذريعة لاستخدام جيش الأولى في قتال أعدائها.

الدولة قريية العهد بحزب لم تبق في خزائنها مالا، ولا في مسالحها سلاحا، وقد ابيد بها مئات الالوف من خير جندها، والامة فقيرة لا تستطيع ان تمد الدولة عن سعة عما تستطيع ان تحارب به دولة كبيرة كالروسية وحدها، فكيف تحاربها ومعهما انكلترا وفرنسة واليابان، وبعض حكومات انبلقان. وهذه الحرب قد تستمر عدة أعوام؟ كم تسوق من الجند الى روسية وكم تبقى لحماية بلادها الواسعة، وثغورها غير محصنة؟ واذا غلب جيش لها في رجاء من الاجاء، أو احتاج الى الميرة والذخيرة والسلاح، فكيف السبيل الى إمداده من الارحاء الاخرى - والبحار محرومة عليها، ولا سكة حديدية تصل بين أقطارها؟

يؤتي أسكنه من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي حبرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الملك
١٣١٥

فبشر عي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوي وده منارا ، كنار الطريق

مصر سلخ شوال ١٣٣٢ هـ ق ١ الخريف الأول ١٢٩٣ هـ ش ٢٠ سبتمبر ١٩١٤

فَتَاوَى الْمَسْأَلَاتِ

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسهل على الناس ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قد منأما تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(علم الله بصفاته . الرضاع من الجدة)

(س ٢٢) من صاحب الامضاء الجاوي بمصر
سيدي الاستاذ الاكبر السيد رشيد رضا زاده الله من مرضاته
أما بعد فاني ألقى الي مسئلتان من البلاد . إحداهما مسألة علمه سبحانه
بصفات كمالاته . فانها قد شوهت أفكار الاغلب من أهل بلادي في (سومطرا)
اذ لم يوجد منهم للآن من يفصل القول المحكوم بالدليل أو السنة فيتبعونه
يقولون . هل يعلم الله أعداد بقية صفاته التي هي صفات الكمالات خلاف
العشرين مثل كذا أو كذا من العدد . أم لا ؟

فان أجبت بنعم، فما المراد بقولهم ان صفات الكمالات من غير نهاية . فان
المتبادر من معنى تلك الكلمة معلوم وظاهر . وان اجبت بلا فما المراد أيضا بقول
الاية (وأحصى كل شيء عددا) ثم ألا يعد عجزا عليه سبحانه وتعالى لو فرضنا
أنه لا يعلم تلك الأعداد ؟ . فهاهي (ذي) المسئلة الاولى .

أما الثانية فهي مسألة الرضاعة . يقول فيها السائل . هل عثرتم من مفهوم
الكتاب او السنة أو من قول بعض العلماء على إن الطفل اذا رضع من جدته من
جهة الأم يؤدي الى وقوع الطلاق بين والدي الطفل فيقع الطلاق واحدا اذا رضع
الطفل مرة واثنين اذا كان مرتين وثلاثا اذا كان ثلاث مرات

فتانكم المسئلتان احترت عليهما (١) اذ قلبت كثيرا من كتب الفقه ومن كتب

(١) الصواب ان يقول : حرت أو تحيرت فيهما .

التوحيد لعل اعثر من عبارة تحمل عقد تينك المسئلتين فلم أجده . وحقيقة انهما لغريبتان بجانب فهمي القصير ولذلك وجهت بهما الى بحر علومكم راجيا ان تحلوا وثاقهما وما ذلك على واسع علومكم بعظيم .

ابراهيم بستاري سراج الجاوي

تحريرا في ٢١ شعبان سنة ١٣٣٢

(علم الله تعالى بصفاته)

الجواب عن المسألة الأولى : ان الله سبحانه وتعالى يعلم صفاته بلا شك ، سواء كان مراد العلماء بقولهم : ان صفات الله لا نهاية لها ولا حصر - أنها كذلك بالنسبة الى علم الخلق ، أو في الواقع ونفس الأمر . ولا إشكال في ذلك فان الله تعالى يعلم ما لا نهاية له من الحوادث أيضا كالحوادث التي تكون في الجنة والنار وسائر العالم في المستقبل الذي لا نهاية له

وههنا يحسن التذكير بأمرين هما أهم من تينك المسألتين : أحدهما أنه سبحانه وتعالى قد وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) بصفات من الكمال معروفة ، والألفاظ الدالة عليها هي أسمائه الحسنى . وحكمته في ذلك ان نعرف بها كماله وعظمته وآثار فضله ورحمته فينا ونعمه علينا ، لنزداد بذكرها إيمانا وتزكية لانفسنا وحبنا في الكمال وأفعال البر ، لا لأجل ان نعددها عدا ، ونبحث فيما زاد عنها ، ثم نشغل أنفسنا بالفكر والكلام في امكان إحصائها أو عدمه ، وفي كيفية علمه بها ، واحاطته بعددها ، فان أمثال هذه المباحث مما لم نكلفه ولا نرى لنا فائدة فيه ، بل ربما يضر البحث فيها بضعف العلم أو الفهم ويحدث له شكوكا في الدين . ولهذا قال العلماء في تفسير الاحصاء من حديث « ان الله تسعة وتسعين اسما

من أحصاها دخل الجنة » (١) : أي من احصاها حفظا لمعانيها وعلمها بها وإيمانا - أو من استخرجها من كتاب الله تعالى وكلام رسوله (ص) لأجل ان يزداد بها إيمانا ومعرفة بربه عز وجل ويدعوه بها - أو من أطاق العمل بما تهدي اليه من الكمال والبر - أو من أخطرها بباله وتفكر في معانيها عند ذكرها بتلاوة القرآن والأذكار الماثورة خاشعا معتبرا متدبرا راغبا راغبا . هذا مجمل ما قالوه في معنى الاحصاء ولت ان تقول به كله . ولم يقل أحد يعتد بعلمه وفهمه ان المراد عدها بالأرقام أو إحصاؤها على السبع . ولم يثبت برواية صحيحة انه (ص) عدها لهم .

(١) رواه احمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن أبي هريرة

(المنار - ج ١٠ م ١٧) المشكل من كلام العلماء لا يعد مشكلا في الدين ٧٣٩

واستشكلوا روايات عددها من جهة المتن ، كما تكلموا فيها من جهة السند . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : والذي عول عليه جماعة من الحفاظ ان سرد الاسماء مدرج في الحديث وانهم جمعوها من القرآن . واجابوا عن ذلك بما لاحاجة الى ذكره هنا . وقد ورد في بعض روايات الحديث الضعيفة « وما من عبد يدعو بها الا وجبت له الجنة » رواه الديلمي من حديث علي كرم الله وجهه . وفي أخرى « من دعا بها استجاب الله له » رواه ابن ماجه عن أبي هريرة . وليس فيهما ذكر الاحصاء . وعندنا فوق ذلك قول الله عز وجل في سورة الاعراف (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه) وقوله في سورة الاسراء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيأما تدعوه فله الاسماء الحسنى) فهو تعالى يهدينا الى ان ندعوه ونتضرع اليه بهذه الاسماء الحسنى لاشتمالها على أحسن المعاني الدالة على منتهى الكمال والفضل

الامر الثاني - لا ينبغي لأحد ان يجعل ما لا يفهمه من كلام العلماء وما لا يتضح له انه صواب - مشكلا من مشكلات الدين ، بل يحسن ان يعده كأن لم يقل ، ولا سيما أقوال المتكلمين واصطلاحاتهم التي استنبطتها قرائحتهم لتأييد مذاهبهم والرد على مخالفيهم ، فان فيما قالوه الخطأ والصواب ، وما اذا احتيج اليه للرد على خصم كان في زمنهم لا يحتاج اليه في زمن آخر . وكذلك ما صوروا به عقيدة الاسلام التي يدافعون عنها ، لا ينبغي ان يجعل هو الاسلام الذي يلقنه المسلمون في كل عصر ، ويجعلون حظهم من حماية الدين الدفاع عنه .

مثال ذلك ما كتبه السنوسي رحمه الله تعالى من العقائد ولا سيما العقيدة الصغرى التي انتشرت في المشرق والمغرب ، وحذا حذوه فيها معلمو المدارس الرسمية وغيرها حتى فيما يضعونه من العقائد للمبتدئين . وقاعدتها في الالهيات ان الواجب على كل مكلف شرعا انه يؤمن بأنه يجب لله تعالى عشرون صفة ويستحيل عليه أضدادها . واصطلاحه في هذه الصفات مخالف لما كان يفهمه السلف وأهل اللغة من معنى كلمة صفة ومن اطلاقهم الايمان بصفات الله تعالى . فهو يعد الامور الاعتبارية والعدمية صفات ، فالوجود والمخالفة للحوادث - أي عدم الاحتياج الى المكان والمخصص صفتان لله تعالى عنده ، والقدرة وكونه تعالى قادرا صفتان متغايرتان . ولم ينقل مثل هذا عن أحد من الصحابة ولا التابعين ، دع عدم ذكره في القرآن او في كلام الرسول (ص) فكيف تقتصر عليه ونجعله هو العمدة في تلقين عقيدة الاسلام ، ونجعل ما عساه يخالفه ولو في عدد الصفات محلا للاشكال ؟؟

٧٤٠ رضاع الطفل من الجدة كلمتا الاستقلال والاجتهاد (المنار - ج ١٠ م ١٧)

(مسألة رضاع الطفل من جدته)

وأما الجواب عن المسألة الثانية فهو أننا لم نطلع في الكتاب ولا في السنة ولا في كتب الأئمة على كلام يدل بمنطوقه أو مفهومه على أن الطفل إذا رضع من جدته لأمه رضعة تطلق أمه من أبيه طلاقاً واحدة وإذا رضع مرتين تطلق طلقين وإذا رضع ثلاثاً تطلق ثلاثاً . وإنما الطلاق كلام يقوله الرجل يدل على حله لعقدة الزوجية ، والله أعلم .

(كلمات الاستقلال والاعتماد على النفس والاجتهاد)

(س ٢٣) من أحد المشتركين السوريين بمصر
سيدي الاستاذ الحكيم السيد محمد رشيد رضا دام تقعه
المعروض بعد التحية أن بعض الأفاضل منتقد استعمال كلمة : « الاعتماد على النفس » أو « الاستقلال الشخصي » بمعنى اجتهاد الانسان ، ودليله في ذلك عدم استعمال العرب له ، ولما لم يكن يقنع مني بأن ذلك الاستعمال محمول على اجتهاد المرء الذي هو ضد كسله وخموله فقال بأن المستعملين ذلك لا يعنون منه سوى اجتهاده في كل حاجياته بحيث لا يعتمد على غيره ألبتة كما هو ظاهر ذلك الاستعمال - جئتكم بهذه الكلمات راجياً منكم البيان الوافي المنفع لمثل ذلك المنتقد - في المنار الأغر ولكم الفضل

(ج) قال في القاموس المحيط : واستقله حمله ورفع وأقله (أي أطاق حمله وهذا أصل المعنى) . الطائر في طيرانه ارتفع . وقال غيره : استقل الطائر نهض للطيران وارتفع . وقال الزبيدي فيما استدركه على القاموس في هذه المادة من شرحه : والاستقلال الاستبداد يقال : هو مستقل بنفسه ، ضابط لأمره . و : هو لا يستقل بهذا ، أي لا يطيقه اه

وأما الاعتماد على الشيء فأصله الاتكاء عليه والتورك عليه . ومنه العماد والعمود الذي يقام عليه البناء والاعتماد على المرء عبارة عن الاتكال عليه ونوط الأمور به . ومنه عمدة القوم وعميدهم وعمودهم ، وهو سيدهم الذي يعتمدون عليه في مصالحهم . هذا ما يؤخذ من جميع معاجم اللغة

وأما الاجتهاد فهو بذل الجهد والمشقة في تحصيل الشيء . سواء استقل الانسان بالسعي والعمل أو اعتمد على مساعدة غيره مع بذل جهده

فإذا تدبرت معاني هذه الالفاظ ترى أن المنتقد مخطئ ، وإن استعمال كلمة الاستقلال فيما نستعملها فيه فصيح ولا تحل محلها كلمة الاجتهاد

شعر منشور

في

العربية والعرب

[من إنشاء فؤاد الخطيب أستاذ الآداب العربية في مدرسة غردون الكلية بالخرطوم]

لا جرم أن اللغة العربية ، أجزل اللغات السامية ، وأوسعها مجالا ، وأحكمها استعمالا ، لا يذهب مرّ العشي بسلاستها ، ولا يعبث كثر الغداة بطلاوتها .

ولقد طاحت دول ، وبادت ملل ، فاستسرت لغاتها ، وعفت آياتها ؛ وتلك اللغة تدور مع الاحقاب ، في غلائل الآداب ، وغلواء الشباب ، لا يرهقها هرم ، ولا يخلقها قدم . فكانها وهي ابنة القرون الخالية ، والام الماضية ، نشأت في اليوم الحاضر ، أو أمس الدابر ، فجاءت دفعة واحدة مستوفية أقسام جمالها ، وصحة ابنية اسمائها وأفعالها ؛ تجول بها أسلات اللسنة واطراف اليراع ، في صدور المحافل وبطون الرقاع ، فتنظم فرائدها ، وتعقل شواردها ، فلا تشذ نادرة ، ولا تند بادرة . أجل . ان السيف الباتر ، والجبروت القاهر ، والمكاتب المتماوجة بالزحام ، والمدارس المكتظة بالطلاب ، والصحف الذائعة في الآفاق ، والوفود الضاربة في الاصقاع — لم تحول لغة عن أصلها ، ولم تجذب أمة بجملها . فأين ذلك مما وقع للعربية ، مع تلك الشراذم البدوية ؟ فانها لم تنهب الارض في قطار ، ولم تجزع ^(١) الفضاء في منطاد ، ولم تمخر البحار بالبخار ؛ بل جابت المسارح ، ورادت المسكن ، وطافت المجامع ؛ فوجلت كل مصر ، وسكنت كل نفس ، وقالت لكل شيء : حسبك فانك عربي منذ اليوم .

فسقى الغيث ذلك العهد القديم ، ورعى الله ذلك العربيّ الصميم ؛ فلو كان نورا في الظلمات ، وهدى في الشبهات ؛ اذا جال في مضمار الفكر ، وراوح بين النظم والنثر ؛ صور على الطرس ، حقيقة النفس ، فناجتك بأسرارها ، وحدثتك بأخبارها ؛ فاذا الغيب تكاد تراه عينك ، واذا الوهم تكاد تلمسه يداك .

فهكذا الأدب ، وكذلك العرب ؛ فلقد سبروا غور العلم ، ومشوا الى اعماق
الفهم ، فانتزعوا العقول من عقالها ، واستلوا الوجود من العدم ، واستخرجوا اليقين
من الريب ، وتغلغلوا بين الذرة واجزائها ، وتسربوا بين العصا ولحائها ، فكانوا
وكل سحر غير سحرهم باطل ، وكل بلد خيموا فيه بابل

اللهم سبحانه ! اينطق العربي بالحكمة الناصعة ، ويهتف بالقافية الرائعة ،
فتكاد لحلاوة أبياتها ، تقبل أفواه رواتها — وهو في ذلك المنقطع من الارض ،
يهيم في ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا مشت عيونه ففي صميم القفر . واذا وقفت به
فعلى اديم الصخر .. ؟

فلا يزال في الوجود ، كالثلث الشرود ، تتلقفه الاقطار ، وتتخطفه الاسفار ،
فن هضاب يحوم فيها كالعقبان ، الى بطاح يعمل فيها كالسيدان ، ومن بحالدة
زعزع نكباء تنسف التلال ، الى مكابدة هاجرة سحراء تأكل الظلال .

فما ثم مرتع شائق فيستمد من جماله البيان . وما ثم مورد رائق فيمتح من
عذبه اللسان ، وانما هي ارجاء عابسة ، وبيداء طامسة . تجول فيها الافكار فتكل ،
وتدور فيها الابصار فتضل .

فسلام على تلك الجزيرة الجرداء ، ومرحى لتلك المجاهل الخلاء ، فوالله ماثعوزها
الرياض مبثوثة الزرابي والانماط ، ولا الحقول مبسوطة البرود والرياط ، ولا النير
يتفرق ، على حصباء تتألق ، فقد نبتت فيها حسنات الزمان ، وتفجرت منها ينابيع
العرفان ، فغنيت بنصرة الآداب ، عن بهجة الاعشاب ، وبكمال السكان ، عن
جمال المساكن ، بل كانت مسبح الروح الامين ، وموئل الدنيا والدين ، فتبارك الله
احسن الخالقين ،

فأي نياط لا يتقطع ، وأي مهجة لا تتصدع ؟ وقد أودى اولئك الكرام ،
وتشكرت تلك الايام ، حتى تبارزى الرهام . واستنسر الحمام ، ولم يبق غير أمة مكسال ،
لا تتحرك الا بزلزال ، ولا تقطع من اشواط الدهر ، الا مسافة العمر من القبر .

فأين بنو قحطان ، وفتيان عدنان ؟ فيهبوا بالنفوس من غورتها ، وينهضوا باللغة
من كبوتها ، فتلك مفاخر بلادهم ، وماثر أجدادهم ، ملء الانجاد والاغوار ، وطلاع

الدفاتر والاسفار ، وانها لتطوي بالمرء مراحل العصور والاجيال ، وتطل به على عالم الحقائق من ملكوت الخيال .

اما والله لولا تنطس بعض المتزمتين^(١) ، وسد هم على اللغة أبواب التعريب والاشتقاق ، فحجروها في الحواشي ، واقبعوها في المتون — لما ازور الطلاب عنها ، وامتلاوا نفور امنها ، وكان العلم كل العلم ان يوضع المرء كلام غيره ، ويلوك أقوال سواه ، فيتشوق بالمذاهب العقيمة ، ويتبجح بالامثال السقيمة ، وان قعد به العجز عن انشاء فقرة ، وتصوير فكرة ، ولم يغن عنه سواد الحدود والمصاحطات ، وما افنّ فيه من الشواهد والنكات ،

ولا بدع فان الاصول وسيلة والانشاء غاية ، ولشد ما بينهما من شاسع الفرق وواسع البون . وكم بين الماء والسراب ، والقشور واللباب ا

وأما من رزق قريحة وقادة ، وبصيرة نقادة ، واحاطة بما لامندوحة عنه من قواعد اللغة وأصول العربية ، ثم راض نفسه على مزاولة أساليب العرب ومناحيهم ، وتوفر على مطالعة تراكمهم ومراميمهم ، فقد اكتسب من ملكتهم ، ما أخرجه الى لهجتهم فبات وما يترضه عي ولا ترتنه لكنة ، ولا تتحيف بيانه عجمة .

وهل البلاغة — لعمرى — الا بصقال الديباجة ، ومتانة الاسلوب ، وحلاوة الأداء ، لتكون المعاني اعلق بالخطاطر ، وأسرى في السمع ، وافعل في النفس ؟ أرايتك — وقد ثقفت الالفاظ المتخيرة ، وعرفت أين تضع يدك في سبكها وتأليفها — كيف تهز القلوب وتخلب الالباب ، وتملك قياد الاهواء ؟ ..

ولله در ابي هلال العسكري اذ قال في الصناعتين : « ان مدار البلاغة عليه تحسين اللفظ . وليس يطلب من المعنى الا ان يكون صوابا » . وقال ابن الاثير : ان اللفظة الواحدة تنتقل من هيئة الى أخرى فتحسن أو تقبح . هذه لفظة الارض فانها لم ترد في القرآن الكريم الا مفردة سواء أفردت بالذكر عن السماء كما في قوله تعالى (والله أنبتكم

(١) المتزمت من يظهر بظهر الزميت وهو الكثير السكون والسكوت وقارا ورزانة ، والتنطس التأق والتدقيق والاستقصاء في الاشياء . يريد مبالغة بعض أهل اللغة في المحافظة على القدم من استعمال اللغة

من الارض نباتا) أو قرنت بالسماء مفردة كما في قوله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الارض الا بإذنه) أو مجموعة كما في قوله تعالى (الله الذي خلق السموات والارض) ؛ ولو كان استعمالها بلفظ الجمع مستسحنا لكان هذا الموضع أو شبهه أليق به. ولما أراد أن يأتي بها مجموعة قال (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) وكذلك قول أفصح الخلق لبعض النساء « ارجعن مأزورات غير مأجورات ». وحسبك ان المعاني المنقولة من لغة الى أخرى تفقد ماءها ، وتفارق صفاءها ، وما ذلك الا لانها انسلخت من برودها المعلقة ، وانخلعت من قوايلها المحكمة . فكانت شبحا ناحلا، وخيالا ماثلا .

وايت شعري ماذا يضر المعاني ، اذا أجيدت لها المباني ، فكانت شرعاً في المتانة ، وسواء في الصياغة ؟ ولا سيما وقد جاشت غوارب العجبة ، وفشت لوثة اللحن ، ومست الحاجة الى شد أواصر اللغة ، وتقويم مناد اللسان .

الا وانه لمن البر بالادب ، والغيرة الصادقة على العرب ؛ أن ينسج التأدب على منوال الفصحاء ، ويطلع على غرار البلغاء ، - فذلك تاريخ آباءنا ، يصبح بنا من وراثتنا ، وكله دموع تترى ، لا ألفاظ تتلى ، (وما يذكر الا أولو الالباب) والله الموفق الى الصواب .

التعريف بكتاب الاعتصام

وَعَتِّصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا * وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

العلماء المستقلون في هذه الامة ثلة من الاولين ، وقليل من الآخرين ، والامام الشاطبي من هؤلاء القليل ، وما رأينا من آثاره الا القليل ، رأينا كتاب (الموافقات) من قبل ، ورأينا كتاب (الاعتصام) اليوم ، فأنشدنا قول الشاعر :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

أدخل دار الكتب الخديوية وارم ببصرك الى الألوف من المصنفات في خزائنها ، تر أن كثرتها قلة ، وكثيرها قليل ، لأن القليل منها هو الذي تجد فيه علما صحيحاً لا تجده في غيره ، لأنه مما فتح الله به على صاحبه دون غيره . وقد كان كتاب (الاعتصام) من هذا القليل ، فأحسننا نظارة المعارف الى الامة الاسلامية كلها باجابة مجلس ادارة دار الكتب الخديوية الى طبعه

اتفق علماء الاجتماع والسياسة والمؤرخون من الامم المختلفة على أن العرب مانهضوا نهضتهم الاخيرة بالمدينة والعمران الا بتأثير الاسلام في جمع كلمتهم ، واصلاح شؤونهم النفسية والعملية ، ولكن اضطرب كثير من الناس في سبب ضعف المسلمين بعد قوتهم ، وذهاب ملكهم وحضارتهم ، فنسب بعضهم كل ذلك الى دينهم ، ومن يتكلم في ذلك على بصيرة يثبت ان الدين الذي كان سبب الصلاح والاصلاح ، لا يمكن أن يكون سبب الفساد والاختلال ، لان العلة الواحدة ، لا يصدر عنها معلولات متناقضة ، فاذا كان لدين المسلمين تأثير في سوء حال خلفهم ، فلا بد أن يكون ذلك من جهة غير الجهة التي صلحت بها حال سلفهم ، وما هي الا البدع والمحدثات التي فرقت جماعتهم ، وزحزحتهم عن الصراط المستقيم

من أجل ذلك كان تحرير مسائل البدع والابتداع مما ينفع المسلمين في أمر دينهم وأمر دنيائهم ، ويكون أعظم عون لدعاة الاصلاح الاسلامي على سعيهم .

وقد كتب كثير من العلماء في البدع ، وكان أكثر ما كتبوا في الترهيب والتنفير ،
والرد على المبتدعين . ولكن الفرق التي يرد بعضها على بعض ، يدعي كل منها أنه
هو الحق ، وأن غيره الضال والمبتدع ، إما بالأحداث في الدين ، وإما بجهل
مقاصده ، والجود على ظواهره ، وما رأينا أحداً منهم هُدي إلى ما هُدي إليه
(أبو اسحاق الشاطبي) من البحث العلمي الاصولي في هذا الموضوع ، وتقسيمه
إلى أبواب يدخل في كل واحد منها فصول كثيرة

لولا أن هذا الكتاب ألف في عصر ضعف العلم والدين في المسلمين لكان
مبدأ نهضة جديدة لإحياء السنة ، وإصلاح شؤون الأخلاق والاجتماع ، ولكان
المصنف بهذا الكتاب وبصنوه كتاب الموافقات — الذي لم يسبق إلى مثله سابق
أيضاً — من أعظم المجددين في الإسلام . فمثله كمثله الحكيم الاجتماعي عبد الرحمن
ابن خلدون ، كل منهما جاء بما لم يسبق إلى مثله ، ولم تنتفع الأمة — كما كان يجب —
بعلمه

كتاب الموافقات لاند له في باب (أصول الفقه وحكم الشريعة وأسرارها)
وكتاب الاعتصام لاند له في باب ، فهو ممتع مشبع ، ولم يتمه المصنف رحمه الله
تعالى . وقد صدره بمقدمة في غرابة الإسلام وحديث « بدأ الإسلام غريباً » المنبئ
بذلك . ثم جعل مباحث ما كتبه في عشرة أبواب

(الباب الاول) في تعريف البدع ومعناها (الثاني) في ذم البدع وسوء منقلب
أهلها (الثالث) في أن ذم البدع والمحدثات عام ، وفيه الكلام على شبه المبتدعة ،
ومن جعل البدع حسنة وسيئة (الرابع) في مأخذ أهل البدع في الاستدلال
(الخامس) في البدع الحقيقية والاضافية والفرق بينهما (السادس) في أحكام
البدع وأنها ليست على رتبة واحدة (السابع) في الابتداع : يختص بالعبادات ، أم
تدخل فيه العادات ؟ (الثامن) في الفرق بين البدع والمصالح المرسلّة والاستحسان
(التاسع) في السبب الذي لأجله اختلفت فرق المبتدعة عن جماعة المسلمين
(العاشر) في الصراط المستقيم الذي انحرفت عنه المبتدعة .

وفي هذه الابواب مباحث تشبه فيها المسائل ، وتعارض الدلائل ، وتنتفع

الشبهات ، وتترأى في معارض البيانات . حتى يعز تحرير القول فيها ، والفصل بين قوادمها وخوافيها ، الاعلى من كان مثل المصنف في نور بصيرته ، وغزارة مادته ، وقوة عارضته ، وفصاحة عبارته

ومن أغمض هذه المسائل ما كان سنة أو مستحبا في نفسه وبدعة لوصف وهيئة عرضت له ، كالنزام المصلين المكث بعد الصلاة لاذ كار وأدعية مأثورة يؤدونها بالاجتماع والاشتراك ، حتى صارت شعارا من شعائر الدين ، ينكر الناس على تاركها دون فاعليها ، وقد أطل المصنف في اثبات كونها بدعة وأورد جميع الشبه التي دعت بها ، وكر عليها بالنقض فهدمها كلها

وما لي لا أذكر لعلماء الشرع الاعلام ، ولأهل السياسة من علماء الحقوق والامراء والحكام ، أهم ما شرحه لهم هذا الكتاب من أصول الاسلام ، وهو بحث المصالح المرسلة والاستحسان ، من أصول مذهبي مالك وأبي حنيفة النعمان . وبهما يظهر اتساع الشرع لمصالح الناس في كل زمان ومكان ؟

بين المصنف وجه اشتباه ماسموه البدع المستحسنة ، بالاستحسان الفقهي والمصالح المرسلة . ثم كشف كل شبهة . وأزال كل غمة . فبين أن البدع ليست من هذين الاصلين في ورد ولا صدر ، ولا تتفق معها في علة ولا غرض ، فان البدعة كيفما كانت صفتها استدراك على الشرع واقتيات عليه ، وأما مسائل المصالح المرسلة والاستحسان فهي موافقة لحكمته ، وجارية على غير المعين من عموم بيناته وأداته . وقد أورد المصنف ما قيل في تعريف ذينك الاصلين ووضح ذلك بالشواهد والامثلة ، فلو انك قرأت جميع ما تتداوله المدارس الاسلامية من كتب أصول الفقه وفروعه ، لا تثبت وانت لا تعرف حقيقة المصالح المرسلة والاستحسان ، كما تعرفها من هذا البحث الذي أوردتها المصنف فيه تابعة لبيان حقيقة البدعة لا مقصودة بالذات من أراد أن يعرف فضل الاسلام وسماحته ، وسهولته ومرونته ، فليأخذه من ينبوعه ، وليستعن على فهمه بهؤلاء الحكماء الذين يشددون في انكار البدع ، ويدعون المسلمين الى السنة التي كان عليها السلف ، ويرون ضلال من يزيد في العبادات عليهم ، أشد وأضر من ضلال من ينقص في غير أصول الفرائض عنهم ،

ويوسعون على الناس في أمور العادات ، بناء على أصل الإباحة في الأشياء ، وإن ظن كثير من الجاهلين ، أن هذا هو عين الجود في الدين ، وجعله ديناً خاصاً بأهل البداوة ، لا يطبق احتمالاً أهل المدنية والحضارة ؛ والامر بالصد ، والله الامر من قبل ومن بعد

كان هذا الكتاب كنزاً مخفياً لا توجد منه في هذه الاقطار الا نسخة بخط مغربي في كتب الشيخ محمد محمود الشنيطي المحفوظة في دار الكتب الخديوية ، فاستخرجه مجلس ادارتها في العام الماضي واقترح طبعه ، فوافق ذلك رغبة صاحب السعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف لذلك العهد ، وعهد الي بطبعه بشروط بينها في الكتاب الذي كتبه اليّ بذلك . وأرسلت اليّ دار الكتب الجزء الاول منه مذبوحاً نسخاً جديداً على أوراق متفرقة لتجمع حروف الطبع عنها . فتصفحت بعضها فالفيت فيها غلطاً وتحريفاً كثيراً حتى في الأحاديث ، فكتبت في حاشية ما جمعت حروفه منها ليكون نموذجاً للطبع تصحيحاً لما ظهر لي غلطه ، وتحريفاً لحديث « بدأ الاسلام غريباً » الذي بنى عليه المصنف مقدمة الكتاب وجعله الاصل في وجه الحاجة اليه . وفسرت فيها بعض الكلم الغامض وأطلعت على ذلك صديقي الاستاذ الفاضل السيد محمد البيلوي وكيل دار الكتب الخديوية الذي يرجع اليه في تصحيح الكتب التي تطبع على نفقتها ، وقلت له يعز عليّ أن يطبع هذا الكتاب النفيس من غير أن يصحح أصله ويملق عليه شيء . وأنا أتبرع بما أراه ضرورياً من ذلك ، ومطبعتي تبرع بتصحيح الطبع أيضاً . ولو كنت في سعة من وقتي لخرجت أحاديثه كلها ، وبذلت العناية بمراجعة كل نقوله من مظانها ، وبغير ذلك من تصحيحه . فقال : نحن نرى من التوفيق أن يطبع هذا الكتاب تحت نظرك واشرافك ، ونرى أنك أجدر وأحق بتصحيحه

ما تيسر لي قراءة شيء من الكتاب في وقت فراغ ، بل كانت المطبعة تعرض علي الاوراق عند ارادة الاشتغال بطبعها ، فكنت أرى الغلط فيه أنواعاً - (أحدها) ما قطع بأن صوابه كذا كتحرير بعض الآيات ، أو الأحاديث المعزوة الي مخريجها ، وتحريف أو تصحيف بعض الكلم ، فأنا أصحح هذا ولا أذكر في

الحاشية ما كان في الاصل الا قليلا (ثنيها) ما اظن ان صوابه كذا . وهو ما اكتب في الحاشية « لعل أصله كذا » أو ما يفيد هذا المعنى (ثالثها) ما أشبه في أصله ماهو . فنه ما أفهم المراد منه بالقرينة ، فإما ان أشير اليه في الحاشية ، وإما ان أتركه للقارى . ويقل فيما تركته التحريف الذي لا يفهم المراد منه مطلقا ، أو الا بعد تأمل طويل .

وقد يرى القارى في بعض المواضع منه كلمات بين هذه العلامات () التي يعبرون عنها بالاهلة أو الاقواس أو بدونها وقد تكون من حرف صغير ، ويرى ان المعنى لا يلتزم الابهاء ، ويجزم بأنها من الاصل ، وانما ميزناها بما ذكر لي علم انها من المصحح ، ويرى في بعض المواضع علامة الاستفهام بين قوسين هكذا - ؟) ويشار بها الى خفاء في تلك المواضع أو غلط لم نهتد الى أصله . ولكن لم نلتزم ذلك في كل مواضع الغلط لمبهم

وقد تركت تصحيح بعض الاحاديث والآثار التي أحفظها من كتب الصحاح والسنن على غير ما وردت عليه في الكتاب ، لئلا يكون بعض المحدثين الذين لم نطلع على كتبهم رواها بسياق المصنف . وكتبت بازاء بعض ذلك علامة المراجعة على أوراق الطبع ، مريدا بذلك ان تعيده المطبعة الي للتأمل فيه أو مراجعته في مظانه . وعلمت بعد ذلك ان المطبعة كانت تراجع في بعض ذلك نسخة الكتاب المغربية فاذا رأت المعد للطبع موافقا لها طبعته ولم تعده الي ؛ فيفوتني ما أريد من تصحيحه

وجملة القول اتني على ما أقاسي من العناء في تصحيح الكتاب لا أدعي انه قد تيسر لي تصحيحه كما أحب . وانما أقول انه يصحح تصحيحاً يمكن القارى من فهمه ، فلا يكاد يخفى عليه منه الا النادر من المفردات أو الجمل التي لا يخل خفاؤها بفهم المسألة التي عرضت له فيها . فهذا هو الطريق الذي سلكته في تصحيحه ، بينته قبل الاتمام ، وعسى الله ان يوفقني بالخير الى زيادة العناية وحسن الختام ما وكتب في ١٥ شوال سنة ١٣٣٢ محمد رشيد رضا

منشي المنار ، وناظر مدرسة دار الدعوة والارشاد

ترجمة الامام الشاطبي

من كتاب نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج ديباج ابن فرحون باختصار

هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ابو اسحاق الشهير بالشاطبي
الامام العلامة ، المحقق القدوة ، الحافظ الجليل المجتهد ، كان أصوليا مفسرا ، فقيها
محدثا ، لغويا بيانيا ، نظارا ثبوتا ، ورعا صالحا ، زاهدا سنيا ، اماما مطلعا ، بحاثا
مدققا ، جدليا بارعا في العلوم ، من افراد العلماء المحققين الاثبات ، وأكابر الأئمة
المتقنين الثقات ، له القدم الراسخ والامامة العظمى في الفنون - فقها وأصولا ،
وتفسيرا وحديثا ، وعربية وغيرها - مع التحري والتحقيق ، له استنباطات جليلة ،
ودقائق منيفة ، وفوائد لطيفة ، وابحاث شريفة ، وقواعد محررة محكمة ، كان على قدم
راسخ من الصلاح والعفة والتحري والورع ، حريصا على اتباع السنة ، مجانبا
للبدع والشبهة ، ساعيا في ذلك مع تثبت تام ، منحرفا عن كل دينحور للبدع واهلها ،
وقع له في ذلك أمور مع جماعة من شيوخه وغيرهم في مسائل
وله تأليف جليلة ، مشتملة على ابحاث نفيسة ، وانتقادات ونحقيقات شريفة ،
قال الامام الحفيد ابن مرزوق في حقه : انه الشيخ الاستاذ الفقيه ، الامام
المحقق العلامة الصالح ، أبو اسحاق . انتهى ، وناهيك بهذه التحلية من مثل هذا
الامام ، وانما يعرف الفضل لأهله أهله .

أخذ العربية وغيرها عن أئمة ، منهم الامام المفتوح عليه في فنها مالا مطمع
فيه لسواه ، بحثا ، وحفظا ، وتوجها ، ابن الفخار الألبيري ، لازمه الى ان مات ،
والامام الشريف رئيس العلوم اللسانية : أبو الماسم السبكي ، شارح مقصورة حزم ،
والامام المحقق أعلم أهل وقته ، الشريف أبو عبد الله التلمساني ، والامام علامة وقته
باجماع ، ابو عبد الله المقرئ ، وقطب الدائرة شيخ الحجة ، الامير الشهير ، أبو سعيد
ابن اب ، والامام الجليل ، الرحلة الخطيب ، ابن مرزوق الجدي ، والعلامة المحقق
المدرس الاصولي ، ابو علي منصور بن محمد الزواوي ، والعلامة المفسر المؤلف
ابو عبد الله البلسني ، والحاج العلامة الرحلة الخطيب ابو جعفر الشقوري . ومن
اجتمع معه ، واستفاد منه ، العالم الحافظ الفقيه ، ابو عباس القباب ، والمفتي
المحدث ابو عبد الله الحفار ، وغيرهم .

اجتهد وبرع ، وفاق الاكابر ، والتحقيق بكبر الأئمة في العلوم ، وبالغ في التحقيق .
وتكلم مع كثير من الأئمة في مشكلات المسائل من مسائل . وغيرهم ، كالكباب وقاضي

الجماعة الفشتالي ، والامام ابن عرفة ، والولي الكبير أبي عبدالله ابن عباد . وجرى له معهم ابحاث ومراجعات ، اجلت عن ظهوره فيها ، وقوة عارضته وامامته ، منها مسألة مراعاة الخلاف في المذهب (١) فيها له بحث عظيم مع الامامين القباب وابن عرفة . وله ابحاث جليلة في التصوف وغيره . وبالجملة فقدرة في العلوم فوق ما يذكر ، وتحليلته في التحقيق فوق ما يشهر .

ألف تواليف نفيسة ، اشتملت على تحريرات للقواعد ، وتحقيقات لمهمات الفوائد . منها شرحه الجليل على الخلاصة في النحو . في أسفار أربعة كبار ، لم يؤلف عليها مثله بحثا وتحقيقا فيما أعلم . وكتاب (المواقفات) في أصول الفقه سماه «عنوان التعريف بأصول التكليف» كتاب جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل على امامته ، وبعد شأؤه في العلوم ، سيما علم الاصول . قال الامام الحفيد بن مرزوق : كتاب المواقفات المذكور ، من انبل الكتب ، وهو في سفرين . وتأليف كبير نفيس في الحوادث والبدع في سفر في غاية الاجادة ، سماه (الاعتصام) وكتاب (المجالس) شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري . فيه من الفوائد والتحقيقات ، مالا يعلمه الا الله . وكتاب (الافادات والانشادات) في كراسين فيه طرف وتحف . وملح ادبيات وانشادات . وله أيضا كتاب (عنوان الاتفاق) في علم الاشتقاق) وكتاب (أصول النحو) . وقد ذكرهما معا في شرح الألفية . ورأيت في موضع آخر انه اتلف الاول في حياته وان الثاني اتلف ايضا . وله غيرها . وفتاوي كثيرة ومن شعره لما ابتلي بالبدع :

بليت يا قوم والبلوى متنوعة بمن اداريه حتى كاد برديني
دفع المضرة لاجلها لمصلحة فحسبي الله في عقلي وفي ديني
الشدهما تلميذه الامام ابو يحيى بن عاصم له مشافهة .

اخذ عنه جماعة من الائمة كالامامين العلامتين ابي يحيى بن عاصم الشهير وأخيه القاضي المؤلف ابي بكر بن عاصم . والشيخ ابي عبدالله البياني ، وغيرهم . وتوفي يوم الثلاثاء ثامن شعبان سنة تسعين وسبع مائة ولم أقف على مولده رحمه الله . (فائدة) وكان صاحب الترجمة ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس ، عند ضعفهم وحاجتهم ، لضعف بيت المال عن القيام بمصالح الناس ، كما وقع للشيخ المالقي في كتاب الورع . قال : توظيف الخراج على المسلمين من المصالح المرسله ، ولا شك عندنا في جوازه ، وظهور مصلحته في بلاد الاندلس في زماننا

(١) شار الى هذه المسألة في المقدمة الثالثة عشرة من كتاب المواقفات

الآن . لكثرة الحاجة لما يأخذه العدو من المسلمين ، سوى ما يحتاج اليه الناس ، وضعف بيت المال الآن عنه ، فهذا يقطع بجوازه الآن في الأندلس ، وإنما النظر في القدر المحتاج اليه من ذلك ، وذلك موكل الى الامم ، ثم قال اثناء كلامه : ولعلك تقول كما قال القائل ، لمن اجاز شرب العصير بعد كثرة طبعه وصار ربا : احللتها والله يا عمر . يعني هذا القائل احللت الخمر بالاستمرار الى نقص الطبع . حتى تحل الخمر بمقالك ، فاني أقول - كما قال عمر رضي الله عنه : والله لا أحل شيئا حرمه الله ، ولا أحرم شيئا أحله ، وان الحق أحق ان يتبع (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)

وكان خراج بناء السور في بعض مواضع الأندلس في زمانه موظفا على أهل الموضع ، فسئل عنه امام الوقت في الفتيا بالأندلس الاستاذ الشهير ابو سعيد بن اب ، فأفتى انه لا يجوز ولا يسوغ ، وافق صاحب الترجمة بسوغه . مستندا فيه الى المصلحة المرسلة . معتمدا في ذلك الى قيام المصلحة ، التي ان لم يحم بها الناس فيعطونها من عندهم ضاعت . وقد تكلم على المسئلة الامام الغزالي في كتابه فاستوفى . ووقع لابن الفراء في ذلك مع سلطان وقته وفقهائه كلام مشهور ، لا يطيل به . وكان لا يأخذ الفقه الا من كتب الاقدمين . ولا يرى لأحد ان ينظر في هذه الكتب المتأخرة ، كما قرره في مقدمة كتابه الموافقات . وترد عليه الكتب في ذلك من بعض أصحابه . فيوقع له : وأما ما ذكرتم من عدم اعتمادي على التأليف المتأخرة . فليس ذلك مني محض رأي . ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين كابن بشير . وابن شاس . وابن الحاجب . ومن بعدهم . ولان بعض من لقيته من العلماء بالفقه أوصاني بالتعالي عن كتب المتأخرين وأنى بعارة خشنه ولكنها محض النصيحة . والتساهل في النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله ، ومثله ما اذا عمل الناس بقول ضعيف . ونقل عن بعض الاصحاح : لا تجوز مخالفته . وذلك مشعر بالتساهل جدا . ونص ذلك القول لا يوجد لاحد من العلماء فيما أعلم .

والعبارة الخشنة التي أشار اليها كان ينقلها عن صاحبه أبي العباس القباب انه كان يقول في ابن بشير وابن شاس : افسدوا الفقه ، وكان يقول : شأني عدم الاعتماد على التقاييد المتأخرة ، اما للهجل بمؤلفيها أو لتأخر أزمنتهم جدا . فلذلك لا أعرف كثيرا منها ولا اقتنيتها . وعمدتي كتب الاقدمين المشاهير . ولتقتصر على هذا القدر من بعض فوائده

(دخول الابتداع في العاديات (*))

وأما تحليل الدماء والربا والحرير والغناء والخمر، فخرج أبو داود وأحمد وغيرهما عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها » — زاد ابن ماجه — « يعزف على رءوسهم بالمعازف والقينات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير » وخرجه البخاري عن أبي حنبل وأبي مالك الأشعري قال فيه « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الخمر (١) والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوام الى جنب علم ، تروح عليهم سارحة لهم . يأتيهم رجل لحاجة فيقولون : ارجع إلينا غدا ، فيبيتهم الله ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير الى يوم القيامة » . وفي سنن أبي داود « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الخمر والحرير — وقال في آخره — يمسح منهم آخريين قردة وخنازير الى يوم القيامة » .

والخمر هنا نوع من الحرير ليس الخمر المأذون فيها المنسوج من حرير وغيره . وقوله في الحديث « لينزلن أقوام » يعني — والله أعلم — من هؤلاء المستحلين ، والمعنى ان هؤلاء المستحلين ينزل منهم أقوام الى جنب علم — وهو الجبل — ، فيواعدهم الى الغد ، فيبيتهم الله — وهو أخذ العذاب ليلا — ويمسخ منهم آخريين ، كما في حديث أبي داود كما في الحديث

(*) تابع لما نشر من كتاب الاعتصام في ص ٦٧٣ ج ٩ وهو تنمة بحث النظر في أمثلة الوجه الثالث من أوجه دخول الابتداع في العاديات

(١) الرواية المشهورة بمهملتين ، وسيأتي ذكر هذا اللفظ وتفسيره في حديث

آخر في ص ٧٥٥

قبل : يخسف الله بهم الارض ويمسح منهم قردة وخنازير . وكأن الخسف هاهنا هو التبييت المذكور في الآخر ؛

وهذا نص في ان هؤلاء الذين استحلوا هذه المحارم كانوا متأولين فيها حيث زعموا ان الشراب الذي شربوه ليس هو الخمر ، وانما له اسم آخر إما النبيذ أو غيره ، وانما الخمر عصير العنب النقي ، وهذا رأي طائفة من الكوفيين ، وقد ثبت ان كل مسكر خمر .

قال بعضهم : وانما أتى على هؤلاء حيث استحلوا المحرمات بما ظنوه من انتفاء الاسم ، ولم يلتفتوا الى وجود المعنى المحرم وثبوته — قل — : وهذه بعينها شبهة اليهود في استحلالهم اخذ الحيتان يوم الاخذ بما اوقعوها به يوم السبت في الشباك والحفائر من فعلهم يوم الجمعة حيث قالوا : ليس هذا بصيد ، ولا عمل يوم السبت ؛ وليس هذا باستباحة الشح^(١)

بل الذي يستحل الخمر زاعما (انه) ليس خمرًا مع علمه بان معناه معنى الخمر ومقصوده مقصود الخمر ، أفسد تأويلا ، من جهة أن أهل الكوفة من أكثر الناس قياسا ؛ فلئن كان من القياس ما هو حق ؛ فإن قياس الخمر المنبوذة على الخمر العصيرة من القياس في معنى الاصل ، وهو من القياس الجلي ؛ اذ ليس بينهما من الفرق ما يتوهم انه مؤثر في التحريم فاذا كان هؤلاء المذكورون في الحديث إنما شربوا الخمر استحلالا لها لما ظنوا ان المحرم مجرد ما وقع عليه اللفظ ، وظنوا ان لفظ الخمر لا يقع على غير عصير العنب النقي ، فشبهتهم في استحلال الحرير والمعارف أظهر

(١) كذا ولعله «السبت» . والعبارة كلها مضطربة ليست سالمة من التحريف

بأنه أبيض الحرير (للنساء) مطلقا، وللرجال في بعض الأحوال؛ فكذاك الغناء والدف قد أبيض في العرس ونحوه، وأبيض منه الهداء وغيره؛ وليس في هذا النوع من دلائل التحريم ما في الخمر؛ فظهر ذم الذين يخسف بهم ويمسحون، إنما فعل ذلك بهم من جهة التأويل الفاسد الذي استحلوا به المحارم بطريق الحيلة، وأعرضوا عن مقصود الشارع وحكمته في تحريم هذه الأشياء.

وقد خرج ابن بطة عن الإوزاعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يأتي على الناس زمان يستحلون فيه الربا بالبيع» قال بعضهم: يعني العينة. وروي في استحلال الربا حديث رواه إبراهيم الحربي عن أبي ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أول دينكم نبوة ورحمة، ثم ملك وجبرية، ثم ملك عضوض يستحل فيه الحر والخز» يريد استحلال الفروج الحرام، والحر بكسر الحاء المهملة والراء المخففة الفرج، قالوا: ويشبهه - والله أعلم - أن يراد بذلك ظهور استحلال نكاح المحلل ونحو ذلك بما يوجب استحلال الفروج المحرمة؛ فإن الأمة لم يستحل أحد منها الزنا الصريح، ولم يرد بالاستحلال مجرد الفعل، فإن هذا لم يزل معمولاً في الناس؛ ثم لفظ الاستحلال إنما يستعمل في الأصل فيمن اعتقد الشيء حلالا، والواقع كذلك؛ فإن هذا الملك العضوض الذي كان بعد الملك والجبرية قد كان في أواخر عصر التابعين، في تلك الأزمان صار في أولي الأمر من يفتي بنكاح المحلل ونحوه، ولم يكن قبل ذلك من يفتي به أصلا.

ويؤيد ذلك أنه في حديث ابن مسعود رضي الله عنه المشهور أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن آكل الربا وشاهديه وكاتبه والمحلل له .
وروى احمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « ما ظهر في قوم الربا والزنا الا أحلوا بانفسهم عقاب الله » فهذا
يشعر بان التحليل من الزنا كما يشعر ان العينة من الربا .

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا ومرفوعا قال « يأتي
على الناس زمان يستحل فيه خمسة اشياء - : يستحلون الخمر باسماء يسمونها
بها ، والسحت بالهدية ، والقتل بالريبة ، والزنا بالنكاح ، والربا بالبيع » فان
الزيادة المذكورة اولا قد سنت ، واما السحت الذي هو العطية للوالي
والحاكم ونحوها باسم الهدية فهو ظاهر ، واستحلال القتل باسم الارهاب
الذي يسميه ولاية الظلم سياسة وابهة الملك ونحو ذلك فظاهر ايضا ،
وهو نوع من انواع شريعة القتل المخترعة . وقد وصف النبي صلى الله عليه
وسلم الخوارج بهذا النوع من الخصال فقال « ان من ضئضى هذا قوما
يقرؤن القرآن لا يتجاوز حناجرهم ، يقتلون اهل الاسلام ، ويدعون
اهل الاوثان ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » ولعل
هؤلاء المرادون بقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابي هريرة رضي
الله عنه « يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا » الحديث . يدل عليه تفسير
الحسن قال : يصبح محرما لدم اخيه وعرضه ويمسي مستحلا ، الى آخره .
وقد وضع القتل شرعا معمولا به على غير سنة الله وسنة رسوله
المتسمى بالمهدي المغربي الذي زعم انه المبشر به في الاحاديث ، فجعل القتل
عقابا في ثمانية عشر صنفا ذكروا منها : الكذب ، والمداهنة ، واخذهم

ايضا بالقتل في ترك امتثال امر من يستمع أمره، وبايعوه على ذلك؛ وكان يعظمهم في كل وقت ويذكرهم، ومن لم يحضر أذب، فان تمادى قتل، وكل من لم يتأذب بما ادب به ضرب بالسوط المرة والمرة، فان ظهر منه عناد في ترك امتثال الاوامر قتل؛ ومن داهن على اخيه او آبيه او من يكرم او المقدم عليه قتل. وكل من شك في عصمته قتل او شك في انه المهدي المبشر به، وكل من خالف أمره اصحابه فعروه، فكان اكثر تادييه القتل - كما ترى - كما انه كان من رأيه ان لا يصلي خلف امام او خطيب ياخذ أجرا على الامامة او الخطابة، وكذلك لبس الثياب الرفيعة - وان كانت حلالا - فقد حكوا عنه قبل ان يستفحل أمره انه ترك الصلاة خلف خطيب اغتمت بذلك السبب. فقدم خطيب آخر في ثياب حفيلة تباين التواضع - زعموا - ^(١) فترك الصلاة خلفه.

وكان من رأيه ترك الرأي واتباع مذاهب الظاهرية. قال العلماء: وهو بدعة ظهرت في الشريعة بعد المائتين. ومن رأيه ان التماذي على ذرة من الباطل كالتماذي على الباطل كله.

وذكر في كتاب الامامة انه هو الامام، واصحابه هم الغرباء الذين قيل فيهم «بدئ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدئ»، فطوبى للغرباء» وقال في الكتاب المذكور: جاء الله بالمهدي وطاعته صافية نقية لم ير مثلها قبل ولا بعد؛ وان به قامت السموات والارض، وبه تقوم، ولا

(١) كلمة «زعموا» جملة معترضة تؤذن بالبراءة مما يحكى عنهم. وأفصح منه ان يقال: بزعمهم. كما قال تعالى (فقلوا: هذا لله - بزعمهم - وهذا لشركائنا)

صنّده ولا مثل ولا نذ ، انتهى . وكذب . فالمهدي عيسى عليه السلام .
 وكان يأمرهم بلزوم الحزب بعد صلاة الصبح ، وبعد المغرب ،
 فأمر المؤذنين إذا طلع الفجر أن ينادوا « أصبح والله الحمد » إشعاراً - زعموا -
 بأن الفجر قد طلع لالزام الطاعة ، ولحضور الجماعة ، وللغد ، ولكل
 ما يؤمرون به .

وله اختراعات وابتداعات غير ما ذكرنا ، وجميع ذلك الى ^(١) أنه
 قائل برأيه في العبادات والعادات ، مع زعمه أنه غير قائل بالرأي . وهو
 التناقض بعينه ، فقد ظهر إذا جريان تلك الاشياء على الابتداع

*

وأما كون الزكاة مغرماً ، فالمغرم (ما) يلزم اداؤه من الديون ، والغرامات
 كان الولاية يلزمونها الناس بشيء معلوم من غير نظر الى قلة مال الزكاة
 أو كثرتة أو قصوره عن النصاب أو عدم قصوره ، بل يأخذونهم بها على
 حال الى الموت ، وكون هذا بدعة ظاهر .

*

وأما ارتفاع الاصوات في المساجد فنأشئ عن بدعة الجدل في
 الدين ، فإن من عادة قراءة العلم وإقرائه وسماعه وإسماعه أن يكون في
 المساجد ، ومن آدابه أن لا ترفع فيه الاصوات في غير المساجد ، فما
 ظنك به في المساجد ؟ فالجدال فيه زيادة الهوى ، فانه غير مشروع في
 الاصل ، فقد جعل العلماء من عقائد الاسلام ترك المراء والجدال في الدين ،
 وهو الكلام فيما لم يأذن في الكلام فيه ، كالكلام في المتشابهات من

(١) كذا في الاصل والمعنى المراد ان جميع ذلك يدل على انه قائل برأيه

الصفات والافعال وغيرها ، وكتشابهات القرآن ، ولاجل ذلك جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) الآية ، قال - « فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم » وفي الحديث « ماضل قوم بعد هدى الا أوتوا الجدل » وجاء عنه عليه السلام انه قال : « لا تماروا في القرآن فان المراء فيه كفر » وعنه عليه السلام انه قال « ان القرآن يصدق بعضه بعضاً ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، ما علمتم منه فاقبلوه وما لم تعلموا منه فكلوه الى عالمه » وقال عليه السلام « اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فاذا اختلفتم فيه فقوموا عنه » وخرج ابن وهب عن معاوية بن قررة قال : اياكم والخصومات في الدين فانها تحبط الاعمال . وقال النخعي في قوله تعالى (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء) قال : الجدال والخصومات في الدين .

وقال معن بن عيسى : انصرف مالك يوماً الى المسجد وهو متكئ على يدي ، فالحقه رجل يقال له ابو الجديرة يتهم بالإرجاء ، فقال يا أبا عبد الله ! اسمع مني شيئاً أكلمك به وأحاجك وأخبرك برأبي . فقال له : احذر أن أشهد عليك . قال : والله ما أريد الا الحق . اسمع مني ، فان كان صواباً فقل به أو فتكلم ؛ قال : فان غلبتني ؟ قال : اتبعني . قال فان غلبتك ؟ قال اتبعتك ؛ قال : فان جاء رجل فكلمناه فغلبنا ؟ قال : اتبعناه . فقال له مالك : يا عبد الله ! بعث الله محمداً بدين واحد وأراك تنتقل . وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات اكثر التنقل . وقال مالك : ليس الجدال في الدين بشيء .

والكلام في ذم الجدال كثير . فاذا كان مذموماً فمن جعله محموداً وعدّه من العلوم النافعة باطلاً فقد ابتدع في الدين . ولما كان اتباع الهوى أصل الابتداع لم يعد صاحب الجدال أن يماري ويطلب الغلبة ، وذلك مظنة رفع الاصوات .

فان قيل : عددت رفع الاصوات من فروع الجدال وخواصه وليس كذلك ؛ فرفع الاصوات قد يكون في العلم ، ولذلك كره رفع الاصوات في المسجد ، وان كان في العلم أو في غير العلم . قال ابن القاسم في المبسوط : رأيت مالكا يعيب على أصحابه رفع أصواتهم في المسجد . وعلل ذلك محمد بن مسلمة بعلمتين : أحدهما انه يجب أن يتره المسجد عن مثل هذا لأنه مما امر بتعظيمه وتوقيره . والثانية انه مبني للصلاة ، وقد أمرنا أن نأتيها وعلينا السكينة والوقار ، فأن يلزم ذلك في موضعها المتخذ لها أولى . وروى مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنى رجة بين ناحية المسجد تسمى البطحاء^(١) وقال : من كان يريد أن يلفظ أو ينشد شعراً أو يرفع صوته فليخرج الى هذه الرجة . فاذا كان كذلك ، فمن أين يدل ذم رفع الصوت في المسجد على الجدل المنهي عنه ؟

فالجواب من وجهين : (أحدهما) أن رفع الصوت من خواص الجدل المذموم ، أعني في أكثر الامر دون الفلتات ، لان رفع الصوت والخروج عن الاعتدال فيه ناشئ عن الهوى في الشيء المتكلم فيه . وأقرب الكلام الخاص بالمسجد الى رفع الصوت الكلام فيما لم يؤذن فيه ، وهو الجدال الذي نبه عليه الحديث المتقدم . وأيضاً لم يكثر الكلام جدا

في نوع من أنواع العلم في الزمان المتقدم الا في علم الكلام ، والى غرضه تصوبت سهام النقد والذم ؛ فهو اذاً هو . وقد روي عن عميرة ابن أبي ناجية المصري انه رأى قوماً يتعارّون في المسجد وقد علت أصواتهم فقال : هؤلاء قوم قد ملوا العبادة ، وأقبلوا على الكلام ، اللهم أمت عميرة . فمات من عامه ذلك في الحج ؛ فرأى رجل في النوم قائلاً يقول : مات في هذه الليلة نصف الناس . فمرفت تلك الليلة ، فجاء موت عميرة هذا . (والثاني) انا لو سلمنا أن مجرد رفع الاصوات يدل على ما قلنا لكان أيضاً من البدع اذا عد كآنه من الجائز في جميع أنواع العلم فصار معمولاً به لاهي^(١) ولا يكف عنه مجرى البدع المحدثات^(٢) .

وأما تقديم الاحداث على غيرهم ؛ من^(٣) قبيل ما تقدم في كثرة الجهال وقلة العلم ؛ كان ذلك التقديم في رتب العلم او غيره ، لان الحدث ابداً او في غالب الامر غرّاً لم يتحنك ، ولم يرتض في صناعته رياضة تبلغه مبالغ الشيوخ الراسخين الاقدام في تلك الصناعة ؛ ولذلك قالوا في المثل : وابن اللبون اذا ما أُرِّ في قرن لم يستطع صولة البُزْل القناعيس هذا ان حملنا الحدث على حداثة السن ، وهو نص في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، فان حملناه على حدثان العهد بالصناعة — ويحتمله قوله « وكان زعيم القوم ارذلهم » وقوله « وساد القبيلة فاسقهم » وقوله

(١) الكلمة غير منقوطة في الاصل وتحتل بالتصحيف والتحريف عدة احتمالات
(٢) كذا . ولعل أصله : فجرى مجرى البدع المحدثات (٣) لعل الاصل « فمن »

« اذا اسند الامر الى غير اهله » فالمعنى فيها واحد - فان الحديث العهد بالشيء لا يبلغ مبالغ القديم العهد فيه . ولذلك يحكى عن الشيخ ابي مدين انه سئل عن الاحداث الذين نهى شيوخ الصوفية عنهم ، فقال : الحدث الذي لم يستكمل الامر بعد ، وان كان ابن ثمانين سنة .

فاذا تقديم الاحداث على غيرهم ، من باب تقديم الجاهل على غيرهم . ولذلك قال فيهم « سفهاء الاحلام - وقال - يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم » الى آخره ، وهو منزل على الحديث الآخر في الخوارج « ان من صنّفى هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، الى آخر الحديث . يعنى انهم لم يتفقهوا فيه ، فهو في السننهم لا في قلوبهم .

*

واما لعن آخر هذه الامة اولها ، فظاهر مما ذكر العلماء عن بعض الفرق الضالة ، فان الكاملية من الشيعة كفرت الصحابة رضي الله عنهم حين لم يصرفوا الخلافة الى علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفرت عليا رضي الله عنه حين لم يأخذ بحقه فيها .

واما ما دون ذلك مما يوقف فيه عند السبب ، فنقول موجود في الكتب ، وانما فعلوا ذلك لمذاهب سوء لهم رأوها فبنوا عليها ما يضاهاها من السوء والفحشاء ، فلذلك عدوا من فرق اهل البدع

قال مصعب الزبيري وابن نافع : دخل هارون (يعنى الرشيد) المسجد فركع ، ثم اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، ثم اتى مجلس مالك فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . ثم قال لمالك : هل لمن سب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفيلء حق ؟ قال لا ؛

ولا كرامة ولا مسرة . قال : من اين قلت ذلك ؟ قال : قال الله عز وجل
(لينغيظ بهم الكفار) فمن عابهم فهو كافر ، ولا حق لكافر في النفي .
واحتج مرة اخرى في ذلك بقوله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين
اخرجوا من ديارهم واموالهم) الى آخر الآيات الثلاث - قال - فهم
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا معه وانصاره ،
(والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان) فمن عدا هؤلاء فلا حق لهم فيه . وفي فعل خواص الفرق من
هذا المعنى كثير .

*

واما بعث الدجالين ؛ فقد كان ذلك جملة ، منهم من تقدم في زمان
بني العباس وغيرهم . ومنهم معد^(١) من العبيدية الذين ملكوا افريقية ؛
فقد حكى عنه انه جعل المؤذن يقول : اشهد ان معدا رسول الله .
عوضا من كلمة الحق « اشهد ان محمدا رسول الله » فهم المسلمون بقتله
ثم رفعوه الى معد ليروا هل هذا عن امره ، فلما انتهى كلامهم اليه ،
قال : أردد عليهم اذانهم لعنهم الله .

ومن يدعي لنفسه العصمة ؛ فهو شبه من يدعي النبوة . ومن يزعم
انه به قامت السموات والارض فقد جاوز دعوى النبوة ، وهو المغربي
المتسمى بالمهدي .

وقد كان في الزمان القريب رجل يقال له الفزازي ادعى النبوة
واستظهر عليها بامور موهمة للكرامات ، والاخبار بالمغيبات ، ومخيلة

(١) هـ اسم أول خلفاء العبد بن الملقب بالمعز لدين الله

لخوارق العادات ؛ تبعه على ذلك من العوام جملة ؛ ولقد سمعت بعض طلبة ذلك البلد الذي اختله هذا البأس - وهو مالقة - آخذا ينظر في قوله تعالى (وخاتم النبيين) وهل يمكن تأويله ؛ وجعل يطرق اليه الاحتمالات ، ليسوغ امكان بعث نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وكان مقتل هذا المفترى على يد شيخ شيوخنا ابي جعفر ابن الزبير رحمه الله .
ولقد حكى بعض مؤلفي الوقت قال : حدثني شيخنا ابو الحسن ابن الجياب ، قال : لما امر بالتأهب يوم قتله وهو في السجن الذي اخرج منه الى مصرعه جهر بتلاوة سورة يس ، فقال له احد الذعرة ممن جمع السجن بينهما : اقرأ قرآنك ، لاي شيء تتفضل على قرآننا اليوم ؛ او في معنى هذا . فتركها مثلاً بلوذعيته .

*

واما مفارقة الجماعة ، فبدعتها ظاهرة ؛ ولذلك يجازى ^(١) بالميتة الجاهلية . وقد ظهر في الخوارج وغيرهم ممن سلك مسلكهم كالعبيدية واشباههم

فهذا ايضا من جملة ما اشتملت عليه تلك الاحاديث . وباقي الخصال المذكورة عائد الى نحو آخر ككثرة النساء وقلة الرجال ، وتناول الناس في البنيان ، وتقارب الزمان .

فالخاصل ان اكثر الحوادث التي اخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم من انها تقع وتظهر وتنتشر امور مبتدعة على مضاهاة التشريع ، لكن من جهة التعبد لا من جهة كونها عادية ؛ وهو الفرق بين المعصية التي

(١) أي يجازى مفارقها . ولعل الفاعل قد سقط من الاصل بسهو الناسخ

هي بدعة ، والمعصية التي هي ليست بدعة . وان العاديات من حيث هي عادية لا بدعة فيها ، ومن حيث يتعبد بها او توضع وضع التعبد تدخلها البدعة ، وحصل بذلك اتفاق القوانين ، وصار المذهبان مذهباً واحداً ، وبالله التوفيق

فصل

فان قيل : اما الابتداع بمعنى انه نوع من التشريع على وجه التعبد في العاديات من حيث (مو) توقيت معلوم معقول ، فايحابه او إجازته بالرأي - كما تقدم - من امثلة بدع الخوارج ومن داناهم من الفرق الخارجة عن الجادة ، فظاهر .^(١) ومن ذلك القول بالتحسين والتقبيح العقلي ، والقول بترك العمل بخبر الواحد ، وما اشبه ذلك . فالقول بانه بدعة قد تبين وجهه واتضح مغزاه

وانما يبقى وجه آخر يشبهه وليس به ، وهو ان المعاصي والمنكرات والمكروهات قد تظهر وتفسو ويجري العمل بها بين الناس على وجه لا يقع لها انكار من خاص ولا عام ، فما كان منها هذا شأنه : هل يعد مثله بدعة أم لا ؟

فالجواب : ان مثل هذه المسئلة لها نظران (احدهما) نظر من حيث وقوعها عملاً واعتقاداً في الاصل ، فلا شك انها مخالفة لا بدعة ، اذ ليس من شرط كون الممنوع والمكروه غير بدعة أن لا ينشرها ولا يظهرها

(١) قوله « فظاهر » جواب « أما الابتداع » في اول الفصل . وما بينهما اعتراض ، وقوله فيه « فايحابه » مبتدأ خبره « من أمثلة بدع الخوارج » وفي الكلام تعقيد معنوي ظاهر

أنه ليس من شرط أن تنشر ، بل لا تزول المخالفة ظهرت أولاً ، واشتهرت
أم لا ؛ وكذلك دوام العمل أو عدم دوامه لا يؤثر في واحدة منهما ،
والمبتدع قد يقام عن بدعة ، والمخالف قد يدوم على مخالفته إلى الموت -
عياذاً بالله .

(والثاني) نظر من جهة ما يقترن من خارج ؛ فالقرائن قد تقترن ؛
فتكون سبباً في مفسدة حالية ، وفي مفسدة مالية كلاهما راجع إلى
اعتقاد البدعة .

أما الحالية فبأمرين : الأول أن يعمل بها الخواص من الناس عموماً ،
وخاصة العلماء خصوصاً ؛ وتظهر من جهتهم . وهذه مفسدة في الإسلام
ينشأ عنها عادة من جهة العوام استسهالها واستجارتها ، لأن العالم المنتصب
مفتياً للناس بمعله كما هو مفت بقوله . فإذا نظر الناس إليه وهو يعمل بأمره
هو مخالفة ^(١) حصل في اعتقادهم جوازه ، ويقولون : لو كان ممنوعاً
أو مكروهاً لامتنع منه العالم . هذا وإن نص على منعه أو كراهته ، فإن عمله
معارض لقوله ؛ فإما أن يقول العامي : إن العالم خالف بذلك ، ويجوز عليه
مثل ذلك . وهم عقلاء الناس وهم الأقلون . وإما أن يقول : أنه وجد فيه
رخصة فانه لو كان كما قال لم (يات) به فيرجح بين قوله وفعله . والفعل أغلب
من القول في جهة التأمي - كما تبين في كتاب الموافقات - فيعمل
العامي بعمل العالم تحسیناً للظن به فيعتقده جائزاً ؛ وهوؤلاء هم الأكثرون .
فقد صار عمل العالم عند العامي حجة ، كما كان قوله حجة على

(١) كذا في الأصل : وهو تحريف ظاهر ، والمعنى مفهوم من القرينة وهو :
فإذا نظر إليه الناس يعمل ، يأمر هو بمخالفته أي بتركه حصل في اعتقادهم جوازه .

(المنار—ج ١٠ م ١٧) زلة العالم. سكوت الخواص على بدع العوام ٧٦٧

الاطلاق والعموم في الفتيا ، فاجتمع على العامي العمل مع اعتقاد الجواز
بشبهة دليل ، وهذا عين البدعة

بل قد وقع مثل هذا في طائفة ممن تميز عن العامة بانتصاب في رتبة
العلماء ، فعملوا العمل ببدعة الدعاء بهيئة الاجتماع في آثار الصلوات ، وقراءة
الحزب ، حجة في جواز العمل بالبدع في الجملة ، وإن منها ما هو حسن ؛
وكان منهم من ارتسم في طريقة التصوف فأجاز التعبد لله بالعبادات
المتبعة ، واحتج بالحزب والدعاء بعد الصلاة — كما تقدم —

وممنهم من اعتقد أنه ما عمل به إلا المستند ، فوضعه في كتاب وجعله
فقها كـ بعض أماريد الرس ممن قيد على الامة ابن زيد .

وأصل جميع ذلك سكوت الخواص عن البيان ، والعمل به على الغفلة ،
ومن هنا تستشنع زلة العالم ، فقد قالوا : ثلاث تهدم الدين — زلة العالم ،
وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة ضالون .

وكل ذلك عائد وباله على عالم^(١) وزله المذكور عند العلماء يحتمل
وجهين : (أحدهما) زله في النظر حتى يفتي بما خالف الكتاب والسنة
فيتابع عليه ؛ وذلك الفتيا بالقول . والثاني زله في العمل بالمخالفات ،
فيتابع عليها أيضا على التأويل المذكور ؛ وهو في الاعتبار قائم مقام الفتيا
بالقول ؛ إذ قد علم أنه متبع ومنظور اليه ، وهو مع ذلك يظهر بقوله
ما ينهى عنه الشارع ، فكأنه مفت به — على ما تقرر في الاصول —

والثاني من قسمي المفسدة الحالية أن يعمل بها العوام وتشيع فيهم
نهر فلا ينكرها الخواص ولا يرفعون لها رؤسهم^(٢) قادرون على
(كذا ولعل أصله « على العالم » بفتح اللام على حد قولهم : إذا زل العالم
« زل العالم » بالفتح » (٢) سقط من هنا كلمة ربما كانت « وهم »

الانكار فلم يفعلوا ، فالعالم من شأنه اذا رأى أمراً مجهلاً حكمه بعمل العامل به فلا ينكر عليه ، اعتقد أنه جائز وأنه حسن أو أنه مشروع ؛ بخلاف ما اذا أنكر عليه فإنه يعتقد انه عيب ، أو أنه غير مشروع (أو) أنه ليس من فعل المسلمين . هذا أمر يلزم من ليس بعالم بالشرعية ، لان مستنده الخواص والعلماء في الجائز مع غير الجائز .

فاذا عدم الانكار ممن شأنه الانكار ، مع ظهور العمل وانتشاره وعدم خوف المنكر ووجود القدرة عليه ، فلم يفعل ؛ دل عند العوام أنه فعل جائز لا حرج فيه ، فتشأ فيه هذا الاعتقاد الفاسد بتأويل يقنع بمثله من العوام^(١) فصارت المخالفة بدعة - كما في القسم الاول -

وقد ثبت في الاصول ان العالم في الناس قائم مقام النبي عليه الصلاة والسلام ؛ والعلماء ورثة الانبياء ؛ فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم يدل على الاحكام بقوله وفعله واقاره ، كذلك وارثه يدل على الاحكام بقوله وفعله واقاره . واعتبر ذلك ببعض ما أحدث في المساجد من الامور المنهي عنها فلم ينظرها العلماء ، أو عملوا بها فصارت بعد سننا ومشروعات ، كزيادتهم مع الاذان « أصبح والله الحمد » والوضوء للصلاة ، « تأهبوا » ، ودعاء المؤذنين بالليل في الصوامع ؛ وربما احتجوا ذلك بعض الناس بما وضع في نوازل ابن سهل غفلة عما عليه فيه^(٢) وقد قيدنا في ذلك جزءاً مفرداً فمن أراد الشفاء في المسئلة فعليه به ، وبالله التوفيق .

(١) كذا ولعل الاصل « من كان من العوام » (٢) لعل الاصل « وربما احتجوا على ذلك بما يفعله بعض الناس وبما وضع في نوازل ابن سهل غفلة عما أخذ عليه فيه » أو أن في الكلام حذفاً غير ما ذكر تصح به العبارة

وخرج أبو داود قال : اهتم النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة كيف يجمع الناس لها ، فقليل : انصب راية عند حضور الصلاة فاذا رآوها أذن بعضهم بعضاً . فلم يعجبه ذلك ؛ - قال - فذكر له القمع ، يعني الشبور ، وفي رواية شبور اليهود فلم يعجبه ؛ وقال « هو من أمر اليهود - قال : فذكر له النافوس ، فقال - هو من أمر النصارى » فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه وهو مهتم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأري الاذان في منامه - إلى آخر الحديث .

وفي مسلم عن أنس بن مالك أنه قال : ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشيء يعرفونه ، فذكروا أن ينوروا ناراً ، أو يضربوا ناقوساً^(١) فأمر بلال أن يشفع الاذان ويوتر الإقامة . والقمع والشبور - هو البوق - وهو القرن الذي وقع في حديث ابن عمر رضي الله عنهما . فأنت ترى كيف كره النبي صلى الله عليه وسلم شأن الكفار فلم يعمل على موافقته . فكان ينبغي لمن اتسم بسمه العلم أن ينكر ما أحدث من ذلك في المساجد اعلاماً بالالوقات أو غير اعلام بها ؛ أما الاية فقد وضعت اعلاماً بالالوقات ، وذلك شائع في بلاد المغرب ، حتى أن الاذان معها قد صار في حكم التبع^(٢)

(١) يظهر انه قد سقط من هذا الموضع كلام بمعنى ما تقدم من الاعراض عن هذه الاشياء لانها شعائر الملل السابقة ، وبما كان من اختيار الاذان ، ثم فرغ عليه امر بلال بالترقية بين الاذان والإقامة بجعله شفعاً وجعلها وتراً (٢) في بعض بلاد الشام يرفعون علماً من منارة الجامع الذي يكون فيه الموقت لاجل ان يراه المؤذنون من سائر المنارات فيؤذنون في وقت واحد ، وإنما يكون ذلك في وقت الظهر والعصر والمغرب

وأما البوق فهو العلم في رمضان على غروب الشمس ودخول وقت الإفطار ، ثم هو علم أيضاً بالمغرب والاندلس على وقت السحور ابتداءً وانتهاءً^(١) والحديث قد جمع علما لانهاء نداء ابن أم مكتوم قال ابن شهاب : وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت .

وفي مسلم وأبي داود « لا يمنع أحدكم نداء بلال من سحوره فانه يؤذن ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم » الحديث . فقد جعل اذان بلال لان ينتبه النائم لما يحتاج اليه من سحوره وغيره ؛ فالبوق ما شأنه ؛ وقد كرهه عليه السلام ، ومثله النار التي ترفع دائماً في اوقات الليل وبالعشاء والصبح في رمضان ايضاً ، اعلاما بدخوله ، فتوقد في داخل المسجد ثم في وقت السحور ، ثم ترفع في المنار اعلاما بالوقت ؛ والنار شعار المجوس في الاصل .

قال ابن العربي : اول من اتخذ البخور في المسجد بنو برمك يحيى بن خالد ومحمد بن خالد — ملكهما الوالي امر الدين فكان محمد بن خالد حاجبا ويحيى وزيراً ، ثم ابنه جعفر بن يحيى — قال — وكانوا باطنية يعتقدون آراء الفلاسفة ، فاحبوا المجوسية ، واتخذوا البخور في المساجد — وانما تطيب بالخلوق — فزادوا التجمير^(٢) ويعمرونها بالنار منقولة حتى

(١) قد استبدلت المدافع في هذا العصر بالبوق (٢) قال بعض المؤرخين ان البرامكة زينوا للرشيدي وضع الحجامر في الكعبة المشرفة ليأمن الناس من وضع النار في اعظم معابدتهم ، والنار معبود المجوس . والظاهر ان البرامكة كانوا من رؤساء جمعيات المجوس السرية التي تحاول هدم الاسلام وسلطة العرب وبلادهم للديوس . وانما فتك بههارون الرشيد لانه وقف على دينهم

يجعلوها عند الاندلس يخورها ثابتة^(١) انتهى.

وحاصله ان النار ليس ايقادها في المساجد من شأن السلف الصالح ، ولا كانت مما تزين بها المساجد البتة ، ثم احدث التزين بها حتى صارت من جملة ما يعظم به رمضان ، واعتقد العامة هذا كما اعتقدوا طلب البوق في رمضان في المساجد ، حتى لقد سأل بعض عنه : اهو سنة ام لا ؟ ولا يشك احد ان غالب العوام يعتقدون ان مثل هذه الامور مشروعة على الجملة في المساجد ، وذلك بسبب ترك الخواص الانكار عليهم . وكذلك ايضا لما لم يتخذ الناقوس للاعلام ، حاول الشيطان فيه بمكيدة أخرى ، فعلق بالمساجد واعتد به في جملة الآلات التي توقد عليها النيران وتزخرف بها المساجد ، زيادة الى زخرفها بغير ذلك ، كما تزخرف الكنائس والبيع

ومثله ايقاد الشمع بعرفة ليلة الثامن : ذكر النواوي انها من البدع القبيحة ، وانها ضلالة فاحشة جمع فيها انواع من القبائح - : منها اضاءة للمال في غير وجهه ، ومنها اظهار شعائر المجوس ، ومنها اختلاط الرجال والنساء والشمع بينهم ووجوههم بارزة ، ومنها تقديم دخول عرفة قبل وقتها المشروع اه .

وقد ذكر الطرطوشي في ايقاد المساجد في رمضان بعض هذه الامور ، وذكر ايضا قبائح سواها . فاين هذا كله من انكار مالك لتحنج المؤذن او ضربه الباب ليعلم بالفجر ، او وضع الرداء ؟ وهو اقرب صراما وأيسر خطبا من ان تنشأ بدع محدثات ، يعتقدها العوام سننا بسبب

(١) كذا في الاصل ولعله قد سقط من الكلام شيء

سكوت العلماء والخواص عن الانكار وسبب عملهم بها .

*
* *

واما الفسدة المالية فهي على فرض ^(١) ان يكون الناس عاينين بحكم المخالفة ، وانها قد ينشأ الصغير على رؤيتها وظهورها ، ويدخل في الاسلام احد ممن يراها شائعة ذائعة فيعتقدونها جائزة او مشروعة . لان المخالفة اذا فشا في الناس فعلها من غير انكار ، لم يكن عند الجاهل بها فرق بينها وبين سائر المباحات او الطاعات .

وعندنا كراهية العلماء ان يكون الكفار صيارفة في اسواق المسلمين لعاملهم بالربا ^(٢) فكل من يره من العامة صيارف وتجارا في اسواقنا من غير انكار يعتقد ان ذلك جائز كذلك ، وانت ترى مذهب مالك المعروف في بلادنا ان الحلي الموضوع من الذهب والفضة لا يجوز بيعه بجنسه الا وزنا بوزن ، ولا اعتبار بقيمة الصياغة اصلا ^(٣) والصاغة عندنا كلهم او غالبهم يتبايعون على ذلك ان يستفضلوا قيمة الصياغة او اجارتها ، ويعتقدون ان ذلك جائز لهم ، ولم يزل العلماء من السلف الصالح ومن بعدهم يتحفظون من أمثال هذه الاشياء ، حتى كانوا يتركون السنن خوفا من اعتقاد العوام أصرا هو اشد من ترك السنن ، وأولى أن يتركوا المباحات أن لا يعتقد فيها أمر ليس بمشروع - وقد مر بيان هذا في باب البيان من كتاب الموافقات . فقد ذكروا ان عثمان رضي الله عنه كان لا يقصر في السفر

(١) قوله «على فرض» ظرف خبر قوله «فهي» والجملة من المبتدأ والخبر خبر قوله «واما الفسدة المالية» (٢) اصل اصابه : لعاملهم او لتعاملهم بالربا (٣) في كتاب أعلام الموقعين للمحقق ابن القيم بيان وتحقيق لاعتبار قيمة الصياغة وجواز بيع الحلي بأكثر من زنته لاجل ذلك

فيقال له : أليس قد قصرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول بلى ولكنني إمام الناس فينظر اليه الاعراب وأهل البادية أصلي ركعتين فيقولون : هكذا فرضت .^(١)

قال الطرطوشي : تأملوا رحمكم الله : فإن في القصر قولين لأهل الاسلام — منهم من يقول : فريضة . ومن أتم فانما يتم ويعيد أبداً ، ومنهم من يقول : سنة . يعيد من أتم في الوقت . ثم افتحم عثمان ترك الفرض أو السنة لما خاف من سوء العاقبة أن يعتقد الناس أن الفرض ركعتان .

وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يضحون (يعني أنهم لا يلتزمون) قال حذيفة بن أسد : شهدت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يضحيان مخافة أن يرى أنها واجبة . وقال بلال : لا أبالي أن أضحي بكبشين أو بديك . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يشتري لحماً بدرهم يوم الاضحية ، ويقول لعكرمة : من سألك فقل هذه أضحية ابن عباس . وقال ابن مسعود : اني لا ترك أضحيتي — واني لمن أيسركم — مخافة أن يظن أنها واجبة . وقال طارس : ما رأيت بيتاً أكثر لحماً وخبزاً وعلاً من بيت ابن عباس ، يذبح وينحر كل يوم ، ثم لا يذبح يوم العيد ، وإنما كان يفعل ذلك لئلا يظن الناس أنها واجبة . وكان اماماً يقتدى به .

قال الطرطوشي : والقول في هذا كالذي قبله ، وإن لأهل الاسلام قولين في الاضحية أحدهما سنة والثاني واجبة . ثم اقتحمت الصحابة

(١) تقدم ذكر هذه المسألة مع تنبيه في الحاشية على ما أجابوا به عن عثمان فيها
(٢) لعل المنعول وهو « الاضحية » سقط من قلم الناسخ

ترك السنة حذرا من أن يضع الناس الامر على غير وجهه فيعتقدونها فريضة .

قال مالك في الموطأ في صيام ستة بعد الفطر من رمضان : انه لم ير أحدا من أهل العلم والفقهاء يصومها - قال - ولم يباغني ذلك عن أحد من السلف ، وان أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته ، وأن يلحق أهل الجهالة والجفاء برمضان ما ليس منه لو رأوا في ذلك رخصة من أهل العلم ، ورأوهم يقولون ذلك . فكلام مالك هنا ليس فيه دليل على أنه لم يحفظ الحديث كما توهم بعضهم ، بل لعل كلامه مشعر بأنه يعلمه ، لكنه لم ير العمل عليه وان كان مستحبا في الاصل ؛ لئلا يكون ذريعة لما قال ، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في الأضحية ، وعثمان في الاتمام في السفر . وحكى الماوردي ما هو أغرب من هذا وان كان هو الاصل ؛ فذكر ان الناس كانوا اذا صلوا في الصحن من جامع البصرة أو الطريقة ورفعوا من السجود مسحوا جباههم من التراب ، كأنه كان مفروشا بالتراب ، فأمر زياد بإلقاء الحصى في صحن المسجد ؛ وقال : لست آمن من أن يطول الزمان فيظن الصغير اذا نشأ ان مسح الجبهة من أثر السجود سنة في الصلاة . وهذا في مباح ؛ فكيف به في المكروه والممنوع ؟ . ولقد بلغني في هذا الزمان عن بعض من هو حديث عهد بالاسلام أنه قال في الخمر : ليست بحرام ولا عيب فيها ؛ وانما العيب أن يفعل بها ما لا يصلح كالقتل وشبهه . وهذا الاعتقاد لو كان ممن نشأ في الاسلام كان كفرا ، لانه انكار لما علم من دين الأئمة ضرورة ؛ وبسبب ذلك ترك الانكار من الولاية على شاربها ، والتخلية بينهم وبين اقتنائها ، وشهرته

بحارة أهل الذمة فيها^(١) وأشباه ذلك .

ولا معنى للبدعة الا أن يكون الفعل في اعتقاد المبتدع مشروعاً وليس بمشروع . وهذا الحال متوقع أو واقع . فقد حكى القرافي عن العجم ما يقتضي أن ستة الايام من شوال ملحقة عندهم برمضان ، لا بقائهم حالة رمضان الخاصة به كما هي الى تمام الستة الايام . وكذلك وقع عندنا مثله ؛ - وقد مر في الباب الاول -

وجميع هذا منوط ائمه بمن يترك الانكار من العلماء أو غيرهم ، أو من يعمل ببعضها برأى من الناس أو في مواقعهم ؛ فانهم الاصل في انتشار هذه الاعتقادات في المعاصي أو غيرها .

واذا تقرر هذا فالبدعة تنشأ عن أربعة أوجه (أحدها) - وهو أظهر الاقسام - أن يخترعها المبتدع . (والثاني) أن يعمل بها العالم على وجه المخالفة فيفهمها الجاهل مشروعة (والثالث) أن يعمل بها الجاهل مع سكوت العالم عن الانكار وهو قادر عليه ، فيفهم الجاهل أنها ليست بمخالفة . (والرابع) من باب الذرائع ، وهي أن يكون العمل في أصله معروفاً ، الا أنه يتبدل الاعتقاد فيه مع طول العهد بالذكري .

الا أن هذه الاقسام ليست على وزان واحد ، ولا يقع اسم البدعة عليها بالتواطئ ، بل هي في القرب والبعد على تفاوت . فالاول هو التحقيق

(١) ينظر ما مراده بهذه الجملة . والظاهر أنه كان لأهل الذمة في الاندلس حارات يسكنونها وحدهم أو يكثرون فيها وان الخمر كانت تباع فيها . كما هي الحال في بعض بلاد المسلمين بالشرق

باسم البدعة ، فانها تؤخذ علة بالنص عليها ، ويليه القسم الثاني ، فان العمل يشبهه التنصيص بالقول ؛ بل قد يكون أبلغ منه في مواضع - كما تبين في الاصول - غير أنه لا ينزل هاهنا من كل وجه . منزلة الدليل أن العالم قد يعمل وينص على قبسح عمله . ولذلك قلوا لا تنظر الى عمل العالم ولكن سله يصدقك . وقال الخليل بن أحمد أو غيره :

اعمل بعلمي ولا تنظر الى عملي

ينفعك عامي ولا يضررك تقصيري

ويليه القسم الثالث ، فان ترك الانكار ، - مع أن رتبة المنكر رتبة من يعد ذلك منه اقرار ، - يقتضي أن الفعل غير منكر ، ولكن ينزل منزلة ما قبله ، لان الصوارف للقدرة كثيرة ، قد يكون الترك لعذر بخلاف الفعل ، فانه لا عذر في فعل الانسان بالمخالفة ، مع علمه بكونها

ويليه القسم الرابع ، لان المحذور الحالي فيما تقدم غير واقع فيه رض ، فلا تبلغ المفسدة المتوقعة أن تساوي رتبة الواقعة أصلا ، فلذلك كانت من باب الذرائع ، فهي اذا لم تبلغ أن تكون في الحال بدعة ، فلا تدخل بهذا النظر تحت حقيقة البدعة .

وأما القسم الثاني والثالث فالمخالفة فيه بالذات ، والبدعة من خارج ، الا أنها لازمة لزوما عاديا ، ولزوم الثاني أقوى من لزوم الثالث . والله أعلم .

فصل^{*}

ومن منازل « اياك نعبد واياك نستعين منزلة التعظيم »

وهذه المنزلة تابعة للمعرفة فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب ، وأعرف الناس به اشدّهم له تعظيما واجلالا ، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته ، ولا عرفه حق معرفته ، ولا وصفه حق صفته . واقوالهم تدور على هذا . وقال تعالى « ما لكم لا ترجون لله وقارا » قال ابن عباس ومجاهد : لا ترجون لله عظمة ، وقال سعيد بن جبیر : ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته ؟ وقال الكلبي : لا تخافون الله عظمة . قال البغوي : والرجاء بمعنى الخوف ، والوقار العظمة اسم من التوقير ، وهو التعظيم . وقال الحسن : لا تعرفون الله حقا ، ولا تشكرون له نعمة . وقال ابن كيسان . لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا . وروح العبادة هو الاجلال والمحبة ، فاذا خلى احدهما عن الآخر فسدت العبودية ، فاذا اقترن بهذين الثناء على المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد ، والله سبحانه اعلم

فصل

قال صاحب المنازل رحمه الله (التعظيم معرفة العظمة مع التذلل لها ، وهو على ثلاث درجات : الاولى تعظيم الامر والنهي ؛ وان لا يعارضا بترخص جاف ، ولا يعرضا لتشدّد غال ، ولا يحملا على علة توهم الاتقياء) هاهنا ثلاثة اشياء تنافي تعظيم الامر والنهي (احدها) الترخص الذي يحفّوه به صاحبه عن كمال الامتثال (والثاني) الغلو الذي يتجاوز به صاحبه حدود الامر والنهي ، فالاول تفريط والثاني افراط . وما امر الله بامر الا وللشيطان فيه نزغتان ، إما الى تفريط وإضاعة ، وإما الى افراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه ، كالوادي بين الجبلين ،
(* منقول من الجزء الثاني من مدارج السالكين

والهدى بين ضلالتين ، والوسط بين طرفين ذميين . وكما ان الجاني عن الامر مضيق له . فانغالي فيه مصيغ له ، هذا بتقصيره عن الحد ، وهذا بتجاوزه عن الحد وقد نهى الله عن الغلو بقوله (قل : يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) والغلو نوعان نوع يخرج عن كونه مطيعا ، كن زاد في الصلاة ركعة ، او صام الدهر مع ايام النهي ، اوردى الجمرات بالصخور الكبار التي يرمى بها في المنجنيق ، او سعى بين الصفا والمروة عشرا ، او نحو ذلك عمدا . وغلو يخاف منه الاقطاع والاستحسار ، كقيام الليل كله ، وسرد الصيام الدهر اجمع بدون صوم ايام النهي ، والجور على النفوس في العبادات والاوراد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم « ان الدين يسر ، وان يشاد الدين احد الاغلبة ، فسددوا وقاربوا ويسروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » يعني استعينوا على طاعة الله بالاعمال في هذه الاوقات الثلاثة فان المسافر يستعين على قطع مسافة السفر بالسير فيها ، وقال « ليصل احدكم نشاطه فاذا فتر فليبرق » رواها البخاري . وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « هلك المتعظمون » - قالها ثلاثا - وهم المتعظمون المتشددون وفي صحيح البخاري عنه « عليكم من الاعمال ما تطيقون ، فوالله لا يعمل الله حتى تملاوا » وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « ان هذا الدين متين فارغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله » او كما قال

واما قوله « ولا يحمل على علة توهن الانقياد » يريد ان لا يتأول في الامر والنهي علة تعود عليه بالابطال ، كما تأول بعضهم تحريم الخمر بانه معطل بايقاع العداوة والبغضاء والتعرض للفساد ، فاذا أمن من هذا المحذور منه جاز شربه ، كما قيل :

أدرها فيما التحريم فيها لذاتها ولكن لاسباب تضمنها السكر

اذا لم يكن سكر يفضل عن الهدى فسيان ماء في الزجاجة أو خمر

وقد بالغ هذا بأقوام الى الانسلاخ من الدين جملة ، وقد حمل طائفة من العلماء أنت جعلوا تحريم ما عدا شراب العنب معطلا بالاسكار ، فله أن يشرب منه ما لم يسكر

ومن العلل التي توهن الانقياد أن يعمل الحكم بعلة ضعيفة لم تكن هي الباعثة

(المنار - ج ١٠ م ١٧) الدرجة ٢١ تعظيم الحكم الكوني و بهم يكون ٧٧٩

عليه في نفس الامر فيضف انقياده اذا قام عنده ان هذه هي علة الحكم ، ولهذا طريقة القوم عدم التعرض لعمال التكاليف خشية هذا المحذور . وفي بعض الآثار القديمة « يا بني اسرائيل لا تقولوا لم أمر ربنا ولكن قولوا بهم أمر ربنا » وأيضا فانه اذا لم يمثل الامر حتى تظهر له علة لم يكن منقادا للامر ، وأقل درجاته أن يضيف انقياده له ، وأيضا فانه اذا نظر الى حكم العبادات والتكاليف مثلا (١) وجعل العلة فيها هي جمعية القلب والاقبال به على الله فقال : أنا اشتغل بالمقصود عن الوسيلة ، فاشتغل بجمعيته وخلوته عن أوراد العبادات فمطأها ، وترك الانقياد بحمله الامر على العلة التي اذهبت انقياده ، وكل هذا من ترك تعظيم الامر والنهي ، وقد دخل من هذا الفساد على كثير من الطوائف مالا يعلمه الا الله ، فما يدري ما أوهنت لعمال الفاسدة من الانقياد الا الله ، وكم عطلت لله من أمر ، وأباحت من نهي وحرمت من مباح ، وهي التي اتفقت كلمة الساف على ذمها

فصل

قال (الدرجة الثانية تعظيم الحكم أن لا يبغي له عوج ، أو يدافع بهلم ، أو يرضى بعوض) الدرجة الاولى تتضمن تعظيم الحكم الديني الشرعي ، وهذه الدرجة تتضمن تعظيم الحكم الكوني القدري ، وهو الذي يخصه المصنف باسم الحكم ، وكما يجب على العبد أن يرعى حكم الله الديني بالتعظيم فكذلك يرعى حكمه الكوني به ، قد ذكر من تعظيمه ثلاثة أشياء (أحدها) « أن لا يبغي له عوج ، أي يطلب له عوج أو يرى فيه عوج بل يرى كله مستقيما ، لانه صادر عن عين الحكمة فلا عوج فيه ، وهذا موضع أشكل على الناس جدا . فقالت نفاة القدر : ما في خلق الرحمن من تفاوت ولا عوج ، والكفر والمعاصي مشتملة على أعظم التفاوت والعوج ، فليست بخاتمة ولا مشيئة ولا قدره . وقالت فرقة تقابلهم : بل هي من خلق الرحمن وقدره ، فلا عوج فيها وكل ما في الوجود مستقيم . والطائفتان منحرفتان عن الهدى . وهذه الثانية أشد انحرافا ، لأنها جعلت الكفر

(١) أنظر أين جواب هذا الشرط ؟

مستقبلا لا عوج فيه، وعدم تفريق الطائفتين بين القضاء والمقضي والحكم والمحكوم به هو الذي أوقعهم فيما أوقعهم فيه

وقول سلف الامة وجهورها ان القضاء غير المقضي ، فالقضاء فعله ومشيته وما قام به ، والمقضي مفعوله المبين له المنفصل عنه ، وهو المشتمل على الخير والشر والعوج والاستقامة ، فقضاؤه كله حق ، والمقضي منه حق ومنه باطل . وقضاؤه كله عدل ، والمقضي منه عدل ومنه جور ، وقضاؤه كله مرضي ، والمقضي منه مرضي ومنه مسخوط . وقضاؤه كله مسلم ، والمقضي منه ما يسالم ومنه ما يحارب وهذا أصل عظيم تجب مراعاته ، وهو موضع مزلة أقدام كما رأيت ، والمنحرف عنه اما جاحد للحكمة أو القدرة أو للامر والشرع ولا بد ، وعلى هذا يحمل كلام صاحب المنازل رحمه الله ، اي لا يتنقى للحكم عوج .

وأما قوله « أو يدفع بعلم » فأشكل من الاول ، فان العلم مقدم على القدر وحاكم عليه ، ولا يجوز دفع العلم بالحكم . فأحسن ما يحمل عليه كلامه أن يقال : قضاء الله وقدره وحكمه الكوني ، لا يناقض دينه وشرعه وحكمه الديني ، بحيث تقع المدافعة بينهما ، لان هذا مشيئته الكونية وهذا ارادته الدينية . وان كان المراد ان قد يتدافعان ويتعارضان ، لكن من تعظيم كل منهما أن لا يدافع بالآخر ويعارض ، فأنهما وصفان للرب تعالى ، وأوصافه لا يدفع بعضها بعض ، وان استعند ببعضها من بعض . فالكل منه سبحانه وهو المميز من نفسه بنفسه ، كما قال أعلم الخلق به « أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك » فرضاؤه وان أعاذ من سخطه فإنه لا يطله و (لا) يدفعه ، وانما يدفع تعلقه بالمستعند ، وتعلقه بأعدائه باق غير زائل ، فهكذا أمره وقدره سواء ، فان أمره لا يطل قدره ، ولا قدره يطل أمره ، ولكن يدفع ما قضاؤه وقدره بما أمر به وأحبه ، وهو أيضا من قضاؤه ، فما دفع قضاؤه لا بقضائه وأمره ، فلم يدفع العلم بالحكم بل المحكوم به ، والعلم والحكم دفعا المحكوم به الذي قدر دفعه وأمر به

فأمل هذا فانه محض العبودية والمعرفة والایمان بالقدر والاستسلام له ، والقيام بالامر والتنفيذ له بالقدر ، فما نفذ المطيع أمر الله الا بقدر الله ، ولا دفع مقدور

الله الا بقدر الله وأمره

وأما قوله « ولا يرضى بعوض » أي ان صاحب مشهد الحكم قد وصل الى حد لا يطلب معه عوضا ولا يكون ممن يعبد الله بالعوض ؛ فانه يشاهد جريان حكم الله عليه وعدم تصرفه في نفسه ، وان المتصرف فيه حقا مالكة الحق ، فهو الذي يقيمه ويقعده ويقبله ذات اليقين وذات الشمال ، وانما يطلب العوض من غاب عن الحكم وذهل عنه ، وذلك مناف لتعظيمه ، فمن تعظيمه ان لا يرضى العبد بعوض يطلبه بعمله ، لان مشاهدة الحكم وتعظيمه يمنعه ان يرى لنفسه ما يعاوض عليه. فهذا الذي يمكن حمل كلامه عليه من غير خروج عن حقيقة الامر. والله سبحانه أعلم

فصل

قال (الدرجة الثالثة تعظيم الحق سبحانه ، وهو أن لا يجمل دونه سببا ، ولا يرى عليه حقا ، ولا ينازع له اختيارا) هذه الدرجة تتضمن تعظيم الحاكم سبحانه صاحب الخلق والامر ، والتي قبلها تتضمن تعظيم قضائه لامرئيه ، والاولى تتضمن تعظيم أمره . وذ كر من تعظيمه ثلاثة اشياء (أحدها) « ان لا يجمل (١) دونه سببا » أي لا يجمل للوصلة اليه سببا غيره ، بل هو الذي يوصل اليه عبده ، فلا يوصل الى الله لا الله ، ولا يقرب اليه سواه ، ولا أدلى اليه غيره ، ولا يتوصل الى رضاه إلا به ، فبادل على الله الا الله ، ولا هدى اليه سواه ، ولا أدنى اليه غيره ، فانه سبحانه هو الذي جعل السبب سببا ، فالسبب وسببته وايصاله ، كله خلقه وفعله (الثاني) أن لا يرى عليه حقا ، أي لا ترى لاحد من الخلق لالك ولا لغيرك حقا على الله ، بل الحق لله على خلقه . وفي أثر اسراييلي ان داود عليه السلام قال : يارب بحق آبائي عليك . فأوحى الله تعالى اليه : يا داود ! أي حق لا بآبائك علي ؟ ألسنت أنا الذي هديتهم ومننت عليهم واصطفيتهم ولي الحق عليهم ؟

(١) الظاهر ان نسخة الشارح بالخطاب وأن ذكر عبارة المتن وما يأتي من حكايته في الشرح بافعال الغائب من تصرف النساخ

وأما حقوق العبيد على الله تعالى من اثاره لمطيعهم وتوابعه على تائبهم وإجابته لساألهم ، فلكل حقوق أحقها الله سبحانه على نفسه بحكم وعده واحسانه ، لا أنها حقوق أحقها هم عليه ، فالحق في الحقيقة لله على عبده ، وحق العبد عليه هو ما اقتضاه جوده وبره واحسانه اليه بمحض جوده وكرمه . هذا قول أهل التوفيق والبصائر ، وهو وسط بين قواين منحرفين قد تقدم ذكرهما مرارا . والله أعلم

وأما قوله (١) «ولا ينازع له اختيار» أي اذا رأيت الله عز وجل قد اختار لك أو لغيرك شيئا إماما بأمره ودينه ، وإما بقضائه وقدره ، فلا تنازع اختياره ، بل ارض باختيار ما اختاره ، فان ذلك من تعظيمه سبحانه . ولا يرد عليه ما قدره عليه من المعاصي ، فانه سبحانه وان قدرها لكنه لم ينجسها له ، فمنازعتها غير اختياره من عبده ، وذلك من تمام تعظيم العبد له سبحانه . والله أعلم اهـ

(المنار) هذا الكلام لا يسلم على إطلاقه بل له قيد لا بد منه . وقد سبق للمصنف تحقيقه فلماذا اكتفى هنا بالاجمال . وانما نحتاج الى القيد اذا أردنا بالاختيار متعلقه وهو ما اختاره الله لنا من الامور ، وهو المقضي والمقدر . كما هو المتبادر هنا . فهذا اذا كان شرا لنا كالأعراض والمظالم والفتن فانه لا يشرع لنا ان نرضى به ، بل يجب ان نقاومه وندافع الاقدار بالأقدار ، كما قال عمر بن الخطاب باقرار جمهور من الصحابة (رض) عند ما فر من الشام ولم يدخلها لوباء فيها « نفر من قدر الله الى قدر الله » اما نفس اختيار الله تعالى الذي هو فعله فلا وجه لمنازعته فيه ، ولا تردد في الرضا به وعدم الاعتراض عليه فيه . ولا فرق بين الذي قلناه آنفا - وقد سبق تقرير المصنف له - وبين ما قاله هنا آنفا في المعاصي ، ومسألة الاختيار مبهمة هنا ، فاختياره تعالى بالمعنى المصدري لا ينازع ولا يعارض مطلقا . وهو يتناول كل ما قضاه وقدره لأنه فعله ، وكل أفعاله اختيارية . فلا يمكن ان يقال أنه قدر المعاصي بغير اختيار منه . وأما الاختيار بالمعنى الجاصل بالمصدر أي ما اختاره سبحانه لعباده فهو قسمان أفعال وأحكام ، او خلق وأمر ، فأما أحكام دينه وأمره ونهيها فلا ينازع فيها بل تؤخذ بالرضاء والتسليم ، واما أفعاله التي تقع بقدره وحسب سننه في خلقه فقسمان ، أحدها ما يوافق مصالح الناس ومنافعهم فيجب الرضاء بها مع الشكر عليها ، وثانيها ما لا يوافق مصالحهم ومنافعهم كالأعراض ومعدي بين الظالمين وطغيان المياه ، فهذه تنازع وتقاوم مع الصبر عليها .

(١) كان الظاهر أن يحكى هذا بالعدد فيقول : الثالث ان لا ينازع له اختيارا

أقوال علماء السلف الاثبات

في عقيدة السلف واثبات الصفات

٢

﴿ احمد بن محمد بن حنبل شيخ الاسلام ﴾

رحمه الله ثراه ^(١) وجعل الجنة مثواه

المنقول عن هذا الامام في هذا الباب طيب كثير مبارك فيه ، فهو حامل لواء السنة ، والصابر في المحنة ، والمشهود بأنه من اهل الجنة ، فقد تواتر عنه تكفير من قال بخناق القرآن العظيم جل منزله ، واثبات الرؤية والصفات والعلو والقدر ، وتقديم الشيخين ، وان الايمان يزيد وينقص — الى غير ذلك من عقود الديانة مما يطول شرحه ، فقال يوسف بن موسى القطان شيخ ابي بكر الخلال : قيل لابي عبد الله : الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه .

وقال ابو طالب احمد بن حميد : سألت احمد بن حنبل عن رجل قال : الله معنا وتلا (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هورابهم) فقال قد تجهم هذا ، يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها ، قرأت عليه (ألم تر ان الله يعلم) فعلمه معهم . وقال في سورة ق (ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) فعلمه معهم .

قال المروذي قلت لابي عبد الله : ان رجلا قال اقول كما قال الله

(١) كذا ولعل اصله طيب الله ثراه — أو — رحمه الله وطيب ثراه

(ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) اقول هذا ولا اجاوزه الى غيره .
فقال هذا كلام الجهمية بل علمه معهم ، فأول الآية يدل على انه علمه .
رواه ابن بطة في كتاب الإبانة عن عمر بن محمد رجاء عن محمد بن داود
عن المروذي

وقال حنبل بن اسحاق قيل لابي عبد الله ما معنى (وهو معكم)؟ قال :
علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حدود ولا صفة .

قال ابن ابي حاتم في كتاب مناقب الامام احمد : ثنا محمد بن مسلم
نا سلامة بن شديد قال كنت عند احمد بن حنبل ، فدخل عليه رجل
عليه اثر السفر فقال : من فيكم احمد بن حنبل ؟ فأشاروا الى احمد بن حنبل ،
فقال اني ضربت البر والبحر من أربع مائة فرسخ ، اتاني الخضر عليه
السلام فقال ائت احمد بن حنبل فقل له ان ساكن السماء راض عنك لما
بدلت نفسك في هذا الامر .

قال الاثرم قلت لابي عبد الله حدثنا وانا عنده بحديث « يضع
الرحمن فيها قدمه » وعنده غلام ، فأقبل على الغلام فقال ان لهذا تفسيراً .
فقال ابو عبد الله : انظر اليه كما تقول الجهمية سواء .

قال ابن ابي حاتم ثنا صالح بن احمد بن حنبل قال : سمعت ابي
يحتج بان القرآن غير مخلوق ، يقول قال تعالى (الرحمن علم القرآن)
فأخبر تعالى ان القرآن من علمه ، قال يعقوب الدورقي قال لي احمد : اللفظة
انما يدورون على كلام جهم ، يزعمون ان جبريل انما جاء بشيء مخلوق
هو اسحاق بن راهويه عالم خراسان

قال حرب بن اسماعيل الكرماني قلت لاسحاق بن راهويه قوله

تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) كيف تقول فيه ؟ قال
حيثما كنت فهو اقرب اليك من حبل الوريد ، وهو بائن من خلقه .
ثم ذكر عن ابن المبارك قوله : هو على عرشه ، بائن من خلقه . ثم قال
أعلى شيء في ذلك وايبته قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) رواها
الخلال في السنة عن حرب

﴿ الحافظ أبو عوانة صاحب الصحيح ﴾

كان من كبار الحفاظ ، حمل عن أصحاب سفيان بن عيينة ووكيع . قال
الحاكم في ترجمته : سمعت يحيى بن منصور القاضي يقول : سمعت أبا عوانة
رحمه الله يقول : دخلت على ابراهيم المزني في مرضه الذي مات فيه فقلت
له : ما قولك في القرآن ؟ فقال كلام الله غير مخلوق . فقلت هلا قلت قبل
هذا ؟ قال : لم يزل هذا قولي وكرهت الكلام فيه لان الشافعي كان ينهى عن
الكلام فيه ، يعني البحث والجدال في ذلك

﴿ أبو الحسن الاشعري صاحب التصانيف ﴾

قال الامام أبو الحسن علي بن اسماعيل بن أبي بشر الاشعري البصري
المتكلم في كتابه الذي سماه (اختلاف المضايين ومقالات الاسلاميين)
فذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم الى أن قال (ذكر مقالة
أهل السنة ، وأصحاب الحديث جملة) قولهم الاقرار بالله وملائكته وكتبه
ورسله ، وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، لا ردون من ذلك شيئاً ، وان الله على عرشه كما قال (الرحمن على
العرش استوى) وان له يدين بلا كيف كما قال « لما خلقت بيدي » وان

أسماء الله لا يقال انها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن الله علما كما قال «أنزله بعلمه» وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه» وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما تفته المعتزلة ، وقالوا : لا يكون في الارض من خير وشر الا ما شاء الله ، وان الاشياء تكون بمشيئته كما قال تعالى « وما تشاؤون الا أن يشاء الله » — الى أن قال : ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق . ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله ينزل الى السماء الدنيا فيقول هل مستغفر» كما جاء الحديث ، ويقولون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وان الله يقرب من خلقه كيف يشاء قال (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) — الى أن قال : فهذا جملة ما يأترون به ويستعملونه ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، واليه نذهب ، وما توفيقنا الا بالله وذكرا لاشعري في هذا الكتاب المذكور في باب (هل الباري تعالى في مكان دون مكان أم لا في مكان أم في كل مكان) فقال اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة : منها قال أهل السنة وأصحاب الحديث أنه ليس بجسم ولا يشبه الاشياء وانه على العرش كما قال (الرحمن على العرش استوى) ولا نتقدم بين يدي الله بالقول ، بل نقول استوى بلا كيف ، وان له يدين كما قال (خلقت بيدي) وانه ينزل الى سماء الدنيا كما جاء في الحديث

ثم قال : وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى وتأولوا اليد بمعنى النعمة ، وقوله (تجري بأعيننا) أي بعلمنا

وقال أبو الحسن الاشعري في (كتاب جمل المقالات) له — رأيت

بخط المحدث أبي علي بن شاذان — فسر د نحو امن هذا الكلام في مقالة
أصحاب الحديث تركت ايراد ألفاظه خوف الاطالة والمغنى واحد
وقال الاشعري في كتاب « الابانة في أصول الديانة » له في باب
الاستواء : فان قال قائل : ماتقولون في الاستواء ؟ قيل نقول ان الله
مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى — وقال — اليه يصعد
الكلم الطيب — وقال — بل رفعه الله اليه — وقال حكاية عن فرعون —
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلني ابلغ الاسباب اسباب السموات
فأطلع الى إله موسى واني لأظنه كاذبا » كذب موسى في قوله ان الله
فوق السموات . وقال عز وجل « وأنتم من في السماء أن يخسف بكم
الارض » فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات وكل
ما علا فهو سماء ، وليس اذا قال « وأنتم من في السماء » يعني جميع
السموات ، وانما أراد العرش الذي هو أعلى السموات ، ألا ترى انه
ذكر السموات فقال « وجعل القمر فيهن نورا » ولم يرد انه يملأهن جميعاً
قال : ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء ،
لان الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات ، فلولا ان الله على
العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش . وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية
والحرورية ان معنى استوى استولى وملك وقهر ، وانه تعالى في كل
مكان ، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق ، وذهبوا في
الاستواء الى القدرة . فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين
الأرض السابعة لانه قادر على كل شيء ، والأرض (شيء) فالله قادر عليها
وعلى الخلق ، فكذلك لو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز

أن يقال هو مستو على الاشياء كلها ، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : ان الله مستو على الاخلية والحشوش ، فبطل أن يكون الاستواء الاستيلاء . وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك

وكتاب الابانة من أشهر تصانيف أبي الحسن شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه ، ونسخه بخطه الامام محي الدين النواوي ، ونقل الامام أبو بكر بن فورك المقالة المذكورة عن أصحاب الحديث عن أبي الحسن الاشعري في كتاب (المقالات والخلاف ، بين الاشعري وبين أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري) تأليف ابن فورك فقال : الفصل الاول في ذكر ما حكى أبو الحسن رضي الله عنه في كتاب المقالات من جمل مذاهب أصحاب الحديث ، وما أبان في آخره انه يقول بجميع ذلك . ثم سرد ابن فورك المقالة بهيئتها ثم قال في آخرها : فهذا تحقيق لك من ألفاظه انه معتقد لهذه الاصول التي هي قواعد أصحاب الحديث وأساس توحيدهم

قال الحافظ أبو العباس أحمد بن ثابت الطرقي قرأت كتاب أبي الحسن الاشعري الموسومة بالابانة أدلة على اثبات الاستواء . قال في جملة ذلك : ومن دعاء أهل الاسلام اذا هم رغبوا الى الله يقولون : ياساكن العرش . ومن حلفهم : لا والذي احتجب بسبع

وقال الاستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله في شكاية أهل السنة : مانقموا من أبي الحسن الاشعري إلا أنه قال باثبات القدر ، واثبات صفات الجلال لله من قدرته وعلمه وحياته وسمعه وبصره ووجهه ويده . وأن القرآن كلامه غير مخلوق

سمعت ابا علي الدقاق يقول سمعت زاهر بن احمد الفقيه يقول : مات
الاشعري رحمه الله ورأسه في حجرى فكان يقول شيئا في حال نزعه :
لعن الله المعتزلة موهوا ومخرقوا .

قال الحافظ الحجة ابو القاسم ابن عساكر في كتاب (تبين كذب
المفتري . فيما نسب الى الاشعري) فاذا كان أبو الحسن رحمه الله كما ذكر
عنه من حسن الاعتقاد ، مستصوب المذهب عند أهل المعرفة والانتقاد ،
يوافقه في اكثر ما يذهب اليها كبار العباد ، ولا يقدح في مذهبه غير
أهل الجهل والعناد ، فلا بد أن يحكي عنه معتقده على وجهه بالامانة ، ليعلم
حاله في صحة عقيدته في الديانة ، فاسمع ما ذكره في كتاب الابانة ، فانه
قال « الحمد لله الواحد ، العزيز الماجد ، المتفرد بالتوحيد ، المتمجد
بالتمجيد ، الذي لا تبلغه صفات العبيد ، وليس له مثل ولا نديد » فرد في
خطبته على المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة . فعرفونا
قولكم^(١) الذي تقولون وديانتكم التي بها تدينون ؟ قيل له : قولنا الذي
به نقول ، وديانتنا التي بها ندين ، التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك
معتصمون ، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون ، ولمن
خالف قوله مجانبون ، لانه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أبان
الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج . وقع به المبتدعين . فرحمه
الله من امام مقدم . وكبير مفهم . وعلى جميع أئمة المسلمين . وجلة قولنا أن
نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله . ورواه الثقات عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا نرد من ذلك شيئاً . وأن الله اله واحد
فرد صمد لا اله غيره ، وأن محمدا عبده ورسوله . وأن الجنة والنار حق .
وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور . وأن الله
تعالى مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وأن له
وجها كما قال (ويبقى وجه ربك) وأنه له يدين كما قال (بل يدها
مبسوطتان) وأن له عينين بلا كيف كما قال (تجري بأعيننا) وأن من زعم
أن اسم الله غيره كان ضالا . وندين أن الله يرى بالابصار يوم القيامة
كما يرى القمر ليلة البدر . يراه المؤمنون — إلى أن قال : وندين بأنه
يقاب القلوب وأن القلوب بين أصبعين من أصابعه . وأنه يضع السموات
والارض على أصبع كما جاء في الحديث — إلى أن قال : وأنه يقرب من
خلقه كيف شاء كما قال (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وكما قال (ثم
دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) ونرى مفارقة كل داية إلى بدعة .
ومجانبة أهل الاهواء . وسنحتاج لما ذكرناه من قولنا وما بقي بابا بابا
وشيئا شيئا .

ثم قال ابن عساكر : فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه
واعترفوا بفضل هذا الامام الذي شرحه وبينه . وقال الحافظ بن عساكر :
وقال الامام أبو الحسن في كتابه الذي سماه « العمدة في الرؤية » :
الفنا كتابا كبيرا في الصفات تكلمنا فيه على أصناف المعتزلة والجهمية ، فيه
فنون كثيرة من الصفات في اثبات الوجه واليدين وفي استوائه على العرش
كان أبو الحسن أولا معتزليا أخذ عن أبي علي الجبائي . ثم نابذه ورد
عليه وصار متكلماً للسنة . ووافق أئمة الحديث في جمهور ما يقولونه ، وهو

ما سقناه عنه من أنه نقل اجماعهم على ذلك وأنه موافقهم . وكان يتوقد
ذكاء . أخذ علم الأثر عن الحافظ زكريا الساجي وتوفي سنة أربع وعشرين
وثلاثمائة وله أربع وستون سنة ، رحمه الله تعالى

فلو انتهى أصحابنا المتكلمون الى مقالة أبي الحسن هذه ولزموها
لأحسنوا ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ومشوا
خلف المنطق ، فلا قوة إلا بالله

﴿ ابن أبي زيد ﴾

قال الامام أبو محمد بن أبي زيد المغربي شيخ المالكية في أول رسالته
المشهورة في مذهب مالك الامام : وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته ،
وأنه في كل مكان بعلمه . وقد تقدم مثل هذه العبارة عن أبي جعفر بن أبي
شيبة وعثمان بن سعيد الدارمي . وكذلك أطلقها يحيى بن عمار وأعظ
سجستان في رسالته ، والحافظ أبو نصر الوائلي السجزي في كتاب الإبادة
له . فانه قال : وأئمتنا كالثوري ومالك والجمادان وابن عينة وابن المبارك
والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ، وأن
علمه بكل مكان . وكذلك أطلقها ابن عبد البر كما سيأتي . وكذا عبارة
شيخ الاسلام أبي اسماعيل الانصاري ، فانه قال : وفي أخبار شتى أن
الله في السماء السابعة على العرش بنفسه ، وكذا قال أبو الحسن الكرجي
الشافعي في تلك القصيدة :

عقائدكم أن الإله بذاته على عرشه مع علمه بالقوائ

وعلى هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة تقي الدين ابن الصلاح :

هذه عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث

وكذا أطلق هذه اللفظة أحمد بن ثابت الطرقي الحافظ والشيخ عبد
القادر الجيلاني ، والمفتي عبد العزيز القحيطي وطائفة . والله تعالى خالق كل
شيء بذاته ، ومدير الخلائق بذاته ، بلامعين ولا موازر . وإنما أراد ابن
أبي زيد وغيره التفرقة بين كونه تعالى معنا وبين كونه تعالى فوق العرش ،
فهو كما قال ومعنا بالعلم وأنه على العرش كما أعلمنا حيث يقول (الرحمن على
العرش استوى) وقد تلفظ بالكلمة المذكورة جماعة من العلماء كما قدمناه .
وبلا ريب أن فضول الكلام ، تركه من حسن الاسلام

وكان ابن أبي زيد من العلماء العالمين بالمغرب ، وكان يلقب بمالك
الصغير ، وكان غاية في علم الاصول . وقد ذكره الحافظ ابن عساكر في
كتاب « تبين كذب المفترى » فيما نسب الى الاشعري « ولم يذكره
وفاة . توفي سنة ست وثمانين وثلثمائة ، وقيل سنة تسع وثمانين وثلثمائة ،
وقد نعموا عليه في قوله بذاته فليته تركها ^(١)

(١) لله در المؤلف ما اللطف تقدمه وانكاره لهذه الكلمة . وإنما تلتطف هذا
التلطف لأن الهفوة من بعض علماء الاثر وأنصار مذهب السلف ، ولها قالها أحد
المعتزلة لشنع عليه بأنه قال في أصول العقيدة ما لم يقله أحد من السلف ولا ورد به
أثر ، ولا هو مما ثبت بالبرهان العقلي أيضاً . ولكثير من الاثريين مثل هذه
القفوات والشذوذ . يحشرون آراءهم في النصوص ويفسرونها مع ادعائهم اتباع
مذهب السلف وأنه التفويض والامسالك عن تعيين المراد من آيات الصفات
وأحاديثها . ونرى كثيراً من الناس يقبل منهم ذلك ويقول به ويعده اتباعاً للسلف
ولو بمعنى مخالفة الجهمية . ولا يستغرب مع هذا تسليمهم وقبولهم بعض الروايات
المنكرة المخالفة للاحاديث الصحيحة كقول جاهد أن الله تعالى يقعد النبي معه على
العرش . كأن من قبله اكتفى بأن يخالف الجهمية في عدم قبول مثله وأن صحح الا
بالتأويل . وقد تقدم بيان المصنف لنكارته ومخالفته للاحاديث الصحيحة مع ذكر
من قبله ، ونقل آثاق الدارقطني أنه لا يجحده !! على أن العقائد يطلب فيها القطع .
وهذا لم يصل الى مرتبة الظن . وهالك مخالفة أخرى لطريقة السلف بينها الغزالي . =

باب المراسلة والمناظرة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم
من انصاري الى الله

يا اخواني المسلمين ! رحمكم الله وحماكم ، وحفظكم ونجاكم ، ان بعض سكان بلدانكم المحروسة قد سمع حالاتي وعرفها ، واني ارى ان اذكر لكم مما انا عليه لازدياد المعرفة --- اني جئت من الهند من مدة تزيد على سنة ونصف الى لندرة ، واطلعت على حالات اهلها في صولهم على ديننا الحق ، تكدرت جدا لانهم يقدمونه بين يدي الناس بوجوه ردية لينفروهم عن القرب اليه ، وذلك بنقلهم الى البغث سمينه --- والى الكدر معينه --- والى الظلمات نوره --- والى الاخرية قصوره . فهذه بليّة عظمى على ديننا الاسلام ما سمع نظيرها من قبل . وما وجد مثلها في الاولين . فلما رأيت ذلك عزمت على أن اشمر الذيل لاشاعة الدين القويم ، واعلاء كلمة الحق ، وما اتوفيق الا بالله --- فالحمد لله ثم الحمد لله ، ما انصرفت سنة كاملة لا ورأيت التوجه الى ديننا الاسلام . وذلك فضل الله --- ان الله على كل شيء قدير --- فانكم قد سمعتم دخول لورد هيدلي في الاسلام ، وغيره أيضا من الرجال

في « إجماع العوام عن علم الكلام » وهي جمع معاني الآيات والاحاديث الواردة في الصفات بترتيب لم يرد في الكتاب والسنة بحيث يفيد الجمع معنى غير معنى الايمان بكل منها مع التنزيه عن الكيفية : كأن تلقن العامي عقيدته بمثل قولك : يجب أن تؤمن بان الله تعالى وجهها وعينين ويدين وقدمين وانه ينزل ويمشي ويهرول ويضحك . فان هذا يحدث في خيال العامي صورة حسية لعله لا يزيلها منه قولك وانه لا يشبه في ذلك البشر ولا غيرهم من الخلق . ومذهب السلف ان يذكر ماورد في السياق الذي ورد فيه ، مع اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه ، وترك التأويل ، والقال والقيـل

والنساء من الأمراء المشهورين، مثل [واي كونت] وابن الأمير الروسي (بوركويت) الذي تزوج ابنة الملك (اعني من أقارب خديو مصر) المسماة صالحة، فقد أسلم على يدي والحمد لله على ذلك، فالآن عدد الذين هم دخلوا في الاسلام ثلاثون شخصاً، وذلك من فضل الله تعالى. وإن شاء الله تعالى يدخلون في ديننا الاسلام جم كثير، لانه دين الفطرة السليمة — وليس المقصود التام بدخول بعض النصارى في الاسلام، بل المقصود التام قمع الشبهات، ورفع الاغلوطات، التي تحتوها اعداء الدين. ولذلك اجريت المجلة المسماة (إسلامك ريويو) والحمد لله تعالى قد قبلت بأحسن وجه، وسلمت طاقتها عند أولى البصائر

ولكن ياسادتي إني وحيد فريد — وإن تبليغ الاسلام، واشاعته بين الخواص والعوام، فرض واجب على كل مسلم ومسلمة. قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فلا بد من أهل الهم العالية السنية من اخواني المسلمين ان يوازروني ويمدوني بحصة من أموالهم لحصول الاجر والثواب في اشاعة ديننا الاسلام، وذلك ازدياد طبع مجلة (اسلامك ريويو) واشاعتها مجاناً في جميع الاطراف، فتكون فائدة تامة ان شاء الله تعالى.

ثم ترجمنا القرآن الكريم بلسان الانكليزي بأحسن وجه، ونريد طبعه واشاعته أيضاً، وأما التراجم التي طبعت فانها محشوة من الاغلوطات^(١) لانها ترجمة المخالفين، وقد فعلوا ما فعلوا — فإيا اخواني لا بد من طبع ترجمتها واشاعتها مع الأصل وتلك لا تكون الا ببذل المال الجزيل — وانكم مسلمون وقد بايعتم الله على أن لكم الجنة بأموالكم وأنفسكم. قال الله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وأيضاً ان الاسلام قد شاع أولاً في بلدانكم المحروسة فلها شرفية على سائر البلدان. ولذلك نرجو الاعانة منكم في ارسال حصة من أموالكم لأجل إشاعة القرآن الكريم، وإشاعة (إسلامك ريويو) قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال (يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)

(١) الاغلوطات المسائل التي يغلط فيها الناس أو يغالط بها بعضهم بعضاً. ولا قدرى أريد هذا أم يريد جمع الغلط

(النار — ج ١٠ م ١٧) استحالة ترجمة القرآن . دعوة الى النصرانية ٧٩٥

وقال سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم « من كان في عون اخيه كان الله في عونه »
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
(خواجا كمال الدين مدير اسلامك ريو يو)

[النار]

نحض من باخته هذه الدعوة على مساعدة اخينا صاحب هذه المجلة الاسلامية الانكليزية على ايداعها . وننصح له بأن لا يطبع ترجمة القرآن التي نوهبها الا بعد عرضها على جماعة من كبار العلماء في مصر أو الهند واجازتهم اياها . فان رسالته هذه تدل على ضعفه في اللغة العربية فيخشى ان تكون ترجمته كثيرة الغلط كغيرها . على ان ترجمة القرآن ترجمة تامة تؤدي من المعاني والتأثير ما تؤديه عبارته العربية ضرب من المحال . وحسب من يترجم القرآن للاجانب ان يأتيهم بتفسير مختصر سليم من الحشو وانما تقوم بذلك الجمعيات لا الافراد .

(بِسْمِ اللَّهِ الْهَادِي إِلَى الْحَق)

الدين النصيحة

الى اخوتي المسلمين . انني قد ولدت ونشأت مسلماً ودرست القرآن وتفاسيره مع العلوم الاسلامية على اعظم علماء سورية ومصر ورأيت القرآن يشهد بأنه جاء مصداقاً للتوراة والانجيل ومهيماً عليهما اي حافظاً لهما من التغير والتحريف لكن لدى دراستي للتوراة والانجيل رأيت القرآن يخالفهما في حقائق كثيرة لاسيما مخالفته لهما في مسألة الكفارة والفداء التي هي خلاصة الكتاب المقدس . مع أن القرآن قد تكلم عن القربان منذ زمن آدم وقد أثبتت السنة القربان في عيد الاضحى مع أن جميع القرايين والذبايح التي كانت تقدم في العهد القديم كلها رمز وإشارة الى الذبيحة الحقيقية (المسيح) الذي قدم نفسه قرباناً فدية عن الخاطئين الذين يؤمنون به والا فكيف يعقل أن حيواناً أبكم يكون فداء عن إنسان عاقل إذ لا بد أن يكون الفداء على الأقل معادلاً للمفتدي ان لم يكن الفداء آمن منه يأيها الاخوة تبصروا في هذا الامر المهم الذي يتوقف عليه خلاص نفوسكم من الهلاك الأبدى واعلموا

٧٩٦ تحريف متنصر . والفداء في النصرانية والاسلام (المنار - ج ١٠ م ١٧)

أن كاتب هذه الرسالة هو من سلالة نبيكم ونشأ مسلماً ولكن الله قد أنار بصيرته حتى رأى الحق صريحاً وذلك أن الكتاب المقدس هو كلمته وكتابه الوحيد لم يعتره تغيير ولا تحريف وأنه لا يمكن لأحد من البشر أن يتخلص من الهلاك إلا بدي إلا بواسطة كلمة الله المتجسد في أحشاء مريم وقد اتبعته وآمنت به واعتمدت باسمه تاركاً دين آبائي وأملاكي وأقاربي وأصدقائي لأجل أن أتخلص من الهلاك إلا بدي والآن أدعوكم وأنصحكم بإخلاص ومحبة أخوية لتقرأوا كتاب الله تاركين كل تحزب ونعصب اذ الدين بالاستدلال لا بالارث عن الآباء وحينئذ قلل الله نفسه يهديكم الى الصراط المستقيم الذي تطلبونه منه كل يوم مرات عديدة وإذا صعب فهم شيء من الكتاب المقدس على أحدكم فعليه بسؤال الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وهم يجيئونكم عن كل ما ترومونه والله القادر يرشدكم الى طريق الحق والحياة بنعمته وهدايته آمين

[المنار]

جاءتنا هذه الرسالة في البريد بامضاء متنصر سمي نفسه باسمين ، أواسم جعل نفسه به عبداً للإلهين ، وهو (عبد الله ، عبد القادي) ونحن لا نناقشه فيما ادعاه من النسب . ولا من ترك النسب . فأما دعواه دراسة التفسير والعلوم الاسلامية فلا يبعد ان يكون لها أصل ، لأن كثيراً من الناس يزاول دراسة بعض الكتب عدة سنين ولا يفهم منها شيئاً . ويجوز ان لا يكون له أصل ، ويرجح اذا كان الرجل صحيح الفهم . لأن من يدرس التفاسير وعلوم الاسلام لا يمكن ان يثبت مسألة الفداء الاخروي التي صرح بنفيها القرآن . ويستدل عليها بالاضحية والتقربان ، فالقرآن انما شرع لنا الفدية في الدنيا فقط ، كفدية الصيام لمن بطيقه بمشقة شديدة لحرم أوداء عضال وهي أن يطعم عن كل يوم مسكيناً ، وفدية محرمات الاحرام قال تعالى (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) وفداء الاسير ، ويفدى لاسير بمثله أو بمال كما هو المتبع عند جميع الامم . وأما النجاة في الآخرة فانما تكون بالايان الصحيح والعمل الصالح كما هو منصوص في الآيات الكثيرة . ولا يمكن ان تكون بفداء . قل الله تعالى (٥) الذين كفروا لو أن هم ما في الارض جميعاً ومثله دعا لفتدوا به من عذاب الله

القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب مقيم) وقال تعالى في شأن يوم القيامة (٢ : ١٢٣) واتقوا يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) والعدل هنا الفدية وهو بمعنى المعادل وأما حكمة الاضحية وما في معناها من النسك فهي التوسعة على الفقراء ومساواتهم بالاغنياء في خير اطعمتهم وألذها. قال تعالى (ان ينال الله لحوماً اولاً دماً وها ولكن يناله التقوى منكم)

فمن عرف هذه الضروريات من الاسلام يحزم بأن صاحب هذه النشرة إما كاذب في دعواه انه كان مسلماً وأنه قرأ شيئاً من علم الاسلام ، وإما انه قرأ شيئاً وهو يتعمد اليوم تحريفه وتبديله ، ويريد ان يغش عوام المسلمين به كما يفعل امثاله واقتاله . فعليه ان ينصح نفسه قبل ان ينصح غيره ، وان يعلم ان الدنيا لا تنفي عن الآخرة التي لا تنفعه فيها فدية فادولاً شفاعة شافع ، الا أن يؤمن بالله وحده ، ويزكي نفسه بالعمل الصالح (فما تنفعهم شفاعة الشافعين ، فما لهم عن التذكرة معرضين) ان التحريف صار صنعة لدعاة النصرانية حتى ان من يلتصق بهم لأمر ما لا يلبث ان يتقن صنعتهم ، ولهذا نرى صاحب هذه الرسالة حرف ماورد من الفدية في القرآن عن موضعه ، ووضع له معنى طالما صرح القرآن بطلانه ، كما حرف معنى قوله تعالى « ومهيئنا عليه » ومعناه ان القرآن رقيب على ما قبله من الكتب الالهية يظهر ما حرف منها ويفضح أصحابه ، فجعله بمعنى منع الناس من تحريفه بالفعل لا باظهار تحريفهم ، وكيف يكون مانعاً من شيء وقع قبل نزوله ؟ ولا يبعد ان يدعي في رسالة أخرى ان القرآن يثبت التثليث ، وينهى عن التوحيد !! ألم تر انه ادعى أن خلاصة الكتاب المقدس - أي ما يعزى الى انبياء بني اسرائيل من وحي وغيره - لا تخرج عن معنى الكفارة والافداء ؟ وهذه دعوى افتحرها القوم الذين التصق بهم ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا خطرت على بل أحد من الانبياء ولا ممن عاصروهم أو جاء بعدهم من الاحبار ، وقد بينا من قبل أصلها ومأخذها فلا حاجة الى اعادته هنا.

وأعجب من هذا وذلك أن مثل هذا الرجل يذكّر كلمة « الدين بالاستدلال » فيالله العجب من تهافت نوع الانسان !!

(جيوش الدول المتحاربة)

انشأ المقطم مقالا مطولا عنوانه (الجيوش المتحاربة — تأليفها وعددها في زمن السلم والحرب) قال في الفصل الذي تكلم فيه عن الجيش الألماني (في عدد الجمعة ٧ أغسطس ١٥ رمضان) بعد تفصيل :

« فيكون مجموع الجيش الألماني كله في زمن الحرب خمسة ملايين ومئة وخمسين ألف جندي . ولكن الثقات الحربيين لا يظنون أن ألمانيا تستطيع رصد هذا العدد من الجنود للحرب ويرجحون أنها لا تقوى على رصد أكثر من ١٥٠.٠٠٠ رء — ٥٠٠.٠٠٠ رء جندي على أكبر تقدير » وقال في آخرها : « ويقول الثقات العسكريون الذين شهدوا مناورات الجيش الألماني ان الفنون الحربية والحركات العسكرية المتبعة فيه صارت قديمة (!) وان رجال المدفعية في الجيش الفرنسي أمهر في الرماية منهم في الجيش الألماني . ولكن كلا الجيشين متساويان في سرعة التعبئة ، فان الجيش الألماني يعبأ كله في تسعة أيام ويوضع على حدود روسيا أو على حدود فرنسا »

وقال في آخر الفصل الذي عقده لجيش فرنسة (في عدد السبت ٨ أغسطس) « ويبلغ عدد الجيش الفرنسي في زمن الحرب نحو أربعة ملايين جندي وفيه نحو ثلاثة آلاف مدفع . والجندي الفرنسي مشهور باقدامه وكره وحماسته وشجاعته ومقدرته على تحمل المشاق وقوة الابتكار الفائقة . ورجال المدفعية الفرنسيون احسن رجال المدفوعات في العالم في الرماية ، وهم متمرنون عليها ولا سيما على اطلاق المدافع السريعة تمرنا لأمثل له في الجيوش الاوربية . وموضع الضعف في الجيش الفرنسي هو في مدفعيته الكبيرة

« وتم تعبئته الجيش الفرنسي في ثمانية أيام و ١٢ ساعة ، أي انه يعبأ اسرع من الجيش الألماني باثنتي عشرة ساعة

« وسلاح الجنود بندقية ابل من عيار ١٣ ، وهي طراز قديم قليلا ولكنها أحدث من بندقية موزر المستعملة في الجيش الألماني . اما مدافع الميدان فمن التي

قطر فوهتها ثلاث بوصات وهي أحدث من مدافع الميدان في الجيش الألماني أيضا (١) وقال في أواخر الفصل الذي عقد للجيش الروسي « اما قوته في زمن الحرب فلا حد لها وإنما يقال انها تبلغ سبعة ملايين ونصف مليون جندي ، فهو اضعف جيوش الارض وأكبرها كلها »

ثم ذكر ان تعبثته تستغرق نحو ثلاثة أسابيع وان هذا وضع الضعف فيه . وقال في الفصل الذي عقد للجيش الانكليزي ان جملة في زمن السلم في الامبراطورية كلها ٨١٠٨٤٩ وكان في العام الماضي ٩٩١ ر ٧٢٩ « ثم ذكر انه سيزاد حتى يبلغ مليوناً ونصف مليون

(برقيات الحرب ملخصة من المقطم)

(استعداد الدوا الكبرى)

(من لندن ٣١ يوليو) طلبت الحكومة الألمانية من الحكومة الروسية ان تكف عن تعبثته الجيوش والا فانها تشرع في التعبئة مقابلة لها بالمثل والظاهر ان روسية مصممة على التدرع بالحزم ووقوف موقف صحيح العزيمة في المشكلة الحالية

تظن دوائر برلين السياسية ان الحكومة الألمانية تشرع في التعبئة اليوم (الجمعة) والاستعداد في فرنسا وانكاثرة قائم على ساق وقدم والهمة مبذولة لاعداد كل ما يستطاع بأسرع ما يستطاع

(١ أغسطس) أصدر قيصر روسية أمره بجعل تعبثته الجيوش عامة في جميع انحاء الامبراطورية الروسية ، وكانت (من قبل) مقتصرة على خمسين ولاية منها وقد أجابت ألمانيا على هذا الأمر باعلان الحكم العرفي في جميع انحاء الامبراطورية الألمانية . وينتظر ان يسري الحكم العرفي بعد التعبئة يوم السبت (اليوم) وقد شرعت كل من ألمانيا وفرنسة وروسية في إرسال الفيالق الى الحدود من قبيل الاستعداد والاحتياط أما الاحتياطات التي تتخذ في بريطانيا العظمى فمن أعظم ما يكون .

(١) في برقية من لندن للمقظم الذي صدر في ١٤ أغسطس ما نصده : اعلان ولاية الامور رسميا هنا ان مدافع الميدان الألمانية من طبقة واطئة جدا

(اعلان الحرب وبدءها)

(لندن - ٢ أغسطس) علمت وكالة ان تلغرافا رسميا وصل الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم وفيه ان الالمانيين غزوا فرنسا واجتازوا الحدود عند سيري (بلدة على الحدود قرب ستراسبورج)

(برلين - ٢ منه) غزا جيش روسي بمدافعه وفرسانه من القوزاق بلاد ألمانيا بقرب بيللا (لندن ٢ أغسطس) رسمي : أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا . وقد برح كل من سفير روسية في برلين وسفير ألمانيا في بطرسبرج مقر وظيفته

وقد شرعت الحكومة الفرنسية في تعبئة جيشها استعدادا للحرب وكانت ألمانيا قبل ذلك قد أرسلت امس (السبت) بلاغا نهائيا الى روسيا وفرنسا وأعطتهما مهلة اثنتي عشرة ساعة للاجابة عليه . فكان جواب روسيا وفرنسا عليه جوابا غير مرضي . وشاع بعد ارسال ألمانيا لبلاغها النهائي انها مدت هذه المهلة حتى ظهر يوم الاثنين وتوسط ملك الانكليز في الامر فأرسل تلغرافين لقيصر روسيا وامبراطور ألمانيا ولكن كل المساعي ذهبت ادراج الرياح فيما يظهر

(لندن ٤ منه) برح السفير الألماني باريس في الليلة البارحة قم بذلك قطع العلاقات السياسية تماما بين لدولتين

استولى الالمانيون على ثلاث مدن وثلاث جزر روسية في بحر البلطيك (لندن ٥ منه رسمي : أعلنت انكلترة الحرب على ألمانيا الساعة السابعة من امس .) بناء على عدم احترام ألمانيا حياد بلجيكة)

(برلين ٥ منه) أعلنت ألمانيا الحرب على انكلترة (وبدأت الحرب بينها وبين بلجيكة) لندن ٧ منه أعلنت النمسة الحرب رسميا على روسيا

لندن ١٣ منه أعلنت انكلترة الحرب في منتصف هذا الليل على النمسة والمجر

﴿ منع المنار من السودان ﴾

أمرت حكومة السودان بمصادرة مجلة المنار واحراق نسخها ، وما أئذرتنا ولا أخبرتتنا ، بل علمنا ذلك من بعض المشتركين . وكان ذلك في غيبة الحاكم العام فلما عاد من أوربة بعد وقوع الحرب شكونا اليه ذلك ، وضالناه باسم الحرية الدينية التي امتاز بالعناية باحترامها انصافنا ولعله يفعل عن قريب

يؤتي الحكيم من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الملك
١٣١٥

فمن عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين مهداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : أو لا أراكم صوفى رءوسهم كمنار العريق

مصر سابع ذي القعدة ١٣٣٢ هـ ق ٣٠ الخريف الثاني ١٢٩٣ هـ ش ١٩ / أكتوبر ١٩١٤ م

صفات الباري تعالى

تحقيق الحق في مذاهب السلف واختلاف الخلف فيها

فتوى للامام الشوكاني رحمه الله تعالى

اعلم ان الكلام في الآيات والاحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذبوله،
وتشعبت أطرافه، وتباينت فيه المذاهب، وتفاوتت فيه الطرائق، وتخالفت النحل.
وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين الى العلم حيث أوقفهم الله، ودخولهم في أبواب لم
يأذن الله لهم بدخولها، ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه، حتى تفرقوا فرقا، وتشعبوا
شعبا، وصاروا أحزابا، وكانوا في البداية ومحاولة الوصول الى ما يتصورونه من العامة
مختلفي المقاصد، متبايني المطالب

فطائفة وهي أخف هذه الطوائف المتكلفة علم ما لم يكلفها الله سبحانه بعلمه أسماء،
وأقلها عقوبة وجرما، وهي التي أرادت الوصول الى الحق والوقوف على الصواب،
لكن سلك في طلبه طريقة متوعدة، وصعدت في الكشف عنه الى عقبة كؤود،
لا يرجع من سلكها سالما فضلا عن أن يظفر فيها بمطلوب صحيح. ومع هذا أصَّلوا
أصولا ظنوها حقا، فدفعوا بها آيات قرآنية، وأحاديث صحيحة نبوية، واعتلوا في
ذلك الدفع بشبهة واهية، وحالات مختلفة

وهؤلاء هم طائفتان الطائفة الاولى هي الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت
الى حسد يقشمر عنده الجلد، ويضطرب له القلب، من تعطيل الصفات الثابتة
بالكتاب والسنة ثبوتنا أوضح من شمس النهار، وأظهر من فلق الصباح، وظنوا هذا
من صديقهم موافقا للحق. مطابقا لما يريد الله سبحانه، فضاوا الطريق المستقيمة
وأضلوا من رام سالكها

والطائفة الاخرى هي طائفة التي غلت في إثبات القدرة خلوا بلغ الى حد أنه
تأثيرهم، ولا اعتبارا بآيات الله، ونقض ذلك الى أبهى المحض. واقسم الخالص

فلم يبق لبعثة الرسل وانزال الكتب كبير فائدة، ولا يعود ذلك على عباده بعائدة؛ وجاؤا بتأويلات للآيات الدينية، ومحاولات لحجج الله الواضحات. فكانوا كالطائفة الاولى في الضلال والاضلال. مع ان كلا المقصدين صحيح، ووجه كل منهما صحيح، لولا ما شانه من الغلو القبيح.

وطائفة توسطت^(١) ورامت الجمع بين الضب والنون، وظنت انها قد وقفت بمكان بين الافراط والتفريط. ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق في زعمها، وتجول على الاخرى ونصول بما ظفرت به مما يوافق مذهبها اليه، وكل حزب بما لديهم فرحون. وعند الله تلتقي الخصوم

ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريق السلف أسلم، ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم، فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأهمية بطريق الخلف ان تمنى محققهم وأذكياءهم في آخر أمرهم دين المعجاز، وقالوا هنياً للعامة! فتدبر هذه الأهمية التي كان حاصلها أن يهنا من ظفر لاهل الجهل (؟) البسيط، ويتمنى أنه في عدادهم، ومن تدين بدينهم، ويمشي على طريقهم. فان هذا ينادي بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة، على أن هذه الأهمية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير. فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه ان الجهل خير منه، ويتمنى عند البلوغ الى غايته، والوصول الى نهايته، ان يكون جاهلاً به، عاطلاً عنه؟ ففي هذا عبرة للمعتبرين، وآية ينة للناظرين، فهلا عملوا على جهل هذا المعارف التي دخلوا فيها بادي بدء، وسلموا من تبعاتها، وأراحوا أنفسهم من تعبها، وقالوا كما قال القائل :

رأى الامر يفضي الى آخر فصير آخره أولاً

وربحوا الخلو من هذا الثني والسلامة من هذه التهنئة للعامة؛ فان الناقل لا يتمنى رتبة مثل رتبة أو دونها، ولا يهني لمن هو مثله أو دونه، بل لا يكون ذلك الا لمن رتبته أرفع من رتبته، ومكانه أعلى من مكانه، فيالله العجب من علم يكرم الجهل البسيط أعلى رتبة منه. وأفضل مقدارا بالنسبة اليه؛ وهل سمع السامعون مثل هذه الغريبة أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها

(١) هي فرقة الاشعرية التي توسطت بين المعتزلة والاشعرية الثانية

وإذا كان حال هذه الطائفة^(١) التي قد عرفناك أنها أخف الطوائف تكلفا، وأقلها تبعة فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها، وتبين بطلان مواردها ومصادرها، كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به كباد الاسلام وأهله، والسعي في التشكيك فيه، بإيراد الشبه وتقرير الامور المفضية الى التمدح في الدين وتغيير أهله عنه^(٢)

وعند هذا تعلم ان خير الامور السالفات على الهدى، وشر الامور المحدثات البدائع^(٣)؛ وان الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وقد كانوا رحمهم الله تعالى وأرشدنا إلى الاقتداء بهم، والاهتداء بهديهم، يرون آيات الصفات على ظاهرها، ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون، ولا يحرفون ولا يؤولون، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم، والمتقرر من مذاهبهم، لا يشك فيه شك، ولا ينكره منكر، ولا يجادل فيه مجادل، وان نزغ من بينهم نازغ، أو نجم في عصرهم ناجم، أوضحوا للناس أمره، ويذنبوا لهم أنه على ضلالة، وصرحوا بذلك في الجامع والمحافل، وحذروا الناس من بدعته، كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني وأصحابه وقالوا «ان الامر أنف»^(٤) فبرؤا منه، ويذنبوا ضلالاته وبطلان عقائده للناس، فحذوره، الا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال ويحذرهم منها، كما فعله التابعون رحمهم الله بالجمع بن درهم ومن قال بقوله واتحل نحلته الباطلة^(٥)

ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المتدع في الصفات ان يتظاهر بدعته، بل

(١) الاشعرية (٢) هذا وصف طوائف الباطنية كالاسماعيلية والبايية

(٣) هذا بيت شعر أوله : وخير الامور الخ جعله نثرا

(٤) أنف بضم ن أي مستأنف جديد . يعني أن أفعال الباري تعالى ليست

بقدر سابق : ولا نظام اقتضته الحكمة ، وإنما يتبدى كل فعل ابتداء . وهم القدرية أي منكرو القدر

(٥) ثم الجهمية منكرو الصفات الالهية

يتكتمون بها كما يتكتم الزنادقة بكفرهم. وهكذا سائر المبتدعين في الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة

ولسكننا تقتصر ههنا على الكلام في هذه المسئلة التي ورد السؤال عنها وهي مسئلة الصفات وما كان من المتكافين علم ما لم يأذن الله بأن يعلموه، وبيان ان اصرار آيات الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وان كل من اراد من نزاع المتكافين، وشذاذ المحرفين المتأولين، أن يظهر ما يخالف المرور على ذلك الظاهر، قاموا عليه وحذروا الناس منه . وبينوا لهم انه على خلاف ما عليه اهل الاسلام

فصار المبتدعون في الصفات، القائلون بأقوال تخالف ما عليه السواد الاعظم من الصحابة والتابعين، وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم الا مغرور، ولا يندفع بزخارف اقوالهم الا مخدوع، وهم مع ذلك على تخوف من اهل الاسلام، وترقب لتزول مكروه بهم من حماة الدين، من العلماء الهادين. والروضاء والسلاطين، حتى نجم نجم المحنة، وبرق بأرق الشر من جهة الدولة، ومن لهم في الامر والنهي والاصدار والابرار أعظم صولة . وذلك في الدولة المأمونية بسبب قاضيها أحمد بن أبي دواد . فعند ذلك أطلع المنكشون في تلك الزوايا رؤوسهم، وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم، وأعلنوا مذاهبهم الزائفة، وبدعهم المضلة، ودعوا الناس اليها، وجادلوا عنها، وناضلوا المخالفين لها، حتى اختلط المعروف بالمنكر، واشتبه على العامة الحق بالباطل، والسنة بالبدعة

ولما كان الله سبحانه قد تكفل باظهار دينه على الدين كله وحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل، أوجد من علماء الكتاب والسنة لهم في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم، وينكر على أهل البدع بدعهم، فكان لهم — والله الحمد — المقامات المحمودة، والمواقف المشهورة، في نصر الدين، وهتك المبتدعين

وبهذا الكلام القليل الذي ذكرناه نعرف أن مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم هو إصرار آيات الصفات على ظاهرها، من دون تحريف لها، ولا تأويل متعسف لشيء منها، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل، يفضي اليه كثير من

(المنار - ج ١١ م ١٧) سيرة السلف وهدىهم والمذاهب المبتدعة بعدهم ٨٢١

التأويل. وكانوا اذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل، وأمسكوا عن القول والقييل، وقالوا قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك، ولا تتكلف ولا تتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته، فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه، ونهوه عن طلب مالا يمكن الوصول اليه، إلا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه. وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحفظه التابعون عن الصحابة، وحفظه من بعد التابعين عن التابعين.

وكان في هذه القرون الفاضلة، الكرامة في الصفات متحدة، والطريقة لهم جميعا متفقة، وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به، وكلفهم القيام بفرائضه، من الإيمان بالله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج والجهاد، وانفاق الأموال في أنواع البر، وطلب العلم النافع. وارشاد الناس الى الخير على اختلاف أنواعه، والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة والنجاة من النار، والقيام بالامور بالمعروف والنهي عن المنكر، والاختصاص على يد الظالم بحسب الاستطاعة، وبما تبلغ اليه القدرة، ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه، ولا تعبدتهم بالوقوف على حقيقته، فكان الدين ذاك صافيا عن كدر البدع، خالصا عن شوب قدر التمدد.

فعلى هذا النمط كان الصحابة والتابعون وتابعوهم، ويهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهتدوا، وبافعاله وأقواله اقتدوا، فمن قال انهم تلبسوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات أو غيرها، فقد أعظم عليهم الفرية، وليس بمقبول في ذلك، فإن نقول الأئمة المطاعين على أحوالهم العارفين بها الآخذين لها عن الثقات الاثبات، ترد عليه وعليهم وتدفع في وجهه.

يعلم ذلك كل من له علم، ويعرفه كل عارف، فاشدد يدك على هذا. واعلم أنه مذهب خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ودع عنك ما حدث من تلك المذاهب في الصفات وأرج نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون واصطلحوا عليها، ووجهها أصلا يرد إليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن وافقها

٨٢٢ جعل المذاهب أصولا يرد اليها وبها الكتاب والسنة (المنار - ج ١١ م ١٧)

فقد وافقا الاصول المقررة في زعمهم ، وان خالفها فقد خالفا الاصول المقررة في زعمهم ، ويجعلون الموافق لها من قسم المقبول والمحكم ، والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه ؛ ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى . أو ألف حديث مما ثبت في الصحيح . لم يبالوا به ولا رفعوا اليه رؤوسهم ، ولا عدوه شيئا . ومن كان منكرا لهذا فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة في علم الكلام . فانه سيقف على الحقيقة ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها

ومن العجب العجيب ، والنبأ الغريب ، ان تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام ، التي جعلها من بعدهم أصولا ، لا مستند لها الا مجرد الدعوى على العقل ، والفرية على الفطرة ، وكل فرد من أفرادها تنازعت فيه عقولهم ، وتخالفت فيه ادراكهم ، فهذا يقول حكم العقل في هذا كذا . وهذا يقول حكم العقل في هذا كذا . ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذي يعقله من يقلده ويقتدي به أصلا يرجع اليه ، ومعيارا لكلام الله وكلام رسوله ، يقبل منهما ما وافقه ويرد ما خالفه . فيا الله ويال المسلمين ! ويال علماء الدين ! من هذه الفواقر الموحشة التي لم يصب الاسلام وأهله بمثلها ؟

وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع ، انهم بعد أن جعلوا هذه التعلقات التي نعقلوها — على اختلافهم فيها ، وتناقضهم في معقولاتها — أصولا ترد اليها أدلة الكتاب والسنة ، جعلوها أيضا معيارا لصفات الرب سبحانه ، فما تعقله هذا من صفات الله قال به جزما ، وما تعقله خصمه منها قطع به . فأثبتوا لله الشيء ، ونقيضه ، استدلالا بحكمة به في صفات الله عقولهم المفسدة وتناقضت في شأنه ، ولم يلتفتوا الى ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، بل ان وجدوا ذلك موافقا لما نعقلوه جعلوه مؤيدا له ومقويا ، وقالوا قد ورد دليل السمع ، مطابقا لدليل العقل ؛ وان وجدوه مخالفا لما نعقلوه جعلوه واردا على خلاف الأصل ، ومثابها وغير معقول المعنى ، ولا ظاهر الدلالة ، ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم . فافترى على عقله . بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه ، وجعل ذلك أصلا يرد اليه أدلة الكتاب والسنة ، وجعل المتشابه عند أولئك محكما عنده . والمخالف لدليل العقل عندهم موافقا له عنده

فيكون حاصل كلام هؤلاء انهم يعلمون من صفات الله مالا يعلمه ، وكفالك بهذا

وليس بعده شيء ؛ وعنده يتعثر القلم حياء من الله عز وجل
وربما استبعد هذا مستبعد ، واستكبره مستكبر ، وقال ان في كلامي هذا مبالغة
وتهويلا ، وتشنيعا وتطويلا ، وان الامر أيسر من ان يكون حاصله هذا الحاصل الذي
ذكرت ، وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت اليها . فأقول : * خذ جملة البلوى ودع
تفصيلها * واسمع ما يصك سمعك ، ولولا هذا اللاحاح منك ما سمعته ولا جرى القلم بمثله
هذا أبو علي (١) وهو رأس من رؤسهم ، وركن من أركانهم ، واسطوانة من
أساطينهم ، قد حكى عنه الكبار منهم ، وآخر من حكى ذلك عنه صاحب شرح
القلائد - يقول : والله لا يعلم الله من نفسه الا ما يعلم هو !! فخذ هذا التصريح ، حيث
لم تكتف بذلك التلويح ، وانظر هذه الجرأة على الله التي ليس بعدها جرأة ،
فيالأم أبي علي الويل ! أينق بمثل هذا النهيق ، ويدخل نفسه في هذا المضيق ؟ وهل
سمع السامعون بيمين أ فجر من هذا اليمين الملعونة ؟ أو تقل الناقلون كلمة تقارب معنى
هذه الكلمة المفتونة ؟ أو بلغ مفتخر الى ما بلغ اليه هذا المختال الفخور ؟ أو وصل من
يفجر في ايمانه الى ما يقارب هذا الفجور ؟ وكل عاقل يعلم أن أحدا لو حلف ان ابنه
أو أباه لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو لكان كاذبا في يمينه فاجرا فيها . لأن كل فرد
من أفراد الناس ينطوي على صفات وغرائز لا يحب أن يطلع عليها غيره ، ويكره أن
يقف على شيء منها سواه . ومن ذا الذي يدري بما يحول في خاطر غيره ويستكن
في ضميره ؟ ومن ادعى علم ذلك وانه يعلم من غيره من بني آدم ما يعلمه ذلك الغير
من نفسه ، ولا يعلم ذلك الغير من نفسه الا ما لا يعلمه هذا المدعي ؛ فهو اما مصاب
العقل ، يهذي بما لا يدري ، ويتكلم بما لا يفهم ، أو كاذب شديد الكذب عظيم الاقتراء ،
فان هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه ، فهو الذي يحول بين المرء وقلبه ، ويعلم ما توسوس به
نفسه ؛ وما يسر عباده وما يعلنون ، وما يظهرون وما يكتُمون ، كما أخبرنا بذلك في كتابه

(١) يعني الجبائي . وانما جاء بالشاهد من قول المعتزلة لفظاعته ولأن أهل وطنه (المن)
من الزيدية لا يزالون يأخذون بأقوالهم . وما من فرقة من الفرق الا ولها شذوذ
في هذه المسائل ، حتى لم يسلم منه من سموا أنفسهم الاثرية أو الحنابلة ، فان منهم
من بالغ في الرد على غيره ، حتى قال ما لم يقله سلفه ، وكذلك الاشعرية الذين حاولوا
الجمع بين المأثور والمعقول

العزیز فی غیر موضع. فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما لا يعلمه الا الله سبحانه من عبادته، فما ظنك بمن تجاوز هذا وتعداه وأقسم بالله ان الله لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو؟ ولا يصح لنا ان نحمله على اختلال العقل؟ فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً يقتدي بقوله جماعات من أهل عصره ومن جاء بعده، وينقلون كلامه في الدفاتر، ويحكمون عنه في مقامات الاختلاف

ولعل أتباع هذا ومن يتتدي بمذهبه لو قال لهم قائل وأورد عليهم مورد قول الله عز وجل (ولا يحيطون به علماً) - وقوله - ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وقال لهم هذا يرد ما قاله صاحبهم ويدل على أن يمينه هذه فاجرة مفترقة - لئالوا : هذا ونحوه مما يدل دلالاته ويفيد مفاده من التشابه الوارد على خلاف دليل العقل المدفوع بالأصول المقررة

وبالجملة فاطالة ذبول الكلام في مثل هذا المقام إضاعة للاوقات ، واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات ؛ وليس مقصودنا ههنا الا ارشاد السائل الى أن المذهب الحق في الصفات هو إصرارها على ظاهرها من دون تأويل ولا تحريف ، ولا تكلف ولا تعسف ، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل ، وان ذلك هو مذهب السلف الصالح الصحابة والتابعين وتابعيهم

فان قلت: وماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكررهما فان أهل المذاهب الاسلامية يتنزهون عن ذلك ويتحاشون عنه. ولا يصدق معناه ويوجد مدلوله الا في طائفة من طوائف الكفار، وهم المنكرون للصانع (قلت) يا هذا ان كنت ممن له إمام بعلم الكلام ، الذي اصطالح عليه طوائف من أهل الاسلام فانه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم، ويدبرونه في مؤلفاتهم، ويحكمونه عن أكابرهم، ان الله سبحانه وتعالى وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجه (١) فأنشدك الله أي عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي ؟ وأي مبالغة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة ؟ فكان هؤلاء في فرارهم من شبهة

(١) قولهم هذا له تنمة وهي: ولا هو متصل به ولا هو منفصل عنه. ولا مباين له ولا محايث له ، ولا هو فينا ولا خارج عنا

التشبيه الى هذا التعطيل كما قال القائل:

فكنت كالساعي الى مشعب موائلا من سبل الراحه (١)

أو كالمستجير من الرمضاء بالنار، والهارب من لسعة الزنبور الى لدغة الحية، أو من قرصة النملة الى قضمة الاسد

وقد كان يعني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلمين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه، وأنزلهما على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهما (ولا يحيطون به علما - و - ليس كمثله شيء) فان هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب، وتضمنتا ما يعني أولى الالباب، السالكين في تلك الشعاب والهضاب، الصاعدين في متوعدات هاتيك العقاب

فالكلمة الاولى منهما دلت دلالة بيّنة على ان كل ماتكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق، ودعاوي التحقيق، فهو مشوب بشعبة من شعب الجهل، مخلوط بمخلوط هي منافية للعلم مباينة له، فان الله سبحانه قد أخبرنا انهم لا يحيطون به علما، فمن زعم ان ذاته كذا او صفته كذا، فلا شك ان صحة ذلك متوقفة على الاحاطة، وقد نفيت عن كل فرد، لأن هذه القضية هي في قوة: لا يحيط به فرد من الافراد علما، فكل قول من اقوال المتكلمين صادر عن جهل، اما من كل وجه او من بعض الوجوه، وما صدر عن جهل فهو مضاف الى جهل، ولا سيما اذا كان في ذات الله وصفاته، فان في ذلك من المخاطرة بالدين ما لم يكن في غيره من المسائل، وهذا يعلمه كل ذي علم ويعرفه كل عارف، ولم يحظ بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من ثمارها، الا المرون للصفات على ظاهرها، المريحون انفسهم عن التكاليف والتعسفات، والتأويلات والتجريفات، وهم السلف الصالح كما عرفت، فهم الذين اعترفوا بعدم الاحاطة واوقفوا انفسهم حيث اوقفها الله. وقالوا: الله اعلم بكيفية

(١) المشعب المكان الذي يتفجر منه الماء المجتمع في حوض ونحوه. والموائل اللاجئ الى مأمن يأمن به من ضرر أو شرب يخافه. والمعنى فكنت كالهارب من مطر يخافه الى سيل متفجر يحرقه. ولعل «سبل» محرفة عن «سيله»

ذاته، وماهية صفاته، بل العلم كله له: وقالوا كما قال من قال، ممن اشتغل بطلب هذا المحال، فلم يظفر بغير القيل والقال:

العلم للرحمن جل جلاله وسواه في جهلاته يتغنم
مالأتراب والعلوم وانما يسعى ليعلم انه لا يعلم
بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلفين بأنه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه
بما قنع به السلف الصالح الا بمجرد الحيرة التي وجد عليها غيره من المتكلفين فقال:
وقد طفت في تلك المعاهد كلها وسرحت طرفي بين تلك المعالم
فلم ار الا واضعا كف حائر على ذقن اوقارعا سن نادم

**

وها أنا (ذا) اخبرك عن نفسي، ووضح لك ما وقعت فيه في امسي، فاني ايام الطلب
وعنفوان الشباب، شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام، وتارة علم التوحيد،
وتارة علم اصول الدين؛ واكبت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم، ورميت الرجوع
بمائدة، والعود بمائدة، فلم اظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة؛ وكان ذلك من
الاسباب التي حبت اليّ مذهب السلف. على اني كنت من قبل ذلك عليه، ولكن
أردت أن ازداد فيه بصيرة وبه شغفا، وقلت عند النظر في تلك المذاهب:

وغاية ما حصلته من مباحثي ومن نظري من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة فما علم من لم يلق غير التعبير
على انني قد خضت منه غماره وما قنعت نفسي بدون التبهر

**

وأما الكلمة الثانية وهي (ليس كمثل شيء) فهي يستفاد نفي المماثلة في كل شيء. فيدفع
بهذه الآية في وجه المجسمة، ويعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع والبصير،
وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه القرآن والسنة،
فيتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات، لاعلى وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات، فيندفع
به جانبي^(١) الافراط والتفريط، وهما المبالغة في الاثبات المفضي الى التجسيم، والمبالغة
(١) كذا والصواب « جانباً » لانه فاعل يندفع، الا ان يكون في الكلام

نقص سقط به فاعل يندفع

في النفي المفضية الى التعطيل، فيخرج من بين الجانبين، وغلو الطرفين، حقيقة مذهب السلف الصالح، وهو قولهم بإثبات ما أثبت لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه الا هو، فانه القائل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

ومن جملة الصفات التي أمرها السلف على ظاهرها وأجروها على ما جاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل، صفة الاستواء التي ذكرها السائل فانهم يقولون نحن ثبت ما أثبتته الله لنفسه. من استوائه على عرشه، على هيئة لا يعلمها الا هو، وفي كيفية لا يدري بها سواه^(١) ولا نكلف أنفسنا غير هذا، فليس كمثله شيء، لاني ذاته ولا في صفاته، ولا يحيط عباده به علما

وهكذا يقولون في مسألة الجهة التي ذكرها السائل وأشار الى بعض ما فيه دليل عليها. والادلة في ذلك طويلة كثيرة في الكتاب والسنة، وقد جمع أهل العلم منها - لاسيما أهل الحديث - مباحث طويلة لها بذكريات قرآنية وأحاديث صحيحة، وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط في مجلد جمعه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب^(٢) والمسئلة أوضح من أن تلبس على عارف، وأبين من أن يحتاج فيها الى التطويل، ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الاسلامية، كثر الكلام فيها وفي مسألة الاستواء وطال، خصوصا بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب. فلم في ذلك تلك الفتن الكبرى، والملاحم العظمى، وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر

(١) انما يذكر لفظ الهيئة والكيفية في هذا المقام كما يذكر لفظ الصفة، بناء على ان ما يستعمل في الكلام عن الباري تعالى من الالفاظ انما يشار بها اشارة الى المعنى الشريف الذي يعرفه الخلق من أنفسهم مع نفي التشبيه والتمثيل من كل وجه بناء على ما ثبت من التنزيه عقلا وتقالا. ومن العلماء من يعبر عن مذهب السلف بنفي الكيف لا باثباته مع نفي العلم به، وهو ما عبروا عنه بالبلكفة المنحوتة من قولهم: بلا كيف

(٢) قد طبع هذا الكتاب في مطبعة المنار. وفيه أيضا ما نقل عن أشهر علماء السلف ومن بعدهم من كبار الفقهاء والمتكلمين في اثبات الصفات

٨٢٨ الاستواء على العرش . ارادة لازمه مع التفويض (المنار — ج ١١ م ١٧)

والحق هو ما عرفناك من مذهب السلف الصالح : فالاستواء على العرش ،
والسكون في تلك الجهة ، قد صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثر حصرها ،
ويطول نشرها ، وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غير
حديث ، بل هذا مما بجده كل فرد من أفراد المسلمين في نفسه ، ويحسه في فطرته ،
وتجذبه اليه طبيعته ، كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه ، والتجأ اليه ووجه أدعيته
الى جنابه الرفيع ، وعزه المنيع . فانه يشير عند ذلك بكفه ، أو يرمي الى السماء ، بطرفه ،
ويستوي في ذلك عند عروض أسباب الدعاء ، وحدوث بواعث الاستغاثة ، ووجود
مقتضيات الانزعاج ، وظهور دواعي الالتجاء ، عالم الناس وجاهلهم ، والمأثي على طريقة
السلف ، والمقتدي بأهل التأويل ، القائلين بأن الاستواء هو الاستيلاء — كما قاله
جمهور المتأولين — أو الاقبال — كما قاله أحمد بن يحيى ثعلب والزجاج والفراء
 وغيرهم — أو كناية عن الملك والسلطان ^(١) — كما قاله آخرون — فالسلامة والنجاة
في امرار ذلك على الظاهر والاذعان بالاستواء والسكون ^(٢) على ما نطق به الكتاب
والسنة من دون تكيف ولا تكلف ولا قيل ولا قال . ولا فضول في شيء من

(١) هذا القول لا ينافي إمرار اللفظ على ظاهره ، والتسليم باستواء يليق بالرب
ويفوض اليه علم كنهه ، لان الكناية لا تنافي الحقيقة كما ينافيها المجاز عند الجمهور
المانعين من جمعه معها . فذكر الاستواء في القرآن في سياق خلق السموات والارض
يفيد معنى القيام بأمر الملك وتدبيره ، وصرح به في سورة يونس فقال (١٠ : ٣٣) استوى
على العرش يدبر الامر) وهذا المعنى هو الذي يتبادر الى فهم كل عربي قبح من كلمة
استوى فلان على عرش الروم أو الفرس مثلاً . فهو لا يفكر عند سماع الكلمة في
كيفية الكرسي الخاص بملك تلك البلاد ، ولا في كيفية جلوس الملك عليه . وإنما
يفكر في المراد من هذا التعبير . ولو ان خادماً من خدم قصر الملك جلس على عرشه
عند تنظيف الحجرة التي هو فيها لا يقال فيه انه استوى على عرش تلك المملكة . فإذا
قلنا انه ينبغي لنا في تدرايات الاستواء على العرش ان نفكر في لازم الاستواء وهو
الانفراد بالملك والسلطان والتدبير ، لم تكن بذلك متأولين للآيات ، ولا خارجين عن
عن مذهب السلف في امرارها كما جاءت . من غير ان نجيز لأنفسنا البحث عن كيفية
ذلك الاستواء من حيث معناه الحقيقي

(٢) لعله سقط من ههنا « في جهة العلم »

المقال ، فمن جاوز هذا المقدار بافراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق النجاة ، ولا معتصم عن الخطأ ، ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة وكما تقول هكذا في الاستواء والسكون في تلك الجهة فكذا نقول في مثل قوله سبحانه (وهو معكم أينما كنتم — وقوله — ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) وفي نحو (ان الله مع الصابرين — ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) الى ما يشابه ذلك ويمثله ويقاربه ويضارعه ، فيقول في مثل هذه الآيات : هكذا جاء القرآن ان الله سبحانه مع هؤلاء ، وتكلف بتأويل ذلك كما يتكلف غيرنا بأن المراد بهذا السكون وهذه المعية هو كون العالم ومعيته ، فان هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف ، وتباين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم ^(١)

واذا انتهت الى السلا مة في مذك فلا تجاوز

وهذا الحق ليس به خطأ فدعني من بُنيات الطريق

وقد هلك المتطعون ، ولا يهلك على الله الا هالك وعلى نفسها براقش نجني . وفي هذه الجملة وان كانت قليلة ما يغني من يشع بدينه ويحرص عليه عن تطويل المقال وتكثير ذبوله ، وتوسيع دائرة فروعه وأصوله . والمهدي من هداه الله ، والله أعلم . انتهى

فتاوى المنار

(س ٢٣ و ٢٤) من صاحب الامضاء الرمزي في سبعين برنيو (جاوه)

حضرة العلامة الكبير ، والامام الجليل ، استاذنا السيد محمدرشيد رضا صاحب

المنار الاغر فغني الله والمسلمين بوجوده الشريف آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فيا سيدي الاستاذ نرجو من فضيلتكم

التكرم علي بأن تجيبوني عن الاسئلة الآتي ذكرها جوابا مقنعا ولكم الفضل والشكر وهي :

(١) ورد عن الامام أحمد وغيره من علماء السلف جعل المعية بمعنى العلم فصار هذا التأويل مما يعترف به الحنابلة والاثريون ، وانما ألجأهم اليه رد قول الجهمية وغيرهم انه تعالى في كل مكان . وقد نقل الذهبي ذلك في كتابه المشار اليه آنفاً عن كثيرين

(ا) ما تقولون في قول الفقهاء : - لا يجوز تخليف القاضي ولا الشهود وان كان ينفع الخصم تكذيبهما أنفسهما لأن منصبهما يأبى ذلك ولأن التحليف كالطعن في الشهادة أو في الحكم . فإذا علم الشاهد أو القاضي أنه يحلف امتنع الاول من الشهادة والثاني من الحكم فيؤدي ذلك الى ضياع حقوق الناس ، وهذا فساد عام . فهل هذا القول صحيح ؟ وقد جرت الحكومة الهولندية بتخليف الشهود قبل أن يؤدوا الشهادة سواء كانوا صادقين أو كاذبين - فرأى كثير من عمال الحكومة أن ذلك هو الاحسن والاحوط والوافق لهذا العصر . والمرجو من فضيلة سيدي الاستاذ ابداء رأيه السديد في هذه المسألة بالحجة والبرهان .

(ب) هل من العقل والحكمة ومن مقاصد الشريعة الاسلامية ما اشترطه الفقهاء في الهبة من أنها لا تصح الا بايجاب وقبول ولا تلزم الا قبض الموهوب له باذن الموهب ؟ قال في بداية المجتهد : وأما الهبة فلا بد من الايجاب فيها والقبول عند الجميع وأما الشروط فأشهرها القبض . أعني أن العلماء اختلفوا : هل القبض شرط في صحة العقد أم لا ؟ فاتفق الثوري والشافعي وأبو حنيفة أن من شرط صحة الهبة القبض وأنه اذا لم يقبض لم يلزم الموهب ، وقال مالك 'ينعقد بالتول ويحجر على القبض كالبيع - الى قوله : - فمالك انقبض عنده في الهبة من شروط التمام لا من شروط الصحة ، وهو عند الشافعي وأبي حنيفة من شروط الصحة . وقال أحمد وأبو نوري تصح الهبة بالعقد . ونيس القبض من شروطها أصلا . لا من شروط تمام ولا من شروط صحة اه فأبي الاصح من هذه الاقوال المختلف فيها : آقول باشتراط القبض : أم أقول بعدم اشتراطه ؟ وهل يصح أن يحتاج من اشترط القبض في الهبة بحديث أبي بكر انه كان نعل عائشة بنذاة عشرين وسقا من مال الغابة فلما حضرته الوفاة قل : - والله يا بنية ما من الناس أحد أحب الي غني بعدي منك . ولا أعز علي فقرا بعدي منك . - فلي كانت له ملك بنذاة عشرين وسقا فلما كانت جالسة واحترته كان لك . فقلت هو اليوم الذي كنت : وهل يصح ما سألتم به ؟ فلي كانت القبض شرط في صحة الهبة من شروط التمام أم من شروط الصحة ؟

هذا وأرجو فضيلتكم بيان هذه المسائل على قاعدة (درء المفسد مقدم على جلب المصالح)
(م . ب . ع)

(تحليف القاضي والشهود)

(ج) القول بأن تحليف القاضي والشهود لا يجوز شرعاً لما ذكر من العلل — لم يظهر لنا وجه صحته، فقولهم: ان ذلك مما ياباه . نصبهما، — لانعرف له مستنداً في الكتاب والسنة، وما يليق بالنصب وما لا يليق به ليس أمراً ثابتاً مطرداً دائماً، بل هو مما يختلف باختلاف العرف والعادة ويتغير آناً بعد آن، كما يعهد من الناس في الامكنة المختلفة والازمان . مثال ذلك ان العرف والعادة في مصر والآستانة والشام ان لا يخرج القاضي الشرعي والمفتي وكبار العلماء الى زيارة أحد بغير عمامة، وهذه عادة قديمة حتى عد بعض العلماء من اعداء ترك الجمعة والجماعة فقد الهامة الثلاثة بأمثال هؤلاء . ولكن هذه العادة لا تلتزم في الهند فقد يخرج كبار العلماء من بيوتهم الى زيارة بعض الاخوان بغير عمامة، وانما يضعون على رؤسهم نوعاً من الكمامات الرقيقة (الكمة بالضم شيء مستدير يوضع على الرأس ومنه ما يسمى في مصر طاقية وفي غيرها عراقية) وقد ورد ان النبي (ص) خرج مع بعض أصحابه لزيارة وليس على رؤوسهم شيء .

وقولهم ان التحليف كالطعن في الشهادة أو الحكم فممنوع، وقد يقال انه تأكيد لها . وأما قولهم ان القاضي والشاهد يمتنعان من القضاء والشهادة اذا علما أنهما يختلفان، فهو من النظريات المنقوضة بما عليه عمل كثير من الامم الآن . فالحكومة العثمانية والحكومة المصرية قد جرتا على تحليف الشهود ولم يمتنعوا، وعلى تحليف من تسند اليهم المناصب الكبيرة يمين الاخلاص لرئيس الحكومة (السلطان) ولو قالوا ان التحليف لمن ذكر لا يجب شرعاً لما وجدنا الى مخالفتهم سبيلاً، ولكن نفي الجواز لا يسلم الا بدليل شرعي

هذا وان تأكيد الشهود شهادتهما بالقسم أصلاً في القرآن كما ترى في شهادة الوصية (فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمناً) — فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) وقد قال تعالى بعد بيان أحكام هذه الشهادة معاً (ذلك أدنى

أن يأتوا بالشهادة على وجهها (الخ وسيأتي في التفسير قريباً ان شاء الله تعالى
(الهبة وما يشترط فيها)

معنى الهبة عند الجمهور تملك بلا عوض ، ويرى بعضهم انه يدخل في عمومها
الابراء من الدين والهدية والصدقة ، وانما يخص بعض الانواع باسم لافادة المعنى
الخاص الذي انفرد به عن سائر الانواع ، فالصدقة هبة يراد بها ثواب الآخرة ،
والاصل فيها ان تكون للمحتاج . والهدية هبة يراد التودد بها الى المهدي اليه ،
وتكون بين الاغنياء والفقراء ، لان التودد يكون بين جميع اصناف الناس
والعمدة فيها العرف فما تعارف الناس عليه كان صحيحاً شرعاً لم يكن مخالفاً للشرع .
وتحصل بالايجاب القولي من الواهب والقبول القولي من الموهوب له كما نحصل بالتعاطي
وهو ايجاب وقبول بالفعل . وهي تتحقق بالقبض قطعاً . وعدم القبض قد يكون رداً
وقد يكون تواني . فهو جدير بأن يختلف فيه . وليس في الباب نصوص عن الشارع
كلف الناس اتباعها في طرق التملك والتمليك . والحديث في هدية النبي (ص)
للنجاشي جار على مسألة العرف وتحقق الهبة بالفعل أو عدم تحققها ، وهو في مسند
احمد من حديث أم كلثوم بنت أبي سلمة ، وفي اسناده مسلم بن خالد الزنجي اختلف
في توثيقه ونضعيفه . وأم موسى بنت عقبة ، قال في مجمع الزوائد : لا أعرفها
وأما أثر عائشة فقد رواه مالك في الموطأ من طريق ابن شهاب عن عروة عنها ،
وروى البيهقي نحوه عن مالك وغيره . وظاهر الاثر ان عائشة لم تقبل نحلة أبيها فبقيت
في يده الى ان أدركته الوفاة فذكر لها انه يتركها إرثاً . وأن هذا ليس من باب
الاعتصار ، وهو رجوع الوالد بما يهبه الولد في حياته . وهو جائز عند أكثر الفقهاء
وما قاله ابن رشد — من أن الهبة لا بد فيها من الايجاب والقبول عند الجميع —
فهو غير صحيح اذا أراد بهما الصيغة باللسان أو الكتابة . فقد نقل العلماء الخلاف
في ذلك كالحافظ ابن حجر والامام الشوكاني وغيره . وتجد تحرير هذه المسألة
بدلائلها في جميع العقود في المبحث النفيس الذي كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية في
مسألة العقود ، فراجع في المجلد الثالث من مجموعة فتواه المطبوعة بمصر . ونخص بالتأمل

(الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان (*))

من مباحث كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي . وهو ما عقد له الباب الثامن منه . قال رحمه الله تعالى :

هذا الباب يُضطرُّ الى الكلام فيه عند النظر فيما هو بدعة وما ليس ببدعة ؛ فان كثيرا من الناس عدوا اكثر المصالح المرسلة بدعاً ، ونسبوها الى الصحابة والتابعين ، وجعلوها حجة فيما ذهبوا اليه من اختراع العبادات . وقوم جعلوا البدع تنقسم بأقسام أحكام الشريعة ، فقالوا: ان منها ما هو واجب ومندوب ، وعدوا من الواجب كتب المصحف وغيره ، ومن المندوب الاجتماع في قيام رمضان على قارئ واحد

وأيضاً فان المصالح المرسلة يرجع معناها الى اعتبار المناسب الذي لا يشهد له أصل معين ، فليس له على هذا شاهد شرعي على الخصوص ، ولا كونه قياساً بحيث اذا عرض على العقول تلقته بالقبول . وهذا بعينه موجود في البدع المستحسنة ، فانها راجعة الى أمور في الدين مصلحة — في زعم واضعيها — في الشرع على الخصوص

واذا ثبت هذا ؛ فان كان اعتبار المصالح المرسلة حقاً ، فاعتبار البدع المستحسنة حق ؛ لانهما يجريان من واد واحد . وان لم يكن اعتبار البدع حقاً ، لم يصح اعتبار المصالح المرسلة .

وأيضاً فان القول بالمصالح المرسلة ليس متفقاً عليه ، بل قد اختلف

(*) تابع لما نشر في ص ٧٥٣

فيه أهل الأصول على أربعة أقوال - فذهب القاضي وطائفة من الأصوليين إلى رده ؛ وإن المعنى لا يعتبر ما لم يستند إلى أصل . وذهب مالك إلى اعتبار ذلك ، وبني الأحكام عليه على الإطلاق . وذهب الشافعي ومعظم الحنفية إلى التمسك بالمعنى الذي لم يستند إلى أصل صحيح ، لكن بشرط قربه من معاني الأصول الثابتة . هذا ما حكى الإمام الجويني

وذهب الغزالي إلى أن المناسب أن وقع في رتب التحسين والتزيين لم يعتبر حتى يشهد له أصل معين ، وإن وقع في رتبة الضروري فبإله إلى قبوله ، لكن بشرط . قال : ولا يبعد أن يؤدي إليه اجتهاد مجتهد . واختلف قوله في الرتبة المتوسطة ، وهي رتبة الحاجي ، فردده في المستصفي وهو آخر قوله ، وقبله في شفاء الغليل كما قبل ما قبله . وإذا اعتبر من الغزالي اختلاف قوله - : فالأقوال خمسة ؛ فإذا أراد اعتبارها لا يبقى له في الواقع له ^(١) في الوقائع الصحاح مستند إلا أنها بدعة مستحسنة - كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاجتماع لقيام رمضان : نعمت البدعة هذه . - إذ لا يمكنهم ردها ، لاجتماعهم عليها .

وكذلك القول في الاستحسان فإنه - على ما ^(٢) المتقدمون -

راجع إلى الحكم بغير دليل ، والنافي له لا يعد الاستحسان سببا ، فلا يعتبر في الأحكام البتة ، فصار كالمصالح المرسلة إذا قيل بردها .

فلما كان هذا الموضوع مزلة قدم لأهل البدع أن يستدلوا على بدعتهم من جهته - كان من الحق المتعين النظر في مناط الغلط الواقع لهؤلاء ،

(١) قوله « في الواقع له » لا معنى له ولعله زائد (٢) بياض في الأصل ويصح

المعنى بتقدير الساقط « قال » أو « ذهب إليه »

حتى يتبين ان المصالح المرسلة ليست من البدع في ورد ولا صدر ، بحول الله ، والله الموفق . فنقول :

**

المعنى المناسب الذي يربط به الحكم لا يخلو من ثلاثة اقسام .
(احدها) ان يشهد الشرع بقوله ، فلا إشكال في صحته ، ولا خلاف في إعماله ، والا كان مناقضة للشريعة ، كشرعية القصاص حفظاً للنفوس والاطراف وغيرها

(والثاني) ما شهد الشرع برده ، فلا سبيل الى قبوله ، اذ المناسبة لا تقتضي الحكم لنفسها ، وانما ذلك مذهب أهل التحسين العقلي ، بل اذا ظهر المعنى وفهمنا من الشرع اعتباره في اقتضاء الاحكام ، فحينئذ نقبله ، فان المراد بالمصلحة عندنا ما فهم رعايته في حق الخلق من جلب المصالح ودرء المفاسد على وجه لا يستقل العقل بدركه على حال ، فاذا لم يشهد الشرع باعتبار ذلك المعنى بل برده ، كان مردودا باتفاق المسلمين ومثاله ما حكى الغزالي عن بعض اكابر العلماء انه دخل على بعض السلاطين فسأله عن الوقاع في نهار رمضان ، فقال : عليك صيام شهرين متتابعين . فلما خرج راجعه بعض الفقهاء وقالوا له : القادر على إعتاق الرقبة كيف يعدل به الى الصوم والصوم وظيفة المعسرين ، وهذا الملك يملك عبيدا غير محصورين ؟ فقال لهم : لو قلت له عليك إعتاق رقبة لا يستحق ذلك وأعتق عبيدا مرارا ، فلا يزجره اعتاق الرقبة ويزجره صوم شهرين متتابعين

فهذا المعنى مناسب ، لان الكفارة مقصود الشرع منها الزجر ،

والملك لا يزجره الا عتاق ويزجره الصيام . وهذه الفتيا باطلة لان العلماء بين قائلين : قائل بالتخير ، وقائل بالترتيب ، فيقدم العتق على الصيام ؛ فتقديم الصيام بالنسبة الى الغني لا قائل به . على انه قد جاء عن مالك شيء يشبه هذا ، لكنه على صريح الفقه

قال يحيى بن بكير : حنث الرشيد في يمين تجمع العلماء فأجمعوا ان عليه عتق رقبة . فسأل مالكا ؛ فقال : صيام ثلاثة ايام . واتبعه على ذلك اسحاق بن ابراهيم من فقهاء قرطبة .

حكى ابن بشكوال ان الحكم أمير المؤمنين ارسل في الفقهاء وشاورهم في مسألة نزلت به ؛ فذكر لهم عن نفسه انه عمد الى احدى كرائمه^(١) ووطئها في رمضان ، فأفتوا بالإطعام ، واسحاق بن ابراهيم ساكت . فقال له أمير المؤمنين : ما يقول الشيخ في فتوى اصحابه ؛ فقال له : لا اقول بقولهم ، واقول بالصيام . فقليل له : أليس مذهب مالك الإطعام ؛ فقال لهم : تحفظون مذهب مالك ، إلا انكم تريدون مصانعة أمير المؤمنين . انما أمر مالك بالإطعام لمن له مال ، وأمير لا مال له ، انما هو يبيت مال المسلمين . — فأخذ بقوله أمير المؤمنين وشكر له عليه اه وهذا صحيح .

نعم حكى ابن بشكوال انه اتفق لعبد الرحمن بن الحكم مثل هذا في رمضان ؛ فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته . فقال يحيى بن يحيى : يكفر ذلك صيام شهرين متتابعين . فلما برز ذلك من يحيى سكت سائر الفقهاء حتى خرجوا من عنده ، فقالوا ليحيى : مالك لم تفتنه بمذهبنا عن

(١) المراد بكرائمه عقائل نساءه الحرائر لا بناته كما هو المستعمل في عرف زماننا

مالك من انه مخير بين العتق والطعام والصيام ؛ فقال لهم : لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه ان يطأ كل يوم ويعتق رقبة ؛ ولكن حملته على اصعب الامور لئلا يعود . فان صح هذا عن يحيى بن يحيى رحمه الله وكان كلامه على ظاهره كان مخالفا للاجماع .

(الثالث) ما سكنت عنه الشواهد الخاصة ، فلم تشهد باعتباره ولا بالغائه . فهذا على وجهين :

— احدهما — ان يرد نص على وفق ذلك المعنى ، كتعليل منع القتل للميراث ، فالمعاملة بنقيض المقصود تقدير ان لم يرد نص على وفقه ^(١) فان هذه العلة لا عهد بها في تصرفات الشرع بالفرض ولا بملائمها بحيث يوجد لها جنس معتبر ، فلا يصح التعليل بها ، ولا بناء الحكم عليها باتفاق . ومثل هذا تشريع من القائل به فلا يمكن قبوله

— والثاني — ان يلائم تصرفات الشرع ، وهو أن يوجد ذلك المعنى جنس اعتبره الشارع في الجملة بغير دليل معين ، وهو الاستدلال المرسل المسمى بالمصالح المرسلة ، ولا بد من بسطه بالامثلة حتى يتبين وجهه بحول الله

ولنقتصر على عشرة أمثلة

*
* *

(احدها) ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جمع المصحف ، وليس ثم نص على جمعه وكثبه أيضاً ، بل قد قال بعضهم : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فروي عن

(١) تأمل العبارة من أولها

زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : ارسل اليّ ابو بكر رضي الله عنه مقتل
(أهل) اليمامة ، واذا عنده عمر رضي الله عنه ، فل ابو بكر : (ان عمر اتاني
فقال) ان القتل قد استحرّ بقراء القرآن يوم اليمامة ^(١) واني اخشى ان
يستحرّ القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير ، واني ارى
ان تأمر بجمع القرآن — قال — فقلت له : كيف أفعل شيئاً لم يفعله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لي : هو والله خير . فلم يزل عمر
يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري له ، ورأيت فيه الذي رأى عمر .
قال زيد - فقال ابو بكر : انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، قد كنت
تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه .
قال زيد - فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ من
ذلك — فقلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؟ فقال ابو بكر : هو والله خير . فلم يزل يراجعني في ذلك ابو بكر
حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدورهما . فتبعت القرآن أجمعه
من الرقاع والعشب والخاف ^(٢) ومن صدور الرجال . فهذا عمل لم ينقل
فيه خلاف عن احد من الصحابة

ثم روي عن أنس بن مالك ان حذيفة بن اليمان كان يغازي أهل
الشام وأهل العراق في فتح ارمينية واذريجان ، فأفرعه اختلافهم في
القرآن ، فقال لعثمان : يا أمير المؤمنين ! أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا
في الكتاب كما اختلفت اليهود والنصارى ، فارسل عثمان الى حفصة :

(١) استحرّ القتل اشتد وكثر . والقراء حفظة القرآن (٢) العشب جمع عشب
وهو جريد النخل . والخاف كلخاف : حجارة بيض رقاق واحدها خفة كسمكة

ارسلي اليّ بالصحف تنسخها في المصاحف ثم نردها عليك . فارسلت حفصة به الى عثمان ، فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاصي ، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، فأمرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف . ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة : ما اختلفتم فيه اتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش ، فانه نزل بلسانهم . قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف ، بعث عثمان في كل اقل بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوها . ثم أمر بما سوى ذلك من القراءة في كل صحيفة أو مصحف ان يحرق .

فهذا أيضاً اجماع آخر في كتبه وجمع الناس على قراءة لا يحصل منها في الغالب اختلاف . لانهم لم يختلفوا الا في القراءات — حسبما نقله العلماء المعتنون بهذا الشأن — . فلم يخالف في المسئلة الا عبد الله بن مسعود فانه امتنع من طرح ما عنده من القراءة المخالفة لمصاحف عثمان ، وقال : يا أهل العراق ! ويا أهل الكوفة : اكنتموا المصاحف التي عنكم وغلوها ، فان الله يقول (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) وألقوا اليه بالمصاحف . فتأمل كلامه فانه لم يخالف في جمعه . وانما خالف امراً آخر . ومع ذلك فقد قال ابن هشام : بلغني أنه كره ذلك من قول ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم يرد نص عن النبي صلى الله عليه وسلم بما صنعوا من ذلك ، ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشرع قطعاً ، فان ذلك راجع الى حفظ الشريعة ، والامر بحفظها معلوم ، والى منع الذريعة للاختلاف في أصلها الذي هو القرآن ، وقد علم النهي عن الاختلاف في ذلك بما

لا مزيد عليه ^(١).

وإذا استقام هذا الأصل فأحمل عليه كتب العلم من السنن وغيرها ،
إذا خيف عليها الاندرا س ، زيادة على ما جاء في الأحاديث من الأمر
بكتب العلم .

وأنا أرجو أن يكون كتب هذا الكتاب الذي وضعت يدي فيه
من هذا القبيل ؛ لأنني رأيت باب البدع في كلام العلماء مغفلا جدا إلا من
النقل الجلي كما نقل ابن وضاح ، أو يؤتى باطراف من الكلام لا يشفى
الخليل بالتفقه فيه كما ينبغي ؛ ولم أجد على شدة بحثي عنه إلا ما وضع فيه
أبو بكر الطرطوشي ، وهو يسير في جنب ما يحتاج إليه فيه ، وآلا
ما وضع الناس في الفرق الثنتين والسبعين ، وهو فصل من فصول الباب
وجزء من أجزائه ، فأخذت نفسي بالعناء فيه ، عسى أن ينتفع به واضعه ،
وقارئه ، وناشره ، وكاتبه ، والمنتفع به ، وجميع المسلمين ، أنه ولي ذلك
ومسديه بسعة رحمته

(المثال الثاني)

اتفاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حد شارب الخمر
ثمانين . وإنما مستندهم فيه الرجوع الى المصالح والتمسك بالاستدلال
المرسل ، قال العلماء لم يكن فيه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) هذا القول يحتاج الى مزيد بيان ، وهو ان الله تعالى سمي القرآن كتابا فأفاد
ذلك وجوب كتابته كله ، ولذلك اتخذ النبي (ص) كتابا للوحي . وتفریق الصحف
المكتوبة لا يعقل ان يكون مطلوبا للشارع حتى يحتاج جمعها الى دليل خاص :
ولم يأمر النبي (ص) بجمعها في حياته لاحتمال المزيد في كل سورة ما دام حيا ، كما
قال العلماء .

حد مقدر ، وانما جرى الزجر فيه مجرى التعزير . ولما انتهى الامر الى أبي بكر رضي الله عنه قرّر على طريق النظر بأربعين ، ثم انتهى الامر الى عثمان رضي الله عنه فتتابع الناس فجمع الصحابة رضي الله عنهم فاستشارهم ، فقال علي رضي الله عنه : من سكر هذى ومن هذى افترى ؟ فأرى عليه حد المفترى .

ووجه اجراء المسألة على الاستدلال المرسل أن الصحابة أو الشرع^(١) يقيم الاسباب في بعض المواضع مقام المسببات ، والمظنة مقام الحكمة ، فقد جعل الایلاج في أحكام كثيرة يجري مجرى الانزال ، وجعل الحافر للبئر في محل المدوان وان لم يكن ثم مرد كالردي نفسه ، وحرّم الخلوة بالاجنبية حذرا من الذريعة الى الفساد ، الى غير من الفساد ، فأروا الشرب ذريعة الى الافتراء الذي تقتضيه كثرة الهذيان ، فانه أول سابق الى السكران — قالوا — فهذا من أوضح الأدلة على إسناد الاحكام الى المعاني التي لا أصول لها (يعني على الخصوص به) وهو مقطوع من الصحابة رضي الله عنهم .

(المثال الثالث)

ان الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع . قال علي رضي الله عنه « لا يصلح الناس الا ذاك » ووجه المصلحة فيه أن الناس لهم حاجة الى الصناع ، وهم يغيبون عين الامتعة في غالب الاحوال ، والاغلب عليهم التفريط وترك الحفظ ، فلو لم يثبت تضمينهم مع مسيس الحاجة

(١) في نسخة ثانية « الشريعة تقيم » كما يستفاد من هامش الاصل

الى استعمالهم لافضى ذلك الى أحد امرين : إما ترك الاستصناع بالكلية ، وذلك شاق على الخلق ؛ وإما أن يعملوا ولا يضمنوا ذلك بدعواهم الهلاك والضياع ، فتضيع الاموال ، ويقل الاحتراز ، وتتطرق الخيانة ، فكانت المصلحة التضمين . هذا معنى قوله « لا يصلح الناس الا ذاك »

ولا يقال : ان هذا نوع من الفساد وهو تضمين البريء . اذ لعله ما أفسد ولا فرط ، فالتضمين مع ذلك كان نوعاً من الفساد . لانا نقول : اذا تقابلت المصلحة والمضرة فشان العقلاء النظر الى التفاوت ، ووقوع التلف من الصناعات من غير تسبب ولا تفريط بعيد . والغالب القوت فوت الاموال ، وانها لاتستند الى التلف السماوي ، بل ترجع الى صنع العباد على المباشرة أو التفريط . وفي الحديث « لا ضرر ولا ضرار » تشهد له الاصول من حيث الجملة ، فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يبيع حاضر لباد . وقال « دع الناس يرزق الله بعضهم من بعض » وقال « لا تلقوا الركبان بالبيع حتى يهبط بالسلع الى الاسواق » وهو من باب ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، فتضمين الصناعات من ذلك القليل

(المثال الرابع)

ان العلماء اختلفوا في ضرب بالتهم . وذهب مالك الى جواز السجن في التهم ، وان كان السجن نوعاً من العذاب . ونص أصحابه على جواز الضرب ، وهو عند الشيوخ من قبيل تضمين الصناعات ، فانه لو لم يكن الضرب والسجن بالتهم ، لتعذر استخلاص الاموال من أيدي السراق والنصاب ، اذ قد يتعذر اقامة البيئة ، فكانت المصلحة في

التعذيب، وسيلة الى التحصيل بالتعيين والاقرار .

فان قيل : هذا فتح باب تعذيب البريء ^(١) قيل : ففي الاعراض عنه ابطال استرجاع الاموال ؛ بل الاضرار عن التعذيب أشد ضررا ، اذ لا يعذب أحد لمجرد الدعوى ، بل مع اقتران قرينة تحييك في النفس ؛ وتؤثر في القلب نوعاً من الظن . فالتعذيب في الغالب لا يصادف البريء ، وان أمكن مصادفته ، فتغتفر ، كما اغتفر في تضمين الصناعات ^(٢)

فان قيل : لا فائدة في الضرب ؛ وهولو أقر لم يقبل اقراره في تلك الحال .

فالجواب : إن له فائدتين — احدها — أن يعين المتاع فتشهد عليه البيئة لربه ، وهي فائدة ظاهرة . — والثانية — أن غيره قد يزدجر حتى لا يكثر الاقدام ، فتقل أنواع هذا الفساد .

وقد عد له سحنون فائدة ثالثة وهو الاقرار حالة التعذيب ، فإنه يؤخذ عنده بما أقر في تلك الحال . قالوا وهو ضعيف ، فقد قال الله تعالى (لا إكراه في الدين) ولكن نزله سحنون على من أكره بطريق غير مشروع ، كما اذا أكره على طلاق زوجته ، أما انذا أكره بطريق صحيح فإنه يؤخذ به ، كالكافر يسلم تحت ظلال السيوف فإنه مأخوذ به . وقد تتفق له بهذه الفائدة على مذهب غير سحنون اذا أقر حالة التعذيب ثم تمادى على الاقرار بعد أمنه فيؤخذ به . قال الغزالي — بعد ما حكى عن

(١) اعل الاصل « لتعذيب البريء » (٢) ينظر اين يرجع التضمين الذي اسند اليه هذا الفعل ؛ فان كان المصادفة ، فالظاهر ان يؤنث بالتاء فيقال « اغتفرت » كما قال « فتغتفر » وان أرجع الى التعذيب رد بان تضمين الصناعات ليس تعذيباً . ولعل الاصل تأنيث الفعل ، او حذف « في » وجعل « تضمين » هو الفاعل .

الشافعي أنه لا يقول بذلك : وعلى الجملة فالمسئلة في محل الاجتهاد . - قال -
ولسنا نحكم بمذهب مالك على القطع ، فاذا وقع النظر في تعارض المصالح ،
كان ذلك قريباً من النظر في تعارض الاقيسة المؤثرة .

(المثال الخامس)

انا اذا قررنا اماما مطاعاً مفتقراً الى تكثير الجنود لسد الثغور
وحماية الملك المتسع الاقطار ، وخلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند
الى ما لا يكفيهم ، فللايمام اذا كان عدلاً أن يوظف على الاغنياء ما يراه
كافياً لهم في الحال ، الى أن يظهر مال بيت المال ، ثم اليه النظر في
توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك ، كيلا يؤدي تخصيص
الناس به الى ايحاش القلوب . وذلك يقع قليلا من كثير بحيث لا يحفف
بأحد ويحصل المقصود

وانما لم ينقل مثل هذا عن الاولين لاتساع مال بيت المال في زمانهم
بخلاف زماننا ، فان القضية فيه أخرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهر ، فانه
لوم يفعل الامام ذلك النظام بطلت شوكة الامام ، وصارت ديارنا عرضة
لاستيلاء الكفار

وانما نظام ذلك كله شوكة الامام بعده . فالذين يحذرون من
الدواهي لو تنقطع عنهم الشوكة ، يستحقرون بالاضافة اليها أموالهم كلها ،
فضلا عن اليسير منها ، فاذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق
لهم بأخذ البعض من أموالهم ، فلا يترى في ترجيح الثاني عن الاول .
وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر في الشواهد
والملاءمة الاخرى - ان الاب في طفله ، أو الوصي في يتيمة .

(المنار - ج ١١ م ١٧) استعداد الجندية الدائم والاستقراض لبيت المال ٨٤٥

أو الكافل فيمن يكفله، مأمور^(١) برعاية الاصلح له، وهو يصرف ماله الى وجوه من النفقات أو المؤن المحتاج اليها. وكل ما يراه سبباً لزيادة ماله أو حراسته من التلف جاز له بذل المال في تحصيله. ومصلحة الاسلام عامة لا تتقاصر عن مصلحة طفل، ولا نظر امام المسلمين يتقاعده عن نظر واحد من الآحاد في حق محجوره

ولو وطئ الكفار أرض الاسلام لوجب القيام بالنصرة، واذا دعاهم الامام وجبت الاجابة، وفيه اتعاب النفوس وتعريضها الى الهلكة، زيادة الى انفاق المال. وليس ذلك الا لحماية الدين، ومصلحة المسلمين
فاذا قدرنا هجومهم^(٢) واستشعر الامام في الشوكة ضعفاً وجب على الكافة امدادهم. كيف والجهاد في كل سنة واجب على الخلق؟ وانما يسقط باشتغال المرتزقة، فلا يمارى في بذل المال لمثل ذلك

واذا قدرنا انعدام الكفار الذين يخاف من جهمهم، فلا يؤمن من انفتاح باب الفتن بين المسلمين. فالمسئلة على حالها كما كانت، وتوقع الفساد عتيدي، فلا بد من الحراس

فهذه ملاءمة صحيحة، الا أنها في محل ضرورة، فتقدر بقدرها، فلا يصح هذا الحكم الا مع وجودها. والاستقراض في الازمات انما يكون حيث يرجى لبيت المال دخل ينتظر أو يرتجى، وأما اذا لم ينتظر شيء وضعفت وجوه^(٣) الدخل بحيث لا يغني كبير شيء، فلا بد من

(١) قوله « مأمور » خبر « ان الاب » باعتبار ما عطف عليه (٢) قوله « هجومهم » يعني المسلمين الذين وطئ الكفار أرضهم محاربين لهم (٣) في الاصل « وجوده » وهو غلط

جريان حكم التوظيف

وهذه المسألة نص عليها الغزالي في مواضع من كتبه ، وتلاه في تصحيحها ابن العربي في أحكام القرآن له ، وشرط جواز ذلك كله عندهم عدالة الامام ، وإيقاع التصرف في أخذ المال واعطائه على الوجه المشروع

(المثال السادس)

إن الامام لو أراد أن يعاقب بأخذ المال على بعض الجنايات^(١) فاختلف العلماء في ذلك - حسبما ذكره الغزالي - على أن الطحاوي حكى أن ذلك كان في أول الاسلام ثم نسخ فأجمع العلماء على منعه . فأما الغزالي فزعم أن ذلك من قبيل الغريب الذي لا عهد به في الاسلام ، ولا يلائم تصرفات الشرع ؛ مع أن هذه العقوبة الخاصة لم تتعين ؛ لشرعية العقوبات البدنية بالسجن والضرب وغيرها - قال - فإن قيل : فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاطر خالد بن الوليد في ماله ، حتى أخذ رسوله برد نعله وشطر عمامته . قلنا : المظنون من عمر أنه لم يبتدع العقاب بأخذ المال على خلاف المألوف من الشرع ، وإنما ذلك لعلم عمر باختلاط ماله بالمال المستفاد من الولاية واحاطته بتوسعته ، فلعله ضمن المال فرأى شطر ماله من فوائد الولاية ، فيكون استرجاعاً للحق لا عقوبة في المال ، لأن هذا من الغريب الذي لا يلائم قواعد الشرع . هذا ما قال . ولما فعل عمر وجه آخر غير هذا ، ولكنه لا دليل فيه على العقوبة بالمال كما قال الغزالي

وأما مذهب مالك فإن العقوبة في المال عنده ضربان (أحدهما) كما

(١) ينظر ابن جواب لو ؛ وما موقع النقاء من قوله « فاختلف العلماء » ؟

صوره الغزالي ، فلا صرية في أنه غير صحيح ، على أن ابن المطار في رقايقه صنف إلى اجازة ذلك ، فقال في اجازة أعوان القاضي إذا لم يكن بيت مال : أنها على الطالب ، فإن أدى المطلوب كانت الاجازة عليه . ومال إليه ابن رشد . ورده عليه ابن النجار القرطبي ، وقال : ان ذلك من باب العقوبة في المال ، وذلك لا يجوز على حال

(والثاني) أن تكون جناية الجاني في نفس ذلك المال أو في عوضه ، فالعقوبة فيه عنده ثابتة . فإنه قال في الزعفران المغشوش إذا وجد بيد الذي غشه : أنه يتصدق به على المساكين قل أو أكثر . وذهب ابن القاسم ومنظرف وابن الماجشون إلى أنه يتصدق بما قل منه دون ما أكثر . وذلك محكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأنه أراق اللبن المغشوش بالماء ، ووجه ذلك التأديب للغاش . وهذا التأديب لائنص يشهد له ، لكن من باب الحكم على الخاصة لأجل العامة . وقد تقدم نظيره في مسألة تضمين الصانع

على أن أبا الحسن اللخمي قد وضع له أصلاً شرعياً ، وذلك أنه عليه السلام أمر بكفاء القدر التي أغليت بلحوم الحمر قبل أن تقسم . وحديث العتق بالمشلة أيضاً من ذلك .

ومن مسائل مالك في المسألة : إذا اشترى مسلم من نصراني خمرًا فإنه يكسر على المسلم ، ويتصدق بالثمن أدباً للنصراني إن كان النصراني لم يقبضه . وعلى هذا المعنى فرع أصحابه في مذهبه ، وهو كله من العقوبة في المال ، إلا أن وجهه ما تقدم

(المثال السابع)

انه لو طبق الحرام الارض ، أو ناحية من الارض يعسر الانتقال منها ، وانسدت طرق المكاسب الطيبة ، ومست الحاجة الى الزيادة على سد الرمق ، فان ذلك سائغ أن يزيد على قدر الضرورة ، ويرتقي الى قدر الحاجة في القوت والملبس والمسكن ، اذ لو اقتصر على سد الرمق لتمطلت المكاسب والاشغال ، ولم يزل الناس في مقاساة ذلك الى أن يهلكوا ، وفي ذلك خراب الدين . لكنه لا ينتهي الى الترفه والتنعيم ، كما لا يقتصر على مقدار الضرورة .

وهذا ملائم لتصرفات الشرع وان لم ينص على عينه ، فانه قد أجاز اكل الميتة للمضطر ، والدم ولحم الخنزير ، وغير ذلك من الخبائث المحرمات وحكى ابن العربي الاتفاق على جواز الشبع عند توالي المحن ، وانما اختلفوا اذا لم تتوال : هل يجوز له الشبع أم لا ؟ وأيضا فقد أجازوا أخذ مال الغير عند الضرورة أيضا . فثانحن فيه لا يقتصر عن ذلك وقد بسط الغزالي هذه المسألة في الاحياء بسطا شافيا جديا ،^(١) وذكرها في كتبه الاصولية كالمنحول وشفاء العليل

(المثال الثامن)

انه يجوز قتل الجماعة بالواحد . والمستند فيه المصاححة المرسلة ، اذ لا نص على عين المسألة ، ولكنه منقول عن عمر بن الخطاب رضي الله

(١) للغزالي كلمة في عدم تعدي الحرام اذا كثروا وهي « اذا حرم كله حل كله » أي لا يبحث المرء في هذه الحال عن أصل المال ، بل يتحرى ان يأخذه من وجهه حلال .

عنه . وهو مذهب مالك والشافعي . ووجه المصاحبة أن القتل معصوم ، وقد قتل عمدا ، فإهداره داع الى خرم أصل القصاص ، واتخاذ الاستعانة والاشتراك ذريعة الى السعي بالقتل اذا علم أنه لا قصاص فيه ، وليس أصله قتل المنفرد فانه قاتل تحقيقاً ، والمشارك ليس بقاتل تحقيقاً

فان قيل : هذا أمر بديع في الشرع ^(١) وهو قتل غير القاتل . قلنا : ليس كذلك ، بل لم يقتل الا القاتل ، وهم الجماعة من حيث الاجتماع عند مالك والشافعي ، فهو مضاف اليهم تحقيقاً اضافته الى الشخص الواحد ، وانما التعيين في تنزيل الاشخاص منزلة الشخص الواحد ، وقد دعت اليه المصاحبة فلم يكن مبتدعاً مع ما فيه من حفظ مقاصد الشرع في حقن الدماء ، وعليه يجري عند مالك قطع الايدي باليد الواحدة ، وقطع الايدي في النصاب الواجب ^(٢)

المثال التاسع

ان العلماء نقلوا الاتفاق على ان الامامة الكبرى لا تنعقد الا لمن نال رتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع ، كما انهم اتفقوا أيضاً - أو كادوا أن يتفقوا - على ان القضاء بين الناس لا يحصل الا لمن رقي في رتبة الاجتهاد . وهذا صحيح على الجملة ، ولكن اذا فرض خلو الزمان عن مجتهد يظهر بين الناس ، وافتقروا الى امام يقدمونه لجريان الاحكام وتسكين ثورة الثائرين ، والحياطة على دماء المسامين وأموالهم ، فلا بد

(١) البديع المخترع على غير مثال سابق . والمعنى اس له أصل من الشرع ، لا خاص فيكون قياساً عليه ، ولا عام فيكون من المصالح المرسله (٢) أي اذا قطع جماعة يد أحد أو سرقوا نصاباً بالتعاون والاشتراك تقطع أيديهم كلهم

من اقامة الامثل ممن ليس بمجتهد ، لانا بين أمرين : إما ان يترك الناس فوضى ، وهو عين الفساد والهرج . وإما ان يقدموه فيزول الفساد بته ، ولا يبقى الا فوت الاجتهاد ، والتقليد كاف بحسبه

واذا ثبت هذا فهو نظر مصاحي يشهد له وضع أصل الامامة ، وهو مقطوع به بحيث لا يفتقر في صحته وولاءته الى شاهد ، هذا — وان كان ظاهره مخالفا لما نقلوا من الاجماع في الحقيقة — إنما انعقد على فرض ان يخلو الزمان من مجتهد ، فصار مثل هذه المسئلة مما لم ينص عليه ، فصح الاعتماد فيه على المصلحة

المثال العاشر

ان الغزالي قال في بيعة المفضول مع وجود الافضل : ان ردونا في مبدأ التولية بين مجتهد في علوم الشرائع وبين متقاصر عنها ، فيتعين تديم المجتهد ، لان اتباع الناظر علم نفسه ، له مزية على اتباع علم غيره ، فالتقليد والمزايا لا سبيل الى اهمالها مع القدرة على مراعاتها أما اذا انعقدت الامامة بالبيعة أو تولية العهد لمنفك عن رتبة الاجتهاد ، وقامت له الشوكة ، واذعنت له الرقاب ، بأن خلا الزمان عن قرشي مجتهد مستجمع جميع الشرائط ، وجب الاستمرار^(١)

وان قدر حضور قرشي مجتهد مستجمع للفروع والكفاية ، وجميع شرائط الامامة . واحتاج المسامون في خلع الاول الى تعرضه لاثارة فتن واضطراب أمور ، لم يجوز لهم^(٢) خلعه والاستبدال به ، بل تجب

(١) قوله « وجب » الخ جواب قوله « أما اذا انعقدت » (٢) قوله « لم يجوز لهم » الخ جواب وجزاء قوله « وان قدر » الخ

(المنار - ج ١١ م ١٧) إمامة غير المستحق ضرورة لا ينبغي أن تدوم ٨٥١

عليهم الطاعة له ، والحكم بنفوذ ولايته وصحة إمامته ؛ لانا نعلم ان العلم مزية روعيت في الامامة تحصيلها لمزيد المصاحبة في الاستقلال بالنظر والاستغناء عن التقليد ، وان الثمرة المطلوبة من الامام تطفئة الفتن الثائرة ، من تفرق الآراء المتنافرة : فكيف يستجيز العاقل تحريك الفتنة ، وتشويش النظام ، وتقويت اصل المصاحبة في الحال ؟ تشوفا الى مزيد^(١) دقيقة في الفرق بين النظر والتقليد - قال - وعند هذا ينبغي ان يقيس الانسان ما ينال الخلق من الضرر بسبب عدول الامام عن النظر الى التقليد ، بما ينالهم لو تعرضوا لخلعه والاستبدال به ، او حكموا بأن امامته غير منعقدة .

هذا ما قال^(٢) ، وهو متجه بحسب النظر المصاحبي ، وهو ملائم لتصرفات الشرع - وان لم يعضده نص على التعيين وما قرره هو اصل مذهب مالك . قيل ليعبي بن يحيى : البيعة مكروهة ؟ قال : لا ، قيل له : فان كانوا أئمة جور ؟ فقال : قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان ، وبالسيف أخذ الملك ، أخبرني بذلك مالك عنه أنه كتب اليه وأمره بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة نبيه قال يحيى : والبيعة خير من الفرقة - قال - ولقد أتى مالكا العمري

(١) كذا ولعله « مزية » (٢) أي الغزالي . وقد فاته وفات أمثاله أن ينبهوا المسلمين على أن هذه الأقوال والفتاوى المبينة على الضرورة تتقدر بقدرها كسائر الضرورات ، وأن يسعى المسلمون لازالتها بوسائل تنقي فيها الفتنة أو يرتكب فيها أخف الضررين ، وقد يكون أخذهما خلع الامام الجائر الجاهل ، وكم من سلطان خلع ، ومن دولة دالت . ولم يكن ضرر ذلك أرجح من الصبر عليه ، على أن ذلك لم يكن الامتناعاً على الملك ، فكيف لو كان لاجل وضع الحق في انصافه .

فقال له : يا أبا عبد الله بايعني أهل الحرمين ، وانت ترى سيرة أبي جعفر ، فما ترى ؟ فقال له مالك : أتدري ما الذي منع عمر بن عبد العزيز ان يولي رجلا صالحا ؟ فقال العمري : لا أدري . قال مالك : لكني انا أدري ، انما كانت البيعة ليزيد بعده ، نخاف عمر إن ولي رجلا صالحا ان لا يكون ليزيد بدئ من القيام ، فتقوم هجمة فيفسد ما لا يصلح . فصدر رأي هذا العمري على رأي مالك .

فظاهر هذه الرواية انه اذا خيف عند خلع غير المستحق واقامة المستحق ان تقع فتنة وما لا يصلح ، فالمصلحة في الترك وروى البخاري عن نافع قال : لما خلع اهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال : اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لكل غادر لواء يوم اليامة » وانا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله ، واني لا اعلم احدا منكم خلعه ولا تابع في هذا الامر الا كانت الفيصل بيني وبينه

قال ابن العربي : وقد قال ابن الخياط : ان بيعة عبد الله ليزيد كانت كرها ، وابن يزيد من ابن عمر ؟ ولكن رأى بدينه وعلمه التسليم لأمر الله والفرار عن التعرض لفتنة فيها من ذهاب الاموال والانفس مالا يخفى . نخلع يزيد - لو تحقق ان الامر يعود في نصابه ..^(١) فكيف ولا يعلم ذلك ؟ وهذا أصل عظيم فتفهموه والزموه ترشدوا ان شاء الله .

(١) سقط من هنا خبر المبتدأ الذي هو قوله « نخلع يزيد » ولعل الساقط قوله « تعرض للفتنة » كما يفهم من سابق الكلام - أي ان خلع يزيد تعرض للفتنة لا يجوز مع العلم بأن الخلافة تعود الى مستحقها ، فكيف وذلك غير معلوم ، لجواز ان ينشكلكم بن خاعوه ويبقى الامر بيده أو تعود الى مثله أو شر منه .

مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية اسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الغرض من هذه المحاضرات إيقافكم على أصول بعض أنواع العلوم الطبيعية والطبية خصوصا ما كان منها له مساس بعلم قارئ الصحة (فانه هو المقصد الأصلي الذي نرمي اليه في جميع هذه المحاضرات، لأن هذا العلم هو كشرة شبيهة مما تنتجه شجرة العلوم العصرية، طبيعية كانت أو طبية، والغرض منه معرفة الاصول والتواعد الصحية التي بها يُحفظ الجسم من الضعف والانحلال بقدر الامكان، وكذا من الامراض المعدية وغير المعدية

وستسمعون مني في سياق هذه المحاضرات تعريب كثير من الألفاظ العلمية، وتطبيق حقائق هذه العلوم على نصوص الديانة الاسلامية الغراء
وها كم أسماء العلوم التي نريد أن تتكلم عليها بعون الله تعالى :
١ الكيمياء ٢ الطبيعة ٣ التشريح ٤ الفسيولوجيا (١) ٥ الهستولوجيا (٢)
٦ البكتيريولوجيا (٣) الامراض المعدية، وغير ذلك

(نبذة في علم الكيمياء) Chemistry

الكيمياء القديمة كان الغرض منها معرفة حجر الفلاسفة وهو الجوهر الذي اذا وضع على أي معدن يصيره ذهباً على زعمهم . ومعرفة اكسير الحياة، وهو الذي كانوا يظنون أنه يعيد الشيخ شاباً أو أنه يشفي جميع الامراض . وأما الآن فالغرض من الكيمياء معرفة أصول المركبات وكيفية تركيبها وتحليلها . وهذه الاصول تسمى بالعناصر، والعناصر كثيرة، ولكنها الآن لا تتجاوز الثمانين؛ ومن أهمها الحديد

(١) وظائف الاعضاء (٢) التشريح الدقيق (٣) علم الميكروبات أو الجراثيم

والنحاس والاكسجين والكربون

وأما المركبات فمنها الخشب والسكر والماء وغير ذلك . والراجح عند العلماء الآن ان جميع العناصر هي أيضا مركبات وكلها ترجع الى أصل واحد، وهو الأثير الذي هو أبسط جميع الموجودات . ومنه ركبت ؛ وأصغر أجزاء هذه العناصر تسمى بالجواهر الفردة، وهي التي لا يمكن تقسيمها الى أقل منها ولو في الدهن والعناصر جميعا تنقسم الى قسمين معادن وغير معادن، فالمعادن هي مثل النحاس والحديد ، وغيرها مما مثل الفحم والكبريت (المسمى بالعمود) والمعادن تختلف عن غير المعادن في أربعة أشياء (١) ان المعادن لها لمة خاصة بها، وغيرها ليس كذلك (٢) ان المعادن توصل الحرارة والكهرباء (٣) أن المعادن تقبل الانطراق والتمدد وغير المعادن لا يقبل ذلك (٤) ان أكسيد المعادن يسمى القاعدة، وأكسيد غير المعادن يتركب منه الحمض . والأكسيد هو ما ينشأ من اتحاد الأكسجين مع أي عنصر من العناصر، مثال ذلك صدأ الحديد فإنه يسمى أكسيد الحديد لتركبه من الأكسجين مع الحديد ، والقاعدة سميت بذلك، لأنها كالأساس تبنى عليه الأملاح ، والحمض غير العضوي ينشأ من إذابة أكسيد غير المعادن في الماء ، واتحاد القواعد مع الحوامض يولد الأملاح ثم ان أكسيد المعادن الذي يذوب في الماء يسمى (قلوي) ولفظ قلوي نسبة الى قلى وهي كلمة فارسية معربة تطلق على نبات ينبت بشواطئ البحر يسمى الأشنان، اذا أحرقت تخلف منه رماد يشتمل على كثير من ملح يسمى (كربونات الصوديوم) ومنه يعمل الصابون. وكربونات الصوديوم تسمى بالعربية نظرونًا، ولفظ النظرون أخذ منه اسم العنصر المسمى (صوديوم) فسموه نظريوم، ومن كلمة قلى أخذ لفظ قليوم وهو اسم لعنصر (البوتاسيوم)

وأشهر القلويات أكسيد الصوديوم أو النظريوم وأكسيد البوتاسيوم أو القليوم . واذا أذيب القلوي في الماء تكون منه ما يسمى (هيدرات) أو إيدرات؛ ومعنى كل منهما (ماء) فاذا قيل هيدرات الصوديوم فمعناه ماء الصوديوم أو بالحري ماء أكسيد الصوديوم .

﴿ أشهر العناصر ﴾

وأشهر العناصر ما يأتي ١ً الأوكسجين ٢ً الهيدروجين ٣ً النيتروجين ٤ً الكلورين ٥ً الصوديوم ٦ً البوتاسيوم ٧ً الكلسيوم (وهو ما يتركب منه الجير) ٨ً الفسفور ٩ً الكبريت ١٠ً الحديد ١١ً الكربون (الفحم) فالأربعة الأولى كلها غازات طيارة كالهواء ، وهي لا لون لها ؛ ما عدا الكلورين فإنه أخضر اللون ؛ وهو معنى اسمه باليونانية : وأما الصوديوم والبوتاسيوم ووالخ فهي أجسام صلبة ،

﴿ العناصر المركبة في الجسم ﴾

ويتركب من هذه العناصر أجسام أخرى مركبة تدخل في جسم الإنسان وهي تنحصر في خمسة أنواع - ١ الماء ٢ المواد الزلالية ٣ المواد الدهنية ٤ المواد السكرية والنشوية ونحوها ٥ أملاح عديدة أهمها كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) وكربونات الكلسيوم (معدن الجير) وسلفات الصوديوم (كبريتات)

*

فأما الماء فهو مركب من الأوكسجين والهيدروجين ويدخل في جميع أجزاء الجسم ومنه يتكون أكبر جزء فيه ، وهو من أهم ما يلزم لحياة الجسم ، بحيث أن الإنسان وأي حيوان آخر إذا امتنع عنه بضعة أيام يموت قطعاً

*

وأما المواد الزلالية فهي كزلال البيض (بياضه) وهي مركبة من الأوكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكربون (الفحم) والكبريت . وبعضها يدخل فيه الحديد كالمادة المسماة (هيموجلوبين) وهي الداخلة في كرات الدم الحمراء) ويتركب من المواد الزلالية العظام واللحم والمخ والنخاع وجميع الأحشاء

*

وأما المواد الدهنية فهي مركبة من الكربون والهيدروجين والأوكسجين ، وتوجد في الغالب تحت الجلد وحول الأحشاء في البطن وغيره . ثم أن هذه العناصر الثلاثة الأخيرة يتركب منها الغلرين وحمض عضوية . فالأحماض العضوية هي التي لا تتكون بنفسها إلا في أعضاء النباتات والحيوانات .

وباجتماع الغليسرين مع الاحماض العضوية ينشأ الدهن والزيوت الثابتة (مثل زيت السمك وزيت الزيتون) أما الزيوت غير الثابتة فهي مثل زيوت الروائح العطرية، وتركيبها يختلف عن ذلك كثيرا

*

وأما المواد النشوية والسكرية ونحوها فتسمى في علم الكيمياء (بالكربوهيدرات) لأنها مركبة من الكربون والهيدروجين والأكسجين . والفرق بينها وبين المواد الدهنية هو في عدد الذرات وفي وضع بعضها بالنسبة الى البعض الآخر. والمواد السكرية والنشوية توجد بكثرة في الدم والكبد، فيوجد في الدم سكر العسل وفي الكبد نوع من النشا يسمى النشا الحيواني (الجليكوجين)

واعلم ان الياء والكاف [يك] إذا أضيفتا الى آخر اسم الحامض دلتا على ان فيه أكسجين كثيرا، والواو والزاي [وز] يدلان على أكسجين قليل، ولفظ [فوق] يدل على ان الأكسجين أكثر مما في الحمض المنتهى بالياء والكاف ولفظ [تحت] يدل على أنه أقل الحوامض التي من نوعه في الأكسجين. مثال ذلك

١ فوق حامض الكلوريك فيه ٤ ذرات من الأكسجين

٢ وحامض الكلوريك فيه ٣ » » »

٣ وحامض الكلوروز فيه ٢ » » »

٤ وتحت حامض الكلوروز فيه ١ » » »

والملاح الذي ينشأ من الاول يسمى « فوق كلورات » والذي ينشأ من الثاني « كلورات » والذي ينشأ من الثالث « كلوريت » والذي ينشأ من الرابع « تحت كلوريت »

وكل ياء ودال [يد] يدلان على ان الجسم مركب من عنصرين فقط مثل كلوريد الصوديوم فانه مركب من عنصرين فقط هما الكلورين والصوديوم ولاجل تمييز الحوامض عن القلويات يستعمل ورق عباد الشمس Litmus فالحمض يصيره أحمر والقلوي يصيره أزرق والملاح لا يغير لونه ويسمى (متعادلا)

{ الاتحاد والمزج }

بقيت مسألة واحدة تتعلق بموضوع الكيمياء وهي الفرق بين الاتحاد وبين الخلط أو المزج

فالانحداء معناه الارتباط والانضمام ، والخلط والمزج معناها ظاهر . وهناك في علم الكيمياء ثلاثة فروق كبيرة بين الاتحاد وبين الخلط أو المزج

(١) ففي حالة الاتحاد ينشأ مركب يخالف في صفاته وخواصه وطبائعه صفات أجزائه التي يتركب منها . وفي حالة الخلط أو المزج ليس الأمر كذلك . مثال ذلك الخشب فإن له صفات تغاير صفات عناصره كل المغايرة ، وإذا خلطنا السكر مع الفهم بقي كل منهما حافظا لصفاته وخواصه ، وهناك مثال آخر وهو الماء والهواء ، فالماء مركب متحد ، والهواء مركب ممزوج

(٢) ان الاتحاد الكيماوي يكون دائما بنسب ثابتة لا تبدل ولا تتغير ، والنسب في الخلط ليست ملتزمة

(٣) ان الاتحاد الكيماوي قد يولد حرارة وكهرباء ، والخلط لا يولد شيئا منها

(النبذة الثانية في علم الطبيعة) Physics

علم الطبيعة هو علم ظواهر المادة يبحث فيه عن طباعها وخواصها وقواها فهو علم الظاهر والكيمياء علم الباطن

أما قوى المادة فمعناها حركات جواهرها (ذراتها) المختلفة ، وتنشأ منها أعراض كثيرة أهمها ما نسميه بالكهرباء والحرارة والنور والمغناطيس فان الأشياء الاربعة ليست الا حركات مختلفة لذرات المادة

ثم ان المادة لها ثلاثة أحوال (١) اليوسة (٢) السيولة (٣) البخارية أو الغازية ، ويسمى الجسم في الحالة الأخيرة الساطع أو الريح أو البخار وبالا فرنجية الغاز

واختلاف هذه الاحوال الثلاثة إنما نشأ من اختلاف مقدار الحرارة الموجودة في كل منها ، فذرات الغاز أشدها اضطرابا واكثرها حركة وحرارة ، وذرات الجامد (اليابس) أقلها حركة وحرارة ، وذرات السائل متوسطة بين الحالتين في الحرارة

والحركة. فلا يمكننا تحويل الجسم من حالة اليوسة الى حالة السيولة الا بالارادة ولا يمكننا تحويله من حالة السيولة الى الحالة الغازية الا بالحرارة أيضاً. وكذلك الحالة في اذابة جميع الاجسام الجامدة في السوائل فانها تمتص الحرارة من الاجسام المجاورة لها فاذا اذبننا مثلاً الملح الأنكليزي في الماء أحسننا برودة في الاناء بسبب امتصاص حرارته لاجل الاذابة

والحرارة نوعان حرارة كامنة وهي منصرفة في تفريق ذرات المادة ولا يمكن الاحساس بها، وحرارة ظاهرة وهي التي يشعر بها الانسان
سنن التجاذب وأنواع الجذب

بين ذرات المادة تجاذب يظهر في أجرامها العظيمة كالنواكب وفي أجرامها الصغيرة كالخصى، ويشاهد هذا الجذب بين القمر والارض مثلاً في ماء البحار فيحصل فيه ما يسمى بالمد

ويسمى هذا التجاذب باسماء مختلفة باختلاف الاحوال: فالتجاذب بين ذرات الجسم الواحد كالخصى يسمى قوة الانضمام وبالانكليزية Cohesion والتجاذب بين جسمين مختلفين كالجدار وطلائه يسمى قوة الالتصاق وبالانكليزية Adhesion وبين الارض وما عليها يسمى قوة الجذب Gravitation وكل ثقل لاي جسم انه هو ناشيء من هذا الجذب الارضي. واختلاف الاثقال هو ناشيء عن عدد اختلاف الذرات، فالجسم الثقيل هو ما كانت ذراته كثيرة والجسم الخفيف هو ما كانت ذراته قليلة. وكل مانعرفه ونشاهده على الارض من الاجسام حتى الهواء له ثقل تسبب عن جذب الارض له

وثقل الهواء على الاجسام يسمى الضغط الجوي ولقياسه يستعمل البارومتر أما البارومتر فهي كلمة يونانية معناها (مقياس الثقل) أي ثقل الهواء وأبسط طريقة لصناعته أن تملأ أنبوبة زجاجية بالزئبق عادة طولها ٩٠ سنتي متراً وقطرها سنتي واحد ثم تسد بالاصبع وتغطس فتحتها في إناء مملوء بالزئبق ثم يرفع الاصبع فتري أن الزئبق ينزل في الانبوبة ويترك مسافة فارغة في أعلاها ويكون ارتفاع الزئبق في الانبوبة عن سطح الزئبق الذي في الإناء نحو ٧٦ سنتي متراً والذي رفعه الى

هذه المسافة هو ضغط الهواء على سطح الزئبق الذي في الاناء . ويمكن أيضا عمل البارومتر بأنبوبة على شكل حرف «ل» مسدودة من طرفها الأعلى ومفتوحة من الأسفل فيبقى الزئبق مرفوعا كما في الطريقة الاولى

ومن فوائد البارومتر معرفة ارتفاع الجبال وغيرها كالمناطيد لان الزئبق ينزل في الانبوبة كلما ارتفعنا خلفه الهواء في الاماكن العالية ، وكذلك نعرف منه قرب حصول المطر فان الهواء المشبع بالرطوبة أخف من الهواء الجاف فينخفض الزئبق اذا اقترب المطر

تمدد الاجسام ومقياس الحرارة

وجميع الاجسام تمدد بالحرارة في جميع جهاتها أي يكبر حجمها بسبب تفرق أجزائها فتتسع المسام التي بينها، وتنكمش أيضا بالبرودة أي يصغر حجمها وتقل المسافات (المسام) التي بين ذراتها

وعلى هذه القاعدة بني مقياس الحرارة Thermometer وهو عبارة عن أنبوبة من الزجاج فارغة من الهواء يوضع في أسفلها الزئبق ثم يبرد بالثلج حين ذوبانه حتى يصل الى أصغر حجمه ثم توضع في بخار الماء الذي يغلي حتى يصل الزئبق في الانبوبة الى أكبر حجمه . وتسمى النقطة الاولى التي وصل اليها الزئبق بالتبريد (نقطة الصفر) — وهي درجة الجليد . أي التي يجمد بها الماء فيكون جليدا والنقطة الثانية التي وصل اليها بالتسخين (نقطة المئة) — وهي درجة الغليان أي للماء — ثم تقسم المسافة التي بين هاتين النقطتين الى مائة قسم يسمى كل قسم منها درجة ويرمز للدرجة بدائرة صغيرة كرقم ٥ فاذا وضعت بجانب عدد كان المراد انه عدد الدرجات كما ترى قريبا وقد يوضع في هذه الانبوبة مواد أخرى غير الزئبق كالكحول (روح الخمر أو السبرتو)

وفي بعض البلاد يقسمون المسافة التي بين النقطتين المذكورتين الى ٨٠ قسما أو درجة وفي هذا المقياس تكون الدرجة أكبر من درجة المقياس الاول وقد يقسمون هذه المسافة أيضا الى ١٨٠ قسما فتكون الدرجة أصغر . ويضعون في هذا المقياس الاخير بدل الصفر رقم ٣٢ وبديل ١٠٠ رقم ٢١٢

ويسمى القياس الاول بالقياس المئتي Centigrade (سنتجراد)
ويسمى القياس الثاني مقياس (رُيومر) والمقياس الثالث يسمى مقياس
(فهرنهيت) وأكثر هذه المقاييس استعمالاً في مصر وفرنسا هو الاول ويأيه الثالث
كما في بلاد الانكليز وأما الثاني فهو قليل الاستعمال . أما حرارة الجسم الانساني
الطبيعية فهي بالمقياس الاول من 36° صباحاً الى 37° مساءً وبالمقياس الثالث
من 98° الى 99° تقريباً

وكل درجة من هذه الدرجات تنقسم الى عشرة أقسام فالخمس منها هي نصف
الدرجة وهكذا . وطريقة معرفة حرارة الإنسان أن يوضع المقياس في أي جزء
من الجسم بحيث يكون محاطاً باللحم من جميع الجهات مدة ثلاث دقائق تقريباً . وأشهر
هذه الاماكن تحت اللسان وتحت الابط وقد تؤخذ الحرارة أيضاً من الشرج
وذلك في الانعام والاطفال

والحيوانات تنقسم الى قسمين باعتبار الحرارة :

القسم الاول الحيوانات ذوات الدم الحار كالانسان والخيول والسباع والطيور
وغيرها . والقسم الثاني ذوات الدم البارد كالضفادع والاسماك والزواحف
فحيوانات القسم الاول تبقى حرارتها على حالة واحدة تقريباً في الحر والبرد في
أواسط الارض عند خط الاستواء وفي أعلاها عند المنجمد الشمالي مثلاً
وحیوانات القسم الثاني تختلف حرارتها باختلاف البيئة (الوسط) فترتفع
حرارتها اذا كان المكان ساخناً وتنخفض اذا كان بارداً

أما الانسان فاذا قلت حرارته عن 35° أو ارتفعت عن 44° مات غالباً . وارتفاع
الحرارة هو ما يسمى بالحمى ، وانخفاضها يسمى بالهمود (أو الهبوط) وهو الحالة التي
يكون الانسان فيها عند الموت عادة

المادة وقواها

إن جميع الاجسام وقواها المشاهدة في هذا العالم لا توجد الآن من العدم
ولا تقبل العدم أو الزوال وذلك بحسب استقراءنا الحالي وعلى ذلك يجب علينا ان
نبين مصادر (أو منابع الحرارة) في العالم حيث أنها لا تنبعث من العدم :

(مصادر الحرارة)

للحرارة مصدران : طبيعي وصناعي

(١) أما المصدر الطبيعي فهو الشمس وباقي الشمس الاخرى المسماة عندنا بالنجوم الثابتة، والحرارة التي فيها انما تنشأ من احتراق أجزائها. والاحتراق عبارة عن اتحاد الاجزاء بعضها مع بعض اتحادا كيمياويا . وأهم أنواع الاحتراق المشاهد في هذه الارض ما يحصل من اتحاد الفحم مع الاكسجين، والهيدروجين مع الاكسجين أيضا . والاحتراق لا يعدم المادة وانما يحولها الى صور وأشكال أخرى

(٢) وأما المصدر الصناعي فهو ينشأ من الاسباب الآتية :

(أ) الاحتكاك

(ب) القرع . كقدح الزناد الحجرية أو زناد الآلات النارية (البنادق)

(ج) التفاعل الكيماوي أو الاتحاد الكيماوي (كاحتراق الخشب)

(د) التيار الكهربائي (كالأتون الكهربائي)

فالحرارة الحيوانية تتولد في الجسم من الاحتراق ومن الشمس ومن الحركات الجثمانية الظاهرة والباطنة . وأهم احتراق يحصل في الجسم هو اتحاد ما يوجد فيه من الفحم أو الهيدروجين بأكسجين الهواء . والفرق بين اشتعال الجسم الانساني وبين اشتعال غيره أن اشتعال الجسم تدريجي بطيء واشتعال الآخر سريع شديد . ويتولد من اتحاد الفحم مع الاكسجين غاز يسمى (ثاني أكسيد الفحم) ويرمز اليه هكذا (CO_2) (١) ومن اتحاد الهيدروجين مع الاكسجين يتولد الماء ويرمز اليه هكذا (H_2O) وهذان الغازان ينشآن أيضا من احتراق كثير من أجسام أخرى كالخشب والشمع وزيت البترول (٢)

وخروج الحرارة من الجسم الانساني عدة طرق :

(١) طريق التوصيل وذلك بمرور الحرارة من الجسم الانساني الى جميع

(١) أي جوهر فرد من الكربون (الفحم) متحد مع جوهر ين من الاكسجين في كل ذرة من ذرات الغاز (٢) البترول معناه زيت الصخر أو الحجر لانه ينبع منه وتسمية العامة بالجاز أو الكاز

الاجسام المحيطة به كالملايس والفرش والهوا (٢) الاشعاع أي خروج الحرارة من الجسم بشكل أشعة كأشعة النور منبعثة في جميع الجهات، وسريانها هذا يكون في الاثير (٣) طريقة الحمل وذلك يكون بحمل الهوا المحيط بالجسم للحرارة وارتفاعه بسبب خفته وحلول هواء آخر بارد محله فان الهوا الحار أخف من الهوا البارد (٤) طريقة الافرازات كالبول والبراز وغيرها فانها يحملان شيئاً كثيراً من حرارة الجسم. ومثلها الهوا الخارج من الرئتين في الشهيق (٥) التبخر وذلك يكون بتبخر عرق الجسم ولا يخفى أن تحول الماء الى بخار يحتاج الى حرارة كما قلنا سابقاً فلذلك كان العرق في تبخره مخرجاً لكثير من حرارة الجسم وهو من أهم الطرق المذكورة هنا فاذا اشتدت حرارة الجوانبعث الدم من داخل الجسم الى خارجه وملاً البدن كله وكثيراً فإفراز العرق وقل الاحتراق الداخلي في الجسم حتى لا يزيد الحرارة عن الدرجة الطبيعية

واذا اشتدت برودة الهوا كثر الاحتراق الداخلي في الجسم وهرب الدم من ظاهره الى باطنه وامتنع العرق وبذلك تحفظ حرارة الجسم فيه وتبقى في الدرجة الطبيعية وكل هذه الحركات التي نحصل في الجسم من هروب الدم الى الباطن وخروجه الى الظاهر ومن زيادة الاحتراق أو قلته مدبرة بالاعصاب ومركز هذا التدبير في الدماغ أو المخ

فاذا أصيبت مراكز التدبير بأي شيء اختلت وظيفتها فإما أن يبرد الجسم برودة شديدة أو يسخن سخونة شديدة . وذلك الاخير هو الحى وقد يموت الشخص بسبب البرودة أو السخونة

والذي يفهم عمل هذه المراكز العصبية المدبرة في الغالب سموم تتولد في الجسم من الجراثيم المرضية (الميكروبات) . وقد ينتأ اختلال هذه المراكز من اصابات أخرى للدماغ أو آلام شديدة في جزء من أجزاء الجسم كالمغص الكلى . فأعظم أسباب ارتفاع الحرارة الجثمانية (أي الحى) شيئان (١) سموم الميكروبات التي تدور في الدم و (٢) كل ما يؤثر في المراكز العصبية كالألم الشديد أو ضربة الشمس أو غيرها

ومما تقدم يفهم أن الحمى تتولد في الجسم بثلاثة طرق (١) زيادة الاحتراق مع خروج الحرارة من الجسم كالمعتاد (٢) قلة خروج الحرارة عن المعتاد مع كون التولد كالمعتاد (٣) اجتماع الطريقتين السابقتين بأن يزيد الاحتراق ويقل خروج الحرارة. وهذا أشد طرق الحمى

ففي الامراض المختلفة المصحوبة بالحمى يحصل احد هذه الطرق وخصوصا الاول والثالث منها

فالحمى على ذلك . ضرب من ضروب النار . وأفيد عمل لإطفائها بسرعة استعمال الماء البارد مصداقا للحديث الشريف (الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء) أي كأنها من حر جهنم أو مما انتشر منها الى الارض ومن الغلط الشائع معالجة الحمى بكثرة التدفئة بالملابس وغيرها فان ذلك يزيد حرارة الجسم ويضر المريض كما لا يخفى

كلمة في الخمر

يظن كثير من جهلة الناس أن استعمال الخمر في البلاد الباردة ضروري للحياة وقد أثبت جميع أطباء العالم بلا خلاف بينهم تقيض هذه الدعوى وظهر لهم أن الخمر من أعظم ما ينخفض الحرارة الجسمانية لاسباب (أحدها) أنها تقلل الاحتراق الداخلي في الجسم المسمى بالتفاعل الحيوي (ثانيها) أنها تمدد جميع أوعية الجلد وتكثر العرق وبذلك يخرج كثير من حرارة الجسم (ثالثها) أنها اذا تعوطيت بمقادير كبيرة انتهى الامر بها الى إضعاف جميع قوى الجسم فيضعف القلب والدورة الدموية، ولذلك شوهد في البلاد الباردة كثير من الناس الذين تقتلهم الخمر

نعم إن جزءاً منها يحترق في الجسم فيولد فيه حرارة ولا يمكنها لا تعد شيئاً في جانب تبريدها الشديد للجسم كما بينا

أما الاحساس بالحرارة عتب تعاطيها فذلك ناشئ من ورود الدم بكثرة الى الجلد لا لزيادة في الاحتراق فهو إحساس كاذب ضار بالجسم

ومما تقدم يعلم ان الخمر نافعة في تبريد حرارة الجسم اذا أصابته الحمى، وهي كذلك، فان خمر استعمالها طيباً هو في الحيات بشرط عدم الاستمرار عليها طويلاً

وعدم الاكثار منها ، وإلا لأحدثت سرعة في النبض وزادت في هذيان المحموم وقد تستعمل أيضا بمقادير قليلة للتنبيه والانعاش قائم في أزل أمرها وبمقادير قليلة تؤدي الى تنشيط حركة الجسم ولكن ذلك يعقبة غالبا (وخصوصا اذا أخذت بمقدار كبيرة) هبوط ضار في جميع القوى

أضف الى ذلك مضراتها الاخرى الكثيرة بجميع الاحشاء وغيرها من أجزاء الجسم ، فان الخمر هي من أعظم أسباب جميع الامراض العقلية والعصبية والجنسية ، وهي تضعف النسل وتورثه بعض ما أصابت به والديه كالصرع مثلا . ومن أكبر مضراتها أيضا أنها تعوق حركة السكرات البيضاء ، التي في الدم وبذلك يتغاب كثير من الامراض على الجسم فتفتك به كما هو مشاهد كثيرا في السكيرين فقل أن ينجو منهم أحد أصيب بمرض شديد

وقد يتوهم بعض الناس مما ذكر أن الخمر اذا شربت بمقادير قليلة نفعت الجسم والحقيقة خلاف ذلك ، فان الادمان والمواظبة على شرب الخمر ولو قليلا لمدة طويلة قد ينشأ عنه كثير من الامراض التي ذكرت والقابل يجر الى الكثير حتما والا لضاعت مزيته عند الشارب

والمدمن على تعاطيها ولو باعتدال هو دائما ضعيف القوى بحيث لا يتحمل ما يتحمله غيره من المشاق ، وهو أيضا معرض لكثير من الامراض المعدية كالسل والحمرة ، لأن الخمر تقلل مقاومة الجسم لجميع الميكروبات كما قلنا وخصوصا ميكروب الالتهاب الرئوي ولذلك لوحظ ان الجنود الاسلامية أقوى الناس تحملا للمشاق وأقلهم تعرضا للامراض والخلاصة : ان الخمر اذا أخذ منها قليل مرة أو مرتين قد تنفع ولكن الادمان على قليلها هو ضار جدا كالاكثار منها غير أن ضرر القليل بطيء وضرر الكثير سريع قد يقتل الشخص في أقرب وقت فهي كما أخبرنا الله تعالى في كتابه فيها منافع للناس وأثمها أكبر من نفعها

(الدوبان وما يتعلق به)

إذا وضع جزء من السكر أو نحوه في الماء وترك قليلا من الزمن مع تحريك

السائل أو السكر انحل السكر كأنه فقد ، والحقيقة أنه لا يزال باقيا في الماء فيعطيه خواصه وصفاته

وإذا مزج قليل من الدقيق بالماء شوهد أنه باق فيه بلا انحلال
فالحالة الاولى تسمى حالة الذوبان والحالة الثانية تسمى حالة التعليق ، لان ذرات
الجسم الصلب تكون معلقة أو محمولة على ذرات الجسم السائل
وكما يحصل الذوبان في الاجسام الصلبة كذلك يحصل في السوائل والغازات
فاذا مزجنا بعض السوائل ببعض الآخر يشاهد فيها هذا الانحلال (الذوبان)
مثال ذلك اختلاط الخل بالماء والخر به فانهما يذوبان فيه
وكذلك الغازات فان بعضها يذوب في السوائل أي تنحل وتمزج بها امتزاجا
تاماً كالهواء مع الماء

وكما أن بعض الاجسام الصلبة لا يذوب في بعض السوائل كذلك توجد
سوائل لا تذوب فيها كالزيت في الماء

وأحسن طريقة لتعليق الزيت في الماء أن يمزج الماء قبل اضافة الزيت اليه
بقليل من الصمغ ويسمى المزيج الحاصل من هذه الاشياء الثلاثة (مستحلباً)
فمن امثلة التعليق في الاجسام الحيوانية الدم واللبن فان الدم مركب من بعض
اجسام ذائبة وبعض اجسام غير ذائبة وكذلك اللبن فان الدهن معلق فيه كتعليق
الزيت فيما سميناه هنا مستحلباً تشبيهاً له باللبن الحليب (المحلوب)

ويمتاز الجسم المعلق عن الجسم الدائب بما يأتي : —

- (١) إن الجسم المعلق يشاهد بالعين المجردة او بالآلات المكبرة (الميكروسكوب)
- (٢) اذا ترك الجسم المعلق زمناً متاً شوهد انه ينفصل عن السائل الذي كان
معلقاً فيه فاما أن يصعد الى أعلا كالزيت أو يسقط الى أسفل كالدقيق
- (٣) اذا وضع السائل المعلق عليه شيء ، في اناء ناضح نضح السائل وحده وبقي
الجسم المعلق في داخله

(٤) توجد آلة تسمى (المبعدة عن المركز) اذا وضع فيها سائل عليه أشياء

معلقة وأديرَت بسرعة شديدة طرِدَت الأشياء الثقيلة الى جهة دائر محيطها واقتربت الخفيفة نحو مركزها وبذلك يمكن فصل الاجسام المعلقة بعضها عن بعض وهذه الآلة تستعمل في فصل زبدة اللبن عنه فتجد فيها الزبدة بقرب المركز لخفتها وكذلك تستعمل في فصل كريات الدم عن بقية فتوجد الكريات عند محيطها لثقلها . وفصل الجسم الذائب في السائل عنه طريقة شهيرة وهي التبخير السريع أو البطيء . والسائل الذي يبخر اذا برد وجمع يسمى مقطرا، وهو يكون خاليا من جميع الاجسام التي كانت ذائبة فيه الا التي تتصاعد بالحرارة كالروائح الزكية وغيرها وهذه سنة الله تعالى في استخراج ماء المطر من البحار كما قال الله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) ويستعملها الانسان لاستخراج الملح لطعامه ولا استخراج الماء العذب من الماء الملح اذا كان مسافرا في البحار (المحيطة)

وتختلف الاجسام في الذوبان باختلاف أنواعها فمنها ما يذوب كثيرا ومنها ما يذوب قليلا، ولها كلها في الذوبان نسب خاصة ثابتة، وكلها تحتاج لحرارة في ذوبانها فتختلف النسب حينئذ باختلاف درجة الحرارة ، فاذا كانت الحرارة كثيرة ذاب كثير واذا كانت قليلة ذاب قليل، ولا يستثنى من ذلك الاجسام قليلة كملح الطعام الذي يذوب في الماء البارد كالساخن مع فرق طفيف واذا أذيب في السائل في درجة متا أكبر مقدار يمكن اذابته فيه في هذه الدرجة سمي السائل مشبعاً وهذه الطريقة تسمى سنة (الاشباع)

واذا أشبع السائل وهو حار بمقدار متا من الملح ثم برد السائل رسب من الملح ما ذاب في حالة السخونة وبقي مقدار قليل ذائبا يناسب الدرجة التي وصل اليها الماء في برودته

وهذه الاجسام الراسبة تتخذ أشكالا هندسية بدیعة عجيبة في أثناء رسوبها تسمى (البلورات) وكما أن الرسوب يحصل اذا اختلفت الحرارة من عالية الى واطئة كذلك يحصل اذا قل مقدار السائل بالتبخير . ومما يساعد على رسوب الاجسام من السائل المتبخر وجود أي جسم غريب فيه فيكون كبدا للرسوب، وكما أن الرواسب تحصل في الخارج اذا انخفضت حرارة السائل أو وضع فيه جسم غريب كذلك

يجوز أن تتكون الحصوات في الجسم الانساني (كالحصوات الكلوية والصفراوية) من انخفاض حرارته فجأة في بعض الحميات ومن وجود بعض أجسام غريبة في داخله كبويضات الديدان الطفيلية . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن أكثر الحصوات الكلوية هي من حامض البوليك وهو يكثر افرازه في الحميات ويرسب في البول اذا اشتدت حموضته فلذا أرى أن الحميات هي من أعظم أسباب الحصوات الكلوية لان البول يكثر فيه هذا الحامض ويكون شديد الحموضة فلذا يرسب فيه الحامض البوليك وأملاحه خصوصا اذا انخفضت الحرارة

أما ذوبان الغازات في السائل كلما فانه يختلف في أحكامه عن الاجسام الصلبة فالغازات تذوب بكثرة كلما اشتدت برودة السائل وكما زاد الضغط عليها، وهي في ذوبانها كباقي الاجسام الاخرى تختلف أيضا باختلاف طبيعتها، فمنها ما يذوب كثير ومنها ما يذوب قليلا

ولولا ذوبان الهواء في الماء لماتت الحيوانات البحرية، فانه ضروري لحياتها كالحيوانات البرية سواء بسواء . أما الأكسجين الموجود في الهواء الذائب فهو بنسبة خمسة وثلاثين في المائة من حجمه . وفي الهواء العادي ٢١ في ١٠٠ وهذه الحقيقة الاخيرة تثبت أن الأكسجين في الهواء ليس متحدا اتحادا كيمياويا مع النيتروجين بل ممزوجا به فقط، ولذلك اختلفت النسبة في حالة الذوبان عنها في الجو (يتبع)

الامتيازات والشرعية الاسلامية*

الاسباب التي تحمل الدول الاوربية على صيانة الامتيازات الاجنبية في تركيا - الشريعة الاسلامية قائمة على القرآن لاتساوي بين المسلم وغير المسلم

أعلنت الحكومة العثمانية انها ألغت امتيازات الاجانب في بلادها فاحتجت الدول الاوربية والولايات المتحدة على هذا العمل الذي خرقت به تركيا المعاهدات الدولية، وعلت الاصوات بالشكوى من الحالة السيئة التي يصير اليها الاجانب في تركيا فيما لو ألغيت الامتيازات المذكورة وصار الاجانب في تركيا مثل العثمانيين خاضعين للمحاكم الاهلية، ولم يبق لهم الحق على رجوعهم الى محاكم قنصلياتهم في دعاويهم المدنية والجنائية وقد عثرنا على مقالة خطيرة في هذا الشأن لأخذ الكتبة السياسيين في جريدة الصن النيويوركية أردنا تلخيصها اتماما للفائدة قال :

لا الولايات المتحدة ولا دولة اخرى اجنبية نصرانية ترضى ان رعاياها الذين لهم مصالح في تركيا والذين لسبب من الاسباب اضطروا ان يسكنوا فيها موقتا أو دائما ان يكونوا خاضعين للمحاكم القضائية القائمة على تعاليم القرآن، فطرائق العدالة الاسلامية شرعية بلفظها ومعناها، وطرائق العقاب الاسلامية بلغت من القساوة مبالغا عظيما بحيث ان الحكومة الاجنبية التي تترك رعاياها تحت رحمة محاكم تركيا الوطنية تخسر ثقة شعبها وفضلا عن ذلك ان الاجانب بعد إلغاء هذه الامتيازات لا يكونون تحت رحمة تلك المحاكم الجائرة فقط، بل يعرضون نفوسهم لضرائب فادحة،

* « هذه المقالة لكاتب أمريكي ترجمتها بالعربية جريدة الهدى العربية السورية التي تصدر في نيويورك فرأينا أن ننقلها عنها ونعلق عليها ما فيه العبرة

فان الحكومة العثمانية التي تنفق أموالا طائلة على جنديتها وبحريتها وعليها دين وطني واجنبي عظيم، وهي منكوبة بأشد أزمة مالية، لا بد ان تضرب في المستقبل ضرائب فادحة على الاجانب في بلادها، بعد ان نضبت مواردها الوطنية بكثرة ما وضعته عليها من الضرائب الباهظة

ولا يقدر الباب العالي ان يمنح الحكومات الاجنبية شيئا يذكر في مقابل موافقتها على إلغاء الامتيازات الاجنبية في تركيا، فالحكومة الحاضرة في الآستانة غير قائمة على أساس ثابت، بل هي دائما تحت رحمة اناس مغامرين متهوسين نظيرانور باشا ناظر الحربية السابق (?) أو المسيطر الحقيقي على تركيا، الذي تلطخت يده بدم ناظم باشا القائد العثماني الشجاع المقتول بخيانة وجبانة. ولذلك باتت الحكومة العثمانية تحت خطر دائم، ولا يبعد ان تقع ثورة في الغد تسقط هذه الحكومة وتلغي الدستور وتنقض كل الاتفاقات التي عقدتها الحكومة السابقة، وتعيد الحكم الاستبدادي بما يرافقه من جور وفظاعة

وما لا بد من ذكره ان امتيازات الاجانب في تركيا لم تؤخذ منها بالقوة بل هي منحها مختارة، ومنشأها احتقار المسلم الشديد لكل من هو غير مسلم، فالاسلام لا يقدر ان يتصور وجود مملكة مختلفة، فهو لا يحسب حسابا الا للبلاد التي كل سكانها مسلمون، ويعتقد ان العالم كله سيؤول في آخر الامر مثل هذه المملكة

هذان من جهة النظريات، امامن الوجه العملي فالمسلم لا يكثر لوجود غير مسلم في بلاده، ولا يعترف بمساواة غير المسلم به. وبالتالي ان المسلمين لا يهمهم ما يفعله غير المسلمين ويتفكرون به مازالوا خارجين عن دائرة الاسلام

والذي يستحق الذكر أيضا ان الاسلام انشر بالفتح لا بمساع سلمية، وقد استعان المسلم الفاتح على ادارة شؤون البلدان التي فتحها باطرائق الادارية التي وجدها مرعية فيها، وقد رأى في تلك البلدان دوائر روحية للنصارى واليهود ابقاها على حالها، وصار الاساقفة والحاخاميون رؤساؤهم المسؤولين واسطة بينهم وبين الحكام المسلمين

وعلى هذه القاعدة صار الاجانب الساكنون والمتاجرون في تركيا وبلاد فارس ومصر وبقية الممالك الاسلامية تحت سيطرة قناصلهم القضائية أولا باستمرار العادة وثانيا بعقد معاهدات. ولم ينالوا هذا الامر من باب الامتياز بل من وجه انهم احط من ان ينتفعوا بمنافع العدالة الاسلامية القائمة على القرآن

وقد فتحت عن هذه الطريقة شريعة الامتيازات الخارقة العادة التي اعفت السفير الاجنبي وبيته واملاكه من القضاء العثماني، وتناوت هذه الشريعة رعايا دولته الاصليين والمجنسين بجنسيتها. ومع نقصان قوة المملكة الاسلامية وازدياد قوات الدول الاجنبية كانت امتيازات الاجانب تزداد قوة واهمية في البلدان الخاضعة للحكم الاسلامي حتى صارت المستعمرات الاجنبية في كل مملكة اسلامية اشبه بممالك صغيرة ضمن مملكة كبيرة ومن الادلة على ان الامتيازات الاجنبية في الممالك الاسلامية لم تنل بالقوة ان سويسرا والبرتغال والبلجيكا تتمتع في تركيا وبلاد فارس ومصر بنفس الامتيازات التي تتمتع بها الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا وروسيا والمانيا وغيرها من الدول العظمى

هذا وان كثيرين من رجال الحكومة العثمانية نظير احمد رستم بك

(المنار - ج ١١ م ١٧) مزاعم الافرنج في شيخ الاسلام وحكم الشريعة ٨٧١

السفير العثماني في واشنطنون المتعصب لاسلامه الجديد يقولون ان قوانين تركيا المدنية والجنائية لا تنقص بشيء عن القوانين الغربية بعد ان وضعها مشترعون عثمانيون وأوروبيون

انهم مصيبون في قولهم، فالقوانين العثمانية خليط بين نظام نابليون والشريعة الاسلامية وماتقى الانهر، ولكنها موجودة بالاسم فقط، فان نجم الدين بك ناظر العدلية في الحكومة العثمانية الجديدة أدرى الناس بهذا الامر، فقد رفع بالامس تقريراً عن الاصلاحات التي أدخلتها حكومته على دوائر الشريعة والقضاة وانه نفذ النظام الجديد، ولما سئل عما اذا كان هذا النظام يساوي بين المسلم والنصراني واليهودي أجاب بكلام لا يحتمل الريب وقال «ان هذا الامر يستحيل على المسلم ان يتصوره فهو لا يفكر به أبدا» وبناء على ما تقدم يظهر ان نظام العدل في تركيا ديني غير خاضع لناظر العدلية كما هو في بقية الحكومات، بل لشيخ الاسلام الذي ليس رئيس رجال الدين الاسلامي في المملكة العثمانية فقط بل قاضيه الاكبر، فلا مرد لحكمه ولا اعتراض على فتواه. وهو يرش مرتين في الاسبوع محكمة العدل العليا المتصلة بقصره في استامبول

ولشيخ الاسلام سيطرة على الامة والعلماء والمتصوفة، وعلى رؤساء الكليات الدينية والمحاكم القضائية، فكل القضاة في محاكم تركيا العليا والبدائية ينالون مناصبهم منه وهم تحت نفوذ ديني شديد، بدليل ان مرتباتهم المالية تؤخذ من ريع الاوقاف الاسلامية التي هي ثلاثة أرباع العقارات المدنية في المملكة العثمانية، وقد رافقت اجارها من الفلاحين شروط جائرة. منها ان الفلاح المستأجر بعضها اذا مات بدون عقب فأرضه تعاد الي

الأوقاف لانه لا يقدر ان يتركها لارملته أو أحد أنسابه

ولا يمكن حمل مفسري الشريعة الاسلامية على جعلها حديثة، أو اقناعهم بأن الأحكام تتغير بتغير الزمان، وبأن الازمنة قد تغيرت منذ أربعة عشر قرنا حين وضع النبي محمد الشريعة الاسلامية في بلاد العرب لتنطبق على حاجات أبناء البادية وسكان الوبر. فشيخ الاسلام في الآستانة والمفتي الاكبر في القاهرة وكل قاض مسلم كبيرا كان أم صغيرا يعتبرون الحيدان عن تعاليم النبي محمد خطيئة مميتة أو جريمة ضد الاشياء المقدسة ومن الادلة على عدم امكان تطبيق احوال النصارى على منطوق الشريعة الاسلامية ما جرى في القاهرة سنة ١٩١٠ حين رفض المفتي الاكبر الموافقة على اعدام الورداني قاتل بطرس باشا غالي رئيس الوزارة المصرية والاول مسلم والثاني نصراني قبطي، وكانت حجة المفتي في عدم الموافقة على اعدامه ان الشريعة الاسلامية لا تحكم باعدام المسلم لقتله نصرانيا، فالمسلم الذي يقتل نصرانيا لا يعتبر مجرما في نظر الشريعة الاسلامية

وقد استغربت الحكومة الانكليزية هذه الفتوى ولم تعمل بها، وشنقت الورداني غير مكترثة لفتوى المفتي الاكبر الذي ذكر سببا آخر لامتناعه عن الفتوى باعدام الورداني فقال انه لم يرد في القرآن ذكر للمسدسات، ولا في الشريعة القائمة على الحديث، ولذلك لا يعتبر المسلم بالشريعة المقدسة مجرما اذا استعمل المسدس لجرح أو قتل

وزبدة القول ان فتوى مفتي الديار المصرية في عدم تجريم مسلم يقتل نصرانيا، وقول ناظر العدلية العثمانية باستحالة مساواة النصراني واليهودي بالمسلم امام الشريعة العثمانية، حجة قاطعة تحتج بها دول أوربا والولايات المتحدة في عدم تنازلها عن الامتيازات الاجنبية في تركيا والسماح للباب العالي بإلغاءها

(تنفيذ مزاعم السياسي الامريكاني في الشريعة الاسلامية)

يتوهم كثير من الشرقيين ولا سيما المتفرنجين منهم أن كتاب السياسة والتاريخ وعلماء القوانين والشرائع من الافرنج لا يكتبون في جرائدهم الشهيرة ومصنفاتهم الا لحقائق الثابتة التي قتلوها بحثاً وتدقيقاً وتمحيصاً . ويظن الذين يسيئون الظن بالافرنج ويتهمونهم بالتعصب وغمط حقوق الشرقيين كافة والمسلمين خاصة ، انه لا يكاد يوجد فيهم عارف منصف يقول الحق اذا كان لغير قومه لاهم ، ولا حظ لهم فيه ، والمحققون المعتدلون يعلمون ان المستقلين فيهم كثيرون ، ويظنون أن الامريكيين منهم أقرب الى الانصاف ، وأبعد عن الجور والاعتساف ، فيما يحكمون به على الشرق والاسلام ويصفونهما به ، لانه ليس بين الامريكيين والشرقيين من المنازعات والمطامع السياسية مثل ما بين الاوربيين والشرقيين . وهؤلاء يستغربون مثل هذه المقالة من سياسي أمريكي في جريدة أمريكية شهيرة

بل أقول قد يستغرب مثل هذه المقالة كل من قرأها من أبناء العربية في مصر وشورية بقدر احترامه للأمة الامريكية الجليلة ، لانه لا يستطيع أن يرى الكاتب من احدى الخلتين : الجهل أو التعصب الحامل على قول الزور ، فان من لم يعلم من أهل هذه البلاد أن ما حكم به الكاتب على الاسلام زور وبهتان كقليلي الاطلاع من النصارى يعلم أن ما نسبته الى مفتي مصر من القول بأن الشريعة الاسلامية لا تحكم بقتل المسلم الذي يقتل النصراني قول باطل لم يقله ولا يمكن أن يقوله مفتي مصر لان جميع الكتب التي يستمد منها نصوص الفتوي مصرحة بان المسلم يقتل بغير المسلم . جعل الكاتب السياسي العلة الاولى لوجوب عدم رضاء الدول بالخضوع للمحاكم العثمانية هي كونها قائمة على تعاليم القرآن وكون المسلم يحتقر غير المسلم ولا يعترف بمساواته له

ماذا عرف هذا الكاتب من أحكام القرآن في العدل والمساواة ومن اين استنبط حكمه عليه ؟

قال الله تعالى في مسألة الحكم بين اليهود . وكانوا أشد الناس عداوة للنبي (ص) وللحؤمنين من جميع من ناصبوه - (٤٥:٥) وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان

الله يحب المقسطين) والقسط هو العدل

وقال تعالى في مسألة الحقوق والحكم العام بين الناس كافة من مسلم وغيره
(٤ : ٥٧ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس
أن تحكموا بالعدل) قال بين الناس ولم يقل بين المسلمين

وقال في العدل العام والشهادة التي هي ركن القضاء (٤ : ١٣٤) يأيها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ان
يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وان تلووا أو
تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) امر بالمبالغة في العدل وشهادة الحق ، ومنع
أن يحابي أحد في ذلك نفسه أو والديه أو أحدا من أقاربه أو غنيا لغناه أو فقيرا
لفقره ، وأن يتبع هوى نفسه في ترك شيء من العدل أو يحرف فيه أو يعرض عنه .
وكل هذه الآيات في سورة واحدة

وقد نهى تعالى عن ترك العدل مع الأعداء ، سواء كان في الأحكام أو
الشهادة كما نهى عن ترك العدل مع الأوداء ، فقال (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب
للتقوى ، واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون) الشنآن البغض والعداوة أي ولا
يكسبنكم ويحملنكم بغض قوم وعداوتهم لكم أو عداوتكم لهم على ترك العدل
فيهم اذا حكمتم بينهم أو شهدتم في خصامهم .

وليست هذه الآيات كل ما في القرآن من الأمر بالعدل ، بل ثم آيات أخرى
كقوله عز وجل « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » وقوله « قل أمر ربي بالقسط »
ومثلها ماورد في الميزان

فليأتنا ذلك السياسي الذي يفر هو وقومه من حكم القرآن بمثل هذا التشديد في
الأمر بالعدل المطلق والمقيد بالأعداء وتحريم المحاباة فيه - لعل من العلل - من
التوراة أو الانجيل أو كتب الأولين والآخرين ، اما نحن فنستطيع أن نأتيه بالنصوص
والشواهد على عدم مساواة الأفرنج الأفريقيين والآسويين بأنفسهم

وأما المساواة فهي لم توجد على حقيقتها وإطلاقها وعمومها الا في الاسلام ، كما
تدل على ذلك النصوص والأعمال ، وتشهد به تواريخ القرون والأجيال
أما النصوص فحسبك منها ما تقدم من الآيات آنفا فانها امرت بالتزام الحق
والعدل في الحكم والشهادة والمعاملة مع الموافق في الدين والمخالف ، والغني والفقير -

والقريب والبعيد ، والمحب الوديد ، والعدو البغيض . وإنما يخرج الناس عن صراط المساواة بحجابه من يمت اليهم بصلة الدين أو لحمه النسب ووشيجة الرحم ، أو رابطة الصداقة والمودة ، أو من يطعمون في غناه أو يرحمونه لفقره ، وحينئذ يظلمون خصم من يحابونه ، ومن الناس من يظلم كل من يخالفهم في دين أو جنس ، أو يبغضونه لسبب ما . وقد أتت الآيات على جميع ذلك

وأما العمل فقد اشتهر عن الخلفاء الراشدين وغيرهم من أمراء المسلمين من العدل والمساواة ما لم يؤثر عن غيرهم . وناهيك بقضية غضب علي المرتضى من عمر الفاروق لانه كناه وسمى خصمه اليهودي ولم يساو بينهما في التسمية كما ساوى بينهما في سائر الامور . واعترف عمر بذلك . ولا تنس مساواة عمر بين الغلام القبطي وولد عمرو بن العاص فاتح مصر وأميرها . فأمثال هذه القضايا لا يتجرأ أميريكاني ولا أوربي أن يدعي مثلها لحكومته . كيف ومن قواعد حكومة الولايات المتحدة التي هي من أرقى حكومات الغرب ان المساواة بين الابيض والاسود غير جائزة . بل رأينا بعض محاكمهم في هذه الايام - ولا أقول في هذا القرن الذي يضربون المثل بارتقاء البشر فيه - تنكر على السوريين حق الجنسية الامريكانية والتشرف بمساواة البيض ، على عراقية السوريين في النسب السامي من الجنس الابيض وكونهم من وطن المسيح عليه السلام ، الذي يعبد الامريكيون ويتخذونه ربا وإلهاً .

فالشريعة الاسلامية وحدها هي التي ساوت بين جميع البشر في الحقوق ، حتى ان الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، كان يعد نفسه مساوياً لغيره في الحقوق ، وقصة اليهودي الذي جذبه من طوقه لدين له لم يحل أجله مشهورة . وقد طلب من الناس في مرض موته أن يقتص منه من كانت له قبله مظلمة ، فادعى عكاشة بن محصن (رض) أنه (ص) ضربه مرة على عاتقه مكشوفاً فكشف له (ص) عاتقه ليضربه كما ضربه !!

وليس للخلفاء في الاسلام امتياز على أحد من الناس في الحقوق المدنية ولا الجزائية ، وكان الموالي والذميون والمعاهدون يتجأون مع الخليفة الى القاضي فيساوي بينهم . فان كان العثمانيون قد قالوا في قانونهم الاساسي « ان السلطان مقدس وغير مسئول » وجعلوه من قبل ذلك لا يحاكم ولا يخاصم فهم إنما أخذوا ذلك عن الجانب غير المسلمين

واننا نعد من استعلاء الافرنج بقوتهم على ضعفنا تحكيمهم بدم كل شيء لنا أو

عندنا ، وان كانوا لم يعرفوا كنهه ولا وقفوا على حقيقته ، كانهم يرون أن الحق والنصيلة والخير وكل ما يمدح لا يكون الا للاقوياء أصحاب المدافع الكبيرة والذهب الكثير ، بل هذا مذهب معروف صرح به كثير من فلاسفتهم وسياستهم ، وهم يجرون عليه في مستعمراتهم .

ولولا اطلاعنا على أقوال العلماء المستقلين والحكماء الراسخين في وصف الاسلام والمسلمين كقوستاف لوبون وجبون واضرابهما لظننا أنه لا يوجد في الافرنج كلهم عارف منصف يقول الحق الذي يعتقده

يقول الكاتب الامريكي ان المسلمين أعطوا الأجانب ما أعطوهم من امتياز الحكم فيما بينهم طوعاً واختياراً لأن الاسلام لا يقدر أن يتصور وجود اناس غير مسلمين يستحقون أن يتمتعوا بعدل الاسلام . فكأنه يقول ان المسلمين يريدون بذلك أن يتجاهلوا وجود أحد غير مسلم في الارض !

وانما المعروف من القرآن العظيم أن الله تعالى خير رسوله «ص» في الحكم بين اليهود في قضية عرضوها عليه ، وأمره بأن يحكم بالعدل اذا هو اختار الحكم بينهم في تلك القضية التي كانت لهم فيها هوى يبناه في التفسير من عهد قريب . ثم قال (وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم) فقل هذا ناسخ للتخير وقيل غير ناسخ فمن هنا أخذ المسلمون أن يحكمنا مخيرون في غير المسلمين بين الحكم بينهم وبين السماح لهم بأن يحكموا بشريعتهم فيما بينهم . ولغلبة الحرية الدينية والتسامح في الاسلام واحترام عقائد الناس سمح الخلفاء والملوك لغير المسلمين بأن يتحاكموا الى رؤساء دينهم في الامور الشخصية . وكذا في غيرها احيانا اذا كان خاصا بهم . فهذه المبالغة في الحرية والتسامح واحترام المخالفين ، كانت يجب أن يطري به الأمريكي وغيره الاسلام والمسلمين ، فما كان منه الا أن قلب الحقيقة ، وعكس القضية ، فجعل ما يقتضي الاطراء في المدح ، موجبا للاسراف في الذم والقدح !! ثم إن الكاتب أخطأ فيما نقله عن شيخ الاسلام في حكومة الاستانة كما أخطأ فيما نقله عن مفتي الديار المصرية ، فهل يوثق بعلمه بالشريعة الاسلامية نفسها وبأحكامها ، وهو لا يوثق بعلمه في الامور الرسمية التي تقع في عصره وهو لا يحتاج فيها الى علم واسع ، بل يكفي فيها التثبت في النقل ، وانما نحمل كلامه على الخطأ وسوء الفهم ، وعدم التثبت في النقل ، وزرباً به عند تعمد الكذب ، لمحض الغلو في التعصب الجهل والخطأ أهون من الكذب ، وشر الكذب ما حمل عليه التعصب

واحتقار الامم ، وأقبحه ما صدر ممن يدعي الحرية والانصاف ، ويحتكر لنفسه وقومه فضيلة العدل والمساواة ، ولولا الادب مع الكاتب لاحترام أمته لقلنا انه كذب شر الكذب وأقبحه على الاسلام والمسلمين عامة ، وعلى ناظر العدلية العثماني اذ زعم أنه قال : أنه يستحيل على المسلم أن يتصور المساواة بين المسلم أو النصراني واليهودي ، وعلى مفتي الديار المصرية اذ زعم انه احتج على امتناعه من الافتاء بقتل قاتل بطرس باشا بأن الشريعة لا تحكم باعدام المسلم لقتله نصرانيا ولا تعده مجرما

وليس الخطأ في كلمات أو وقائع اسندت الى بعض الرجال ، بأقبح منه في الشرائع والنظام العام ، ومنه قول الكاتب ان نظام العدل في تركية ديني غير خاضع لناظر العدلية ، وان شيخ الاسلام في الاستانة هو القاضي الأكبر الذي لا مرد لحكمه ، وانه يرأس مرتين في كل أسبوع محكمة العدل العليا المتصلة بقصره في استانبول ، وان له السيطرة على الامة وعلى العلماء والمتصوفة ، وعلى رؤساء الكليات الدينية والمحاكم القضائية ، وان جميع القضاة في المحاكم التركية الابتدائية والعالية ينالون منه مناصبهم وهم تحت نفوذ ديني شديد

وليست هذه المزاعم بأغرب من الاستدلال عليها بكون مرتبات من ذكر من القضاة وغيرهم تؤخذ من الاوقاف الاسلامية ، ومن زعم الكاتب ان تلك الاوقاف هي ثلاثة أرباع العقارات المدنية في المملكة العثمانية

شيخ الاسلام ليس قاضيا لمحكمة تسمى محكمة العدل العليا - ولا سيطرة له على الامة ولا على محاكم العدلية المدنية والجنائية ، ولا هو يعين أحدا من قضاة هذه المحاكم ، بل يعين رؤساءها ناظر العدلية ، وأعضاؤها ينتخبون انتخابا من الادالي المسلمين وغير المسلمين ، ويأخذون مرتباتهم من خزانة الحكومة لا من الاوقاف الاسلامية - والاوقاف الاسلامية ليست ثلاثة أرباع العقارات ولا ربعها ولا عشرها وليس شيخ الاسلام ناظرا للاوقاف ليكون مسيطرا على من يأخذ مرتبا منها

نعم ان شيخ الاسلام هو الذي يولي القضاة الشرعيين الذين يحكمون بين المسلمين في الامور الشخصية ، وهؤلاء تستوفى أحكامهم وتميز في باب المشيخة الاسلامية ، في مجالسها رؤساء غير شيخ الاسلام ، ومرتباتهم كمرتبات قضاة المحاكم المدنية تؤخذ من خزانة الحكومة . وفي باب المشيخة رئيس للمدارس الدينية التي بناها السلاطين في الاستانة وغيرها يسمى وكيل الدرس ، وبالتركية «درس وكيلى» ولهذه المدارس أوقاف خاصة بها تديرها نظارة الاوقاف

ولا حاجة الى تفنيد كلامه في اجارة الاوقاف الاسلامية وعييه إياها بأن المستأجرين لها لا يتركونها إرثا لأولادهم ، فان أجهل الناس في كل أمة وملة يعلمون ان المستأجر لا يكون مالكا حتى يترك ما استأجره إرثا لأولاده

بقي مما يؤبه له كلامه في تعذر إقناع مفسري الشريعة الاسلامية بان الاحكام تتغير بتغير الأزمان ، وبان الازمنة تغيرت عما كانت عليه منذ اربعة عشر قرنا ، وأن الشريعة الاسلامية وضعت في بلاد العرب لتنطبق على حاجات أبناء البادية - فهذا الكلام لا نلومه عليه لانه قد فيه كثيرا من الاوربيين الذين لا يخطر في بال مثله ان كلامهم لا يؤخذ على علته . وهذا التعليق لا يتسع لطالة الكلام في بيان الحق في هذه المسألة ، فنكتفي بكلمة وجيزة نقولها له ولأمثاله وهي:

ان مفسري الشريعة الاسلامية لا يحتاجون الى الاقتناع بان الاحكام تتغير بتغير الازمنة فكلمهم يعرفون ذلك وطالما قرروه في كتبهم ، واقدام كلمة يروونها في التصريح بذلك عن إمام في العلم والحكم من اهل العصر الاول ماقاله عمر بن عبد العزيز الذي يعده المسلمون خامس الخلفاء الراشدين في علمه وعدله وهو « يحدث للناس اقضية بحسب ما أحدثوا من الفجور » ومثله ما يحدثونه من غير الفجور أيضا - ويعلمون أيضا أن هذا الزمان مخالف للزمان الذي وجدت فيه الشريعة الاسلامية ، ويعلمون ان الشريعة الاسلامية وضعت لتنطبق على حاجات أبناء البادية كما يعلم الكاتب وأمثاله - ويعلمون أيضا مالا يعلمه هو وأمثاله وهو ان هذه الشريعة وضعت لتنطبق على حاجات أهل الحضرة في ذلك الزمان وفي كل زمان ومكان أيضا ، وكان ينبغي ان يعلم هو وأمثاله انه كان للمسلمين حضارة فاقت حضارة سائر الامم المجاورة لهم في الشرق وفي الغرب كحضارة بغداد والاندلس ، وأن الشريعة الاسلامية كانت منطبقة عليها ولم يكن عندهم شريعة غيرها ، وان عدلها هو الذي جعل الناس يخضعون لها مختارين ولولا ذلك لم يستطع أولئك الشرذمة من العرب فتح الشرق والغرب في جيل واحد ، فالدين الاسلامي هو الذي أوجد الحضارة والفتوحات بطبيعته لا بقوة سيوف أهله ، ولم تكن الفتوحات الموجدة أو الناشرة له

وقد بين علماء الشريعة أن معنى سمعتها وموافقتها لمصالح الناس من بدو وحضر في كل زمان ومكان هو كون قواعدها العامة مبنية على أساس الشورى والعدل والمساواة ، واعتبار عرف الناس الحسن في معاملاتهم ، ودرء المفساد وجلب المصالح ودفع الضرر والضرار ، وكون أولي الامر ورجال الشورى فيها يجب ان يكونوا من

أهل الاجتهاد القادرين على استنباط الاحكام التي تمس اليها حاجة الناس في سياستهم وأقضيتهم. ولم يقل أحد من أئمة هذه الشريعة ما يدعيه هذا الكاتب وأمثاله من ان النبي (ص) وضع أحكاما تفصيلية لجميع ما تحتاج اليه أمته في زمنه - دع سائر الازمنة - وانه يحرم على سائر المسلمين ان يزيدوا فيها شيئا تقتضيه المصلحة. بل صرح بعض الأئمة بان مراعاة المصالح في كل زمان ومكان أصل من أصول هذه الشريعة يتفرع عنه مالا يحصى من الاحكام . وقد شرحنا هذه المسألة وفصلناها غير مرة في تفسير القرآن الحكيم وفي غيره من مباحث المنار

نعم إن حكام المسلمين والمشتغلين بالعلم منهم قصرُوا منذ قرون فيما يجب عليهم من الاجتهاد في هذه الشريعة ، وجمدوا على بعض الكتب التي ألفها من قبلهم فجنوا بذلك على انفسهم وعلى ملتهم ، وكان من آثار هذا الجمود والجهل ان لجأت بعض حكوماتهم الى الاستمداد من القوانين الاوربية - كما نقل الكاتب عن السفير العثماني في بلاده - بعد أن كان الاوربيون يستمدون من كتب شريعتنا كما فعل نابليون الاول . ولكن نابليون اقتبس من شريعتنا في قانونه مارآه موافقا لمصلحة امته ، واما حكامنا فانهم صاروا يأخذون من قانونه ومن سائر القوانين الاوربية ما يوافق مصالح أمتهم وما يخالفها ، ذلك بأن نابليون اقتبس بعقل واجتهاد ، وحكامنا يقدون الافرنج تقليدا . ومن هذا الجمود توقف بعض المتفقهة عن جعل القتل بالرصاص كالقتل بالسيف أو السكين ، ولولا هذا الجمود لما اضطروا الحكام الجاهلين بالشريعة الى الالتجاء الى قوانين الامم الاخرى ، فهذا شرعواقب جهل رؤسائنا بأصول شريعتنا وتركهم الاجتهاد الواجب فيها ، والأئمة متفقون على اشتراط الاجتهاد في الحكم والمفتين ، ولكن من ينفذ هذا الشرط ؟

ومن التناقض في كلام الكاتب أنه جعل العلة لنفور الاجانب من الخضوع للمحاكم العثمانية هي كونها تستند في أحكامها الى القرآن المنافية للعدل والمساواة ، ثم اعترف بأن العثمانيين أخذوا معظم قوانينهم عن الاوربيين . وليته يعلم انهم لو حكموا بين الاجانب بما يأمر به القرآن لكان خيرا لهم ، لانهم حينئذ يحكمون بعدل كامل يقيمون بالاخلاص سرا وجهرا ، وليست حالهم في القوانين كذلك . هذا وان الحقائق التي اشرنا اليها يعرفها كثير من الأوربيين ، ويصرح بها بعض المستقلين . وقد قلنا من عهد غير بعيد قول لورد كتشنر لعضو من أعضاء مجلس الامة العثماني ان هذه القوانين لا توافق حال العثمانيين كما توافق حال من أخذوها عنهم ، وقوله

أن عندكم شريعة عادلة تنطبق على مصالحكم فخير لكم أن تعملوا بها .
وقد كان لورد كرومر كتب في آخر تقرير له عن مصر كلمة في الشريعة الإسلامية في معنى كلمة السكاتب الأمريكي من حيث موافقته هذا الزمان وعدمه ، فكتبت إليه كتاباً قلت له فيه إذا كان يعني بما كتبه الدين لاسلامي الذي هو القرآن والسنة فأنا مستعد لأن أبين له أن معظم ما جاء فيهما من الأحكام القضائية والسياسية قواعد عامة توافق مصلحة البشر في كل زمان ومكان لأن أساسها درء المفاسد وجلب المصالح بحكم الشورى . وإن كان يعني كتب الفقه الاسلامي فتلك من وضع الناس فيها كثير من آرائهم التي ينتقدها عليهم غيرهم فأجاني عن ذلك بأنه يعني بما كتبه مجموعة القوانين الإسلامية التي تسمى الفقه قال « ولم أعن الدين الاسلامي نفسه ، ولذلك قلت في هذا التقرير وفي غيره بوجوب مساعدة الحزب الاسلامي الذي يطلب الاصلاح ويسير مع المدنية من غير أن يمس اصول الدين »

ولص كتابي وكتابه في ذلك مطبوعان في ص ٢٣١ و ٢٣٢ من مجلد المنار العاشر أكتفي بهذه العجالة في الرد على السكاتب الأمريكي ، وكان لي أن أوجه كلمة عتاب الى رصيفنا صاحب جريدة الهدى الذي ترجم هذه المقالة وصدرها بمقدمة تدل على اقرار كاتبها على ما كتبه ، ولم يعقب عليه بكلمة انكار . ولكنني استبدل بالعتاب الرغبة الى انصافه بان ينشر هذا الرد في جريدته وينبه جريدة الصين الى ما يجب عليها من ترجمته ونشره لتتضح ذلك الباطل بالحق اليقين ، وحيا الله الانصاف والمنصفين

تاريخ اعلان الدول الحرب

ذكرنا من قبل اعلان اكثر الدول للحرب والآن نعيده مستوفى فنقول :
أعلنت النمسة الحرب على السرب في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٤ . وأعلنتها ألمانية على روسية في ١ أغسطس وفي ٤ أغسطس أعلنتها على البلجيك وفرنسة . وفي منتصف ليل ٥ أغسطس أعلنت انكلترة الحرب على ألمانية . وفي ٦ أغسطس أعلنتها النمسة على روسية . وفي ٧ أغسطس أعلنها الجبل الاسود على النمسة . وفي ١٠ منه أعلنتها فرنسة على النمسة . وفي ١٢ منه أعلنتها انكلترة على النمسة . وفي ١٧ منه أعلنها الجبل الاسود على ألمانية . وفي ٢٣ منه أعلنتها اليابان على ألمانية . وفي ٢٦ منه أعلنتها النمسة على اليابان

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فبشر عادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم لله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للسلام صوي و « مناراء كمنار الطريق »

نصر سلخ ذي الحجة ١٣٣٢ هـ ق الخريف الثالث ١٢٩٣ هـ ش ١٨ نوفمبر ١٩١٤

مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٢

(المطر)

(اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَنْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ
وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ)

المطر يتولد من تصاعد بخار مياه البحار وغيرها، والعمدة في تبخيرها حرارة الشمس
والفرق بين الغليان وبين هذا التبخر التدريجي هو أن التبخر يحصل من
سطح السائل فقط وفي حالة الغليان يذبت البخار من جميع أجزاء الماء
أما الحرارة اللازمة للتبخر في الحالتين فكميتها واحدة

وتتولد الحرارة أيضا في مياه البحار من احتكاك بعض ذراتها ببعض ومن
احتكاك الهواء بسطح البحر. وعمل الريح ضروري جدا لتوليد السحاب من البحر
ذلك (١) أنه باحتكاكه بسطح البحر يولد حرارة تساعد على التبخر (٢) وأنه
يحمل معه كثيراً من ذرات الماء بمجرد هبوه عليه حملاً آلياً (ميكانيكياً)
(٣) وأنه يسوق الهواء الذي شبع بالماء ويرفعه إلى السماء ليحل محله هواء آخر خال من
الماء، وبذلك يزداد تبخر البحر، ولولا ذلك لوقفت حركة التبخر لامتلاء الهواء الذي
على سطح البحار بالماء

لذلك قال الله تعالى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً) أي تهيجها وتحركه
وترفعه عن سطح البحار كما ترفع التراب عن الأرض

والماء يوجد في الهواء بصور مختلفة أشهرها الطل والضباب والبرد والصقيع -

والمطر ، ففي حالة البرد والصقيع يكون الماء متجمدا وفي حالة الضباب والطل والمطر يكون سائلا والفرق بين هذه الاحوال انما هو في درجة الحرارة فقط

واذا اجتمعت ذرات الضباب بعضها ببعض سقطت الى الارض بصورة طل أو مطر واذا اجتمعت ذرات البرد بعضها ببعض سقطت الى الارض بصورة قطع صغيرة من الثلج تسمى الصقيع

وعليه فلا فرق بين أنواع السحاب سواء أكانت قريبة من سطح الأرض أم بعيدة عنه فهي على كل حال عبارة عن ذرات صغيرة جدا من الماء السائل أو المتجمد

ويجب أن نفهم أن السحاب ليس بخار (غاز) الماء وانما هو بخار تكاثف أي قطرات صغيرة في حالة السيولة لا في الحالة الغازية والا لما أمكننا مشاهدته فان بخار الماء لا يرى لانه غاز كالهواء

وفي أثناء سقوط المطر يختلط بالهواء فيذوب فيه بالنسبة التي سبق بيانها، وكذلك يختلط بكل ما يوجد في الهواء من تراب أو أي غبار آخر أو جراثيم مرضية أو غير مرضية الخ

ولذلك يتلون المطر في بعض البلاد بألوان مختلفة كالأسود والأحمر بحسب ما يختلط به

فماء المطر وإن كان أتقى ماء في الكون الا انه ليس أتقى من الماء المقطر الذي نحصل عليه صناعيا

ومن هذه الاجزاء الدائبة في ماء المطر ما هو نافع للحيوانات والنباتات فان الهواء الدائب في الماء ضروري للحيوانات البحرية ونافع للحيوانات البرية كالانسان ، فانه يجعل الماء خفيفا على معدته، بخلاف ما اذا كان خاليا من الهواء، وكذلك توجد بعض مواد ذائبة في ماء المطر كانت سابحة في الهواء، فاذا سقطت الى الأرض نفعت النباتات فتغذت منها، ولا تمتص النباتات شيئا من الارض ما لم يذب في الماء ومن الاشياء المختلطة بالمطر ما هو ضار كالجراثيم المرضية

الانهار والعيون

إذا نزل المطر الى الارض سالت منه أودية على سطحها نسمى بالانهار وامتصت الارض جزءاً آخر منه يسيل في جوفها كالانهار وهو في الحقيقة أنهار باطنية وجميع هذه الانهار الظاهرة والباطنة تتجه شطر البحار ونحوها

ومن هذه الانهار الباطنية تتفجر الينابيع ويستخرج ماء الآبار فجميع الماء العذب الذي يشربه الحيوان سواء أكان أصله من الانهار أم من الآبار أو الينابيع هو كله من ماء المطر . قال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض) الآية

وإذا امتصت الارض الماء أو سال على ظهرها اختلط بجميع ما يوجد فيها من الاملاح وغيرها ومن ذلك نشأ الاختلاف بين أنواع المياه لاختلاف تربتها ، فمنها العذب الفرات ومنها المالح الاجاج ، وان كانت في الاصل كلها عذبة

أما سبب انفجار الينابيع ^(١) الطبيعية فهو اختلاف في مستويات طبقات الارض المتنوعة فاذا كنا في بقعة من الارض منخفضة عن باقي سطحها سهل انفجار الينابيع فيها بنفسها أو بمساعدتنا ، فان من السنن الالهية ان السوائل تميل الى الموازنة فلذا يصعد ماء الينبوع المنفجر حتى يساوي ماء النهر الباطن الذي صدر منه

والآبار نوعان آبار قريبة وآبار عميقة : فالآبار القريبة هي التي يأتيها الماء من الطبقة الاسفنجية ^(٢) الاولى وهي عرضة لان تتلوث بالمياه القذرة التي على سطح الارض أو بالمياه القريبة من هذه الآبار كالمراحيض ؛ والآبار العميقة هي التي يأتي اليها الماء بثقب طبقة الارض البعيدة حتى تصل الى الطبقة الاسفنجية الثانية ، وقد يرتفع الماء بنفسه في هذه الآبار بنوعها اذا كان مصدره عاليا وقد نحتاج الى الآلات لجذبه اليها . والنوع الثاني من الآبار أبعد عن التلوث من النوع الاول ويسمى بالآبار الارتوازية نسبة الى إقليم ارتواز (Artois) بشمال فرنسا حيث حفرت أول بئر سنة ١١٢٦ ولأجل صيانة الآبار عن التلوث يجب أن تراعى الشروط الآتية في حفرها :

(١) من الينابيع ما مؤه حار جدا الى درجة الغليان كما في الولايات المتحدة لصدوره من مكان غائر جدا في جوف الأرض المتهب (٢) اعني ذات المسام الممتلئة بالماء

الشرط الاول أن تكون بعيدة عن جميع المنازل المسكونة بنحو ٣٠ مترا على الأقل

الثاني أن لا تكون في الجهة البحرية للمنازل في بلاد مصر لأن المياه الباطنية في مصر تنحدر كياه النيل من الجهة القبلية الى الجهة البحرية وعلى ذلك تكون الآبار المخنورة في الجهة البحرية في طريق المياه الملوثة من المنازل
الثالث أن تكون حيطان (جدران) هذه الآبار صقيلة وأن تكون الآبار دائما مغطاة

ولسهولة الحصول على مياه صحية نقية توجد طريقة أخرى سهلة وهي استعمال الطامبات الحبشية انرتون (Norton) وهي مؤلفة من أنابيب معدنية تدق في الأرض الى بعد عميق جدا وتكون الاولى منها ذات طرف دقيق (مدبب) كالسهم وجميع جوانبها مخرقة الى بعد نحو قدمين وفي نهاية هذه الانابيب من الجهة العليا يركب عليها طامبة لجذب الماء

والمياه التي تخرج بهذه الطامبة نقية جدا لانها صادرة من أعماق الأرض البعيدة ولا تتلوث بشيء مما على سطح الأرض أو في داخلها

والاشياء التي توجد في المياه هي كما سبق نوعان: أشياء معلقة وأشياء ذائبة أما الاشياء المعلقة فهي توجد في مياه الانهار بكثرة عظيمة. وأما مياه الآبار فانها تكاد تكون خالية الا من الاشياء الذائبة لانها تصفى من خلال طبقات الأرض

فالمياه الباطنية إذا أقل ضررا للصحة من مياه الانهار الظاهرة كما لا يخفى وللحصول على ماء نظيف من مياه الانهار الظاهرة يجب ادا عليها أو تقطيرها أو تصفيتها بالآلات المسماة بالنواضح (المرشحات) وقد يستعمل (الشب) لتنقية الماء وهو لا ضرر فيه والسبب في فعالة هذا انه يتحد مع بعض أملاح الماء مثل (بي كربونات الخيزر) فيتكون ما يسمى عيدات الالومنيوم^(١) وهي مادة غروية ترسب الى أسفل الماء فتحمل معها كل ما كان معلقا في الماء تقريبا وبذلك يتنقى. ويوضع (١) هو العنصر الذي يتركب منه الشب مع عناصر أخرى وتعمل منه الان أدوات كثيرة منزلية وغيرها خفيفة جدا

الشرب في الماء بنسبة جرام الى كل ١٤ لترا من الماء تقريبا
أما تنقيته بنوى المشمش المر فهي ضارة لانه قد يتولد منه حامض الهيدروكسنيك
وخصوصاً اذا كان مقداره عظيماً وترك مدة طويلة ، وهذا الحامض هو سم زعاف
سريع التأثير جداً

وعيب الماء المغلي انه يشتمل على المواد المعلقة ويكون خالياً من الهواء
وعيب الماء المقطر انه يكون خالياً من جميع الاملاح التي كانت في الماء فيكون
قليل التغذية للجسم فان هذه الاملاح ضرورية للحياة
وعيب الماء المنقى بالشرب انه لا يكون نقياً للغاية المطلوبة واذا زاد مقدار الشرب
أفسد طعم الماء وأحدث عند متعاطيه امساكاً شديداً . أما الماء المصفى بالنواضح
فهو خير المياه لانه يكون مشتملاً على الهواء والاملاح اللازمة للجسم ونظيفاً من كل
ما يضر تقريبا

وأنواع النواضح كثيرة فمنها الخاوية (الزير) ومنها ما يكون مصنوعاً من
الفخار أو الفخم (وهو أردوها) وقد يستعمل الرمل لتنقية الماء بالنضح أيضاً
والنواضح عبارة عن أنبوبة من الفخار جوفاء يمر في مسامها الماء من ظاهرها
الى جوفها الفارغ والدافع للماء على هذا المرور هو الضغط عليه
وفي البلاد التي فيها الشركات المائية يندفع الماء بسبب ارتفاع الخزانات التي
تضعها هذه الشركات دائماً في مكان أعلى من المدينة

ويجب تنظيف هذه النواضح كل ثلاثة أيام بغسلها جيداً بالماء والصابون مع
شيء خشن كالسفرة (الفرشه) أو الليف ثم تغلي في الماء لمدة عشر دقائق على
الاقل لتقتل جميع الجراثيم الساكنة فيها

وأسهل طريقة لتنظيف الخوابي (الازيار) هي غسلها أولاً بالماء المغلي من الداخل
والخارج غسلاً جيداً ثم طرحها في الشمس مدة طويلة حتى تجف تماماً وبذلك يمكن
أن تموت جل أو كل ميكروباتها الضارة

أما مرور الماء أو خزنه في أنابيب أو خزانات من الرصاص ففيه ضرر
وهذا الضرر يختلف باختلاف أنواع المياه والمواد الدائبة فيها: فالأ ملاح الكلوريد

والنيترات تساعد على اذابة شيء من الرصاص في الماء وكذلك الهواء والاحماض
فاذا اشتمل الماء على شيء من هذه الاشياء المذكورة (وهو قل أن يخلو منها) ذاب
من الرصاص ما يكفي لافساد صحة الانسان

أما الاملاح الاخرى الاكثية وهي السلفات والفسفات والكربونات فانها تعوق
ذوبان الرصاص في الماء ولذلك قلنا ان ضرر الرصاص يختلف باختلاف الاشياء
الذائبة في الماء

واذا استمر الانسان على تعاطي الماء الملوث بالرصاص أدى الى أعراض
مرضية كثيرة منها :

الضعف، والصفار، والمغص الشديد، وزرقة تشاهد في اللثة، ومرض في الكلى،
ضعف واضطراب في أعضاء التناسل، وشلل في بعض أعضاء الجسم فيحصل في
اليدين ارتخاء يسمى عند الأطباء « الرسغ الساقط »

ولتوفي هذه المضار يجب أن يوضع الماء في خزانات من الحجر أو الحديد ونحوهما
وأن تكون المواسير مصنوعة من مثل الحديد المصبوب (الزهر) أو الفخار
(ينبع)

فصل^(١)

ومن منازل اياك نعبد واياك نستعين « منزلة المحبة »

وهي المنزلة التي فيها يتنافس المتنافسون ، واليها شخص العاملون ، والى علمها شمر السابقون ، وعليها تفانى المحبون ، وبروح نسيمها تروح العابدون ، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرّة العيون ، وهي الحياة التي من حرمتها فهو من جملة الاموات ، والنور الذي من فقدته ففي بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام ، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام ، وهي روح الايمان والاعمال ، والمقامات والأحوال ، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه ، تحمل أثقال السائرين الى بلاد لم يكونوا الا بشق الانفس بالغيا ، وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها ، وتبوتهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخلها ، وهي مطايا القوم التي مسراهم في ظهورها دائما الى الحبيب ، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الأولى من قريب ، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب ، وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب ، فيا لها نعمة على المحبين سابغة! تالله لقد سبق القوم الساعة وهم علي ظهور الفرش نائمون . ولقد تقدموا الركب بمراحل ، وهم في سيرهم واقفون

من لي بمثل سيرك المدال تمشي رويدا ونجى في الاول

أجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح ؛ وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضا والسباح ، وواصلوا اليه المسير بالإدلاج والغدو بالرواح ، تالله لقد حمدوا عند الوصول سراهم ، وشكروا مولاهم على ما أعطاهم ، وأنما يحمد القوم السرى عند الصباح

فخيلا ان كنت ذا همه فقد حدا بك حادي الشوق فاطو المراحلا

وقل لمنادي حبيهم ورضاهم اذا ما دعا « لبيك » ألفا كواملا

ولا تنظر الاطلال من دونهم فان نظرت الى الاطلال عدن حوائلا

(١) من الجزء الثالث من مدارج السالكين

ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد ودعه فان الشوق يكفيك حاملا
 وخذ منهم زادا اليهم وسر على طريق الهدى والفقر تصبح واصلا
 وأحي بذكراهم سراك اذا ونت ركابك فالذكرى تعيدك عاملا
 وإما تخافن الكلال فقل لها امامك ورد الوصل فابغ المناهلا
 وخذ قبسا من نورهم ثم سر به فنورهم يهديك ليس المشاعلا^(١)
 وحي على واد الأراك فيقل به عساك تراهم فيه ان كنت قاتلا
 وإلا ففي نعمان عند معرف الـ أحبة فاطلبهم اذا كنت سائلا
 والا ففي جمع^(٢) بليتته فان تفت فتى ؟ يا ويح من كان غافلا
 وحي على جنات عدن بقرهم منازلك الاولى بها كنت نازلا
 ولكن سباك الكاشحون لاجل ذا وقفت على الاطلال تبكي المنازلا
 فدعها رسوما دارسات فما بها مقيل فجاوزها فليست منازل
 رسوم عفت تفتى بها الخلق كم بها قتيل وكم فيها لذا الخلق قاتلا^(٣)
 وخذ يمنة عنها على المنهج الذي عليه سرى وفد المحبة أهلا
 وقل ساعدي يانفس بالصبر ساعة فعند اللقاء الكد يصبح زائلا
 فما هي الا ساعة ثم تنقضي ويصبح ذو الاحزان فرحان جاذلا
 أول نقدة من آثمان المحبة بذل الروح ، فما للمفلس الجبان البخل وسومها ؟

بدم المحب يباع وصلهم فمن الذي يتتاع بالثمن
 تالله ما هزلت فيستامها المفلسون ، ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة^(١) المعسرون ،
 لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد ، فلم يرض لها بثمان دون بذل النفوس ،
 فتأخر البطالون ، وقام المحبون ينظرون ، أيهم يصلح أن يكون ثمنًا ، فدارت السلعة بينهم
 ووقعت في يد (أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين)

(١) كذا ولعله تحريف فظاهر الاعراب الرفع بالعطف، ولا يظهر الاستثناء .
 بل المراد ليس ما يهديك هو المشاعل . ويمكن أن يقال: فاطف المشاعلا - أو - فارم
 المشاعلا (٢) جمع هي المزدلفة . ومعرف في البيت الذي قبله عرفات (٣) كذا والظاهر ان
 يقال « قاتل » بالرفع لان « كم » خبرية كالتي قبلها (٤) في غير ح - فينفقها بالنسيئة

لما كثر المدعون للمحبة طولبوا باقامة البيئة على صحة الدعوى ، فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرقه الشجى ، فتنوع المدعون في الشهود ، فقليل : لا تقبل هذه الدعوى الا بيينة (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله) فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه ، فطولبوا بعدالة البيئة بتركية (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون ، فقليل لهم : ان نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهدوا الى بيعه (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقد التبائع عرفوا قدر السلعة وان لها شأنًا ، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس ، فمقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار ، وقالوا : والله لا نقيلك ولا نستقيلك . فلما تم العقد وسدوا المبيع قيل لهم : مذكارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر مما كانت وأضعافها معها (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون » فرحين بما آتاهم الله من فضله) اذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الاخلاص ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار ، وآتت أكلاها كل حين باذن ربها ، أصلها ثابت في قرار القلب ، وفرعها متصل بسدره المنتهى ، لا يزال سعي الحب صاعدا الى حبيبه لا يحجبه دونه شيء (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

فصل

لا تحد المحبة بحد أوضح منها . فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء ، فحدها وجودها ، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة ، وانما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدا وثمراتها وأحكامها ، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة ، وتنوعت بهم الغبارات وكثرت الاشارات بحسب ادراك الشخص ومقامه وحاله ، وملكه للعبارة . وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء : (أحدها) الصفاء والبياض . ومنه قولهم لصفاء يياض الاسنان ونضارتها حجب

الاسنان (الثاني) العلو والظهور ، ومنه حَبَبُ الماء وحُبَابُه وهو ما يعلوه عند المطر الشديد ، وحَبَب الكاس منه (الثالث) اللزوم والثبات ، ومنه حَبَّ البعير وأحب اذا برك ولم يقم^(١) قال الشاعر :

حلت عليه بالفلاة ضرباً ضرب بعير السوء اذ أحبا

(الرابع) اللب ومنه حبة القلب للبه وداخله ، ومنه الحبة لواحدة الحبوب^(٢) اذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه (الخامس) الحفظ والامساك . ومنه حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه ، وفيه معنى الثبوت أيضاً . ولا ريب ان هذه الخمسة من لوازم المحبة ، فانها صفاء المودة وهيجان ارادات القلب للمحجوب ، وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحجوب المراد ، وثبوت ارادة القلب للمحجوب ولزومها لزوماً لا تفارق^(٣) ولا إعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه ، ولا اجتماع عزماته واراداته وهوومه على محبوبه . فاجتمعت فيها المعاني الخمسة ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة ، الحاء التي هي من أقصى الخلق ، والباء الشفوية التي هي نهايته ، فلحاء الابتداء ، ولباء الانتهاء ، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحجوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه . وقالوا في فعلها^(٤) حبه وأحبه . قال الشاعر :

أحب أبا ثروان من حب تمر ولم تعلم أن الرفق بالجار أرفق^(٥)

فوالله لولا تمر ما حبته ولا كان أذن من عبيد ومشرق

ثم اقتصروا على اسم الفاعل من « أحب » فقالوا محب ، ولم يقولوا حاب ، واقتصروا على اسم المفعول من « حب » فقالوا محجوب ، ولم يقولوا محب ، الا قليلا كما قال الشاعر :

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

وأعطوا الحب حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة

(١) في ب : فلم يقم (٢) وفي غيرها : ومنه لواحدة الحبوب (٣) لعلها

« لا تفارقه » (٤) في غير ح : فعله (٥) هذا البيت من زيادة ب

مسماه وقوتها ، وأعطوا الحب — وهو المحبوب — حركة الكسر لحقتها عن الضمة وخفة المحبوب وذكره على قلوبهم وألسنتهم ، مع إعطائه حكم نظائره كنهب بمعنى منهوب وذبح بمعنى مذبح ورحل المحمول — بخلاف الحمل الذي هو مصدر — لحفته ، ثم ألحقوا به حملاً لا يشق على حامله حمله كحمل الشجرة والولد ، فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعاني ، تطلعك على قدر هذه اللغة وان لها شأنًا ليس لسائر اللغات

فصل

في ذكر رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها وشواهداها ، والكلام على ما يحتاج إليه منها ^(١)

(الاول) قيل: المحبة الميل الدائم ، بالقلب الهاثم . وهذا الحد لا يميز فيه بين المحبة الخاصة والمشاركة والصحيحة والمعلولة

(الثاني) اثار المحبوب ، على جميع المصحوب . وهذا حكم من أحكام المحبة وأثر من آثارها

(الثالث) موافقة الحبيب ، في المشهد والمغيب . وهذا أيضاً موجبا ومقتضاها وهو اكمل من الخدين قبله ، فانه يتناول المحبة الصادقة الصحيحة خاصة ، بخلاف مجرد الميل والاثار بالارادة فانه ان لم تصحبه موافقة فمحبه معلولة

(الرابع) محو المحب لصفاته ، واثبات المحبوب لذاته . وهذا أيضاً من أحكام الفناء في المحبة — أن تمنحي صفات المحب وتقتي في صفات محبوبه وذاته ، وهذا يستدعي بياناً أتم من هذا لا يدركه الا من أفناه وارد المحبة عنه ، وأخذه منه

(الخامس) مواطاة القلب لمرادات المحبوب . وهذا أيضاً من موجباتها وأحكامها ، والمواطاة الموافقة لمرادات المحبوب وأوامره ومراضيه

(السادس) خوف ترك الحرمة ، مع اقامة الخدمة ، وهذا أيضاً من اعلامها وشواهداها وآثارها — أن يقوم بالخدمة كما ينبغي مع خوفه من ترك الحرمة والتعظيم

(السابع) استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار القليل من حبيبك . وهذا قول أبي يزيد ، وهو أيضاً من أحكامها وموجباتها وشواهداها ، والمحبة الصادق له بذل المحبوبة جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيا منه ، ولو ناله من محبوبة أيسر شيء ، لاستكثره واستعظمه

(الثامن) استكثار القليل من جنائتك ، واستقلال الكثير من طاعتك . وهو قريب من الذي قبله لكنه مخصوص بما من المحب

(التاسع) معانقة الطاعة ، ومباينة المخالفة . وهو سهل بن عبد الله ، وهو أيضاً حكم المحبة وموجبها

(العاشر) دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب . وهو للجنيدي . وفيه غموض ، ومراده استيلاء ذكر المحبوب وصفاته وأسمائه على قلب المحب حتى لا يكون الغالب عليه إلا ذلك ، ولا يكون شعوره واحساسه في الغالب إلا بها ، فيصير شعوره واحساسه بدلا من شعوره واحساسه بصفات نفسه ، وقد يحتمل معنى أشرف من هذا ، وهو تبدل صفات المحب الذميمة التي لا توافق صفات المحبوب بالصفات الجميلة المحبوبة التي توافق صفاته . والله أعلم

(الحادي عشر) أن تهيب كلك لمن أحببت ، فلا ينفى لك منك شيء . وهو لأبي عبد الله القرشي . وهو أيضاً من موجبات المحبة وأحكامها ، والمراد أن تهيب ارادتك وعزماتك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه ، وتجعلها حسباً في مرضاته ومحابه ، فلا تأخذ لنفسك منها إلا ما أعطاك فتأخذه منه له

(الثاني عشر) أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب . وهو للشبلي ، وكال المحبة يقتضي ذلك فانه ما دامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة (الثالث عشر) اقامة العتاب على الدوام . وهو لابن عطاء . وفيه غموض ومراده أن لا تزال عاتباً على نفسك في مرضاة المحبوب ، وأن لا ترخي له فيها ^(١) عملاً ولا حالة

(الرابع عشر) أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك . وهو للشبلي أيضاً ، وفيه كلام سند كره أن شاء الله في منزلة الغيرة ، ومراده احتقارك لنفسك أو استصغارها أن يكون مثلك من محبيه

(الخامس عشر) ارادة غرست أغصانها في القلب فأثمرت الموافقة والطاعة (السادس عشر) أن ينسى المحب حظه في محبوبه ، وينسى حوائجه اليه . وهو لابي يعقوب السوسي ، ومراده أن استيلاء سلطانها على قلبه غيبه عن حظوظه وعن حوائجه ، واندرجت كلها في حكم المحبة

(السابع عشر) مجانبة السلو على كل حال . وهو للنصر اباذي ، وهو أيضاً من لوازمها وثمراتها كما قيل :

مرت بارحاء الخيال طيوفه فبكت على رسم السلو الدارس

(الثامن عشر) توحيد المحبوب بخالص الارادة وصدق الطلب

(التاسع عشر) سقوط كل محبة من القلب الا محبة الحبيب . وهو لمحمد بن الفضل ، ومراده توحيد المحبوب بالمحبة

(العشرون) غض طرف القلب^(١) عما سوى المحبوب غيرة ، وعن المحبوب هية . وهذا يحتاج الى تبين : أما الاول فظاهر . وأما الثاني فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل ، ولكن عند استيلاء الهية يقع مثل هذا ، وذلك من علامات المحبة المقارنة للهية والتعظيم ، وقد قيل : ان ذا تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم « حبك للشيء يعمي ويصم » أي يعمي ههنا سواء غيرة ، وعنه هية . وليس هذا مراد الحديث ، ولكن المراد به أن حبك للشيء يعمي ويصم عن تأمل قبائحه ومساويه ، فلا تراها ولا تسمعها وان كانت فيه ، وليس المراد به ذكر المحبة المطلوبة المعلقة بالرب ، ولا يقال في حب الرب تبارك وتعالى : حبك للشيء ، ولا يوصف صاحبها بالعمى والصمم . ونحن لانسكّر المرتبتين المذكورتين ، فان المحب قد يعمي ويصم عنه بالهية^(٢) والاجلال ولكن لا توصف

(١) في ب « غض طرفه » (٢) وفيها « فان المحب قد يعمي ويصم عن سوى محبوبه وقد يعمي ويصم عنه » الخ

محبة العبد لربه تعالى بذلك ، وليس أهلها من أهل العمى والصمم ، بل هم أهل السمع والبصائر على الحقيقة ، ومن سواهم هم الصم البكم العمي الذين لا يعقلون (العاشر والعشرون) ممالك لشيء بكائيتك ، ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سرا وجهرا ، ثم علمك بتقصيرك في حبه . قال الجنيد : سمعت الحارث المحاسبي رحمه الله يقول ذلك

(الثاني والعشرون) المحبة نار في القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب ، وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : لمت بعض المباحية فقال لي ذلك ، ثم قال : والكون كله مراده ، فأني شيء أبغض منه ؟ فقال الشيخ قتلته له : اذا كان المحبوب قد أبغض أفعالا وأقوالا وأقواما وعاداهم فطردهم ولعنهم فأحببتهم أنت أكنت مواليا للمحبوب أو معاديا له ؟ - قال - : فكأنما ألقم حجرا ، واقتضح بين أصحابه ، وكان مقدما فيهم ، شاراه اليه . وهذا المدح صحيح ، وقائله إنما أراد أنها تحرق من القلب ماسوى مراد المحبوب الديني الامري الذي يحبه ويرضاه ، لا المراد الذي قدره وقضاه ، لكن لقلة حظ المتأخرين منهم وغيرهم من العلم وقعوا فيها وقعوا فيه من الاباحة واللول والاتحاد ، والمعصوم من عصمه الله

(الثالث والعشرون) المحبة بذل المجهود ، وترك الاعتراض على المحبوب . وهذا أيضا من حقوقها وثمراتها وواجباتها

(الرابع والعشرون) سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ، ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف ، وأنشد :

فأسكر القوم به الكأس ينزع الكن سكري نشأ من رؤية الساق

ربيعي صول المحبة والسير عن هذه الألفاظ التي غاية صاحبها

بصدقه ، فلهذا رد عليه وهو له ، فمحبة الله أعلى وأجل من أن تضرب

الأمثال . ونعمل من هذه المقامات الثلاثة ، ولا نقول المتدعة ، ولكن

خفاوة صدقه

(الخمسة والعشرون) أن لا يؤثر على المحبوب غير ، وأن لا ينو

(السادس والعشرون) الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته ، والحرية من اسرقاق ما سواه

(السابع والعشرون) المحبة سفر القلب في طلب المحبوب ، ولهج اللسان بذكره على الدوام. قلت: أما سفر القلب في طلب المحبوب فهو الشوق الى لقائه ، وأما لهج اللسان بذكره فلا ريب أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره

(الثامن والعشرون) ان المحبة هي ما لا تنقص بالجفاء ولا تزيد بالبر. وهي ليحيى بن معاذ ، بل الإرادة والطلب والشوق الى المحبوب لذاته ، فلا ينقص ذلك جفاؤه ولا يزيده بره ، وفي ذلك ما فيه ، فان المحبة الذاتية تزيد بالبر ولا تنقصها زيادتها بالبر ، وليس ذلك بعلّة ، ولكن مراد يحيى أن القلب قد امتلأ بالمحبة الذاتية ، فاذا جاء البر من محبوبه لم يجد في القلب مكاناً خالياً من حبه تشغله محبة البر ، بل تلك المحبة قد استحقت عليه بالذات بلا سبب ، ومع هذا فلا يزيل الوهم ، فان المحبة لانهاية لها ، وكلما قويت المعرفة والبر قويت المحبة ، ولانهاية لجمال المحبوب ولا بره ، فلانهاية لمحبهه ، بل لو اجتمعت محبة الخلق كلهم وكانت على قلب رجل واحد منهم كان ذلك دون ما يستحقه الرب جل جلاله. ولهذا لا تسمى محبة العبد لربه عشقاً — كما سيأتي — لانه افراط المحبة ، والعبد لا يصل في محبة الله الى حد الافراط البتة ، والله أعلم

(التاسع والعشرون) المحبة أن تكون كلك بالمحبوب مشغولاً ، وذلك له مبدولاً (الثلاثون) — وهو من أجمع ما قيل فيها — قال أبو بكر الكتاني رحمه الله :

جرت مشقة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى أيام الموسم ، فتكلم الشيوخ فيها وكان^(١) الجنيد أصغرهم سناً فقالوا : هات ما عندك يا عراقى ! فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال : عبد ذاهب^(٢) عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم باداء حقوقه ، ناظر اليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوار هيئته ، وصفاء شربه من كأس وده ، وانكشف له الجبار من أستار غيبه ، فان تكلم فبالله ، وان نطق فعن الله ، وان تحرك فبأمر الله ،

(١) في ح « فكان » الخ (٢) في ب « ذهب »

وإن سكن فمع الله ، فهو بالله والله ومع الله . فبكي الشيوخ وقالوا : ما على هذا مزيد ،
جزاك^(١) الله ياتاج العارفين

فصل

في الاسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة (أحدها) قراءة القرآن
بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به ، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه
ليتفهم مراد صاحبه منه (الثاني) التقرب الى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فانها
توصله الى درجة المحبوبة بعد المحبة (الثالث) دوام ذكره على كل حال باللسان
والقلب والعمل والحال ، فنصييه من المحبة على قدر نصييه من هذا الذكر (الرابع)
اِثَار محابه على محابك عند غلبات الهوى ، والتسليم إلى محابه وان صعب المرثقى
(الخامس) مطالعة القلب لاسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها ، وثقله في رياض
هذه المعرفة ومبانيها ، فمن عرف الله باسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة ، ولهذا
كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب ، بينها وبين
الوصول الى المحبوب (السادس) مشاهدة برة واحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة ،
فانها داعية الى محبته (السابع) — وهو من أعجبها — انكسار القلب بكليته بين
يديه تعالى ، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الاسماء والمبارات (الثامن)
الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه ، والوقوف بالقلب والتأدب
بين يديه ، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة (التاسع) مجالسة المحبين الصادقين ،
والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر . ولا تكلم الا اذا ترجحت
مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك (العاشر) مباحة
كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل

فمن هذه الاسباب العشرة وصل المحبون الى منازل المحبة ، ودخلوا على الحبيب ،
ومسلاك ذلك كله أمران : استعداد الروح لهذا الشأن ، وانفتاح عين البصيرة .

و بالله التوفيق

فصل*)

فهذه امثلة عشرة توضح لك الوجه العملي في المصالح المرسلة وتبين لك اعتبار أمور

(احدها) الملاءمة لمقاصد الشرع بحيث لا تنافي اصلا من اصوله ولا دليلا من دلائله

(والثاني) ان عامة النظر فيها انما هو فيما عقل منها وجرى على دون المناسبات المعقولة التي اذا عرضت على العقول تلقتها بالقبول ، فلا مدخل لها في التبعيدات ولا ما جرى مجراها من الامور الشرعية ، لأن عامة التبعيدات لا يعقل لها معنى على التفصيل ، كالوضوء والصلاة والصيام في زمان مخصوص دون غيره ، والحج ، ونحو ذلك

فليتأمل الناظر الموفق كيف وضعت على التحكم المحض المنافي للمناسبات التفصيلية

ألا ترى ان الطهارات على اختلاف أنواعها قد اختص كل نوع منها بتعبد مخالف حدا لما يظهر لبادي الرأي ؟ فان البول والغائط خارجان نجسان يجب بهما تطهير اعضاء الوضوء دون المخرجين فقط ، ودون جميع الجسد ، فاذا خرج المني أو دم الحيض وجب غسل جميع الجسد دون المخرج فقط ، ودون اعضاء الوضوء^(١)

(*) تابع لما نشر في ص ٨٣٣

(١) روي عن بعض علماء السلف مثل هذا وعد الطهارتين على خلاف قياس أو العقل . وأخذ الناس ذلك بالقبول . مع أن حكمة الطهارتين معقولة ، فن خروج المني ودم الحيض يحدث من الفتور والضعف في البدن كله فلا يحدث

ثم ان التطهير واجب مع نظافة الاعضاء ، وغير واجب في قذارتها
بالاوساخ والادرن اذا فرض انه لم يحدث
ثم التراب -- ومن شأنه التلويث -- يقوم مقام الماء الذي من
شأنه التنظيف

ثم نظرنا في أوقات الصلوات فلم نجد فيها مناسبة لاقامة الصلوات
فيها لاستواء الاوقات في ذلك

وشرع الإتيان بها أذكار مخصوصة لا يزداد فيها ولا ينقص منها ،
فاذا أقيمت ابتدأت اقامتها باذكار أيضا ، ثم شرعت ركعاتها مختلفة
باختلاف الاوقات ، وكل ركعة لها ركوع واحد وسجودان دون العكس ،
الاصلاة خسوف الشمس فانها على غير ذلك ، ثم كانت خمس صلوات
دون أربع أو ست وغير ذلك من الاعداد ؛ فاذا دخل المتطهر المسجد
أمر بتحيته بركعتين دون واحدة كالموتر ، أو أربع كالظهر ؛ فاذا سها في
صلاة سجد سجدتين دون سجدة واحدة ، واذا قرأ سجدة سجد
واحدة دون اثنتين

ثم أمر بصلاة النوافل ونهي عن الصلاة في أوقات مخصوصة ،
وعلل النهي بأمر غير معقول المعنى

= مثله بخروج البول والغائط ، فشرع الغسل من الاولين ليعود به للبدن نشاطه
وللعصب فيه تنبيه ، فيقوى على العبادة ، واكتفى بالوضوء من الآخرين لضعف
تأثيرهما ، وتم حكمة أخرى وهي جعل الطهارة الخفيفة لما يتكرر كل يوم ، والطهارة
الشاقة لما لا يتكرر الا في الاسابيع أو الشهور . وللأمثلة الاخرى التي سيدكرها حكم
أيضا بينا بعضها في مجلة المنار وفي (تفسير القرآن الحكيم) ولا ينكر مع ذلك ان
في كل عبادة معنى التعبد الذي يؤخذ بالتسليم كعدد الركعات والركوع والسجود فيها

ثم شرعت الجماعة في بعض النوافل كالعيدين والخسوف والاستسقاء ،
دون صلاة الليل ورواتب النوافل

فاذا صرنا الى غسل الميت وجدناه لا معنى له معقولا ، لأنه غير
مكلف ، ثم أمرنا بالصلاة عليه بالتكبير دون ركوع أو سجود أو تشهد ،
والتكبير أربع تكبيرات دون اثنتين أو ست أو سبع أو غيرها من الاعداد
فاذا صرنا الى الصيام وجدنا فيه من التبعّدات غير المعقولة كثيرا ،
كإمساك النهار دون الليل ، والإمساك عن المأكولات والمشروبات ،
دون الملابس والركوبات ، والنظر والمشي والكلام واشباه ذلك ؛
وكان الجماع - وهو راجع الى الإخراج - كالأكل - وهو راجع
الى الضد ؛ وكان شهر رمضان - وإن كان قد أنزل فيه القرآن - ولم
يكن أيام الجمع ، وإن كانت خير أيام طلعت عليها الشمس ، أو كان الصيام
أكثر من شهر أو أقل . ثم ألحج أكثر تبعدا من الجميع

وهكذا تجد عامة التبعّدات في كل باب من أبواب الفقه ما عملوا (؟)
ان في هذا الاستقراء معنى يعلم من مقاصد الشرع أنه قصد قصده ونهي
نحوه واعتبرت جهته ، وهو ان ما كان من التكاليف من هذا القبيل فان
قصد الشارع ان يوقف عنده ويعزل عنه النظر الاجتهادي جملة ، وأن
يوكل الى واضعه ويسلم له فيه ، سواء علينا أقلنا : ان التكاليف معاملة
بمصالح العباد ، أم لم تقله . اللهم الا قليلا من مسائلها ظهر فيها معنى فهمناه
من الشرع فاعتبرنا به أو شهدنا في بعضها بعدم الفرق بين المنصوص عليه
والمسكوت عنه ، فلا حرج حينئذ فان اشكل الامر فلا بد من الرجوع
الى ذلك الاصل ، فهو العروة الوثقى للمتفقه في الشريعة والوزير الاحمى

ومن أجل ذلك قال حذيفة رضي الله عنه : كل عبادة لم يتعبدوها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها ، فان الأول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله يا معشر القراء ، وخذوا بطريق من كان قبلكم . ونحوه لابن مسعود ايضا — وقد تقدم من ذلك كثير —

ولذلك التزم مالك في العبادات عدم الالتفات الى المعاني ، وان ظهرت لبادي الرأي ، وقوفا مع ما فهم من مقصود الشارع فيها من التسليم على ما هي عليه ، فلم يلتفت في ازالة الاخبار ، ورفع الاحداث ، الى مطلق النظافة التي اعتبرها غيره ، حتى اشترط في رفع الاحداث النية ، ولم يقيم غير الماء مقامه عنده — وان حصلت النظافة — حتى يكون بالماء المطلق ، وامتنع من اقامة غير التكبير والتسليم والثناء بالعربية مقامها في التحريم والتحليل والاجزاء ، ومنع من اخراج القيم في الزكاة ، واختصر في الكفارات على مراعاة العدد ، وما أشبه ذلك

ودورانه في ذلك كله على الوقوف مع ما حده الشارع دون ما يقتضيه معنى مناسب — ان تصور — لقلّة ذلك في التعبدات ودوره ، بخلاف قسم العادات الذي هو جارٍ على المعنى المناسب الظاهر للعقول ، فانه استرسل فيه استرسال المدل العريق في فهم المعاني المصلحية ، نعم مع مراعاة مقصود الشارع أن لا يخرج عنه ولا يناقض أصلا من أصوله ؛ حتى لقد استشنع العلماء كثيرا من وجوه استرساله ، زاعمين انه خلع الرتبة ، وفتح باب التشريع . وهيئات ما أبعده من ذلك ! رحمه الله ؛ بل هو الذي رضي لنفسه في فقهه بالاتباع ، بحيث يخيل لبعض أنه مقلد لمن قبله ، بل هو صاحب البصيرة في دين الله — حسبما بين أصحابه في كتاب سيرة —

(المنار-ج ١٢م ١٧) الثناء على مالك. رجوع المصالح المرسله الى رفع الحرج ٩١٧

بل حكى عن أحمد بن حنبل أنه قال : اذا رأيت الرجل يبغض مالكا فاعلم أنه مبتدع . وهذه غاية في الشهادة بالاتباع . وقال أبو داود : أخشى عليه البدعة . (يعني المبغض لمالك) وقال ابن مهدي : اذا رأيت الحجازي يحب مالك بن أنس فاعلم أنه صاحب سنة ، واذا رأيت أحدا يتناوله فاعلم أنه على خلاف السنة . وقال ابراهيم بن يحيى بن هشام : ما سمعت أبا داود لعن أحداً قط الا رجلين ، أحدهما رجل ذكر له أنه لعن مالكا ، والآخر بشر المريسي

وعلى الجملة فغير مالك أيضا موافق له في أن أصل العبادات عدم معقولية المعنى ، وان اختلفوا في بعض التفاصيل ، فالأصل متفق عليه عند الأمة ، ما عدا الظاهرية ، فانهم لا يفرقون بين العبادات والعادات ، بل الكل تعبد غير معقول المعنى ، فهم أخرى بان لا يقولوا بأصل المصالح فضلا عن أن يعتقدوا المصالح المرسله

(والثالث) ان حاصل المصالح المرسله يرجع الى حفظ أمر ضروري ، ورفع حرج لازم في الدين ، وأيضا مرجعها الى حفظ الضروري ، من باب « ما لا يتم الواجب الآ به . . . » فهي اذاً من الوسائل لا من المقاصد . ورجوعها الى رفع الحرج راجع الى باب التخفيف لا الى التشديد . أما رجوعها الى ضروري فقد ظهر من الامثلة المذكورة

وكذلك رجوعها الى رفع حرج لازم ، وهو إما لاحق بالضروري ، وإما من الحاجي ، وعلى كل تقدير فليس فيها ما يرجع الى التقبيح والتزيين البتة . فان جاء من ذلك شيء : فإما من باب آخر منها ، كقيام رمضان في المساجد جماعة — حسبما تقدم — وإما معدود من قبيل البدع التي

انكرها السلف الصالح --- كزخرفة المساجد والتثويب بالصلاة -
وهو من قبيل ما يلائم .

وأما كونها في الضروري من قبيل الوسائل، و « مالا يتم الواجب
الآ به . . . » إن نص على اشتراطه، فهو شرط شرعي فلا مدخل له في
هذا الباب، لأن نص الشارع فيه قد كفانا مؤنة النظر فيه

وإن لم ينص على اشتراطه فهو إما عقلي أو عادي، فلا يلزم أن يكون
شرعياً، كما أنه لا يلزم أن يكون على كيفية معلومة، فإنا لو فرضنا حفظ
القرآن والعلم بغير كتب مطرد الصح ذلك، وكذلك سائر المصالح
الضرورية يصح لنا حفظها، كما إنا لو فرضنا حصول مصلحة الإمامة
الكبرى بغير إمام على تقدير عدم النص بها لصح ذلك، وكذلك
سائر المصالح الضرورية - إذا ثبت هذا - لم يصح أن يستنبط من بابها
شيء من المقاصد الدينية التي ليست بوسائل

وأما كونها في الحاجي من باب التخفيف فظاهر أيضاً، وهو أقوى
في الدليل الرافع للخرج، فليس فيه ما يدل على تشديد ولا زيادة
تكليف، والامثلة مبنية لهذا الأصل أيضاً

إذا تقررت هذه الشروط علم أن البدع كالمضادة للمصالح المرسلة
لأن موضوع المصالح المرسلة ما عقل معناه على التفصيل، والتعبدات من
حقيقتها أن لا يعقل معناها على التفصيل. وقدم أن العادات إذا دخل
فيها الابتداع فأنما يدخلها من جهة ما فيها من التعبد لا بإطلاق

وأيضاً فإن البدع في عامة أمرها لا تلائم مقاصد الشرع، بل إنما
تتصور على أحد وجهين: إما مناقضة لمقصوده - كما تقدم في مسألة

المفتي للملك بصيام شهرين متتابعين - وإما مسكوتاً عنه فيه كحرمان القتال ومعاملته بنقيض مقصوده على تقدير عدم النص به . وقد تقدم نقل الاجماع على اطراح القسمين ، وعدم اعتبارهما . ولا يقال : ان المسكوت عنه يلحق بالماذون فيه . اذ يلزم من ذلك خرق الاجماع لعدم الملاءمة ، ولان العبادات ليس حكمها حكم العادات في أن المسكوت عنه كالماذون فيه - ان قيل بذلك ؛ فهي تفارقها ، اذ لا يقدم على استنباط عبادة لا أصل لها ، لانها مخصوصة بحكم الاذن المصرح به ؛ بخلاف العادات . والفرق بينهما ما تقدم من اهتداء العقول للعادات في الجملة ، وعدم اهتدائها لوجوه التقربات الى الله تعالى . وقد أشير الى هذا المعنى في كتاب الموافقات والى هذا (١)

فاذا ثبت أن المصالح المرسلة ترجع اما الى حفظ ضروري من باب الوسائل ، أو الى التخفيف ، فلا يمكن احداث البدع من جهتها ولا الزيادة في المندوبات ، لان البدع من باب الوسائل ، لانها متعبد بها بالفرض ، ولانها زيادة في التكليف ، وهو مضاد للتخفيف

فحصل من هذا كله أن لا تعلق للمبتدع بباب المصالح المرسلة الا القسم الملغى باتفاق العلماء ، وحسبك به متعلقاً ، والله الموفق وبذلك كله يعلم من قصد الشارع أنه لم يكل شيئاً من التعبدات الى آراء العباد ، فلم يبق الا الوقوف عند ما حدّه ، والزيادة عليه بدعة ، كما ان النقصان منه بدعة . وقد مر لها أمثلة كثيرة ، وسيأتي آخرها في أثناء الكتاب بحول الله .

فصل

وأما الاستحسان ؛ فلان لأهل البدع أيضاً تعلقا به ؛ فان الاستحسان لا يكون الا بمستحسن ، وهو إما العقل أو الشرع أما الشرع فاستحسانه واستقباحه قد فرغ منها ، لان الأدلة اقتضت ذلك فلا فائدة لتسميته استحسانا ، ولا لوضع ترجمة له زائدة على الكتاب والسنة والاجماع ، وما ينشأ عنهما من القياس والاستدلال . فلم يبق الا العقل هو المستحسن ، فان كان بدليل فلا فائدة لهذه التسمية ، لرجوعه الى الأدلة لا الى غيرها ، وان كان بغير دليل فذلك هو البدعة التي تستحسن

ويشهد ^(١) قول من قال في الاستحسان انه يستحسنه ^(٢) المجتهد بعقله ، ويميل اليه برأيه - قالوا - : وهو عند هؤلاء من جنس ما يستحسن في العوائد ، ويميل اليه الطباع ، فيجوز الحكم بمقتضاه اذا لم يوجد في الشرع ما ينافي هذا الكلام ما بين (؛) ان تُم من التعبدات ما لا يكون عليه دليل ؛ وهو الذي يسمى بالبدعة ، فلا بد أن ينقسم الى حسن وقبيح ، اذ ليس كل استحسان حقا

وأيضاً فقد يجري على التأويل الثاني للاصوليين في الاستحسان ، وهو أن المراد به دليل ينقدح في نفس المجتهد لا تساعد العبارة عنه ولا يقدر على اظهاره . وهذا التأويل ، فلا استحسان يساعد بعده ، لانه يبعد في تجاري العادات أن يتدع أحد بدعة من غير شبهة دليل ينقدح له ، بل عامة البدع لا بد لصاحبها من متعلق دليل شرعي ، لكن قد

(١) لعل أصله « ويشهد لذلك » اوله (٢) لعل أصله « ما يستحسنه »

يمكنه اظهاره وقد لا يمكنه - وهو الاغلب - فهذا مما يحتجون به

*
* *

وربما ينقدح لهذا المعنى وجه بالادلة التي استدلت بها أهل التأويل الأولون ، وقد اتوا بثلاثة ادلة

(احدها) قول الله سبحانه (واتبعوا احسن ما أنزل اليكم من ربكم) وقوله (الله نزل احسن الحديث) وقوله (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه) هو ما استحسنه عقولهم

(والثاني) قوله عليه السلام « مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » وانما يعني بذلك ما رأوه بعقولهم ، والا لو كان حسنه بالدليل الشرعي لم يكن من حسن ما يرون ، اذ لا مجال للعقول في التشريع على ما زعمتم ، فلم يكن للحديث فائدة ، فدل على ان المراد ما رأوه برأيهم

(والثالث) ان الامة قد استحسنت دخول الحمام من غير تقدير بأجرة ولا تقدير مدة اللبث ولا تقدير الماء المستعمل ، ولا سبب لذلك الا ان المشاحة في مثله قبيحة في العادة ، فاستحسن الناس تركه ، مع انا نقطع أن الاجارة المجهولة^(١) أو مدة الاستئجار أو مقدار المشتري اذا جهل فانه ممنوع ، وقد استحسنت اجارته مع مخالفة الدليل ، فاولى ان يجوز اذا لم يخالف دليلا

فانت ترى ان هذا الموضع مزلة قدم أيضا لمن اراد أن يتدع ، فله ان يقول : ان استحسنت كذا وكذا فغيري من العلماء قد استحسنت .

(١) لا بد أن يكون سقط من هنا شيء ولعله المنفعة

وإذا كان كذلك فلا بد من فضل اعتناء بهذا الفصل ، حتى لا يغتر به جاهل أو زاعم أنه عالم ، وبالله التوفيق ؛ فنقول :

*

ان الاستحسان يراه معتبراً في الاحكام مالك وأبو حنيفة ، بخلاف الشافعي فإنه منكر له جداً حتى قال « من استحسن فقد شرع » والذي يستقرى من مذهبهما أنه يرجع الى العمل بأقوى الدليلين . هكذا قال ابن العربي — قال — فالعموم اذا استمر ، والقياس اذا أطرّد ، فإن مالكا وأبا حنيفة يريان تخصيص العموم بأي دليل كان من ظاهر أو معنى — قال — ويستحسن مالك ان يخص بالمصلحة ؛ ويستحسن أبو حنيفة ان يخص بقول الواحد من الصحابة الوارد بخلاف القياس — قال — ويريان معاً تخصيص القياس ونقص العلة ، ولا يرى الشافعي لعله الشرع اذا ثبتت تخصيصاً

هذا ما قال ابن العربي . ويشعر بذلك تفسير الكرخي أنه العدول عن الحكم في المسئلة بحكم نظائرها الى خلافه لوجه أقوى . وقال بعض الحنفية : أنه القياس الذي يجب العمل به ، لأن العلة كانت علة بأثرها : سمو الضعيف الأثر قياساً والقوي الأثر استحساناً ، أي قياساً مستحسنًا ، وكأنه نوع من العمل بأقوى القياسين ؛ وهو يظهر من استقراء مسائلهم في الاستحسان بحسب النوازل الفقهية

بل قد جاء عن مالك ان الاستحسان تسعة اعشار العلم . ورواه اصبع عن ابن القاسم عن مالك ؛ قال اصبع في الاستحسان : قد يكون أغلب

من القياس . وجاء عن مالك أن الفرق في القياس يكاد يفارق السنة^(١) . وهذا الكلام لا يمكن أن يكون بالمعنى الذي تقدم قبله ، وأنه ما يستحسنه المجتهد بعقله ، أو أنه دليل ينقدح في نفس المجتهد تعسر عبارته عنه ؛ فإن مثل هذا لا يكون تسعة أعشار العلم ، ولا أغلب من القياس الذي هو أحد الأدلة

وقال ابن العربي في موضع آخر : الاستحسان إيثار ترك مقتضى الدليل ، على طريق الاستثناء والترخص ، لمعارضة ما يعارض به في بعض مقتضياته . وقسمه أقساماً عدتها أربعة أقسام ، وهي ترك الدليل للعرف ، وتركه للمصلحة ، وتركه لليسير ، لرفع المشقة ، وإيثار التوسعة^(٢) وحده غير ابن العربي من أهل المذهب بأنه عند مالك : استعمال مصلحة جزئية في مقابلة قياس كلي . - قال - فهو تقديم الاستدلال المرسل على القياس .

وعرفه ابن رشد فقال : الاستحسان - الذي يكثر استعماله حتى يكون أعم من القياس - هو أن يكون طرحاً لقياس يؤدي إلى غلو في الحكم ومبالغة فيه ، فعدل عنه في بعض المواضع لمعنى يؤثر في الحكم يختص به ذلك الموضع .

وهذه تعريفات قريب بعضها من بعض

(١) كانت العبارة في صلب النسخة هكذا « أن الفرق في القياس ، يكاد يفارق الناس . ووضع فوق « يفرق الناس » خط وكتب بأزائه في الهامشية « يفارق السنة » على أن معنى العبارة المصححة ظاهر . (٢) إذا كان قوله « لرفع المشقة » الخ تعليلاً لتركه في « اليسير » (وهو القليل التافه) فإن القسم الرابع ؛ وإن كان قدس رأسه فلماذا لم يقل « وتركه لرفع المشقة » ؛ وليراجع المثال السابع في ص ٢٧ .

واذا كان هذا معناه عن مالك وابي حنيفة فليس بخارج عن الادلة البتة ، لان الادلة يقيد بعضها ويخصص بعضها بعضاً ، كما في الادلة السنية مع القرآنية . ولا يرد الشافعي مثل هذا اصلاً . فلاحجة في تسميته استحساناً لمبتدع^(١) على حال

ولا بد من الاتيان بامثلة تبين المقصود بحول الله ، وتقتصر على عشرة أمثلة .

(احدها) ان يعدل بالمسئلة عن نظائرها بدليل الكتاب ، كقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) فظاهر اللفظ العموم في جميع ما يتمول به ، وهو مخصوص في الشرع بالاموال الزكوية خاصة ؛ فلو قال قائل : مالي صدقة . فظاهر لفظه يعم كل مال ؛ ولكننا نحمله على مال الزكاة ، لكونه ثبت الحمل عليه في الكتاب . قال العلماء : وكأن هذا يرجع الى تخصيص العموم بعادة فهم خطاب القرآن . وهذا المثال أورده الكرخي تمثيلاً لما قاله في الاستحسان

(والثاني) ان يقول الحنفي : سوّر سباع الطير نجس ، قياساً على سباع البهائم . وهذا ظاهر الأثر ، ولكنه ظاهر استحساناً ؛ لان السبع ليس بنجس العين ، ولكن لضرورة تحريم لحمه ، فثبتت نجاسته بمجاورة رطوبات لعابه . واذا كان كذلك فارقة الطير ، لأنه يشرب بمنقاره وهو طاهر بنفسه ؛ فوجب الحكم بطهارة سوّره ، لان هذا أثر قوي وان خفي ، فترجع على الاول ، وان كان أمره جلياً ، والاخذ بأقوى القياسين متفق عليه (والثالث) ان ابا حنيفة قال : اذا شهد اربعة على رجل بالزنا ولكن

(١) قوله « لمبتدع » خبر قوله « فلا حجة »

عين كل واحد غير الجهة التي عينها (الآخر) ، فالقياس ان لا يحد ، ولكن استحسن حده . ووجه ذلك انه لا يحد الا من شهد عليه اربعة . فاذا عين كل واحد دارا ، فلم يأت على كل مرتبة باربعة . لامتناع اجتماعهم على رتبة واحدة . فاذا عين كل واحد زاوية فالظاهر تعدد الفعل ، ويمكن التزاحف .

فاذا قال : القياس ان لا يحد . فعناه ان الظاهر انه لم يجتمع الاربعة على زنا واحد ، ولكنه يقول ^(١) في المصير الى الامر الظاهر تفسيق العدول ، فانه ان لم يكن محدودا صار الشهود فسقة ، ولا سبيل الى ^(٢) ما وجدنا الى العدول عنه سبيلا ، فيكون حمل الشهود على مقتضى العدالة عند الامكان يجر ذلك الامكان البعيد . فليس هذا حكما بالقياس ، وانما ^(٣) تمسك باحتمال تلقي الحكم من القرآن ، وهذا يرجع في الحقيقة الى تحقيق مناطه

(والرابع) ان مالك بن انس من مذهبه ان يترك الدليل للعرف ، فانه رد الأيمان الى العرف ، مع ان اللغة تقتضي في الفاظها غير ما يقتضيه العرف ، كقوله : والله لا دخلت مع فلان بيتا . فهو يحنث ^(٤) بدخول كل موضع يسمى بيت في اللغة ، والمسجد يسمى بيتا فيحنث على ذلك ، الا ان عرف الناس ان لا يطلقوا هذا اللفظ عليه ، فخرج بالعرف على ^(٥) مقتضى اللفظ فلا يحنث

(١) ان أممنا ، يقول : قد الزنا اذا لم يثبت بهادة من شهدوا ويقول الامر به فعدوه ، ثم يشهد عليه وهو فسق ، وعبارة كما ترى لا شبهة فيها . كانت (٢) لعنه . فحنث من هنا لحنث ، التفسيق « (٣) لعنه سقط من هنا كلمة « هو » (٤) حنث . فحنث « فلا يحنث من مسجد غاصل حنث (٥) لعنه عن

(والخامس) ترك الدليل لمصلحة ، كما في تضمنين الاجير المشترك وان لم يكن صانعاً ، فان مذهب مالك في هذه المسئلة على قولين ، كتضمنين صاحب الحمام الثياب ، وتضمنين صاحب السفينة ، وتضمنين السماسرة المشتركين ، وكذلك حمال الطعام - على رأي مالك - فانه ضامن ، ولا حق عند الصانع . والسبب في ذلك بعد السبب في تضمنين الصانع .

فان قيل : فهذا من باب المصالح المرسله لا من باب الاستحسان . قلنا : نعم ، الا أنهم صوروا الاستحسان تصور الاستثناء^(٢) من القواعد ، بخلاف المصالح المرسله . ومثل ذلك يتصور في مسئلة التضمنين ، فان الاجراء مؤتمنون بالدليل لا بالبراءة الاصلية ، فصار تضمنينهم في حيز المستثنى من ذلك الدليل ، فدخلت تحت معنى الاستحسان بذلك النظر (والسادس) انهم يحكون الاجماع على ايجاب الغرم على من قطع ذنب بغلة القاضي ، يريدون غرم قيمة الدابة لقيمة النقص الحاصل فيها . ووجه ذلك ظاهر ، فان بغلة القاضي لا يحتاج اليها الا للركوب ، وقد امتنع ركوبه لها بسبب فحش ذلك العيب ، حتى صارت بالنسبة الى ركوب مثله في حكم العدم ، فالزموا الفاعل غرم قيمة الجميع . وهو متجه بحسب الغرض الخاص ، وكان الاصل أن لا يغرم الا قيمة ما نقصها القطع خاصة ، لكن استحسننا ما تقدم

وهذا الاجماع مما ينظر فيه ، فان المسئلة ذات قولين في المذهب

(٢) الظاهر ان يقول : صوروا الاستحسان بصورة الاستثناء . - أو - تصوروا الاستحسان تصور الاستثناء الخ

وغيره ، ولكن الأشهر في المذهب المالكي ما تقدم حسبما نص عليه
القاضي عبد الوهاب

(والسابع) ترك مقتضى الدليل في السير لتفاهته ونزارته لرفع
المشقة ، وإيثار التوسعة على الخلق ؛ فقد أجازوا التفاضل في السير في
المراطة الكثيرة ، وأجازوا البيع بالصرف إذا كان أحدهما تابعاً للآخر ،
وأجازوا بدل الدرهم الناقص بالوازن^(١) لزارة ما بينهما . والاصل المنع في
الجميع ، لما في الحديث من أن الفضة بالفضة والذهب بالذهب مثلاً بمثل
سواءً بسواء ، وأن من زاد أو ازداد فقد أربى . ووجه ذلك أن التفاهة في
حكم العدم ، ولذلك لا تنصرف إليه الأغراض في الغالب ، وإن المشاحة
في السير قد تؤدي إلى الحرج والمشقة ، وهما مرفوعان عن المكلف
(والثامن) أن في العتبية من سماع أصبغ في الشريكين يطان
الامة في طهر واحد فتأتي بولد فينكر أحدهما الولد دون الآخر - أنه
يكشف منكر الولد عن وطئه الذي أقر به ؛ فإن كان في صفته ما يمكن معه
الانزال لم يلتفت إلى انكاره ، وكان كما لو اشتركا فيه ، وإن كان يدعي
العزل من الوطء الذي أقر به ، فقال أصبغ : اني أستحسن هاهنا أن ألحقه
بالآخر ؛ والقياس أن يكونا سواءً ، فلعله غلب ولا يدري . وقد قال -
عمرو بن العاص في نحو هذا « ان الوكلاء قد ينقلب » - قال -
والاستحسان هاهنا ان ألحقه بالآخر ، والقياس أن يكونا في العلم قد
يكون أغلب من القياس (؛) - ثم حكى عن مالك ما تقدم

ووجه ذلك ابن رشد بأن الاصل : من ولى أسته فعزل عنها وأنت

(١) الوزن ما وزن فعرف أنه تام . يقال : درهم وزن - ووازن - وموزون

الآخر الذي لم يعزل عنها أن يكون الحكم في ذلك بمنزلة ما اذا كانا جميعاً يعزلان أو ينزلان . والاستحسان - كما قال - أن يالحق الولد بالذي ادعاه وأقر أنه كان ينزل ، وتبرأ منه الذي أنكره وادعى أنه كان يعزل ؛ لأن الولد يكون مع الانزال غالباً ولا يكون مع العزل الا نادراً ، فيغلب على الظن ان الولد انما هو للذي ادعاه وكان ينزل ، لا الذي أنكره وهو يعزل ؛ والحكم بغلبة الظن أصل في الاحكام ، وله في هذا الحكم تأثير ، فوجب أن يصار اليه استحساناً - كما قال أصبغ - وهو ظاهر فيما نحن فيه

(والتاسع) ما تقدم أولاً من ان الامّة استحسنت دخول الحمام من غير تقدير أجرة ولا تقدير مدة اللبث ولا تقدير الماء المستعمل . والاصل في هذا المنع ، الا أنهم أجازوا - كما قال المحتجون على البدع ، بل لا مر آخر هو من هذا القبيل الذي ليس بخارج عن الادلة ؛ فأما تقدير العوض فالعرف هو الذي قدره ، فلا حاجة الى التقدير ، وأما مدة اللبث وقدر الماء المستعمل فان لم يكن ذلك مقدراً بالعرف أيضاً فانه يسقط للضرورة اليه . وذلك لقاعدة فقهية ، وهي أن نفي جميع الغرر في العقود لا يتدر عليه ، وهو يضيق أبواب المعاملات ، وهو تحسيم أبواب المفاوضات (؟) ونفي الضرر انما يطلب تكميلاً ورفعاً لما عسى ان يقع من نزاع ، فهو من الامور المكملة ، والتكميلات اذا أفضى اعتبارها الى ابطال المكملات سقطت جملة ، تحصيلاً للمهم - حسبما تبين في الاصول - فوجب أن يسامح في بعض أنواع الغرر التي لا ينفك عنها ، اذ يشق طلب الاتفكاك عنها ، فسومع المكلف بيسير الغرر ، لضيق الاحتراز

مع تفاهة ما يحصل من الغرض^(١) ولم يسامح في كثيره اذ ليس في محل الضرورة، ولعظيم ما يترتب عليه من الخطر، لكن الفرق بين القليل والكثير، غير منصوص عليه في جميع الامور، وانما نهي عن بعض أنواعه مما يعظم فيه الغرر، فجعلت اصولا يقاس عليها غير القليل اصلا في عدم الاعتبار وفي الجواز، وصار الكثير في^(٢) المنع، ودار في الاصلين فروع تتجاذب العلماء النظر فيها؛ فاذا قل الغرر وسهل الامر وقل النزاع ومست الحاجة الى المساحة فلا بد من القول بها، ومن هذا القبيل مسألة التقدير في ماء الحمام ومدة اللبث

قال العلماء ولقد بالغ مالك في هذا الباب وامعن فيه، فجوز أن يستأجر الاجير بطعامه وان كان لا ينضبط مقدار أكله، ليسار أمره وخفة خطبه وعدم المشاحة، وفرق بين تطرق يسير الغرر الى الاجل فأجازه، وبين تطرقه للثمرة فمنعه، فقال: يجوز للانسان ان يشتري سلعة الى الحصاد أو الى الجذاذ، وان كان اليوم بعينه لا ينضبط؛ ولو باع سلعة بدرهم أو ما يقاربه لم يجز، والسبب في التفرقة المضايقة في تعيين الاثمان وتقديرها ليست في العرف، ولا مضايقة في الاجل، اذ قد يسامح البائع في التقاضي الايام، ولا يسامح في مقدار الثمن على حال

ويعضده ما روى عمرو بن العاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بشراء الابل الى خروج المصدق، وذلك لا يضبط يومه ولا بعينه ساعته ولكنه على التقريب والتسهيل

(١) لعله الغرر أو الضرر (٢) لعل أصله « في حكم المنع - أو - في حيز المنع »

فتأملوا كيف وجه الاستثناء من الاصول الثابتة بالخرج والمشقة .
واين هذا من زعم الزاعم انه استحسان العقل بحسب العوائد فقط ؟
فتبين لك بون ما بين المنزلتين .

(العاشر) أنهم قالوا : ان من جملة انواع الاستحسان مراعاة
خلاف العلماء . وهو أصل في مذهب مالك ينبنى عليه مسائل كثيرة
(منها) ان الماء اليسير اذا حلت فيه النجاسة اليسيرة ولم تُغير احد
أوصافه انه لا يتوضأ به بل يتيم ويتركه ؛ فان توضأ به وصلى أعاد مادام في
الوقت ، ولم يُعد بعد الوقت ؛ وانما قال « يعيد في الوقت » مراعاة لقول
من يقول : انه طاهر مطهر . ويروى جواز الوضوء به ابتداءً ؛ وكان
قياس هذا القول ان يعيد ابدًا ، اذ لم يتوضأ الا بماء يصح له تركه
والانتقال عنه الى التيمم

(ومنها) قولهم في النكاح الفاسد الذي يجب فسخه : ان لم يتفق على
فساده فيفسخ بطلاق ، ويكون فيه الميراث ، ويلزم فيه الطلاق على
حده في النكاح الصحيح ؛ فان اتفق العلماء على فساد فسخ بغير طلاق ،
ولا يكون فيه ميراث ولا يلزم فيه طلاق

(ومنها) مسألة من نسي تكبيرة الاحرام وكبر للركوع وكان مع
الامام ^(١) ان يتمادى ، لقول من قال : ان ذلك يحزته . فاذا سلم الامام
أعاد هذا المأموم . وهذا المعنى كثير جدا في المذهب ؛ ووجهه انه راعى
دليل المخالف في بعض الاحوال ، لأنه ترجح عنده ؛ ولم يترجح عنده

(١) سقط من هنا ما يكون به قوله « أن يتمادى » جملة مفيدة ، ولعل أصله :

وجب - أو - فعليه أن يتمادى

في بعضها فلم يراعه .

ولقد كتبت في مسألة مراعاة الخلاف الى بلاد المغرب والى بلاد افريقية لا لشكال عرض فيها من وجهين : احدهما مما يخص هذا الموضع على فرض صحتها ، وهو ما أصلها من الشريعة و على م تبني من قواعد أصول الفقه ؛ فان الذي يظهر الآن ان الدليل هو المتبع فحيثما صار صير اليه ، ومتى رجح المجتهد احد الدليلين على الآخر — ولو بادنى وجوه الترجيح — وجب التعويل عليه وإلغاء ما سواه ، على ما هو مقرر في الاصول ؛ فاذا رجوعه — اعني المجتهد — الى قول الغير إعمال لدليله المرجوح عنده ، وإهمال للدليل الراجح عنده الواجب عليه اتباعه ؛ وذلك على خلاف القواعد .

فأجاني بعضهم باجوبة منها الأقرب والأبعد ؛ إلا أنني راجعت بعضهم بالبحث ، وهو اخي ومفيدي ابو العباس ابن القباب رحمة الله عليه ، فكتب اليّ بما نصه :

« واتضمن الكتاب المذكور عودة السؤال في مسألة مراعاة الخلاف ، وقلتم ان رجحان احدي الامارتين على الاخرى ان تقديمها على الاخرى ^(١) اقتضى ذلك عدم المرجوحة مطلقاً ، واستشعتم ان يقول المفتي « هذا لا يجوز » ابتداءً ، وبعد الوقوع يقول بجوازه ، لانه يصير الممنوع اذا فعل جائزاً . وقلتم انه انما يتصور الجمع في هذا النحو في منع التنزيه لا منع التحريم . — الى غير ذلك مما أوردتم في المسئلة .

« وكلها ايرادات شديدة صادرة عن قريحة قياسية منكورة

لطريقة الاستحسان ؛ والى هذه الطريقة ميل فحول من الأئمة والنظار ، حتى قال الامام ابو عبد الله الشافعي : من استحسن فقد شرع .

« ولقد ضاقت العبارة عن معنى أصل الاستحسان - كما في علمكم - حتى قالوا : أصبح عبارة فيه انه معنى ينقذ في نفس المجتهد تعسر العبارة عنه فاذا كان هذا أصله الذي ترجع فروعه اليه ، فكيف ما يبني عليه ؟ فلا بد ان تكون العبارة عنها أضيق .

« ولقد كنت أقول بمثل ما قال هؤلاء الاعلام في طرح الاستحسان وما بني عليه ، لولا أنه اعتضد وتقوى لوجدانه كثيرًا في فتاوى الخلفاء واعلام الصحابة وجمهورهم مع عدم النكير ، فتقوى ذلك عندي غاية ، وسكنت اليه النفس ، وانشرح اليه الصدر ، ووثق به القلب ، للامر باتباعهم والافتداء بهم ، رضي الله عنهم .

« فمن ذلك المرأة يتزوجها رجلان ولا يعلم الآخر بتقديم نكاح غيره الا بعد البناء ، فأبأنها عليه بذلك عمر ومعاوية والحسن رضي الله عنهم . وكل ما أوردتم في قضية السؤال وارد عليه ، فانه اذا تحقق ان الذي لم ين هو الاول فدخول الثاني بها دخول زوج غيره ، وكيف يكون غلطه على زوج غيره مبيحا على الدوام ، ومصححا لعقده الذي لم يصادف محلا ، ومبطلا لعقد نكاح مجمع على صحته ، لوقوعه على وفق الكتاب والسنة ظاهرا وباطنا ؛ وانما المناسب ان الغلط يرفع عن الغالط الاثم والعقوبة ، لا إباحة زوج غيره دائما ، ومنع زوجها منها

« ومثل ذلك مقاله العلماء في مسألة امرأة المفقود : انه ان قدم

المفقود قبل نكاحها فهو احق بها ، وان كان بعد نكاحها والدخول بها

بانت ، وان كانت بعد العقد وقبل البناء فقولان ، فانه يقال : الحكم لها بالعدة من الاول ان كان قطعا لعصمته فلاحق له فيها ولو قدم قبل تزوجها ، أو ليس بقاطع للعصمة ، فكيف تباح لغيره وهي في عصمة المفقود ؟

« وما روي عن عمر وعثمان في ذلك أغرب ، وهو أنهما قالا : اذا قدم المفقود بخير بين امرأته أو صداقها ، فان اختار صداقها بقيت للثاني . فأين هذا من القياس ؟ وقد صحح ابن عبد البر هذا النقل عن الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهما ، ونقل عن علي رضي الله عنه انه قال بمثل ذلك ، أو أمضى الحكم به ، وان كان الأشهر عنه خلافه . ومثله في قضايا الصحابة كثير من ذلك

« قال ابن المعدل : لو ان رجلين حضرها وقت الصلاة فقام أحدهما فأوقع الصلاة بثوب نجس مجانا (١) وقعد الآخر حتى خرج الوقت ولا يغاربه (٢) (١) مع نقل غير واحد من الاشياخ الاجماع على وجوب النجاسة (٢) عامدا جمع الناس ان لا يساوي مؤخرها على وجوب النجاسة حال الصلاة (٣) ومن نقله اللخمي والمازري ، وصححه الباجي ، وعليه مضى عبد الوهاب في تلقيه

« وعلى الطريقة التي أوردتم — ان المنهي عنه ابتداء غير معتبر — اخرى بكون أمر هذين الرجلين بعكس ما قال ابن المعدل ، لأن الذي

(١) كذا في الاصل وفيه حذف وتحريف ظاهر وقد وضع فوق ألف « مجانا » ثلاث نقط ، وكلمة « يغاربه » يحتمل أن تكون « يقاربه » (٢) لا تزال العبارة مضطربة تدل على الحذف والبتز والتصحيح والتحريف .

٩٣٤ بطلان تزويج المرأة نفسها واستحقاقها المهر . سبي الرهبان (المنار - ج ١٢ م ١٧)

صلى بعد الوقت قضى ما فرط فيه ، والآ خر لم يعمل كما أمر ، ولا قضى شيئا ؛ وليس كل منهي عنه ابتداء غير معتبر بعد وقوعه

وقد صحح الدارقطني حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها ، فان الزانية هي التي تزوج نفسها » وأخرج أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها « ايما امرأة نكحت بغير إذن مواليها فنكاحها باطل - ثلاث مرات - فان دخل بها فالمهر لها بما أصاب منها » : فحكم أولاً ببطال العقد وأكده بالتكرار ثلاثا ، وسماه زنا . وقل مقتضياته عدم اعتبار هذا العقد جملة . لكنه صلى الله عليه وسلم عقبه بما اقتضى اعتباره بعد الوقوع بقوله « ولها مهرها بما أصاب منها » ومهر البغي حرام

وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعار الله) الآية . فعلل النهي عن استحلاله بابتغائهم فضل الله ورضوانه مع كفرهم بالله تعالى ، الذي لا يصح معه عبادة ، ولا يقبل عمل ؛ وان كان هذا الحكم الآن منسوخا ، فذلك لا يمنع الاستدلال به في هذا المعنى

« ومن ذلك قول الصديق رضي الله عنه : وستجد أقواما زعموا انهم حبسوا أنفسهم لله ، فذرهم وما زعموا انهم حبسوا أنفسهم له . ولهذا لا يسبي الراهب ويترك له ماله أو ما قل منه ، على الخلاف في ذلك ؛ وغيره ممن لا يقاتل يسبي ويملك ، وإنما ذلك لما زعم انه حبس نفسه له ، وهي عبادة الله تعالى . وإن كانت عبادته أبطل الباطل . فكيف يستبعد اعتبار عبادة مسلم على وفق دليل شرعي لا يقطع بخطأ فيه ؛ وان كان يظن ذلك ظنا . وتتبع مثل هذا يطول

« وقد اختلف فيما تحقق فيه نهي من الشارع : هل يقتضي فساد المنهي عنه ؟ وفيه بين الفقهاء والاصوليين ما لا يخفى عليكم ، فكيف بهذا ؟ »
« واذا خرجت المسئلة المختلف فيها الى أصل مختلف فيه ، فقد خرجت عن حيز الاشكال ، ولم يبق الا الترجيح لبعض تلك المسائل ؛ ويرجع كل أحد ما ظهر له بحسب ما وفق له . ولنكتف بهذا القدر في هذه المسئلة »
انتهى ما كتب لي به وهو بسط أدلة شاهدة لأصل الاستحسان ، فلا يمكن مع هذا التقرير كله ان يتمسك به من أراد ان يستحسن بغير دليل أصلاً

فصل

فاذا تقرر هذا فانرجع الى ما احتجوا به أولاً : فاما من حذر الاستحسان بانه « ما يستحسنه المجتهد بعقله ويميل اليه برأيه » — فكان هؤلاء يرون هذا النوع من جملة أدلة الاحكام ، ولا شك ان العقل يجوز ان يرد الشرع بذلك ، بل يجوز أن يرد بان ماسبق الى أوهم العوام — مثلاً — فهو حكم الله عليهم ، فيلزمهم العمل بمقتضاه . ولكن لم يقع مثل هذا ولم يعرف التعبد به لاجب ضرورة ولا بنظر ولا بدليل من الشرع قاطع ولا مظنون ، فلا يجوز اسناده لحكم الله ؛ لانه ابتداء تشريع من جهة العقل .

وايضاً فاننا نعلم ان الصحابة رضي الله عنهم حصروا نظرهم في الوقائع التي لا انصرص فيها في الاستنباط^(١) والرد الى مافهموه من الاصول الثابتة . ولا يقل أحد منهم : اني حكمت في هذا بكذا لأن طبعي مال اليه ، أو لانه

(١) قوله « في الوقائع » متعلق بنظرهم ، وقوله « في الاستنباط » متعلق بحصروا

يوافق محبتي ورضائي . ولو قل ذلك لاشتد عليه النكير ، وقيل له : من أين لك ان تحكم على عباد الله بمحض ميل النفس وهوى القلب ؟ هذا مقطوع بطلانه

بل كانوا يتناظرون ويعترض بعضهم بعضاً على مأخذ بعض ، ويحصرّون ضوابط الشرع

وأيضاً فلو رجع الحكم الى مجرد الاستحسان لم يكن للمناظرة فائدة ، لأن الناس تختلف أهواؤهم وأغراضهم في الاطعمة والاشربة واللباس وغير ذلك ، ولا يحتاجون الى مناظرة بعضهم بعضاً : لم كان هذا الماء اشهى عندك من الآخر ؟ والشرعية ليست كذلك

على ان أرباب البدع العملية أكثرهم لا يحبون ان يناظروا احدا . ولا يفتخون عالماً ولا غيره فيما يتغنون ، خوفاً من الفضيحة ان لا يجدوا مستنداً شرعياً . وانما شأنهم اذا وجدوا عالماً أو لقوه ان يصانعوا ، واذا وجدوا جاهلاً عامياً ألقوا عليه في الشريعة الطاهرة إشكالات ، حتى يزلزلوهم ويخلطوا عليهم ، ويلبسوا دينهم . فاذا عرفوا منهم الخيرة والالتباس ، ألقوا اليهم من بدعهم على التدريج شيئاً فشيئاً ، واذموا أهل العلم بأنهم أهل الدنيا المكبون عليها ، وان هذه الطائفة هم أهل الله وخاصته . وربما أوردوا عليهم من كلام غلاة الصوفية شواهد على ما يلقون اليهم ، حتى يهوا بهم في نار جهنم . وأما ان يأتوا الامر من بابه ويناظروا عليه العلماء الراسخين فلا

وتأمل ما نقله الغزالي في استدراج الباطنية غيرهم الى مذهبهم ، تجدهم لا يعتمدون الا على خديعة الناس من غير تقرير علم ، والتحليل عليهم

بأنواع الحيل ، حتى يخرجوهم من السنة ، أو من الدين جملة . ولولا الاطالة
لأثبت بكلامه ، فطالعه في كتابه (فضائح الباطنية)

*
*

وأما الحد الثاني فقد رد بانه لو فتح هذا الباب لبطلت الحجج
وادعى كل من شاء ما شاء ، واكتفى بمجرد القول ، فأجأ الخصم الى
الابطال . وهذا يجر فسادا لاخفاء له . وان سلم فذلك الدليل ان كان
فاسدا فلا عبرة به ، وإن كان صحيحا فهو راجع الى الادلة الشرعية فلا
ضرر فيه

وأما الدليل الاول فلا متعلق به ، فان أحسن الاتباع الينا اتباع الادلة
الشرعية ، وخصوصا القرآن فان الله يقول (الله نزل أحسن الحديث كتابا
متشابها) الآية . وجاء في صحيح الحديث - خرج مسلم - ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال في خطبته « أما بعد فإحسن الحديث كتاب الله »
فيفتقر أصحاب الدليل ان يبينوا أن ميل الطباع او اهواء النفوس مما
انزل الينا ، فضلاعن ان يكون من أحسنه .

وقوله (الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه) الآية يحتاج الى
بيان ان ميل النفوس يسمى قولا . وحينئذ ينظر الى كونه أحسن القول
كما تقدم . وهذا كنه فاسد

ثم انا نعارض هذا الاستحسان بان عقولنا تميل الى ابطاله ، وانه
ليس بحجة ، وانما الحجة الادلة الشرعية المتلقاة من الشرع

وأیضا فيلزم عليه استحسان العوام ومن ليس من أهل النظر ،

إذا فرض أن الحكم يتبع مجرد ميل النفوس وهوى الطباع، وذلك محال؛
للعلم بأن ذلك مضاد للشريعة، فضلا عن أن يكون من أدلتها
وأما الدليل الثاني فلا حجة فيه من أوجه (أحدها) أن ظاهره
يدل على أن ما رآه المسلمون حسنا فهو حسن، والامة لا تجتمع على باطل.
فاجتماعهم على حسن شيء يدل على حسنه شرعا، لأن الاجماع يتضمن
دليلا شرعيا، فالحديث دليل عليكم لالكم.

(والثاني) أنه خبر واحد في مسألة قطعية فلا يسمع

(والثالث) أنه إذا لم يرد به أهل الاجماع وأريد بعضهم فيلزم عليه
استحسان العوام، وهو باطل باجماع. لا يقال: أن المراد استحسان
أهل الاجتهاد؛ لانا نقول: هذا ترك للظاهر، فيبطل الاستدلال. ثم أنه
لا فائدة في اشتراط الاجتهاد، لأن المستحسن بالفرض لا ينحصر في
الأدلة، فاي حاجة إلى اشتراط الاجتهاد؟

فان قيل: إنما يشترط حذرا من مخالفة الأدلة فان العامي لا يعرفها.
قيل: بل المراد استحسان ينشأ عن الأدلة، بدليل أن الصحابة رضي الله
عنه قصروا احكامهم على اتباع الأدلة وفهم مقاصد الشريعة.
فالخاصل أن تعلق المبتدعة بمثل هذه الأمور تعلق ببدل لا
ولا ينفعهم البتة، لكن ربما يتعلقون في آحاد بدعتهم بآحاد شريعة الله
في مواضعها ان شاء الله. ومنها ما قد مضى.

فصل

فان قيل: أفليس في الأحاديث ما يدل على الرجوع إلى ما في
القلب ويجري في النفس، وان لم يكن ثم دليل صريح على حكمه؟

أحكام الشرع ، ولا غير صريح ؛ فقد جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول « دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، فان الصدق طمأنينة والكذب رية »

وخرج مسلم عن النواس بن سميان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه » وعن أبي امامة رضي الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله ما الايمان ؟ قال « اذا سرتك حسناتك وساءتكم سيئاتك فأنت مؤمن — قال : يا رسول الله ، فما الاثم ؟ قال — اذا حاك شيء في صدرك فدعه » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » وعن وابصة رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « يا وابصة ! استفت قلبك واستفت نفسك ، البر ما اطأنت اليه النفس واطأنت اليه القلب ، والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وان أفتاك الناس وأفتوك » وخرج البغوي في معجمه عن عبد الرحمن بن معاوية : أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : ما يحل لي مما يحرم علي ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرد عليه ثلاث مرات ، كل ذلك يسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال « ابن السائل ؟ — فقال أنا ذا يا رسول الله . فقال وثق بأصبعه — ما أنكر فوق فدعه »

عن عبد الله قال : الاثم حواز القلوب ، فما حاك من شيء في قلبك ... فيه نظرة فان للشيطان فيه مطمعا . وقال أيضا : الحلال

بين والحرام بين وبينها أمور مشتبهات ، فدع ما يريبك الى ما لا يريبك .
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه : ان الخير طمانينة ، وان الشر ريبة ، فدع
ما يريبك الى ما لا يريبك . وقال شريح : دع ما يريبك الى ما لا يريبك ،
فوالله ما وجدت فقد شيء تركته ابتغاء وجه الله .

فهذه طهر من معناها الرجوع في جملة من الاحكام الشرعية الى ما يقع
بالقلب ويهيجس بالنفس ويعرض بالخطر ، وانه اذا اطمانت النفس اليه
فالاقدام عليه صحيح ، واذا توقفت أو ارتابت فالاقدام عليه محذور ، وهو
عين ما وقع انكاره من الرجوع الى الاستحسان الذي يقع بالقلب ويميل
اليه الخطر ، وان لم يكن ثم دليل شرعي ، فانه لو كان هنالك دليل شرعي
أو كان هذا التقرير مقيدا بالأدلة الشرعية لم يحل به على ما في النفوس
ولا على ما يقع بالقلوب ، مع انه عندكم عبث وغير مفيد ، كمن يحيل
بالاحكام الشرعية على الامور الوفاقية ، أو الافعال التي لا ارتباط بينها
وبين شرعية الاحكام . - فدل ذلك على ان لاستحسان العقول وميل
النفوس أثراً في شرعية الاحكام ، وهو المطلوب .

*

والجواب : ان هذه الاحاديث وما كان في معناها قد زعم الطبري
في تهذيب الآثار ان جماعة من الساف قالوا بتصحيحها ، والعمل بما دل
عليه ظاهرها . واتى بالآثار المتقدمة عن عمر وابن مسعود وغيرهما ، ثم
ذكر عن آخرين القول بتوهمينها وتضعيفها وإحالة معانيها .

وكلامه وترتيبه بالنسبة الى ما نحن فيه لائق ان يؤتى به على وجهه .
فان قيل به على نفي معناه دون لفظه لطوله في حكي عن جماعة منهم

قالوا : لا شيء من امر الدين الا وقد بينه الله تعالى بنص عليه أو بمعناه ؛ فان كان حلالا فعلى العامل به اذا كان عالما تحليله ، أو حراما فعليه تحريره ، أو مكروها غير حرام فعليه اعتقاد التحليل أو الترك تنزيها

فاما التعامل بحديث النفس والمعارض في القلب فلا ، فان الله حظر ذلك على نبيه فقال (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) فامر به بالحكم بما اراه الله لا بما رآه وحدثته به نفسه ، فغيره من البشر أولى ان يكون ذلك محظورا عليه . وأما ان كان جاهلا فعليه مسئلة العلماء دون ما حدثته نفسه .

وتقل عن عمر رضي الله عنه انه خطب فقال : ايها الناس ! قد سنت لكم السنن ، وفرضت لكم الفرائض ، وتركتم على الواضحة ، ان تضلوا بالناس يمينا وشمالا^(١) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ما كان في القرآن من حلال أو حرام فهو كذلك ، وما سكت عنه فهو مما عني عنه .

وقال مالك : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم هذا الامر واستكمل ؛ فينبغي ان تتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ولا يتبع الرأي ؛ فانه من اتبع الرأي جاءه رجل آخر أقوى في الرأي منه فاتبعه ، فكلما غلبه رجل اتبعه ؛ ارى ان هذا بعد لم يتم . واعملوا من الآثار بما روي عن جابر رضي الله عنه : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي اذا اعتصمتم به : كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض »^(٢)

(١) اي كراهة ان تضلوا - أو اتقاء ان تضلوا . (٢) لا أعرف الحديث بهذا للفظ عن جابر وهو مروي عنه بالفاظ أقربها الى ما هنا بما رواه ابن أبي شيبة

٩٤٢ حصر العمل في الكتاب والسنّة . وحديث العترة بدل السنّة (المنار - ج ١٢ م ١٧)

وروي عن عمرو بن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وهم يجادلون في القرآن ، فخرج وجهه أحمر كالدم فقال^(١) « يا قوم ! على هذا هلك من كان قبلكم ، جادلوا في القرآن وضربوا بعضه ببعض ، فما كان من حلال فاعملوا به ، وما كان من حرام فاتهوا عنه ، وما كان من متشابه فآمنوا به »

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه يرفعه قال : ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فيه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية ، فاقبلوا من الله عافيته ، فان الله لم يكن لينسى شيئاً (وما كان ربك نسياً) قالوا : فهذه الاخبار وردت بالعمل بما في كتاب الله ، والاعلام بان العامل به لن يضل ، ولم يأذن لأحد في العمل بمعنى ثالث غير مافي

= والخطيب في المتفق والمفترق عنه وهو « تركت فيكم ما لن تضلوا ان اعتصمتم به - كتاب الله وعترتي اهل بيتي » ورواه الترمذي والنسائي عنه بلفظ « يا ايها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي اهل بيتي » والحديث مروي بلفظ العترة بدل السنّة عن كثير من الصحابة منهم زيد بن ثابت وزيد بن أرقم وابو سعيد الخدري . وروي عن أبي هريرة بلفظ السنّة بدل العترة . وفي كلا السياقين لفظ « لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » والجمع بينهما في المعنى ان عترته اهل بيته يحافظون على سنته . أي لا يخلو الزمان عن قدوة منهم يقيمون سنته لا يثنى عليهم عنها التقليد ولا الاجتداع ولا الفتن .

(١) كذا في الاصل والحديث اخبرجه نصر المقدسي في الحجة عن ابن عمر قال : خرج رسول الله عليه وسلم ومن وراء حبرته قوم يتجادلون بالقرآن ، فخرج محرّة وجنتاه كأنما تقطران دما فقال : « يا قوم ! لا تجادلوا بالقرآن ، فانما ضل من قبلكم بجداهم ، ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، ولكن نزل يصدق بعضه بعضاً ، فما كان من محكمه فاعملوا به ، وما كان من متشابه فآمنوا به »

الكتاب والسنة ، ولو كان ثم ثالث لم يدع بيانه ، فدل على ان لا ثالث ، ومن ادعاه فهو مبطل .

قالو — فان قيل : فانه عليه السلام قد سن لامته وجهها ثالثا وهو قوله « استفت قلبك » وقوله « الاثم حواز القلوب » الى غير ذلك . قلنا : لو صححت هذه الاخبار لكان ذلك ابطالا لأمره بالعمل بالكتاب والسنة . اذ صحا معا ، لان احكام الله ورسوله لم ترد بما استحسنته النفوس واستقبحته ، وانما كان يكون وجهها ثالثا لو خرج شيء من الدين عنهما ، وليس بخارج ، فلا ثالث يجب العمل به .

فان قيل : قد يكون قوله « استفت قلبك » ونحوه امرا لمن ليس في مسئلته نص من كتاب ولا سنة ، واختلفت فيه الامة ، فيعد وجهها ثالثا . قلنا : لا يجوز ذلك لامور

(احدها) ان كل ما لا نص فيه بعينه قد نصبت على حكمه دلالة ، فلو كان فتوى القلب ونحوه دليلا لم يكن لنصب الدلالة الشرعية عليه معنى ، فيكون عبثا ، وهو باطل

(والثاني) ان الله تعالى قال (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) فامر المتنازعين بالرجوع الى الله والرسول دون حديث النفوس وفتيا القلوب

(والثالث) ان الله تعالى قال (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) فامرهم بمسئلة اهل الذكر ليخبروهم بالحق فيما اختلفوا فيه من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يأمرهم ان يستفتوا في ذلك انفسهم (والرابع) ان الله تعالى قال لنبيه احتجاجا على من انكروا وحدانيته

(افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ؛) الى آخرها . فامرهم بالاعتبار بعبودته ، والاستدلال بأدلته . على صحة ما جاءهم به ، ولم يأمرهم ان يستفتوا فيه نفوسهم ، ويصدروا عما اطأنت اليه قلوبهم ؛ وقد وضع الاعلام والادلة ، فالواجب في كل ما وضع الله عليه الدلالة ان يستدل بأدلته على ما دلت ، دون فتوى النفوس وسكون القلوب . من أهل الجهل بأحكام الله هذا ما حكاه الطبري عن تقدم ، ثم اختار أعمال تلك الاحاديث ، إما لأنها صحت عنده أو صح منها عنده ما تدل عليه معانيها ، كحديث « الحلال بين والحرام بين » الى آخر الحديث ، فإنه صحيح خرجه الامامان . ولكنه لم يعملها في كل من ابواب الفتوى ، ان لا يتكهن في تشريع الاعمال واحداث التعبدات ؛ فلا يقال بالنسبة الى احداث الاعمال : اذا اطأنت نفسك الى هذا العمل فهو بر ، أو : استفت قلبك في احداث هذا العمل ، فان اطأنت اليه نفسك فاعمل به والا فلا .

وكذلك في النسبة الى التشريع التركي ، لا يتأتى تنزيل معاني الاحاديث عليه بان يقال : إن اطأنت نفسك الى ترك العمل الفلاني فتركه ، والا فدمه . أي فدع الترك واعمل به . وإنما يستقيم أعمال الاحاديث المذكورة فيما عمل فيه قوله عليه السلام « الحلال بين والحرام بين » الحديث وما كان من قبيل العادات من استعمال الماء والطعام والشراب والنكاح واللباس ، وغير ذلك مما في هذا المعنى ، منه ما هو بين الحلية ، وما هو بين التحريم ، وما فيه اشكال - وهو الامر المشتبه الذي لا يدرى أحلال هو أم حرام - فان ترك الاقدام اولى من الاقدام مع جهله بحاله فظير قوله عليه السلام « اني لأجد الخمر ساقطة على فراشي ، فلو لا

اني اخشى ان تكون من الصدقة لأكلتها» (١) فهذه التمرة لا شك انها لم تخرج من احدى الحالين : إما من الصدقة وهي حرام عليه ، وإما من غيرها وهي حلال له ، فترك أكلها حذرا من ان تكون من الصدقة في نفس الامر

قال الطبري - فكذلك حق الله على العبد فيما اشتبه عليه مما هو في سعة من تركه والعمل به ، أو مما هو غير واجب - ان يدع ما يريبه فيه الى ما لا يريبه ، اذ يزول يذ لك عن نفسه الشك ، كمن يريد خطبة امرأة فتخبره امرأة انها قد ارضعته واياها ولا يعلم صدقها من كذبها ، فان تركها ازال عن نفسه الريبة اللاحقة له بسبب اخبار المرأة ، وليس تزوجه اياها بواجب ، بخلاف ما لو أقدم ، فان النفس لا تطمئن الى حلية تلك الزوجة . وكذلك قول عمر انما هو فيما شكل امره في البيوع فلم يدر حلال هو أم حرام ؟ ففي تركه سكون النفس وطأ نية القلب ، كما في الاقدام شك : هل هو أثم أم لا ؟ وهو معنى قوله عليه السلام للنواص ووابصة رضي الله عنها . ودل على ذلك حديث المشتبهات ؛ لا ما ظن اولئك من انه امر للجهال ان يعملوا بما رأته انفسهم ، ويتركوا ما استبحوه دون ان يسألوا علماءهم . قال الطبري - فان قيل : اذا قال الرجل لامرأته : أنت علي حرام . فسأل العلماء فاختلفوا عليه ، فقال بعضهم : قد بان منك بالثلاث . وقال بعضهم : انها حلال غير ان عليك كفارة يمين . وقال بعضهم : ذلك الى نيته ان اراد الطلاق فهو طلاق ، أو الظهار فهو ظهار ، أو يميننا

(١) كان الحديث محرفا تحريفا مغيرا للمعنى

فهو يمين ، وان لم ينو شيئاً فليس بشيء : ا يكون هذا اختلافاً في الحكم
 كإخبار المرأة بالرضاع فيؤمر هنا بالفراق ، كما يؤمر هناك ان لا يتزوجها
 خوفاً من الوقوع في المحذور؟ او لا ؟ قيل : حكمه في مسألة العلماء ان يبحث
 عن احوالهم وامانتهم ونصيحتهم ثم يقلد الارجح . فهذا ممكن ، والحزاة
 مرتفعة بهذا البحث ، بخلاف ما اذا بحث مثلاً عن احوال المرأة فان
 الحزاة لا تزول ، وان اظهر البحث ان احوالها غير حميدة ، فهذا
 على هذا مختلفان . وقد يتفقان في الحكم اذا بحث عن العلماء فاستوت
 احوالهم عنده ، لم يثبت له ترجيح لا حدهم ، فيكون العمل بالمأمور به من
 الاجتناب كالمعمول به في مسألة المخبرة بالرضاع سواء ، اذ لا فرق بينهما
 على هذا التقدير . انتهى معنى كلام الطبري .

وقد أثبت في مسألة اختلاف العلماء على المستفتي أنه غير مخير ، بل
 حكمه حكم من آتيس عليه الامر فلم يدر أحوال عوام حرام ، فلا خلاص
 له من الشبهة الا باتباع أفضلهم والعمل بما أفتى به ، والا فالترك ، اذ
 لا تطمئن النفس الا بذلك ، حسبما اقتضته الأدلة المتقدمة .

فصل

ثم يبقى في هذا الفصل الذي فرغنا منه اشكال على كل من اختار
 استفتاء القلب مطلقاً أو بقيد ، وهو الذي رآه الطبري . وذلك أن ما حصل
 الامر يقتضي أن فتاوى القلوب وما اطأنت اليه النفوس معتبر في
 الاحكام الشرعية ، وهو التشريع بعينه ، فان طأنته النفس وسكون
 القلب مجردا عن الدليل - إما أن تكون معتبرة أو غير معتبرة شرعاً ،
 فان لم تكن معتبرة فهو خلاف ما دلت عليه تلك الاخبار ، وقد تقدم

أنها معتبرة بتلك الأدلة . وإن كانت معتبرة فقد صار ثم قسم ثالث غير الكتاب والسنة ، وهو غير ما نفاه الطبري وغيره

وإن قيل : إنها تعتبر في الإحجام دون الإقدام . لم تخرج تلك عن الأشكال الأولى ، لأن كل واحد من الإقدام والإحجام فعل لا بد أن يتعلق به حكم شرعي ، وهو الجواز وعدمه ، وقد علق ذلك بطأ نية النفس أو عدم طأ نيتها . فإن كان ذلك عن دليل ، فهو ذلك الأول بعينه باق على كل تقدير والجواب أن الكلام الأول صحيح ، وإنما النظر في تحقيقه :

فاعلم أن كل مسألة تقتصر إلى نظرين : نظري دليل الحكم ونظري مناطه . فأما النظري دليل الحكم فلا يمكن أن يكون إلا من الكتاب والسنة ، أو ما يرجع إليهما من إجماع أو قياس أو غيرها ؛ ولا يعتبر فيه طأ نية النفس ، ولا نفي ريب القلب ، لا من جهة اعتقاد كون الدليل دليلاً أو غير دليل ^(١) ولا يقول أحد الأهل البدع الذين يستحسنون الأمر بأشياء لا دليل عليها ، أو يستقبحون كذلك من غير دليل إلا طأ نية النفس ^(٢) أن الأمر كما زعموا ، وهو مخالف لإجماع المسلمين وأما النظري مناط الحكم ؛ فإن المناط لا يلزم منه أن يكون ثابتاً بدليل شرعي فقط ، بل يثبت بدليل غير شرعي أو بغير دليل ، فلا يشترط فيه بلوغ درجة الاجتهاد ، بل لا يشترط فيه العلم فضلاً عن درجة الاجتهاد . ألا ترى أن العامي إذا سأل ^(٣) عن الفعل الذي ليس من جنس الصلاة إذا

(١) يظهر أنه سقط من هذا الموضع مقابل « لا » فإن اعتقاد كون الدليل دليلاً أو غير دليل أمر واحد أو جهة واحدة . وليتأمل قوله « ولا يقول أحد » الخ ولعله قد سقط منه شيء أيضاً (٢) لعله « سئل »

فعله المصلي: هل تبطل به الصلاة أم لا؟ فقال العامي: إن كان يسيرا فمغتفر، وإن كان كثيرا فمبطل - لم يغتفر في اليسير إلى أن يحققه له العالم. بل العاقل يفرق بين الفعل اليسير والكثير. فقد انبنى هاهنا الحكم وهو البطلان أو عدمه على ما يقع بنفس العامي، وليس واحدا من الكتاب أو السنة، لأنه ليس ما وقع بقلبه دليلا على حكم، وإنما هو مناط الحكم، فإذا تحقق له المناط بأي وجه تحقق فهو المطلوب، فيقع عليه الحكم بدليله الشرعي وكذلك إذا قلنا بوجوب الفور في الطهارة، وفرقنا بين اليسير والكثير في التفريق الحاصل أثناء الطهارة، فقد يكتفي العامي بذلك حسبما يشهد قلبه في اليسير أو الكثير، فتبطل طهارته أو تصح بناء على ذلك الواقع في القلب، لأنه نظر في مناط الحكم

فإذا ثبت هذا فنملك لحم شاة ذكية حل له أكله، لأن حليته ظاهرة عنده إذا حصل له شرط الحلية لتحقق مناطها بالنسبة إليه. أو مملك لحم شاة ميتة لم يحل له أكله لأن تحريمه ظاهر من جهة فقد شرط الحلية، فتحقق مناطها بالنسبة إليه. وكل واحد من المنطين راجع إلى ما وقع بقلبه، وإطمانت إليه نفسه، لا بحسب الأمر في نفسه؛ ألا ترى أن اللحم قد يكون واحدا بعينه فيعتقد واحد حليته بناء على ما تحقق له من مناطها بحسبه، ويعتقد آخر تحريمه بناء على ما تحقق له من مناطه بحسبه، فيأكل أحدهما حلالا ويجب على الآخر الاجتناب لأنه حرام؛ ولو كان ما يقع بالقلب يشترط فيه أن يدل عليه دليل شرعي لم يصح هذا المثال وكان محالا، لأن أدلة الشرع لا تناقض أبدا. فإذا فرضنا لهما أشكل على

المالك تحقيق مناطه لم^(١) ينصرف الى احدى الجهتين ، كاختلاط الميتة بالذكية ، واختلاف الزوجة بالاجنبية

فها هنا قد وقع الريب والشك والاشكال والشبهة . وهذا المناط محتاج الى دليل شرعي يبين حكمه ، وهي تلك الاحاديث المتقدمة ، كقوله «دع ما يريبك الى ما لا يريبك» وقوله «البر ما اطأنت اليه النفس ، والاثم ما حالك في صدرك» كأنه يقول اذا اعتبرنا^(٢) باصطلاحنا: ما تحققت مناطه في الحلية أو الحرمة فالحكم فيه من الشرع بين ، وما أشكل عليك تحقيقه فاتركه واياك والتلبس به ، وهو معنى قوله - ان صح - «استهت قلبك وان أفتوك» فان تحقيقك لمناط مسألتك أخص بك من تحقيق غيرك له اذا كان مثلك . ويظهر ذلك فيما اذا أشكل عليك المناط ولم يشكل على غيرك ، لانه لم يعرض له ما عرض لك . وليس المراد بقوله «وان أفتوك» أي ان ثقلوا لك الحكم الشرعي فاتركه وانظر ما يفتيك به قلبك ، فان هذا باطل ، وتقول على التشريع الحق . وانما المراد ما يرجع الى تحقيق المناط نعم قد لا يكون ذلك درية^(٣) أو انسا بتحقيقه فيحقيقه لك غيرك ، وتقلده فيه ؛ وهذه الصورة خارجة عن الحديث ؛ كما انه قد يكون تحقيق المناط أيضاً موقوفاً على تعريف الشارع ، كجد الغنى الموجب لازكاة ، فانه يختلف باختلاف الاحوال ، فحققه الشارع بعشرين ديناراً ومائتي درهم

(١) هذا جواب «فاذا» وكان في الاصل مقروناً بالفاء (٢) اعل أصله «عبرنا» من التعبير (٣) في الاصل «ذريعة» وقد جعل فوقها علامة الترميز وأصلحت فصارت «درية» والدرية أصلها دريئة وهي الحلقة التي يتعلم بها الطعن وما يختل الصائد به الصيد والظاهر ان يكون أصله : قد لا يكون لك دراية أو أنس بتحقيقه

وأشبه ذلك ؛ وإنما النظر هنا فيما وكل تحقيقه الى المكلف .
فقد ظهر معنى المسألة وان الاحاديث لم تتعرض لاقتناص الاحكام
الشرعية من طائفة النفس أو ميل القلب كما أورده السائل المستشكل ،
وهو تحقيق بالغ . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحرب المدنية الكبرى

بلغ العالم المدني في العلوم والصناعات وشؤون الاجتماع شأوا لم تعرف له
الارض نظيرا ، فرماها بقاصمة من الحرب المدنية لم تر لها نظيرا ، فهذه الحرب تشغل
اليوم عقول الامم في العلم والمدنية وجميع قواهم وجوارحهم وما كسبته في
لايام الخالية من علم ومال ، وما أنشأته من الآلات وعداد القتال ، في انتقام عدة أمم
ودول من أمم ودول أخرى ، وكل دولة مقاتلة تتوسل الى من بقي على الحياد من
الدول لتجذبها اليها وتجعلها من أحزابها ، فلو نال كل فريق من المقاتلين ما يطمناه
من مساعدة غيره له لاحتقرت الأرض كلها بنار هذه الحرب ، وكان البشر كلهم
حولها كالفراش يتهافتون فيها

لو فكر كل امرئ من الناس بكنه هذه الحرب ونكباتها وشرورها ، وما تصبه
في كل ساعة بل في كل دقيقة بل في كل ثانية من أصوات العذاب وصواعق
النكال على الألوف من اخوانه البشر ، وما يخسره العالم بفقد من تصعقهم من
العلماء والحكماء والصناع والزراع ، وأرباب البيوت الذين خلفوا وراءهم نساء
وأطفالا لا عائل لهم من دونهم — لو فكر كل امرئ في ذلك وأعطاه حقه من
التصور والتدبر لاضطرب قلبه ، وحار لبه ، وسالت شيرته ، وعظمت عبرته ، ولكن

شغل كل امرئ ما أصابه أو يتوقع أن يصيبه من شر هذه الحرب عما أصاب غيره،
وقلما يوجد أحد في الأرض آمن من مصائبها، وما جعل الله لرجل من قلوب في
جوفه

إن أبعد الناس عن مواقع القتال وأقربهم إلى الأمان على أنفسهم من نيران
مدافعها وبنادقها وأسنة حرايبها، لهم فيها شواغل أخرى بما تقصته من مكاسبهم،
وما قطعتهم من موارد أرزاقهم، فقد اضطربت المعاملات المالية في العالم كله منذ
بدأت، لأن هذه الدول التي أشعلت نارها هي القائمة بمعظم تجارة العالم، والصناعة
لا أكثر ماعونه ولباسه وسائر أدوات عمله، وما هذا الشاغل عند الأكثرين
إلا دون ما لكل منهم من الضلع والميل إلى أحد الفريقين المتحاربين على الآخر،
فترى أمثال هؤلاء أكثر تفكيراً في عاقبة الأحلاف المحاربة من التفكير في عاقبة
أمر أنفسهم في معاشهم وموارد رزقهم ورزق من يعولونه، لهوى لهم في ذلك
يرضونه، أو نفع من ورائه يرجونه

هذا وإن الناس يزنون أخبار الحرب بموازين أهوائهم، ويحكمون في عواقبها
بأمانهم لا بأرائهم، فحكمهم هذا لا يتوقف على معرفة أخبارها الصادقة، ولا على
كثرة قوات الدول المحتربة. على أن من هذه القوات ما هو معلوم بالتواتر
أو الاستفاضة لا يماري فيه أحد من عوام الناس — دع خواصهم — ومنه أن دولة
انكلترا أقوى دول الأرض في البحر، وأن دولة ألمانيا أقواهن في البر، وثانيتين
في البحر، واختلف الناس في المفاضلة بين الدول في الأساطيل الجوية، فذهبت
الصحف عندنا إلى أن فرنسا صاحبة السبق في هذا المضمار وإن لها القدر المعلن فيه،
ثم ظهر أن ألمانيا هي المبرزة فيه، كما كنا نظن وفاقا لكثير من الناس. بل
المعلوم بالأجمال عند جماهير الناس في الغرب وأكثر المتعلمين في الشرق أن ألمانيا
أشد الدول استعداداً للحرب واتقاناً لنظامها وعُددها وكراعها، وأنه لولا أن انكلترا
تكثرها في أساطيل البحر. لما لها في ذلك من سبق، لسهل عليها أن تسود الأمم
كلها بقوتها

هذا وان جميع الدول الاوربية متقاربة في الاستعداد للقتال ، وقلم تسبق واحدة الى اختراع شيء أو أحداث عدة أو انشاء حصن وتستطيع إخفاءه زمنا طويلا عن غيرها ، فان لكل منهن عيوننا اجد ابصارا من زرقاء اليمامة ، وأشد استراقا للسمع من الشياطين ، ولكل من فنون العلم ودور الصناعات ما يمكنه من مارة الآخرين في الاستعداد الذي يحتاج اليه لحماية حقيقته ، وحفظ مكانته ، ولم يكذب يبقى للسابقين من مزية على اللاحقين في شيء بل صار الاول آخره وعاد البدء ثانيا في كثير من الشؤون ، حتى خيف بعد تلك المساواة أو المقاربة في العلم والعمل ان يستعلي شعب واحد على شعوب أوربة كلها فيسود بذلك العالم كله الفرنسي اذكى الاوربيين أذهانا ، وأشدهم إقداما ، وأسبقهم الى المحامد يدًا ولسانا ، والانكليز أرجح الشعوب أحلاما ، وأشدهم حصافة وإحكاما ، وأمثلهم سياسة وأعدلهم أحكاما . فلماذا سبق هذان الشعبان جميع الشعوب الى استعمار الممالك ، والاستمتاع بثروة الامم في المغرب والمشرق ، وقد تنافسا وتناظرا ، وتنازلا وتصارولا ، فكان الفلج والظفر لأهل الأناة والروية ، على أهل الذكاء والاربحية ، وبذلك كان للانكليز المقام الأعلى في العالم منذ عدة أجيال ، ويليهما الفرنسي في الثروة والاستعمار

ثم نبغ الألمان وبرعوا في جميع العلوم والاعمال والصناعات والتجارة حتى بذوا الفرنسي والانكليز في ذلك فصار الثناء النسبي في ثروتهم اعلى من مثله في ثروة أولئك وخيف ان يصير اللاحق سابقا ، والثنيان بدءا . واشتدت المناظرة ، حتى أفضت الى هذه الحرب الحاضرة

وأما سائر الدول والامم المحاربة مع هؤلاء فهي انما حاربت بالتبع لها ، واقواهن الروسية ، فهي شديدة الاسر ، راسخة الأصل ، نامية الفرع ، غزيرة العدد ، وافرة المدد ، ولو كان شعبها كالألمان في العلوم والفنون ، لسادت الناس اجمعين ، ولكنها دون النمسة وايطالية في العلم والصناعة ، وفوق الدولة العثمانية التي قنعت من المدنية الاوربية بتقليد الاوربيين في ظواهر النظام والزي وأساليب المعيشة ،

دون العلوم والفنون التي ترقى الصناعة والزراعة والتجارة ، وتنمي الثروة ، وتغنيها عن
الاجانب فيما تحتاج اليه من أسباب القوة ، وأقله معامل السلاح والذخيرة
ولولا ان الامة العثمانية حرية بالطبع ، ولولا موقع عاصمتها الذي تنافس فيه
ونحاسد عليه أقوى دول الارض ، فلم يسمح به بعضهن لبعض ، ولولا مكائنها من
نفوس الشعوب الاسلامية ، التي كانت توادها لاجله الدولة البريطانية — لولا
ذلك كله لاسرعت الدول الكبرى في الاجهاز عليها ، بدلا من هذه المطاولة بنقصها
من أطرافها ، والاكتفاء بفتح النفوذ الاقتصادي والسياسي في أحشائها

ولا يسع الباحث ان يغفل عن سائر الدول الصغرى التي اشتعلت نار الحرب
في بلادها أولا ، وهي الصرب والجبل الاسود وبلجيكة ، فجيوشهم لا تفضل جيوش
الدول الكبرى في الشجاعة ، والبلجيكيون من أرقى الشعوب في العلم والصناعة والتجارة
فجملة القول في المجموعين المتقاتلين أن انكلترة وفرنسة وروسية وبلجيكة
والصرب والجبل الاسود أكثر من ألمانية والنمسة والعثمانية رجالا ومالا وأساطيل
بحرية وهوائية ، ولكن ألمانية وحدها أعلى منهم استعدادا ونظاما ، ولولا الاسطول
الانكليزي لرجعت على الجميع رجحانا ظاهرا ، بل لا يمكنها أن تحارب أوربة
كلها وتنتصر عليها

يبد أن هذا السبق في الاستعداد ، ليس مما ينتظم في سلك الخوارق والآيات ،
بل يمكن لدول التحالف أن يلحقوها به ، اذا عجزت في أول العهد عن بطشة
فاصلة في فرنسة . أما اذا وقف مدها عند تدويخ بلجيكة والاستيلاء عليها وعلى
بضع ولايات من شمال فرنسة وجانب من بولاندة الروسية ، فما بعد المدد الا الجزر ،
فاذا أمكن للحلفاء أن يزيدوا عدد جندهم ويمدوه بما لم تستطع هي مثله عاد لهم
الرجحان عليها في البر ، كما سبق لهم الرجحان عليها من قبل في البحر

فمحل الرجاء للحلفاء إنما هو التغلب بالكثرة بقاعدة قول الشاعر العربي :

ولست بالأكثر منهم حصي ————— والعزة للكثير

أما هذا المدد الذي يكون به الرجحان البري فلا يرجى الا من قبل بريطانيا

العظمي لان الفرنسيين قد بذلوا كل ما في وسعهم ، والروس — وان كانوا اكثر عددا — لا يجدون من الذخائر والسلاح ولا من الضباط ما يمكنهم من تجديد العدد الذي تسمح لهم به كثرتهم ، فالانكليز وحدهم هم القادرون على مضاعفة جنودهم ، وعلى ايجاد ما يحتاجون اليه من السلاح والذخيرة لكثرة معاملهم وعملهم ومالهم ، وليس عندهم جندي اجبارية تستغرق العمال ، وتوقف حركة الاعمال ، وانما يعز عليهم التعجيل بايجاد ضباط اكفاء لجيش كبير يحددون تنظيمه تجديدا ، ولكن الانكليز اهل صبر وأناة ، فما لا يدركونه في سنة يرضون بأن يدركوه في سنين ، وتاريخهم مرآة أخلاقهم في ذلك . وقد قدر لورد كاتشر ناظر الحرية القائم بتجهيز الجيوش الانكليزية مدة هذه الحرب بثلاث سنين

بين لنا ما تقدم ما يراه كل الواقفين على الحقائق من أن هذه الحرب ليست الا المظهر الاجلي للتنازع على السيادة والنفوذ والاستعلاء في الارض بين الانكليز وأبناء عهدهم الألمان ، وسائر الدول تبع لهما في علمها ومعلولاتها ، ومقدماتها ونتيجتها دع البحث في المقدمات فقد انتهى أمرها ، وسيحكم التاريخ حكمه العادل فيها ، وأما النتيجة فهي ان السيادة العليا في الغرب والشرق ستكون لانكلترا أو لالمانية لا لمحالة ، ويكون أحلافهما تبعاً لهما . فتكون لانكلترا اذا فازت هي وأحلافها بالنصر التام ، لانهم لن ينالوا ذلك الا بها ، ولا تنتهي الحرب الا وقد انتهكت قواهن من دونها ، واستحدثت هي من القوة فوق ما كان لهما ، اذ شرعت بتأليف قوة برية لم يكن لها مثيلها في وقت من الاوقات ، كما انها تزيد الاسطول قوة على قوة . وحينئذ تكون أعظم الدول ربها وأقلها خسارة ، واذا كان من بواكر هذا الربح مصر وقبرص والبصرة ومعظم مستعمرات ألمانية في أفريقية أو جميعها كما هو المنتظر فكيف تكون أواخره ؟ واما اذا كان النصر التام لالمانية وأحلافها فقد طالما لهجت الجرائد الانكليزية والفرنسية وغيرها بأن ألمانية حينئذ تجعل أوربة كلها تحت سيطرتها ، وتنزع منها جميع مستعمراتها ، وأنها بذلك تسود العالم كله ، ولعلنا نعود الى تفصيل القول في نتيجة الحرب على كل تقدير ، بقدر ما تسمح به المراقبة الرسمية على الصحف ، ونلم في ذلك بأمانى الشرقيين عامة والمسلمين خاصة ؟

﴿ إلغاء الامتيازات الاجنبية والحذر من الفتن الاهلية ﴾

أخذت الدولة العلية تعي جيشها وتستعد للقتال عقب اعلان الحرب في أوربة، وتضافرت الروايات والآراء على انها تحارب مع المانية والنمسة ، وقد كان مقدمات ذلك إلغاؤها للامتيازات الاجنبية ، وهي قد آذنت الدول بذلك في شهر سبتمبر، وقد خشي كثير من نصارى السوريين أن يفضي إلغاء امتيازات الدول الى فتن أهلية في سورية، فكيف اذا حاربت الدولة روسية وفرنسية وانكلترة الحامية للنصارى في بلاد الدولة، وقد تحدث اخواننا السوريون هنا بذلك، وكثر خوض الجرائد السورية الامريكية في المسألة واشتد تشاؤمها وتقلت عن سفير الدولة في واشنطن كلاما يؤيد هذا التشاؤم، حتى انه ليخيل لمن قرأ ما كتبت ، أن الفتنة وقعت أو كربت أما نحن فانا نعلم ان هداية الاسلام التي حفظت لغير المسلمين حريتهم في القرون التي كانت دول الاسلام فيها أقوى دول الارض لا تزال ذات السلطان الأعلى على نفوس المسلمين ، فاذا كانت السياسة قد غلبتها واستخدمتها في بعض الاوقات في العدوان الذي تنهى عنه فلن تستطيع ان تنال ذلك منها في كل وقت، بل نعلم فوق ذلك ان مسلمي سورية صاروا يعلمون ان مصلحتهم القومية والوطنية لن تقوم الا بتعاونهم مع سائر أبناء وطنهم المشاركين لهم في تلك المصلحة — فالنتيجة اذا ان دين المسلمين وديانهم متفقان على نهيمهم عن الاعتداء ، وحثهم على التعاون والاتفاق ، وقد كان للنهضة العربية الحديثة أعظم التأثير في ذلك .

واننا على ثقنا بما بينا قد كتبنا مكاتوبات خاصة الى من تثق بحسن سعيهم في البلاد السورية نذكرهم فيها بما يجب عليهم العناية به الآن ، ونشمرنا في جريدة الاهرام اليومية التي صدرت في ٦ ذي القعدة الماضي (٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٤) خطابا عاما في ذلك تثبته هنا ليكون أثرا تاريخيا ، اذ تأخر صدور هذا الجزء من المنار ومنعت الصحف المصرية من دخول البلاد العثمانية وهذا نصه :

الى اخواني الكرام

مسلمي سورية

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان واتقوا الله . ان الله شديد العقاب »

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فإني أحمد اليكم الله عز وجل . وأصلي وأسلم على رسوله محمد نبي الرحمة . ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من النجدة والهمة ، في الاخلاص والطاعة للدولة ، وبذل الانفس والاموال والثمرات لها ، والكف الوقت عن طلب الاصلاح منها ، وتقديركم احوال الحاضرة قدرها ، حتى انكم ساهتم في هذا أرقى أمم الارض التي سكنت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية ، عند مارأت حكوماتها بازاء الاخطار الخارجية ، مضطرة لتقلد السلاح ، والاصطلاء بنار القتال ، فحياكم الله أيها الاخوان ، وزادكم نجدة وأريحية ، واستمساكا بعروة الدولة العلية ، بحسب ما تهدي اليه الشريعة الاسلامية ، وتقضيه الوراثة العربية . ولا يتم لكم هذا الا بالالفة والاتفاق مع أبناء جنسكم ووطنكم من غير أبناء دينكم ، الذين ساوت الشريعة بينكم وبينهم في الحقوق العامة ، وأوجبت عليكم ما لم توجهه شريعة من العدل والاحسان ، وتأكيد الوصية بالجيران

أيها الاخوان الكرام ! بلغنا ان الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، قد أخذ ينفث في عقد المودة الجنسية والوطنية ليحلها ، وليفصم عروتها وينقض غزلها ، ويزين وسوسته هذه باسم الجامعة الاسلامية ، والقيام بالنهضة الدينية ، فلا يفتنكم الشيطان ، ولا يخذعنكم باسم الاسلام وتحريف آيات القرآن ، فان بعض الذين يطلبون المال والجاه بهذه الاسماء لا يفهمون مسمياتها ، ويستدلون بالآيات ولا يعقلون مدلولاتها ، أستم تعرفون بينكم ممن يلفظ بالدعوة الى الجامعة الاسلامية ، من لا يعرف عقيدة الاسلام كما يجب ، ولا يصلي ولا يصوم ؟ ولا تبحث في زكاة أمثال هؤلاء وحججهم فانما وجوب الزكاة والحج على مالك النصاب والمستطيع ، وربما يدعون عدم الاستطاعة

إنكم تعرفون هذا بينكم، وإن لمن تعرفون من هذا الصنف أعوانا في غير بلادكم، هم أشد منهم نفاقا وأبرع في فن التجارة بالدين، فلا تغتروا بما يقولون ولا بما يكتبون، ورب كلمة حق أريد بها باطل، ومن المسائل المعلومة من الدين بالضرورة أن الله تعالى حرم البغي والعدوان. حتى أنه قال فيمن يقاتلون المسلمين (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) واتي أستحي أن أطيل عليكم في سرد الدلائل على تحريم البغي والتعدي لأن هذا مما تعرفه العامة كما تعرفه الخاصة، فالإطالة فيه تتضمن نسبة الجهل اليكم (وحاشاكم) نعم إن العامة عرضة للغش والخداع ولا سيما إذا جاءها الخادع من باب الدين، فيحب على خاصتكم أن تحذروا عانتكم من وسوسة المنافقين الذين يغفونكم الفتنة « الفتنة نامة لعن الله من أيقظها »

وأذكركم بباب آخر من أبواب الخداع . وهو تحريضكم على النصارى بدنب ميلهم الى الاجانب من أبناء دينهم كراهة لكم وللدولة العلية لاجل الدين ، وربما ينقل اليكم أو تسمعون ما يدل على ذلك ، الا فاعلموا ان هذا ان صح وفرضنا انه عام فيهم — فانه لا يبيح لكم الاعتداء على أنفسهم ولا على أموالهم ، لان الشريعة الاسلامية لم تضع عقوبة دنيوية على الميل والحب والبغض ونحو ذلك من أعمال القلوب ، على ان الحكماء هم المطالبون بتنفيذ العقوبات لا أفراد الامة . ولا نبحت هنا في عذر من يحب الاجانب لاحسانهم اليه والى أهل ملته . ومن يبغض الوطني لظنه انه لا ينجيه من شره واذاه الا حماية الاجانب له

اذا وقع أقل عدوان منكم على غيركم في هذه الايام، تكونون قد أثبتتم بالفعل ان ترك العدوان قبل اليوم انما كان خوفاً من الاجانب لا عملاً بهداية الاسلام ، ولا قياماً بحقوق تكافل أهل الاوطان، هذه هي التهمة التي يرمينا بها من يجهل حقيقة ديننا وتاريخنا، اذ كانت دولنا أقوى دول الارض كلها، وكان المخالفون لنا في الدين يفضلون حكم خلفاء المسلمين، على حكم أبناء دينهم من الرومانيين

ان لنا في هذه الايام افضل فرصة لاقتناع أبناء جنسنا ووطننا، بما نتحدث به دائماً فيما بيننا من حسن نيتنا، ورغبتنا في الاتفاق معهم، على كل ما فيه مصلحتنا المشتركة بيننا

و بينهم على قاعدة المنار الذهبية: (تعاون فيما نشترك فيه. ويعذر بعضنا بعضاً فيما يختلف فيه) ونحن متفقون في اللغة وفي مصالح البلاد الزراعية والصناعية والتجارية والاجتماعية فتعاون على ذلك بغاية الاخلاص . ويعذر بعضنا بعضاً في أمر الدين ثم اني أختم الكلام بما بدأته به من حمدكم وشكركم على بذل الجهد في طاعة الدولة العلية ، واثبات كون النهضة العربية نهضة علم وعمران ترتقي بها الدولة العلية، لانها مقاومة ومشاكسة للتركية ، ولكنني اذ كرم بأن الطاعة الواجبة للدولة انما هي طاعة أوامرها الرسمية الشرعية، فلا تدعوا العامة تنخدع بدعوى الاوامر السرية أو الشفوية . فضلاً عن أوامر الجمعيات والاحزاب وغيرها ، ولا سيما اذا كانت مخالفة لهداية الشرع ومصلحة الامة والوطن « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » والسلام على من اتبع الهدى . ورجح الحق على الهوى أخوكم

محمد رشيد رضا

منشئ المنار

﴿ كيف دخلت الدولة العثمانية في الحرب ﴾

لم تلبث الدولة بعد إضرام نار الحرب في أوربة أن أمرت بتعبئة جيشها تعبئة عامة ، وان كانت، قد « أعلنت الحياد » ثم بثت الالغام في زقاقى الدردنيل والبسفور ومنعت المرور منهما بعد ان آوت الى الاستانة البارجتان الألمانية اللتان كان يطاردهما الاسطولان الانكليزي والفرنسي - وهما الدردنوط غوبن والطراد برسلو - وكانت دور الصناعة الانكليزية قد صنعت للدولة بارجتين من أحسن نوع الدردنوط وقرب موعد ارسالهما الى الاستانة فلما أعلنت انكلترا الحرب على ألمانيا آذنت الدولة العثمانية بالحاق المدرعتين باسطولها، فساء ذلك الدولة العثمانية وطفقت جرائد الاستانة وغيرها من الجرائد العثمانية تطعن في انكلترا أشد الطعن ، ثم شاع أن الدولة تعد جيشاً في سورية للزحف على مصر وإزالة سيطرة انكلترا عنها ، ثم أعانت الدولة إلغاء الامتيازات الاجنبية تخيف ان يكون ذلك سبباً للاعتداء على رعايا دول الاتفاق الثلاثي اللواتي أنكرن هذا الإلغاء وحفظن لأنفسهن الحق في العمل الذي يقتضيه ما يترتب على ذلك ، وان يكون ذلك مقدمة الحرب وسببها ، ولكن الدولة لم تسيء معاملة أحد من الاجانب بعد إلغاء امتيازاتهم

أما الجرائد في أوردت ومصر فكانت تصور لقراءتها أن في الدولة حزبين أحدهما يميل إلى الحرب مع ألمانيا ورئيسه أنور باشا ناظر الحرية ، وثانيهما يميل إلى إنكلترة وفرنسة ويرى إجابة رغبتهم إلى المحافظة على الحياد التام ، وأن من أعضاء هذا الحزب الصدر الأعظم سعيد حلم باشا وجمال باشا ناظر البحرية وجاويد بك ناظر المالية ، بل قال بعضهم إن من أعضائه طلعت بك ناظر الداخلية أيضاً !

كانت إنكلترة أشد دول التحالف حرصاً على محافظة العثمانية على الحياد ، واتفقت معهن على أن يضمن لها استقلالها إذا هي حافظت على ذلك ، ولكن الدولة شعنت ذلك الاستقلال الصوري الذي لا يمنع دول الأجانب أن ينفذوا فيها كل ما يتفقن عليه وكثيراً مما يختلفن فيه ، وأن يجعلن بلادها مناطق نفوذ اقتصادي وسياسي ، وقد ضمننت لها ألمانيا أيضاً الاستقلال ، وأن تعاملها معاملة الأمثال ، إذا هي انضمت إليها في هذه الحرب ، وتقدم إليها ما تحتاج إليه من المال والرجال والذخيرة ، فوثق رجال الاتحاد والترقي بذلك وأن كان يرتاب فيه غيرهم من العثمانيين وكانت ألمانيا قبل هذه الحرب وبعد حرب البلقان أرسلت إلى الاستانة بعثة

عسكرية لإصلاح الجيش العثماني ، فقامت لذلك دولة الروس وقعدت ، وأرغمت وأزبدت ، ثم انها باعتهما البارجتين غوبن وبرسلو وأرسلت إليها كثيراً من ضباط البحرية ومهندسيها فخلوا محل البعثة الإنكليزية التي كانت الدولة استحضرتها لإصلاح البحرية أثر مغادرتها الاستانة بعد الحرب ، وبذلك اشتد الجفاء بين الدولة وبين إنكلترة وأحلافها ، ووقف اسطول إنكليزي فرنسي أمام زقاق الدردنيل مرابطاً مراقباً للبارجتين الألمانيتين اللتين لم تعتد دول الأحلاف بيعهما للعثمانية . وبذلك قوي نفوذ الألمان في الجيش العثماني وفي البحرية ، حتى قطع دول

الأحلاف الصلات السياسية معها (في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٤) على أثر مصادمة بين الاسطولين العثماني والروسي بلغ الروس أحلافهم أن الاسطول العثماني في البحر الأسود كان هو المعتدي فيها وأنه ضرب بعض المواني الروسية أيضاً ، وبلغ العثمانيون الدول أن الاسطول الروسي هو الذي بدأ بالمدوان ، وأن الدولة مستعدة لتلافي الحادثة بالطرق السياسية ، وقد طلبت إنكلترة من سفيرها في الاستانة أن يطالب الدولة العثمانية بالتوصل من تبعة العدوان على روسية وعزل البعثتين الألمانيتين البرية والبحرية ، وإخراج بحارة غوبن وبرسلو الألمانيتين منهما ، وأن يمهلهما ١٢ ساعة فإن لم تفعل فليطلب جواز السفر وليغادر الاستانة ، وكذلك فعل هو وسفيراً فرنسية وروسية ، وعلى إثر ذلك أطلق الاسطولان الإنكليزي والفرنسي قنابلهما على مدخل الدردنيل ، وصارت الدولة حرباً لدول التحالف ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

خاتمة السنة السابعة عشرة

نختتم السنة السابعة عشرة بمثل ما افتتحناها به من حمد الله الذي لاحمد على السراء والضراء سواء ، واليه يرجع الامر كله ولا حول ولا قوة الا بالله ، واياه نسأل ان يقينا شر هذه الحرب الأوربية ، التي عمت رزاياها جميع البرية ، فكانها عقاب من الله تعالى للبشر كافة ، لا من أوقدوا نارها خاصة ، فكسدت التجارات ، وتعسرت جميع المعاملات ، وراقبت الحكومات جميع المطبوعات ، وانقطعت المواصلات والمكاتبات بين بعض الامم والاقطار ، وقلت حتى في البلاد التابعة لحكومة واحدة ، أو حكومات متحالفة متآلفة .

فكان مما أصاب المنار ان انقطع في أثناء السنة عن المملكة العثمانية ، وبطلت الثقة بوصوله الى كثير من البلاد الشرقية والمغربية ، وانقطعت عنه الحولات المالية من خارج هذا القطر ، وقل من يوفيه حقه أو بعض حقه من أهله ، لان الناس اتخذوا هذه الحرب عذرا لا يستحي من الاعتذار به الاغنياء وكثير من أصحاب الرواتب التي مازلوا يتقاضونها في أوائل الشهور لم تنقصهم الحرب منها شيئا . ولا أخرتها عن أوقاتها قل ما يرد الى المنار من المشتركين حتى لم يعد يكفي لعشر نفقاته ، ولم يتجدد في أيام هذا الضيق عمل جديد للمطبعة ، وغلا ثمن الورق وغيره ، وأما نحن فما غيرنا - وان نغير ان شاء الله - ما جرينا عليه من الوفاء لعمالنا ومعاملينا ، فعمالتنا يوفون أجورهم في كل أسبوع ، ولا نشترى شيئا الا ونؤدي ثمنه دفعة واحدة ، أو أقساطا مطردة ، وقد اجازت الحكومة المصرية عند بدء الحرب ما تحبزه سائر الحكومات من تأجيل أداء الديون فلم يحملنا ذلك على تغيير معاملتنا مع أحد لأجل هذا حسبنا بطول أمد الحرب كل حساب ، وخفنا ان نعيجز عن الاستمرار على سيرنا هذا عدة سنين ، كما يقدر لهذه الحرب بعض العارفين ، فارتأينا أولا أن نصدر أجزاء السنة في سنتين ، وننقاضي الاشتراك بحسب الاجزاء بحسب الزمن الذي صدرت فيه ، وأشار علينا بعض الاصدقاء الاوفياء بأن ننقص من الاجزاء نصف حجمها ونبقي الاشتراك على حاله ، ثم نعيده الى ما كان عليه بعد الحرب ، ففزع علينا العمل بهذا الرأي . ولكننا عزمنا الآن على جعل سنة المنار عشرة أشهر كأكثر المجلات المصرية ، وهي سنة سنها منشيء مجلة الهلال ، ودعاني اليها عقب إنشاء المنار و فرغبت عنها حرصا على كثرة الفائدة . وايتارا لها على حب الراحة . وانما ألجأت اليها الضرورة أما الانتقاد على المنار فما ورد علينا منه شيء لم ننشره ، فان كان أحد كتب الينا نقدا لشيء ولم ننشره أو نشر ما كان أجمع منه معاني في موضوعه فليذكرنا بذلك ، مبينا ما يراه لا يزال منتقدا الى الوقت الذي يكتب فيه ، فان نقد الكلام ، من أسباب تحري الكمال ، والله الموفق وله الحمد على كل حال .

ملحق

﴿ مجلة المنار الاسلامي في مصر ﴾

سنة ١٣٣٢

السفر الجميل في ابناء الخليل

(لأحمد افندي ترجمان)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

في اسمعيل ثم في اسحق ثم دخول المسلمين الى الشام وفوائد (في اسمعيل) في التكوين بحسب الاصل العبراني ١٦: ١٢ آدم بري، يده في الكل ويد الكل فيه وامام جميع اخوته يسكن . وقال فيه لأم اسمعيل : لان الرب سمع لذلتك . وكلمة « بري » مثلها بالمضارع في نبوة هوشع ١٣: ١٥ يشر كما في قاموس الاسرائيلية والمراد بقوله « يده في الكل ويد الكل فيه » النبي (عم) لانه من اسمعيل، وقوله « امام جميع اخوته يسكن » فعمل نزول اسمعيل وسكنه ومعه اولاده وبيان أسماهم في التكوين ٢٥: ١٣ وهذه أسماء بني اسمعيل - نبايوت بكر اسمعيل وقيدار . الى آخره اثنا عشر - ١٨ وسكنوا من حويلة الى شور الى قوله « امام جميع اخوته نزل » اي اسمعيل . وحويلة الثاني عشر من بني يقطان تكوين ١٠: ٢٩ ويقطان بن عابر تكوين باب ١٠ وابراهيم أبو اسمعيل من عابر تكوين باب ١١ وفي تاريخ سوريا للمطران يوسف الدبس مجلد أول في سكنى بني يقطان « حويلة الثاني عشر من أبناء يقطان استوطنت ذريته في بلاد خولان شمال اليمن على تخوم الحجاز حيث امتدت بعد ذلك ذرية اسمعيل كما جاء في التكوين فصل ٢٥ عدد ١٨ » اما فاران ففي كتاب تحفة الارب قال « فاران اسم رجل من ملوك العمالة الذين اقتسموا الارض فكان الحجاز وتخومه لفاران » وقال ياقوت « فاران جبال الحجاز . وفاران قرية من نواحي صفد من أعمال سمرقند ، وفاران والطور كورتان من كور مصر القبلية »

ولما هاجر النبي (عم) من مكة ونزل المدينة وأهلها الاوس والخزرج وأصلهم من بني يقطان أسلموا وأيضاً أسلم بنو يقطان الذين هم في اليمن وغيرهم . ولما قام المسلمون للفتح - بنو عدنان من بني اسمعيل وبنو يقطان وغيرهم - قومة واحدة اتصروا على الفرس والرومان واخذوا البلاد ، وفي تاريخ التمدن الاسلامي لجورجي بك زيدان صاحب الهلال بمصر قال : كان اليهود بالشام يدلون العرب على عوارات المدن ضد الروم ويدخلونهم اليها فصارت يد بني عابريدا واحدة . وقوله في اسمعيل في التكوين ١٦ : ١٢ يده في الكل ويد الكل فيه . قلنا ان المراد به النبي

(ع م) لانه من اسمعيل . وبيانه في نبوة اشعيا ٤١ : ٢ بحسب العبراني { من أنقض من المشرق الصدق يدعو له قدمه وفي عدد ٢٥ منه قد انقضت من الشمال قات من مشرق الشمس يدعو باسمي } قالوا قام النبي من مكة ديار بني اسمعيل الى المدينة مهاجرا ثم قام من المدينة المنورة الى مكة فاحا ودخلها من اعلاها شرقا ، والمدينة شمال مكة ومكة شمال حويلة وحويلة { خولان } شمال اليمن على تخوم الحجاز كما سبق البيان . وفي نبوة اشعيا ٤٢ : ١ هوذا عبدي الذي اعطته مختاري - ثم قال في عدد ٦ منه - فامسك بيدك والعبراني « وامسكت بيدك » وترجمة السكوتوليك واخذت بيدك أي امسكت بيدك بيانا لما في التكوين في اسمعيل ١٦ : ١٢ « يده في الكل » ثم بعد قوله وامسكت بيدك في نبوة اشعيا باب ٤٢ ذكر في عدد ١١ ذكر ديار قيدر ونمجيدهم للرب من رؤس الجبال اشارة للحجج الاسلامي وفي عدد ١٢ خروج الرب كرجل حروب { كناية عن اعانة الرب وعنايته للمسلمين في جهادهم وتأيدهم من الرب . وقيدر ابن اسمعيل تكوين ٢٥ : ١٣ } { تنبيه اول } في خروج اسمعيل الى الحجاز بحث لان وقت فطام اسحق كان عمر اسمعيل ١٧ سنة كما في شرح الاسرائيلية القرآنيين . فكيف يقال في اسمعيل عند ما كان مع امه : طرحت الولد قومي احملني الغلام ؟ وسنه قدر سن يوسف بن يعقوب لما كان يرعى (١٠ سنة) كما في التكوين ٣٧ : ٢ فالاسرائيلية اختصروا في القصة فوقع فيها الارتباك . وسنذكر كتابا انشاء الله تعالى ونكملها من التاريخ والكتاب (تنبيه ثان) بعد ولادة اسمعيل لابراهيم من هاجر بحسب العبراني قال الرب لابراهيم { يكون اسمك ابراهيم لاني جعلتك ابا لجمهور امم } اشارة الى نسل اسمعيل ولنسل اسحق الذي سيأتي قال الرب له (واجعلك امما) وامره بالختان وجعله عهدا ابديا وعاهده ايضا على اعطائه ارض كنعان بالشام ، ثم بشره بأنه سيعطيه ابنا ايضا من سارة فقال ابراهيم في قلبه : هل يولد لابن مئة سنة ؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة ؟ وقال ابراهيم لله : ليت اسمعيل يعيشت امامك . فقال الله له : حقا سارة تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق وأقيم عهدي معه لنسله من بعده ، أما اسمعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا باركته وأثمرته وأكثرت - الى قوله - وعهدي أقيم مع اسحق (كل ذلك في التكوين باب ١٧ وترجمة النصاري هنا خلاف العبراني الذي اعترفوا بالنقل عنه) (والاصل ما ذكرنا) وفي شرح الاسرائيلية الربانيين العهد لاسحق الختان وبنو اسمعيل مع اسحق اه لان اسمعيل خستن قبل ميلاد اسحق . وأيضا العهد لاسحق بأرض كنعان بالشام كما في سفر الخروج ٦ : ٣ ومزمور ١٠٥ : ٩ الذي طاهد به ابراهيم

وقسمه لاسحق ١٠ فثبتته ليعقوب الى قوله قائلا أعطى لك أرض كنعان (فجعل
 الرب لبني اسمعيل اليد في الكل وجعل لبني اسحق أرض كنعان بالشام . (ماسحق) ان
 الله تعالى بارك اسمعيل لاجل ابراهيم كما في التكوين باب ١٧ وبارك اسحق أيضاً لاجل
 ابراهيم كما في التكوين باب ٢٦ وفي نبوة اشعيا من قول الرب ٤١ : ٨ - ابراهيم خليلي)
 قال لكل لاجل ابراهيم ، وسمع الرب ذل هاجر فجعل اسمعيل ابنها يده في الكل ، تكوين
 ١٦ : ١٢ والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده وهو على كل قدير اه وفي سفر أيوب
 ٢٢ : ٢١ تعرف به وأسلم) أي تعرف بالرب وأسلم له ، والعبراني « وشلام » وأيوب كان
 قبل موسى كما في حاشية الكاتوليك وقبل ابراهيم كما في مرشد الطالبين للبروتستان
 فالأصل « الاسلام » اه

(في اسحق) بركة الرب لاسحق في الارض المقدسة كما في التكوين باب ٢٦ تتقل
 من يده الى يعقوب ثم الى داود ثم الى المسيح في اخوته . وبيانه في دعاء اسحق ليعقوب
 بالوحي الالهي كما في التكوين ٢٧ : ٢٨ فليمطك الله من ندى السماء ومن دسم الارض
 وكثرة حنطة ونبيذ ٢٩ ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل . كن سيدا لاختوتك
 وليسجد لك بنو امك . لاغتك ملعون ومباركك مبارك } فقول اسحق ليعقوب يستعبد
 لك شعوب وتسجد لك قبائل . هذا تم لداود في ارض الشام لان يعقوب لم يخضع
 له شعوب بل لداود الذي هو من يعقوب ، وسلطنته في بلاد الشام وبيانه من قول
 داود في مزمور ١٨ : ٤٧ الاله المنتقم لي والذي يخضع الشعوب نحني . والعبراني
 (يخضع شعوب نحني) ثم قول اسحق ليعقوب : كن سيدا لاختوتك وليسجد لك بنو
 أمك لاغتك ملعون ومباركك مبارك) وهذا المراد به المسيح لانه من داود وداود
 من يعقوب فهو نفس يعقوب ايضا وفي نبوة اشعيا خطابا للشعب اسرائيل ٥١ : ٢
 انظروا الى ابراهيم ابيكم والى سارة التي ولدتكم لأنني دعوته وهو واحد وباركته
 واكثرته) فالمسيح في مجيئه الثاني يكون كبيرا لاختوته بني اسمعيل من ابيه ابراهيم
 ويخضع له بنو امه وهم بنو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم من سارة . والسجود بمعنى
 الخضوع والخضوع يسبقه العناد ابتداء والخضوع انتهاء . وفي شرح الاسرائيلية الربانيين
 في قول اسحق ليعقوب (كن سيدا لاختوتك) قالوا كبير على بني اسمعيل وبني
 قطورا يعني من ابراهيم وفي قوله (وليسجد لك بنو امك) قالوا بنو يعقوب اه لان
 يعقوب بن اسحق بن ابراهيم من زوجته سارة ، ولا يقال في قول اسحق ليعقوب
 (كن سيدا لاختوتك وليسجد لك بنو امك) المراد به داود ايضا لان داود لم يكن

رئيسا على بني اسمعيل وبني نبوة اشعيا في المسيح باب ٤٩ بحسب العبراني انه سمي المسيح فيها اسرائيل واسرائيل هو يعقوب، وفيها ان للمسيح مجيئين: الاول لم يقبل اليهود منه، ومجيئه الثاني يكون في وقت رضاء ومجمعهم ويقوم الارض، وهي بيان لقول اسحق في امر المسيح مع بني اسرائيل بني امه ساره جدة يعقوب، وقول اسحق ليعقوب بعد قوله له كن سيدا لاخوانك وليسجد لك بنو امك - والمراد بالمسيح كما توضح - قال لاعتك ملعون ومباركك مبارك (فلاحن المسيح ملعون ومباركه مبارك حسب قول اسحق، فلا يتأني للنصارى اذا كانوا تابعين للمسيح - كما يقولون - ان يسموا المسيح ائمة كما في رسالة بولس الى اهل غلاطية ٣ : ١٣ او يسموا المسيح ملعونا كما في مرشد الطالبين للبروتستان صحيفة ٤٤٢ طبعة سادسة سنة ١٩٠٩ لان لاعتن المسيح ملعون ومباركه مبارك حسب قول اسحق . وكيف يسمون المسيح ملعونا ولاعتن ملعون ؟ وسيدنا اسحق من الانبياء العظام والمسيح مؤيد لنبوءات الانبياء والناموس اي الشريعة كما في انجيل متى ٥ : ١٧ فبنو اسمعيل اخوة المسيح لاييه ابراهيم على هدى ونور من ربهم لا ياتهم بالرب وبانبيائه واعترافهم بالمسيح (ع م) بانه من الانبياء العظام وهم ينتظرون نزوله كما اخبرهم نبيهم (ع م) في الحديث (١) الشريف الصحيح . يكون المسيح في مجيئه الثاني كبيرا لهم فلذلك تقدموا في قول اسحق ليعقوب والمراد بالمسيح بقوله كن سيدا لاخوتك أي كبيرا لهم . ولعماد بني اسرائيل وانكارهم المسيح وهم بنو امه ساره جدة يعقوب والدة ابيه وصفهم اسحق بقوله (وليسجد لك بنو امك) اشارة لخضوعهم اليه انتهاء وبلازم من الخضوع العناد ابتداء ثم الخضوع انتهاء، ثم قول اسحق (لاعتك ملعون ومباركك مبارك) فقوله مباركك مبارك يراد به بنو اسمعيل ومن معهم من المسلمين لانهم يباركون المسيح كما في القرآن الشريف بحكي قول المسيح عن الرب { وجماعتي مباركوا اينما كنت } ولا

(١) قوله في الحديث الشريف أما ماورد في القرآن الشريف في قوله تعالى للمسيح (اني متوفيك ورافعك) الآية المراد بالتوفي النوم ومنه قوله تعالى (الله يتوفي الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى) فجعل النوم وفاة وكان سيدنا عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فعنى الآية (منيكم ورافعك) اه من الخازن وفي الزمور ٣٧ خطاب للمسيح عدد ٣٤ (انتظر الرب واحفظ طريقي فببرك انترت الارض . ومثله زمور ٩١ وفي القرآن الشريف أيضا في المسيح (وان من اهل الكتاب الا يؤمنن به قبل موته . ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أي قبل موت المسيح لان سياق السلام فيه وهذا في مجيئه الثاني وحكمه حين ترجع اليهود الى الله تعالى وتؤمن لمسيح ثم ينتقل الى كرامة الله تعالى . ومجيئه في آخر الزمان كما في قوله تعالى في المسيح (وانه لاهم للساعة) أي نزوله قرب الساعة ٤ ومثله في نبوة هوشع ٣ : ٥ في آخر الأيام

يقولون في المسيح انه لعنة او ملعون بل يشكرون ذلك اشد الانكار والهداية من الله تعالى . وبناء على ما توضح فالمسلمون على هدى ونور من ربهم والمسيح مع اسحق وبقية الانبياء مؤيداً لهم كما في انجيل متى ٥ : ١٧ { تنبيه } في الامثال ٨ : ٣٠ كنت عند صانعا والبراني مرياً (ملخص) من نبوات الانبياء بالوحي الالهي المبينة لقول اسحق في امر المسيح مع بني اسرائيل في قول اسحق وليسجد لك بنو امك

(الاول) من نبوة اشعيا في المسيح باب ٤٩ باتفاقهم مضمونها ان المسيح يرسله الرب الى بني اسرائيل بان يرجعوا الى الرب فلم يقبلوا منه فيخفيه الرب في كنيسته كناية عن حفظه ، وقال له (انت عبيدي اسرائيل الذي به اتجد) واسرائيل هو يعقوب اشارة لقول اسحق ليعقوب والمراد المسيح (وليسجد لك بنو امك) والخضوع يلزم منه العناد ابتداء ثم الخضوع اليه انتهاء . وفي نبوة اشعيا هذه مجيئه الاول يكون في وقت دولة اليهود بفلسطين وتسلط الكهنة على الشعب كما في عدد ٧ منها { هكذا قال الرب - لمحتقر النفس لمكروه الامة لعبد المتسلطين - } وقد اشتهت دولتهم وتشتموا قتمين مجيئه الاول، ولجيئه الثاني قال (ينظر ملوك فيقومون رؤساء فيسجدون) أي لما ينظرونه يقومون اجلالا له وتمظيها (ويحييه الرب في وقت رضاء فيمينه في خلاصهم من الامم ويقيم الارض اي بهم وهذا يتم في مجيئه الثاني . فالمسيحيون ترجعوا عدد ٦ من باب ٤٩ من نبوة اشعيا هذه بخلاف الاصل والاصل العبراني وهو اصل النبوة يحكي قول المسيح عن الرب قال (سهل ، او يسير ، ان تكون لي عبدا لتقيم اسباط يعقوب ورد محصور ي اسرائيل واجملك نورا لأم لتكون خلاصي الى اقصى الارض) فقالوا بدل ذلك قال { قليل ان تكون لي عبدا لتقيم - او لاقامة - اسباط يعقوب ورد محفوظ ي اسرائيل فقد جعلتك نورا لأم لتكون خلاصي الى اقصى الارض } بناء على قول بولس كما في اعمال الرسل ١٣ : ٤٧ - قد اقمك نورا لأم لتكون انت خلاصا الى اقصى الارض) وقصدهم جعل الام بدل بني اسرائيل وهذا خلاف الاصل وتحريف للنبوة عن اصلها وموضوعها كأن الرب الذي ارسل المسيح (عم) لم يعرف ما يستحقه المسيح من الوظيفة وقد فاتهم ما ذكر في عدد ٨ منه في وقت رضاء اجبتك وفي يوم خلاص اغنتك وحفظتك - الى قوله - لتقيم الارض أي الشعب في الارض ومعنى نورا لأم اي موصيا في مجيئه الثاني كما في نبوة اشعيا ٤٥ : ٤ (هوذا جعلته شارعا) والعبراني شاهدا للشعوب رئيسا وموصيا) وفي الامثال ٦ : ٢٣ (لان الوصية مصباح) اي نوز يعني يوصي بتوحيد الرب واطاعته واما مجيئه الاول كان

﴿ ٧ ﴾

رسولا كما في نبوة اشعيا ٤٩ : ٥ جابلي من البطن عبدا له لارجاع يعقوب ، أي بني يعقوب اه ولا عبرة بقول النصارى « رمزى وحرفى » لان التحريف منوع كما في نبوة ارميا ٢٣ : ٣٦ — كلمة كل انسان تكون وحيه اذ قد حرقتم كلام الاله الحي — { الثاني } من نبوة ميخا ٥ : ٢ — انت يا بيت لحم — يخرج لي الذي يكون حا كما على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل ، اي مخارجه في مجيئه الاول منذ (١) القدم بالنسبة لمجيئه الثاني وحكمه الذي ابتداء النبوة فيه ولذلك قال : لذلك يسلمهم الى حين تلد الوالدة) اي يتركهم للضيق مثل الوالدة لما تلد وهذا في مجيئه الاول لعنادهم ثم في مجيئه الثاني يذنه بقوله (ثم ترجع بقية اخوته الى بني اسرائيل : ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب الهه ويسكنون لانه الآن يتعظم الى اقاصي الارض ه ويكون هذا سلاما .) اي ترجع بقية اخوته الذين في الخارج على الموجودين بالشام ويرعاهم جميعا بقدرة الرب ويسكنون ويكون سلام لان تعظمه الى اقاصي الارض يسهل رجوع الذين في الخارج الى الارض المقدسة بالشام ، وهذا معنى ما في نبوة اشعيا ٤٩ : ٦ لتكون خلاصي الى اقاصي الارض ، اي لخلاص بني اسرائيل (اشك) من نبوة هوشع ٣ : ٤ لان بني اسرائيل سيقعدون اياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس — الى قوله — وبعد ذلك يعود والبراني يرجع بنو اسرائيل ويطلبون الرب الههم والى داود ملكهم — الى قوله في آخر الايام) والمراد بـ داود ملكهم المسيح لانه من داود وداود من يعقوب . المعنى ان بني اسرائيل يقعدون اياما كثيرة حيارى بلا رئيس وبعد ذلك يرجعون عن العناد ويطلبون الرب الههم ويرجعون الى داود ملكهم ويلزم من رجوعهم اليه عنادهم ابتداء معه فالنصارى تركوا « الى » في قوله الى داود ملكهم فقالوا وداود ملكهم تحريفا بالنقصان اه

(ملحق) تقول لاهل الكتاب لا تستغربوا أن للمسيح مجيئين حسب نص تبوات الانبياء المقدسة عندهم والله على كل شيء قدير بأن يحفظ المسيح من الاعداء ويأتي به حسب ما تقتضيه حكمته ، ومثل ذلك ايليا رفعه الله الى السماء كما في ملوك ثاني ١١ : ٢ — فصعد ايليا في العاصفة الى السماء) وفي نبوة ملاخي من قول الرب ٤ : ٥ (ها انذا ارسل اليكم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والخوف) الصبراني هذا (الياهو) وفي حاشية الكاتوليك على نبوة ملاخي قالت التقليد الراهن والمتفق

(١) منذ القدم يطلق على الزمن الماضي القديم قدم وازل كما في مزمور ١٠٤ : ١ — في أيامهم في أيام القدم وفي نبوة اشعيا ٤٦ : ٩ — ومنذ الازل لم يسمعوا)

عليه عند عموم اليهود والمسيحيين ان ايليا النبي مجيء بشخصه في منتهى العالم لمقاومة الدجال وقد صرح بذلك السيد المسيح نفسه (مت ١٧: ١١ ومرقس ١٩ : ١) اه وقولهم « في منتهى العالم » نص النبوة قبل مجيء « يوم الرب » وفي شرح الاسرائيلية الربانيين قال : قبل مجيء اليوم العظيم اه فاذا كنتم يا اهل الكتاب مصدقين بكتابكم يلزم ان تصدقوا بجميعه خصوصاً نبوات الانبياء لا ان تصدقوا البعض وتنكروا البعض الآخر (تنبيهات) (الاول) في ترجمة المسيحيين لداود مزمو ٢٢ : ١٦٠ (ثقبوا يدي ورجلي) الاصل العبراني كاسديدي ورجلي وفي حاشية كتاب البروتستانت أوكاسد. فقد اعترفوا . وقول داود في مزمو ٢٢ : ١٦ (كاسد يدي ورجلي) بناء على قول يعقوب في يهوذا ابنه كما في التكوين ٩ : ٤٩ يهوذا شبل أسد الى قوله كاسد) والمراد يهوذا داود لانه من يهوذا وسلطنته بالشام (اثنائي) في نبوة أشعيا باب ٤٣ عدد ٨ - انه ضرب من أجل ذنب شعبي) والاصل العبراني « لهم ضربة » يعني الشعب ولفظها العبراني « لاموا » فتركوا « لهم » وقالوا ضرب ، وفي عدد ١٠ منه - ان جعل نفسه ذبيحة اثم . كلمة ذبيحة زادوها . والاصل العبراني فحسب نفسه آثماً ، وفاتهم قوله بعدها « يرى نسلها » والمراد الشعب لا المسيح وفي عدد ٦ - وضع عليه اثم جميعنا - والمراد الشعب وبيانه في مرثي النبي أرميا ٧ : ٥ أبؤنا أخطأوا ولبسوا بجودين ونحن نحمل آثامهم) فرائي أرميا هي بيان لنبوة أشعيا باب ٥٣ وقد اعترف الكاثوليك والبروتستانت كما في كتبهم اثم يترجمون من الاصل العبراني وهنا خالفوا ونسبوه للاصل العبراني (اثنائي) نبوة زكريا باب ١٢ وباب ١٣ تمت في يهوذا وأخيه يوناثان من المكابيين من بيت هرون) وعبارتهم افي سفر المكابيين الاول وهو من الاسفار القانونية عند الكاثوليك والاورتدكس ، والبروتستانت تعتبره تاريخاً لليهود (الرابع) في نبوة أشعيا ٧ : ١٤ - ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل) الاصل العبراني الفتاة حبلى والكلمة العبرانية مثلها حرفياً في هاجر لما كانت حاملاً باسمعيل كما في التكوين ١٦ : ١١ - هأنت (حبلى) وفي قاموس البروتستانت للكتاب (عمانوئيل) اسم ولد في أيام أشعيا الخ (الخامس) في نبوة أشعيا ٩ : ٦ لانه يولد لنا ولد ونعطي ابناً الى قوله مشيراً إلهاً الخ وترجمة الكاثوليك لانه قد ولد لنا ولد أعطي لنا ابن الى قوله مشيراً إلهاً الخ مثل العبراني في شرح الاسرائيلية الربانيين هو - زفيا أي ملك يهوذا اه ويطلق عند الاسرائيلية على النضاة والرؤساء آلهة كما في سفر الخروج في العبد الذي يعتق ٦ : ٢١ يقدمه سيده الى الله والعبراني الى الآلهة . وترجمة الكاثوليك يقدمه مولاه الى الآلهة) وفي حاشيتهم أي النضاة

وفي سفر الخروج ١٠: ٧ فقال الرب لموسى - أنا جعلتك إلهاً لفرعون ، العبراني جماعتك
 آلهة لفرعون { فيطلق الجمع ويراد به المفرد من باب التعظيم ومثله في صموئيل أول
 ١٣: ٢٨ (السادس) في أنجيل يوحنا من قول المسيح لليهود ٣٤: ٧ ستطلبوني ولا
 تجدوني -) وفي أنجيل يوحنا ١٢ : ٣٤ - نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى
 الى الابد - ٣٥ فقال لهم يسوع التور معكم - فسيروا مادام لكم النور -) والناموس
 نور كما في مزور ٩ : ٧ ناموس الرب كامل الى قوله ينير العينين، ومثله في مزور
 ١١٩ : ١٠٥ سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي) والمسيح مؤيد للناموس والانياء كما في
 انجيل متى ٥ : ١٧

(فصل في ميلاد المسيح) من قول يعقوب بلوحي في يهوذا ابنه كما في التكوين
 ٤٩ : ١٠ لا يزول قضيب من يهوذا ومشرع من بين رجله الخ معنى المشرع معطي
 الشريعة ومحققها فالمراد يهوذا داود لانه من يهوذا وسلطته بالسام والمشرع من بين
 رجله أي مابين الشريعة وهو المسيح لانه ولد من أنثى من نسل داود من بين
 رجلها ، والكلمة ماثما في التثنية ٢٨ : ٥٧ بمشيمنتها الخارجة من بين رجلها، كما في
 القاموس العبراني، والمشيمة غشاء المولود ، ويانه في نبوة أرميا ٢٢ : ٣١ لان الرب قد
 خلق شيئاً جديداً في الارض انثى تحيط برجل ٢٣ هكذا قال الرب الجود -
 سيقولون بعد هذه الكلمة أو انقول في أرض يهوذا ومدنها عند ما أرد سبيهم يباركك
 الرب يا مسكن البر يا أبها الجبل المقدس ٢٢ فيسكن فيه « والبراني ويسكن » فيه يهوذا
 وكل مدته معاً) أي عند ما يرد الرب سبيهم ويسكنون يولد المسيح من غير أب بخلق
 الله تعالى لذلك - كما توضح - فكما خلق الرب حواء من آدم من ضلع من أضلاعه كما في
 التكوين ٢ : ٢١ و ٢٢ و ٢٣ خلق المسيح من أمه كما توضح من قول يعقوب ونبوة
 أرميا، وقول الاسرائيلية في شروحهم على نبوة أرميا هذه (ان المراد بالانثى أورشليم
 أو الارض، والرجل الشعب. لم يذكر في الكتاب أنثى ويراد بها أورشليم أو الارض
 وانما ورد انثى ويراد بها أمنا حواء كما في التكوين ١ : ٢٧ - ذكر وأنثى خلقهم) أي آدم
 وحواء وأم المسيح مثل أمها حواء وانما اليهود أخفوا نبوة أرميا هذه عن النصارى
 وأبدلوها بشكل آخر وترجموا في السبعينية اليونانية بما يأتي وجعلوا باب ٣١ عبرانية لنبوة
 أرميا باب ٣٨ سبعينية وقالوا في السبعينية بدل قوله خلق الرب شيئاً جديداً في الارض انثى
 تحيط برجل الخ قالوا الرب خالق خلاصاً للناس سيدورون في الخلاص
 لانه هكذا يقول الرب الخ والترجمة السبعينية موجودة ومطبوعة باليوناني وبالانكليزي

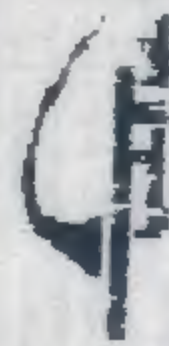
عن اليوناني (تنبية) في الترجمة السبعينية التي كان عليها النصارى أولاً ثم من بعد أزمنة قالوا ترجمنا العهد القديم من الاصل العبراني كما في كتبهم وقالوا كتاب الاناجيل أخذوا من السبعينية أنظر المجلد الثالث من كتاب الكاتولييك ومرشد الطالبين للبروتستان وفي كتاب ذخيرة الالاباب في بيان الكتاب الكاتولييك طبع بيروت قال في الترجمة السبعينية لم يترجم فيها الا الاسفار الخمسة الاولى أما بقية العهد العتيق فقد ترجم في أعمار مختلفة، ثم ذكر ان الترجمة السبعينية دخلها أغلاط الى أن قال ان ايرنيوس الذي كان يعرف العبرانية ترجم العهد العتيق من العبرانية وايرنيوس الذي تعلم العبرانية كان في اواخر القرن الرابع، وفي مرشد الطالبين للبروتستان ان ايرنيوس ترجم في أوائل القرن الخامس، والتوراة عند اليهود تطلق على الاسفار الخمسة الاولى وبقية العهد القديم وان كان عندهم مقدساً لا يطلقون عليه توراة، والنصارى يطلقون التوراة على كل العهد القديم (في الاناجيل) في قاموس الكتاب للبروتستان قال في الاناجيل انها كانت مستعملة في الكنائس قبل سنة ٢٠٠ مائتين وربما قبل سنة ١٥٠ اي بعد الميلاد فقوله « ربما » شك منهم وفي مقتطف مارس - سنة ١٩١٢ تقریظ رسالة في الاناجيل للاب الطون رباط اليسوعي قال عليها ان الادلة التاريخية التي أوردها يرتقي بعضها الى أواسط القرن الثاني وكانت كما هي عليه الآن منذ أواخر القرن الثالث هـ والحواريون ماتوا قبل أواسط القرن الثاني أي قبل سنة ١٥٠ وعلى ذلك الاناجيل ليست من تصنيف الحواريين أتباع المسيح وإنما هي روايات فيها وفيها، فالذي يوافق منها نبوءات الانبياء حرفياً في الموضوع بدون زيادة أو نقصان أو تغيير حسب الاصل العبراني الذي اعتمدوه أخيراً يصح قبوله لان المسيح مع الانبياء هـ

(فصل في دخول المسلمين الى الشام) النصوص كثيرة انما نذكر منها ما يأتي في نبوة حمجي بحسب العبراني من قول الرب ٦: ٢ - بعد قليل فازلزل السموات والارض - ٧ - وازلزل كل الامم ويأتون احسن كل الامم او افخر كل الامم قائلاً هـ هذا البيت مجدداً ٩ - وفي هذا المكان اعطي السلام - فقد اتت أمة الاسلام وهي احسن كل الامم لانها على التوحيد وتعظيم الرب والايمان بانبيائه واحترامهم، واعطت السلام والامان وبنت بيت الرب في المدينة المقدسة بعد ما كان البيت خراباً وامتلأ البيت مجدداً لعبادة الرب فيه ، اما ترجمة النصارى هنا في قولها « ويأتي مشتهد كل الامم » خلاف الاصل العبراني والعبراني بالجمع « ويأتون » وفي عدد ٢٠ منه وصارت كلمة الرب ثمانية - كلم زوبابل والي يهوذا قائلاً « اني ازلزل السموات والارض ٢٢

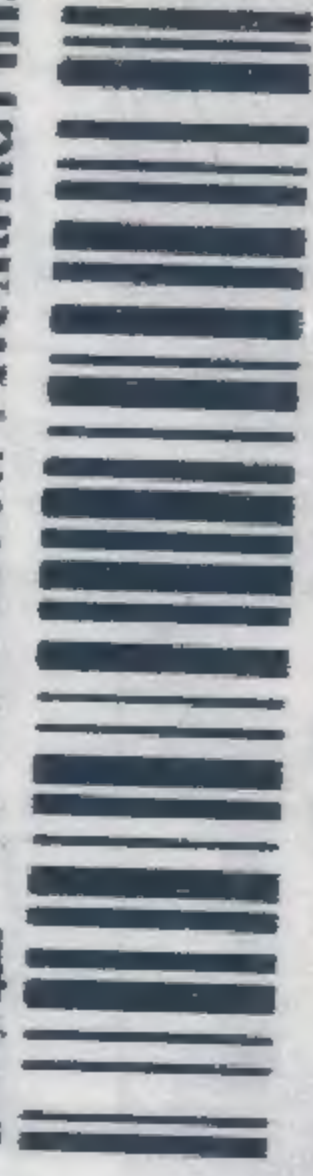
وأقلب كرسي الممالك ٢٣ - في ذلك اليوم - آخذك يا زربابل عبيدي - وأجعلك كخاتم (والمراد به المسيح في مجيئه الثاني وحكمه لانه من زربابل ، والخاتم الذي يوضع في اليد كناية عن السلطنة أنظر نبوة أرميا ٢٢: ٢٤)

في نبوة دانيال باب ٩ مضمونه مقضي على الشعب سبعين (١) اسبوعا وبعدها البر الابدي وقال في شرح الاسرائيلية وحاشية الكاثوليك كل اسبوع بسبع سنين تكون المدة ٤٩ سنة بحسب المدة من حرب الرومان لليهود سنة ١٣٢ بعد الميلاد وبهذه الحرب تشتتوا وآخر المدة سنة ٦١٢ ميلادية وفيها هاجر النبي (ص) الى المدينة وصار رئيسا عليها وبعد ١٤ سنة دخل المسلمون الشام ، فالاربعة عشر السنة في نظير اخذ دولة فارس للشام من الروم ١٤ سنة من سنة ٦١٤ لغاية سنة ٦٢٨ ثم دخل المسلمون المدينة المقدسة سنة ٦٣٦ كما في تواريخ المسيحيين وفي نبوة دانيال باب ٧ رأى في الرؤيا أربع حيوانات وأوحى اليه انها أربع دول تقوم على الارض اي الارض المقدسة وبعدهم تكون الارض للقديسين الى الابد ، وقد اعترف اهل الكتاب ان الدول الأربع الكلدان والفرس واليونان والرومان اهـ فقد انتهوا وحل المسلمون الارض المقدسة وهم فيها الآن وبمنه تعالى الى الابد ، وبمثله في نبوة زكريا ١ : ١٨ وآهم بهيئة قرون اربعة في ارض يهوذا أي الارض المقدسة وانتهى امرهم ، وفي انجيل يوحنا من قول المسيح ١٦ : ١٣ - روح الحق فهو يرشدكم - لانه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به - ١٤ ذاك يعيدني) فالذي يسمع يكون له صفة السمع والصفة تقوم بذات ولا تقوم بصفة ، وروح الحق الانسان كما في رسالة يوحنا الاولى ٤ : ١٦ ايها الاحبة لا تصدقوا كل روح - كل روح يعترف يسوع المسيح - فهو من الله ٣ وكل روح لا يعترف يسوع - فليس من الله ٦ - من هذا لعرف روح الحق -) والنبي (ص) يؤمن بالمسيح ويعظمه ويتكلم بما يوحى اليه (يا اخت هرون) في الحديث الشريف كانوا يسمون بأسماء انبيائهم والصالحين قبلهم اهـ من ابن كثير وقد سمي المسيح داوداً كما في نبوة حزقيال ٣٧ : ٢٤ « فصل » المسيح كان على التوحيد كما في انجيل يوحنا من قول المسيح يخاطب الرب ١٧ : ٣ وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته ، وترجمة الكاثوليك والذي ارسلته يسوع المسيح - أي يعرفون ان الاله الحقيقي واحد والذي ارسله هو المسيح مثل قول اشهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله

(١) قوله سبعين اسبوعاً سبق بيان هذه النبوة تفصيلاً في كتاب البرهان الدريعي في بشارة النبي والمسيح وفي الكتاب اسبوع بسبع سنين واسبوع بسنة وبيننا المتنازه الخ وأطلق على ابراهيم واسحق مسحاء كما في مزمور ١٠٥ : ١٥ (تفسيره) سامرة البراني شمران مومنين منها في سفر يشوع ١٢ : ٢٠ شمران بل سامرة جملة بلاد



Bibliotheca Alexandrina



0551741